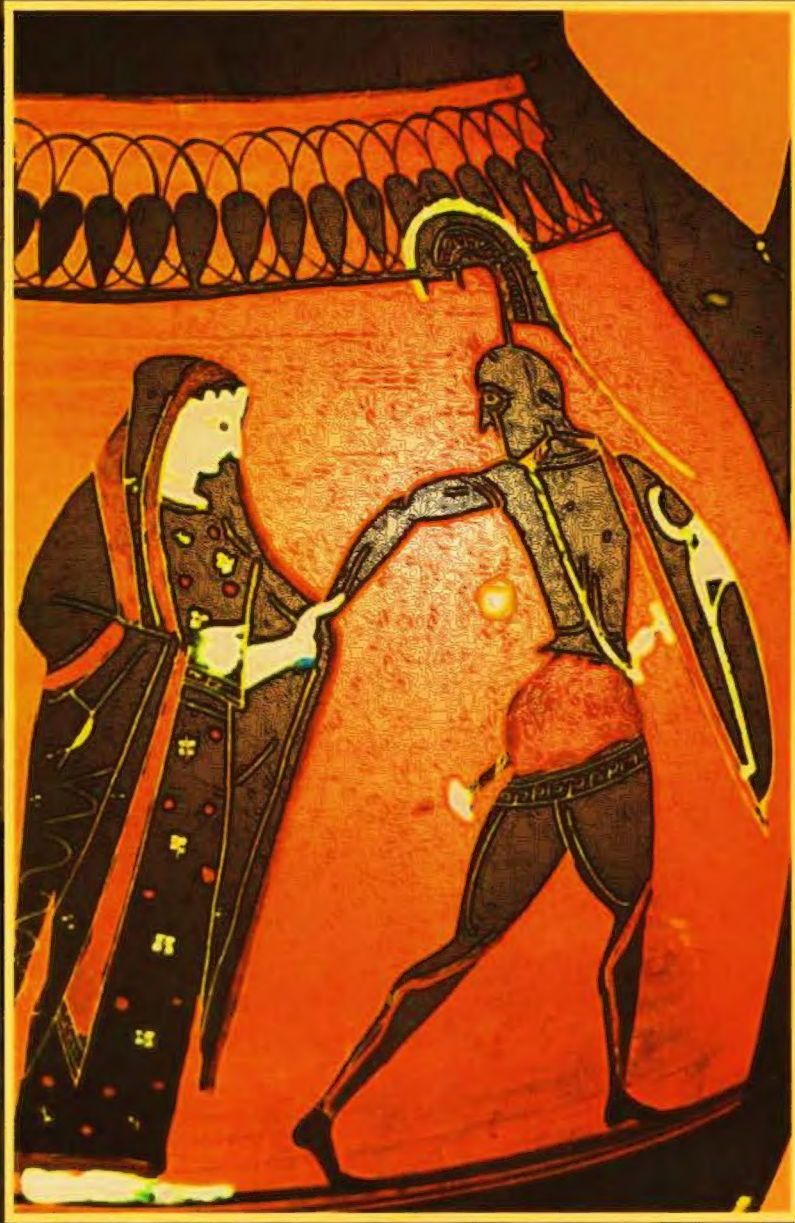


الإلياذة



750/2

أحمد عثمان

تحرير ومراجعة

مقدمة

معجم أسطوري كشاف



المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٢/٧٥٠
- الإلياذة
- هوميروس
- أحمد عثمان
- لطفى عبد الوهاب يحيى
- منيرة كروان
- السيد عبد السلام البراوى
- عادل النحاس
- الطبعة الثانية ٢٠٠٨م

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب:

H TOY OMHPOY IΛΙΑΣ

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

Elgabalaya st, Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 27354526 - 27354524 Fax: 27354554
E-Mail : egyptcouncil@yahoo.com

بطاقة الظهرست

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الضمنية

هوميروس .
الإلياذة . تأليف : هوميروس - ترجمة : نخبة .
تحرير ومراجعة : أحمد عثمان .
ط ٢ - القاهرة : المركز القومي للترجمة : ٢٠٠٨
٨٤٨ ص : ٣١ سم .
١ - الإلياذة
أ - عثمان ، أحمد (محرر ومراجع)
ب - العنوان

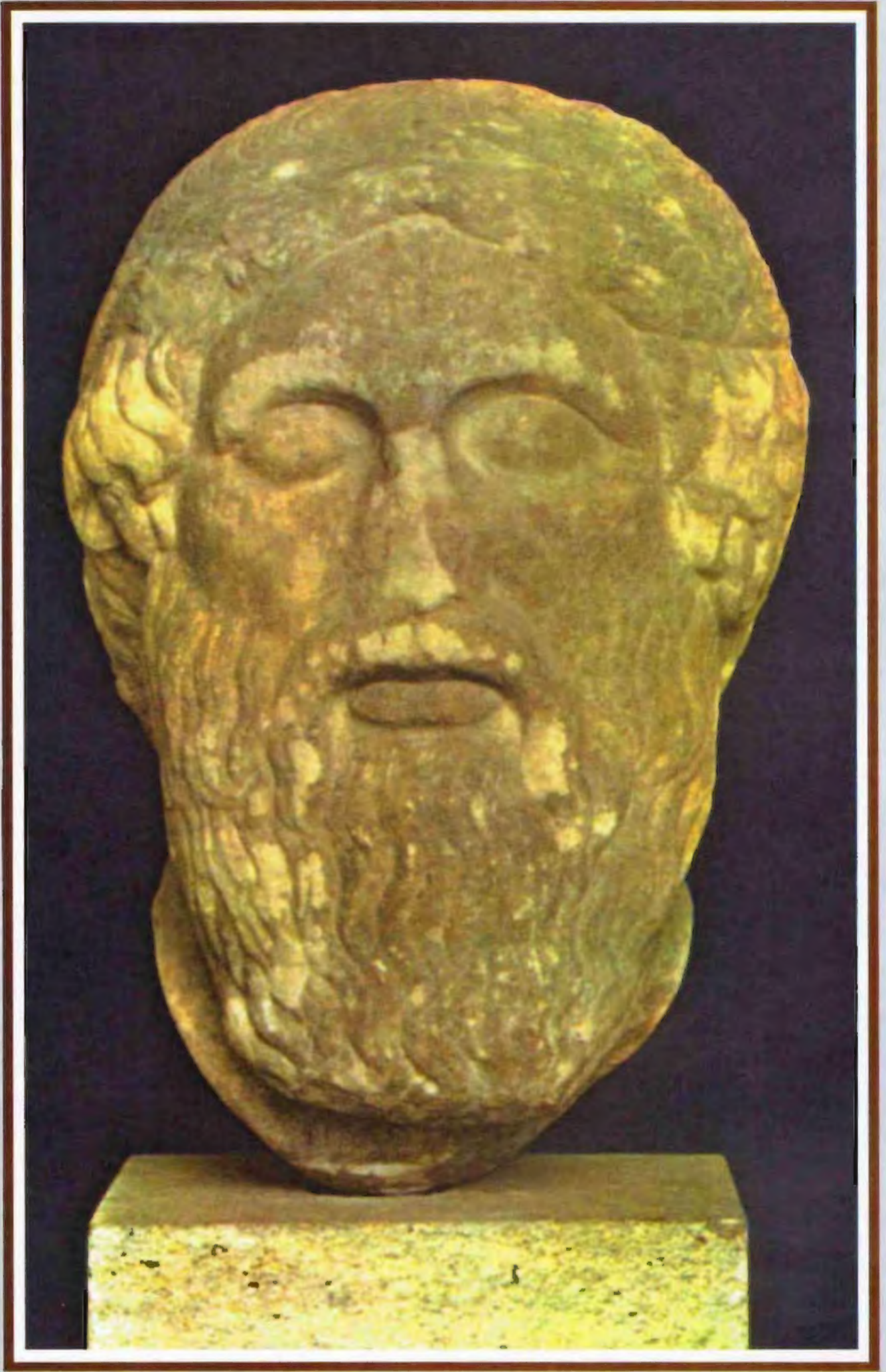
٨٨٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٢٠٤١٥

الترقيم الدولي : 9 - 920 - 437 - I.S.B.N. 977

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .



شكل (١)
نسخة رومانية من تمثال نصفي لهوميروس. تعود للقرن الخامس ق.م
ومحفوظ الآن بمتحف النحت في ميونيخ بألمانيا

المحتويات

الصفحة	
١٧ - ٧	مقدمة الطبعة الثانية : بقلم أحمد عثمان
١١٣ - ١٨	مقدمة الطبعة الأولى : بقلم أحمد عثمان
٢٢ - ١٨	أولاً: ترجمة البستاني ومحاولات أخرى.....
٣٦ - ٢٢	ثانياً: فك طلاسم اللغز الهومري
٤١ - ٣٦	ثالثاً: من هو الآخر فى "الإلياذة" ؟
٤٧ - ٤١	رابعاً: الكلمات المجنحة بالوزن السداسى
٦٣ - ٤٨	خامساً: العالمان المتوازيان والتوهج الشعرى فى التشبيهات .
٨٧ - ٦٤	سادساً: وحدة الحدث الملحمى
١٠٥ - ٨٧	سابعاً: أصدقاء "الإلياذة" فى الآداب العالمية
٩١ - ٨٧	أ- رحلة "الإلياذة" إلينا.....
١٠٥ - ٩١	ب- "الإلياذة" ينبوع الإلهام الشعرى قديماً وحديثاً
١٠٦-١٠٥	ثامناً: وبعد.. فأما قبل !
١١٣-١٠٦	قائمة مختارة من المراجع

" الإلياذة " تأليف هوميروس

١٤٤-١١٧	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الأول:
١٨٤-١٤٥	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الثانى:
٢٠٥-١٨٥	ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى	الكتاب الثالث:
٢٢٨-٢٠٧	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الرابع:
٢٦٢-٢٢٩	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الخامس:
٢٨٣-٢٦٣	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب السادس:
٣٠٧-٢٨٥	ترجمة منيرة كروان	الكتاب السابع:
٣٣٣-٣٠٩	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الثامن:
٣٦٦-٣٣٥	ترجمة منيرة كروان	الكتاب التاسع:
٣٩٢-٣٦٧	ترجمة منيرة كروان	الكتاب العاشر:
٤٢٩-٣٩٣	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الحادى عشر:
٤٥١-٤٣١	ترجمة منيرة كروان	الكتاب الثانى عشر:
٤٨٤-٤٥٣	ترجمة أحمد عثمان	الكتاب الثالث عشر:
٥٠٧-٤٨٥	ترجمة السيد عبد السلام البراوى	الكتاب الرابع عشر:

الصفحة	
٥٤٠-٥٠٩ ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٥٧٨-٥٤١ ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦١٠-٥٧٩ ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦٣٧-٦١١ ترجمة السيد عبد السلام البراوى
٦٥٥-٦٣٩ ترجمة أحمد عثمان
٦٧٦-٦٥٧ ترجمة أحمد عثمان
٧٠٢-٦٧٧ ترجمة أحمد عثمان
٧٢٥-٧٠٣ ترجمة عادل النحاس
٧٦٥-٧٢٧ ترجمة عادل النحاس
٨٠٠-٧٦٧ ترجمة عادل النحاس
٨٤٣-٨٠١ إعداد أحمد عثمان
٨٤٦-٨٤٥ الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

التعطش الخلاق للإلياذة العربية محلياً ودولياً

بقلم : أحمد عثمان

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصراً دقيقاً أو جامعاً مانعاً ما كُتِبَ عن هذه الطبعة في الصحافة اليومية والمجلات الثقافية ، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية ، وذلك على امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج . ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق في الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة " الإلياذة " كانت تمثل تحدياً ثقافياً مزمناً في التراث العربي .

ولقد شعر كاتب هذه السطور بهذا التعطش الخلاق في ثنايا هذه الحفاوة البالغة "بالإلياذة" التي ترجمت ولأول مرة مباشرة من نصها الإغريقي الأصلي. وتجلّى هذا التعطش الخلاق في السؤال الذي واجهنا دوماً في كل مكان ذهبنا إليه: وأين " الأوديسية"؟. فالقارئ العربي قد شعر منذ اطلاعه على " الإلياذة " أنها كانت مشكلة مزمنة وحسمت عندما تصدى لها المتخصصون ، الذين عليهم الآن القضاء كذلك على مشكلة " الأوديسية" .

ومن أهم ما طرح في وسائل الإعلام العربي هو ما جاء على لسان كبار النقاد من أنهم قرأوا النص المترجم فلم يلاحظوا أية درجة من درجات التفاوت ما بين الكتب الأربعة والعشرين " للإلياذة " ، فكلها بأسلوب واحد وبالذقة نفسها والانضباط عينه ، مع أن عدد المشاركين في الترجمة مع كاتب هذه السطور قد بلغ الأربعة. ولعل هذه الملاحظة النقدية الدقيقة هي أكثر ما بعث الاغتياب في نفس كاتب هذه السطور بوصفه المراجع والمشرف العام على الترجمة إلى جانب قيامه

بترجمة سبعة كتب فيها ، كما وقع عليه عبء التحرير العام للترجمة . ولقد استغرق العمل فى الترجمة ست سنوات من الجهد الشاق والمثابرة. وبالفعل صاغ المحرر أربع نسخ متتالية حتى وصل إلى النسخة النهائية التى بلغت مرحلة من النضج والجودة ما أقنع المحرر بأنه قد آن الأوان لطبعها ونشرها .

وكان أصعب ما واجه المحرر العام هو توحيد المصطلح ومستوى الأسلوب وشكل الأسماء والصفات والصيغ المألوفة فى الشعر الملحمى الإغريقى . وجدير بالذكر، على سبيل المثال لا الحصر، أن هناك تكراراً لبعض الأبيات فى " الإلياذة " ولا يصح مطلقاً أن نورد بيتاً بترجمتين مختلفتين ، إحداهما فى كتاب والأخرى فى كتاب آخر فى إطار ملحمة واحدة . أما صفات الأبطال مثل " سريع القدمين ، إلهى ، ربانى ، بعيد النظر... إلخ" فهى مكررة من أول " الإلياذة " إلى آخرها وكل مترجم يترجمها بطريقته الخاصة. وكان على المحرر أن يوحد هذه الصفات ولا سيما تلك اللصيقة بأحد الأبطال والمميزة له فى كل كتب " الإلياذة " . ومثل هذه المشكلات ، وما هو أدق منها ، يدخل فى التفاصيل، وكان على المحرر أن يتعامل معها بصبر وأناة وتدقيق وتحقيق حتى تخرج " الإلياذة " بهذه الصورة التى خرجت بها. وهناك بعض درجات التفاوت ظلت تراوغ المحرر ولم يضبطها إلا الكشاف الذى أعده لكل الأعلام فى " الإلياذة " حيث ذيل به الترجمة .

كرم المجلس الأعلى للثقافة المترجمين؛ إذ أهداهم درع المجلس فى إطار مؤتمر عالمى ضخم عن الترجمة فى مايو ٢٠٠٤ ، حيث عقدت ندوة خاصة (٢٩ مايو - ١ يونيو) تحت عنوان "الإلياذة عبر العصور" شارك فيها رواد الدراسات الكلاسيكية والمهتمون بهذه الثقافة ومنهم : أحمد أبو زيد، صفوت كمال، عبد الحميد حواس، عبد المعطى شعراوى، عليّة حنفى ، لطفى عبد الوهاب، محمد عبد الغنى، ماهر شفيق، ماجدة النويمى ، أشرف فراج، محمد خليفة ، محمود أمين العالم، مصطفى العبادى، ممدوح عدوان ، منيرة كروان وغيرهم. وشارك فيها كذلك عالمان أوروبيان ، أحدهما هو فريدى ديكريس **Freddy Decreus** أستاذ الكلاسيكيات بجامعة خنت ببلجيكا. والثانية هى ميكى كولك **Mieke Kolk**

أستاذ المسرح بجامعة أمستردام- هولندا. ونشرت أعمال هذه الندوة (تحرير أحمد عثمان) عن المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٦ .

ومن هذه الدائرة الضيقة التي شهدت هذه الحفاوة عالية المستوى في أروقة المجلس الأعلى للثقافة انطلقت الأصداء لتملأ آفاق الدنيا .

حكى لى الإخوة الذين أشرفوا على معارض الكتب المصرية فى العواصم العربية أن أية كمية تؤخذ من " الإلياذة " تنفد فى أول يوم للمعرض، ويظل رواد المعرض يسألون عنها طوال الأيام حتى نهاية المعرض. ولقد سمعت الشيء نفسه عن معرض أقيم فى أثينا وآخر فى فرانكفورت. فلا غرو أن تنفد الطبعة الأولى وأن تروج حتى لدى القراء المصريين وطلبة الجامعات مع أن سعر هذه الطبعة الفاخرة يعد مرتفعاً، ونأمل فى طبعة شعبية مستقبلاً .

وفى تلك الأثناء جاءتنى مكالمة تليفونية غير عادية ، وقدم المتحدث نفسه على أنه بيتر بورمان **Peter Pormann** وفوجئت به بحادثتى باللغة العربية وبطلاقة وعرفت منه أنه ألمانى الأصل متخصص فى الكلاسيكيات ويعمل فى جامعة وارويك **Warwick** فى إنجلترا. ومنه عرفت حكايته الطريفة؛ حيث كان يتردد على المكتبات الباريسية التى تبيع كتباً عربية، وسأل عن ترجمة البستانى " للإلياذة "، فأخبره صاحب المكتبة بأن هناك ترجمة جديدة صدرت حديثاً فاشترأها على الفور وعاد بها إلى إنجلترا محل عمله. وهناك شرع يسأل عن المشرف على هذه الترجمة وهو كاتب هذه السطور. والتقى الأستاذ تشارلز بيرنت **Charles Burnett** من جامعة لندن ، المتخصص فى ترجمات العصور الوسطى من العربية إلى اللاتينية ، وكنت قد التقيت به فى مؤتمرات سابقة. حكى بورمان له عن " الإلياذة " التى ترجمت حديثاً إلى العربية من الإغريقية مباشرة وأشرف عليها فلان، وذكر اسم كاتب هذه السطور، وقال إنه لا يعرف كيف يصل إليه، وكانت المفاجأة أن ناوله تشارلز بيرنت بطاقة التعارف الخاصة بمن يبحث عنه. ومن هنا، جاءت المكالمة التليفونية سالفة الذكر .

وفى يوم ٢٩ يناير ٢٠٠٧ بالمعهد القومى للغات الشرقية INALCO بباريس ألقى بورمان محاضرة بعنوان " هوميروس العربى بين البستانى وأحمد عثمان" وتابعت هذه المحاضرة الدكتورة كاميليا صبحى الملحق الثقافى وأرسلت تقريراً عنها إلى الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة، الذى تفضل بإرسال نسخة منه إلى كاتب هذه السطور. وجاء فى هذا التقرير الشىء الكثير عن إشادة بورمان بهذه الترجمة التى يعتبرها من أفضل الترجمات، حتى إنه قارنها بالترجمات الإنجليزية والفرنسية الشهيرة. ولأن الأستاذ بورمان طور هذه المحاضرة ونشرها فى مقال مستفيض بعد ذلك فسنعود إلى مناقشة آرائه بعد قليل .

ونتوقف الآن قليلاً عند ما أتلج صدر كاتب هذه السطور لشعوره بأن الدراسات الكلاسيكية فى مصر بدأت تأخذ موقعاً لها على الخريطة الدولية للدراسات الكلاسيكية. لقد بدأت الخطوات الأولى فى هذا الاتجاه منذ تأسيس الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية عام ١٩٨٥ وانضمامها للاتحاد الدولى للجمعيات الكلاسيكية FIEC . لكن هذه الخطوات كان يمكن أن تذهب عبثاً إن لم تساندها أعمال علمية يشعر بها المجتمع الكلاسيكى الدولى. ومن هنا تأتى أهمية الأصداء الخارجية لترجمة " الإلياذة " ٢٠٠٤؛ إذ صدر كتاب مهم عن جامعة أكسفورد كما يلى :

Barbara Graziosi & Emily Greenwood (eds), *Homer in the Twentieth Century: Between World literature and the Western Canon*. Oxford University Press 2007

ضم هذا الكتاب اثنى عشر بحثاً بقلم كبار الأساتذة المختصين فى الدراسات الكلاسيكية المقارنة. ومن أهم المشاركين فى هذه الأبحاث الأستاذة لورنا هاردويك Lorna Hardwick أستاذة الكلاسيكيات فى الجامعة المفتوحة وصاحبة أهم الدراسات حول نظرية الاستقبال لاسيما استقبال الكلاسيكيات فى العصر الحديث. يحمل بحثها فى الكتاب المذكور العنوان التالى :

"Singing across the faultlines: Cultural shifts in Twentieth Century Reception of Homer" (pp.47-71)

"الشدو عبر التثققات : تغيرات ثقافية فى استقبال هوميروس فى القرن العشرين"
ولقد استهات هذه الباحثة المرموقة ببحثها فى اسقبال القرن العشرين لهوميروس بصفتين (٤٧-٤٨) ترحب فىهما بالنسخة العربية الجديدة " للإلياذة " ومسجلة بعض ما نى إلى علمها من حفاوة الثقافة العربية بهذه الترجمة ، والندوة التى عقدت احتفاءً بها تحت عنوان " الإلياذة عبر العصور " وكذا إعادة طبع ترجمة سليمان البستانى . وذكرت أن الترجمة استغرقت ست سنوات وأن المشرف على الترجمة قد حرص على " روح النص " الأصى وأن هذه الترجمة هى أول ترجمة عربية للإلياذة عن النص الإغريقى الأصى مباشرة .

ولقد توطدت علاقتى بهذه الباحثة التى قابلتها فى أكثر من مؤتمر . وكانت بصدد الإعداد لإصدار موسوعة عن استقبال الكلاسيكيات، وطلبت منى الإسهام فى هذه الموسوعة التى صدرت بالفعل على النحو التالى :

Lorna Hardwick & Christopher Stray (eds), *A Companion to Classical Receptions*. Blackwell Publishing 2008

وضمت هذه الموسوعة ٣٥ بحثاً بقلم نخبة من علماء مختلف الدول الأساتذة المختصين فى الكلاسيكيات والأدب المقارن ولاسيما نظرية الاستقبال أو التلقى . وكان من نصيب كاتب هذه السطور أن يسهم بالبحث رقم ١١ بعنوان :

"Translation at the Intersection of Traditions: The Arab Reception of the Classics" (pp.141- 152)

"الترجمة عند تقاطع التقاليد الثقافية: الاستقبال العربى للكلاسيكيات"
و فى إطار هذه الموسوعة تحدث كاتب هذه السطور عن استقبال العرب القدامى والمحدثين للكلاسيكيات ، وموقف العرب القدامى والمحدثين من هوميروس، ومشكلة عدم ترجمة العرب القدامى للشعر الأجنبى وأسباب ذلك ونتائجه. ثم ما طرأ على الثقافة العربية الحديثة من تطورات أدت إلى الإقبال الشديد على الأسطورة الإغريقية والأدب الإغريقى، ملحمة ومسرحاً فى المقام

الأول، ثم سائر الفنون الأدبية بعد ذلك. بدأ هذا التطور منذ السنين الأولى للنهضة العربية أوائل القرن التاسع عشر تقريباً. وفي ظل هذا الاتجاه جاءت ترجمة البستاني للإلياذة عام ١٩٠٤ .

وقبل أن تنشر هذه الموسوعة كان كاتب هذه السطور قد تلقى دعوة من جامعة درم Durham لإلقاء محاضرة بعنوان " هوميروس في العالم العربي " حدد لها في البداية ١٨ يونيو ٢٠٠٧ ثم تأجلت إلى ٢٤ سبتمبر من العام نفسه .

كان من بين الحضور عند إلقاء المحاضرة أساتذة مختصون في الكلاسيكيات من الجامعات الإنجليزية مثل مانشيستر وليفربول ووارويك والجامعة المفتوحة وغيرها. ومما جاء في هذه المحاضرة أن العرب القدامى ولاسيما في العصر العباسي وبعد إنشاء " بيت الحكمة " على يد المأمون ترجموا عيون التراث الإغريقي، ولاسيما كتب العلوم التطبيقية مثل الطب والفلك والرياضيات (من هندسة وحساب) وفلسفة الطبيعة واللاهوت وما إلى ذلك. ولكنهم أحجموا عن ترجمة الشعر الإغريقي بما في ذلك الملحمة والدراما (التراجيديا والكوميديا) وهناك سببان رئيسيان:

١- إيمان العرب بأن الشعر لا يترجم؛ فالترجمة تفسد الشعر وتحطم البنية الشعرية. وهذا الرأي ورد عند النقاد العرب القدامى. كما جاء في عبارة لا يعرف قائلها وردت في "صوان الحكمة " لأبي سليمان المنطقي السجستاني تقول: ^(١) "ومعلوم أن أكثر رونق الشعر يذهب عند النقل، وجل معانيه يتداخلها الخل عند تغير ديباجته " .

وقال الجاحظ في كتاب " الحيوان " : (٢)

"فقط العرب والشعب الذى يتكلم العربية هم الذين يفهمون الشعر على نحو سليم. فالأشعار لا تستسلم للترجمة ولا ينبغي أن تترجم. فعندما تترجم الأشعار تتمزق بنيتها الشعرية والوزن الشعرى ليس سليماً والجمال الشعرى يختفى ولا يبقى شىء يستحق الإعجاب".

٢- المفهوم الإغريقى للأسطورة والشعر. فصناعة الشعر عند الإغريق

poiesis تعادل وتقابل بل تتمازج مع صناعة الأسطورة mythopoiein والشاعر poietes هو بالأساس صانع أسطورة mythopoiios . وهناك رواية طريفة وردت عن الشاعر الغنائى الشاب بنداروس (ولد عام ٥٢٢ أو ٥١٨ ق.م) الذى ذهب إلى الشاعرة الكبيرة كورينا Corinna - مع التحفظ أن بعض الدارسين يضعها فى العصر الهيلينستى أى بعد ٣٠٠ ق.م - وعرض عليها قصيدة له فابتسمت كورينا وردت له القصيدة قائلة " كيف تنظم قصيدة كاملة بلا أسطورة ". وبعد مضى بعض الوقت عاد إليها ومعه قصيدة مفعمة بالأساطير. ابتسمت كورينا وقالت له: يا بنى الأسطورة فى يدك مثل البذور فى يد الزارع؛ هل يبذرهما كلها دفعة واحدة أم ينثرها فى أرجاء الحقل ؟ (٣)

(٢) طبعة القاهرة (١٩٣٨ - ١٩٤٥) ص ٧٤ وما يليها

Plut. De Glor. Ath. 347f

(٣)

وعن تاريخ حياة كورينا راجع :

D.L Page, " Corinna" ,The Society for the Promotion of Hellenic Studies .As supplementary paper No.6 (1963)p. 65 ff

هذا المفهوم الإغريقي لوظيفة الأسطورة في بناء الشعر ولغة الشعر لا مثيل له عند العرب القدامى. وهذا - فيما يتصور كاتب هذه السطور - كان العائق الرئيسي في فهم العرب للشعر الإغريقي ، ناهيك عن نقله إلى العربية .

وعلى وجه التحديد كيف يمكن فهم " الإلياذة " بدون أسطورة حكم الجمال بين الإلهات الثلاث هيرا وأثينا وأفروديتي؟ ألم تك أسطورة هيليني أجمل نساء العالم هي محور الحرب الطروادية؟ بل كيف يمكن فهم مسار الحرب الطروادية بين كر وفر، وهزيمة وانتصار، دون أن نتفهم تدخل آلهة الأوليمبوس لصالح هذا الطرف أو ذاك؟ الآلهة الأسطوريون والقوى الغيبية الخفية وكل ما وراء الطبيعة جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية في " الإلياذة " ، حتى إن كل أبطال " الإلياذة " تقريباً هم من أبناء أو بنات الآلهة .

صفوة الكلام وباختصار شديد نقول إن فهم دقائق الأسطورة الإغريقية يعد شرطاً رئيسياً من شروط فهم " الإلياذة " وهذا ما لم يدركه العرب القدامى، ليس لأنه يتعارض مع دينهم ولكن لأنه لم يكن من تراثهم الشعري الجاهلي والإسلامي . فالعرب القدامى إذن لم يترجموا هوميروس رغم إعجابهم به من وحى ما عرفوه عنه حيث ورد في " منتخب صوان الحكمة " (رقم ١٩٣) أنه لما سئل ديوجينيس لائيرتيوس عن أفضل الشعراء الإغريق قال: " كل أحد عند نفسه وأوميروس (= هوميروس) عند الجمهور ". وقال ابن رشد في تلخيص "الخطابة" لأرسطو (١٠٢) عن هوميروس: " فكان رب النعمة العظيمة بذلك عند اليونانيين، وعظموه كل التعظيم حتى اعتقدوا فيه أنه كان رجلاً إلهياً، وأنه كان المعلم الأول لجميع اليونانيين " .

ومع أن رفاة رافع الطهطاوى في " وقائع الأفلاك في مغامرات تليماك " قد أفلح في نقل جزء من أسطورة " الأوديسية" إلى العربية ، إلا أن ذلك كان توسطاً بالأدب الفرنسي . فهذه الرواية *Les aventures de Te'le'maque*

(1699) هي من مؤلفات القس الفرنسي فينلون *Francois de Salignac de*

la Moth'e Fenelon (1651- 1715).

وكان الهدف من تأليفها - مثل هدف ترجمتها - تريبويًا. وهو ما سهل للطهطاوى نقل أسطورة إغريقية إلى العربية. ونستدل على صعوبة التعامل مع الأسطورة حتى في العصر الحديث أن سليمان البستاني قد أعطى ترجمته للإلياذة عنواناً مطولاً يخلو من ذكر كلمة "أسطورة" فالعنوان هو كما يلي :

"إلياذة هوميروس معربة نظمًا، وعليها شرح تاريخي أدبي، وهي مصدره بمقدمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب، مذيبة بمعجم عام وفهارس" وجدير بالذكر أن الشعر العربي الحديث والمعاصر بعد ذلك تخطى هذه العقبة وتعامل مع الأسطورة الإغريقية بحرية كاملة. واعتبر عبد الوهاب البياتي الشاعر العراقي الفذ أن استلهاام الأسطورة الإغريقية، ولاسيما أسطورة سارق النار بروميثيوس، ضرب من الثورة ليس فقط في مجال الشعر والثقافة بل في آفاق الثورة الشاملة^(٤).

والآن أن الأوان لكي نعود إلى البحث المنشور حديثاً لبيتر بورمان لكي نناقشه في بعض التفاصيل بعد أن ألمحنا إليه سلفاً. نشر البحث كما يلي :

Peter E.Prmann, "The Arabic Homer: An Untold Story", Classical and Modern Literature, 27.1 (2007) pp.27-44

"هوميروس العربي : قصة لم نسمع بها"

وفي الحاشية رقم (١) في الصفحة الأولى من البحث يشير بورمان إلى أنه سبق أن تناول موضوع الترجمة العربية " للإلياذة " في مقال بعنوان :

"The Arab Cultural Awakening (NAHDA) 1870-1950 and the Classical Tradition " International Journal of Classical Tradition 13.1 (2006) pp 3-20

(٤) أحمد عثمان، "عبد الوهاب البياتي وحرائقه الشعرية"، مجلة "الكويت"، العدد ١٩٠، فبراير ١٩٨٢، و"سارق النار وملهم الأشعار"، مجلة "الدوحة"، مارس ١٩٨٣.

وفى الحاشية نفسها يذكر بورمان أن البحث الراهن كان فى الأصل محاضرة بعنوان:

"L'Home`re arabe entre al Bustani et Ahmad Etman"

ألقيت فى معهد INALCO بباريس كما سبق أن ألمحنا. وليدلل بورمان على دقة ترجمة "الإلياذة" ٢٠٠٤ ومدى التصاقها بالنص الأصيل وجوهر الفن الهومرى، أخذ الفقرة الشهيرة من الكتاب السادس (٤٠٧-٤١٣ و ٤٢٩-٤٣٢) وأورد النص الإغريقى الأصيل وأتبعها بترجمة إنجليزية. وهى الفقرة التى أعطت نقاد الإسكندرية الذريعة ليطلقوا على الكتاب السادس كله "حديث أندروماخى **Andromaches Omilia**". ففى هذا المشهد منقطع النظير فى الأدب الإغريقى كله تحاول أندروماخى، وهى تحمل طفلها الرضيع، أن تحول بين هيكتور - زوجها العزيز ووالد طفلها - والعودة للمعركة الفتاكة. ويعلق بورمان فيقول: إن ترجمة البستانى تدمج تفاصيل هذا المشهد الإنسانى المؤثر وتحذف كلمات مهمة كررها هوميروس بأسلوبه القائم على الملحمية والشفوية. أما ترجمة ٢٠٠٤ فقد حافظت على التفاصيل الدقيقة فى حديث أندروماخى.

ويضيف قائلاً:

"It is immediately eminent that Etman's rendering is much closer than any of the others we have seen so far .He translates the text directly from the Greek, often preserving even the wordorder" (p.37-38)

"من الواضح مباشرة أن ترجمة عثمان هى الأقرب (لهوميروس) بمراحل من الترجمات الأخرى التى رأيناها حتى الآن؛ فهو يترجم النص الإغريقى إلى العربية مباشرة وفى غالب الأحيان يحافظ حتى على ترتيب الكلمات". وحتى عندما يكون النص الهومرى -يضيف بورمان- ملتبساً أو متداخل المعانى؛ حيث يشمل اللفظ أكثر من معنى " تحاول الترجمة أن تنقل ذلك إلى العربية".

ويقرر بورمان أن ترجمة ٢٠٠٤ " تعكس أحدث التطورات في الدراسات الكلاسيكية ليس فقط في مصر وإنما في العالم، وهذا ما تشهد به المقدمة التي كتبها عثمان وتضم مراجعها أحدث ما نشر حول هوميروس في العقود القليلة الفائتة ". ويتبأ بورمان بأن تكون لترجمة الإلياذة ٢٠٠٤ آثار بالغة على مسار الأدب العربي المعاصر، كما سبق لإلياذة البستاني أن أحدثت في الثقافة العربية ردود فعل مثمرة. ويتعجب من أن مكاتب أوروبا وأمريكا ما زالت تخلو من هذه الترجمة العربية. ويعزو ذلك إلى جهل الغرب والغربيين بما أنجزه الشرق وأهله في الدراسات الكلاسيكية ؛ أي جذور حضارتهم الغربية .

ولعله من الجلى الآن والذي لا يحتاج إلى المزيد من التبيان أن " الإلياذة " ٢٠٠٤ قد حققت الكثير من المكاسب للحياة الثقافية العربية. ويأتى في مقدمة هذه المكاسب - برأى كاتب هذه السطور - أن " الإلياذة " العربية قد رسخت موقع الدراسات الكلاسيكية المصرية على خريطة هذه الدراسات العالمية. وهذه شهادة بالغة الدلالة على نضوج النهضة الثقافية العربية، وتعطشها للحوار الخلاق مع الآخر . ونسأل الله تعالى التوفيق .

أحمد عثمان

أكتوبر ٢٠٠٨

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم: أحمد عثمان

أولاً: ترجمة البستاني ومحاولات أخرى

من حسن الطالع أن هذه الترجمة التي نقدم لها ستكون إن شاء الله بين أيدي القارئ العربي بعد مرور مائة عام على صدور ترجمة سليمان البستاني ١٩٠٤. فكأن هذه الترجمة التي بين أيدينا جاءت بمثابة احتفال ثقافي وعملي بصدور ترجمة البستاني، التي تعد بحق علامة من علامات الطريق إلى النهضة المصرية والعربية، إذ فتحت مرحلة جديدة من محاولات الاتصال بثقافة الآخر عن طريق ترجمة عيون الأدب العالمي. لقد صدرت هذه الترجمة قبل إنشاء قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٢٥) بما يربو على عشرين عاماً. فهي ترجمة من نتاج الحياة الثقافية العامة والنشطة، وليست من نتاج الدراسات التخصصية التي تدين بالفضل في إنشائها لجهود هؤلاء المتقنين المخلصين أمثال سليمان البستاني. أما الترجمة التي بين أيدينا فهي ثمرة من ثمرات ما يناهز مائة عام من التخصص الدقيق الذي توفرت عليه ثلاثة أجيال متتالية.

ومن ناحية أخرى فأغلب الظن أن العرب المسلمين لم يترجموا - فيما ترجموا - "الإلياذة"، لكن من المؤكد أنهم كانوا يعرفونها حق المعرفة؛ إذ تردد ذكرها كثيراً في الأعمال التي ترجموها عن اللغة الإغريقية ولاسيما "فن الشعر" لأرسطو. وروى كذلك أن حنين بن إسحاق - من أفضل المترجمين العرب - كان يتغنى ببعض أشعار "الإلياذة" في لغتها الأصلية. ويقول الشهرستاني (في كتاب الملل والنحل، جزء ٢ / ١٥) "أوميروس (هوميروس) الشاعر من القدماء الكبار الذي يجريه أفلاطون وأرسطوطاليس في أعلى المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ومثانة الحكمة وجودة الرأي وجزالة اللفظ".

لماذا لم يترجم المترجمون العرب القدامى "الإلياذة" أو "الأوديسية"؟

سؤال مهم يحتاج إلى إجابة مستفيضة ودرس معمق. ونكتفي الآن بالإشارة إلى أن العرب لم يترجموا أيضاً المسرح الإغريقي (التراجيديا والكوميديا) ونعتقد أن الأسباب وراء ذلك متعددة، وأهمها جميعاً أن هذه الأعمال الملحمية

والدرامية تقوم بصفة جوهرية على الأسطورة الإغريقية الحافلة بالتعددية الإلهية، مما لم يكن من السهل تقبله في أيام الإسلام الأولى حين انطلقت الدعوة للوحدانية. وسلاحظ القارئ في الترجمة التي نقدم لها أن الآلهة والإلهات يلعبون دوراً عضوياً في الحدث الملحى، بحيث لا يمكن الفصل بين وجودهم وأفعالهم وأقوالهم من ناحية وأحداث الحرب الطروادية من ناحية أخرى. وهذا أمر تتفق فيه الملحمة والتراجيديا الإغريقيتان، وبدون هذا الاندماج بين ما هو إلهي وما هو بشرى لا يمكن استيعاب هذه الفنون الشعرية، ومن ثم لم يكن العرب قادرين على تقبل ذلك في أيام الإسلام الأولى، أو على الأقل لم يروا أية فائدة ترجى من ترجمة هذه الأشعار.

أما في العصر الحديث فقد قامت عدة محاولات لترجمة "الإلياذة"، أهمها جميعاً محاولة سليمان البستاني والتي صدرت كما يلي:

إلياذة هوميروس معربة نظماً وعليها شرح تاريخي وأدبي وهي مصدرة بمقدمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان والعرب ومذيلة بمعجم عام وفهارس. بقلم سليمان البستاني. طبع بمطبعة الهلال بمصر عام ١٩٠٤.

ونحن نحتمى بترجمة سليمان البستاني لمحملة هوميروس لأسباب ثلاثة: الأول هو أن هذا الكتاب مقدمة ونصاً مترجماً يعد وثيقة أدبية بالغة الأهمية بالنسبة لنشأة الدراسات الكلاسيكية في مصر. فمعروف أن طه حسين عميد الأدب العربي هو الذى أسس أول قسم لهذه الدراسات بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٢٥. ولكننا في ترجمة البستاني إزاء دارس متعمق حصل قدرًا لا بأس به من اللغة اليونانية بجهوده الذاتية، ويحاول الترجمة عنها مستعيناً بترجمات أخرى فرنسية وإنجليزية وإيطالية. وهذه الحقيقة في حد ذاتها تضع تساؤلاً كبيراً حول تأريخ الدراسات اليونانية واللاتينية في مصر.

أما السبب الثانى لاهتمامنا المتجدد بهذه الترجمة فهو أننا — فى المقدمة التى كتبها البستاني لترجمته — إزاء درس فى المنهج المقارن. وهو درس مبكر نسبياً فى تاريخ الأدب العربى الحديث، كما أنه يعد رائداً فى مجاله، فالمترجم لم يكتف بنقل نص شعرى يونانى إلى اللغة العربية، بل صدره بمقدمة ضافية تتناول أعوص مشكلات الأدب المقارن التى لا تزال تشغل المهتمين به إلى يومنا هذا، مثل علاقة الأدب العربى القديم بالآداب الأخرى ولاسيما الأدب الإغريقى.

أما السبب الثالث لانشغالنا بهذا الكتاب فهو الترجمة نفسها. ذلك أن هذه هي الترجمة الأولى الكاملة "للإلياذة" في الأدب العربي قديمه وحديثه. بل نكاد نقول إن هذه هي الترجمة الوحيدة الموجودة في لغتنا حتى الآن. فكل ما قدم قبل هذه الترجمة أو بعدها لا يعدو أن يكون مجرد تلخيص أو شرح أو اقتطاف. ولا توجد في اللغة العربية ترجمة كاملة "للإلياذة" سوى ترجمة البستاني هذه. ولقد نقلها نظماً إلى العربية مما يضاعف من قيمة هذه الترجمة، التي لم تجد بعد الاهتمام الكافي من الدارسين المتخصصين، وإن وجدت ترحاباً فائقاً حين صدورها عام ١٩٠٤.

قال جمال الدين الأفغاني للبستاني في محضر من الأدباء آنذاك "إنه ليسرنا جداً أن تفعل اليوم ما كان يجب على العرب أن يفعلوا قبل ألف عام ونيف. ويأخذوا لو أن الأدباء الذين جمعهم المأمون بادروا بادئ ذي بدء إلى نقل الإلياذة ولو ألجأهم ذلك إلى إهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها".

وقال منيف باشا ناظر المعارف العثمانية للبستاني آنذاك "لو أن الشاعر العربي القائل: "كأنى أوميروس لدين محمد... عمل حقيقة للشرق ما عمل هوميروس للغرب لما تعدانا الغرب هذا الشوط البعيد". ويعلق البستاني نفسه على ذلك قائلاً "لقد غاب عنه وعنى عرفان ذلك الشاعر".

هذا وقد نشر في "مجلة الدراسات الفلسطينية" التي تصدر بالفرنسية (*Revue d'études Palestiniennes*) صيف ١٩٩٥ (56, 4 n.s.) بعض صفحات من رسالة دكتوراه يجريها الشاعر والمترجم العراقي المقيم بباريس كاظم جهاد حسن، وكان يستعد آنذاك لتقديمها إلى جامعة السوربون قسم الدراسات العربية والإسلامية بعنوان "الترجمة الشعرية عند العرب في القرن ١٩ والقرن ٢٠. دراسة مقارنة في فن الشعر". ولقد نشرت المجلة جزءاً كبيراً من هذه الدراسة المستفيضة حول سليمان البستاني وترجمته الشعرية (ص ٧٩-١٠٠).

تبدأ الملحمة بالبيت الذي يقول:

"غن لى ياربة الشعر عن غضبة أخيلوس بن بيليوس المدمرة". أو كما يترجمه البستاني شعراً:

ربة الشعر عن أخيل بن فيلا أنشدينا واروى احتداماً وبيلا

وسيكتشف القارئ من الترجمة التي نقدم لها أن غضبة أخيلوس بن بيليوس

هي بالفعل الحدث الرئيسي في الملحمة. وهذا ما سنعود إليه في إطار هذه المقدمة. بدأ البستاني في ترجمة "الإلياذة" من لغة أوربية وسيطة وهي الفرنسية. ولكنه شعر بضرورة تعلم اليونانية وأقدم على ذلك بشغف ونهم. ولقد شرع في هذه المهمة الشاقة أي الترجمة في أواسط الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ونشرت الترجمة كما أسلفنا عام ١٩٠٤. وهذا يعني أنه أنفق ما يزيد على عشرين عامًا في الترجمة. وقد جاءت الأبيات العربية التي نظمها البستاني ترجمة "للإلياذة" بين عشرة آلاف وأحد عشر ألف بيت نقلًا عن أصل إغريقي يبلغ حوالى ستة عشر ألف بيت.

فإذا نظرنا إلى حجم الملحمة الإغريقية التي تعود إلى القرن التاسع ق.م تقريبًا وما يكتنفها من غموض لاستطعنا أن نقدر ضخامة هذا الإنجاز الأدبي والحضارى الذى حققه البستاني في بداية القرن العشرين. لقد واجهته مشكلات مستعصية مثل نقل أسماء الآلهة والأبطال والأعلام الجغرافية. بل هناك معارف لا بد من الإلمام بها حين يشرع المرء في ترجمة "الإلياذة"، ونعنى معارف عصرها وصنائه وعاداته وتقاليده ومعتقداته. بل تشمل هذه المعارف سائر العلوم من طب وفلك ورياضة وهندسة وعمارة وما إلى ذلك. فكيف تسنى للبستاني أن يلم بكل ذلك؟ تلك هي المسألة التي ينبغى أن نتدارسها وننبه الناشئة من الباحثين المتخصصين للالتفات إليها. ولا يسعنا إلا أن نعترف بالبطولة الملحمية لصاحب هذه الدرّة اليتيمة في الأدب العربي، أي سليمان البستاني.

وبالطبع لا يمكن لمنصف أن ينكر فضل جهود درينى خشبة في تعريف القارئ العربى بالأساطير الإغريقية وكذا بمحتويات "الإلياذة" و "الأوديسية"، وإن كان ما قدمه لا يرقى إلى مستوى ترجمة حقيقية للنص، مع أن كتابه يحمل عنوان: "هوميروس: الإلياذة" ترجمة درينى خشبة، دار الأيام ١٩٧٣ (عدد الصفحات ١٥٩). وقارن كتابه الآخر: الأوديسية مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠. (عدد الصفحات ٣٠٩).

ولعل أحدث المحاولات الجادة في هذا السبيل هي ترجمة ممدوح عدوان، منشورات المجمع الثقافى، أبو ظبى ٢٠٠٢. وجاء في مقدمة الترجمة أن صاحبها نقلها عن ترجمة إنجليزية، واعتمد في ضبط الأسماء على ترجمة أمين سلامة

المنشورة في سلسلة كتابي. وهذا ما يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم تظهر في اللغة العربية حتى الآن ترجمة محققة عن النص الإغريقي القديم مباشرة.

وتلك هي مهمة المختصين في اللغة الإغريقية القديمة وآدابها، وذلك هو واجبهم تجاه القارئ العربي. ففي هذه الترجمة التي بين أيدينا سيجد القارئ أول ترجمة مدققة يقوم بها متخصصون وينقلونها عن أصلها مباشرة إلى لغة الضاد. ويأمل هؤلاء المتخصصون بعملهم هذا أن يفتحوا باب مرحلة جديدة في الدرس العربي للتراث العالمي. وهم يحاولون استعادة أمجاد المترجمين العرب القدامى الذين نقلوا العلوم والآداب والفلسفة من اليونانية إلى العربية فأسهموا في حفظ التراث الإغريقي وقدموا الأنموذج لرواد الحركة الإنسانية إبان عصر النهضة الأوروبية. ونحن نختص بتقديم هذه الهدية كل من بذل جهداً في سبيل عقد الصلة بين القارئ العربي والتراث الإغريقي، لاسيما أصحاب تلك التجارب والمحاولات التي أشرنا إليها وعلى رأسهم سليمان البستاني. ونضيف إليهم الكثيرين أمثال رفاعة الطهطاوي وأحمد شوقي وأحمد لطفى السيد وطه حسين وتوفيق الحكيم ولويس عوض وثروت عكاشة وشكري عياد وغيرهم. هؤلاء المثقفون هم الذين مهدوا الطريق لظهور الدراسات المتخصصة والترجمات المدققة.

ثانياً: فك طلاسم اللغز الهومري

لا نعرف شيئاً عن هوميروس، فلا يمكن استخلاص أية معلومة من ملحمتيه "الإلياذة" (Ilias) و "الأوديسية" (Odysseia) ^(١) عن حياة المؤلف وملابساتها. ووصلتنا سير كثيرة لهوميروس من العصر الإغريقي الروماني، ولكنها جميعاً من صنع الخيال. هناك حقيقتان فقط مؤكدتان: الأولى أنه كان أعمى. والثانية أنه من ساحل آسيا الصغرى أو الجزر المحاذية له. وجزيرة خيوس هي الأقرب إلى نيل هذا الشرف.

(١) يعني اسم "الإلياذة" (Ilias) "قصة إليون" أو "إليوس" (Ilion, Ilios) وهما الاسمان الأصليان للمدينة التي عرفت أيضاً باسم طروادة (Troie وباللاتينية Troia) وهو الاسم الأشهر، وإن كان في الأصل يعني المنطقة المحيطة بالمدينة لا المدينة نفسها. ويعني اسم "الأوديسية" (Odysseia) "قصة أوديسيوس" كما نقول "الأوريستية" عن قصة أوريستيس وهكذا. وجدير بالذكر أن "الأوديسية" لم تترجم إلى العربية لا قديماً ولا حديثاً، وإن كان النص الذي ترجمه رفاعة رافع الطهطاوي "وقائع الأفلاك في مغامرات تليماك" للنقش الفرنسي فينيلون يعد الخطوة الأولى لتعرف القارئ العربي الحدث على أسطورة أوديسيوس وابنه تليماخوس.

يقول ثوكيديدس المؤرخ الإغريقي المدقق (٤٥٥-٤٠٠ ق.م) إنه عاش بعد حصار طروادة بزمان طويل. ويقول شيشرون خطيب روما المفوه (١٠٦-٤٣ ق.م) إنه ولد قبل تأسيس روما المتفق على أنه كان عام ٧٥٣ ق.م.

لقد أثار ظهور هوميروس - أعظم الشعراء طرا - فى بداية تاريخ الأدب الإغريقى مشكلة لم يهتد إلى حلها أحد حتى الآن. فأصر بعض العلماء والفقهاء على أن هذا الشاعر لم يوجد على ظهر الأرض قط، وأن اسمه هوميروس Homeros ويعنى إما "الرهيئة" أو "الأعمى" أو حرفيا "الذى لا يبصر" (ho me horon) منحوت أبدعه الخيال الأسطورى. وذهب البعض إلى القول بأنه كان هناك عدة شعراء - لا شاعر واحد - بهذا الاسم، ثم خفف هؤلاء من غلوائهم وقالوا إنه كان هناك على الأقل شاعران بهذا الاسم أحدهما نظم "الإلياذة" والآخر هو مؤلف "الأوديسية". وجدير بالذكر أن جذور المشكلة الهومرية^(٢). تبدأ من العصر السكندرى عندما بذرت بذور الشك فى نسبة الملحمتين إلى هوميروس حيث رفضت جماعة "الفاصلين" (chorizontes) أن يكونا لشاعر واحد. وقال بعضهم إن "الإلياذة" من نظم هوميروس الشاب المتحمس، أما "الأوديسية" فهى من نتاج سنوات عمره الأخيرة أى فترة النضج والتعقل. يقول أحد النقاد الإغريق القدامى "ومن ثم فيمكن للمرء أن يشبه هوميروس فى الأوديسية بالشمس ساعة الغروب"^(٣).

كان فريدريش أوجست فولف Friedrich August Wolf (١٧٥٩-١٨٢٤) أنبه تلاميذ عالم الكلاسيكيات الأشهر فينكلمان Winckelmann وبدأ يركز اهتمامه على هوميروس أثناء متابعته لمحاضرات هين Heyne. وبدأ هو نفسه يحاضر عن "الإلياذة" عام ١٧٨٥ وأصدر كتيبًا باللغة اللاتينية بعنوان "مقدمة إلى هوميروس" Prolegomena ad Homerum عام ١٧٩٥، وهو الذى أكسبه شهرة عالمية خالدة. ف لأول مرة فى التاريخ تبذل محاولة علمية دقيقة لتأريخ رحلة نص هوميروس إلى الأزمنة الحديثة. أقامها فولف على التعليقات التى وضعها العلامة فيلويزو J-B Villoison (d'Ansse de) عام ١٧٨٨ حيث كان قد اكتشف

(٢) راجع أحمد عثمان: الأدب الإغريقى تراثًا إنسانيًا وعالميًا. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٧-١٠٧.

(٣) الناقد المعنى هنا هو إما كاسيوس لونجينوس أو ديونيسيوس لونجينوس أو غيرهما ممن ينسب إليهم الكتاب الذى يحمل عنوان "فى السمو" أو "فى الأسلوب الرفيع" (Peri Hypsous) راجع:

Longinus, "On the Sublime", with an English translation by W.H. Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973.

مخطوط فينيسيا **Codex Venetus A** الشهير "للإلياذة"، والذي سنعود إليه.

قال فولف إنه من المحال الوصول إلى النص الأصلي الذي نظمه المؤلف، وقد يكون من الأسهل الوصول إلى النص السكندري الذي تداوله فقهاء الإسكندرية. وجره البحث إلى تناول فكرة صحة نسبة هذه الأشعار ومدى الوحدة التي تتمتع بها. وآمن فولف أن هوميروس يحتل موقعاً في التاريخ يجعله فريداً، ولا يصح أن نطبق عليه معايير الدرس النقدي التي تتبعها مع فرجيليوس أو غيره من شعراء الملاحم الذين ظهروا في عصور تختلف تمام الاختلاف عن عصر "الإلياذة" و "الأوديسية".

ومن الممتع حقاً قراءة كتيب فولف "مقدمة إلى هوميروس"، ليس فقط لأنه يمثل ثورة نقدية، ولكن لأن أسلوبه اللاتيني جذاب حقاً. ولقد بذل فولف أقصى الجهد ليثبت أن "الإلياذة" و "الأوديسية" ليستا من إبداع شاعر واحد. ولم يثر أى كتاب آخر مثل هذا الفيض من الجدل والنقاش عدة قرون كما فعل كتيب فولف.

ومن الملاحظ أنه في القرنين الأخيرين، حيث حققت مدارس النقد الأدبي الحديث قفزات هائلة، وقف هوميروس عقبة كأداء أمام أذهان كبار النقاد؛ إذ تضاربت الآراء وتناقضت حوله. قال لاخمان **Lachmann** إن هناك ١٦ أغنية **lays** بدائية مجهولة المؤلف هي أساس "الإلياذة". وقال بالي **Paley** إن هوميروس الذي نعرفه يمثل ذروة الحضارة الهيلينية أى أثنى القرن السادس والخامس ق.م^(٤).

وبلغ من قوة تأثير أبحاث فولف أن كل من أتى بعده من العلماء الراضين لوجود هوميروس اعتبر فولفياً أى من أتباع نظرية فولف. وتتلخص هذه النظرية في القول بأن ملاحم هوميروس لم تدون في عصر نشأتها الذي لم يعرف فن تدوين الأدب. كما أنها لا يمكن أن تحفظ عن ظهر قلب ويتناقلها الناس شفاهة عبر الأجيال المتتالية، لأنها تبلغ من الطول ما يعجز أى عقل بشري عن حفظه. وعلى أية حال فلقد لعب فرسان المشكلة الهومرية دوراً مهماً في تطوير الدراسات الكلاسيكية (والإنسانية بصفة عامة). لقد حققوا نتائج هائلة لأن أبحاثهم كانت

(٤) عن هذه الآراء وأبعاد المشكلة الهومرية وتطوراتها راجع:

Jensen M. Skaftø, *The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory*.
Copenhagen 1980.

Karl Lachmann, *Betrachtungen über Homers Ilias, mit Zusätzen von Maritz Haupt*. 2e Auflage. Berlin, Reimer 1865.

مخلصة وجادة، وهي التي اجتذبت الكثير من الأقلام للكتابة عن هوميروس، وهي التي لفتت الأنظار إلى كثير من الجوانب والتفاصيل التي كانت مهملة من قبل. ونعني بعض النواحي الأدبية والنحوية والعروضية، وكذا الجانب التاريخي وعلاقة هوميروس بالآثار وما إلى ذلك. فأقطاب المشكلة الهوميرية هم الذين وضعوا الدراسات الهوميرية بخاصة والدراسات الكلاسيكية بعامة على الطريق السليمة. منهم فهمنا كيف كان الشعر الملحمي يؤلف وينشد أي ينشر على الناس. فليس الأمر متعلقا بشاعر أعمى ملهم أوحى إليه منذ الصبا أن يتغنى بالأشعار البطولية، ولكنه على الأرجح رجل مثقف يعمل في مثابرة وعناية ملموستين، يدرس ويهضم ويتمثل ما سبقه من تراث شفوي متناقل، ثم يعيد إفرازه في شكل جديد مبتكر وأصيل. وإلى مفجرى المشكلة الهوميرية ندين بمعرفة حقيقة أن نصوص هوميروس لم تك نهائية قط، بل أدخلت عليها التعديلات وأقم عليها الكثير من الأبيات من حين إلى حين. بل ربما تبدلت لغتها ذاتها كلما تقادمت وبدت عتيقة مغلقة لا تفهم أو مبتذلة لا تمتع. ومن ثم فإن هوميروس هو ما نملك من أشعار بصفة عامة، أما إذا دققنا في التفاصيل والجزئيات فلربما نخرج بشيء آخر.

وجدير بالذكر في هذا المقام أن رائد الرومانسية المثالية في ألمانيا أي الشاعر شيللر كان معارضا قويا للنظرية الفولفية، بيد أنه لم يكن يتقن اللغة الإغريقية إتقاناً يتيح له قراءة نصوص هوميروس. أما جوته فيلسوف ألمانيا الأشهر فقد كان فولفيا متحمسا أثناء تأليفه "هيرمان ودوروثيا"، بل ذهب إلى ما وراء الفولفية ذاتها في بعض الأحيان. فإذا كان فولف يعتقد بوجود هوميروس ويؤرخ له بالقرن العاشر ق.م، ويسند إليه بعض الأشعار الرئيسية في صلب "الإلياذة" و"الأوديسية" فإن جوته آمن بأن عددا من أتباع أو "أبناء هوميروس" (Homeridai) هم الذين قاموا بتأليف الملحميتين تأليفا جماعيا. بيد أن جوته عاد ليعدل في آرائه فيما بعد وأثناء تأليف "قصة أخيليوس"، إذ أصبح أكثر ميلا للاعتقاد بوجود وحدة تأليفية في الملاحم الهوميرية. أما الناقد الألماني الكبير شليجل فقد شايح فولف بلا أدنى تحفظ. ولا يتسع المجال لتتبع سائر مواقف الأدباء والمفكرين الألمان والأوربيين من المشكلة الهوميرية. ومن حسن الحظ أن الدارسين المتخصصين والباحثين الجادين يميلون الآن إلى أن ينكبوا على نصوص هوميروس نفسها فحفا ودرسا، تمحيصا وتدقيقا في هذه الزاوية أو تلك النقطة دون أن يهدروا مزيدا من الوقت حول التساؤل ما إذا كان هوميروس حقيقة واقعة أم محض خيال. ونحن - إذ

نحبذ هذا الاتجاه وندعو إلى عدم نبش الرماد مرة أخرى في هذه المشكلة الشائكة - نشيد بالثمار النافعة التي جنتها الدراسات الأدبية من أبحاث أقطابها.

ونرى من الواجب علينا تبين أن الدراسات الهوميرية قد أغفلت جانبا مهما ربما يلعب دورا جوهريا في حل المشكلة الهوميرية أو حتى فك بعض طلاسمها. ونعنى المصادر الشرقية لملاحم هوميروس. وبالطبع فإن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى مجلدات ضخمة ولا يتسع مقامنا هذا للخوض في غمار تفاصيله، وسنكتفى هنا بلمس أهم الجوانب. وبادئ ذي بدء نرى لزاما علينا توضيح أن فن الأدب ليس من اختراع الإغريق كما يظن الكثيرون. فقبل أن يظهر الإغريق (أى الهيلينيون) فى شمال البحر الإيجى كان هذا الفن قد قطع أشواطاً من التطور والنضج فى بلاد سومر وأكاد ومصر. وفى منتصف الألف الثانية ق.م. عندما استقر الإغريق حول البحر الإيجى وبدأوا يظهرين قدراتهم الحضارية واتصلوا بالحضارة المينوية فى كريت كانت حضارات آسيا الصغرى - مثل الحضارة الحيثية بالأناضول والحضارة السامية فى أوجاريت أى رأس شامرا فى شمال سوريا - قد عرفت الفن الأدبى ومارسته بدرجة عالية من الوعى والوضوح وبلغت به مستوى رفيعا من الإتقان والنضج. ومن هذه الحضارات جميعا تعلم الإغريق بطريق مباشر أو غير مباشر بعض الدروس الأولية فى مضمار المدنية والتحضر. أخذوا عنهم بعض الحكايات الشعبية عن الآلهة أو الأبطال. ونقلوا عنهم بعض الأفكار عن النظام الكونى واللاهوتى، وكذا بعض التراثىل والأناشيد التى تمجد الآلهة أو أشباه الآلهة من البشر الأحياء والموتى. يقول بعض علماء الأساطير إنه قد أصبح من المسلم به أن الإغريق قد أخذوا عن الشرق فكرة تتابع حكام السماء، أى التسلسل فى أنساب الآلهة، وهى الفكرة التى نجدها فى أشعار هوميروس، وإن لم تتبلور إلا فى قصيدة "أنساب الآلهة" لهيسودوس^(٥). إلى الشرق أيضاً تعود تسمية هوميروس للمحيط (Okeanos) أنه أصل كل الأشياء وهى التى أصبحت فيما بعد أساسا للفكرة الفلسفية التى صاغها ثاليس (طاليس) فى نظريته القائلة بأن الماء هو الأصل الثابت والأزلى فى هذا الكون^(٦). ولربما تعلم الإغريق من أهل الشرق كذلك أن هناك ما نسميه فن

(٥) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ١٢٢-١٢٦.

(٦) G.S. Kirk, The Nature of Greek Myths. The Overlook Press, Woodstock, New York 1975, pp. 276 ff; cf. P. Walcot, Hesiod and the Near East. Cardiff 1966, passim.

الكتابة الأدبية أى فن التأليف الذى يختلف بالطبع عن حديث الحياة اليومية من ناحية والكتابة التخصصية الدقيقة من ناحية أخرى.

ولكن الإغريق تميزوا بالقدرة الفائقة على أن يصنعوا مما يأخذون عن الغير شيئاً جديداً يتفق مع طبائعهم وميولهم ورؤيتهم للحياة وأسلوب معيشتهم، حتى إنه صار من المتعذر أن نحدد بدقة مقدار ما يدينون به لحضارات الشرق القديم^(٧). واتجه الدارسون إلى القول بأن ما أخذوه عن الآخرين يقل بكثير عما أضافوا من عندياتهم، وطُبق هذا الحكم أول ما طبق على هوميروس.

وملاحم هوميروس هى أقدم ما وصلنا من الأدب الإغريقى. بيد أنه من المرجح أن تكون بذور الشعر الملحمى الأصلية قد جاءت من الأناشيد والتراثيل الدينية التى تتغنى بأمجاد الآلهة، والتى كانت تلقى أو تنشد فى الأعياد والمهرجانات العامة. ولقد نظم هذه الأشعار شعراء مجهولون أو بالأحرى أسطوريون، إذ لا نعرف عنهم شيئاً سوى أسمائهم ومنهم أورفيوس وموسايوس وإيومولبوس. وجدير بالذكر أن أولى المسابقات الشعرية التى كانت تعقد فى بلاد الإغريق كانت تقوم على الأشعار الدينية وتركزت فى دلفى مركز العبادة القديم^(٨). ومن ثم كان الشعر الملحمى فى بداية عهده من عمل وإلقاء مغنى المعبد أو منشده الذى كان يعزف أثناء الإنشاد على القيثارة. ويبدو أن هذا الفن الشعرى الدينى قد جاء بلاد الإغريق من مراكز الحضارة الشرقية القديمة عبر آسيا الصغرى. المهم أنه كانت هناك أشعار تنشد حتى قبل الحروب الطروادية، وهى أشعار تركت بصماتها بالطبع على الملاحم التى نظمت لتروى أحداث هذه الحروب^(٩).

ويبدأ الأدب الإغريقى بالنسبة لنا - بل ولإغريق الفترة الكلاسيكية - عند منتصف القرن الثامن ق.م. فلدينا من نتاج ذلك الزمان بضع وثائق أدبية عبارة عن شذرات متفرقة مرسومة على الأوانى أو منحوتة على الحجر وعثر عليها فى أماكن

(٧) انظر أحمد عثمان: "أثينة المصرية ليست زنجية ولا عنصرية" مقدمة ترجمة كتاب مارتن برنال. أثينة السوداء، الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية، الجزء الأول: تليق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥) المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة ١٦، القاهرة ١٩٩٧. ص ١٣-٧١.

(٨) Pausanias, X, 7, I ff.

(٩) وعن الأصول الشعبية لملاحم هوميروس انظر:

R. Carpenter, Folktales, Fiction and Saga in the Homeric Epics. University of California Press, reprint 1974, passim.

متباعدة مثل أثينا وإيثاكي وبيراخورا (على الخليج الكورنثي) وإيسخيا (على خليج نابولي في جنوب غرب إيطاليا) وغيرها. وبعض هذه الشذرات متصل بموضوع الاحتفالات الدينية، وبعضها يتحدث عن الخمر والحب والرقص والصدافة وما إلى ذلك. وبعضها يهدف إلى تخليد ذكرى هدية ما، قدمت لهذا الإله أو تلك الإلهة تقريباً وتكريماً. وكلها منظومة في الوزن السداسي ولم ينظمها شعراء محترفون. والسبب في أننا لا نملك شيئاً من النتاج الأدبي الإغريقي قبل منتصف القرن الثامن ق.م سير. وهو أن الإغريق لم يستخدموا الألفبائية - التي نعرفها - قبل ذلك التاريخ، فلما عرفوها استطاعوا في خلال أربعة أو خمسة قرون أن يكتبوا بها أدباً من أرقى الآداب العالمية. ولما كانت ملاحم هوميروس تمثل قمة ما وصل إليه أدب هذه الفترة فإنها تحمل بعض سمات التشابه مع الشذرات التي وصلت إلينا منه، كما أن هذه الملاحم لا بد أن تكون قد وقعت تحت تأثير الحضارات الشرقية^(١٠).

خلف الأشعار الهومرية إذن يقبع ماضٍ طويلٌ وتراثٌ عريقٌ من أعمال أدبية لم تصل إلينا، لأنها في غياب فن تدوين الأدب لم تكتب، ولكنها أقيت شفاهة وتناقلتها الأجيال قرناً بعد قرن من خلال الرواية المسموعة لا الصحف المقروءة. ومن ثم لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن هذا التراث الشعري الشفوي - المفقود الآن - وما فيه من تأثيرات شرقية واضحة يعد الفصل الأول الذي بدونها لا يفهم كتاب الأدب الإغريقي.

وبشيء من اليقين يمكن العودة بهذا الأدب المفقود إلى حوالي عام ١٦٠٠-١٢٠٠ ق.م أي إلى عصر الحضارة التي سماها القدامى بالحضارة الآخية وتحمل الآن اسم الحضارة الموكينية. يطلق هوميروس في "الإلياذة" و "الأوديسية" على أهل ذلك العصر اسم "الآخيون" أو "الأرجيون" أو "الدانائيون". على أن الاسم الأول هو الأكثر شيوعاً وشمولاً كما سيلاحظ قارئ الترجمة التي نقدم لها. وكان الآخيون يتكلمون لهجة قديمة من اللغة الإغريقية (أي الهيلينية) وصلتنا بعض الأمثلة منها على ألواح من الفخار اكتشفت في كنوسوس بكريت، وفي موكيناى نفسها، وكذا في بيلوس بإقليم ميسينيا. وفك طلاس هذه اللغة الفقيه النابغة مايكل فينتريس Michael Ventris عام ١٩٥٣ فقدم للحضارة الآخية بذلك خدمة تعادل إنجاز

(١٠) Barry B. Powell, *Homer and the Origin of the Greek alphabet*. Cambridge University Press, First Paperback edition 1996, passim.

شامبليون الفرنسي بالنسبة للحضارة المصرية القديمة عندما حل رموز الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد مستعينا بالنص الإغريقي والديموطيقى على الحجر نفسه.

ذلك أنه في أواخر القرن التاسع عشر تمكن هينريش شليمان من العثور على موقع طروادة، وانتقل بعد ذلك إلى شبه جزيرة البلوبونيسوس واكتشف أكرابوليس مدينة أرجوس وموكيناى (عام ١٨٧٦) وتيرنس (عام ١٨٨٤). وتوالت بعد ذلك عدة اكتشافات أثرية أخرى في مواقع متصلة بالحرب الطروادية وملاحم هوميروس. ولوحظ أن مساكن زعماء تلك الفترة كانت بمثابة حصون حربية حقيقية. فأحيطت قلعة تيرنس على سبيل المثال بسور خارجى مبنى من صخور ضخمة للغاية، مما جعل إغريقيى العصر الكلاسيكى يعتقدون أن الكيكلوبيس - وهم من سلالة العمالقة جيجانتيس الأسطورية - هم الذين أقاموه. وفي موكيناى كان المدخل الرئيسى للقصر يقع بين حائطين أقيما بطريقة تجعل المهاجمين يتعرضون لهجوم دفاعى مضاد من ثلاث جهات فى وقت واحد. أما البوابة فتحمل فى مقدمتها العلوية نقشا بارزا ثلاثى الشكل نُحت عليه أسدان يقفان وجها لوجه على جانبي عمود، ويسند كل منهما قدمه الأمامية على قاعدته. وكانت رأساهما فى الأصل تواجهان المهاجمين المعتدين بهدف إرهابهم أو ردعهم. وعثر شليمان فى مقابر الملوك والأمراء بموكيناى على أسلحتهم وجواهرهم وأقنعتهم الجنائزية المصنوعة من الذهب، وهى معروضة الآن بالمتحف القومى فى أثينا. وهكذا ثبت أن هوميروس صادق فى وصفه لمدينة موكيناى بأنها "حصينة البنيان" ("الإلياذة" الكتاب الثانى ٥٦٩) "غنية بالذهب" (الكتاب السابع ١٨٠). ومن الجلى أن مثل هذه الكنوز الضخمة ما كان للأحيين أن يحصلوا عليها إلا بعد أن خاضوا غمار حروب طويلة وحققوا فتوحات كبيرة فى بلدان بعيدة، من الأرجح أنها بآسيا الصغرى موطن الممالك القديمة والغنية. ولقد اعتقد شليمان أنه قد عثر على مقابر وأقنعة الدفن وبقايا أجساد أجاممنون وكليتمنسترا وغيرهما من أبطال الحرب الطروادية. بيد أنه ثبت فيما بعد أن هذه الأشياء تنتمى إلى عصر ما قبل هذه الحرب، أى إلى القرن السادس عشر ق.م. على أية حال فلقد اكتشف فيما بعد "كنز أتريوس"، وهو قبر والد أجاممنون الذى ينتمى إلى القرن الرابع عشر ق.م. ثم عثر على قصر أجاممنون نفسه. المهم أن هذه المقابر الموكينية - وهى على شكل خلية النحل - تنهض دليلاً قويا على قوة وثراء ملوك موكيناى وبراعة مهندسيهم المعماريين

وتقدم صناعتهم ولاسيما الحلى الذهبية والفضية والأحجار الكريمة وكذلك الأواني الفخارية التي تحمل رسوما رائعة. وتم العثور في هذه المقابر والقصور على حوائط ذات رسوم ملونة وسيوف وخناجر مرصعة بالذهب والفضة.

وواضح أن الحضارة الموكينية بصفة عامة عسكرية الطابع، بيد أن الفنون قد تطورت في ظلها تطوراً ملحوظاً. فاحتل الشعر على ما يبدو مكانة ملموسة، وإن اقتصر دوره في الغالب على مدح الأمراء الأحياء والثناء على من مات منهم. وينظر إغريقو الفترة الكلاسيكية إلى بناء الحضارة الموكينية على أنهم أبطال ويعتبرون أن عصرهم هو عصر البطولة، بل ويعتقدون أن دماء إلهية تجرى في عروقهم، إذ حققوا من الإنجازات الحضارية ما لم يستطع أي جيل من الأجيال التالية أن يصل إلى مستواها. واعتقد إغريقو الفترة الكلاسيكية كذلك أنهم قد ورثوا عن أولئك الأجداد والأمجاد قصصاً خالدة تعالج موضوعات نبيلة ومحبة إلى النفس، وقصصاً أخرى مخيفة تعالج موضوعات مفزعة غير محببة. وقالوا إن هذه القصص وتلك تقوم على أساس من الواقع، أي أن لها بذوراً تاريخية وقعت بالفعل في الزمن السحيق. وفي هذه الروايات المتواترة تقع بذور الشعر الملحمي الهومري.

كان للعصر الموكيني نظامه الإداري والبيروقراطي وكذا نظامه في الكتابة. وكل ذلك مسجل على لوائح فخارية تحمل إهداءات للآلهة وأسماء للأراضي أو الممتلكات والعمليات العسكرية وما إلى ذلك. ونظام الكتابة الموكينية المسمى خط الكتابة ب (Linear B) ليس أبجدياً، بمعنى أنه مقطعي يتكون من حوالي سبع وثمانين علامة دالة على الحروف المتحركة والساكنة التي تتلوها حروف متحركة. إنه أشبه ما يكون بنظام الاختزال في عصرنا الحديث. ومن ثم فهو بطبعه لا يصلح لأغراض جماهيرية، بل اقتصر استخدامه على الأغراض الرسمية المحدودة. وهذا بالقطع يعنى أنه لم يستخدم في تدوين الأدب. وعندما اختفت الكتابة الموكينية بعد الغزو الدوري الكاسح حوالي عام ١٢٠٠ ق.م. (أو ١١٠٠ ق.م. في رأى آخر) كان الشعر لا يزال ينشد ويتناقله الناس شفاهة لا كتابة. وتراكم هذا الموروث الشعري من جيل إلى جيل في جميع أنحاء بلاد الإغريق ومستوطناتهم على ساحل آسيا الصغرى التي وصلها الإغريق منذ حوالي عام ١١٠٠ ق.م.

لا تتضمن الملحمتان الهومريتان أية إشارة إلى معرفة الإغريق آنذاك بفن الكتابة، أو على وجه التحديد فن تدوين الأدب. إذ جاء في "الإلياذة" الكتاب السادس

بيت ١٦٨ وما يليه ما يلي:

أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزاً منقوشة على لوح مطوى
وأمره بعرضها على والد زوجته لعله يهلك.

فالعلامات المميتة (semata Iygra) المشار إليها في ثنايا أسطورة بيلليروفون يفترض أنها تشير إلى نظام الكتابة الموكينية الذي ألمحنا إليه. ولربما انتشرت الكتابة الموكينية هذه بتوسع الإمبراطورية الموكينية نفسها في نهاية القرن الثاني عشر ق.م، ولكننا لا نملك الدليل على ذلك. ولقد قامت الحضارة الموكينية على ثلاثة عناصر رئيسية: العنصر الأول هو المتمثل في حضارة الأخيين الوافدين من الشمال. والعنصر الثاني هو التراث المحلى للبلاسجيين (Pelasgoi) أقدم سلالة سمعنا عنها في بلاد الإغريق. أما العنصر الثالث فهو تأثير الحضارة الكريتية المينوية. ومما لا شك فيه أن المهاجرين من الشمال قد جاءوا عبر آسيا الصغرى وجلبوا معهم بعض التأثيرات من حضارات الشرق. أما الأثر الشرقي - ولا سيما المصري والفينيقي - على حضارة كريت المينوية فلا يحتاج إلى تأكيد. وكان الحيثيون في آسيا الصغرى قد نقلوا عن البابليين نظاما للكتابة. أما كريت فقد عرفت الكتابة منذ الألف الثانية ق.م على أقل تقدير واستعملت لغة لم تفك طلاسمها حتى الآن بصفة تامة وتشبه اللغة الصينية. وإذا كان الأخيون في الأصل شعبا من الأميين فإنهم عندما قدموا من الشمال في اتجاه الجنوب وصلوا إلى مناطق تعرف الكتابة وتمارسها من زمن بعيد. وتبنوا هذا الفن. ولكن من الملاحظ أن النظام الكريتي للكتابة لم يكن شائعا في بلاد الإغريق الأساسية إبان العصر الآخى أى الموكيني. وحدثت طفرة ملموسة عندما تبنى الإغريق الأبجدية السامية الشمالية والتي اسموها "الحروف الفينيقية"^(١١) (grammata phoinikeia). وهى حروف

(١١) Herodot, V, 58, 2.

أحمد عثمان: تاريخ قبرص جزيرة الجمال والألم منذ القدم إلى اليوم (القاهرة ١٩٩٧)، ص ٣١-٤١.
R. Carpenter, "The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxxvii (1933) pp. 8-20.
Idem, "The Greek Alphabet Again" AJA XLII (1938) pp.59-69.

وعن تأثير الحضارة المصرية والفينيقية في الإغريق بوجه عام راجع:-

R. Drews. "Phoenicians. Carthage and the Spartan Eunomia" AJPh. Vol. 100 no. I (1979) pp. 45-58.

إيمانويل فليكوفسكي (ترجمة فاروق فريد): أوديب وإختاتون، القاهرة ١٩٧٠.
أما عن تأثير الحضارة الفينيقية في هوميروس عبر الحضارة الموكينية فانظر:

M.P. Nilsson, Homer and Mycenae. Cooper Square Publishers Inc, New York 1968, pp. 119-158.

G.S. Kirk, The Songs of Homer. Cambridge at the University Press 1962, pp. 3-51, 55 ff.

تشبه - إلى حد ما - الحروف السامية، وتتكون من مجموعات من العلامات كل منها يمثل ساكنا. ولقد طور الإغريق في هذه الأبجدية حتى وصلوا بها إلى ما نعرفه الآن باسم اللغة الإغريقية، والتي لا تزال حية إلى يومنا هذا بالصورة المتطورة التي يتحدث بها اليونانيون المحدثون. وهذه ميزة الإغريق، وعلى حد قول أحد مؤلفيهم "يستعيرون من الأجانب (barbaroi) ولكنهم يضيفون الكثير من التحسينات في النهاية"^(١٢). وبالنسبة للأبجدية الفينيقية التي استعاروها فقد استخدموا في البداية بعض العلامات للدلالة على حروف الحركة. ثم استبدلوا بتلك العلامات أشكالاً مبتكرة تماماً أي حروفاً جديدة لم تكن موجودة في اللغات السامية، وربما أخذوها عن مصادر أخرى. المهم أنهم في النهاية توصلوا إلى الأبجدية الإغريقية التي هي أصل الأبجدية اللاتينية، وبالتالي فهي جدة بعض الأبجديات الأوروبية الحديثة أيضاً. المهم أن الإغريق لم يعرفوا هذه الأبجدية قبل منتصف القرن الثامن ق.م على أقل تقدير.

ويقدم الباحث بيدج أدلة واضحة من أسلوب ملحمتي هوميروس ولغتهما على أنهما تتبعان بالفعل من عدة مصادر مختلفة^(١٣)، أي أنهما تقعان عند مصب تراث شعري عريق له عدة رواقد. ومما لاشك فيه أن التقدم في فنون الكتابة والنسخ والتوسع في تدوين الأدب يأتي على حساب عمل المنشد الملحمي aoidos الراوي للأحداث البطولية. أي أن التدوين أمر لا يتفق مع طبيعة الشعر الملحمي الأصلية أي الشفوية. وهذا ما سيتضح لنا من دراسة التقنية الملحمية الهومرية ومتابعة ما طرأ عليها عبر العصور حتى تلاشت وحلت محلها ملاحم مكتوبة أي مصطنعة ابتداءً من العصر السكندري والروماني إلى يومنا هذا. وكان من الممكن أن تتحور وتتجدد ملاحم هوميروس مع مرور الزمن. وكان من المحتمل أن تتبدد أيضاً، لو لم يأت الطاغية الأثيني بيسيستراتوس في القرن السادس ق.م ويؤسس نظاماً جديداً للإنشاد الملحمي يسمى النظام الرابسودي، حيث اختفت قيثاره الراوي القديم وتزود الراوي المستحدث بدلا منها بعصا rhabdos. وكان عليه أن يغني في كل مرة قصيدة مكتملة، أي أنشودة رابسودية rhapsode تبدأ من حيث انتهت السابقة ex hypolepseos. يقوم النظام الإنشادي الذي أسسه بيسيستراتوس إذن على

(١٢) (مجهول المؤلف ولو أنه ينسب أحيانا إلى ألاتون) Epinomis, 987e.

(١٣) D.L. Page, The Homeric "Odyssey", Oxford 1955 Ch. Vi; cf. Idem, History and the Homeric "Iliad". University of California Press 1972, passim.

الإلقاء من الذاكرة اعتمادًا على نص مكتوب وموثق يمكن الرجوع إليه فسي أى وقت، وهو النص الذى صار يعرف باسم تحقيق أو تنقيح بيسيسترانوس. وإذا كان هذا التنقيح المدروس قد حفظ أشعار هوميروس من الضياع فإنه قد قضى على كل فرصة للتجديد فى تقنية الشعر الملحمى، وهذا أمر طبيعى بالنسبة لفن كان قد بلغ قمة النضج أصلا. ولقد كتب شيشرون الخطيب الرومانى المفوه عام ٥٥م تقريبا - أى بعد أن كانت الدراسات الفقهية والتحقيقات العلمية فى الإسكندرية قد انتهت وأصبحت معروفة للجميع بنتائجها - وقال إن بيسيسترانوس طاغية أثينا هو الذى إبان القرن السادس ق.م "قد رتب كتب هوميروس التى لم تكن من قبل على هذا الترتيب الذى نعرفه"^(١٤). وإذا كان هذا صحيحا فإن الأشعار الهومرية - وبصورة قريبة للغاية من النصوص التى وصلتنا - كانت تنشد فى أعياد الباناتينايا الأثينية فيما قبل عام ٥٢٧ ق.م.

لكن مازال هناك سؤال بلا جواب، ففى مثل هذا المسار المطرد للأشعار الهومرية أين يمكن أن نجد هوميروس نفسه؟ من المؤكد أن الذى حوّل الأغانى الملحمية الصغيرة والملائمة لحفلات الإنشاد والسمر إلى قصيدة كبيرة هو شاعر متأخر ولاحق للفترة التى ظهرت فيها هذه الأغانى ابتداء. وبعبارة أخرى فإن هوميروس يأتى فى نهاية المطاف بالنسبة لتطور الشعر الملحمى لا فى بدايته. وعليه فإن التفكير المنطقى يرجح أن هوميروس لا يمكن أن يكون قد عاش قبل القرن الثامن ق.م. ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار أن هذا التفكير المنطقى - وهو كل ما نملك - يمكن أن يكون مخطئا. وعلينا أن نتذكر أن الإغريق على وجه العموم، وإن قبلوا بوجود هوميروس وبنسبة الملحميتين "الإلياذة" و "الأوديسية" إليه، لم يتفقوا على تحديد العصر الذى عاش فيه. فمنهم من جعله يعاصر الحرب الطروادية التى يصف أحداثها، ومنهم من جعله يعيش بعدها عدة قرون. أما بالنسبة للدلائل الداخلية المستمدة من نص الملحميتين فهى أيضا متضاربة وغير مؤكدة. فمثلا يقال إن الإشارة الواردة فى "الإلياذة" (الكتاب السادس بيت ٣٠٢-٣٠٣) والتى تتحدث عن تمثال أثينة فى وضع الجلوس تشى بأن التاريخ المشار إليه لا يمكن أن يكون قبل القرن الثامن ق.م، حيث بدأ فن النحت الإغريقى يتطور إلى مرحلة جديدة متحررا من تأثير النحت المصرى. بل إن وصف درع أجاممنون فى نفس

الملحمة (الكتاب الحادى عشر بيت ١٩ وما يليه) يمكن أن يعود إلى ما بعد ذلك التاريخ، وكذا الإشارة إلى استخدام الفيلق phalanx فى الحرب (الكتاب الثالث عشر بيت ١٣١ وما يليه). ومع ذلك فإن كل هذه الإشارات وغيرها الكثير يمكن أن تكون مدسوسة على هوميروس. وعلى أية حال فهناك حد زمنى لا يمكن أن يكون هوميروس قد عاش بعده بإجماع آراء كل العلماء ألا وهو عام ٧٠٠ ق.م. هذا ويمكن أن نحدد فترة تقريبية تقع فيها حياة هوميروس وهى ما بين ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م.

ومما لا شك فيه أن موقع طروادة الجغرافى يمكنها من السيطرة على الممر الإستراتيجى أى مضائق الدردنيل والبسفور البحرية التى تصل البحر الإيغى بسواحل البحر الأسود الخصبة. طروادة إذن مدينة ذات أهمية تجارية واقتصادية وعسكرية أغرت الأخيين بمحاولة السيطرة عليها. أما السبب الذى يقدمه هوميروس لقيام حرب طروادة - أى خطف هيلينى زوجة ملك إسبرطة مينيلائوس على يد الأمير الطروادى باريس - فهى الذريعة الواهية أو السبب الدبلوماسى المباشر والمعلن لتبرير حرب لها أهداف أخرى أعمق وأهم من ذلك بكثير، هذا إذا ما قبلنا بوجود هيلينى أصلاً. وبعبارة أخرى فإن رواية هوميروس لأسباب الحرب الطروادية هى رواية أسطورية، أى الرؤية الشاعرية والملحمية لحرب حقيقية وقعت بالفعل فى تاريخ يقع ما بين ١٢٨٠ و ١٨٣٠ ق.م. برأى معظم المؤرخين. المهم أن هوميروس يصف أحداثاً تاريخية قديمة جداً بالنسبة له، إذ تسبقه بحوالى ثلاثة قرون. وهو يستمد روايته من الموروث الشعرى المألوف والمتداول شفاهة.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار "الإلياذة" و "الأوديسية" من خلق عدة أجيال متتالية من الشعراء المتجولين. ولكن إغريقيى العصر الكلاسيكى اعتبروهما من تأليف شاعر واحد هو هوميروس وعلينا أن نحترم رأيهم، ولو أنهم نسبوا إليه أشعاراً أخرى لا يمكن بأية حال أن يكون هو فعلاً - إن وجد - مؤلفها. وبغض النظر عن الفوارق بين الملحمتين فإن روحهما العامة واحدة. يقول باورا إنه ليس من الخطأ أن نتحدث عن هوميروس - سواء أكننا نعنى به شاعراً واحداً أو عدة شعراء - باعتباره مؤلف هاتين الملحمتين^(١٥).

وبما أن هوميروس لا يتحدث عن نفسه في ملحمتيه "الإلياذة" (حوالي ستة عشر ألف بيت) و "الأوديسية" (حوالي اثنا عشر ألف بيت) فلقد استدل البعض من ذلك على أن مكانته الاجتماعية كانت أقل من مكانة أبطاله وهم من الملوك والأمراء، بل وأقل من مكانة جمهوره أيضاً لأنه كان ينشد أشعاره في بلاط أحفاد هؤلاء الأبطال. بيد أن تشبيهاته الشعرية - وهذا ما سنعود إليه - مستمدة من بيئته المعاصرة وما فيها، مما يظهر ميله إلى تصوير حياة بسطاء الناس بحرفهم اليدوية وأعمالهم الزراعية والرعوية بما فيها من أدوات بسيطة وطيور وحيوانات وما إلى ذلك. ومن ثم قيل إن هوميروس كان شاعراً فقيراً وأعمى أو على الأقل فقد البصر في أواخر أيامه. ولعل هذه الرواية قد جاءت من الاعتقاد الشائع لدى مختلف الشعوب بأن المنشدين الملحمين كانوا في العادة من كفيي البصر. يضاف إلى ذلك أن النشيد الهومري "إلى أبوللو" (بيت ١٧٢) يتحدث عن شاعر أعمى من جزيرة خيوس. ويعتقد أغلب العلماء المحدثين أن هذا البيت يتحدث عن هوميروس نفسه. بل يرون أنه أيوني لأن اللهجة الأيونية تغلب على أشعاره، كما أنه يعرف عن ما هو أيوني أكثر مما يعرف عن ما هو دوري أو أيولي. وينازع خيوس في الادعاء بنسبة هوميروس إليها الكثير من المدن والجزر وفي مقدمتها مدينة سميرنى (أزمير بتركيا)، بيد أن كفة خيوس هي الراجحة. وبها يعقد كل عام مهرجان "الهومريات" الذي يحاول به اليونانيون المحدثون إحياء ذكرى شاعرهم القديم والمبدع الأول هوميروس.

يجمع الباحثون على أن ملاحم هوميروس تمثل المرحلة الناضجة من تراث شعري شفوي عبارة عن أغاني كانت تؤدي بمناسبة وفاة أحد الشبان. ولهذه الأغاني بقايا في أشعار هوميروس، فمثلاً في "الإلياذة" (الكتاب الثامن عشر بيت ٥٦٩) نجد أغنية عن لينوس **Linos** يؤديها شاب على القيثارة وسط العذراوات والشبان حاملي سلال الأعناب في أعياد جنى الكروم، ويعتقد بعض العلماء أن هذه الأغنيات من أصل سامي.

وارتبط بعض المنشدين الملحمين السابقين على هوميروس بعبادة أبوللون وربطوا بين آسيا وكريت وجزر بحر إيجه وأراضى بلاد الإغريق الأساسية. وبعضهم الآخر جاء من آسيا الصغرى وبالتحديد من فريجيا وارتبطوا بعبادة كيبيلي **Kybele**. وظهر ذلك التراث بينما كانت القبائل الهيلينية لا تزال تهاجر من آسيا

إلى أوروبا. فهو تراث - إذن - ينتمي إلى ما قبل الهيلينية. ويشير هوميروس نفسه إلى هذا التراث بالحديث عن "أمجاد الرجال" *klea andron* وكذلك أغاني الزواج *hymenaeus* والمرثى *threnos* وكلها كلمات وتعبيرات سيجدها القارئ تتكرر كثيراً في "الإلياذة".

وتعكس أعمال الزخرفة على درع أخيلوس الذى صنعه هيفايستوس - وسنعود للحديث عنه - بعض المصادر الفينيقية والآشورية والمصرية القديمة^(١٦). ولو حظ أن هذا الدرع لا يتضمن أية إشارة للسفن مما يتناسب مع الآشوريين، كما لا يحوى أى شيء عن العبادات الإغريقية. وأعمال الفن المشار إليها عموماً عند هوميروس سواء فى المنازل أو قصور الملوك تعكس الفن الشرقى، فنحس وكأننا فى نينوى أو فى صور^(١٧).

ثالثاً: من هو الآخر فى "الإلياذة"؟

هكذا دخلنا عالم هوميروس من أوسع أبوابه، وعلينا الآن أن نركز الانتباه على "الإلياذة"، التى بلغ من عظمتها أنها غطت على شهرة مؤلفها، حيث كان قد عاش فى وقت ما ومكان ما ببلاد الإغريق لا نعرفه بالضبط.

وفى الوقت نفسه يعطينا هوميروس صورة واضحة المعالم لفترة مبكرة من التطور الحضارى البشرى. وهى صورة حافلة بالمعالم السياسية والدينية والقيم الأخلاقية بالإضافة إلى البيئة الاجتماعية. تختلف هذه الصورة الهومرية عن لوحة من الفسيفساء أو أية قطعة أثرية أخرى، لأنها صورة مكتملة ومنسجمة مع الانطباع العام الذى يتركه هوميروس فى الأذهان.

لا يستخدم هوميروس فى "الإلياذة" اسماً يشمل كافة بلاد الإغريق أو اليونان التى نعرفها. فهو يتحدث عن "الأخيين" و "الأرجيين" و "الدانائيين". أما هيلاس

(١٦) A.S. Murray, *History of Greek Sculpture*. p. 44.

(١٧) للمزيد عن الأصول الشرقية لأشعار هوميروس راجع:

Allen W.S.: "Oriental Myth and Literature in the Iliad." In Hägg, ed., 1983:

pp. 51-6.

J.D. Muhly, "Homer and the Phoenicians. The Relations between Greece and the Near East in the late Bronze Age and Early Iron Ages". *Berytus* 19 (1970) pp. 19-64.

C. Picard, "Homère et les religions de l'Égypte" *Revue archeologique* 6me Serie 10 (1937) pp. 110-113.

Hellas فهي لا تخرج عن حدود منطقة ثيساليا، مع أن هذا الاسم الأخير لا يرد قط في ملحمتي هوميروس. والآخيون الذين تتحدث عنهم "الإلياذة" لا زالوا يحكمون شبه جزيرة البلوبونيسوس (التي لا تذكر بهذا الاسم قط)، وكذا لا ذكر للدوريين في "الإلياذة". وهناك فرق بين "أرجوس الآخية" وتقابل معظم شبه جزيرة البلوبونيسوس، و "أرجوس البلاسية" وتعنى جزءاً من ثيساليا. وتتحدث "الإلياذة" عن طراقيا ونهر أكسيوس (= الآن فاردار Vardar).

أما بالنسبة للساحل الغربى لآسيا الصغرى، الذى تجرى فوقه أحداث "الإلياذة"، فتتحدث الملحمة عن مايونيا (= ليديا فيما بعد) ولا ذكر لآى مدينة إغريقية فى المنطقة من ميسيا إلى كايا، ولا يذكر الاسم "الأيونيون" سوى مرة واحدة (الكتاب الثالث عشر بيت ٦٨٥)، وتؤخذ الفقرة كلها على أنها إشارة للأثينيين. وتذكر بعض مناطق أعماق آسيا الصغرى، مثل فريجيا وبافلاجونيا، فى إشارات عامة وغامضة.

من الجزر فى بحر إيجه تذكر كريت ورودس وما يحيط بها من جزر صغيرة فى الجانب الجنوبى الشرقى. ومن الجزء الشمالى الشرقى المحاذى لمنطقة طروادة تذكر تينيدوس وإمبروس وساموطراقيا (باسم ساموس) وليسبوس وليموس، ولا ذكر للكيكلايس وخيوس وساموس.

ومن عالم الجنوب بعيداً عن بلاد الإغريق يذكر فى "الإلياذة" الأثيوبون "ذوو الوجوه المحروقة" أو الداكنة. ويذكر البيجميون الذين يقطنون على ضفاف نهر الأوكيانوس (ربما فى أفريقيا الوسطى). ويذكر المصريون ومدينتهم طيبة (= الأقصر) (الكتاب التاسع بيت ٣٨١ وما يليه). فطيبة المصرية ذات مائة باب يخرج مائتا رجل من كل منها بخيولهم وعرباتهم :

ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة المصرية، حيث
تمتلئ الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم، ذات البوابات المائة التى
ينطلق من كل منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.

ويذكر الفينيقيون^(١٨) وصناعاتهم الدقيقة، وتذكر صيدا أكثر من مرة (الكتاب السادس بيت ٢٨٩، والكتاب الثالث والعشرون ٧٤٣). وتذكرنا زخرفة درع

أخيلوس التي أبدعها هيفايستوس - كما سبق أن ألمحنا - بالصناعات الفينيقية الدقيقة ولأسيما في صور. وكما هو واضح ضم قصر برياموس الفينيقيين والفينيقيات، وتحدثنا "الإلياذة" نفسها عن نساء صيدا الماهرات في الأشغال اليدوية من تطريز وخلافه (الكتاب السادس أبيات ٢٨٧ وما يليها).

أما الملكة نفسها فقد نزلت إلى خزينة الكنوز ذات القباء حيث أودعت ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقتت صنعها نساء صيدا اللاتي كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله قد جلبهن من صيدا حين مخر عباب البحر الشاسع في رحلة عودته (إلى طروادة) بهيليني رفيعة النسب

ويتردد في "الإلياذة" ذكر كادموس والكادميين (الكتاب الرابع أبيات ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، والكتاب الخامس ٨٠٣، ٨٠٧، والكتاب العاشر ٢٨٨، والكتاب الثالث والعشرون ٦٨٠). أما الإله ماكار (أو مقار) الذي يذكره هوميروس في الكتاب الرابع والعشرين (بيت ٥٤٤) فربما يكون الإله الفينيقي ملقرت Melqarth الذي اعتبره الإغريق في العصور التالية أصلاً لعبادة البطل الإغريقي الأشهر هرقل^(١٩).

لكن من هم الطرواديون ؟

في دفاعه عن بعض ملامح الوحشية والبربرية في التراث الأسطوري والطقوس الإغريقية يقول جلبرت موري Gilbert Murray إن هذه الملامح هي بعض بقايا البربرية الأقدم في الروح الهيلينية الصافية والخالية من هذه البربرية. فعندما اقتحم الإغريق بلدة كيلايناى Kelainai في أقصى فريجيا بآسيا الصغرى وجدوا هناك تقليدًا قديمًا يروى فحواه أن الإله المحلي سلخ البطل أو الملك المحلي مارسياس Marsyas حيًا. ويورد موري تفسير فريزر لهذه الأسطورة بأن مارسياس هو ملك الخضرة الذي يسلخ بين الحين والحين ويحتفظ بجلده حتى موسم

(١٩) Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis in the "Trachiniae" of Sophocles and in "Hercules Oetaeus" of Seneca. A Comparative Study of the Tragic and Stoic Meaning of the Myth. A thesis for the Ph.D. Degree in Greek with summary in English). Athens 1974., pp. 50-63.

وعن كادموس انظر :

Edwards, R.B.: Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age. Amsterdam 1979.

الحصاد التالي. ويؤكد موري أن الإغريق هم تجار الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبحارته دون أن يعنى ذلك انتماءهم لهذا العالم. وربما تكون هذه الأسطورة كما يقول موري هي من بقايا الغزو الأشوري، لأن الأشوريين على حد قوله كانوا يحتفلون بعد انتصاراتهم بسلخ من قهروهم أحياء^(٢٠).

أثبتت الحفريات في موقع طروادة بأنه كانت هناك ست مدن الواحدة فوق الأخرى وأنها جميعاً دمرت تباغاً وأعيد بناء كل منها فوق بقايا الأخرى، مما يعنى أن هذا الموقع كانت له حساسية خاصة. وحتى في الإطار الأسطوري "للإلياذة" وتدمير طروادة على يد أجامنون يتردد الحديث دائماً بأنها كانت قد دمرت من قبل عدة مرات.

وتروى الأسطورة الإغريقية أن هرقل - الذى ينتمى إلى جيل أسبق وأقدم من أبطال طروادة - ذهب إلى طروادة للحصول على خيول لاؤميدون. وتثبت كل الدراسات الحديثة أن طروادة القديمة فعلاً اشتهرت بتربية الخيول. ومن الملاحظ في "الإلياذة" أن صفة "مروضى الخيول" تلصق بالطرواديين دائماً جماعة أو فرادى. يقول آينياس في "الإلياذة" (الكتاب العشرون ٢١٣ وما يليه):

إذ كان زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا
وبانى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد في
الوادى على أنها مدينة البشر الفاتين، إذ كانوا لا يزالون
يسكنون منحدرات إيذا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب
داردانوس ولداً هو الملك إريخثونيوس الذى أصبح أغنى
البشر الفاتين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرس ترعى في المروج
وتنعم بصغارها. وبينما هي ترعى شغف بها بورياس حباً
وفى هيئة حصان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى
عشرة مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد
ذوآبات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرهما ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فاتها تقشد ذوآبة
الموج الهائج.

(٢٠) Gilbert Murray, The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition. Oxford 1934, pp. 20-21.

وتعكس آراء موري المركزية الأوروبية التى سبق أن دحضناها في مقدمة "أثينة السوداء" راجع حاشية رقم ٧ أعلاه.

ولكن الخيول لم تكن الثروة الوحيدة التي تتمتع بها مملكة برياموس. فسترابون^(٢١) يتحدث عن مناجم الذهب في أستيرا Astyra بالقرب من أبيدوس Abydos بمنطقة طروادة. ونحن نعرف أنه في العصور التالية كانت تجارة شاسعة تمر في بحر الهيليسبونطوس (الدرديل والبسفور) وتربط بين البحر المتوسط والبحر الأسود. ومن هنا تأتي أهمية التحكم في هذا الممر التجاري. ولمزيد من إيضاح أهمية طروادة إبان العصر الموكيني نشير إلى أنه بعد أن أسس الإغريق مستعمرات لهم على الهيليسبونطوس والبحر الأسود في العصور التاريخية. فقدت طروادة أهميتها وأصبح بمقدور السفن الإغريقية أن تبحر دون الحاجة لمياه نهر سكامانديروس العذبة وأخذ الإذن من مملكة طروادة. لقد كان وادي طروادة هو نقطة الالتقاء الطبيعية بين تجارة البحر الأسود وتجارة جزر بحر إيجه.

لكننا من معطيات "الإلياذة" لا نستطيع الإجابة عن السؤال المطروح: من هم الطرواديون؟ هل هم شرقيون ينتمون لحضارات الشرق القديم؟ فهذا ما لا نستطيع تأكيده من خلال "الإلياذة" التي تعطيهم أسماء إغريقية وتنسب إليهم عادات وتقاليد إغريقية. بل إن الطرواديين في "الإلياذة" يتعبدون لآلهة الإغريق أنفسهم مثل زيوس وأفروديتي وأبوللون وغيرهم. وبعض هذه الآلهة ينحاز إليهم ضد الإغريق وبصفة خاصة أفروديتي ربة الجمال والحب والتناسل التي أنجب منها أنخيسيس أحد الأبطال الطرواديين المرموقين أي آينياس. بل إن الطرواديين في "الإلياذة" يحملون الأسماء نفسها التي يحملها الإغريق مثل أخيلأوس فهو اسم لطرودي في الكتاب الثامن (بيت ٢٥٧) واسم لإغريقي في الكتاب الحادي عشر (بيت ٣٠٢). بل إن بودارجوس يرد اسمًا لحصانين في "الإلياذة" أحدهما لهيكتور (الكتاب الثامن بيت ١٨٥)، والثاني لمينيلأوس (الكتاب الثالث والعشرون بيت ٢٩٥). ومن المدهش أن لاؤديكي هو اسم بنت أجاممنون (الكتاب التاسع بيت ١٤٥ و ٢٨٧) وهو في الوقت نفسه اسم بنت عدوه اللدود برياموس (الكتاب الثالث ١٢٤ والكتاب السادس ٢٥٢).

فإذا قال قائل إن الطرواديين شرقيون عندئذ سنضع أيدينا على ما يسمى بالخلط الزمني anachronism. وهو خلط لا يقتصر على الزمن بل يشمل كل شيء. وهو أمر لا ينفرد به هوميروس - الذي يخلط بين معطيات زمنه وزمن الأحداث التي يتحدث عنها - بل هو شائع في الأعمال الإبداعية منذ القدم وإلى

شكسبير^(٢٢) بل وإلى يومنا هذا. ونجده على سبيل المثال فى مسرحية "الفرس" لأيسخولوس المعروضة عام ٤٧٢ ق.م حيث يتعبد الفرس فى هذه المسرحية لزيوس وسائر آلهة الأوليمبوس مثل الإغريق تمامًا، بل إن الجو العام فى القصر الفارسى يكاد لا يختلف عن الجو العام فى قصر ملكى إغريقى. فهل تصور "الإلياذة" الطرواديين على هذا النحو نفسه؟^(٢٣). وتزداد صعوبة الإجابة على التساؤل المطروح من هم الطرواديون ؟ إذا لاحظنا أن هوميروس كان واعياً بالفروق اللسانية بين المتحاربين. فهو يميز بين الطرواديين وحلفائهم متعددى اللغات ويقول (الكتاب الثانى، أبيات ٨٠٣-٨٠٦) على لسان إيريس مخاطبة هيكتور:

"كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى المجموعة التى يرأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من ترتيب صفوف رجال مدينته".

فأهل آسيا الصغرى بلغاتهم الشرقية مشاركون فى الحرب. ومع أن الاحترام متبادل بين الإغريق والطرواديين بصفة عامة إلا أن المرء يحس بانحياز هوميروس الدفين للإغريق. فهل ينم هذا الموقف عن أن الطرواديين ينتمون إلى الآخر فى "الإلياذة" ؟

رابعاً: الكلمات المجنحة بالوزن السداسى

ومن المقطوع به أنه من المحال الوصول إلى تصور حقيقى "للإلياذة" الأصلية، ومدى حجم الإضافة والحذف التى عانت منهما عبر العصور منذ ثلاثة آلاف سنة. إنها على أية حال أول صورة فنية للسلالة التى تعرف الآن بالسلالة الهيلينية. وإذا كان ماتيو أرنولد Matthew Arnold يعرف الشعر على أنه "نقد الحياة" فقد تكون هذه هى نصف الحقيقة فقط، لأن الشعر فى أسمى تجلياته هو

(٢٢) أحمد عثمان: الكلاسيكية فى مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد فى مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٦٣-٢٧١.

(٢٣) يمكن للقارئ أن يعود للمعجم الأسطورى الملحق ليؤكد من أن "الإلياذة" بالفعل تضم أسماء مشتركة كثيرة جداً. ولكن أسماء الملوك والأمراء ليست مشتركة. فأجامنون وأخيلوس ومينلاؤس وبرياموس وهيكتور كل منها اسم لشخص واحد فقط. فالأبطال الهوميريون آحاد لا يشاركونهم الأسماء والثراء والأهبة والعظمة أحد آخر.

تفسير للحياة، بل هو تفعيل الحياة. وهذا بالضبط ما تمثله "الإلياذة" و "الأوديسية" فهما من أنصع آيات الفن المعبر بصدق عن الروح الهيلينية في بكارتها.

وسنحاول في السطور التالية معالجة الجوانب الفنية في "الإلياذة" التي تجسد هذا الدور. فمن الملامح الفنية البارزة في "الإلياذة" التشبيهات والخطب. وسنعود للحديث المفصل عن التشبيهات، أما الخطب فيقول عنها جيب **Jebb** صاحب أهم الدراسات في فن الخطابة الإغريقية :

"لا توجد خطبة واحدة في التراث القديم الذي وصلنا تقترب من النموذج المثالي للخطبة مثلما تفعل خطب هوميروس. ويكمن السبب في ذلك أن الخطب الواردة في "الإلياذة" تتبع بصورة طبيعية من مناظرة ما، وأعظمها يأتي ردًا (على خطبة أخرى)"^(٢٤).

ولا يملك المرء وهو يقرأ "الإلياذة" إلا أن يعبر عن بالغ دهشته وإعجابه بحس هوميروس ووعيه بدقائق النفس الإنسانية، وكذا بقوته ولينه ووضوح رؤيته وسعة أفقه، وسلامة تأملاته في الإنسان والطبيعة. إنه أروع مثال للفنان العظيم. إنه ينظم الشعر وعينه على الموضوع لا على الأسلوب، كما يفعل أغلب الشعراء المحدثين، حيث يولون الأسلوب جل اهتمامهم وإليه ينقلون أو يترجمون موضوعهم. فالزخرف في أسلوب هوميروس لا نحس به، لأنه لا يأتي وكأنه ملحق مصنوع يستهدف توسيع الموضوع، بل هو جزء طبيعي وعضوي في نسيج الموضوع ذاته.

يقول جلبرت موري **G. Murray** عالم الكلاسيكيات الأشهر وصاحب الدراسة المتعمقة في الشعر الإغريقي الملحمي إننا ينبغي أن نقرأ الأشعار الملحمية القديمة بشيء من الخيال والتعاطف، فبدونهما تصبح هذه الملاحم القديمة كتبًا صماء. لقد نجح هوميروس شاعر "الإلياذة" في أن يخلق الخيال والتعاطف اللازمين لأي معاصر يحاول قراءته الآن^(٢٥).

يتمتع هوميروس شاعر "الإلياذة" بما يمكن أن نسميه البساطة السامية والمباشرة الصريحة، فهو ليس غامضًا البتة. قد يكون حزينًا ولكن حزنه ليس فجًا

(٢٤) R.C. Jebb, The Attic Orators. Reprinted, New York 1962, p. cvii .

(٢٥) Murray, Rise of Greek Epic, p. 231.

غليظاً، وإنما هو حزن ينم عن فخامة وأبهة. وهو سار ومفرح كالحياة نفسها فى مسراتها وأفراحها الطبيعية. إنه يعبر عن آمال البشرية ومخاوفها، سقطاتها وتطلعاتها. ولمن يريد أن يطلع على هذه الجوانب مجتمعة فليقرأ مشهد وداع هيكتور لزوجه أندروماخي (الكتاب السادس)، أو مشهد نصائح ساربيدون لجلالوكوس (الكتاب الثانى عشر)، أو النهاية الدرامية المذهلة أى لقاء برياموس مع أخيلئوس، حيث ذهب الملك الطروادى الطاعن فى السن يقدم الفدية فى مقابل تسلم جثة ابنه الصنديد هيكتور (الكتاب الرابع والعشرون).

قد تكون غضبة أخيلئوس موضوعاً من الدرجة الثانية، وقد لا تصلح لعمل شعرى كبير، ولكن مؤلف "الإلياذة" المبدع صنع منه ملحمة شعرية رائعة. غضب أخيلئوس عندما انتزعت منه محظيته بريسيئس وهذا أمر لا يصنع ملحمة، ولكنه صب جام غضبه أيضاً على هيكتور عندما قتل صديقه الحبيب باتروكلوس، وهذا الغضب يصلح لعمل شعرى. فكيف صاغ هوميروس من هذه الغضبة ملحمة "الإلياذة" التى تصور الحرب الطروادية فى إطار كونى ؟

يتسم أسلوب هوميروس بأربع صفات أساسية: فهو متدفق، واضح الفكر، بليغ العبارة، وسامٍ فى كل شىء. وهذا الجمع الفريد بين تلك الصفات الأربع كان بمثابة الصخرة التى تحطمت عليها جهود كبار مترجمى هوميروس ومقلديه عبر كافة العصور. فقد فشل كووبر Cowper، فى أن يكون متدفقاً، وفشل ألكسندر بوب Pope فى أن يكون بليغ العبارة. أما تشابمان Chapman فلم يكن واضح الفكر فى ترجمته، رغم أنه الأقرب إلى هوميروس من حيث بلاغة الكلمة وطزاجتها والقوة والتدفق. وسنعود لأصدقاء أسلوب هوميروس فى الآداب العالمية.

يتميز أسلوب هوميروس فى "الإلياذة" بأنه غنائى مزخرف بصفة عامة، ولكن التنوع هو السمة الرئيسية. خذ على ذلك مثلاً وصفه لجروح الأبطال وموتهم، فلو كان يتبع أسلوباً واحداً لمل المتلقى لأن المشهد متكرر فى "الإلياذة" من أولها إلى آخرها. ولكننا نكتشف تنوعاً فريداً يميز بين جرح بطل وآخر. وكيفية الانتقال إلى العالم السفلى أى الموت تختلف فى كل مرة عن سابقتها ولاحقتها، فهذا ينكفى على بطنه ويعض الأرض، وذاك يطرح أرضاً على ظهره وتفيض روحه، وآخر يصارع الموت ويقاومه، وآخر يختفى بطريقة غامضة، وهكذا. وينطبق هذا المعيار نفسه على مشاهد المعارك والمبارزات الفردية، التى هى الموضوع الرئيسى

المتكرر. فلا نجد معركة مثل أخرى ولا تتشابه المبارزات الفردية. ويبدو وصف المعارك في "الإلياذة" وكأنه واقعي، أي كأن الشاعر يرى معركة حقيقية ويصفها لنا. ومع ذلك فهو ليس وصفاً تاريخياً. إنه وصف يبدو وكأنه يسرد وقائع وحقائق مع الإيحاء سلفاً بالنتيجة الحتمية لكل معركة^(٢٦). وذلك بفضل تنوع الأسلوب والدقة كذلك في رسم الشخصيات والخلفيات^(٢٧).

ويقول كيرك Kirk إن لغة هوميروس مزيج مصطنع جاء من أماكن متفرقة وأزمنة مختلفة، لأنها نتاج الموروث الملحمي الشفوي، حيث كان كل منشد يبتدع مختلف التراكيب والأشكال اللغوية التي تتواءم مع قدراته وبيئته. وقد نسب ب. شانترين P.Chantraine بعض هذه التراكيب والأشكال إلى فترة ما بعد هوميروس، ولكن العالم الأسترالي G.P. Shipp أثبت أن معظم ما كان ينسب إلى ما بعد هوميروس في هذه الأساليب اللغوية يعود أصلاً إلى الموروث الملحمي أي ما قبل هوميروس^(٢٨).

(٢٦) Alberto Camerotto, "Aristeia Azioni e tratti tematici delleroe in battaglia", *Aevum Antiquum* N.S.I (2001) pp. 263-308.

M.M. Willcock, "The Fighting in the Iliad", *Spondes ston omero, (Apo ta practika tou 18th Synedriou 8 yia ten Odysseia 2-5 sept. 1990). Kentro Odysseiakon Spoudon. (Ithaki 1993), pp. 141-147.*

H. Erbse, *Typical Battle Scenes in the Iliad*, *Hermes Einzelschriften* 21. Wiesbaden 1968.

(٢٧) عن رسم الشخصيات في "الإلياذة" انظر: أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٦٦-٨٠ وراجع:

J. Griffin, *Homer on Life and Death*. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986, pp. 50-80.

وعن رسم شخصية ملياجروس وأخيلوس وفوينيكس ودوره في وحدة بناء "الإلياذة" راجع:

Andreou I. Boskou *Meleagros – Achilles kai Phoinix: (Symbole eis ten ereunan tes enotetes tes Iliados. (Meleagros – Achilles and Phoinix. A Contribution to the Study of the Unity of the Iliad) Ph.D. Thesis Leukosia – Cyprus 1974.*

P. Chantraine, *Grammaire Homerique* I. Paris 1958. pp. 15 ff., 44-47. (٢٨)

If. Kirk, *Homer and the Epic*. Cambridge. Reprint 1996, pp. 141 ff.

B. B. Powell, *op. cit.*, *passim*.

أما عن آراء شيب فراجع:

G.P. Shipp, "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." *Essays in Mycenaean and Homeric Greek*. Melbourne: (1961), pp. 1-14.

Idem: *Studies in the Language of Homer*, *Transactions of the Cambridge Philological Society* 8. Cambridge 1953.

Idem : *Studies in the language of Homer*, 2nd ed. Cambridge 1972.

بذلت جهود شتى لتأريخ هوميروس بناء على الدرس اللغوي المنهجي "للإلياذة" و "الأوديسية" وكذا اللهجات الأيولية والأيونية وتطورهما. ولكن النتائج لم تكن مرضية، وإن أسهمت هذه الدراسات في فهم المزيج العجيب لمكونات اللغة الهوميرية. فبالحصر تم اكتشاف عدة طبقات في لغة هوميروس دون الوصول إلى تاريخ محدد لكل طبقة منها ولا للطبقة الأحدث. ولا يمكن الجزم سوى بتاريخ هو الحد الأقصى أي ٧٣٠-٧٠٠ ق.م وهو التاريخ الأرجح لهيسودوس، وبعبارة أخرى ينبغي أن يكون هوميروس قد عاش قبله **termnus ante quem**.

وعلينا أن نتذكر رحلة نص "الإلياذة" عبر العصور منذ إنشادها شفويًا وجمعها في عصر الطاغية بيسيستراتوس ثم نقدها وتحقيقها في العصر السكندري^(٢٩). في كل تلك المراحل مر النص بسلسلة من الحذف والإضافة والتغيير والتبديل فيما بين اللهجات الإغريقية الأيولية والأيونية والأتيكية. وسنعود للحديث عن رحلة نص "الإلياذة" إلينا.

ولكن لا مفر من الإشارة هنا إلى أن الكلام عن لغة هوميروس أمر نكتفه الكثير من التساؤلات والشكوك. ولعل هذا ما أضاف إلى ملحمة "الإلياذة" مسحة من الغموض وصل بالبعض إلى الاعتقاد أنها لغة سماوية مقدسة.

يرى ريتشارد مارتن **Richard Martin** أن الدرس المقارن لتراث الشعر الملحمي الشفوي في أفريقيا وأيسلنده وغيرها يوضح أن الأبطال كانوا بمثابة لاعبي أدوار **performers** ملحميين يتبعون أساليب فنية واعية سواء في الفعل أو القول. وهذه هي النتيجة التي يمكن أن نصل إليها بتحليل الخطب التي يلقيها الأبطال في

(٢٩) عن التقنية الشفوية في "الإلياذة" وتأثيرها في طبيعة اللغة المستخدمة راجع:

M.N. Nagler, *Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer*. Berkeley 1974.

M. Finkelberg, "A Creative Oral Poet and the Muse" *AJPh* 111 (1990) pp. 293-303.

R. Finnegan, *Oral Poetry*. Cambridge 1977.

Richard Bauman, *Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative*. Cambridge University Press 1986.

Claude Calame, "Entre oralité et écriture: Énonciation et énoncé dans la poésie grecque archaïque" *Semiotica* 43, (1983) pp. 245-73.

D. Gary Miller, *Improvisation, Typology, Culture, and "The New Orthodoxy": How Oral is Homer ?*. Washington, D.C.: University Press of America 1982.

"الإلياذة". فهي خطب صيغت بعناية فائقة لتظهر المجد البطولي والبراعة القولية لكل بطل على حدة، مع رسم خلفية اجتماعية مميزة له^(٣٠). فكل بطل في "الإلياذة" يؤدي دوراً ملحماً، ومن ثم فإن لكل بطل لغته المميزة ينفرد بها ويتميز عن غيره، حتى إنه يمكن الحديث عن "لغة أخيلئوس"^(٣١). و "لغة هيكتور" وهكذا^(٣٢).

بالدرس اللغوي المتخصص ثبت أن هناك فروقاً بينة في المفردات والتراكيب والأساليب فيما بين الأجزاء السردية والخطب أو الأحاديث المباشرة على لسان الشخصيات نفسها في "الإلياذة". وهذا ما يضع المزيد من المشكلات المعقدة أمام النظرية الشفوية للملاحم الهومرية. بل هناك ما يميز لغة كل بطل عن الآخر في الإلياذة^(٣٣).

أما الوزن السداسي hexametron نفسه أداة الشعر الملحمي القوية في "الإلياذة" فهو جزء من تركبة الحضارة الموكينية على ما يبدو. فما كان ليصل إلى هذه القوة والعظمة والسلاسة، كما هو عند هومروس، لولا أنه كان قد مر بفترة طويلة من التطوير والصقل. إنه وزن يقوم على التقسيم الكمي لا الكيفي، أي لا يقوم على النبرة بل على الحروف والمقاطع بمقدار طولها وقصرها، أي على الزمن الذي يأخذه كل منها في النطق. ومع أن الشعر الأوروبي المعاصر يقوم أساساً على النبرة، فإنه من الراجح أن التقسيم الكمي كان هو الأصل وهو المتبع في لغات الأسرة الهند أوروبية بصفة عامة. فهو موجود في السانسكريتية والفارسية على سبيل المثال. وهو نظام أكثر طواعية واستقراراً من النظام القائم على النبرة.

Richard P. Martin, *The Language of Heroes. Speech and Performance in the Iliad*. Cornell University Press 1990, pp. 80-145. (٣٠)

Gordon M. Messing, "On Weighing Achilles' Winged Words". *Language* 57, (1981) pp. 888-900.

Ibid. pp. 146 ff. (٣١)

عن المزيد حول اللغة والأسلوب في "الإلياذة" راجع: (٣٢)

Steven Nimis, "The Language of Achilles: Construction vs. Representation". *Classical World* 79, (1986), pp. 217-25.

M.D. Reeve, "The Language of Achilles", *CQ* 23 (1973), pp. 193-5.

Stephen Scully, "The Language of Achilles: The OXΘHEAE Formulas", *TAPhA* 114, (1984) pp.11-27.

Jasper Griffin, "Homeric Words and speakers", *JHS* CVI (1986) pp. 36-57. (٣٣)

G. Horrocks, *Greek: A History of the Language and its Speakers*. Longmann 1997, pp. 17 ff.

لأن الأول يقوم على مبدأ ثابت وهو أن الحرف أو المقطع الطويل عند النطق يأخذ من الوقت ضعف ما يأخذه الحرف أو المقطع القصير. وكل مقطع يأخذ حجمه الطبيعي، كما تحسب الحروف المتحركة والساكنة في العملية كلها. واصطاح الناس على أن هذه الحروف طويلة وتلك قصيرة وتركوا بعضها محايداً، أى يمكن أن يكون طويلاً أو قصيراً^(٣٤).

يتكون الوزن السداسى من ستة أقدام، وكل قدم مكون من داكيتيلون أى مقطع طويل متنوع بأخرين قصيرين (U U —)^(٣٥). ويمكن أن يستبدل بأى قدم من الأقدام الستة الداكتيلون قدم سبوندى أى مقطعان طويلان (— —). بل إن القدم السادس يمكن أن يقتصر على مقطعين أحدهما طويل والآخر قصير (U —).

ولا نعرف أين اخترع الوزن السداسى، فلا مثيل له فى الشعر السامى أو الحيثى القديم. وقيل إنه جاء من جزيرة كريت المينوية، ولكننا لا نعرف عن لغة هذه الحضارة ما يكفى للتثبت من ذلك. الأرجح إذن أنه اختراع إغريقى قائم على التقسيم الكمى المعروف فى أسرة اللغات الهند أوروبية. ولقد ساعدت طبيعة اللغة الإغريقية نفسها على اختراع هذا الوزن، فهى تتناغم معه تماماً. وعلى أية حال فإن هذا الوزن قد عاش فيما بين ٤٠٠ ق.م. تقريباً وحتى آخر ملاحم العصر القديم فى القرن الخامس الميلادى. وقد ينازعه أى وزن آخر فى طول البقاء، ولكنه يقف بلا منازع من حيث إنه لم يفقد شيئاً من كيانه الأساسى طوال حياته مع حدوث تطور لغوى وفكرى ضخم، بل ومع تنوع الموضوعات التى صيغت فيه من الملاحم مسرفة الطول إلى الأغانى القصيرة للغاية^(٣٦).

(٣٤) عن تقنيات هوميروس الشعرية راجع:

A.J.B. Wace & F.H. Stubbings (edd.), *A Companion to Homer* (Macmillan 1962), pp. 19-214 (By J.A. Davison).

وقارن أحمد عثمان: "الوزن الساتورنى والأصول المحلية للأدب اللاتينى" مجلة الشعر القاهرية عدد ١٨ (أبريل ١٩٨٠) ص ٥٠-٥٧.

(٣٥) العلامة — تعنى حرفاً أو مقطعاً طويلاً والعلامة U تعنى حرفاً أو مقطعاً قصيراً وهى علامات متداولة ومعروفة فى علم العروض الإغريقى. وعن الأوزان بشكل مبسط راجع:

D.S. Raven, *Greek Metre. An Introduction*. Faber and Faber, London 2nd ed. 1968.

(٣٦) للمزيد عن تقنيات "الإلياذة" الشعرية راجع:

H. Erbse, *Epic verse before Homer*. Amsterdam 1981.

W.S. Allen, *Vox Graeca The Pronunciation*. 3rd edition. Cambridge 1987.

خامساً: العالمان المتوازيان والتوهج الشعري في التشبيهات

ومن بين التقنيات الشعرية المميزة في "الإلياذة" تبرز التشبيهات. وقد سبق لنا أن تناولنا التشبيهات الهوميرية وموقعها في إطار الفن الملحمي^(٣٧). وقد يكون من المفيد هنا ونحن بصدد التقديم للنص الهومري المترجم أن نسلط الضوء على بعض النواحي في هذه التشبيهات التي بلغت حوالي ١٨٠ تشبيهاً مفصلاً في "الإلياذة"، وسنورد بعد قليل قائمة بهذه التشبيهات. والملاحظة الأولى عليها أنها منتسعة الأفق ومتنوعة. والتشبيهات الهوميرية^(٣٨) إما قصيرة جداً وعابرة وإما مطولة تستهدف أن تطبع في نفوس سامعيها أدق التفاصيل. ويستخدم هوميروس كلا من النوعين بصفة مستمرة. وهو أحياناً يستطرد في التشبيهات المطولة إلى حد أنها تبدو للوهلة الأولى منفردة أو مفككة الأوصال. بيد أننا إذا دققنا النظر يمكن أن نعتبر هذا التطويل أو التمديد شيئاً ملائماً للسياق الذي ورد فيه. والانطباع العام الذي يخرج به السامع أو القارئ لملاحم هوميروس هو الانطباع نفسه الذي يحس به المرء عندما يشاهد بعض لوحات الرسم، حيث يحرص مبدعوها على أن يضيفوا - إلى جوار الموضوع الرئيسي الذي تسلط عليه الأضواء - ما يسمح لنا بإلقاء نظرة من نافذة جانبية صغيرة على مشهد طبيعي ساحر ومرسوم بعناية فائقة. وهو منظر يعكس الحياة الرعوية الوديعه. وبعض المشاهد الهوميرية موروثة وقديم يمكن أن نعود به إلى العصر الموكيني. وبعضها أصيل مبتدع، أو بالأحرى مستمد من الحياة اليومية لعصر هوميروس نفسه. وكان هوميروس الذي أدرك فطائع الحرب التي يصف أحداثها ويغوص في تفاصيل أهوالها يعوض مستمعيه بهذه المناظر الجانبية الوديعه. فهو مثلاً يصف رجلاً يقع من فوق عربته الحربية على رأسه وتظل هذه الرأس مغروزة في الرمال! وفي مكان آخر يصيب حجر مقذوف عين أحد الرجال فيخلعها وتسقط العين على التراب تحت قدميه أو قدمي عدوه!! وفي مقابل ذلك يقدم هوميروس صورة رومانسية لطفلة صغيرة تجري وراء أمها وبعينين مغرورقتين بالدموع ترفع يديها إليها لكي ترفعها إلى أحضانها وتأخذها معها أنى ذهبت. وهذه

(٣٧) أحمد عثمان: "الأدب الإغريقي"، ط ٣، ص ٥٥-٥٧.

(٣٨) C. Moulton, "Similes in the Homeric Poems", Hypomnemata XLIX Göttingen 1977.

ونشرت حديثاً بالعربية الدراسة التالية: منيرة كروان، "التشبيهات في الإلياذة بانوراما الحياة والسطاء والطبيعة". مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٦١ عدد (١) (يناير ٢٠٠١) ص ٥١٥-٥٥٩.

الأمر الصغير الجانبية هي التي ترسم الخلفية الرقيقة والشفافة للأحداث الملحمية الضخمة. وبالطبع استخدم هوميروس لغة تتناغم مع كل لون من هذين اللونين في ملحمة - والحياة بصفة عامة - سواء هذا اللون الوديح أو ذلك الفطيع في قناتمه وعنفه. وقد لا نجد في الأدب الإغريقي كله ما يفوق رقة هوميروس شاعر الملاحم والمعارك وهو يصور مشهد الغرام بين زيوس وزوجته هيرا التي أغوته وتقول له (الكتاب الرابع عشر، أبيات ٣٣٠-٣٤٠):

" يا أكثر نسل كرونوس هولاً، أى قول هذا الذى نطقت به !

إذا كنت حقاً تهفو الآن لمضاجعتى هنا، فوق قمة إيدا ؛

فإن كل شىء هنا مكشوف للعيان. ماذا لو أن أحداً من الآلهة الخالدة

رآنا نحن الاثنين مضطجعين، وذهب وفضح الأمر للآلهة جميعاً ؟

حينئذ لن أعود إلى مقرك ثانية

بعد النهوض من مضجعى، سيمنعى الحياء.

لكن إذا كانت بك رغبة ويسعد قلبك أن تشبعها،

فثمة غرفة بناها لك ابنك العزيز

هيفايستوس، وقد ثبتت أبواباً منيعة على قوائمها

فهيا نذهب إلى هناك، ونتحاب، طالما أن العشق بغيتك "

وفى العادة يأخذ هوميروس مادة تشبيهاته من حياة البسطاء، وهو بذلك يخفف من حدة العنف الذى يسود أحداث ملحمتيه. حقا إن بعض تشبيهاته مستمد من الموروث الملحمى القديم، إلا أن الأغلبية - لاسيما التشبيهات الطويلة والمعتى بها - من ابتداعه هو وجاءت لترسم ما يراه حوله. وفيها نجد امرأة تهش الذباب عن طفلها، وأخرى تصبغ قطعة من العاج لتصنع سرجاً للحصان. وفيها نجد الرجال يحصدون الشعير، والصبية يضربون حماراً قد انفلت يجرى أمامهم على غير هدى فى حقول الغلال. وفيها أيضاً نلمح طفلاً يبني قلاعاً فى الرمال، ورجالا يسقطون شجرة من عليائها ليصنعوا من أخشابها ألواحاً للسفن. وها هي امرأة تغزل الصوف وتبيع من غزلها ما تعول به أولادها وتصد عنهم مغبة الفاقة. وينطلق بنا التشبيه الهومرى أحياناً إلى البرارى مع الرعاة الذين هبطوا يصطادون أسداً بليل وفى ضوء المشاعل. وأحياناً أخرى نشعر بالراحة والبهجة مع الأطفال الذين شفى أبوهم

من مرض عضال. وتتابع رجلا يقلب الشواء على النار حتى ينضج. ونتردد مع مسافر يتوقف هنيهة ليتدبر أمره ويفكر في اختيار الطريق الذي سيسلكه بعد هذه الراحة القصيرة ! ونشاهد صانع الفخار يصنع إناءً مستديرًا مستخدمًا العجلة. وقد يصيبنا الهلع لرجل يفرع أشد الفزع ويقفز إلى الخلف من شدة الهول أمام ثعبان يتلوى. وقد نبكى مع والد يبكى بالدموع أمام محرقة ابنه الصغير الذي دفنه توا. هذه أمثلة قليلة من تشبيهات هومرية لا حصر لها متعددة الألوان وتعكس في مجموعها حياة البسطاء. ويستطرد هوميروس أحيانًا في تفاصيل أحد التشبيهات مما قد لا يتطلبه الموقف الملحمي، أو حتى مما قد يتعارض معه كما يبدو في ظاهر الأمر. ولكن هذا الاستطراد نفسه يشي بعمق الإحساس وطول معايشة الشاعر لما يصف. وهكذا تكمل التشبيهات الهومرية الحدث الملحمي، لأنها توحى بأن العالم البطولي ليس كل شيء عند هوميروس. فمعنى هذا العالم الضخم لا يمكن استيعابه إلا إذا قارناه بعالم آخر بسيط ومتواضع للغاية. فالتشبيهات الهومرية إذن وسيلة من وسائل الشاعر لعقد مقارنة بين العالمين. وبعدها يبرز العالم البطولي الملحمي أبقى تأثيرًا وأنقى تصويرًا من ذي قبل. ولنقرأ هذا التشبيه المطول نسبيًا من الكتاب الرابع (أبيات ٤١٩-٤٢٧):

"قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل

اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا

الأمير مرعبًا. فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع

وكما يحدث على شاطئ تتردد منه الأصداء وقد أثارته

عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر

موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذوابة

الموجة، وبعدها يعلو زئيرها وهي تتكسر على الشاطئ، وهي

تعلو كل الصخور الناتئة والمنتشرة على الشاطئ في منحني

قوى وقد قذفتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى

دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب."

ذلك أنه يلزم لهوميروس أن يقدم الموضوع الواحد بعدة صور شعرية سريعة ومتتالية. وعلى سبيل المثال نجد في ٢٢ بيتًا (الكتاب الثاني ٤٥٥-٤٧٦) يورد

خمسة من الصور الشعرية المتتالية. وفي سياق السرد الملحمي تأتي هذه التشبيهات بمثابة التوهج التلقائي لجذوة القص الشعري، أو هي استجابات طبيعية لمتطلبات السرد الملحمي الجذاب.

يقول جيب **Jebb** إن هذه التشبيهات ليست مجرد زخرف، فهي تستخدم لتقديم شيء ما يريد الشاعر أن يكون أكثر تأثيراً مثل نظرة معينة، صوت ما، لحظة من الحدة أو العجب أو الخوف أو الشفقة، وفي كلمة واحدة يقدم شيئاً فريداً. فهذه التشبيهات إذن استجابات من قبل الشاعر الراوي لمطالب تفرضها الرواية الملحمية نفسها ويتطلبها إلحاح الذوق العام لدى مستمعيه^(٣٩).

R.C. Jebb, *Homer: An Introduction to the Iliad and the Odyssey*. Glasgow. (٣٩)
Sixth Edition 1898, pp. 26-7.

قائمة بالتشبيهات الواردة في "الإلياذة".

رقم الأبيات	أركان التشبيه
ك١ (*)	
٤٧	مجىء أبوللون مثل هبوط الليل
١٠٤	عينا أجاممنون مثل الذهب المتأجج
ك٢	
٩٣-٨٧	الجيش المحتشد مثل سرب النحل
١٤٩-١٤٤	إثارة الحشود المجتمعة مثل الريح تعصف بالغالل.
٣٩٧-٣٩٤	صيحات الأرجيين مثل زئير مياه البحر على الشاطئ
٤٨٣-٤٥٥	جمع الحشد مثل تجمع الأوز في المراعى ومثل سحابة من الذباب، وابن أتريوس مثل ثور يقود قطيعًا
ك٣	
١٤-٢	تقدم الطرواديين إلى المعركة مثل طيور الكركى وهم أيضًا مثل الضباب الذى يغطى التل
٣٧-٢١	القتال بين مينيلائوس والكسندروس مثل أسد يلاحقه صائد أو مثل ثعبان يراه مسافر
٦٣-٦٠	صلابة هيكتور مثل بلطة نجار السفن
١٥٢-١٤٨	برياموس ومسئشاروه مثل الجدجد أو صرار الليل
ك٤	
٧٨-٧٥	تهبط أثينة إلى الأرض كما تهوى النجوم
١٣٠، ١٣١	تحمى أثينة مينيلائوس كما تدافع أم عن ابنها
١٤٧-١٤١	يشبه جرح بقطعة عاج لطختها بقعة قرمزية
٢٨٢-٢٧٥	يتقدم الجيش الإغريقى وكأنه عاصفة هوجاء هبت على صفحة البحر
٤٥٦-٤٢٢	يشبه تصادم الإغريق بالطرواديين بتلاطم الأمواج وتداخل تيارات المياه الجارفة، أما صرخات الطرواديين المضطربة فمثل ثغاء الأغنام
٤٨٩-٤٨٢	يشبه سقوط محارب بسقوط شجرة

أركان التشبيه	رقم الأبيات
	ك ٥
ألمعية ديوميديس الإلهية مثل النجم البازغ	٨-٤
تشبه هجمة ديوميديس بتيار جارف هيجته العاصفة	٩٤-٨٥
تشبه غضبة ديوميديس الجنوبية بهجوم أسد على قطيع من الأغنام	١٤٣-١٣١
يثير الجيش الأخرى المنقدم الغبار كما تذر الرياح القش	١٦٤-١٦١
المحاربون الواقفون يشبهون السحب فوق قمة الجبل	٥٠٥-٤٩٩
يسقط الضحايا بسلاح آينياس كما يسقط الأسود بضربات الصيادين	٥٢٧-٥٢٢
يتراجع ديوميديس أمام آريس مثلما يتراجع المسافر أمام نهر فياض	٥٦٣-٥٥٤
نقاس قفزة خيول هيرا كما يقاس الأفق	٦٠٠-٥٩٦
يصعد آريس إلى السماء في سحابة سوداء مثل ارتفاع الأمواج أمام عاصفة هوجاء	٧٧٢-٧٦٧
يجف الجرح بسرعة ويندمل كما تخثر الإنفحة اللبن	٨٦٧-٨٦٤
	ك ٦
حياة البشر مثل أوراق الشجر	١٤٩-١٤٦
يشبه دخول باريس إلى المعركة بانطلاق حصان إلى الوادي بعد أن تغذى جيدًا في الحظيرة	٥١٤-٥٠٣
	ك ٧
جاء دخول هيكتور وباريس إلى المعركة بالنسبة للطرواديين مثل هبوب ريح مواتية للسفن والبحارة	٧-١
يشاهد الآلهة والبشر المعركة فالآلهة مثل النور والبشر مثل الرياح الغربية زيفيروس تهيج صفحة المحيط	٦٦-٥٤
	ك ٨
يضغط هيكتور على الأخيين كما يطارد كلب الصيد حيوانًا مفترسًا	٣٤٢-٣٣٦
تشبه المشاعل الموقدة للمنتصرين بالنجوم في ليلة ذات سماء صافية	٥٦١-٥٥٣

رقم الأبيات	أركان التشبيه
ك ٩ ١٦-١	يشبه الآخيون في حزنهم بالأمواج التي تضربها الرياح، أما دموع أجاممنون فهي كالمياه المتدفقة على صخرة
ك ١٠ ١٠-١ ١٨٨-١٨١ ٣٦٤-٣٥٨	تتردد أنات أجاممنون مثل ومضات البرق يشبه القادة الإغريق في يقظتهم بكلاب الحراسة حول قطع يشبه الذين يلاحقون دولون بكلاب الصيد تطارد فريستها
ك ١١ ٧٣-٦٢ ١٢١-١١٣ ١٥٩-١٥٥ ١٧٨-١٧٢ ٢٩٨-٢٩٢ ٣٠٩-٣٠٤ ٣٢٦-٣٢٤ ٤٢٠-٤١١ ٤٨٦-٤٧٣ ٤٩٧-٤٩٢ ٥٦٥-٥٤٤	يشبه هيكتور بالنجم سيربوس (الشعري اليمانية)، أما المتحاربون فهم كالحاصدين في حقل الحصاد يقتل ولدا برياموس على أيدي العدو كما يقتل أسد الأيلة يتقدم أجاممنون مثلما تلتهم النار غابة يشنت أجاممنون شمل الطرواديين كما يمزق الأسد فريسته يشبه هيكتور بحيوان مفترس، أما اندلاع المعركة فمثل انطلاق العاصفة يفر الأعداء أمام هيكتور مثلما تسوق الرياح الغربية الغيوم يشبه أوديسيوس وديوميديس بحيوانين مفترسين في غار يشبه أوديسيوس بدب وحشى يحيط به الصيادون وكلابهم يلحق الطرواديون أوديسيوس كما يلاحق ابن آوى غزالاً، أما أياس الذي أسرع لنجدته فمثل الأسد الذي فر أمامه ابن آوى قوة آينياس مثل قوة مجرى مائى ينحدر من فوق الجبل يتراجع أياس ببطء أمام العدو مثل أسد أرغمه المزارعون على الانسحاب أو مثل حمار عنيد أراد الصبية أن يبعده عن حقل الغلال
ك ١٢ ٥٠-٤١	هيكتور مقتحماً الخندق الإغريقي مثل أسد يتدافع حوله الصيادون وكلابهم

أركان التشبيه	رقم الأبيات
حراس البوابة مثل أشجار البلوط غائرة الجذور	١٣٦-١٣١
المحاربان عند البوابة مثل دب مندفع وتتساقط القذائف من الجانب الإغريقي والطرودي مثل عاصفة تلجية. ويشبه الأبطال الآخيون بالنحل المدافع عن خليته	١٧٢-١٤٥
تساقط القذائف مثل تساقط الثلج في يوم بلا رياح	٢٨٧-٢٧٨
يهاجم ساربيدون الحائط الإغريقي كما يهاجم أسد جائع مزرعة	٣٠٨-٢٩٨
التحصينات التي تفصل بين طرفي القتال مثل حائط يفصل جارين متنازعين، ويقف الآخيون مثل امرأة ماهرة تمسك بالميزان	٤٣٦-٤٢١
	ك ١٣
يشبه رحيل بوسيدون بانقضاء الصقر على فريسته	٦٥-٦٢
يشبه فرار الطرواديين بهروب الغزلان أمام الحيوانات المفترسة	١٠٦-٩٩
يشبه تصدى الإغريق لهجوم هيكتور بجلمود صخر يتدحرج على النل ويستقر على سطح الوادي	١٤٦-١٣٦
يشبه سقوط إمبريوس بسقوط شجرة البلوط الجبلية إذ قطعها جامع الأخشاب	١٨١-١٧٨
حمل الثنائي آياس جثمان إمبريوس كما يحمل أسدان عنزة	٢٠٢-١٩٨
يسرع إيدومينيوس لتقديم النجدة كأنه وميض البرق الذي يرسله زيوس من فوق الأوليمبوس	٢٤٥-٢٤١
يتسلح ميريونيس وإيدومينيوس للمعركة كأنهما آريس وابنه فوبوس (الخوف)	٣٠٥-٢٩٨
التقاء الطرواديين والإغريق مثل التقاء سحابتين من الغبار المثار	٣٣٧-٣٣٤
سقوط آسيوس الضخم مثل سقوط شجرة باسقة على تل وقد قطعها نجار السفن	٣٩٢-٣٨٩
يترقب إيدومينيوس قدوم آينياس كما يترقب الدب الوحشي الصيادين وكلابهم	٤٧٧-٤٧٠
يقود آينياس شعبه كما يقود الكباش قطيعاً إلى نبع الماء	٤٩٥-٤٩١

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يشبه صراع أداماس مع الموت بمقاومة ثور صغير للرعاة الذين شددوا القبضة عليه	٥٧٣-٥٧٠
يشبه بريق السهم فى أسلحة مينيلائوس ببريق القش الذى تذروه المدراة	٥٩٢-٥٨٨
يشبه الثنائى أياس فى تحركهما عبر الحشد دون تذبذب بثورين	٧٠٨-٧٠١
يجران سهم المحراث فى أرض مراحة	
تشبه الهجمة الطروادية بانطلاقه العاصفة الرعدية التى تجتاح البر والبحر	٨٠١-٧٩٥
	ك ١٤
عقل نيسطور يتردد بين خطتين مثل مياه البحر تظل ساكنة حتى تهب الريح فتحركها وفق هواها	٢١-١٦
إله النوم هيبنوس يجثم على شجرة مثل بومة ليلية	٢٩١-٢٨٦
صخب المعركة بين الجيشين مثل تلاطم الموج على الشاطئ	٤٠١-٣٩٣
ومثل زئير غابة تحترق ومثل صفير الريح بين الأشجار	
يشبه هيكتور الذى ضرب بحجر فوقه على الأرض بشجرة بلوط اقتلعت من جذورها ببلطة زيوس نفسه	٤١٨-٤١٤
	ك ١٥
تسرع هيرا من إيدا إلى الأوليمبوس فتشبه فى سرعتها بوجع الحنين يطراً على قلب المسافر العائد	٨٣-٨٠
تسرع إيريس لتبلغ رسالة زيوس فتشبه بقطع الثلج الطائرة فى هواء ثلجى	١٧٢-١٦٨
يهبط أبوللون من إيدا كصقر ينقض على فريسته	٢٣٨-٢٣٦
يفزع الإغريق لظهور هيكتور المفاجيء كما يفزع الصيادون عند ظهور الأسد فجأة	٢٨٠-٢٧١
يرعب أبوللون الإغريق ويبعثرهم كما تتبعثر الأغنام عندما تباغتها الحيوانات المفترسة ليلاً	٣٢٧-٣٢٣

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٣٦٦-٣٦١	يدمر أبوللون الحائط الإغريقي كما يدمر طفل قصرًا كان قد بناه من الرمل على شاطئ البحر
٣٨٤-٣٨٢	يتدفق الطرواديون على الحائط الإغريقي كما تتدفق الأمواج على جانب السفينة
٤١٣-٤١٠	معركة متوازية ومتساوية بين الطرفين تشبه بقطعة من الخشب سواها النجار
٥٨٩-٥٧٩	تشبيه مزدوج ففي الجزء الأول يشبه أنتيلوخوس وهو ينقض على ميلانيبوس بكلب شرس ينقض على ظبي. وفي الجزء الثاني يشبه أنتيلوخوس المسرع تجنبًا لهيكتور بحيوان مفترس بعد أن قتل ضحيته وفر اتقاء للملاحقة
٦٠٦-٦٠٥	تشبه غضبة هيكتور بغضبة إله الحرب آريس أو بنار تلتهم أجمة على جنب التل
٦٣٨-٦١٧	مجموعة تشبيهات متتالية: هجمة هيكتور على الإغريق تشبه بزبد البحر المرتد من ظهر صخرة، وتشبه كذلك بموجة عارمة تضرب سفينة في عاصفة، ثم تشبه بهجمة أسد على قطيع من الأغنام تهرب جميعًا فيما عدا ما قدر لها أن تقع ضحية
٦٩٣-٦٧٩	يقفز أياس على ظهر السفن الإغريقية كلاعب أكروبات ماهر يقفز من ظهر جواد إلى آخر (*)
ك١٦ ١١-٢	يؤنب أخيليوس باتروكلوس لأنه يبكي مثل طفلة صغيرة تجرى بجوار أمها ناظرة إلى أعلى بعينين مغرورتين بالدموع لكي ترفعها أمها بين ذراعيها وتأخذها معها أنى ذهبت
١٦٦-١٥٦	تجمع الميرميدونيين مثل تجمع الذئاب، بعد قتل غزاة، حول نبع مائي لكي تروى ظمأها
٢١٤-٢١١	تماسك حشود الميرميدونيين وكثافتها مثل حائط متين البنيان
٢٦٧-٢٥٩	تدافع الميرميدونيين من سفنهم مثل الزنابير التي انطلقت من أوكارها عندما استفزها أحد الصبية

(*) من المدهش أنه تم العثور على رسم جداري يعود لحضارة كريت المينوية ويصور مشهدًا مماثلًا.

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يشبه انفلات الإغريق من الطرواديين فجأة بانبلاج الضوء بين السحب	٣٠٢-٢٩٧
يهاجم قادة الإغريق الطرواديين كما تهاجم الذئاب قطعان الأغنام التي لا حارس عليها	٣٥٧-٣٥٢
يطرد الطرواديون من السفن كما يطرد الضباب من فوق جبل	٣٦٦-٣٦٤
يندفع الطرواديون في اضطراب وخوف كما يضطرب الماء المنجرف من فوق جبل إلى البحر	٣٩٣-٣٨٤
يجر باتروكلوس ثيستور من فوق عربته كما يسحب الصياد سمكة من البحر	٤٠٩-٤٠٦
يهجم ساربيدون وباتروكلوس على كل منهما الآخر بصيحات مدوية وكأنهما صقران	٤٣٠-٤٢٨
تشبيه مزدوج حيث يشبه موت ساربيدون بسقوط شجرة قطعها جامع الأخشاب، ويشبه كذلك بسقوط ثور هاجمه أسد	٤٩١-٤٨٢
يندفع باتروكلوس إلى الأمام وكأنه صقر يهاجم سرباً من الطيور	٥٨٣-٥٨٢
يولى الطرواديون الأدبار أمام الإغريق وكأنهم سهم مقذوف	٥٩٢-٥٨٩
النزاع بين المتحاربين على جثة ساربيدون مثل النزاع بين قاطعي الأخشاب في غابة	٦٤٤-٦٣٣
يتصارع هيكتور وباتروكلوس على جثة كيريونيس كما يتصارع أسدان على جثة غزالة	٧٧١-٧٥١
يسقط باتروكلوس مقتولاً على يد هيكتور كما يسقط حيوان مفترس هاجمه أسد	٨٢٨-٨٢٣
	ك ١٧
يدافع مينيلأوس عن جثة باتروكلوس كما تدافع بقرة عن وليدها	٦-٤
يشبه سقوط يوفوريوس بسقوط شجرة زيتون أطاحت بها الرياح العاصفة وبتور مزقه أسد وحشى	٦٩-٥٣
ينسحب مينيلأوس أمام هيكتور مثل أسد يلاحقه الصيادون وكلابهم	١١٣-١٠٦

رقم الأبيات	أركان التشبيه
١٣٧-١٣٢	يحمى أياس جثة باتروكلوس كما يحمى الأسد أشباله
٢٦٦-٢٦٣	يشبه الصباح المواكب للهجمة الطروادية بزئير أمواج النهر في تدافعها إلى البحر عند المصب
٢٨٥-٢٨١	يمزق أياس صفوف الطرواديين كما يمزق دب وحشى شمل جماعة الصيادين
٣٩٥-٣٨٩	يشبه الصراع بين الفريقين المتحاربين على جثة باتروكلوس بشد جلد الثور بين فريقين متنازعين
٤٣٧-٤٣٤	تحزن خيول أخيليوس على موت باتروكلوس فتقف ساكنة وكأنها عمود أقيم فوق مقبرة
٥٢٣-٥٢٠	يسقط أريتوس ميتاً كما يسقط ثور بضربة من فأس الجزار
٥٥٢-٥٤٧	تتشح أثينة بضباب أسود كما يتشح قوس قزح بسحابة قرمزية
٥٧٣-٥٦٩	الشجاعة التي بثتها أثينة في مينيلأوس تشبه جسارة ذبابة عنود
٦٦٦-٦٥٦	يتراجع مينيلأوس كرها كأسد أنهك بعد تكرار هجمات الصيادين والكلاب عليه
٦٨١-٦٧٣	يبحث مينيلأوس عن أنتيلوخوس بنظرات ثاقبة كصقر يبحث عن فريسته
٧٥٩-٧٢٢	مجموعة صور شعرية متتالية: يرفع الثنائى أياس جثة باتروكلوس ويبتعدان بها فيهما جمهما الطرواديون وكانهم كلاب صيد تطارد دباً جريحاً. ثم تشبه هجمة الطرواديين بالنيران التي اندلعت فجأة في مدينة مكتظة بالسكان. ومن جهة أخرى يشبه حاملو جثمان باتروكلوس ببغال تجر حملاً ثقيلاً في طريق جبلى وعر. أما أياس السدى يصد المهاجمين فهو كالصخرة التي تحول مجرى مياه جارفة. أما هجمة آينياس وهيكتور على الإغريق فمثل هجمة الحدأة على صغار الطير
ك ١٨	لا يمكن الهجوم على هيكتور، فهو كالأسد لا يمكن للرعاة أن يصدوه عن أغنامهم
١٦٤-١٦١	

أركان التشبيه	رقم الأبيات
يشبه البريق الصادر من فوق رأس أخيليوس بالشعلة من تحت الدخان المنبعث من مدينة محاصرة	٢١٤-٢٠٥
صيحة أخيليوس فوق الخندق مثل صوت البوق	٢٢١-٢١٩
حزن أخيليوس على فقدان باتروكلوس مثل حزن أسد عاد إلى عرينه فلم يجد أشباله فتيقن من اختطافها	٣٢٣-٣١٨
تشبه دائرة الرقص بعجلة صانع الفخار	٦٠١-٥٩٩
	ك ١٩
يشبه هبوط أثينة من السماء بهبوط نسر من أجواز الفضاء	٣٥١-٣٤٩
يشبه بريق خوذات المحاربين ببريق قطع الثلج الهابط من السماء	٣٦٣-٣٥٧
يشبه البريق المنبعث من درع أخيليوس بنار مشتعلة فوق الجبل	٣٧٩-٣٧٣
	ك ٢٠
تشبه الحالة النفسية لأخيليوس وهو يتأهب لملاقاة آينياس بالأسد الذي يستنفر قواه لملاقاة الأعداء	١٧٥-١٦٤
يشبه زئير هيبوداماس وهو يحتضر بخوار الثور على المذبح	٤٠٦-٤٠٣
تشبيه مزدوج فأخيليوس يشبه نارًا تلتهم غابة، أما خيوله التي تدوس الموتى فهي كالثيران التي تدرس الغلال	٤٩٩-٤٩٠
	ك ٢١
يطرد الطرواديون إلى النهر كما يطرد الجراد	١٦-١٢
يهرب الطرواديون أمام أخيليوس كما يهرب السمك أمام الدولفين	٢٦-٢٢
يفر أخيليوس أمام إله النهر الذي يطارده بإصرار كما تفر المياه في مجراها أثناء الري	٢٦٤-٢٥١
يجفف هيفايستوس إله النار الوادي كما تجفف الرياح الشمالية الكرمة أثناء الخريف	٣٤٨-٣٤٦
تغلى مياه النهر سكاماندروس كما تغلى المياه في مرجل	٣٦٥-٣٦٢
تفر أرتميس من هيرا كما تفر حمامة من حداة تطاردها	٤٩٦-٤٩٣

أركان التشبيه	رقم الأبيات
الأسى الذى يسببه أخيليوس للطرواديين يشبه الدخان الذى ينبعث من مدينة محكوم عليها بالفناء	٥٢٥-٥٢٢
تشبه شجاعة أجينور شجاعة النمر الذى يستدير لمواجهة ملاحقه	٥٨٠-٥٧٣
	ك ٢٢
يشاهد برياموس من فوق أسوار طروادة أخيليوس (وهو يطارده ابنه هيكتور) فيلمع سلاحه مثل نجم أوريون (الكلب)	٣٢-٢١
ينتظر هيكتور هجمة أخيليوس عليه كما ينتظر ثعبان وحشى عند مدخل جحره رجلا يهاجمه	٩٧-٩٣
يلمع سلاح أخيليوس فوق هيكتور كشعلة النار أو كإشراقة الشمس، ويجهز أخيليوس على عدوه كما ينقض الصقر على حمامة	١٤٤-١٣١
السباق حول المدينة بين هيكتور الفار أمام ملاحقة أخيليوس مثل سباق الخيول فى سباق العربات	١٦٦-١٥٧
لا زالت الملاحقة حول أسوار طروادة مستمرة فيشبه هيكتور بظبي صغير يلاحقه كلب ضارى، ثم يتبع ذلك تشبيه مأخوذ من حلم، حيث لا يستطيع الحالم أن يتبين ملاحم من يجرى أمامه	٢٠١-١٨٩
يشهر هيكتور سيفه ويهجم على أخيليوس مثل صقر يهجم على ظبي صغير	٣١١-٣٠٨
يشبه سهم أخيليوس المشهر بنجم المساء فى زهوته	٣٢٠-٣١٧
	ك ٢٣
يشبه بكاء أخيليوس على موت باتروكلوس ببكاء أب فقد ابنه	٢٢٥-٢٢٢
يسبق أنتيلوخوس مينيلأوس بقدر ما يسبق القرص من قذفه	٤٣٣-٤٣١
يقترّب مينيلأوس من أنتيلوخوس بقدر ما تقترب عجلة العربة من ذيل الحصان	٥٢٢-٥١٧
يذوب غضب مينيلأوس كما تذوب قطرات الندى	٦٠٠-٥٩٦
يقذف بيوريالوس كما تقذف الريح بسمكة على الشاطئ	٦٩٤-٦٩٢

رقم الأبيات	أركان التشبيه
٧١٣-٧١١	يشبه مصارعان بعارضتين خشبيتين تستند كل منهما على الأخرى
٧٦٣-٧٥٩	يلحق أوديسيوس منافسه في الجرى كما تمسك امرأة مغزلها بالقرب من صدرها
٨٤٧-٨٤٤	يقذف بوليبيوتيس كتلة الحديد (القرص) كما يهوى الراعى بعصاه على أغنامه.
ك ٢٤	
٤٤-٤١	يشبه اندفاع أخيلئوس باندفاع أسد ضارى
٨٢-٧٧	يشبه غوص إيريس فى أعماق البحر بغوص شخصية مثقلة بالرصاص فى الماء
٤٨٣-٤٨٠	ينظر أخيلئوس باحترام وعطف إلى برياموس كما لو كان لاجئاً جريحاً من بلد أجنبى

تبدو بعض هذه التشبيهات وكأنها "جاهزة" وليست وليدة اللحظة، فهي مأخوذة من المخزون التقليدى الموروث. خذ على ذلك مثلاً بأكثر التشبيهات شيوعاً ونعنى الأسد. فليس من الضرورى أن يرى شاعر أو منشد "الإلياذة" أسداً، ولكنه عرف من الموروث الشفوى ماذا يفعل الأسد الجوعان أو الشبعان، وماذا يفعل عندما يهاجم الحظيرة أو يعود منها، وما رد فعله عندما يجرح أو عندما ينتصر. كلها تشبيهات جميلة وحية ولكنها تبدو مثل قطع الغيار الجاهزة، والتي يمكن أحياناً إساءة تركيبها أو وضعها فى مكان غير ملائم^(٤٠).

وتتكرر التشبيهات فى "الإلياذة" كما تتكرر الصفات^(٤١). ويتميز هوميروس بتكرار العبارات الملحمية المألوفة والموروثة التى - مع ذلك - تخلق انطباعاً بالأصالة والواقعية. فكما أن تكرار هذه العبارات والحوادث هو نتاج طبيعى لتراكم

(٤٠) Murray, The Rise of the Greek Epic, p. 245-9.

(٤١) عن تكرار الصفات وارتباط ذلك بالتقنية الشفوية راجع:

Paolo Vivante, The Epithets in Homer: A Study in Poetic Values. New Haven: Yale University Press 1982.

وقارن أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٤١-١٠٢.

الرواية الشفوية^(٤٢)، فإنه عند هوميروس بصفة عامة يعمل على طبع هذه الحوادث والعبارات في ذهن الراوى والسامع معاً. يورد الشاعر تفاصيل كثيرة ودقيقة توحى بأن الشاعر كما لو كان يشاهد أحداثاً فعلية ومناظر طبيعية ويصفها لنا بدقة متناهية على سبيل المثال: زينة الخيول، وسلاح المحاربين، وأحداث المعارك، وسقوط الأبطال بدءاً بجراحهم وحتى انتقالهم للعالم الآخر. كما يتسم الأسلوب الملحمى النمطى عند هوميروس بالحيادية، أى أنه يترك الجمهور يحس بنفسه ولنفسه. وهذا أسلوب يدفع هذا الجمهور إلى تركيز الانتباه فى كل صغيرة وكبيرة مما يروى عليه. وهناك تشبيهات حيرت النقاد مثل ذلك التشبيه فى الكتاب الثالث عشر بيت ٧٥٤ حيث يشبه هيكتور بطل المقاومة الطروادية وقائد الهجوم على السفن الإغريقية وحرقتها بأنه مثل الجبل الثلجى ! فحتى لو قلنا إنما هى إشارة للتدهور أو التدهور الجبلى المفاجىء والمدمر يظل التشبيه غريباً.

وجدير بالذكر أن التشبيهات فى "الإلياذة" ليست سوى جزء يسير من كل أكبر، ونعنى لغة المجاز بصفة عامة. إذ تكتسب لغة المجاز فى "الإلياذة" أبعاداً أوسع وأعمق بفضل الأسطورة التى تدخل فى نسيج الملحمة شكلاً ومضموناً. إذ نجد الأشياء مثل الأحياء تتحرك وتتفاعل مع الأحداث وتؤثر فيها. ومن ثم تأتى التشبيهات فى هذا الخضم المجازى والأسطورى متناغمة مع الجو العام. فمن الملاحظ على سبيل المثال أن الكثيرين من أبطال "الإلياذة" عندما يتحدثون يطلقون "كلمات مجنحة" *epea pteroenta* (الكتاب الأول ٢٠١، الكتاب الثالث ١٥٥، الرابع ٦٩ إلخ) وكذلك توصف السهام بأنها مجنحة (الكتاب الرابع ١١٧) فالكلمات مثل السهام فى "الإلياذة" باعتبارها أداة من أدوات الحرب الطروادية^(٤٣).

W.C. Scott, *The Oral Nature of the Homeric Simile*. Leiden 1974. (٤٢)

للمزيد عن التشبيهات ولغة المجاز فى "الإلياذة" راجع: (٤٣)

Claude Calame, *op. cit.*, pp. 245-73.

George Calhoun, "The Art of the Formula in Homer - EIEA IITEPOENTA"
Ph. 30, (1935) pp. 215-27.

M.W. Edwards, *Homer and Oral Tradition: The Type Scene*. *Oral Tradition* 7
(1992), pp. 284-330.

R. Finnegan, *Oral Poetry*. Cambridge, 1977.

وعن تأثير التشبيهات الهومرية فى الآداب الأوروبية راجع:

G. Highet, *The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature*. Oxford at the Clarendon Press 1949, pp. 155 f.

سادسا: وحدة الحدث الملحمي

قبل فقهاء الإسكندرية - لاسيما زينودوتوس وأريستارخوس - بعض الأبيات في "الإلياذة"، ورفضوا البعض الآخر على أساس أنها منتحلة. ووصلتنا الآلاف من الأبيات من "الإلياذة" الهومرية على أوراق البردي. وهناك نقول لا حصر لها في الأعمال الأدبية الإغريقية واللاتينية. ولازالت هناك فجوات كثيرة ومشكلات عويصة في بنية النص وقواعده النحوية، ومشكلات أكثر بالنسبة للوزن السداسي التي نظمت فيه. ولكن على القارئ أن ينسى كل تلك المشكلات وهو يقرأ الترجمة التي نقدم لها. وعليه أن ينسى أيضا المشكلة الهومرية بكل تفاصيلها.

هناك بعض المثالب في "الإلياذة"، أولها الموضوع أي غضبة أخيليوس كما سبق أن ألمحنا، فهي لا توفر مادة شعرية ملحمية. وما وجه الملحمية في أخيليوس العبوس مقطب الجبين في خيمته بعيدا عن ميدان المعركة؟ وشخصية أخيليوس بصفة عامة ليست تلك الشخصية التي تكسب تعاطفنا دون تحفظ. حقا إنه بليغ في خطابه، يثير الإعجاب بشجاعته وقوته التي لا تقهر وسرعة قدميه، ولكن معظم القراء في الأغلب لن تجذبهم كبريائه القاسية وعنفه الوحشي وذاتيته المفرطة وعدم خضوعه لعاطفة الحب، يستثنى من ذلك حزنه العميق على موت صديقه الحبيب باتروكلوس، واستقباله الودود لبرياموس.

وفي "الإلياذة" توجد بعض التناقضات وبعض نقاط الضعف، فمثلا الحائط الإغريقي قيل لنا في نهاية الكتاب الثالث عشر إنه بنى في السنة العاشرة من الحرب، ولكن يرد في الكتاب نفسه بيت ٣١ أنه بنى في بداية الحرب. ويقال في الكتاب الثاني عشر بيت ١٠-٣٣ إنه لا يزال صامداً وإنه ظل كذلك حتى نهاية الحرب وحتى غمره الفيضان. وعلى النقيض من ذلك يرد في الكتاب الخامس عشر بيت ٣٦١ قبل موت باتروكلوس أن أبوللون اجتاحه، ودمره كما يدمر طفل قلعة من الرمال بناها على الشاطئ. ودمرت أبراجه في الكتاب الثاني عشر بيت ٣٩٩. ويرد كذلك أن البطل هيكتور كان أول من اجتاحه، ويرد نفس المعنى بالنسبة لساربيدون وبنفس الكلمات (قارن الكتاب الثاني عشر ٤٣٨ و الثالث عشر ٥٥٨).

ويهاجم الطرواديون هذا الحائط في طريقهم إلى السفن الإغريقية، أما في انسحابهم المضطرب فلا وجود لهذا الحائط. ويبدو الأمر كما لو أن الرواية الشفوية المتداولة كانت تتضمن عدة اختيارات، وكان المنشد الملحمي يختار منها ما يشاء أو ما يتوارد على ذهنه، أي أن هذا التناقض يندرج تحت تجليات الرواية الشفوية.

تبلغ "الإلياذة" في طبعة أكسفورد ١٥٦٩٣ بيتاً بالوزن السداسي، تتوزع على الكتب الأربعة والعشرين على النحو التالي:

الأول	٦١١	التاسع	٧١٣	السابع عشر	٧٦١
الثاني	٨٧٧	العاشر	٥٧٩	الثامن عشر	٦١٧
الثالث	٤٦١	الحادي عشر	٨٤٨	التاسع عشر	٤٢٤
الرابع	٥٤٤	الثاني عشر	٤٧١	العشرون	٥٠٣
الخامس	٩٠٩	الثالث عشر	٨٣٧	الحادي والعشرون	٦١١
السادس	٥٢٩	الرابع عشر	٥٢٢	الثاني والعشرون	٥١٥
السابع	٤٨٢	الخامس عشر	٧٤٦	الثالث والعشرون	٨٩٧
الثامن	٥٦٥	السادس عشر	٨٦٧	الرابع والعشرون	٨٠٤

ونلاحظ أن الكتاب الأول: بسيط وطبيعي وينقسم إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول ١-٤٣٠ عن الحرب وأسبابها. الجزء الثاني ٤٣٠-٤٩٢ فاصل زمني تتم في أثناءه عودة خريستيس إلى منزلها. الجزء الثالث ٤٩٣-٦١١ تشاور بين الآلهة.

تبدأ الأحداث الملحمية "للإلياذة" في السنة العاشرة من حصار الإغريق لطرودة. يرسل أبوللون الطاعون على الإغريق استجابة لدعوة من كاهنه خريستيس، الذي أخذت ابنته خريستيس سبية على يد أجامنون ملك موكيناى. ولدرء هذا الطاعون كان على أجامنون أن يردّها لأبيها، ففعل. ولكنه عوضاً عنها أخذ محظية أخيلئوس وهي بريستيس. وكان أخيلئوس على وشك أن يهاجم أجامنون، لولا أن تدخلت أثينة وكبحت جماح غضبه، فاعتزل الحرب وعكف في خيمته. ووعد زيوس أمه الإلهة ثيتيس أن المصائب ستحيق بالإغريق بسبب الحيف في معاملة ابنها بطل الأبطال. وأعطى الإسكندريون للكتاب الأول عنوان: "الطاعون Loimos" و "الغضبة Menis".

ويقع الكتاب الثاني في جزئين رئيسيين: الأول ١-٥٤٥ تفقد الجيش الآخى، والجزء الثاني ٤٥٥-٨٧٧ قائمة السفن. إذ يرسل زيوس حلماً إلى أجاممنون ليقتعه بقيادة الجيش إلى المعركة. ويمر أجاممنون بالفعل على القادة والجنود ويستحثهم على القتال، وعقد اجتماعاً للأمرء ثم للحشد كله وقص عليهم حلمه. ولكن ظهر أن هناك ميلاً عاماً لفك الحصار حول طروادة والعودة للوطن. ويفلح أوديسيوس واسع الحيلة في تغيير الدفة ويوقع عقاباً مريراً على ثيرسيتيس، الذى تجاسر على الملك أجاممنون. ويستمع الجميع لنصائح الملك الهرم والحكيم المحنك نيستور ويستعد الجميع للنزال. وفى هذا الكتاب يرد ما تعارف على تسميته "قائمة السفن" *Katalogos ton neon* (أبيات ٤٥٥-٨٧٧) وهو الجزء الذى يعتبره بعض النقاد دخيلاً أو مقحماً على "الإلياذة". وأعطى السكندريون للكتاب الثانى عنوان: "الحلم *Oneiros*" و "بويوتيا أو قائمة السفن *Boiotia e Katalogos ton neon*".

ويثير الكثير من النقاد الشكوك حول "قائمة السفن" وهناك من يحذفها باعتبارها منتحلة مع مالها من تأثير ضخم فى الأجيال التالية من الشعراء. إذ نشأ ما يمكن أن نسميه أدب القوائم حيث تنسب لهيسودوس قصيدة "قائمة النساء" على سبيل المثال وعرفت لأرسطو عدة قوائم منها قائمة بالعروض المسرحية الأثينية (*didaskaliai*) وهناك قائمة الفائزين المنتصرين فى الألعاب الأولمبية وغيرها الكثير، ثم ازدهرت القوائم فى العصر الهيلينستى وفى الأدب السكندرى^(٤٤).

(٤٤) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ١٢٧ وفى أماكن أخرى متفرقة.

قائمة السفن المحاصرة لطرودة وعددها ١١٨٦

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
٥٠	بينايوس، ليئيوس، أركيسيلوس، بروثونور، كلونيوس	البويوتيون (٢٩ مدينة): هيريا، أوليس، سخوينوس، سكولوس، إيتيونوس، ثيسيا، جرايا، ميكاليسوس، هارما، إيليسيون، إريثراي، إيليون، هولي، بيتيون، أوكاليا، ميديون، كوباي، ايوتريسيس، ثيسبي، كورونيا، هاليارتوس، بلاتايا، جليساس، هيبوثيبي، أونخستوس، أرني، ميديا (Midea)، نيسا، أنثيدون
٣٠	أسكالافوس، يالمينوس	ميثيوس، أورخومينوس، أسبليدون
٤٠	سندوس، إبيستروفوس	الفوكيون: كيبارسوس، بيتون، أنيموريا، كريسا، داوليس، بانوبيوس، ليلايا، هيامبوليس
٤٠	أياس بن أويليوس	اللوكريون: كينوس، أوبوئيس، كالياروس، بيسا، سكارفي، أوجياي، تارفي، ثرويتون
٤٠	إيفينور	الأباتيون (في يويويا): خالكيس، إيريتريا، هستيايا، كيرينثوس، ديون، كارستوس، ستيرا
٥٠	مينيسثوس	الأثينيون: أثينا
١٢	أياس بن تيلامون	أهل سلاميس: سلاميس
٨٠	ديوميديس، سثينيلوس، يوربالوس	الأرجيون: أرجوس، تيرتس، هرميون، أسيني، ترويزن، إيونيس، إبيداوروس، أيجينا، ماسيس

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
١٠٠	أجاممنون	الموكينيون: موكتاي، كورنثة، كليوتاي، أورنياي، أرايثريا، سيكيون، هبيريسيا، جونوايسا، بيليني، أيجيون، إيجيالوس، إلكي
٦٠	مينيلاؤس	اللاكيدايمونيون (الإسبرطيون): فارس، اسبرطة، ميستي، بريسياس، أوجياني، أميكلاني، هيلوس، لاس، أويتيلوس
٩٠	نيستور	أهل بيلوس: بيلوس، أريني، تريون، أبيي، كيبارسيس، أمفيجينيا، بتيلوس، هيلوس، دوريون
٦٠	أجابينور	الأركاديون: فينوس، أورخومينوس، ريبى، ستراتيا، إنيسبي، تيجيا، مانتييا، ستيمفالوس، باراسيا
٤٠	أمفيماخوس، ثالبيوس، ديوريس، بوليكسينوس	الإيبيون (إيليس): بوبراسيون، إيليس، هيرميني، ميرسينوس، أولينا بيترا، أليسيون
٤٠	ميجيس	الدولخيون: دولخيون، إخياني
١٢	أوديسيوس	الكيفالينيون: إيثاكي، نيريتوس، كروكييا، أيجياليس، زاكينثوس، ساموس
٤٠	ثواس	الأيوليون: بليورون، أولينوس، بيليني، خالكيس، كاليدون
٨٠	إيدومينوس، ميريونيس	الكريتيون: كنوسوس، جوريس، ليكتوس، ميليتوس، ليكاستوس، فايستوس، ريتيون
٩	تليبوليموس	الرودييون (الروديون): رودس، ليندوس، إيليسوس، كاميروس

عدد السفن	القادة	السلالة والموطن
٣	نيريوس Nireus	السيميون Symioi: سيمى
٣٠	فيديبوس، أنتيفوس	أهل الجزر الاثني عشر Dodekanesioi: نيسيروس، كراباثوس، كاسوس، كوس، جزر كاليدناى
٥٠	أخيلوس	الميرميدونيون: أرجوس البلاسية، هالوس، ألوبي، تريخيس
٤٠	بروتيسيلأوس	فيلاكى، بيراسوس، إيتون، أنترون، بتيلوس
١١	يوميلوس	فيراي، بويبي، جلافيراي، ياولكوس
٧	فيلوكتيتيس (ميدون)	ميثونى، ثوماكيا، ميليبيوا، أوليزون
٣٠	ماخاؤن، بوداليريوس	تريكى، إيثومى، أويخاليا
٤٠	يوريبيلوس	أورمينيون، هيريياكرينى، أستيريون، تيتانوس
٤٠	بوليبويتيس، ليونتوس	أرجيسا، جيرتونى، أورثى، إيلونى، أولوؤسون
٢٢	جونوس	الإينيون Enienes = البيرايبون Perraiboi: كيفوس، دودونى، منطقة تيتاريسيون
٤٠	بروثوس	الماجنيون: بيلون، منطقة بينون

ومن الملاحظ لأول وهلة فى هذه القائمة أنها تشمل كافة أنحاء بلاد الإغريق مما أيد شكوك البعض، حيث قالوا إنها من وضع الأجيال المتتالية حيث حاولت كل سلالة أن تضيف اسمها إلى هذه القائمة. وهل هى حرب "قومية" ضد "قومية" أخرى؟ وهل كان الإغريق آنذاك ينظمون فى قومية واحدة؟ هذه الأسئلة وغيرها

الكثير تثار حول "قائمة السفن". وتذكرنا بالسؤال المطروح سلفاً من هو الآخر فى "الإلياذة"؟

ويستعد الجيشان فى الكتاب الثالث للاتحام، ولكن هيكتور يقترح تفادى إسالة الدماء بمنازلة فردية بين كل من باريس ومينيلأوس، بحيث تحسم نتيجة هذه المباراة الحرب نهائياً. وتم الاتفاق على ذلك ودعت إيريس هيلينى لمشاهدة هذه المباراة بين باريس الذى خطفها وتقيم معه الآن فى طروادة زوجة من جهة، ومينيلأوس زوجها السابق الذى جاء مع الجيش الإغريقى ليستردها من جهة أخرى. وجلست هيلينى مع برياموس ملك طروادة وشيوخها وأمرائها يشاهدون المباراة من فوق أسوار المدينة. ويستفسر برياموس منها عن قادة الإغريق واحداً بعد الآخر. وتشرح هيلينى له كل ما يتصل بهم وبمدنهم فيما يشبه استكمالاً لقائمة السفن فى الكتاب السابق. ويُهزم باريس وتتفذه أفروديتى من الهلاك المحقق فتألفه فى سحابة وتحمله إلى القصر حيث تستدعى هيلينى لكى ترعاه وتضمد جروحه. ويطالب أجاممنون الطرواديين بإرجاع هيلينى وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين الطرفين. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث عنوان: " الهدنة، القسم أو العهد Orkoi، مباراة باريس ومينيلأوس Paridos kai Menelaou monomachia، النظر أو المشاهدة من فوق الأسوار Teichoskopia".

وفى الكتاب الرابع يعقد الآلهة مجلسهم للتشاور، وفى نهايته يرسل زيوس أثينة من السماء لكسر الهدنة بين الطرفين المتحاربين حول طروادة. فتغرى بانداروس لكى يصوب سهماً إلى مينيلأوس، فيصيبه بالفعل ويحدث به جرحاً فيعالجه الطبيب ماخاؤن. ويهاجم الطرواديون الإغريق الذين يقود أجاممنون حشودهم ويستحث أمراءهم ويلتحم الجيشان، ويقع الكثيرون من الطرفين موتى وجرحى.

وفى هذا الكتاب يرد حديث مطول عن عبادة التوام كاستور وبوليديوكيس (أبيات ٢٣٦-٢٤٤). ويربط بعض الدارسين بين فكرة التوام الإلهى المذكور بعبادة التوام الإلهى المؤنث ويشيرون بصفة خاصة لهيلينى وكليتمسترا ابنتى ليدا .

وكانت هيليني^(٤٥) قد وصفت في الكتاب الثالث بيت ٤٢٦ على أنها "بنت زيوس لايس الدرع أيجيس"، مما يشي بأن هاتين الأختين كانتا في الأصل بمثابة "توأم إلهي". وأعطى السكندريون للكتاب الرابع عنوان: "كسر الهدنة Orkion synchysis وجولة أجاممنون التفقدية Agamemnonos epipoleis".

وفي الكتاب الخامس يتمكن ديوميديس بمساعدة أثينة باللاس من إحاق هزيمة فادحة بالطرواديين، فيجرحه بانداروس وتداويه أثينة وتحذره من الدخول في نزاع ضد القوى الإلهية فيما عدا أفروديتي. فيدخل آينياس المعركة وتتعرض حياته للخطر فتنقذه أمه أفروديتي التي أصابها ديوميديس بجرح دامي. فيسرع أبوللون لمساعدتها ويتم نقل آينياس إلى داخل طروادة لعلاج. ثم يعود لساحة الوغى التي تشهد مقتل العديد من المحاربين. وبينهم تليبوليموس. وتدفع أثينة باللاس ديوميديس لمهاجمة آريس إله الحرب الذي يصاب بالجروح فينقل إلى السماء. وأعطى السكندريون للكتاب الخامس عنوان: "بطولات ديوميديس" **Diomedous aristeia**^(٤٦).

يقرر الآلهة في الكتاب السادس ترك ميدان الحرب وعدم التدخل لصالح أي طرف من الطرفين، فترجح كفة الإغريق. وفي الجانب الطروادي يأمر هيلينوس العراف هيكتور أن يعود إلى المدينة ويقوم بطقوس معينة يتضرع بها إلى أثينة أن تسحب ديوميديس من ساحة الوغى. ويتأهب كل من ديوميديس وجلاوكوس الليكي للمنازلة. وقبل أن يلتحما يكتشفان أنهما صديقان بالوراثة فينصرف كل منهما عن

(٤٥) يبدو أن اسم "هيليني" نفسه ليس إغريقيا صميما - كما هو الحال بالنسبة للكثير من أسماء الآلهة والإلهات والأبطال في الأساطير الإغريقية - وهناك دلائل كثيرة على أن هيليني كانت في الأصل إلهة ترتبط عبادتها بفكرة الخضرة والخصوبة في الطبيعة. وعرفت هكذا في بلاد الإغريق فيما قبل الغزو الدوري. وتعد من الأمثلة القليلة في الأساطير الإغريقية على نزول قوة إلهية من مرتبة الألوهية إلى مرتبة البشر العادية أو على الأقل إلى مرتبة الأبطال. كانت هيليني في الأصل تعبد بوصفها إلهة حامية للأشجار وتحمل لقب "ربة الشجر" Dendritis. وقيل إن شجرة ما في إسبرطة كانت تسمى "شجرة هيليني" المقدسة. هذا وهناك رواية أسطورية أخرى تقول إن نهاية هيليني كانت عنيفة، إذ شنقت فوق شجرة تماما كما حدث بالنسبة للخدمات الخائبات في قصر أوديسيوس في "الأوديسية". وربطت الأساطير كذلك هيليني بالطيور، فقيل إن زيوس أبها كان قد تنكر في هيئة طائر البجع ليتصل بأماها ليدا. وقيل في رواية أخرى إن هيليني ولدت من بيضة. ولما كانت الحضارة المينوية في كريت مليئة بشخصيات إلهية على هيئة الطيور، فإن ذلك قد يشي بأن هيليني جاءت إلى بلاد الإغريق عبر كريت من بلاد الشرق وتراثه الأسطوري العريق.

(٤٦) Alberto Camerotto, op. cit., pp. 263-308.

وقارن حاشية رقم ٢٦ التي سقت.

الآخر في مودة. وفي أثناء وجود هيكتور بالمدينة يعرج على أخيه باريس ويأمره بالعودة للقتال كما يفعل الرجال تاركاً أحضان هيليني^(٤٧). ويودع هيكتور زوجته أندروماخي وداعاً حاراً وهو في طريقه إلى المعركة. وأعطى السكندريون للكتاب السادس عنوان: "لقاء (هيكتور) وأندروماخي *Andromaches omilia*".

ويركز هوميروس انتباهه في الكتاب السابع على المعركة بين أياس وهيكتور. في البداية تنزل أثينة من قمة الأوليمبوس منزعة وتلتقي بأبولون عند بوابة سكاياي الطروادية. ويتفقان على أن تتأجل المعركة العامة، وأن ينازل هيكتور أحد أبطال الإغريق في مبارزة فردية تحسم الحرب. ويتم ضرب القرعة بالفعل ويكون من نصيب أياس ملاقاته هيكتور. ويلتحم البطلان ويسفر اللقاء عن نتيجة غير محسومة، فينصرف كل إلى مواطنيه. وينصح نيسطور الإغريق بـدفن قتلاهم وتحصين معسكرهم. وفي مجلس للأمرء الطرواديين يقترح أنتينور إعادة هيليني للإغريق وإنهاء الحرب، فيرفض باريس. ويتفق الطرفان، الإغريق والطرواديون، على عقد هدنة لدفن القتلى. ويقضى الجيشان الليل في مرح وولائم، ولا يعكر الصفو في الجانب الطروادي سوى صواعق زيوس ورجوعه. وأعطى السكندريون للكتاب السابع عنوان: "مبارزة هيكتور وأياس" *Hektoros kai Aiantos monomachia* و "دفن الموتى" *Nekron anairesis*.

يجمع زيوس كافة الآلهة فوق الأوليمبوس في الكتاب الثامن ويأمرهم متوعداً ومهدداً بالألا يتدخلوا في سير الحرب مع هذا الطرف أو ذلك. وينزل زيوس من السماء إلى قمة جبل إيدا المطل على منطقة طروادة بأكملها. ويمنح الطرواديين بعض المزايا، إذ يزعم الإغريق بصواعقه ورجوعه. ويدخل نيسطور الملك المسن غمار المعركة بمفرده ويصمد، إلا أنه في النهاية يتعرض لخطر حقيقي لولا تدخل ديوميديس البطل القوي لإنقاذه. وتحاول هيرا عبثاً أن تغري بوسيدون بعصيان أوامر زيوس والتدخل لمعاونة الإغريق. ويدخل تيوكروس المعركة ويحقق بعض الإنجازات الكبيرة، إلا أن هيكتور يصيبه بجرح خطير فينقل بعيداً عن ساحة القتال. وعندما تتأهب كل من هيرا وأثينة لتقديم العون للإغريق ينهرهما زيوس في رسالة تبلغها لهما إيريس. وأعطى السكندريون للكتاب الثامن عنوان: "انقطاع

(٤٧) Ann C. Suter, Paris/Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization. Ph.D. diss., Princeton University 1984.

الآلهة عن المعركة أو "سيف المعركة المبتور" *Kolos maches* "(٤٨)."

ويروى الكتاب التاسع كيف أن أجاممنون، الذى شعر بالخزى إزاء تفهقر الإغريق، عرض الآن على أتباعه العودة للوطن. فيعترض عليه بشدة كل من ديوميديس ونيسطور. ويعقد مجلس تشاورى حول الموقف، ويقترح نيسطور إرسال وفد إلى أخيليوس على أمل أن يلين ويعود إلى المعركة ضد الأعداء. ويتكون الوفد من أوديسيوس وأياس والشيخ المسن فوينيكس^(٤٩). ويتحرك الوفد ليلاً قاصداً خيمة أخيليوس، الذى يستقبلهم بحفاوة بالغة، فيبلغونه رسالة الجيش الإغريقى وكيف أن أجاممنون يعرض أن يصلح أخطاه بما فى ذلك إرجاع بريستيس إلى أخيليوس. ولكن الأخير يرفض العرض ويحتفظ بفوينيكس فى خيمته، فى حين يعود أوديسيوس وأياس وقد خاب سعيهما. ويسلم الجميع أنفسهم للنوم. وأعطى السكندريون للكتاب التاسع عنوان: "وفد إلى أخيليوس" *Presbeia pros Achillea*.

ويتألم أجاممنون فى الكتاب العاشر لفشل الوفد فى إقناع أخيليوس بالعودة للحرب. ولم يذق طعم النوم طوال الليل ويمر بالمعسكر ويوقظ القادة ويعقد مجلساً للحرب يقرر فيه إرسال جواسيس لاستكشاف ما يجرى فى معسكر الأعداء. ويقع الاختيار على أوديسيوس وديوميديس للقيام بهذه المهمة الصعبة. فيصادفان فى الطريق محارباً طروادياً هو دولون، الذى أرسله هيكتور لنفس الغرض. فأجبراه على الإدلاء بالمعلومات التى يرغبان فيها وقتلاه. ووصلا إلى حيث معسكر الطراقيين حلفاء الطرواديين، فقتلا قائدهم ومليكمهم ريسوس وآخرين كثيرين، وسلبا خيول هذا الملك الشهيرة، وعادا إلى المعسكر الإغريقى سالمين غانمين.

ويشكك فقهاء كثيرون فى هذه الحادثة، بل وفى الكتاب العاشر برمته

(٤٨) حرفياً السيف المبتور أو ما يبقى من الذيل أو القرن بعد بتره.

(٤٩) بطريقة أو بأخرى يذكرنا هذا الاسم بالفينيقين والأصول الشرقية للملاحم الهومرية. ولقد عرفت الأسطورة الإغريقية شخصيتين بهذا الاسم. الأول هو المعنى هنا أى ابن أمينور ملك هيلاس (القديمة) دب الخلاف بينه وبين أبيه الذى اتخذ عشيقه على زوجه الغيور أم فوينيكس، فأغرت الأخيرة ابنها بإغواء عشيقه الأب، وبذلك تخلصت منها. ولكن الأب الأشيب دعا على ابنه بعدم الإنجاب. ذهب فوينيكس إلى فثيا، وصار مربياً لأخيلوس. واتبع يوربيديس فى مسرحيته المفقودة "فوينيكس" الرواية القائلة بأن أمينور فقاً عينى ابنه فوينيكس فعالجه خيرون. أما فوينيكس الآخر فهو شقيق كادموس والذى أرسل مثله للبحث عن أخته يوروي (يوروبا). ولما لم يجدها لم يعد إلى صور وإنما أسس السلالة الفينيقية. وعن شخصية فوينيكس فى "الإلياذة" راجع: Andreou I. Boskou, op. cit., passim وقارن أعلاه حاشية رقم ٢٧.

ويعتبرونه مقحماً على "الإلياذة" أى منتحلاً. وأول من أثار هذه المشكلة يوستاثيوس Eustathios فقيه القرن الثانى عشر الميلادى، حيث قال فى تعليقه على ملحمة هوميروس إن هذا الكتاب قد أضيف إلى "الإلياذة" على يد بيسيستراتوس طاغية أثينا فى القرن السادس ق.م. ويسخر كثير من الدارسين من حادثة دولون على اعتبار أنها هزلية^(٥٠) صارخة لا تتواءم مع الروح الهومرية الصارمة والجسو الملحمى العام. فمحاربان قويان ومرعبان يأسران ويقتلان شخصاً رعيدياً. ولكن نقاداً آخرين كثيرين يرون فى هذه الحادثة براعة فنية، إذ جاءت بعد هزيمة الإغريق الفادحة ويأسهم، وهذا ما تم التركيز عليه فى نهاية الكتاب السابق أى التاسع. وأعطى السكندريون للكتاب العاشر عنوان: "قتل دولون" Doloneia و "تضرعات" Litai.

ويواصل هوميروس الخط نفسه فى الكتاب الحادى عشر حيث يقود أجامنون جيشه فى المعركة، فيطارد الطرواديين أمامه، ولاسيما أن زيوس كان قد أمر هيكتور بالانسحاب من المعركة إلى حين يصاب أجامنون بجرح. ولما وقع ذلك بالفعل عاد هيكتور للقتال، فتصدى لهجمته إلى حين كل من أوديسيوس وديوميديس، ولكن بعد إصابة الأخير صار أوديسيوس وحيداً ومعرضاً لخطر محقق. فيتدخل مينيلائوس وأياس وينقذاه.

ويتعرض ماخاؤون الطبيب للإصابة على يد باريس، فيحمله نيستور بعيداً عن ساحة القتال. ويهجم هيكتور على آياس الذى يظهر بسالة نادرة. ويأتى باتروكلوس صديق أخيلئوس الحبيب للسؤال عن ماخاؤون بأمر من أخيلئوس نفسه. فيزور نيستور الذى يفصل القول فى بطولاته أيام الشباب، ولكنه يشرح لباتروكلوس مآزق الإغريق المؤسف فى الوقت الراهن. وأعطى السكندريون للكتاب الحادى عشر عنوان: "بطولات أجامنون Agamemnonos aristeia".

يتراجع الإغريق إلى داخل تحصيناتهم فى الكتاب الثانى عشر ويحاول هيكتور أن يستدرجهم إلى خارجها، ولكن الخندق المحفور يقف حائلاً أمام عبور

(٥٠) لاحظ النقاد وجود عناصر كوميديية فى الملاحم الهومرية ولاسيما "الإلياذة" فى جانب العنصر الذى نتحدث عنه هناك "خدعة هيرا" فى الكتاب الرابع عشر وراجع:

Andreas G. Katsoures, Omerika Schemata Komodias. University Studio Press. Thessaloniki 1998, passim.

العربات الطروادية. ويبدأ الطرواديون فى هجوم على الأقدام. وفجأة يظهر فى السماء نسر يحمل ثعباناً بين مخالبه ويأتى على يسار الطرواديين، فيؤخذ على أنه نذير شؤم. وبعد محاولات متكررة يفلح الطرواديون بقيادة ساربيدون فى اقتحام تحصينات الإغريق. ويدخل هيكتور المعسكر عنوة ويرغم الإغريق على الهروب إلى سفنهم. وأعطى السكندريون للكتاب الثانى عشر عنوان: "معركة الحائط" (الإغريقى) **"Teichomachia"**.

فى الكتاب الثالث عشر انشغل زيوس عن وادى طروادة، فانتهز بوسيدون الفرصة واتخذ هيئة العراف كالخاس وزرع الحماس والإحساس بالقوة فى قلوب الإغريق، حتى إنهم نجحوا فى إيقاف الهجمة الطروادية. وبرزت الأعمال البطولية التى قام بها إيدومينيوس الكريتى، ولكنه ينسحب أمام آينياس وديفوبوس الطرواديين. وبعد جهود قتالية خارقة من الجانبين تفهقر الطرواديون فى الجانب الأيسر، وإن ظل هيكتور صامداً أمام الثنائى آياس. وفى النهاية ينعقد مجلس حرب إغريقى بتوصية من بوليداماس، ويعقد هيكتور اجتماعاً على الجانب الطروادى يوبخ فيه باريس ويسرعان معاً إلى وسط الجبهة، حيث يتحدى آياس البطل الطروادى هيكتور. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث عشر عنوان: "المعركة فوق السفن" **"Mache epi tais nausin"**.

وكان نيسطور فى الكتاب الرابع عشر يتناول الطعام مع ماخاؤن عندما سمع ضوضاء بالخارج، فهرع إلى حيث وجد أجامنون بصحبة أوديسيوس وديوميديس. وحاول ثلاثتهم على الرغم من جروحهم أن يبتثوا الشجاعة والبسالة فى قلوب أفراد الجيش الإغريقى. وفى تلك الأثناء حاكت هيرا مليكة السماء خطة خداع تستولى بها على زيوس، فأخذت الحزام السحرى من أفروديتى، وطلبت مساعدة إله النوم هينوس، واستدرجت زيوس للنوم فوق جبل إيدا. وعندما علم بوسيدون بذلك حدث الإغريق على إشعال نار معركة فاصلة. وواجه هيكتور آياس فجرح الأول وحمل بعيداً عن المعركة إلى داخل طروادة، وطرده الطرواديون إلى الخلف إلى ماوراء التحصينات الإغريقية. وأعطى السكندريون للكتاب الرابع عشر عنوان: "مخادعة زيوس" أو "التحايل على زيوس" **"Dios apate"**.

ولم يستيقظ زيوس كبير الآلهة المخدوع من نومه اللذيذ إلا فى الكتاب الخامس عشر حيث يعاتب هيرا ويؤنبها، فتلجأ إلى مجمع الآلهة وتحاول تأليبهم

ضد زوجها زيوس. فتعرض آريس وتصل به إلى حد جنون الغضب. أما أثينة فتحاول أن تهدئ من غضبه. ويطيع كل من أبوللون وإيريس وأمر والدهما زيوس فتطلب هيرا من بوسيدون أن ينسحب من أرض المعركة الطروادية فينصاع كارهاً مرغماً. وبأمر من زيوس يحاول أبوللون أن يقوى من عزيمة هيكتور، ومن ثم تدب الروح في الجيش الطروادى الذى يجدد ويشدد الضغط على السفن الإغريقية التى يدافع عنها أياس ببسالة. وعندما يشعر باتروكلوس بالانزعاج لموقف الجيش الإغريقى الحرج يحاول أن يقنع أخيلئوس بالعودة للقتال. وفى تلك الأثناء يحمل الطرواديون المشاعل ويشعلون النار فى السفن الإغريقية. وأعطى السكندريون للكتاب الخامس عشر عنوان: "صد (الطرواديين) عن السفن Palioxis para ton neon".

أما ما جرى فى الكتاب السادس عشر فيعد نقطة تحول أساسية فى الحدث الملحمى "للإلياذة". فهو يتعلق بالمحور الذى حوله تدور كل الأحداث والأحداث بالملحمة. إذ إن تحولاً مصيرياً سيطراً على الملابس المحيطة بالبطل أخيلئوس. وذلك حين يتدخل باتروكلوس الصديق الحبيب لإنقاذ الإغريق من المأزق الحرج. فيعطيه أخيلئوس أسلحته ليحارب بها، وبموته يزول غضب أخيلئوس ضد أجاممنون أو ينسى فى خضم الحزن العارم لفقده، ويبدأ الحدث الملحمى مساره نحو النهاية. يصور الكتاب بسالة باتروكلوس الذى قتل ساربيدون بن زيوس نفسه، وطرد الطرواديين من السفن ولاحقهم حتى داخل المدينة ناسياً نصيحة أخيلئوس ألا يفعل ذلك. فيضعفه أبوللون ويجرحه يوفوربوس، وفى النهاية يقتله هيكتور، ويجرده من سلاحه وهو فى الأصل سلاح أخيلئوس الذى لا يقهر.

وقد يذهل القارئ وهو يطالع هذا الكتاب، فيقول إن هذا أروع كتاب فى "الإلياذة"، ولا أريد أن أحول بين القارئ الكريم والتعبير عن رد فعله الطبيعى والواعى، ولكننى فقط أنبهه أن كتباً أخرى (سابقة ولاحقة فى "الإلياذة") قد انتزعت مثل هذه العبارة من أفواه نقاد نوى فطنة وحنكة. وأعطى السكندريون للكتاب السادس عشر عنوان: "مقتل باتروكلوس Patrokleia".

ويدافع مينيلائوس عن جثة باتروكلوس فى الكتاب السابع عشر ويقتل يوفوربوس الذى يتعرض له. ويعوق كل من مينيلائوس وأياس تقدم هيكتور، الذى يجدد المعركة بعد أن ارتدى أسلحة باتروكلوس التى هى فى الأصل

– كما ألمحنا – أسلحة أخيلئوس. وتبكي خيول باتروكلوس موت صاحبها. وفي نفس الوقت ينجح أوتوميدون في الفرار بعربة أخيلئوس على الرغم من محاولات أينياس وهيكتور المستميتة للاحتفاظ بها. ويلف زيوس جثة باتروكلوس في غلالة من الضباب الكثيف. واستجابة لتضرعات أياس يبدد زيوس الضباب ليتمكن المحاربون من الالتحام في وضح النهار. ويرسل مينيلائوس أنتيلوخوس إلى أخيلئوس ليخبره بموت باتروكلوس. فيعود بطل الأبطال إلى أرض المعركة بصحبة ميريونيس. ويعاونه الثنائي أياس في العودة بجثمان باتروكلوس إلى السفن. وأعطى السكندريون للكتاب السابع عشر عنوان: "بطولات مينيلائوس Menelaou aristeia".

وينقسم الكتاب الثامن عشر إلى جزئين رئيسيين. الأول هو تأثير موت باتروكلوس على قلب أخيلئوس^(٥١). أما الجزء الثاني فيدور حول ملابسات صنع هيفايستوس إله النار والحدادة سلاحاً جديداً لأخيلئوس. والعنصر الرابط بين الجزئين هو تدخل الإلهة ثيتيس أم أخيلئوس في الجزئين. فعند سماع أخيلئوس نبأ قتل باتروكلوس في المعركة صرخ صرخة مدوية سمعتها أمه في أعماق البحر فهرعت إليه تواسيه. وفي الوقت نفسه استعرت المعركة بين الطرفين حول جثمان باتروكلوس. وبأمر من هيرا ظهرت إيريس لأخيلئوس تطلب منه الظهور في الميدان لحسم الموقف. ويعقد الطرواديون مجلساً حربياً ويقررون الأخذ بتوصية هيكتور أي الصمود في المعركة. ويبكي أخيلئوس صديقه الحبيب باتروكلوس. وأخيراً تسرع ثيتيس إلى إله النار والحدادة هيفايستوس وتقنعه بصنع سلاح جديد لابنها. ونرى دقائق مهارة الصناعة الإلهية التي يقوم بها هيفايستوس. ويعتبر النقاد وصف درع أخيلئوس الجديد إحدى روائع هوميروس في "الإلياذة" من حيث الشكل والبناء العام والتدفق الشعري. فالعناصر الزخرفية لهذا الدرع تعكس طبيعة الفن الذي عاصره الشاعر وراه بعينيه، ولكن كثرة الصور الشعرية والعناية الفائقة بها تتعدى كل ما وصلنا من فنون تلك الفترة. ومن ثم فعلينا أن نلجأ للخيال المبدع والتصوير الأسطوري المرتبط بصناعة إله الصناعة. والخطة العامة لهذا الزخرف هي وجود مساحة مركزية تمثل الكون تحيط بها أربعة مجموعات. المجموعتان

(٥١) عن طبيعة العلاقة بين أخيلئوس وباتروكلوس راجع:

W. M. Clarke, "Achilles and Patroclus in Love", *Hermes* 106 (1978) pp. 381-95.

الداخليتان تنقسمان بدورهما إلى ستة موضوعات. أما المجموعتان الخارجيتان فتصوران على التوالي رقصة جماعية والأوكيانوس (المحيط) الذى يحيط بكل شيء. علمًا بأن المناظر الداخلية مأخوذة كلها من الحياة اليومية.

ومثل هذا الترتيب الزخرفى يتشابه مع ما وجد على أنية فينيقية عثر على بعضها فى قبرص وبعضها الآخر فى إيطاليا. ومع أن الأثريين لا يعودون بها إلى أكثر من القرن السادس ق.م بيد أنها تعكس أسلوبًا فنيًا أقدم. وحتى موضوعات الزخرفة على الدرع نجد لها ما يقابلها على الأنية الفينيقية، إلا أن الخيال المبدع لهذا الزخرف إنما يعكس الروح الإغريقية بلا جدال. وهذه كلها عناصر يستند إليها من ينادون بالأصول الشرقية "لإلياذة" هوميروس كما سبق أن ألمحنا.

ومع ذلك فجدير بالملاحظة أن الزخرف على درع أخيلوس يمثل الكون والحياة الجارية فى أرجائه. وتبلغ دقة الوصف حدًا مذهلاً، مما يجعلنا نشعر وكأننا نلامس الواقع، حتى إن كل ما وصلنا من فنون عصر هوميروس وتمتلىء به المتاحف يبدو وكأنه شذرات من ذلك الإبداع الهومرى^(٥٢).

ولقد أثارت زخرفة "درع أخيلوس" الكثير من الجدل والمناقشة فى كتب التاريخ والأدب والفن. صنع الدرع من خمس طبقات جلدية تغطيها طبقة برونزية مطعمة بأربعة معادن أخرى. يمثل الإطار الخارجى الأوكيانوس أى المحيط، أما المساحة المركزية فتضم الأرض والأجرام السماوية. أما المشاهد الأخرى فهى كما يلي:

١. حفلة زفاف: أبيات ٤٩٠ - ٤٩٦
٢. مشهد قتل: أبيات ٤٩٧ - ٥٠٨
٣. الحصار: أبيات ٥٠٩ - ٥١٢
٤. الهجمة على مدينة محاصرة: أبيات ٥١٣ - ٥٤٠
٥. حرث الحقول: أبيات ٥٤١ - ٥٤٩
٦. الحصاد: أبيات ٥٥٠ - ٥٦٠
٧. جنى الكروم: أبيات ٥٦١ - ٥٧٢

(٥٢) R.R. Hardie, "Imago Mundi: Cosmological and Ideological Aspects of the Shield of Achilles" JHS 105 (1985) pp. 11-31.

٨. الأسود تهاجم قطعان الماشية: أبيات ٥٧٣ - ٥٨٦

٩. حظائر الأغنام: أبيات ٥٨٧ - ٥٨٩

١٠. الرقص: أبيات ٥٩٠ - ٦٠٦

وأعطى السكندريون للكتاب الثامن عشر عنوان: "صنع أسلحة (أخيلوس) Hoplopoia".

في الكتاب التاسع عشر تحمل ثيتيس الدرع الجديد الذي صنعه هيفايستوس بإتقان شديد إلى ابنها أخيلوس وتأمره بأن يعقد اجتماعاً للجيش ويعلن تخليه عن الغضب ضد أجامنون. وبالفعل يتم عقد الصلح بين القطبين الرئيسيين أمام الحشد الإغريقي. ويعبر أخيلوس عن رغبته الجامحة في النزول إلى ساحة القتال، فينصحه أوديسيوس بالتمهل ريثما يتمكن أفراد الجيش من أخذ كفايتهم من الطعام والشراب. وتحمل الهدايا التي كان أجامنون قد وعد بها إلى خيمة أخيلوس، بما في ذلك بريسئيس التي تبكى باتروكلوس بمرارة عندما علمت بموته. ويمسك أخيلوس عن الطعام والشراب حزناً على صديقه الحبيب. ولكن أثينة بأمر من زيوس تشبعه بالطعام الإلهي الأمبروسيا. ويتسلح أخيلوس استعداداً للمعركة، وعندما توضع الخيول في عربته يتحدث الحصان كسانثوس بصوت بشري، ويتنبأ بمصير أخيلوس الحزين، ومع ذلك يندفع البطل للقتال في جموح وجنون وهو على يقين من أنه بقتله هيكتور يقترب من نهايته المحتومة. فالبطولة في الفكر الإغريقي تدمر نفسها بنفسها.

وقد أثار حديث الحصان كسانثوس قريحة الكثيرين من الأدباء والشعراء والنقاد المحدثين، ولاسيما أن أخيلوس دخل في حوار مع صاحبه. وتدور أغلب التعليقات حول العبقرية الهومرية في بناء الشخصية والحدث الملحمين. فنحن على وشك أن نشاهد أخيلوس ينفجر غضباً وجنوناً وقتلاً في أعدائه. لقد أفقده الحزن على موت صديقه الحبيب القدرة على التحكم في غضبه الجنوني، فانفالت الزمام من يده ووصل إلى حد القسوة والوحشية. وتخف حدة هذا العنف الدموي وتترى بزي مأساوي قشيب عندما نتذكر ما قاله كسانثوس له - وما قالته أمه ثيتيس أيضاً - من أنه يرسل قتلاه إلى هاديس مبشرين بقدومه هو أيضاً إلى نفس المصير. فكل فعل عنيف يرتكبه أخيلوس هو خطوة مؤكدة نحو موته. إنه بعبارة أخرى بشر فان يقتل بشراً فأنين، وسيأتي موته عما قريب، مما يجعل من غضبه وجنونه أفعالاً مأساوية،

ولاسيما أنه هو نفسه يشعر بذلك فى أعماقه. فكما اشتد غضبه وجنونه اقترب من مصيره المحتوم أى الموت، وتلك هى نواة المأساة البشرية وذروتها فى آن واحد. وجدير بالذكر أن هوميروس يعمد إلى هذا التصوير المأساوى للأحداث والشخصيات ويبرزه كلما سنحت له الفرصة، فهو القائل فى الكتاب السادس عشر (بيت ٦٩٢-٦٩٣) تعليقا على عريذة باتروكلوس فى قتل الطرواديين:

فمن، إذن، كان أول من قتلت، ومن كان الأخير يا باتروكلوس،
عندما كانت الآلهة تناديك إلى الموت".

جاء ذلك عندما بلغ باتروكلوس أقصى النصر والنشوة بقتل الأعداء، وبذلك يسبق هوميروس كتاب التراجيديا فى تصوير المأساة الإنسانية، التى نحاها جميعا نحن البشر. ولعلنا هنا نفهم ما قاله أيسخولوس خالق التراجيديا الإغريقية فى عبارة شهيرة، إذ نسب إليه القول "ما مسرحياتى إلا قاتات مائدة هوميروس الحافلة"^(٥٣). وأعطى السكندريون للكتاب التاسع عشر عنوان: "التخلى عن الغضبة Menidos aporrasis".

ويواصل الكتاب العشرون تعميق المأساة. فبعد عودة أخيلوس للمعركة يعقد زيوس مجلسا للآلهة ويسمح لهم بالمشاركة فى الحرب. فيتوجهون إلى ساحة القتال بعضهم يقف مع الإغريق، والبعض الآخر مع الطرواديين. يستحث أبوللون آينياس أن يواجه أخيلوس، ويبتعد الآلهة قليلا لمشاهدة اللقاء. ويلتحم أخيلوس وآينياس الذى ينقذه بوسيدون بأعجوبة من الموت. ويهاجم أخيلوس بشراسة الطرواديين وكاد أن يفتك بهيكتور نفسه. وكان الأخير قد اشتعل غضبا لموت أخيه الأصغر بوليدوروس. ولم ينقذ هيكتور سوى أبوللون الذى لفه فى سحابة ورفع به بعيدا عن ساحة الوغى. ويواصل أخيلوس الفتك بالطرواديين. وأعطى السكندريون للكتاب العشرين عنوان: "المعركة بين الآلهة Theomachia".

ويرتفع بنا هوميروس فى الكتاب الحادى والعشرين إلى آفاق كونية عليا، حيث يصور معركة أخيلوس مع إله النهر سكاماندروس (يعرف هنا النهر فى

(٥٣) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٢٤٩-٣٠٢. وعن مفهوم البطولة فى الأدب الإغريقى راجع:

تركيا الحديثة باسم منديريه (Menderé). فيكتسب السرد الملحى مزيداً من الحيوية والتدفق وعنفوان الخيال المبدع، ويصل إلى شأو قلما وصل إليه الشعر بعد هوميروس. فالطرواديون الهاربون أمام أخيليوس يلجأون إلى المدينة وإلى النهر سكاماندروس. ويظل أخيليوس يطاردهم ويعمل القتل فيهم ويحتفظ باثني عشر نبيلاً منهم أحياءً لكي يقدمهم قرباناً على قبر باتروكلوس. وعندما يصادف ليكاون يستعطفه الأخير بكل وسيلة، ولكنه لا يرحمه ويقتله ويقذف بجثته إلى النهر. ثم يهجم على أستوروبايوس ويقتله. وعندما شعر إله النهر سكاماندروس أن الجثث قد ملأت مجراه وربما تسد المياه ثار غضباً وشرع يهاجم أخيليوس، الذي يتمتع بعون بوسيدون وباللاس أثينة. وينضم إله النهر سيمونيس إلى رفيقه وصديقه سكاماندروس. وعندئذ تطلب هيرا من هيفايستوس إله النار أن يجفف مياه الأنهار، وتدور اشتباكات عنيفة فيما بين الآلهة حتى إن أثينة جرحت إله الحرب آريس.

إنها حرب كونية إذن تشارك فيها كل عناصر الطبيعة، الأرض والسماء، النار والماء، البشر والآلهة، ناهيك عن الأمطار والبروق والرعود.

وفي الوقت نفسه يواصل أخيليوس القتال ويطارد الناجين إلى داخل طروادة. ولم يقف في وجهه سوى أجينور الذي كاد أن يقتل هو أيضاً، لولا أن أنقذه أبوللون وأبعده عن ساحة القتال. ولكن أبوللون خدع أخيليوس متخذاً هيئة أجينور وفر أمام أخيليوس، الذي ظل يطارده. وقد استدرجه هكذا الإله إلى مكان بعيد. وبذلك استطاع الطرواديون الهاربون أن يدخلوا مدينتهم. وأعطى الإسكندريون للكتاب الحادي والعشرين عنوان: "المعركة على النهر Mache parapotamios".

ويرى بعض النقاد أن الكتاب الثاني والعشرين يمثل ذروة الحدث الملحى في "الإلياذة". ويقول جيب Jebb إنه لا يوجد كتاب مثله في "الإلياذة" من حيث الشمولية^(٥٤) وسعة الأفق وتدفق الحدث. ويسرد هذا الكتاب مقتل هيكتور ويمثل في حد ذاته ذروة ملحمية، ولا يوجد كتاب آخر في ملحمتي هوميروس يضارعه في شموليته وشاعريته وتدفقه وسموه. ويعد هذا الكتاب جامعاً لكل الخصائص الهومرية المميزة مثل رسم الشخصيات الدقيق بوسيلة أفعال هذه الشخصيات وأحاديثها وكذا تأملاتها المسموعة. ومن هذه الخصائص أيضاً تمازج الفعل البشرى

مع الفعل الإلهي^(٥٥). ويصاحب كم هائل من التشبيهات الرائعة المستمدة من الطبيعة هذا التوهج الشعري. وتتم مقاطعة الحدث الرهيب والفعل الوحشي بمشاهد غاية في الرقة من الحب الأسرى أو الأسى الإنساني. ويمكن إجمال السمات الأساسية في هذا الكتاب على النحو التالي:

- الدقة في رسم ملامح الشخصية.
- المزج بين الحدث البشري والتدبير الإلهي.
- تكثيف استخدام تقنية التشبيهات.
- براعة هوميروس في تطوير العنف الوحشي إلى نوع من الترويح بتقديم مشاهد غاية في الإنسانية والرحمة، وذلك برسم مشاهد الحياة الأسرية العذبة والحب الأسر بين أفرادها وكذا الحزن الجياش بالمشاعر.

ذلك أن الطرواديين قد أكملوا انسحابهم وتدفقوا إلى داخل أسوار طروادة فيما عدا هيكتور الذي ظل أمام الأسوار ليلاقي أخيليوس. وعبثاً حاول والداه المسنان أن يثياه عن ذلك. وعندما تقدم إليه أخيليوس لم يستطع هيكتور الوقوف، إذ خانته شجاعته وفر أمام أخيليوس الذي ظل يلاحقه حول أسوار المدينة دورات ثلاث متتالية^(٥٦). وفي ميزان ذهبي وضع زيوس أقدار البطلين، فظهر أن هيكتور على وشك الموت، فهجره الإله أبوللون^(٥٧)، ونزلت أثينا لتساعد أخيليوس. ويقتل أخيليوس هيكتور ويسحب جثته بعربته إلى السفن تحت أنظار والديه البائسين والطرواديين جميعاً. وتسمع أندروماخي الصرخات فتهرع إلى الأسوار وعندما ترى جثمان زوجها الحبيب يغمى عليها، وعندما تفيق تنخرط في العويل والبكاء. وأعطى الإسكندريون للكتاب الثاني والعشرين عنوان: "مقتل هيكتور Hektoros anairresis".

(٥٥) عن العلاقة بين الفعل البشري والتدبير الإلهي في ملاحم هوميروس راجع: "ناسوتية الآلهة وألوهية البشر"، أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٨٠-٨٩.

Paolo Vivante, *The Homeric Imagination: A Study of Homer's Poetic Perception of Reality*. Indiana University Press 1970, pp. 35-71.

(٥٦) S.E. Bassett, "The Pursuit of Hector", *TAPhA* 61 (1930) pp. 130-149.

(٥٧) يحكي بلوتارخوس أن الإله هجر أنطونيوس عندما هزم نهائياً في الإسكندرية. وصاغ شاعر الإسكندرية المحدث كفافيس رائعته قصيدة: "الإله يهجر أنطونيوس" مستلهماً هذه الفكرة راجع: أحمد عثمان: "كليوباترا وأنطونيوس. دراسة في فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي" أيجيوس القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٠، ص ١٢١ وما يليها مع الحواشي.

أما الكتاب الثالث والعشرون فيحمل مفاجأة هومرية أخرى. ذلك أنه كان قد ساد اعتقاد في العالم القديم بأن الألعاب الرياضية نشأت أصلاً من مراسم دفن الموتى. وتأكد ذلك عبر العصور التاريخية حيث نظمت ألعاب رياضية في مناسبات عديدة احتفالاً بموت بعض العظماء مثل ميلتياديس وليونيداس (بطل ممر ثرموبيلاي) وبراسيداس وتيموليون (منقذ سيراكوساى أى سراقوسة في صقلية) وغيرهم. وبعد معارك تاريخية كثيرة أقام الإغريق الألعاب الرياضية تمجيداً للأبطال الذين ماتوا أثناءها. وهذا تقليد مازال يتبع إلى يومنا هذا في بعض البلدان.

وقد كرس هوميروس الكتاب الثالث والعشرين لوصف احتفال أخيليوس بدفن صديقه الحبيب باتروكلوس، ولاسيما الألعاب الرياضية. فبعد الوليمة الجنائزية^(٥٨). يظهر شبح باتروكلوس لأخيليوس عندما كان يستلقى على شاطئ البحر، طالباً سرعة الدفن لجثمانه. وبعد حرق الجثمان على محرقة وتقديم الضحايا بما في ذلك اثني عشر نبيلاً أسيراً طرودياً. تبدأ الألعاب الرياضية التي يسهب هوميروس في وصفها. وهذه أول شهادة أدبية تصلنا عن الألعاب الرياضية في العقليّة الإغريقيّة والتي ستتزيا بزى جديد فيما نعرفه جميعاً اليوم باسم الألعاب الأولمبية والروح الأولمبية... إلخ. وأعطى السكندريون للكتاب الثالث والعشرين عنوان: "ألعاب رياضية جنائزية تكريماً لباتروكلوس Athla epi Patroklo".

هكذا كرم باتروكلوس وشفى غليل أخيليوس، وبقي أن يرد هوميروس الاعتبار لهيكتور البطل المدافع عن طروادة، والذي مات فداءً للوطن. وهذا هو موضوع الكتاب الرابع والعشرين. إذ كان أخيليوس يجر جثمان هيكتور يومياً حول قبر باتروكلوس، فأمر زيوس إيريس بالذهاب إلى برياموس وحثه على الذهاب إلى أخيليوس مفتدياً ابنه بفدية كبيرة ومتوسلاً للبطل الإغريقي. وفي نفس الوقت تنكر هيرميس في هيئة أمير إغريقي شاب واقتاد برياموس حتى خيمة أخيليوس. فاستقبل الأخير برياموس بمودة وقبل الفدية وتناولوا العشاء معاً. وفي الصباح الباكر قاده هيرميس في طريق العودة إلى طروادة مع جثمان ابنه هيكتور، الذي بكاه كل من أمه وزوجه وهيليني وكافة الطرواديين، وبذلك تنتهي الإلياذة. وأعطى السكندريون

(٥٨) راجع: Elena Marino, "Il lutto a banchetto (Iliade 24- Odissea 4), pp. 15-39 in Materiali e discussioni per l'analisi dei testi- Classici 43) Istituti Editoriali e Poligrafici Internazionali Pisa- Roma 1999.

للكتاب الرابع والعشرين عنوان: "فدية هيكتور Hektoros Lytra".

ويعد الاستعراض السريع للحدث في الكتب الأربعة والعشرين لزام علينا أن نتأمل سر الإبداع الهومري في السرد الملحمي، إذ لا يحفل هوميروس بأن يحكى في ملحمة ما حدث فقط، ولكنه يحفل أكثر بتقديم كنه ما حدث وتصوير العالم الذى وقع فيه هذا الحدث. فنجد الأحداث تغطى الكون من فوق جبل الأوليمبوس - السماء - الثلجية إلى أعماق البحر الهائج والغابات المحترقة، بل وأعماق النفس الإنسانية ذاتها فى كافة أحوالها من السراء والضراء. وتغطى الأحداث كذلك الآلهة والبشر ومملكة الحيوان والطير. فنحن إذن إزاء تصوير لحالة وجودية كونية لا حدث فردى عابر. نحن إزاء نظام متكامل تتفاعل فيه كل السمات ومختلف مقومات الأحياء والأشياء، بحيث نحصل فى النهاية على استكشاف شعري للكون ونظام عمله.

تحمل إيريس رسالة من زيوس كبير آلهة الأوليمبوس، فتتزل من علياء السماء إلى أعماق البحر فتجد ثيتيس حزينة على مصير ابنها أخيليوس بطل الأبطال الإغريق حول طروادة فتبلغها رسالة زيوس. ثم تصعد ثيتيس من أعماق البحر إلى خيمة أخيليوس فى طروادة لتبلغه أوامر زيوس. وهذه لقطة واحدة من "الإلياذة" (الكتاب الرابع والعشرون)، تجد فيها كل عناصر الكون مشاركة فى الحدث الملحمي.

وهذا ما يفسر لنا كثرة الاستطرادات التى عاقت بعض النقاد عن إدراك طبيعة وحدة الحدث الملحمي عند هوميروس، فهذه الوحدة تتعدى مجرد التسلسل الزمنى المترابط، لأن هناك دائماً قضية ما ينبغى استيفائها وشرحها وتفسيرها. فهذا هو الأهم من التسلسل الزمنى المطرد. فإن أطول استطراد أسطوري ورد فى الكتاب التاسع (أبيات ٥٤٣-٥٩٠) ويدور حول أسطورة ملياجروس ويرويها فوينيكس، كان الهدف منه إقناع أخيليوس بالعودة للمعركة لأن ملياجروس عانى أيضاً من الغضب المدمر. والاستطراد حول أسطورة نيبوي (الكتاب الرابع والعشرون أبيات ٦٠٢ وما يليه)، يرويها أخيليوس نفسه لبرياموس الذى ذهب ليستجديه تسليم جثة ابنه هيكتور، كان الهدف من هذا الاستطراد ليس فقط إيجاد معادل أسطوري للحزن الفتاك، بل أيضاً التمهيد لدعوة برياموس لأن يجلس إلى وليمة العشاء مع أخيليوس. وفى كل من الاستطرادين نجد القضية المطروحة تحل

المكانة الأولى بالرعاية. فى الاستطراد الأول تطرح قضية الغضب وضرورة كبح جماحه. وفى الاستطراد الثانى يتم سبب أغوار الحزن وضرورة تخطيه. والمشاركون فى الاستطراد أو فى تلقيه هم جميعاً متورطون بنفس الدرجة فى القضية المطروحة^(٥٩).

يعتمد جانب كبير من وحدة الحدث الملحمى فى "الإلياذة" على الثنائيات المتقابلة. فأخيلوس بطل الأبطال الإغريقى يقابله هيكتور بطل الأبطال الطرواديين. الأول بطل الهجوم والحصار، والثانى بطل الصمود والمقاومة. يبدأ البيت الأول فى الملحمة كلها بغضبة أخيلوس المدمرة، أما البيت الأخير فى الملحمة فقد فاز به هيكتور الميت حيث يقول الشاعر: "وكانت تلك هى مراسم دفن هيكتور مروض الخيول". وعلاوة على أن الوحدة الملحمية تتجلى فى الربط بين البيت الأول الذى يقدم السبب والبيت الأخير الذى يحمل النتيجة. فإن موضوع دفن هيكتور يحتل أهمية خاصة فى بناء الملحمة، بل بصفة عامة يصور الفكرة الإغريقية بأن المصير بعد الموت جزء مكمل للحياة على الأرض، ونتيجة مباشرة لها.

يمتدح أرسطو هوميروس لأنه يجمع بين الوحدة والتنوع، وهو ممتاز فى كل من القول والعاطفة، إنه يخفى وراء أشعاره ويقدم شخوصه بأقوالهم وأفعالهم المباشرة ويرسم شخصياتهم جيداً، وهو يتمتع بخيال إبداعى رائع، فهو يستخدم بجرأة غير المحتمل والخارق - وهو ما تتسع له الملحمة أكثر من التراجيديا - ولكنه يستخدمهما ببراعة فائقة. وهوميروس بالنسبة لأرسطو هو أول الشعراء وأكثرهم نضجاً. هذا مع العلم بأن أرسطو فضل التراجيديا على الملحمة لأنها تؤدى نفس الوظيفة ولكن فى حجم أقل^(٦٠).

يضيف أرسطو أن الملاحم - مثل المسرحيات - تصنف بين "بسيطة" *haple* ومركبة *peripeplegmene*. فيقول إن "الإلياذة" بسيطة مثل "بروميثيوس مقيداً" لأيسخولوس، فلها حدث واحد ومطرده ونهاية واحدة. أما "الأوديسية" فهى مركبة لأنها

(٥٩) N. Austin, "The Function of Digressions in the *Iliad*", GRBS. 7 (1966) pp. 295-312.

Cf. Andreas G. Katsoures, "To Mythologiko Paradeigma Ston Omero" Dodone 31 (2002) pp. 167-206.

(٦٠) Aristotle: The Poetics. ed. W. Hamilton Fyfe, Loeb Classical Library, reprint 1973, 1459b. 4-10.

تتضمن سلسلة من التعرف والتحول (*peripeteia*) ولها نهايتان، نهاية سيئة للأشعار ونهاية سعيدة للأخبار. ويقول أرسطو كذلك إن "الإلياذة" ملحمة عاطفية انفعالية *pathetike*، فغضبة أخيلئوس من أجاممنون وحزنه المفجع على موت باتروكلوس صديقه الحبيب ورغبته الجامحة فى الانتقام هى ينبوع الأحداث كلها. فى حين إن "الأوديسية" ملحمة أخلاقية *ethike* بمعنى أن سلوك الشخصية الرئيسية (*ethos*) أى أوديسئوس وحيله هى المحرك الأساسى للأحداث^(٦١). ويقول أرسطو إن هومئروس برع فى رسم أحداث ملحمة، كما أن أشعاره تفوق سائر الأشعار فى القول *lexis* والفكر *dianoia*^(٦٢).

ومن براعة هومئروس فى حبك الوحدة الملحمية أن أخيلئوس لم يظهر إلا فى أحد عشر كتابًا: (١، ٩، ١١، ١٦، ١٨-٢٤) مع أن غضبة أخيلئوس هى التى تعطى "الإلياذة" الوحدة الملحمية، فانسحابه من المعركة يجعل كفتى الحرب والبطولة متعادلتين فيما بين الإغريق والطوراديين. وهكذا تستمر المعارك ولا يحسم الموقف. ومن ثم يمكن القول إن الحدث الملحمى يمر بثلاث مراحل رئيسة: الأولى تنتهى فى الكتاب التاسع عندما يرسل الإغريق وفدًا إلى أخيلئوس فيرد على أعقابه خاسنًا خاسرًا. وتنتهى المرحلة الثانية بالكتاب الثامن عشر حيث ينتهى اعتزال أخيلئوس للحرب. أما المرحلة الثالثة فتشمل الكتب من التاسع عشر إلى الرابع والعشرين وتتوج الحدث الملحمى. ولعل هذا مما دعا ويتمان *C.H. Whitman* أن يصف بناء "الإلياذة" بأنه هندسى (*Geometric Structure*)^(٦٣).

تجرى أحداث "الإلياذة" فيما وراء حدود التاريخ، فهى أحداث درامية يغوص أبطالها فى الأسطورة التى لا علاقة لها بالحادثفة الفعلية، ولا بشخصيات هذه الأحداث الدرامية فى لحظة وجودية مطلقة. إذ نسى ماضيهم، أما مصيرهم فهو على المحك ويمر بمرحلة حرجة. لم يحفل ساربيدون بأنه ابن زيوس ولا يعنى المستقبل فى شئء، إذ يقول لجلوكوس (الكتاب الثانى عشر بيت ٣٢٢ وما يليه).

يا صديقى العزيز ، لو كان الهروب من هذه

Ibidem 1459b- 2-3. (٦١)

Ibidem. (٦٢)

C.H. Whitman, *Homer and the Heroic Tradition*. Harvard University Press (٦٣)
1958, pp. 249-284.

الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين ،
 ما كنت لأحارب في طليعة الصفوف
 وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التي تجلب المجد للأبطال.
 أما الآن ، فإننى أرى ما لا حصر له من حالات الموت
 تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
 لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد .

إنها لحظة حيوية ومصيرية، فلا بد من عمل شيء ما ولا بد من الالتزام بقيم الخير والفعل المجيد. فأبطال هوميروس أطفال الآلهة يعيشون على الأرض ويلامسون ترابها، إنهم من البشر، ولكنهم لم ينخرطوا تمامًا في مجرى التاريخ العام. إنهم يعيشون بين عالمين عالم الألوهية والخلود الذى يتطلعون إليه، وعالم البشرية الفانية الذى يكابدون أهواله ويصنعون أمجاده. هكذا يسعى هيكتور للدفاع عن طروادة فيسعى بذلك لنهايته. بل هكذا أخيلئوس نفسه يغضب ويحزن ويندفع لقتل هيكتور، الذى يعرف أنه مقدمة لموته هو أيضًا. فأبطال هوميروس رجال على وشك الفناء. بل يساورهم إحساس بالضعف البشرى وتلفهم هالة من المجد الإلهي^(٦٤).

سابعاً: أصداء "الإلياذة" فى الآداب العالمية

أ- رحلة "الإلياذة" إلينا:

يرجع وجود "الإلياذة" بصفة عامة إلى ما بين ٧٥٠ و ٥٥٠ ق.م كما أسلفنا، ولكن "النص المعتمد" لا يبدأ تاريخه إلا على يد طاغية أثينا بيسيستراتوس فى القرن السادس ق.م كما رأينا. وظلت "الإلياذة" موضع اهتمام وتعليق وشرح من الفقهاء والنقاد منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا^(٦٥).

ومن المعروف أن إنشاد ملاحم هوميروس فى احتفالات عامة ظل سائداً فى كافة المدن الإغريقية عبر مختلف العصور. فيشير إليها هيرودوتوس^(٦٦). إذ يقول

(٦٤) Vivante, op. cit. pp. 120-209.

قارن أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٤٢-٦٦، ٨٠-٨٩.

(٦٥) M.M.Willcock, A Companion to the Iliad. The University of Chicago Press 1976, p. 277-8.

(٦٦) Herodot., V 76.

إن كليسثينيس طاغية سيكيون (٦٠٠-٥٧٠ ق.م) المعادى لأرجوس قد ألغى منافسات إنشاد ملاحم هوميروس، لأنها تمجد أرجوس والأرجيين في كل أجزائها. وفي هذا ما يؤكد دور أشعار هوميروس من حيث التأثير في الاتجاهات السياسية والرأى العام ببلاد الإغريق.

وفي جزيرة خيوس كانت هناك أسرة من المتشدين تحمل لقب "أبناء هوميروس" (Homeridai). وتدور محاوراة أفلاطون "إيون" Ion حول المنشد الملحمى الجوال الذى ولد فى إفيسوس، وكان قد شاهد احتفالات الإنشاد فى إبيداوروس والباناثينايا فى أثينا. ويدل كل هذا على أن هوميروس كان لايزال يحرك مشاعر كافة الإغريق فى القرن الرابع ق.م. ونفهم من محاوراة أفلاطون "بروتاجوراس" (٦٧) أن تلاميذ المدارس كانوا يتدربون على قراءة هوميروس. وسماه أفلاطون فى محاوراة "الجمهورية" (٦٨). "معلم هيلاس". وفى "مأدبة" (Symposion) كسينوفون يقول أحد الحاضرين "لقد أراد أبى أن يجعلنى رجلاً طيباً فأمرنى بقراءة أشعار هوميروس كلها، وأنا الآن أحفظ عن ظهر قلب كل "الإلياذة" و "الأوديسية" (٦٩).

ويقول إيسوكراتيس إن هوميروس يجسد الروح الهيلينية (٧٠) ويروى بلوتارخوس أن الكبياديس ذهب إلى إحدى المدارس وطلب من ناظر المدرسة نسخة من هوميروس، فلما أجابه الناظر أنه لا توجد أية نسخة لهوميروس بالمدرسة انهال عليه ضرباً مبرحاً. وهناك إشارات متعددة فى مسرحيات أريستوفانيس لهوميروس باعتباره رمز "التعليم القديم" فى مقابل "التعليم الحديث" الذى أفسد الشباب وجعلهم مخنثين (٧١).

وكانت كل طبعة من الطبعات التى صدرت لهوميروس فى العصر الهيلينى وفى مكتبة الإسكندرية تحمل اسم صاحبها من الفقهاء. وكانت "الطبعة الأولى" التى سمعنا عنها من عمل أنتيماخوس من كلاروس (فى أيونيا حوالى ٤١٠ ق.م).

Plato, Prot. 326A. (٦٧)

Idem. Rep. 606 E. (٦٨)

Xenoph., Symp. (٦٩)

Isocr., Panegyrikos, أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٤٩٦-٤٩٩، ٥١١ وما يليها وانظر (٧٠)

Plutarch., Alcib. 7. (٧١)

وهناك طبعات تنسب إلى المدن، فهناك طبعة ماساليا وخيوس وأرجوس وسينوبى وقبرص وهى التى عاد إليها فيما بعد أريستارخوس. بالإضافة إلى طبعات شعبية عامة غير دقيقة (Koinai, demodeis).

أما الدراسات الهومرية بالإسكندرية فقد بلغت شأواً عظيماً فيما بين ٢٧٠ و ١٥٠ ق.م. وارتبطت بأسماء ثلاثة من كبار الفقهاء هم زينودوتوس وأريستوفانيس وأريستارخوس.

جاء زينودوتوس من إفيسوس وجعله بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٨ ق.م) أميناً لمكتبة الإسكندرية وأصدر طبعة لهوميروس ومعجماً لغويًا (Homerikai glossai). ثم جاء أريستوفانيس البيزنطى (حوالى عام ٢٠٠ ق.م) تلميذ زينودوتوس وخليفته أميناً للمكتبة. ونشر طبعة جديدة لهوميروس مبنية على طبعة أستاذه مع شىء من التحسينات.

أما أريستارخوس الساموطراقى فكان تلميذ أريستوفانيس وخليفته أميناً للمكتبة إبان النصف الأول من القرن الثانى ق.م (حوالى عام ٦٠ ق.م). وله ثلاثة إسهامات، الأول بعنوان Syggrammata (دراسات فى بعض المسائل الهومرية) والثانى بعنوان تعليقات على نص هوميروس Hypomnemata، والثالث بعنوان "طبقات" ekdoseis، حيث نشر نصوص هوميروس مع استخدام نظام من العلامات الدالة على الأبيات المشكوك فيها أو فى ترتيبها على سبيل المثال. وكان أريستارخوس بلا شك أعظم الفقهاء دارسى هوميروس فى العالم القديم. وبلغ من الدقة فى تحقيق "الإلياذة" إلى حد أنه قد وضع خريطة طبوغرافية لمنطقة طروادة والمعسكر الإغريقى هناك. وهو الذى فرق بين "أرجوس البلاسية" فى ثيساليا و "أرجوس الآخية" فى البلوبونيسوس. وإليه (أو إلى أريستوفانيس أو زينودوتوس) تنسب فكرة تقسيم "الإلياذة" و "الأوديسية" إلى ٢٤ كتاباً يحمل كل منها حرفاً من حروف اللغة الإغريقية. وهو النظام المتبع إلى يومنا هذا حتى فى أحدث الطبقات، حيث توضع الحروف الكبيرة ترقيمًا "للإلياذة" والحروف الصغيرة "للأوديسية".

ولا يتسع المجال لتتبع جهود ديديموس Didymos السكندرى (حوالى ٨٠-١٠٠ ق.م) ومعاصره الأصغر أريستونيكوس Aristonikos السكندرى (الذى عاش فى العصر الأوغسطى) ولا أيلبوس هيروديانوس Aelius Herodianos (حوالى ١٦٠م) ووضع دراسة عن النظام الصوتى "للإلياذة". أما نيكانور Nikanor

(ازدهر ١٣٠م) فقد ألف كتاباً عن الترقيم في أشعار هوميروس.

وفيما بين ٢٠٠ و ٢٥٠م وضع أحد تلامذة الفقهاء الأربعة ديديموس وأريستونيكوس وهيروديانوس ونيكانور ملخصاً للإلياذة Epitome. وفي القرن العاشر الميلادي كتب ناسخ "الإلياذة" هذا الملخص على هامشها. وهذا هو محتوى مخطوط فينيسيا الشهير Codex Venetus A رقم ٤٥٤ الموجود إلى اليوم بمكتبة سان مارك في فينيسيا.

ولا تفوتنا الإشارة السريعة إلى ديميتريوس Demetrios من سكبسييس Skepsis بمنطقة طروادة (ولد حوالي ٢١٤ ق.م) الذي ساعد في وضع طبوغرافيا "الإلياذة". حيث ألف ستين كتاباً تعليقاً على "قائمة السفن" الواردة بالكتاب الثاني "بالإلياذة" والتي أسلفنا الحديث عنها. ولا ننسى كذلك أسقف ثيسالونيكى يوستاثيوس Eustathios الذي جمع أقوالاً وشروحاً ومقتطفات من هوميروس في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي وسبق أن ألمحنا إليه.

وبصفة عامة يمكن القول إن النص الهومري المتداول الآن "للإلياذة" هو الذي حققه أريستارخوس بعد الاطلاع على طبعات سابقة له قد تعود للقرن السادس ق.م. وهو الذي وصل بعد قدر من التعديلات والتصويبات عبر مخطوطات عدة إلى ناشري الطبعات الحديثة.

ومازالت الدراسات الهومرية متواصلة وستواصل تجددتها مع الزمن. ويرجع الفضل في ذلك جزئياً على الأقل إلى رمال مصر التي ماقتنت تمدنا بشذرات بردية من "الإلياذة" و "الأوديسية" تدعم النص الذي بأيدينا أو تصححه وتغير وتبدل فيه. ونضرب لذلك مثلاً بالبرديات التالية المكتشفة في مصر وتحمل شذرات من "الإلياذة".

Manfredo Manfredi, Papiri dell' Iliade, a cura di Manfredo Manfredi, Istituto Papirologico G. Vitelli. Firenze 2000.

وباليونان أنشئ "مركز دراسات الأوديسية" في إيثاكي موطن أوديسيوس وعقد عدة مؤتمرات دولية نشرت أعمالها في مجلدات تملأ المكتبات. ويعقد مهرجان سنوي بعنوان "الهومريات" يتمحور حول جزيرة خيوس. أما إذا نظر المرء في الدوريات المتخصصة وكذا إصدارات دور النشر عبر العالم كله وشبكة

المعلومات الدولية (إنترنت) فلن يستطيع أن يحصى بسهولة فيض الدراسات المنهجرة بكل لغات العالم عن هوميروس^(٧٢).

ب- "الإلياذة" ينبوع الإلهام الشعري قديماً وحديثاً:

واعتبر هوميروس في العصور الإغريقية التالية له مصدرًا للديانة والطقوس بل مرجعًا للتاريخ وحجة في المنازعات. فعندما تصارع الأثينيون والميجاريون حول ملكية الجزيرة الصغيرة سلاميس استشهد الأثينيون بالبيت رقم ٥٥٨ من الكتاب الثاني حيث وضع أياس من سلاميس سفنه جنبًا إلى جنب مع السفن الأثينية (في الجزء المعروف باسم قائمة السفن)^(٧٣). ويقول بريكليس في الخطبة الجنائزية التي حفظها لنا ثوكيديديس إن أثينا وأمجادها لا تحتاج حتى لمديح هوميروس^(٧٤)، مما يعنى أن كافة المدن الإغريقية كانت تبني اعتزازها القومي وفخارها بالماضي العريق على ما جاء عند هوميروس. ومن هنا أيضًا تأتي الشكوك حول الانتحال.

فهوميروس هو ينبوع الأدب الإغريقي الذي انبثق جارفًا من قمة شاهقة فسالت منه الأنهار هنا وهناك، ونهل منه كل من جاء بعده في الأدب الإغريقي والروماني ثم الأوروبي والعالمى. صارت أشعار هوميروس بمثابة كتابات مقدسة توجز جوهر المعرفة الإنسانية وتجسد التفوق البشرى. يقول أفلاطون إن من تتسنى له فرصة فهم هوميروس يهيمن على أساليب الفنون جميعًا هيمنة تامة^(٧٥). ويعتبر هيراكليتوس أشعاره منجمًا لا ينضب معينه من الورع الدينى والحكمة الفلسفية^(٧٦).

(٧٢) عن الدراسات الهومرية راجع:

R. Pfeiffer, *History of Classical Scholarship. From the beginnings to the End of the Hellenistic Age.* Oxford 1968.

Anton Powell ed. : *The Greek World.* Routledge. London and New York 1995.

D.W. Packard – T. Meyers, *A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970,* preliminary ed. Malibu, Calif. 1974.

R.W. Lamberton– J. Kenney: (edd.) *Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes.* Princeton 1992.

أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٥٢٥ وما يليها.

Aristotle, *Rhet.* I 15. (٧٣)

Thucyd. II 414. (٧٤)

Plato., *Ion.* 359 d. (٧٥)

Herakleitos, *Homerika Problemata (Quaestiones Homericae),* Teubner 1910; (٧٦)

cf. H.J. Rose, *A Handbook of Greek Literature from Homer to the Age of Lucian.* Methuen, London 1965. pp. 15, 355.

ولم يقتصر تأثير هوميروس على الشعر^(٧٧) بل امتد إلى فنون النثر، لأن الناثرين تعلموا منه كيف يسردون قصة طويلة في أسلوب أدبي شيق، حتى إنه يمكن اعتبار تاريخ هيرودوتوس وكأنه ملحمة نثرية. وهكذا صار هوميروس بمرور الزمن في نظر معجبيه من الإغريق والرومان الشاعر الذى لا يخطئ. إذ لا بد دائماً من البحث عن المعنى الخفى الذى لم نعيه أو نستوعبه، ولا مناص في النهاية من أن يكون هو الصائب ونحن المخطئون. وفي العصور الوسطى أصبح هوميروس (وفرجيليوس) منبعاً لكل فتوى ومصدراً لكل حكمة ودرساً في كل فن، فلا مفر من إيجاد سند قوى من أشعاره إذا أراد أى إنسان أن يثبت حجته أو يدعم رأيه في أية مسألة مطروحة علمية كانت أم فلسفية، دنيوية أم لاهوتية.

تعتبر "الإلياذة" و "الأوديسية" - إذا قورنتا بالملاحم الأوروبية الحديثة^(٧٨) مثل "الفرديوس المفقود"^(٧٩) لميلتون - ملحمتين ملهمتين بمعنى أنهما من الشعر الملحمى النابع مباشرة من أفعال بطولية بصورة تلقائية. ومثل هذا الشعر الملحمى الشفوى كان موجوداً حتى قبل هوميروس كما سبق أن ألمحنا، وكما يرد في "الإلياذة" (الكتاب التاسع بيت ١٨٦ وما يليه)، حيث يذهب وفد آخى إلى أخيليوس المعتكف في محاولة لاسترضائه فيجدونه يعزف على قيثارته متغنياً بأمجاد الرجال أى منشداً شعراً ملحمياً. وهدف مثل هذا الغناء الملحمى عملي ونفعي، لأنه يعطى تسجيلاً

(٧٧) عن تأثير هوميروس في الشعر الغنائي عامة وفي أشعار بنداروس خاصة راجع:

Gregory Nagy, Pindar's Homer: The Lyric Possession of an Epic Past. The Johns Hopkins University Press 1982.

Bernard Fenik, Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style. Cambridge: Harvard University Press 1986. (٧٨)

Jeffrey Tigay, The Evolution of the Gilgamesh Epic. Philadelphia: University of Pennsylvania Press 1982.

Ronald Barnett, Comparative Studies in Homeric Epic and other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.

وأما بشأن البحث عن هوميروس في أفريقيا ومقارنة ملاحم هوميروس بالتراث الملحمى شرقاً وغرباً راجع: Muhammed Dalhatu, "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In Oral Poetry in Nigeria. Ed. U. Abalogu, 1981, pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.

Jan. Knappert, Epic Poetry in Swahili and other African Languages. Leiden Brill 1983.

أحمد عثمان: الأدب الإغريقي، ص ٨٩-١٠٢

Hight, op. cit., pp. 150 ff.

(٧٩) عن تقليد ميلتون هوميروس راجع:

شعريا وحيًا للبطولات، كما يتمتع كلا من المشاركين في الغناء والمستمعين إليه. وهو شعر يصف عالما حقيقيا لا خياليا صرفا، ولو أن غلالة طقسية وسحرية قد تلف عملية الغناء الملحمي برمتها. ولكن هذا ما نلاحظه حتى في ملحمة أروبية حديثة مثل "أغنية رولان" *Chanson de Roland* التي تتغنى بأعمال بطولية خارقة، ومع ذلك يشعر المرء بأن هذه القصيدة تقوم على أساس وصف حادث فعلي.

هناك نوع آخر من الملاحم يختلف عن ملحمتي هوميروس، ملاحم تعالج أحداثا أسطورية تتفاعل في ذهن الشاعر ومع خياله. وهذا ما حدث بالنسبة لشاعر الإسكندرية أبولونيوس الرودسي (أى الرودى) وهو ينظم ملحمة "الأرجونوتيكاً" (أى "رحلة السفينة أرجو"). إنه يتبع الخطوط العريضة للأسطورة كما وردت عند شعراء التراجميديا الإغريقية، ولكنه يخترع شخوصا وأحداثا جديدة برويها بالطريقة التي تروق له. فشخصية ميديا مثلا في الكتاب الثالث يرسمها أبولونيوس بوعى "سيكولوجى" عميق، كما أن لحظة الشك التي تتابها (بيت ٦٤٥ وما يليه) مقنعة لأقصى حد. بيد أننا نلاحظ أن مغامرات بحارة السفينة أرجو عند أبولونيوس الرودسي فى نهر الدانوب والبو والرون من اختراع الشاعر نفسه، وتعكس سعة اطلاعه واهتماماته الجغرافية وهى سمة مميزة لعصره أى العصر الهيلينى أو السكندرى^(٨٠).

ما يهمنا الآن هو أن ملحمة أبولونيوس الرودسي قد نظمت فى سعة من الوقت وروجعت وصححت أكثر من مرة. وهى تخاطب جمهورا قارئا بصمت - أو حتى بصوت مسموع - على النقيض من ملاحم هوميروس الإنشادية أى التى تلقى على جمهور منصت. ومن ثم يمكن القول عن ملحمة أبولونيوس إنها ملحمة أغلبها من صنع الخيال، أو على الأقل غير واقعى، وتخاطب الذهن أكثر مما تخاطب الوجدان. وهذا أمر ينطبق على ملحمة "الإنيادة" لفرجيليوس وسائر الملاحم الرومانية الأخرى و "الفردوس المفقود" لميلتون. فعالمها جميعا من صنع الخيال والدرس الواعى، وهو شئ ينبغى ألا نتوقعه من هوميروس الشاعر أو المنشد الملهم. تدور ملاحم أبولونيوس وفرجيليوس وميلتون وغيرهم فى الأغلب حول موضوعات تجريدية. ورب قائل يقول إن "غضبة أخيلوس" التى تقوم عليها "الإلياذة" - مثلا - فكرة تجريدية أيضا. وقد يكون هذا صحيحا بيد أننا فى الملحمة

(٨٠) أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٥٤١-٥٧٤.

نفسها لا ترى هذه الغضبة إلا في إطار وصف أحداث ووقائع، محسوسة وتشكل أساسا فنيا وواقعا للإنشاد الملحمي. أما في "الإلياذة" لفرجيليوس على سبيل المثال فالموضوع الرئيسي هو عظمة روما، وكذا في "الفردوس المفقود" لميلتون فالهدف هو وصف سقوط الإنسان، بيد أن الملحمتين تضمان الكثير من الحوادث والتفاصيل الإضافية التي قصد بها على وجه العموم تأكيد الموضوع الرئيسي، ولكنها في مجملها لا ترتبط عضويا بالحبكة الفنية للملحمة. مثال ذلك الاستعراض التنبؤي لتاريخ روما الذي يقدمه لنا أنخيسيس في العالم السفلي بالكتاب السادس من "الإلياذة"^(٨١). لقد وضع فرجيليوس من البداية هدفا واضحا نصب عينيه ويسعى إليه بكل الطرق وبكل الوعي - أي تمجيد أوغسطس - مما أفقد ملحمة دفاع العفوية وطلاوة التلقائية المتدفقة. وأصبح بطله آينياس وعاء ممثلاً من الفضائل الرومانية، وبذلك أخرج من نطاق البشرية. وشتان بين هذا البطل وأخيليوس أو أوديسيوس الهومريين ! أما ملاحم العصر الفضي في الأدب اللاتيني فهي تقلد مقلدى هوميروس السكندريين، وتبتعد تماماً عن الأصول الشفوية للشعر الملحمي^(٨٢).

صفوة القول إن هوميروس يمثل الشعر الملحمي الأصيل والقائم على تقنية الشعر الشفوي لا الأدب المكتوب. وهي تقنية تتجلى في عدة جوانب أهمها جميعاً الحبكة الملحمية القائمة على وحدة الموضوع والجو النفسى العام مهما وقع من تكرار أو استطراد. ونتيجة أخرى يمكن أن نستنبطها من دراستنا للتقنية الملحمية الهومرية وهي أن التفكير الدرامى صفة مميزة للعقلية الإغريقية منذ البداية. وهذا ما يفسر لنا مقولة أيسخولوس سألقة الذكر "ما مسرحياتى إلا فتات مائدة هوميروس الحافلة".

كان هوميروس أول من فجر قضية جوهرية لا تزال تشغل كل المهتمين بالأدب والفنون إلى يومنا هذا، أى قضية التعامل مع التراث. فموضوع هوميروس ليس الماضى فقط بل الحاضر أيضاً، فهو يتعامل مع أساطير الأبطال القدامى، ولكنه يصور حياة معاصريه. وبذلك ضرب المثل الذى حذا حذوه كل الأدباء

(٨١) أحمد عثمان: "الأدب اللاتيني ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبي"، (الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٩٥)، ص ٢٤٤-٢٨٠.

(٨٢) أحمد عثمان: الأدب اللاتيني ودوره الحضارى العصر الفضى. أيجيتوس ١٩٩٠، ص ١٣٤ ومايلها.

والشعراء الإغريق من بعده. بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الآداب الحديثة كلها لازالت تتبع هذا النموذج الهومري وهي تتعامل مع التراث الموروث عن الماضي البعيد. إذ ما هي الفائدة المرجوة من إحياء التراث - أي تراث - إن لم يكن يهدف إلى خدمة الحاضر وتصوير أحواله وتسليط الضوء على آماله وآلامه ؟

في قصيدة بترارك الملحمية "أفريقيا" نجد الشاعر اللاتيني الملحمي إنيوس رفيق سكيبيو أفريكانوس في حملته الإفريقية يحكى أنه في رحلة العودة إلى روما رأى فيما يرى النائم هوميروس الذي أخبره أنه سيصبح "هوميروس الآخر" أو "الثاني" alter Homerus^(٨٣). ووجه بترارك الذي حاول مراراً أن يتعلم الإغريقية أربعة من رسائله - وهي الأطول - إلى هوميروس.

في عام ١٣٥٤ وصل نيكولاس سيجيروس Nicholas Sigeros مبعوث الإمبراطور البيزنطي إلى البلاط البابوي في أفينيون Avignon وقدم له نسخة من "الإلياذة" فاحتضنها البابا بحماس، ولكنه اعترف "هوميروس هديتك لي سيظل عندي صامتاً، كم كنت أتمنى أنى قد سمعتك !".

"Homerus tuus apud me mutus... quam cupido te audirem".

وكان على بترارك أيضاً أن ينتظر أربع أو خمس سنوات ليرى هوميروس يتحدث في ترجمة لاتينية حرفية أنجزها ليوننتزيو بيلاتو Leonzio Pilato، وكان قد ولد في كالابريا لأم يونانية. وكان قد ترجم بالفعل خمس كتب من "الإلياذة" قبل أن يقنعه بترارك وبوكاشيو في فلورنسا أن يتم ترجمة ملحمتي هوميروس.

وبعدين مرتعتين أمسك الشيخ المسن بترارك ترجمة الملحمتين وعلق عليهما حتى وصل إلى الكتاب الثاني من "الأوديسية" بيت ٢٤٢. حيث مات في ٢٣ يوليو ١٣٧٤ قبل أن يتم التعليق على "الأوديسية"، ولكنه أنجز تدوين ملاحظاته على "الإلياذة".

وكان بوكاشيو هو الذى دعى بيلاتو إلى فلورنسا ليتعلم على يديه اللغة الإغريقية، بل استضافه فى منزله - رغم أنه لم يكن غنياً أو ذا نفوذ - طيلة ثلاث سنوات ليتم ترجمة هوميروس إلى اللاتينية، وهى أول ترجمة من نوعها فى فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة.

كان بوليتسيانو **Poliziano** أو كما هو شائع بوليتيان شاعراً وناقداً ولد عام ١٤٥٤ و صار في شبابه صديقاً للورنزو دي ميديتشي. وبدأ يتعلم الإغريقية في سن العاشرة، وفي سن السادسة عشر نظم شعراً بها، وفي الثامنة عشر ترجم الكتب من الثالث إلى الخامس من "الإلياذة" في شعر لاتيني رائع بالوزن السداسي. لقد كان أول عالم غربي ينافس المهاجرين اليونان في معرفة اللغة الإغريقية القديمة. وهو أول من حاول تصحيح المخطوطات الإغريقية القديمة ويملاً الفجوات فيها بكلمات إغريقية صحيحة. حاضر في هوميروس (وهيسودوس وثيوكريتوس) وكانت مقدماته لهذه المحاضرات قصائد بالوزن السداسي أطلق عليها اسم "البستان" **Silvae** إحياءً لذكرى شاعر الملاحم اللاتيني الفضى ستاتيوس^(٨٤). ولم يمهل الموت ليصدر طبعة كاملة لهوميروس.

نقل لورنزو فالالا **Lorenzo Valla** (١٤٠٧-١٤٥٧) عام ١٤٢٨-١٤٢٩ أربعة كتب من "الإلياذة" إلى لغة لاتينية نثرية بسيطة وواضحة. وفي عام ١٤٤٢-١٤٤٣ كان قد وصل إلى ما يقرب من ثلثي الملحمة. وبعد موته أكمل عمله تلميذه فرانثيسكو أريتينو **Francesco Aretino**.

وظهرت أول ترجمة فرنسية لهوميروس عام ١٥٣٠، وهي ترجمة جان سامكسون **Jehan Samxon** النثرية "للإلياذة" والتي هي في الواقع منقولة عن ترجمة فالالا اللاتينية مع إضافات من روايات أخرى للحرب الطروادية سادت في العصور الوسطى سنتعرض لها بعد قليل. وبعدها ترجم سالييل **H.Salel** عشرة كتب من "الإلياذة" عام ١٥٤١ شعراً ونشرت ١٥٤٥. وأكملها أماديس جامين **Amadis** عام ١٥٧٧. ثم جاءت مدام داسيه **Mme Dacier** (١٦٥٤-١٧٢٠) بترجمة "الإلياذة" ١٧١١ و "الأوديسية" ١٧١٦ فأذهلت الجميع وغطت على كل الترجمات السابقة، ولا تزال ترجمتها تقرأ إلى يومنا هذا. أما أبوها ليفيفر **Tanaquil Lefevre** فقد كان محرراً واسع الثقافة وناشراً للعديد من النصوص الإغريقية واللاتينية.

نقل تشابمان **George Chapman** "الإلياذة" ١٦١١ و "الأوديسية" ١٦١٤ والأنشيد ١٦١٦ من اللغة الإغريقية إلى الإنجليزية مباشرة وشعراً. ولطالما تفاخر

(٨٤) أحمد عثمان: الأدب اللاتيني الفضى، ص ١٤١-١٥٠، ١٦٠-١٦٤.

تشابمان بأنه أنجز ترجمة النصف الثانى من "الإلياذة" (الكتب ١٣-٢٤) فى أقل من أربعة شهور ! ووصف الشاعر كيتس Keats هذه الترجمة بأنها عالية الصوت وجريئة (Loud and Bold). إنها أول ترجمة شعرية كاملة لهوميروس ومن الإغريقية مباشرة فى لغة أوربية حديثة.

هذا وإن سبفته بعض المحاولات الجادة مثل الترجمة الشعرية الإيطالية للأوديسية" التى قام بها لودوفيكو دولشى Lodovico Dolce عام ١٥٧٣، وكذلك ترجمة الكتب السبعة الأولى من "الإلياذة" فى شعر مرسل أنجزها جيرولامو باتشيللى Girolamo Bacelli عام ١٥٨١-١٥٨٢. ومن ثم يمكن القول إن ترجمة تشابمان رائدة ولم يسبق لها مثيل.

وفى مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" (Troilus and Cressida) الإغريقية الموضوع أيضاً يستعير الشاعر الإنجليزي بعض الشيء من "الإلياذة" هوميروس. مثال ذلك المباراة بين هيكتور وأياس وحديث أوديسيوس^(١٠) (ف ١ م ٣ ب ٧٨ ومايليه) وكذلك شخصية ثيرسييتيس^(٨٥) ساقفة الذكر، التى لم تظهر فى الروايات الشائعة للحرب الطروادية إبان العصور الوسطى، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فى حينه. يهنا الآن أن نشير إلى أن كل الدلائل تثبت أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة"، ولاسيما الكتاب الأول والثانى والكتب من السابع إلى الحادى عشر، حيث ظهرت عام ١٥٩٨. ومع ذلك نجد مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" ليست فقط منافية لروح البطولة الإغريقية، ولكنها أيضاً تمثل كاريكاتيرا غير مقنع لبلاد الإغريق وحضارتهم.

وعرضت مسرحية شكسبير "ترويلوس وكريسيدا" عام ١٦٠١/١٦٠٢. ويعنى الاسم ترويلوس أو طرويلوس "الطروادى الصغير". وقد ورد فى الروايات الأسطورية الإغريقية على أنه اسم الابن الأصغر لبرياموس ملك طروادة من هيكابى ملكتها. وتقول الأساطير أيضاً إنه قد قتل على يد أخيلوس وهو الذى يبكيه ملك طروادة برياموس - بين أبنائه الآخرين المفقودين فى الحرب ("الإلياذة" الكتاب الرابع والعشرون، بيت ٢٥٧). وبغض النظر عن هذه الأساطير الإغريقية الكلاسيكية، هناك قصة أخرى شاعت فيما بعد العصر الإغريقى الرومانى، وتعزى

(*) ف = فصل، م = مشهد، ب = بيت.

(٨٥) عن هذه الشخصية وعلاقتها بأبطال هوميروس راجع: أحمد عثمان: الأدب الإغريقى، ص ٥١ ومايلها.

إلى الشاعر الغنائي بينوا دي سانت مور، الذي عاش إبان القرن الثاني عشر تحت رعاية وحماية هنرى الثانى ملك إنجلترا. إذ كان هذا الشاعر قد ألف قصة طروادة" (Roman de Troie) معتمدا على داريس الفريجي Dares Phrygius - والفريجي تعنى الطروادى^(٨٦)، وديكتيس كريتينسيس Dictys Cretensis (أى ديكتيس الكريتى). والأول هو فى الأصل شخص يرد اسمه فى "الإلياذة" (الكتاب الخامس بيت ٩)، على أنه كاهن الإله هيفايستوس فى طروادة. وفى العصور الوسطى نسب إليه وضع عمل لاتينى، قيل إنه ترجمة للوصف الذى أعطاه هو بنفسه بوصفه شاهد عيان لتدمير موطنه طروادة، وحمل عنوان "عن الخروج من طروادة" (De Excidio Trojae). ويرجع بعض الدارسين ظهور هذا المؤلف المترجم إلى القرن الخامس الميلادى. أما ديكتيس كريتينسيس (الكريتى) فقد نسب إليه أيضا وضع عمل مماثل يسجل أحداث الحرب الطروادية وكتب باللغة الإغريقية^(٨٧). ثم شاعت ترجمته اللاتينية على يد لوكيوس سيبتيميوس (Lucius Septimius) إبان القرن الرابع الميلادى. ولاقى هذه الترجمة قبولا وذبوعا فى العصور الوسطى التى حفظتها من الضياع، حتى وصلت إلى أيدي الدارسين المحدثين. ومن مقدمة هذه الترجمة علم أن ديكتيس من مواليد مدينة كنوسوس (تسمى الآن هيراكليون) بجزيرة كريت، وأنه هو الذى اصطحب إيدومينيوس - حفيد الملك الأسطورى للجزيرة أى مينوس - إلى الحرب الطروادية.

وهاتان الروايتان الأسطورتان الشائعتان فى العصور الوسطى أصبحتا المصدر الرئيسى لأى عمل أدبى عن الحرب الطروادية إبان عصر النهضة الأوروبية. فعليهما اتكأ جويدو دا كولونا أو ديللى كولونى (Guido da Colonna أو G.delle Colonne) الكاتب الصقلى الذى عاش إبان القرن الثالث عشر ومؤلف القصص باللغة اللاتينية وصاحب "التاريخ الطروادى" (Historia Troiana). وهى

(٨٦) ساد الاعتقاد لدى الكتاب الإغريق بعد هوميروس بأن الطرواديين جاءوا من سلالة الفريجيين، ولكن الأمر غير ذلك عند هوميروس نفسه ولقد سلف أن تساءلنا: من هم الطرواديين؟ راجع أعلاه.

(٨٧) H.J. Rose, Outlines of Classical Literature for the Students of English. London Methuen 1959, pp. 216-217.

حيث يذكر المؤلف أنه عشر مؤخرا على بردية فى تيبونيس Tebtunis (أى أم البرجات على الحدود بين الفيوم وبني سويف) وتحتوى شذرة إغريقية من مؤلف ديكتيس هذا، ويرجح أن تاريخها يعود إلى القرن الثانى الميلادى.

فى الواقع نسخة نثرية لـ ("قصة طروادة") للمؤلف الشاعر بينوا دى سانت مور، مع أن جويدو نفسه لا يعترف بذلك. ولقد ترجمت قصة جويدو نفسها فيما بعد إلى أشعار تنسب إلى كل من جون باربور John Barbour (؟١٣١٦-١٣٩٥) الشاعر الإسكتلندى، وجون ليدجيت John Lydgate (؟١٣٧٠-؟١٤٥١) راهب بيورى سانت إدموندز (Bury St.Edmonds). فالأول نظم قصيدة "أسطورة طروادة" (Legend of Troy)، وقيل إنها ترجمة لقصة جويدو التى أصبحت تعرف بعنوان جديد هو "قصة تدمير طروادة" (Historia Destructionis Troiae). أما الثانى فهو صاحب "كتاب طروادة" (Troy Book) الموضوع فيما بين ١٤١٢ و ١٤٣٠ والمطبوع عام ١٥١٣. وهو فى الواقع عبارة عن قصيدة تقع فى خمسة كتب، ونظمت بناء على طلب الأمير هنرى - أى الملك هنرى الخامس فيما بعد - وتقص "القصة العظيمة" (noble storye) لطرودة، وتعد بصورة أو بأخرى مدخلا تمهيديا لقصة "الاستعمار" الطروادى لإنجلترا على يد بروتوس حفيد آينياس الطروادى^(٨٨) - الذى أسس حفيداه رومولوس وريموس مدينة روما - طبقا لما ورد عند جيوفرى من مونموث Geoffrey of Monmouth أو باللاتينية جافريديوس

(٨٨) حاولت بعض الدول الأوروبية الحديثة أن تهج فحج روما القديمة فتدعى لنفسها نسبا طرواديا. فكما أشاع الرومان - واعتقدوا - أنهم من نسل آينياس الطروادى حاولت هذه الدول أن تبحث لنفسها عن أصول طروادية. ولم تك قصة بروتوس أو بروت (Brut) مؤسس السلالة البريطانية موضوعا خياليا صالحا للأدب والفن فحسب، بل صارت شبه واقعة تاريخية يؤمن الناس بصحتها. فمنذ ليامون (Layamon) - أو لومون (Lawemon) ويعنى اسمه "رجل القانون" (Lawman) - الذى ازدهر حول عام ١٢٠٠م وألف كتاب "بروت" وهو تاريخ لإنجلترا منذ وصول بروتوس الأسطورى إلى الجزيرة البريطانية وحتى عهد كادوالادار Cadwalladar (٦٨٩م) والذى اعتمد المؤلف فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة على نسخة ويس Wace الفرنسية لـ "تاريخ ملوك بريطانيا" لجيوفراى من مونموث مع إضافات أخرى. وتضمن مؤلف ليامون لأول مرة تاريخ ملوك مثل لير وسيميلين وشخصيات أخرى ظهرت فى الأدب الإنجليزى بعد ذلك. ولكن قصة بروت (بروتوس) قبلت أيضا كما سبق القول على أنها تاريخ حقيقى إلى الحد الذى دفع بوشانان (Buchanan) فى الكتاب الثانى من مؤلفه "تاريخ الإسكتلنديين" (Historia Scotorum) إلى أن يتخذ هذا الاعتقاد بشدة. على أية حال لقد حاول البريطانيون بخلق هذه الأسطورة أن يربطوا نشأة دولتهم بأصل طروادى ضاربين عرض الحائط بالصعوبة اللغوية الكامنة فى حقيقة أن اسم البطل الطروادى الذى وقع عليه اختيارهم أى "بروتوس" كان لاتينيا وليس إغريقيا أو طرواديا! وذهب بعض البريطانيين إلى حد أن جعلوا لغة هذا البطل ويلشية (Welsh) وقيل كذلك إن الاسم الأصلى للعاصمة البريطانية هو "طروى نوفانت" أى "طروادة الجديدة" (Troynovant). ولكن هذا الاسم قد يكون مشتقا من الاسم القبلى فى بريطانيا "ترينو بانيس" (Trinobantes) والذى ورد عند يوليوس قيصر وتاكيوس. ومما يذكر فى هذا الصدد أن الحرف b و v قد أصبحا شيئا واحداً ويمكن أن يحل الواحد منهما محل الآخر أبان العصور الوسطى فذلك ما حدث بالنسبة للحرف الإغريقى "بيتا" (B) الذى أصبح ينطق "فيتا". أما المقطع Tri فمن اليسر تحويره إلى Troia وبذلك يصبح اسم العاصمة البريطانية الأصلى - مثل اسم روما القديمة - هو "طروادة الجديدة" أو "طروى نوفانت" ! .

مونيمونتينسيس *Gaufridus Monemutensis* (١١٥٤-؟١١٠٠) في كتابه "تاريخ ملوك بريطانيا" (*Historia Regum Britanniae*).

وفي الكتاب الثالث من قصيدة ليدجيت، وهو الذي يعالج قصة ترويلوس وكريسيدا، يقدم الشاعر تحية مستطابة إلى أستاذه (maister) تشوسر (حوالي ١٣٥٤-١٤٠٠)، الذي سبق أن تناول الموضوع في قصيدته "ترويلوس وكريسيدا" (*Troilus and Cryseyde*)، التي نظمت في الفترة ما بين عام ١٣٧٢ و ١٣٨٦ والتي يعتبرها الدارسون مرحلة التأثير الإيطالي في إنتاج هذا الشاعر الإنجليزي القديم. فلقد تأثر تشوسر في هذه المرحلة بدانتى (١٢٦٥-١٣٢١) ويوكاشيو (١٣١٣-١٣٧٥)، الذي كتب قصيدة بعنوان "فيلوستراتو" (*Filostrato*) عن قصة ترويلوس وكريسيدا. أما عن الآخرين الذين كتبوا عن ترويلوس وكريسيدا قبل شكسبير فنذكر منهم الشاعر الإسكتلندي، الذي يعد من أتباع مدرسة تشوسر في الشعر، إنه روبرت هنريسون أو هندرسون *Robert Henryson* أو *R.Henderson*. الذي عاش تقريبا فيما بين ١٤٣٠ و ١٥٠٦، وكتب قصيدة "عهد كريسيدي" (*Testament of Cresseid*) التي كانت تنسب إلى تشوسر حتى عام ١٧٢١، بالرغم من أنها كانت مطبوعة تحت اسم مؤلفها هنريسون منذ عام ١٥٩٣^(٨٩).

ومن المعروف أن ملحمة هوميروس الخالدة "الإلياذة" تتخذ من غضبة أخيلوس موضوعا رئيسيا لها، كما سبق أن ألمحنا. ولقد وقعت غضبة بطل الأبطال الإغريق بسبب الإهانة التي لحقت به من أجامنون ملك الملوك. ذلك أن طاعونا كان قد داهم المعسكر الإغريقي إبان الحرب الطروادية فأعلن العراف كالخاس أنه لا علاج ولا دواء يدرأ هذه الكارثة سوى أن يسلم أجامنون محظيته العذراء الجميلة خريستيس إلى أبيها كاهن أبولو. فقبل أجامنون أن يفعل ذلك على مضض، وبشرط أن تسلم إليه أولا عوضا عن محظيته الجميلة محظية أخيلوس وتدعى بريستيس. ولكن بريستيس هذه أصبحت في قصة جويدو بريسيديا

(٨٩) الجدير بالذكر أن درايدن (١٦٣١-١٧٠٠) نشر عام ١٦٧٩ مسرحية "ترويلوس وكريسيدا" فانتقدتها جورج سينتزبري (*George Saintsbury*) في كتابه "رجال الأدب الإنجليزي" (*English Men of Letters*) قائلا: "إنه كان من الأفضل بكثير ألا يحاول المؤلف تناول هذا الموضوع". وجدير بالتنويه أن درايدن جعل كريسيدا تنتحر عندما أثرت الشكوك حول إخلاصها لترويلوس. أما الأخير فيقتل ديوميديس ثم يقتل بدوره على يد أخيلوس وهذا حل شائع لعقدة القصة.

(Briseida) بنت العراف كالكاس التي أحبها على التوالي كل من ترويلوس وديوميديس، ثم تحول اسمها في قصيدة بوكاشيو إلى جريسيدا (Griseida). وعلى يد تشوسر أصبح الاسم كريسيد (Cryseyde). ولقد ضمت قصيدة تشوسر حوالى ٨٢٠٠ بيتاً، وأثرى المؤلف القصة التي نقلها عن بوكاشيو بإضافة عنصر الحيوية والسخرية لشخصية بانداروس (Pandarus)، الذي توسط بين ترويلوس وكريسيدا، وكذلك بتطوير شخصية الأخيرة فجعلها امرأة رزينة جادة متأنية تضع في عين الاعتبار سمعتها ومصالحها من ناحية، ومتعتها من ناحية أخرى. أما شخصية كريسيدا في مسرحية شكسبير فهي فتاة طائشة مستهترّة وأنثى متهورة متقلبة وقعت في حب ترويلوس وهجرته بعد ذلك دون سبب حقيقى. يعالج تشوسر بطلته بلطف وتعاطف ظاهرين ويرسمها لنا أرملة صغيرة جذابة ومرنة، ولكنها تنوب حياءً. وبكياسة بارعة تجنب تشوسر أن يقدم أى شرح أو تفسير مباشر لخيانتها التي وقعت، ولكنه أوحى لنا أنها تحولت إلى حب ديوميديس لا بدافع الشهوة الحسية الرخيصة، وإنما لأنها شعرت بالوحدة الفتاكة والاعتراب القاتل في المعسكر الإغريقى. كما أنها بطبعها - كما نفهم من معطيات تشوسر - لا تقوى على المقاومة طويلة النفس أمام غواية الحب. أما كريسيدا شكسبير فهي امرأة غير متزوجة مغناج بطبعها شهوانية في سلوكها، أى أنها أبعد ما تكون عن براءة كريسيدا تشوسر ونقائها الداخلى. فهي عند شكسبير تتورط في الخيانة بدافع الشهوة الحسية. وهنا ينبغى أن نتذكر حقيقة أن قصيدة تشوسر قد كتبت في عصر الحب البلاطى وفي ظل سلوك الفروسية، الذى وضع قالباً معيناً أو نمطاً مقدساً لكياسة العشاق من الفرسان النبلاء. فساد مبدآن مهمان في قانون الحب الفروسى غير المكتوب، أولهما السرية. فعلى العاشق الفارس أن يحفظ سر عشقه في مكنون صدره، ولا يسمح له بالخروج من أعماق القلب كيلا يشيع أمره بين الناس، ويفضح المحبوبة ويسىء إلى سمعتها وتلوك سيرتها كل الألسنة. أما المبدأ الثانى فهو الإخلاص التام أو قل التفانى في المحبوب. ولم يتضمن دستور الحب الفروسى العلاقة الزوجية، لأن هذا الحب لم يكن يهدف إلى هذه النهاية السعيدة، فلا أمل للعاشق الفارس سوى أن يفنى في خدمة ورعاية عشيقته، ولو لم يحصل منها على مبتغاه. نعم قد تقوم علاقة جسدية بين العشيقين الفروسيين، ولكن ذلك أمر يرجع في المقام الأول إلى المحبوبة ورضاها أو قل تعطفها على العاشق الولهان. فالعلاقة الغرامية الفروسية مقضى عليها بالفساد إذا تسرب أمرها إلى أذن أو ألسنة الناس

من ناحية، وإذا داخلها شيء من الحسية أو الشهوانية البذيئة من ناحية أخرى.

أما شكسبير الذي كتب مسرحيته بعد قرنين من الزمان فيخاطب مجتمعا آخر، تغيرت فيه الأعراف والتقاليد. فالكاتب الإليزابيثي يرى أن النهاية الصحيحة للحب هي الزواج. فإذا وضعنا في اعتبارنا حقيقة أخرى، وهي أن كتاب عصر شكسبير لم يحفلوا كثيرا بالزنا إلا في إطار الكوميديا الهزلية، تبينا قدر الصعوبة البالغة التي واجهت شكسبير وهو يعالج قصة ترويلوس وكريسيديا معالجة تراجيدية. كان ترويلوس أنموذج العاشق المخلص من ناحية، ولكنه لم يتزوج كريسيديا في أي مصدر من مصادر شكسبير من ناحية أخرى. ولقد استطاع شكسبير على أية حال أن يحتفظ بمبدأ السرية المطلوبة، كما عمل على ألا يثير موضوع الزواج بطريقة مكشوفة قدر الإمكان. وذهب بعض النقاد إلى اعتبار لقاء العاشقين في حضرة أحد الشهود نوعا من الزواج، ولكن هذه الفكرة لا تتواءم مع الانطباع العام الذي نخرج به من المسرحية برمتها، والتي يحيط بها - على أية حال - قدر كبير من الغموض. بقي أن نشير إلى أن شكسبير وتشوسر كانا أكثر تقاربا وتشابها في رسمهما لشخصية ترويلوس، إذ اتفقا فيما بينهما على القدرة العسكرية لهذا البطل الذي لم يتفوق عليه أي بطل طروادي آخر سوى هيكتور وهو بطل الأبطال الطرواديين ونظير أخيلوس الإغريقي. ويتفق الشاعران كذلك في أن ترويلوس عند كل منهما يتميز بالإخلاص في الحب إلى ما لانهاية، كما أنه قد حاول أن ينسى حبه أثناء القتال، بل وتمنى أن يموت في ميدان الحرب ليكسب الحب. ومع ذلك فيمكن القول بصفة عامة إن الجو السائد في مسرحية شكسبير جد مختلف عنه في قصيدة تشوسر. فمسرحية شكسبير ومعطياتها ليست فقط منافية للبطولة (antiheroic)، ولكنها إلى حد ما تعد كاريكاتيرا بعيدا في روحه عن الروح الإغريقية التي يجهلها أو يتجاهلها.

ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى ظهور شخصية ثيرسيتيس في مسرحية شكسبير. ولما كانت هذه الشخصية غير موجودة في الروايات الشائعة إبان العصور الوسطى كما رأينا، فإن ذلك يدل على أن شكسبير قد قرأ ترجمة تشابمان "للإلياذة" ولاسيما الكتاب الأول والثاني والكتب من السابع إلى الحادي عشر حيث ظهرت عام ١٥٩. وفي الواقع هناك ثلاث أو أربع إشارات أسطورية يمكن إرجاعها إلى نفس ذلك المصدر (قارن "ترويلوس وكريسيديا" ف٣ م٣ ب١٩٠ على سبيل المثال).

أما عن هوميروس في بقية الدول الأوروبية الناهضة فلا يتسع المقام هنا لتتبع كل الترجمات ولا كل التأثيرات التي مارسها هوميروس في فنون الأدب ونكتفى بالإشارة إلى بعض الأمثلة، ففي إسبانيا ترجم خوان دي مينا **Juan de Mena** (١٤١١-١٤٥٦) "الإلياذة" نثرًا ثم صدرت نسخة موجزة للترجمة ١٤٤٠، ولكن هذه الترجمة ومن باب أولى الموجز ابتعدا كثيرًا عن نص هوميروس.

وفي ألمانيا قام سبرنج **Spreng** من أوجسبرج **Augsburg** بترجمة "الإلياذة" شعرًا إلى الألمانية. واكتسب كريسيان توبيلي دم **Ch.T. Damm** (١٦٩٨-١٧٧٨) لقب "الأكثر هومرية" **Homerikotatos** لأنه كان يحب اللغة الإغريقية أكثر من أي شيء آخر، ونشر قاموسًا اشتقافيًا لهوميروس وترجمة "الإلياذة" و "الأوديسية" في نثر ألماني عام ١٧٦٧.

وكان إرازموس عالم الكلاسيكيات الأشهر قد كرس جهوده لترجمة "العهد الجديد" ولم يترجم هوميروس. فلما سئل قال إن "الكتاب المقدس *scriptura sacra*" مثلما كان قد قيل عن هوميروس - يترجم نفسه بنفسه *sui ipsius interpres* " (٩٠).

وفي أوائل القرن الثامن عشر ترجم الكسندر بوب **Alexander Pope** (١٦٨٨-١٧٤٤) "الإلياذة" ١٧٢٠ و "الأوديسية" (١٧٢٥-١٧٢٦) وقال بنتلي - وسنعود إليه - عن هذه الترجمة "إنها قصيدة جميلة جدًا... ولكن ينبغي ألا يسميها هوميروس". ولكن تعليقات بوب وشروحه كانت ضخمة ومدققة وأعيد طبعها عدة مرات، وكان بنتلي نفسه يعد طبعة لهوميروس عام ١٧٣٢ وقيل إنه كان منهمكًا في العمل بها عام ١٧٣٤ ولكنها فيما يبدو لم تخرج للوجود.

ولطالما عقد النقاد مقارنات بين هوميروس وأغاني البطولة الشعبية **ballads** في الدول الأوروبية إبان العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة. وفي هذا الصدد علينا أن نضع في الاعتبار أن هذه الأغاني ليست من التطور والنضج كما مثل ملاحم هوميروس. لم تصلنا الأغاني الفولكلورية السابقة لهوميروس، والتي ربما كانت - في حالة وصولها - ستكون هي الأقرب إلى وضعها في المقارنة مع الأغاني الشعبية البطولية الأوروبية. وأهم من كل ذلك أنه ليس لدينا في الشعر

(٩٠) حول إرازموس وجهوده في إحياء التراث الكلاسيكي ودوره في النهضة راجع: أحمد عثمان: الكلاسيكية في مسرح عصر النهضة، ص ١٣٩-١٤٩.

الأوروبي الحديث هوميروس آخر.

ومن جهة أخرى وضع مؤلفو الملاحم الأدبية الحديثة ملاحمهم وهم على دراية تامة بالملاحم التي سبقتهم وبالمراجع التاريخية والأسطورية التي وضعت قبلهم. إنهم متقنون يخاطبون جمهوراً متقفاً يقرأ ملاحمهم ولا تتشد لهم شفاهة. وهذا ما ينطبق على دانتي الليجيرى وتشوسر وميلتون وجيمس جويس وكازانزاكيس. ولدايدن Dryden أبيات مشهورة في كتب النقد حيث يقول:

**Three poets, in three distant ages born,
Greece, Italy, and England did adorn:
The first in loftiness of thought surpassed;
The next in majesty; in both the last.
The force of Nature could no further go;
To make a third she joined the former two.**

ثلاثة شعراء في ثلاثة عصور متباعدة زينوا جبين بلاد اليونان وإيطاليا وإنجلترا، الأول (هوميروس) تفوق في سمو الفكر، وتفوق الثاني (فرجيليوس) في الأبهة، وتفوق الثالث (ميلتون) في كليهما. ففوة الطبيعة لم تستطع أن تذهب أبعد من ذلك، فلكي تصنع شاعراً ثالثاً جمعت بين الاثنين السابقين.

فمؤلف الملاحم الأدبية لا يستطيع أن يهرب من عصره فهو يعكسه ويعكس أحواله، ومن ثم ما أبعد عن البداوة والتلقائية الهوميرية. يعطى دايدن لهوميروس المكانة الأعلى في السمو وفرجيليوس في الأبهة ولميلتون قصب السبق في الجانبين. هذه وجهة نظر دايدن التي أثارت الكثير من الجدل. فهناك من يرفضون فكرة المقارنة بين هوميروس وكتاب الملاحم الأدبية كما سبق أن أشرنا. ويمكن عقد مقارنة بين هوميروس وولتر سكوت Walter Scott (1771-1832) الذي أعاد صياغة الأغاني الشعبية البطولية كما فعل هوميروس مع أشعار التراث الموكيني الذي سبقه فأحيا البطولات الآخية. ولكن ماتيو أرنولد Matthew Arnold (1822-1888) يقول عن أسلوب سكوت "إنها محاولة عالية المستوى للوصول إلى أسلوب ملحمي غير شرعي a bastard epic style". يتحدث ألفريد تينسون Alfred Tennyson (1800-1892) عن موسيقى هوميروس قوية الأجنحة

The strong-winged music of Homer.

تعجب ريتشارد بنتلي R. Bentley (١٦٦٢-١٧٤٢) من مقولة كولنز Collins الفضاضة وفحواها أن هوميروس نظم أشعاره للخلود ليمتع ويعلم البشرية ويضيف قائلاً "اسمع كلامي لم يكن لدى هوميروس المسكين poor Homer مثل هذه الأفكار الطموحة. لقد نظم سلسلة أغاني ورايسوديات يغنيها هو نفسه في مقابل أجر زهيد ومنتعة عظيمة في الاحتفالات والمناسبات السارة. وضع الإلياذة للرجال والأوديسية للجنس الآخر. هذه الأغاني المتفرقة لم تجمع في شكل قصيدة ملحمية حتى عصر بيسيستراتوس...".

وتحدث الشاعر الملحمي الفرنسي بيير رونسار Pierre de Ronsard (١٥٢٤-١٥٨٥) عن السلسلة الهوميرية الطبيعية "La naïve facilité" في مقابل الاجتهاد والمثابرة la curieuse diligence من جانب فرجيليوس^(٩١). أما دانتى فقد قال عن هوميروس في الكوميديا الإلهية إنه الشاعر ذو الهيمنة Omèro poeta sovrano^(٩٢).

ثامناً: وبعد ... فأما قبل!

فبعد هذه الجولة المحدودة في آفاق "الإلياذة" اللانهائية نرى أن يركز القارئ على النص الهومري المترجم، وأن يحيل كل ما أثير حوله إلى الخلفية. ولقد حاولنا قدر المستطاع أن نلتزم بالنص الهومري، وأن ننقل جوهره ومعناه وروحه إلى لغة عربية مستساغة. ويحتاج كل بيت في "الإلياذة" إلى تعليقات وشروح ومناقشات، سواء بالنسبة للمحتوى أو لأبعاده الأسطورية والتاريخية والاجتماعية وما إلى ذلك. ورأينا أن نترك ذلك لدراسات تخصصية مفصلة يمكن أن تستوجبها هذه الترجمة فيما بعد، وهذا ما نتوقعه بالفعل. ففي الوقت الراهن لا نريد للقارئ الكريم أن ينشغل كثيراً بغير متعة القراءة والتأمل. على أننا وضعنا الأسس للدرس المفصل بداية بالمقدمة وانتهاءً بالمعجم الأسطوري الكشاف، الذي يضبط شكل الاسماء من جهة ويساعد الباحث على تتبع اسم معين أو أسطورة ما في النص من أوله لآخره. ولدينا آمال عريضة بأن الترجمة التي نقدم لها قدرة على أن تمنح القارئ

(٩١) Ronsard, Oeuvres Completes, ed. P. Laumonier xvi (1950) p. 5, cf. Quintil. x 86.

(٩٢) للمزيد حول تأثيرات هوميروس في الآداب الأوروبية راجع:

Hight, op. cit., pp. 270-274, 574f and passim.

الفرصة كاملة لتذوق الفن الهومري بالعربية. ونطمح كذلك أن تفتح هذه الترجمة آفاقاً جديدة للبحث والدرس المعمق.

قائمة مختارة من المراجع

أولاً: طبعات "الإلياذة"

MONRO (D.B.) – ALLEN (Th.W.): *Homeri Opera, Recognoverunt brevique adnotatione critica instruxerunt. Tomus 1: Iliadis Libros I-XII, Tomus II: Iliadis Libros XIII-XXIV, Oxonii e Typographeo Clarendoniano. Oxford University, Reprint 1978.*

MURRAY (A.T.): *Homer. Iliad, Vols 2. With an English Translation by. A. T. Murray, revised by W.F. Wyatt, L.C.L. 2nd edition. Harvard University Press 1999.*

ثانياً: مراجع باللغة العربية

أحمد عثمان : الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً. الطبعة الثالثة. القاهرة ٢٠٠١.

: الكلاسيكية في مسرح عصر النهضة والتراث المتجدد في مسرحيات شكسبير وراسين. القاهرة ١٩٩٩.

ثالثاً: مراجع بلغات أخرى

ALLEN, (W.S.) : *Accent and Rhythm. Prosodic Features of Latin and Greek. A Study in Theory and Reconstruction. Cambridge 1973.*

Idem : *Vox Graeca The Pronunciation of Classical Greek. 3rd edition Cambridge 1987.*

AUSTIN (N.) : "The Function of Digressions in the *Iliad*", *GRBS* 7 (1966) pp. 295-312.

BARNETT (Ronald) : *Comparative Studies in Homeric Epic and Other Heroic Narrative, Especially Sanskrit and Celtic. Ph.D. diss., University of Toronto 1978.*

BASSETT (S. E.) : "The Pursuit of Hector", *TAPhA* 61 (1930) pp. 130-149.

- Idem** : "Dismissing the Assembly in Homer". *CJ* 26 (1931) pp. 458-60.
- BAUMAN (Richard.)** : *Story, Performance, and Event: Contextual Studies of Oral Narrative*. Cambridge University Press 1986.
- BEYE (C.R.)** : *The Iliad, the Odyssey and the epic tradition*. London 1968.
- CALAME (Claude)** : "Entre oralité et écriture: Énonciation et énoncé dans la poésie grecque archaïque", *Semiotica* 43, (1983) pp. 245-73.
- CALHOUN (George)** : "The Art of the Formula in Homer - επεα πτεροεντα" *Ph.* 30, (1935) pp. 215-27.
- CAMEROTTO (Alberto)**: "Aristeia Azioni e tratti tematici dell'eroe in battaglia", *Aevum Antiquum N.S.* 1 (2001) pp. 263-308.
- CANTILENA (M.)**: "Il cantore riprende", *QU* 55 (1997) pp. 141-154.
- CHANTRAINE (Pierre)** : *Grammaire Homérique*. Vols 2, Paris 1958, 1963.
- CLARKE (W. M.)** : "Achilles and Patroclus in Love", *Hermes* 106 (1978) pp. 381-95.
- CULLER (J.)** : *The Pursuit of Signs: Semiotics, Literature, Deconstruction*. Ithaca: Cornell University Press 1981.
- CUNLIFFE (R.J.)** : *A Lexicon of the Homeric Dialect*. Oxford Reprint 1992.
- DALHATU (Muhammed)**: "Bakandamiya: Towards a Characterization of the Poetic Masterpiece in Hausa". In *Oral Poetry in Nigeria*. Ed. U. Abalogu, 1981. pp. 57-70. Lagos: Nigeria Magazine.
- DARAKI (M.)** : "Le héros à μένος et le héros δαιμονιστος" Une polarité homérique", *ASPN* 10 (1980) pp. 1-24.
- DAVIDSON (Olga M.)** : "Indo-European Dimensions of Herakles in

- Iliad* 19. 19-133", *Arethusa* 13 (1980) pp. 197-202.
- DETIENNE (Marcel) : *The Creation of Mythology*. Transl. by M. Cook. University of Chicago Press 1986.
- EDWARDS (M.W.) : "Convention and Individuality in *Iliad* 1", *HSCPh* 84 (1980) pp. 1-28.
- Idem : "Homer and Oral Tradition: The Type Scene", *Oral Tradition* 7 (1992) pp. 284-330.
- Idem : "The Conventions of a Homeric Funeral" in *Studies in Honour T.B.L. Webster*, ed. By J.H. Betts, J.T. Hooker, and J.R. Green (Bristol 1986) pp. 84-92.
- Idem : "Homer and Oral Tradition: The Formula", Part 1. *Oral Tradition* 1, (1986) pp. 171-230.
- Idem : "On Some Answering Expressions in Homer". *Ph.* 64. (1969) pp. 81-87.
- Idem : *Homer: Poet of the Iliad*. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1987.
- EDWARDS (R.B.) : *Kadmos the Phoenician: A Study in Greek Legends and the Mycenaean Age*. Amsterdam 1979.
- ERBSE (H.) : "Ettore nell' *Iliade*", *Studi classici e orientali* 28 (1978) pp. 13-34.
- Idem : "Stylization and Variety: Four Monologues in the *Iliad*" in *Homer: Tradition and Invention*, ed. By B. Fenik, (Leiden 1978) pp. 68-90.
- Idem : *Epic Verse Before Homer*. Amsterdam 1981.
- Idem : *Typical Battle Scenes in the Iliad*, *Hermes Einzelschriften* 21. Wiesbaden 1968.
- FENIK (Bernard) : *Homer and the Nibelungenlied: Comparative Studies in Epic Style*. Cambridge: Harvard University Press 1986.

- FINKELBERG (M.)** : "A Creative Oral Poet and the Muse", *AJPh* 111 (1990) pp. 293-303.
- FINNEGAN (R.)** : *Oral Poetry*. Cambridge 1977.
- FRONTISI – DUCROUX (F.)**: *La Cithare d'Achille*. Rome 1986.
- GAISSER (J.H.)** : "Adaptation of Traditional Material in the Glaucus-Diomedes Episode" *TAPhA* 100 (1969) pp. 165-176.
- GERNET (L.)** : *Anthropologie de la Grèce antique*. Paris 1968.
- GIORDANO (M.)**, : *La supplica rituale, istituzione sociale e tema epico in Omero*. Napoli 1999.
- GRIFFIN (Jasper)** : *Homer on Life and Death*. Clarendon Press. Oxford, Reprint 1986.
- Idem** : "Homeric Words and Speakers", *JHS* CVI (1986) pp. 36-56.
- HARDIE (R.R.)** : "Imago Mundi: Cosmological and Ideological Aspects of the Shield of Achilles", *JHS* 105 (1985) pp. 11-31.
- HELD (George F.)** : "Phoenix, Agamemnon and Achilles: Parables and Paradeigmata", *CQ* 37 (1987) pp. 245-61.
- HERINGTON (John.)**: *Poetry into Drama: Early Tragedy and the Greek Poetic Tradition*. Berkeley: University of California Press 1985.
- HIGHET (G.)** : *The Classical Tradition. Greek and Roman Influences on Western Literature*. Oxford at the Clarendon Press 1949.
- HORROCKS (G.C.)** : *Space and time in Homer*. New York 1981.
- Idem** : *Greek: A History of the Language and its Speakers*. Longman London – New York 1997.
- HUXLEY (G.L.)** : *Greek Epic Poetry: From Eumelos to Panyassis*. London 1969.
- JEBB (R.C.)** : *Homer: An Introduction to the Iliad and the*

- Odyssey*. Glasgow Sixth Edition 1898.
- JONG (de I.J.F.)** : *Narrators and Focalizers, The Presentation of the Story in the Iliad*. Amsterdam 1987.
- KIRK (G.S.), ed.,** : *The Language and Background of Homer. Some Recent Studies and Controversies*. Cambridge 1964.
- Idem** : *The Iliad: A Commentary*. Cambridge 1990.
- Idem** : *Homer and the Epic*. Cambridge, Reprint 1996.
- Idem** : *Homer and the Oral Tradition*, Cambridge, 1978.
- KNAPPERT (Jan.)** : *Epic Poetry in Swahili and other African Languages*. Leiden Brill 1983.
- KRISCHER (T.)** : "Arcieri nell'epica omerica. Armi, comportamenti, valori, in Omero. Gli aedi, I poemi, gli interpreti", a c. di F. Montanari. Firenze (1998) pp. 79-100.
- KULLMANN (Wolfgang)**: "Oral Poetry Theory and Neoanalysis in Homeric Research", *GRBS* 25 (1984) pp. 307-23.
- LAMBERTON (R.W.) – KENNEY (J), (edd.)**: *Homer's Ancient Readers, the Hermeneutics of Greek Epic's Earliest Exegetes*. Princeton 1992.
- MESSING (Gordon M.)**: "On Weighing Achilles' Winged Words". *Language* 57 (1981) pp. 888-900.
- MILLER (D. Gary.)**: *Improvisation, Typology, Culture, and The New Orthodoxy: How Oral is Homer*. Washington, D.C.: University Press of America 1982.
- MORRIS (I.) – POWELL (B.)**: (edd.) *A New Companion to Homer*. Leiden 1997.
- MOULTON (C.)** : *Similes in the Homeric Poems, (Hypomnemata 49)* Göttingen 1977.
- MUHLY (J.D.)** : "Homer and the Phoenicians", *Berytus* 19

- (1970) pp. 19-64.
- MURRAY (G.)** : **The Rise of the Greek Epic. Fourth Edition, Oxford 1934.**
- NAGLER (M.N.)** : **Spontaneity and tradition; a study in the oral art of Homer. Berkeley 1974.**
- NAGY (Gregory)** : **The Best of the Achaeans. Baltimore: Johns Hopkins University Press 1979.**
- Idem** : **Homeric Questions. Austin 1996.**
- NIMIS (Steven)** : **"The Language of Achilles: Construction vs. Representation", Classical World 79 (1986) pp. 217-25.**
- PACKARD (D.W.) - MEYERS, (T.):** **A bibliography of Homeric scholarship 1930-1970, preliminary ed. Malibu, Calif 1974.**
- PAGE (D.L.)** : **History and the Homeric *Iliad*. Berkeley 1959.**
- PARRY (M.)** : **The Making of Homeric Verse, ed. A. Parry. Oxford 1971.**
- PATZER (H.)** : **Die Formgesetze des homerischen Epos. Stuttgart 1996.**
- PAVESE (C.O.)** : **"L'inno rapsodico: analisi tematica degli Inni omerici, in L'inno tra rituale e letteratura" Atti di un colloquio, Napoli 21-24 ottobre, AION 13, (1991) pp. 155-178.**
- Idem** : **L'inno rapsodico: indice tematico degli Inni omerici, AION 15, (1993) pp. 21-36.**
- PFEIFFER (R.)** : **History of Classical Scholarship from 1300 to 1850. Clarendon Press Oxford, Reprint 1999.**
- Idem** : **History of Classical Scholarship: From the Beginnings to the End of the Hellenistic Age. Oxford 1968.**
- POWELL (Anton) ed.** : **The Greek World. Routledge. London and**

New York 1995.

- POWELL (Barry B.):** *Homer and the Origin of the Greek alphabet.* Cambridge University Press. First Paperback edition 1996.
- PUCCI (Pietro)** : *Odysseus Polutropos: Intertextual Readings in the Odyssey and the Iliad.* Ithaca: Cornell University Press 1987.
- REDFIELD (J.M.)** : *Nature and Culture in the Iliad.* Chicago 1975.
- REEVE (M.D.)** : "The Language of Achilles", *CQ* 23 (1973) pp. 193-5.
- ROMILLY (de, Jacqueline):** *Perspectives actuelles sur l'épopée homérique.* Paris: Presses Universitaires de France 1983.
- SCOTT (W.C.)** : *The Oral Nature of the Homeric Simile.* Leiden 1974.
- SCULLY (Stephen)** : "The Language of Achilles: The OXΘΗΣΑΣ Formulas", *TAPhA* 114 (1984) pp.11-27.
- SHIPP (G.P.)** : "Mycenaean Evidence for the Homeric Dialect." *Essays in Mycenaean and Homeric Greek.* (Melbourne 1961) pp. 1-14.
- Idem** : *Studies in the Language of Homer,* Transactions of the Cambridge Philological Society 8. Cambridge 1953.
- SKAFTE (Jensen, M.):** *The Homeric Question and the Oral-formulaic Theory.* Copenhagen 1980.
- STANLEY (K.)** : *The Shield of Homer: Narrative Structure in the Iliad.* Princeton 1993.
- SUTER (Ann C.)** : *Paris / Alexandros: A Study in Homeric Techniques of Characterization.* Ph.D. diss., Princeton University 1984.
- TIGAY (Jeffrey.)** : *The Evolution of the Gilgamesh Epic.*

- Philadelphia: University of Pennsylvania Press
1982.
- TRYPANIS (C.A.) : The Homeric Epics. Warminster 1977.
- VERMEULE (E.) : Aspects of Death in Early Greek Art and Poetry. Berkeley- Los Angeles 1979.
- VERNANT (J.P.) : Figure, idoli maschere. Milano 2000.
- VIVANTE (Paolo.) : The Epithets in Homer: A Study in Poetic Values. New Haven: Yale University Press 1982.
- Idem : The Homeric Imagination. Indiana 1970.
- WEBSTER (T.B.L.) : From Mycenae to Homer. London 1958.
- WEES (Van H. van) : "Homeric Warfare", in I. Morris and B. Powell (edd.), A New Companion to Homer, Leiden (1997) pp. 668-693.
- WHITMAN (C. H.) : Homer and the Heroic Tradition. Harvard University Press 1958.
- WILLCOCK (Maleolm M.): A Companion to the *Iliad* based on the Translation by Richmond Lattimore. The University of Chicago Press 1976.
- WRIGHT (John), ed.: Essays on the *Iliad*: Selected Modern Criticism. Bloomington: Indiana University Press 1978.

والله ولي التوفيق

أحمد عثمان

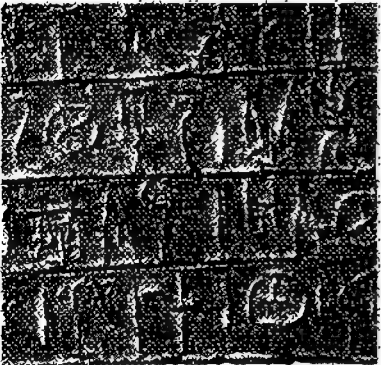
القاهرة أغسطس ٢٠٠٣

هوميروس

الاسلانة



الكتاب الأول



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

عَنّ لى ياربة الشعر عن غضبة أخيلئوس بن بئليوس المدمرة،
التي ألحقت بالآخيين^(*) مآسى تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الآخر (هاديس)^(**) بأرواح الكثيرين من المقاتلين البواسل، بينما
جعلت من أجسادهم لقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح
- وهكذا تحققت مشيئة زيوس. عَنّ ممن جاءت هذه

٥ الغضبة بادئة من حيث أخذ الشقاق يدب بين (أجاممنون)،
ملك الرجال، ابن أتريوس، وبين أخيلئوس شبيه الآلهة^(***)

مَنْ مِنْ بئن الآلهة هو ذاك الذى دفع بهذين الاثنين إلى
الصراع فيما بينهما؟ إنه (أبوللون) بن ليتو وزيوس. فهو الذى
أدى غضبه إلى انتشار الطاعون المشئوم بين صفوف المقاتلين
١٠ وإلى هلاك الرجال، لأن ابن أتريوس ألحق بكاهنه خريسيس
إهانة بالغة. فقد أتى الكاهن إلى سفن الآخيين السريعة ليحرر
ابنته (خريسيس)، وهو يحمل معه فدية تفوق العد، وكان يمسك
بأكاليل أبوللون، الذى يسدد سهامه بعيداً، (وقد لفها) حول

١٥ صولجان من الذهب، وراح يتوسل إلى كل الآخيين، وكان أكثر
توسله إلى ابني أتريوس^(****)، راعى جموع الرجال
"يا ابني أتريوس، ويا جميع الآخيين المزودين جيداً بواقيات
الأرجل! لتمنحك الآلهة التى تتخذ مقامها فوق جبل

(*) الآخيون: إحدى التسميات التى كان يعرف بها الإغريق فى العصور المبكرة الأولى قبل أن يستقروا على تسمية واحدة وهى "الهلينون". وقد أطلق الشاعر عليهم، إلى جانب هذه التسمية، تسميتين أخريين هما: الدانائون وأهل أو شعب أرجوس (الأرجيون). وقد جاء استخدامه للتسميات الثلاث بشكل مترادف. وهذا وترد تسمية "الهلينين" وهم شعب متحالف مع الآخيين ويسكنون فى جزء من ثيساليا فى الكتاب الثانى: بيت ٥٣٠.

(**) اللفظة التى يستخدمها الشاعر هى: Aïdés وهى صورة شعرية للفظـة Hadés أو Haidés (وفى لهجة الدورين Aidas). وهى تسميات لأحد أبناء كرونوس أول آلهة الإغريق. وقد أصبح إلهـا للعالم السفلى، ثم أصبحت تطلق بشكل عام على العالم الآخر.

(***) يوجد صدى لهذه الأبيات فى مقدمة مسرحية يوربيديس "هيلينى" (أبيات ٣٨-٤١) كما قدمت الملحمة المفقودة "القبرصية" تفسيراً لأصل الحرب الطروادية (المحرر).

(****) هما أجاممنون ملك موكيناي وسيد الآخيين وأخوه مينلاؤس ملك إسبرطة الذى فرت زوجته هيلينى مع باريس (الكسندروس) بن برياموس ملك طروادة، فكان هذا، فيما يقول الشاعر، سبباً فى إشعال الحرب بين الآخيين والطرواديين.

٢٠ الأوليمبوس، القدرة على إسقاط مدينة برياموس (طروادة)، ولتقدر لكم العودة سالمين إلى وطنكم^(*). و(كل ما أطلبه إليكم هو) أن تطلقوا سراح ابنتى الحبيبة (خريستيس) وأن تقبلوا الفدية بحق ابن الإله، أبوللون، الذى يطلق سهامه إلى بعيد".

عند ذلك صاح الأخيون جميعا معلنين موافقتهم ومنادين باحترام الكاهن وقبول الفدية القيمة. ولكن هذا الأمر لم تسعد

٢٥ به نفس أجاممنون بن أتريوس فطرد الكاهن شر طردة، أمراً إياه فى خشونة.

"حذار أيها الشيخ الأشيب أن أجذك متلكناً بين السفن المجوفة^(**) الآن أو عائداً إليها بعد الآن، وإلا فإن صولجانك وإكليل الإله لن يحمياك (منى). أما هذه (الفتاة خريستيس) فلن أطلق سراحها قبل أن تدهمها

٣٠ الشيوخوخة فى بيتنا فى أرجوس بعيدا عن مسقط رأسها، وهى تذهب (فى عملها) أمام المنول وتقدم لى المتعة فى الفراش. أغرب عن وجهى وحاذر أن تغضبى حتى يمكنك الانصراف فى أمان".

هكذا تحدث، بينما استبد الخوف بالشيخ وانصاع لأمره ثم

٣٥ مضى فى صمت على شاطئ البحر الهادر. وبعد أن ذهب بعيداً صلى فى خشوع للسيد أبوللون، الذى ولدته ليتو ذات الشعر الأشقر مبتهلاً:

"لتستمع إلى دعائى ياذا القوس الفضى، الذى يرعى خريسى وكيلا

(*) قارن ما يرد عند هوراتيوس (Sat. ii 3.191).

Maxime regum.

Di tibi dent capta classem reducere Troia.

يا أعظم الملوك !

(**) توصف سفن الإغريق بأنها مجوفة koilai لأن الواحد منهم، كما يقال، كان يعمد، فى المرحلة البدائية إلى جذع شجرة فيجوفه ثم يتخذ منه سفينة صغيرة. ثم ظلت هذه التسمية مستمرة حتى بعد أن كبر حجم السفن وتطورت صناعتها. والأقرب من هذا إلى المعنى هو أن شكل السفينة فى عمومها يوحى بالتجويف، أو أن مكان وضع وحفظ السلع أو المعدات فى السفينة يكون بالضرورة مكانا مجوفاً - وهى التسمية التى أصبح يوصف بها هذا المكان فى فترة لاحقة من تاريخ الإغريق.

- المقدسة، ياسيد تينيدوس^(*)، (يارب) سمنثيوس^(**). (إنى أبتهل إليك)
- ٤٠ كلما أشرفت على إقامة محراب يحظى برضاك، وكلما قدمت القطع المشوية الدسمة من أفخاذ الثيران أو الماعز قربانا لك، أن تستجيب لدعائى هذا: لتنتقم بسهامك من الدانائيين لقاء ماذرفت من الدموع".
- هكذا ابتهل فى صلاته، وسمعه فويبوس (الوضاء)^(***)
- ٤٥ أبوللون، فأسرع بخطواته من أعالى الأوليمبوس وقد تمكن الغضب من قلبه، بينما حمل على كتفيه قوسه وجعبة سهامه المغطاة. وقد كانت السهام تصلصل على كتفى الإله الغاضب وهو يتحرك، وكان مجيئه مثل الليل، ثم جلس بعيدا عن السفن وأطلق سهما فأحدث الصوت الفضى رنينا رهيبا. لقد انقض (سهمه) على البغال فى البداية، ثم على الكلاب السريعة، ولكنه ما لبث أن سدد سهامه (الحادة) اللاذعة إلى الرجال أنفسهم. وهكذا توالى ضرباته بينما ظلت محارق الموتى تشتعل فى كثافة. وقد استمرت سهام الإله تتطلق تسعة أيام على حشد المقاتلين. وحين حل اليوم العاشر دعا أخيليوس الرجال إلى ساحة الاجتماع، بعد أن كانت الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض قد أوعزت إليه بذلك. إذ إنها بدأت تشفق على الدانائيين حين شهدت ما أصابهم من هلاك. وحين جمعهم اللقاء نهض من بينهم أخيليوس سريع القدم قائلا:
- ٦٠ "يا ابن أتريوس! يبدو أننا سننهزم ونعود (إلى حيث أتينا) دون

(*) تقع خريسى وكيللا فى منطقة طروادة أما تينيدوس (تقابل الآن Bosdscha Ada) فهى جزيرة صغيرة على بعد بضعة أميال من ساحل طروادة. (المترجم)

(**) فى الأصل Smintheus (أى الإسمثى)، نسبة إلى مدينة سمنثوس Sminthos أو Sminthè، وهى مدينة فى منطقة طروادة، وهى تشير إلى معنى "إله الفئران" لأن كلمة sminthos تعنى الفأر وهو لقب وصف به الإله أبوللون لأنه خلص هذه المدينة الصغيرة من وباء فئران الحقل، وهكذا تصح التسمية معبرة عن معنى "المخلص من طاعون الفئران". وقد تكون هذه العبارة جزء من الطرومية راجع:

Frazer, Golden Bough, vol ii pp. 427-8.

(المحرر)

(***). فويبوس Phoibos، لقب من ألقاب أبوللون ويعنى الساطع أو الوضاء. (المترجم)

- أن ننجز شيئاً، هذا إذا أفلتتا (أساساً) من الموت، فالطاعون والموت
كفيلان بالقضاء على الآخيين. تعال، إذن، ولنسأل عرافاً أو كاهناً،
نعم، أو مفسراً للأحلام، فالحلم، هو الآخر، (وحي) من عند
زيوس^(*)، فربما نعرف منهم الأمر الذى جعل فوييوس أبوللون
يستشيط غضباً على هذا النحو سواء أكان هذا وعداً (أخلفناه)
٦٥ أو قرباناً من مائة ثور (لم نقدمه)، مؤمّلين أن يتقبل منا طعم الخراف
والماعز التى بلغت قمة نموها، فيفكر أن يصد عنا الطاعون".
ثم جلس (أخيليوس) بعد أن ختم حديثه على هذا النحو،
٧٠ فنهض من بين المجتمعين كالخاس بن ثيستور، وهو خير
العرافين، فهو يعرف كل ما وقع من أحداث، كما يعلم بتلك التى
سوف تقع، وتلك التى تسبقها (فى الحاضر)، وهو الذى أرشد
سفن الآخيين إلى إليوس بفضل عرافته التى أضفاها عليه
فوييوس أبوللون. لقد خاطب جمعهم بنية خالصة قائلاً:
"أى أخيليوس، حبيب زيوس، إنك تطلب إلى أن أعلن (ما
٧٥ أعرفه) عن غضب أبوللون السيد الذى يطلق سهامه بعيداً. وعلى هذا
فإنى سأتكلم، ولكن على أن تصغى إلى ما سأطلبه. لتقسم بنية
صادقة على أن تسرع بالدفاع عنى قولاً وفعلاً لأنى، على ما أعتقد،
سوف أغضب رجلاً يحكم كل حشود أرجوس ويطيعه الآخيون،
إذ إن الملك يزداد عنفه حين يغضبه رجل أقل منه مرتبة.
٨٠ ومن هنا فإنه قد يكظم غيظه ليوم واحد، ولكنه يظل طاوياً صدره
على غضبه حتى يأتى الوقت الذى يُصَفَّى فيه حسابه
(مع من أغضبه). فلتفكر إذن إذا كنت ستقوم بحمايتى".
وهنا رد عليه أخيليوس سريع القدم قائلاً:

(*) عن الحلم بوصفه وحيًا من الإله؛ قارن ميلتون "الفردوس المفقود" (الكتاب ١٢ بيت ٦١١).

"For God is also in sleep, and dreams advise"

(الحرر)

- ٨٥ "لا تخف ! وتحدث عن أية نبوءة (أنت على علم بها)، فبحق
أبوللون الحبيب إلى زيوس الذى تصلى له يا كالخاس والذى تعلن
باسمه نبوءاتك للدانائيين، إنه طالما أنا على قيد الحياة، وطالما لازلت
أرى وجه الأرض، فإن أحدا لن (يجرؤ على أن) يضع عليك يديه
الثقيلتين (بسوء) بجوار السفن المجوفة، من بين كل الدانائيين،
٩٠ حتى لو كنت تعنى بحديثك أجاممنون الذى يعلن أنه خير
الآخيين على الإطلاق".
عندئذ تشجع العراف النبيل وتحدث قائلاً :
"إن الإله لا ينحى باللائمة لا من أجل عهد (نكصتم به)، ولا
من أجل قربان من مائة ثور (لم تقدموه)، وإنما من أجل الكاهن الذى
٩٥ نال أجاممنون من شرفه حين لم يطلق سراح ابنته (خريستيس)
أو يقبل الفدية، ولهذا فإن الإله الذى يطلق سهامه بعيداً قد
صب المأسى فوق رعوس الدانائيين وسوف يستمر فى ذلك
ولن يبعد عنهم الطاعون الممقوت حتى يعيدوا الفتاة ذات العيون
البراقة إلى أبيها دون أن يشتريها أو يدفع فدية عنها، وحتى
١٠٠ تقدموا محرقة من الذبائح فى خريسى، حينئذ قد نفلح فى تهدئة
غضب الإله ونتوصل إلى إرضائه".
وعندما انتهى من حديثه على هذا النحو عاد إلى مجلسه.
وهنا نهض المحارب ابن أتريوس، أجاممنون الذى يمتد سلطانه
على أراضٍ شاسعة، وقد ظهر على وجهه الضيق الشديد
١٠٥ وامتلاً قلبه عن آخره بالغضب الأسود، بينما بدت عيناه كاللهب
المتأجج، فوجه فى البداية إلى كالخاس حديثاً ينبئ بالعواقب الوخيمة:
"يانذير الشؤم ! إنك لم تتحدث معى بالخير حتى الآن،
فنبوءات الشر هى الحبيبة إلى قلبك دائماً، أما الكلمة الطيبة
فإنك لم تأت بها قولاً أو فعلاً حتى الآن. وها أنت تنطق
بنبوءاتك بين الدانائيين المجتمعين وتعلن أن الإله الذى يطلق

- سهامه بعيدا قد جلب إليهم المآسى من أجل السبب (الذى ذكرته)
 بالذات، وهو أنى لم أقبل الفدية القيمة فى مقابل (إطلاق سراح) الفتاة
 خريستيس، ابنة خريستيس، لأنى أنوى الاحتفاظ بها فى منزلى.
 فلتعلموا إذن أتى أفضلها على كليتمسترا - زوجتى. فالفتاة ليست
 ١١٥ أقل منها شكلا أو قداً أو فكراً أو أداء لأية صنعة من الصنائع. على
 أنى مستعد رغم ذلك أن أعيدها، إذا كان الخير فى هذا، لأنى أفضل
 سلامة الرجال على هلاكهم. ولكن عليكم (فى مقابل ذلك) أن تعدوا
 لى غنيمة على الفور، حتى لا أكون الوحيد بين حشود أرجوس الذى
 ١٢٠ لم يحصل على غنيمة. إذ من غير اللائق أن تشاهدوا جميعا
 غنيمتى وهى تنتقل من حوزتى إلى مكان آخر".

عندئذ رد عليه أخيليوس، الإلهى سريع القدم :

- "يا بن أتريوس، يا أمجد الناس وأكثر الناس طمعا فيما ليس من
 حقه، كيف يتسنى للأخيين ذوى القلوب الكبيرة أن يقدموا لك
 ١٢٥ غنيمة ؟ إننا لا علم لنا بأية ثروة محفوظة (تحت طلبنا) فى
 مخزن عام للغنائم، ولكننا قسمنا أسلابنا من المدن بين الجميع،
 ولا يجوز أن نعود فنأخذها من الرجال، نعم، عليك أن تطلق
 سراح الفتاة حسب مشيئة الإله، وسنعوضك، نحن الآخيون،
 عن ذلك ثلاثاً أو أربعاً، إذا أكرمنا زيوس وأسقطنا طروادة
 ١٣٠ ذات الأسوار الحصينة".

بعدها رد عليه أجامنون السيد:

- "أى أخيليوس، ياشبيه الآلهة ! إنك لن تخدعنى بفطنتك. ومهما
 كان لديك من شجاعة أو من أصل نبيل فإنك لن تفوقنى فى الدهاء أو
 فى الإقناع. أتطلب إلى أن أتنازل عن غنيمتى وأن أبقى هنا صفر
 ١٣٥ اليدين حتى تستبقى أنت غنيمتك؟ إن هذا لن يكون إلا إذا قدم لى
 الآخيون ذوى القلوب الكبيرة سبية أرى فيها بديلا مساويا لغنيمتى. أما
 إذا لم يفعلوا ذلك فإنى سأحضر بنفسى وأستولى على غنيمتك أو

- غنيمة أياس أو أوديسيوس وأعود بها، وليكن ما يكون من
غضب ذلك الذى سأحضر إليه ! ولكن على
١٤٠ أية حال سوف يكون هناك وقت للتدبر فى هذا الأمر لاحقاً
أما الآن فلتنزل إلى البحر اللألاء سفينة سوداء نجم
فيها عددًا كافيًا من المجدفين والحيوانات المقدمة للتضحية،
ولتنزل بها خريستيس، ذات الخدود الجميلة نفسها، وليقم
على قيادة السفينة أحد من ذوى الرأى، أياس أو إيدومينيوس
١٤٥ أو أوديسيوس، الإلهى، أو أنت ابن بيليوس الذى يخشاه الرجال
أكثر من أى شخص آخر، حتى تقدم الأضاحى وتهدئ من
غضب ذلك الذى يطلق سهامه بعيداً".

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدم، نظرة غاضبة كالحة
ووجه إليه الحديث قائل:

- ١٥٠ "آه، يامن ترتدى رداء عدم الحياء ! أيها الطماع المحتال ! كيف
تنتظر من أى من الأخيين أن يقدم عن طيب خاطر على تنفيذ ما
تطلبه إليه من المشاركة فى غارة أو القتال ببسالة مع المحاربين.
إنى لم آت هنا من أجل (الانتقام من) حاملى الرماح من محاربى
طروادة، فهم لم يسيئوا إلى قط. إنهم لم يتحرشوا على أية صورة
١٥٥ بأبقارى أو بخيلى، لا ولم يخربوا محصول الحبوب فى أرض فثيا
الخصيبة، منجبة الأبطال، فهناك الكثير الذى يفصل بينهم
وبيننا، جبال داكنة وبحر هادر. ولكننا تبعناك إلى هنا
لنرضيك ! نعم يامن لا يعرف الخجل، حتى تسترد أنت
١٦٠ ومينيلأوس ما فقدتماه على يد الطرواديين - وهو الأمر الذى
تتجاهله ولا تدخله فى اعتبارك. والآن تهددنى، أنت بالذات،
بالاستيلاء على غنيمتى التى بذلت الكثير من الجهد فى سبيل
الحصول عليها، فمنحنى إياها أبناء الأخيين. ومع ذلك فإنى لم
أحصل قط على غنيمة مثل الغنائم التى كنت أنت تحصل

- عليها كلما أسقط الآخيون مدينة مأهولة من مدن الطرواديين.
- ١٦٥ إن وطأة الحرب كانت تقع على عاتقى أنا، أما عند تقسيم الغنائم فقد كان لك النصيب الأكبر، بينما أعود أنا إلى السفن ومعى ما حصلت عليه بنفسى مهما كان ضئيلاً، بعد أن يكون القتال قد أخذ منى كل مأخذ. أما الآن فإنى سأعود إلى فثيا، فإنه لأخف وطأة على النفس أن أعود إلى الوطن فى سفنى ذات المقدمات المعقوفة، من أن أتحمل الإهانة هنا بينما أجمع لك الثروة وأسباب الرفاهية".

وهنا رد عليه أجاممنون، ملك الرجال :

- "قلتهرب من المعركة إذا طاوعتك نفسك. إنى لا أرجو منك أن تبقى هنا من أجلى، فإلى جانبى يقف آخرون ممن سيشرفوننى (بأدائهم)، ومعى، فوق الجميع، زيوس رب التدبير الحكيم. إنك أبغض إلى من كل الملوك الذين يرعاهم الإله، فأنت تعشق الخصام والعنف والقتال. وماذا لو كنت عظيم الشجاعة ! إن إلهًا، فيما أحسب، هو الذى وهبك ذلك. ارحل إلى بلادك أنت وسفنك ورفاقك وأقم نفسك سيدًا على الميرميدونيين، فأنا لن أهتم بك بعد اليوم ولم أعد أعبأ بغضبك. على أنى أحذرك: إذا كان فويبوس أبوللون سيأخذ منى خريستيس فإنى سأرسلها فى سفينة من سفنى ومع رجال من رجالى، ولكنى سأتى بنفسى إلى خيمتك لآخذ (بدلاً منها) سبيتك بريستيس، ذات الخدود الجميلة، حتى تعلم جيداً كم أنا أرفع منك قدراً، وحتى يرتدع كثيرون غيرك عن أن يعلن أى منهم فى حضورى أنه ندُّ لى".

- ١٨٥ هكذا تحدث (أجاممنون)، فابتأس لذلك ابن بيليوس، وفى داخل صدره ذى الشعر الكث كان يتنازع قلبه أمران، إما أن يستل سيفه القاطع من جانب فخذة فيفرق الجميع ويذبح ابن أترىوس، أو أن يكظم غيظه ويتحكم فى نفسه. وبينما كان يقلب الرأى بين ما يدعوه إليه كل من قلبه وعقله، وهو يستل سيفه الكبير
- ١٩٠

- من غمده، هبطت الإلهة أثينة من السماء. وكانت الإلهة
 ١٩٥ هيرا ذات الذراع الأبيض قد أرسلتها لأنها كانت تكن للملكين
 الحب من كل قلبها وتهتم بأمر كل منهما بالقدر ذاته. وقد
 اتخذت أثينة موقفها خلف ابن بيليوس^(*)، وأمسكت بشعره الأشقر
 بحيث تتجلى له وحده بينما لا يراها الآخرون. وقد استحوذت
 الدهشة على أخيليوس فاستدار وتعرف في التو على أثينة باللاس^(**)
 ٢٠٠ ببريق عينيها الرهيب، وتحدث إليها بكلمات مجنحة،
 "لماذا عدت يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس؟ هل جئت
 لعلك ترين صفاقة أجامنون بن أتريوس؟ إذن سأخبرك، وفي
 ٢٠٥ تصورى أن ما أقوله سيتم فعلا. إنه سيدفع حياته عما قريب ثمنا
 لاستعلائه المفرط".

- عندئذ أجابته الإلهة أثينة ذات العينين الزرقاوين^(***)،
 "لقد هبطت من السماء لكى أهدئ من غضبك، إذا استمعت إلى
 ما سأقوله. وقد أرسلتني الإلهة هيرا ذات الذراع الأبيض
 لأنها تحب كلا منكما من قلبها بالقدر ذاته وتهتم بأمركما.
 ٢١٠ فلتكف إذن عن الصراع ولا تجعل يدك تشهر سيفك. وجهه إلى
 (أجامنون) من ألفاظ التأنيب ما يخطر على بالك. فهأنذا أقوله
 لك، وسوف يتحقق ما أقوله: إنك سوف تحصل، بسبب هذه
 الإهانة، على ثلاثة أمثال ما كنت ستفوز به. فلتحجم إذن (عما
 كنت تتوى القيام به) وضع ثقتك فى قولنا (أنا والإلهة هيرا)".
 ٢١٥ وهنا رد عليها أخيليوس سريع القدم :
 "أيتها الربية، من الواجب على المرء أن يراعى كلا منكما
 بغض النظر عما يعتمل فى قلبه من غضب، فإن هذا هو الأفضل،

(*) هذا المشهد هو بالقطع الذى استرحاه سوفوكليس فى مسرحيته "أياس" (٧٢٩ وما يليه) (المحرر).
 (**) أحد ألقاب الإلهة أثينة، ويروى أنه كان اسما لإحدى صديقاتها، ثم قتلها الإلهة عن طريق الخطأ، فأقامت
 معبدا على اسمها، هو البالاديون، تخليدا لها.
 (***) للتأكد من أن glaukopis تعنى ذات العيون الزرقاء راجع: Pausanias I 14. 6. (المحرر).

لأن الذى يطيع الآلهة تستجيب له بالكامل".

٢٢٠

وهكذا تحدث بينما أطبق بيده الثقيلة على المقبض الفضى
للسيف الكبير دافعا إياه فى غمده دون اعتراض على ما قالته أثينة.
ولكنها كانت حينذاك قد انطلقت إلى الأوليمبوس حيث مقر الإله
زيوس، لابس الدرع أيجيس، لكى تلتقى بالآلهة الآخرين.

ولكن ابن بيليوس خاطب ابن أتريوس من جديد بألفاظ عنيفة

٢٢٥

دون أن يزايله غضبه على أى وجه :

"أيها المخمور، يا من له عينا كلب (شرس) وقلب غزال
(جبان). إنك لم تواتك الشجاعة مرة واحدة أن تتسلح للمعركة إلى
جانب رجالك، أو تتقدم لتصنع كميناً مع زعماء الأخيين، فذلك يبدو
لك كأنه الموت (*) ذاته. بل إنك فى الحقيقة تجد خيراً من ذلك كثيراً،

٢٣٠

وسط جيش الأخيين الجرار، أن تستولى على غنيمة من
يتحدث على غير هواك. أيها الملك المقترس لشعبه ! لا بد أنك
تحكم رجالاً لا قيمة لهم، وإلا فإنك يابن أتريوس تكون قد
ارتكبت آخر وقاحاتك اليوم. ولكنى سأعلن كلمتى (مدوية) إليك
وأقسم عليها قسماً رهيباً. بحق هذا الصولجان الذى لن

٢٣٥

تتبت فيه أوراق أو براعم بعد أن انفصل (الغصن الذى
صنع منه) عن جذعه لأول مرة بين الجبال، والذى لن يعود
إليه أخضاره مرة أخرى بعد أن نزع (المنجل المصنوع من)
البرنز أوراقه ولحاءه، والذى يحمل (مثله) الآن (سادة القوم)
من أبناء الأخيين وهم يصدرون أحكامهم ويحافظون على
القوانين باسم الإله زيوس، وسيكون هذا قسماً عظيماً بالنسبة

(*) اللفظة الموجودة فى الأصل هى ker، مفرد keres التى تعنى الأرواح التى تجلب البلاء بأنواعه المختلفة: العمى، الشيخوخة، الحظ السيئ، فقدان البصيرة، الموت. وفى أغلب استخداماتها تظهر باعتبارها لفظاً عادياً بمعنى الموت أو جالبة (جالبات) الموت، وإن كانت فى بعض الأحيان، حسبما يستدعى النص، تترجم بمعنى القدر (الإلياذة، الكتاب التاسع ٤١١) وفى بعض الأحيان يتراوح معناها بين القدر والموت (الكتاب الثالث، ٢٢٠). وقد ترجمتها أحيانا بلفظة "الموت" أو "شبح الموت"، وأحيانا بلفظة "القضاء" حسب المعنى الذى تراءى لى من السياق.

- ٢٤٠ لكم: ليأتين اليوم الذى يفتقد فيه ابناء الآخيين جميعا أخيليوس !
وفى ذلك اليوم لن يكون بوسعك بأية حال أن تمد لهم يد العون
مهما بلغ بك الأسى، حين يتساقط الكثيرون أمام هيكتور قاتل
الرجال. ولكن قلبك سوف يتمزق تدمًا لأنك لم تعامل خير
الآخيين بما يستحقه من تَجِيل".
- ٢٤٥ هكذا تحدث ابن بيلوس. ثم قذف على الأرض بصولجانه
المرصع بمشابك ذهبية وعاد إلى جلسته، بينما ظل ابن أتريوس
ينفث غضبه من مكانه بالجانب المقابل. بعد ذلك قام بينهم نيسطور،
سيد الكلمة العذبة وخطيب أهل بيلوس، نو الصوت النقى، الذى
ينطق لسانه بكلام أحلى من العسل. لقد شهد نهاية جيلين من الرجال
الذين ولدوا وشبوا فى بيلوس المقدسة، وها هو يحكم الجيل الثالث.
- ٢٥٠ و (الآن) خاطب الجمع وهو مفعم بالنوايا الطيبة قائلاً:
"يالأسى ! إن يؤسًا كبيرًا يخيم على أرض
الآخيين. كم سيبتهج برياموس (ملك طروادة) هو وابناؤه،
وكم ستسعد قلوبهم وقلوب بقية الطرواديين إذا سمعوا قصة
الشقاق بينكما أنتما الاثنين، سيدى الدانائيين أحدكما فى رأى
والآخر فى الحرب. ولكن انصتا إليّ ! إنكما أصغر منى سنا،
وقد رافقت قبل الآن رجالا خيرا منكما، ولم يقلل أحد منهم من
شأنى أبدًا. إنى لم أر بعدهم من يماثلهم ولن أرى من يماثلهم.
هكذا كان بيريثوؤس ودرياس راعى الشعوب وبوليفيموس شبيه
الآلهة، كايبيوس وإكسادىوس وثيسىوس بن آيجيوس، نظير الخالدين.
- ٢٦٥ لقد كان هؤلاء أقوى ابناء الأرض من الرجال، وقد قاتلوا أقوى
الرجال، بل لقد حاربوا الفيريس^(*) الذين سكنوا الجبال، وقضوا

(*) اللفظة المستخدمة هنا: Féres، واللفظة المرادفة لها Kentauroi كانت تطلق على قوم شرسين يعيشون حياة برية كانوا يعيشون فى نيساليا بين مدينتى بيلون Pelion و أوسا Ossa. وقد اقتلعوا من هذه المنطقة على يد شعب مجاور فى فترة مبكرة. وعند الشعراء المتأخرين نجدهم يظهرن على شكل كائنات، الواحد منها نصفه العلوى إنسان ونصفه السفلى حصان. وواضح أن هوميروس كان يعنى المعنى الأول لأن التصور الثانى لم يكن قد ظهر بعد.

- عليهم بلا شفقة أو رحمة. نعم، لقد كنت رفيقاً لهؤلاء الرجال
حين قدمت (إليهم) من بيلوس من الأرض البعيدة، وكانوا هم
أنفسهم الذين وجهوا الدعوة إليّ (لألحق بهم). أما فى حومة
٢٧٠ الوغى فلم أكن تابعاً لأحد. إن أحدا ممن يعيشون الآن على
وجه الأرض لا يقوى على قتال (الفيريس)، ومع ذلك فقد كانوا
يستمعون إلى رأى ويقدرّون مشيئتى، وإنى أهيب بكما أن
تستمعا إلى المشورة، فالاستماع إلى المشورة خير. أنت (يا ابن
أثريوس) لا تحاول رغم مالك من مكانة سامية، أن تستولى
على الفتاة، ولكن دع الأمر على ما كان عليه حين أعطاه أبناء
الأخيين إياها غنيمة له. وأنت يا ابن بيلوس، لا تفكر فى
مقارعة ملك، قوة فى مقابل قوة، مهما كان لك من شأن، فإن
مجد الملك الذى منحه زيوس الصولجان ليس مجداً عادياً.
٢٨٠ وإنك رغم ما أنت عليه من شجاعة من حيث إن إلهة هى التى
أنجبتك، فإنه هو الأكثر قوة طالما هو ملك على رجال أكثر
عدداً. (وأنت) يا ابن أثريوس ! إنى أهيب بك أن تهدئ من
ثائرتك وأن تتخلى عن غضبك على أخيلوس لأنه سند هائل
للأخيين جميعاً فى هذه الحرب المدمرة.

٢٨٥

وهنا رد عليه أجاممنون، سيد القوم:

- "نعم ياسيدى الشيخ (الحكيم). لقد تحدثت بما فيه الحق فعلاً، ولكن هذا
الرجل لا يفكر إلا فى السيطرة وفى أن يصبح سيد الجميع وأن
يفرض سلطته على الآخرين، بينما أعتقد أنا أن أحداً لن يطيعه
٢٩٠ فيما يسعى إليه. وحتى إذا كانت الآلهة قد جعلته بارعاً فى
القتال بالرمح، هل أعطوه بذلك الحق فى التقوه بهذه الإهانات؟".

وهنا قاطعه أخيلوس، الإلهى، قائلاً:

- "ليكونن اسمى هو الجبان الذى لا قيمة له إذا رضخت لك فى كل شىء،
٢٩٥ حسبما تريد. افرض أوامرك على الآخرين إذا شئت، ولكن لا تصدر

إلى أية أوامر، فقد عقدت العزم على ألا أطيعك بعد الآن. ثم هناك شىء، آخر أود أن أقوله لك، وعليك أن تأخذه مأخذ الجد. إنى لن أصارع فى سبيل الحصول على الفتاة، سواء أكان ذلك معك أو مع الآخرين، طالما أنك عدت فأخذت منى ما كنت قد أعطيتنى إياه فى البداية. ولكن حذار أن تأخذ شيئاً مما أملك من أشياء موجودة فى سفينتى السوداء. نعم حاول أن تجرب ذلك حتى يعلم الجميع (ماذا سيصيبك): إن دمك الأسود سيندفع ليسيل فوق رمحى على الفور".

٣٠٥ وحين انتهى الاثنان من معركتهما اللفظية العنيفة نهضا وفضا الاجتماع الذى كان معقودا إلى جوار سفن الأخيين. فأخذ ابن بيليوس طريقه إلى حيث سقيفته وسفنه الأنيقة، وقد اصطحب معه (باتروكلوس) بن مينويتوس ورفاقه، أما ابن أتريوس فقد دفع سفينة سريعة إلى البحر واختار عشرين مجدفا وساق إلى ظهر السفينة الحيوانات التى سيضحى بها للإله. كما أحضر خريستيس، ذات الخدود الجميلة، بينما صعد أوديسيوس الواسع الحيلة^(*) إلى السفينة ليتسلم قيادها. وحين اعتلى الجميع متن السفينة أقلعوا فى مسالك البحر. أما ابن أتريوس فقد طلب إلى جميع الأخيين أن يتطهروا، فتطهر الجميع وقذفوا إلى البحر بكل ما لحق به الدنس. بعدها قدموا، قرباناً إلى (الإله) أبوللون، ذبائح كافية من الثيران والماعز على شاطئ البحر التواق^(**). وتصاعدت

(*) المعنى الدقيق للفظ اليونانية polymetis هو: ذو الحيل الكثيرة أو ذو الآراء المتعددة، وهو معنى قد يوحى فى العربية بتصور سعى لشخصية أوديسيوس، علما بأن المعنى المقصود يوحى بالتصور الحسن، وعلى ذلك فقد فضلت صفة: الواسع الحيلة، وهى تقدم التصور الحسن المقصود بدقة.

(**) اللفظة فى الأصل اليونانى هى صيغة المضاف إليه من صفة atrugetos بمعنى: الذى لم يؤت ثماراً أو حصاداً. وقد ترجمها ريو (Rieu: Homer, the Iliad, Penguin) بصفة: الذى لم يحصد ثماره أحد، وأجدها شديدة التقيد بالمعنى الحرفى عند هوميروس. دون أن توضح لنا شيئاً ملموساً، كذلك ترجمها هاينوخ فوس: (H.Voss, Homer, Ilias, Goldmans Gelbe Taschenbuecher) بمعنى: المهجور، وهنا أجد الترجمة تقترب نسبياً من الأصل اليونانى ولكنها تتعارض مع الحركة والاهتمام اللذين لا بد أنهما صاحبا تقديم القرابين بما فيه من ذبح عدد من الثيران والماعز ورائحة الشواء ودوامه الدخان. كذلك ترجمة مورى (Murray: Homer, The Iliad, Loeb) بمعنى: الذى لا يهدأ، وأجد فى هذه الترجمة تجاوزاً لا يؤدي إلى معنى يتصل بالسياق. وفى تصورى أن الشاعر يريد أن يصور جو الموقف الذى يكون فيه البحر وكأنه يشاهد الأحداث التى تقع بين أجائنون وأخيلوس ولكنه لا يزال يتربص نتائجها دون أن يصل إلى معرفة ما ستسفر عنه، وهو فى ذلك يشبه الحقل الذى لم يؤت حصاده أو ثماره بعد.

رائحة الشواء إلى عنان السماء في دوامة من الدخان.

انشغل الرجال في معسكرهم. ولكن أجاممنون لم يكن قد تخطى
 ٣٢٠ بعد عن نزاعه الذي كان قد بدأه بتهديد أخيلئوس. وهكذا استدعى كلا
 من تالثيرئوس ويوريباتئس، رسولييه ورجليه اللذين كانا يقومان على
 تلبية مطالبه قائلاً لهما:

"أذهباً إلى سقيفة أخيلئوس بن بيلئوس واستوليا على بريئئس ابنة
 ٣٢٥ بريئئوس، ذات الخدود الجميلة، واقتادها إلى هنا. فإذا لم يسلمها
 لكما، سوف أذهب بنفسى مع مجموعة أكبر وأستولى عليها، وسيكون
 ذلك شيئاً أسوأ".

وبعد أن فرغ من كلامه أرسلهما تحت الأوامر المشددة.
 وذهب الاثنان على مضض (متخذين طريقهما) بطول شاطئ
 البحر المتلاطم الأمواج حتى وصلا إلى معسكر الميرميدونئين
 ٣٣٠ وسفنهم، فوجدا أخيلئوس إلى جانب سقيفته وسفينته السوداء.
 على أنه وهو فى جلسته، لم يكن سعيداً بمرآهما. وهنا انتابهما
 الخوف والرهبه من الملك، فتوقفا دون أن يجترأ على أن ينبسا
 بكلمة، أو على أن يلقيا عليه سؤالاً. ولكنه أدرك فى دخيلة
 نفسه ما قديماً من أجله فبادرهما بالحديث قائلاً:

"مرحبا أيها الرسولئين، رسولى زيوس والبشر، اقتربا. إنكما فى
 ٣٣٥ نظرى لم تقترفا إثماً، ولكن أجاممنون (هو الذى فعل ذلك)، فهو الذى
 أرسلكما من أجل الفتاة بريئئس ابنة بريئئوس. ومع ذلك تعال
 يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، ولتحضر

معك الفتاة لتعطيها إياها حتى يأخذها إلى هناك. وليكن هذان
 ٣٤٠ الاثنان شاهدين (على ذلك) أمام الآلهة المباركة وأمام البشر
 الفانئين، بل وأمامه هو، ذلك الملك الذى لا يعرف الرحمة - إذا
 حدث فى المستقبل أن كانت هناك حاجة إلى لكى أذفع الكارثة
 المخزية عن المقاتلئين. حقاً، إنه فى سورة غضبه المدمر لا

يعرف كيف ينظر أمامه أو خلفه (ليتدبر الأمور) حتى يتمكن
من حماية أتباعه الأخيين وهم يقاتلون بجوار السفن".

٣٤٥

هكذا تحدث، وقد استمع باتروكلوس إلى ما قاله رفيقه
الحبيب، فقاد بريسيئيس، ذات الخدود الجميلة، إلى خارج السقيفة
وأعطاهما إياها ليعودا إلى سفن الأخيين. فذهب الرجلان
وذهبت معهما المرأة على غير رغبة منها، بينما انفجر
أخيليوس باكيا وانسحب بعيدًا عن رفاقه، وجلس على شاطئ
البحر الرمادى محملقًا فى أعماقه الزرقاء الداكنة. ثم بسط يديه
موجهًا دعاءه إلى أمه الحبيبة، (ثيتيس، عروس البحر):

٣٥٠

"أماه ! طالما أنك حملت بي حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة،
فقد كان على زيوس، سيد الأوليمبوس ومطلق الرعد أن يمنحني
قدرًا من الاعتبار. ولكنه لم يقدم لى (من ذلك) حتى النزر
اليسير. بل لقد أساء ابن أتريوس، أجامنون ذو السلطان العريض،
إلى شرفى. فانتزع منى غنيمتى واستولى عليها ظلمًا وعدوانًا!".

٣٥٥

هكذا تحدث باكيا، فسمعتة أمه العظيمة وهى جالسة فى قاع
البحر إلى جانب أبيها الشيخ (نيريوس). وبسرعة ظهرت من
البحر الرمادى فى هيئة ضبابية وجلست بعد ذلك مباشرة فى
مواجهته وهو لا يزال منخرطًا فى بكائه. ثم ربتت عليه بيدها
وقالت له وهى تدعوه باسمه:

٣٦٠

"لماذا تبكى. يا ولدى؟ أى أسى قد مس قلبك؟ تحدث بصدر
مفتوح ولا تخف عنى ما يدور بذهنك، حتى أشاطرك معرفة
(ماتقاسيه)".

٣٦٥

عند ذلك تحدث إليها أخيليوس سريع القدم وهو يتتهد فى
زفرات عميقة:
"إنك تعلمين (ما أفاقيه)، فلماذا أذكر لك قصتى وأنت تعلمين كل

- شئء. لقد ذهبنا إلى ثيبى^(*)، مدينة إيثيتيون المقدسة واستولينا عليها
ودمرناها وأحضرنا إلى هنا كل الغنائم فاققسمها الأخيون فيما بينهم
بالعدل، ولكنهم اختاروا لابن أتريوس، خريستيس ذات الخدود
الجميلة إلا أن خريستيس، كاهن أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
جاء إلى السفن السريعة، سفن الأخيين الذين يلبسون البرونز، ليشتري
(حرية) ابنته وقد أحضر معه فدية تفوق العد، حاملا فى يديه
إكليل الغار الخاص بأبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا،
حول صولجان من ذهب، وتوسل إلى جميع الأخيين.
وكان أكثر توسله إلى ابنى أتريوس اللذين كانا يتزعمان
الحشود. وهنا عبر بقية الأخيين عن موافقتهم بالصياح،
معربين عن احترامهم للكاهن وقبولهم للفدية القيمة. على أن
ذلك لم يلق قبولاً لدى أجاممنون فرفضه بخشونة موجها إليه
كلاماً باتراً. وهكذا عاد الشيخ وقد تملكه الغضب، وكان
أبوللون قد استمع إلى ابتهالاته لما كان له من معزة لديه،
فأطلق على حشود أرجوس أحد سهامه التى تجلب البلاء،
وهنا أخذ الرجال يموتون بكثرة وبسرعة. ثم انطلقت سهام الإله
فى كافة أرجاء معسكر الأخيين المتسع. وأخيراً فإن عرافاً على
علم ببواطن الأمور أعلن لنا عن نبوءة الإله الذى يطلق سهامه
بعيدا، فوقفت أنا فى التو ونصحت الأخيين أن يسترضوا الإله.
ولكن الغضب استبد على أثر ذلك بابن أتريوس فوجه إلى كلمة
تهديد تم الآن تنفيذها، فإن أبناء الأخيين ذوى العيون التى لا
تهدا، ومعهم الفتاة فى سفينة سريعة، فى طريقهم الآن إلى
خريسى وهم يحملون القرابين للإله. أما الفتاة الأخرى، بريستيس،
فإنه جعل رسله يأخذونها من سقيفتى بعد أن كان

(*) ثيبى Thebe (غير طيبة Thebai) وهى مدينة تقع على حدود ميسيا Mysia فى آسيا الصغرى على بعد أميال قليلة إلى الشمال الشرقى من أدراميتيوم Adramyttium. (المحرر)

- الآخيون قد أعطوها لى. والآن. إذا كنت تملكين أية قوة فإن عليك أن
 ٣٩٥ تحمى ابنك. اذهبي إلى الأوليمبوس وابتهلى إلى زيوس
 إذا كنت (يوما ما) قد أسعدته بكلمة أو بفعل. فطالما سمعتك
 تفخرين فى بيت أبى بأنك كنت الوحيدة بين الخالدين، التى
 أنقذت ابن كرونوس، سيد الغمام القاتم، فى ذلك اليوم حين كان
 ٤٠٠ الآخرون من ساكنى الأوليمبوس يودون أن يضعوه فى
 الأغلال: هيرا وبوسيدون وباللاس أثينة، ولكنك أتيت، أيتها
 الإلهة، وخلصتية من أغلاله حين استدعيت إلى جبل
 الأوليمبوس الشاهق، (الوحش) ذا المائة يد، الذى تسميه الآلهة
 برياريوس بينما يدعو كل البشر أيجايون(*) لأنه أقوى حتى من
 ٤٠٥ أبيه. لقد جلس إلى جانب ابن كرونوس متهللاً فى مجده،
 فاستولى الخوف على الآلهة المباركة فلم يجرؤ أحد منهم على تقييد
 زيوس بالأغلال. أعيدى الآن ذلك إلى ذاكرته، واجلسى إلى جانبه
 وضعى يديك حول ركبتيه، على أمل أن ينقذ الطرواديين. أما
 أولئك الآخرون، الآخيون، فعلى أمل أن يدفع بهم إلى مؤخرات
 ٤١٠ سفنهم بينما يحاصرهم البحر (من كل جانب) ثم يُعمل فيهم
 القتل حتى يحصدوا نتيجة انصياعهم لملكهم، وحتى يدرك
 ابن أترىوس، أجامنون ذو السلطان العريض، مدى انعدام بصيرته
 حين لم يقدم لمن هو أفضل الآخيين ذرة مما يستحقه من تشریف".
 وهنا أجابته ثيتيس وهى تذرف الدموع:
 ٤١٥ "ياالحظى العائر! ولداه! أمن أجل هذا (الوضع المحزن) كانت
 تنتشىء،تى إياك. لقد أصابك سوء الطالع وأنا حامل بك. لكم تمنيت أن
 يتركوك وشأنك بجانب السفن دون دموع أو أسى، ولكن قدرك هو
 الموت السريع والتعاسة أكثر من كل البشر. هل حملت

(*) أحد الوحوش الذين كان لكل منها مائة يد hecatoncheires والذين أنجبتهم الأرض من السماء ورعتهم ثيتيس Thetis عروس البحر لتدافع بهم عن زيوس ضد مكائد عدد من الآلهة، وقد ساعدوا زيوس فى صراعه مع العملاقة.

- بك في قاعات بيتنا من أجل هذه النهاية الحزينة ؟ ومع ذلك
فلكي أذكر ما طلبت إلي أن أذكره لزيوس المتمتع بإطلاق
الرعود فسوف أذهب بنفسى إلى الأوليمبوس الذى تغطيه
٤٢٠ الثلوج على أمل أن ينصت إليّ. ولكنى أهيب بك أن تبقى إلى
جانب سفنك السريعة التى تجوب البحار، ولتستمر فى عضبك
الشديد على الآخيين ولتمسك تماما عن المشاركة فى المعركة،
لأن زيوس قد ذهب بالأمس إلى النهر المحيط (بالأرض) (*)
٤٢٥ ليشارك فى مآدبة مع الإثيوبيين الشرفاء، وقد تبعه فى ذلك كل
الآلهة. ولكنه سيعود بعد اثنى عشر يوما إلى الأوليمبوس،
وحينئذ سأذهب إلى بيته ذى العتبة البرونزية وسوف احتضن
ركبتيه بين يدي وأنا ابتهل إليه. وإنى أعتقد أنه سيستمع إلى دعائى".
وعندما انتهت من حديثها ذهبت فى طريقها تاركة أخيلئوس
٤٣٠ وقد ملأ الحنق قلبه من أجل المرأة ذات النطاق الجميل، التى
أخذوها منه رغما عنه. فى أثناء ذلك كان أوديسيوس ورجاله
قد وصلوا إلى خريسى ومعهم أضاحى القربان المقدس. وعندما
وجدوا أنفسهم فى مياه الميناء العميقة لفوا الشراع ووضعوه فى
السفينة السوداء ثم جذبوا الصارى إلى أسفل من الحبلين اللذين
٤٣٥ يصلان بين رأسه وبين مقدم السفينة حتى استقر على دعامته.
بعد ذلك جذفوا بالسفينة بسرعة حتى وصلوا إلى المرسى ثم
قذفوا بحجارة الإرساء (***) (فى العمق) وثبتوا حبال مؤخرة
السفينة وذهبوا إلى شاطئ البحر، فأنزلوا أضاحى القربان
المقدم إلى أبوللون الذى يطلق سهامه بعيدا، بينما نزلت ابنة
خريسيس كذلك من السفينة التى تجوب البحار. بعد ذلك قادها

(*) اللفظة المستخدمة فى الأصل هى Okeanos . وكان اليونان القدماء يعتقدون أنه هُر يحيط بالعالم تقيم عند روافده مجموعة من القبائل والشعوب.

(**) "حجارة الإرساء" eunai هى مجموعة من الحجارة كانت تربط فى نهاية حبل (أو مجموعة من الحبال)، مثبتة بالسفينة، ثم تلقى هذه الأحجار فى الماء حتى لا تتحرك السفينة من مكانها.

٤٤٠ أوديسيوس الواسع الحيلة إلى المذبح حيث سلمها إلى أبيها
الحبيب مخاطبا إياه:

"أى خريسيس، إن أجامنون، ملك الرجال، قد أرسلنى لأعيد إليك
ابنتك ولأقدم إلى فوييوس (أبوللون) باسم الدانائيين قربانا مقدسا حتى
نستطيع بذلك أن نسترضى (الإله) السيد، الذى جلب على أهل
٤٤٥ أرجوس حتى الآن كثيرا من المآسى".

ولم يلبث، بعد أن قال ذلك، أن قدم الفتاة إلى أبيها الذى تلقاها
بفرحة كبيرة. أما مرافقوه فقد أسرعوا بصف أضاحى القربان
المقدس المقدم للإله حول المذبح الجيد البناء، ثم غسلوا أيديهم
وأخذوا حبوب الشعير المعدة لهذا الطقس. وهنا رفع خريسيس
٤٥٠ يديه وصلى من أجلهم بصوت مرتفع:

"استمع إلىّ (فى دعائى) يا صاحب القوس الفضى، يا حامى (مدينتى)
خريسى وكيللا المقدسة، أيها السيد الأعلى لتينيدوس ! إني
أهيب بك: كما استمعت إلى ابتهالاتى من قبل فأنصفتنى وضربت
على أيدى الآخيين، فإنى أبتهل إليك الآن أن تحقق مطلبى فترفع
٤٥٥ عن الدانائيين هذا الطاعون الممقوت".

هكذا تحدث فى صلاته، وقد استمع فوييوس أبوللون إلى
دعائه. وحين فرغ الجميع من صلاتهم نثروا الشعير المقدس
وبدأوا بدفع رءوس الأضاحى إلى الخلف ثم حزوا رقابها
٤٦٠ وسلخواها. بعد ذلك قطعوا الأفخاذ ولفوها بطبقة مزدوجة من
(رقائق) الدهن ثم وضعوا فوقها قطعاً من اللحم النيئ وقد قام
الشيخ بشيئها على (وقود) من حزم الخشب بعد أن سكب عليها
خمرا أشعلت أسنة الذهب، بينما اصطف حوله الشباب وهم
يحملون شوكات مخمسة الأصابع. وحين فرغوا من شئى الأفخاذ
٤٦٥ تماما وتذوقوها من الداخل، قطعوا بقية

أجزاء الذبائح وأدخلوا فيها الأسياخ وقاموا بشيئها بعناية ثم

- نزعوها من أسياخها. وبعد أن فرغوا من مهمتهم وأعدوا
الوليمة أقبلوا على احتفالهم بشهية مفتوحة وتمتعوا بالوليمة
جميعا على السواء. ثم بعد أن أخذوا حظهم من الطعام
٤٧٠ والشراب، ملأ الشباب الكؤوس حتى حوافها بالخمير (المقدسة)
وأداروها على الجميع بعد أن سكبوا من كل كأس قطرات للمباركة.
بعد ذلك قضوا اليوم كله وهم يحاولون استرضاء الإله (أبوللون)
بترانيم الشكر بينما كان فتیان الآخيين يقدمون الأناشيد للإله الذى
يطلق سهامه بعيدا.. وقد سعد (أبوللون) وهو يستمع إليهم.
- ٤٧٥ وعندما غابت الشمس وحل الظلام استلقى الجميع للراحة
عند حبال مؤخرة السفينة. وحين بدت بشائر الفجر (أيوس) ذى
الأصابع الوردية أقلعوا ماضين إلى المعسكر الكبير للآخيين، بينما
أرسل لهم أبوللون، الذى يعمل بعيدا، ريحا مواتية، فرفعوا الصارى
٤٨٠ ثم نشروا الشراع الأبيض فملأت الريح بطن الشراع وارتفع
صخب الموجة الداكنة(*) عند مقدمة السفينة التى كانت تمضى
مسرعة فوق الموج. ولما وصلوا إلى معسكر الآخيين
٤٨٥ المتسع سحبوا السفينة السوداء على الشاطئ فوق الرمال المرتفعة
ووضعوا السنادات الطويلة تحتها ثم تناثروا بين الخيام والسفن.
على أن الابن الذى حملت به الإلهة من بيليوس، أخيلئوس سريع
القدم بقى إلى جانب سفنه السريعة وهو يلوك غضبه الشديد،
٤٩٠ فلم يذهب إلى الاجتماعات حيث تتحقق الشهرة للرجال، كما لم
يشارك فى المعركة وإنما أسلم نفسه للضياع ببقائه حيث كان،
بينما كان (فى داخله) يتوق إلى صيحة الحرب والمعركة.
- وحين انبلج صباح اليوم الثانى عشر بعد ذلك، عاد الآلهة
٤٩٥ الخالدون إلى الأوليمبوس، وكان زيوس يقود الطريق. ولم

(*) لفظة porphyreos تعنى عند الكتاب الذين جاءوا بعد عصر هوميروس، اللون الأرجوانى أو اللون الأحمر القانى. ولكنها فى شعر هوميروس لا تشير إلى أكثر من معنى: الداكن.

- تكن ثيتيس قد نسيت مطلب ابنها، فظهرت من بين أمواج البحر،
ثم صعدت في الصباح الباكر إلى السماء العريضة ووصلت
إلى الأوليمبوس. وهناك وجدت ابن كرونوس الذى يمتد
بصره إلى الآفاق بينما كان يجلس وحده بعيدا عن الآخرين على
القمة العليا من الأوليمبوس المتعدد القمم. وهكذا جلست أمامه
وأمسكت بركبتيه بيدها اليسرى ووضعت يدها اليمنى تحت ذقنه
٥٠٠ ثم تحدثت بابتهاال إلى سيد الكون، زيوس بن كرونوس:
"أبانا زيوس ! إذا كنت، من بين الخالدين، قد ساعدتك يوماً بالكلمة
أو بالفعل، فلتستمع إلى هذا الدعاء: أسألك أن ترد الاعتبار لابنى
الذى سيكون قدره أن يلقى الموت أسرع من أقرانه. ذلك أن
٥٠٥ أجاممنون، سيد الرجال، قد وجه إليه إهانة بالاستيلاء على
غنيمته واستبقائها لديه ظلماً وعدواناً. إنى أهيب بك أن ترد إليه
شرفه (المسلوب)، أى زيوس، صاحب التدبير فوق
الأوليمبوس، امنح الطرواديين القوة إلى أن يرد الآخيون إلى
٥١٠ ابنى الاعتبار الواجب، وعوضه تعويضاً كبيراً".
- هكذا تحدثت، ولكن زيوس، جامع السحب، لم يرد عليها
بكلمة واحدة، وإنما أخذ في جلسته إلى صمت طويل. على أن
ثيتيس التى كانت ممسكة بركبتيه ظلت على ما هى عليه واقتربت
منه أكثر وطلبت إليه ثانية:
- ٥١٥ "عدنى مخلصاً بهذا الأمر بأن تومئ برأسك،
وإلا فافرض ما طلبته إليك، فإنك لن تخشى بذلك شيئاً سوى أنى
سأعرف أنى أشغل أقل موقع بين الآلهة".
- وهنا قال لها زيوس، جامع السحب، وقد ظهر عليه القلق،
"إن هذا سيكون عملاً يدعو إلى الأسى، لأنك تجعليننى بذلك أقدم
على صراع مع الإلهة هيرا التى سوف تثير غضبى بألفاظها
الجارحة فإنها، حتى فى الوقت الراهن وأمام الآلهة الخالدة تصب
٥٢٠

- على جام غضبها معلنة أنى أقدم المساعدة للطرواديين فى
المعركة. ومع ذلك فلتغادري المكان الآن حتى لا تلحظ هيرا أى
شئ، وسوف أدبر الأمر حتى أحقق ما ترغبين. هلمى الآن،
وسوف أومئ برأسى من أجلك حتى تكونى على ثقة من ذلك،
٥٢٥ فهذه من جانبى هى إشارة الوعد المؤكد بين الخالدين،
إذ ليست هناك كلمة أرجع عنها أو كلمة مخادعة أو
كلمة لا أحققها طالما أومأت برأسى".
- ٥٣٠ هكذا تحدث ابن كرونوس خافضا حاجبه الداكن (الشعر)
علامة على الموافقة فتموجت إلى الأمام خصلات السيد فوق رأسه
الخالد، واهتز الأوليمبوس العظيم (*).
ثم افترق الاثنان بعد أن تبادلوا الرأى على هذا النحو. أما
هى فقد قفزت على الفور من الأوليمبوس الساطع إلى أعماق
البحر (القائمة)، وأما زيوس فقد ذهب إلى مقره الخاص. وهنا
٥٣٥ نهض الآلهة جميعا من مقاعدهم قبل أن يطل عليهم وجه أبيهم،
لم يجرؤ أحد منهم على (أن يظل جالسا فى) انتظار مجيئه،
ولكنهم نهضوا جميعا ليكونوا فى استقباله. وهكذا جلس هناك على
عرشه. ولكن هيرا كانت قد لمحت ما حدث ولم يفتها أن تبتس
ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، كانت تتبادل
معه المشورة الحميمة، فوجهت حديثها على الفور إلى زيوس بن
٥٤٠ كرونوس وهى تقول فى كلمات ساخرة:
"من هى من بين الآلهة، أيها المخادع الكبير، تلك التى كانت تبادل
المشورة الحميمة. إنك تفعل دائما ما يروق لك من خلف ظهري ثم

(*). يبدو أن هذه الأبيات كانت فى ذهن ميلتون وهو يقول فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الثانى، ٣٥١-٣٥٢).

So was His will

Pronounced among the gods, and by an oath

That shook Heaven's whole circumference confirmed.

"هكذا كانت مشيئته المعلنة فى حضرة الآلهة وبالقسم تأكدت حيث ارتجت لها أركان السماء".
وقارن "الإلياذة" لفرجيليوس (الكتاب التاسع ١٠٦)، وكاتوللوس (٦٤، ٢٠٤، ٢٠٦). (المحرر)

تصدر أحكامك التي فكرت فيها في الخفاء، ولم تحاول مرة واحدة أن تطلعنى على الأمر الذى تنتويه".

٥٤٥

وهنا أجابها أبو البشر والآلهة:

"أى هيرا ! لا تؤملى إطلاقاً فى أن تعرفى كل ما أقرره، فإن ذلك سوف يكلفك من أمرك عسراً، حتى ولو كنت زوجتى. إن ما أجد من الملائم أن تسمعيه لن يعرفه قبلك أحد من الآلهة أو البشر، ولكنى حين أفكر فى أن أقدم على أمر دون أن أرجع فيه إلى الآلهة، فليس لك أن تسألينى عنه بالمرّة !".

٥٥٠

وهنا ردت عليه هيرا ذات العيون الواسعة (كالمها) (*)

والسمت العظيم:

"أى ابن كرونوس، يامن يرهبه الجميع ! ما هذا الذى تقوله ؟

٥٥٥

حقاً إنى لم أكن أعمد فى الماضى إلى أن أسألك أو استقصى منك عن شىء، ولكنك كنت تدبر ما تشاء كما تشاء. على أن الخوف ينتابنى الآن أن تكون ثيتيس ذات الأقدام الفضية، ابنة شيخ البحر، قد ضللتك بخداعها، فقد كانت تجلس إلى جوارك عند تباشير الفجر وتضم ركبتيك بين يديها. وأعتقد أنك أومأت برأسك لها فى إشارة واضحة إلى أنك سترد إلى أخيليوس اعتباره و سوف تتسبب فى موت الكثيرين بجوار سفن الآخيين".

٥٦٠

ولكن زيوس، جامع السحب، رد عليها قائلاً:

"أيتها السيدة الإلهية البائسة (**)، إن أحوالك لغريبة حقاً، فأنت

تتخيلين الأشياء تخيلاً، ولا تفتأين تلاحقيننى (بسبب ما يجول فى خيالك)، ولكنك لن تستطيعى أن تحققي بذلك شيئاً إلا أن تزيدى بعداً عن قلبى، وسيكون هذا أسوأ ما تجنيه يداك. وإذا كان هذا الأمر

(*) الكلمة اليونانية المستخدمة boopis تعنى "عيون البقرة" أو "عيون المها" وهو ما يذكرنا بالديانات الأقدم مثل الديانة المصرية التى كانت فيها الآلهة تتخذ أشكال من مختلف الحيوانات والطيور. (المحرر)
(**) لفظة daimonié تعنى فى الأصل أيتها المتصفة بالصفة الإلهية، ولكن استخدامها هنا يشير (كما هو واضح) إلى شىء، من الأزدراء وتقليل الشأن.

٥٦٥ (الذى ذكرته) كما تقولين فإن هذا من شأنى (وحدى). أما الآن
فلتجلسى ولتصغى إلى ما أقوله، وإلا فإن أيا من الآلهة الذين يقطنون
الأوليمبوس لن ينفحك إذا أطبقت عليك يدي اللتين لا يستطيع أحد أن
يقاومهما".

هكذا تحدث، وعندها استبد الفرع بالإلهة هيرا ذات العيون
الواسعة والسمت العظيم فجلست فى صمت متحكمة فيما يجيش به
صدرها. هنا خيم جو الابتئاس على الآلهة السماويين فى أرجاء
مقر زيوس، وكان أول من تحدث بينهم هو هيفايستوس، إله
الصناعة الشهير، مسانداً أمه هيرا ذات الذراع الأبيض.

"حقاً إنه سيكون أمراً مؤسفاً ولا يمكن احتمالاه بعد الآن،
إذا كنتما أنتما الاثنان ستظلان على تشاحنكما من أجل (البشر)
الفانين وتثيران الفتنة بذلك بين الآلهة، إذ لن يكون هناك ابتهاج
٥٧٥ على أى نحو فى الاحتفال طالما كان الذى يسوده هو أسوأ
الأجواء. إنى لأشير على أمى. رغم كل ما تتحلى به من حكمة،
أن تسترضى أبانا الحبيب حتى لا يوبخها مرة أخرى ويشبع
بذلك جو القلق والارتباك فى احتفالنا. إذ لو شاء رب

٥٨٠ الأوليمبوس، سيد البرق والصواعق، لعصف بنا من فوق
مقاعدنا، فهو الأقوى بين الجميع. إنى أهيب بك (يا أماه) أن
تحدثيه حديثاً لينا حتى يغمرنا رب الأوليمبوس بسماحة نفسه".

وما أن قال ذلك حتى أسرع فوضع الكأس ذات المقبضين
٥٨٥ فى يد أمه الحبيبة مخاطباً إياها:

"هونى عليك يا أماه وتحملى أساك من أجل الجميع، فأنت عزيزة على
ولا أود لعينى أن تريك وقد نزل بك العقاب. لأنه لن يكون فى
مقدورى آنذاك أن أمد لك يد الغوث رغم كل ما سوف يصيبنى من
٥٩٠ حزن، فإن رب الأوليمبوس خصم عنيد إذا وقف فى طريقه أحد.

نعم ! ففي مرة سابقة، حين كنت أحاول الدفاع عنك، أمسكنى من
قدمى وقذف بى من عتبة السماء فاندفعت فى الفراغ يوماً بأكمله قبل
أن أسقط عند غروب الشمس فى ليمنوس (*) بعد أن كدت أفارق
الحياة، حيث أسرع السينيتيون برعايتى".

٥٩٥

هكذا تحدث فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض وهى
تأخذ الكأس من يد ابنها، ثم أخذ يصب النيكتار لكل الآلهة
من اليسار إلى اليمين، أخذاً إياه من طاس الرحيق الحلو الإلهى.
وقد ضج الآلهة بالضحك وهم يرون هيفايستوس يلهث فى أرجاء
(بهو) القصر.

٦٠٠

هكذا احتفل الآلهة طوال اليوم حتى غروب الشمس بقلوب
مفعمة كلها بالمتعة التى لم ينتقص منها شىء، سواء من الوليمة أو
من موسيقى الربابة (**). الجميلة التى كان يحملها أبوللون أو من الغناء
الذى كانت تتبادل ربات الفنون (الموساى) (***) بأصوات عذبة.

٦٠٥

ولكن حين غرب قنديل الشمس المنير، ذهب كل منهم إلى
حيث يقيم لياخذوا قسطاً من الراحة، إذ كان الإله هيفايستوس
ذو الذراعين القويتين قد بنى بمهارة فائقة قصرًا لكل منهم. أما
زيوس، رب الأوليمبوس وسيد البرق، فقد اتجه إلى مخدعه

(*) ذكرت جزيرة ليمنوس فى "الأوديسية" (الكتاب الثامن ٢٨٤) وقارن أوفيدوس (الأعياد) الكتاب الثالث (٨٠) وأعاد ميلتون صياغة هذه الفقرة فى "الفردوس المفقود" (الكتاب الأول ٧٤٠ ومايليه). (المحرر).
(**) اللفظة فى الأصل هى phormynx وترجم أحياناً بالقيثارة. ولكنى آثرت ترجمتها بالربابة لأنها كانت أولى الآلات الوترية (البدائية بالضرورة) التى استخدمها اليونان فى العصر المبكر وكانت تحمل باليد. أما القيثارة kithara بالتحديد فقد وجدت عند اليونان وكانت آلة مثلثة الشكل ذات سبعة أوتار وتوضع واقفة على الأرض.

(***) يناجى هوميروس ربة الشعر موسا أو ربات الشعر موساى. وفى العصر الهيلينستى أصبح عدد ربات الفنون تسعة لكل منها فن بعينه ترعاه. أنجهن زيوس كبير الآلهة من عشيقته نيموسينى إلهة الذاكرة: أورانيا (Ourania) ربة الفلك، وكليو (Klio) ربة التاريخ، يوتيربي (Euterpe) ربة الموسيقى، تيربسيخورى (Terpsichore) ربة الرقص، ملبومينى (Melpomene) ربة التراجيديات، إيواتو (Erato) ربة شعر الحب والبكائيات والمرائى، بوليهمنيا (Polyhymnia) ربة الشعر الغنائى، كاليوبي (Kalliope) ربة الشعر الحماسى أى الملحمى، وثاليا (Thalia) ربة الكوميديا ولا تختلف الموساى كثيراً عن الحوريات أو عرائس البحر والغابات... إلخ، واتخذن صورة البشر واتصفن بالحكمة والإلام بكافة القمص وإلهام من يخترنه لروايتها وإلهام الشعراء بما ينظمون من شعر وهكذا أصبحن راعيات لفروع الفنون والآداب وسادت عبادتهن فى أماكن كثيرة خاصة فى منطقة بيريا قرب جبل الهيليكون والأوليمبوس. (المحرر)

- ٦١٠ حيث كان يأخذ راحته دائما حين يراوده (خَدَرَ) النوم اللذيذ، ثم
٦١١ صعد إليه، وإلى جواره كانت هيرا ذات العرش الذهبى.

الكتاب الثاني



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

- هجع الآلهة والرجال المزودون بالخيل^(*). جميعا طوال الليل، إلا أن زيوس لم يخلد إلى النوم العميق، لأنه كان يتدبر الطريقة التي يرد بها إلى أخيليوس اعتباره، وهي التي سوف يسقط من جرأتها كثير من الأخيين صرعى بجوار سفنهم وقد بدا له أن خير طريقة هي أن يرسل إلى أجامنون بن أتريوس حلما مدمراً يجلب عليه الهلاك. وهكذا تحدث مخاطبا الإله الحلم (أونيروس) بكلمات مجنحة.
- ٥ "قم يا إله الحلم (أونيروس) المدمر واذهب إلى سفن الأخيين السريعة، وحين تصل إلى خيمة أجامنون بن أتريوس، أعد عليه كل كلامي كما كلفتك به دون تغيير. اطلب إليه أن يسلم رجاله الأخيين ذوى الشعور الطويلة بسرعة فائقة، ففى مقدوره الآن أن يستولى على مدينة الطرواديين ذات الطرق العريضة، إذ إن الآلهة الخالدين الذين يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة خلاف بينهم فى رأى، بعد أن حزموا أمرهم بفضل توصلات
- ١٠ (الإلهة) هيرا إليهم، وهكذا باتت نذر الويل تخيم على الطرواديين".
- ١٥ هكذا تحدث زيوس، وعندما استمع إله الحلم (أونيروس) إلى ذلك لم يتوان فى الوصول إلى حيث سفن الأخيين السريعة، وشق طريقه إلى أجامنون بن أتريوس فوجده فى خيمته مستغرقا فى نوم إلهى. وهنا اتخذ موقفه عند رأسه فى هيئة ابن نيلبوس، نيستور، الذى كان أجامنون يكن له من الاحترام أكثر مما كان يكن لأى من الكبار الأخيين، واضعاً إياه فى منزلة مساوية لمنزلته. ثم تحدث إله الحلم (أونيروس):
- ٢٠

(*) هذه هي الترجمة الحرفية للفظة الأصلية: hippokorystai وقد آثر فرى أن يترجمها: سادة العجلات الحربية، وهي ترجمة لها قيمتها، إذ إن العجلة الحربية كانت هي الأداة الحربية المهمة بين اليونان آنذاك. ومع ذلك فالالتزام الحرفى هنا يتضمن كذلك معنى العجلات الحربية التي كانت تجرها الخيول بالضرورة.

- ٢٥ "إنك تخذل إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب
ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم
حامل مسئولية الرأى (الفاصل)، فالإيه يُرجع فى أمر المقاتلين،
وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن، فلتُصنع إلى دون إبطاء
لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل بينكما من
مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتماماً كبيراً كما أنه يُشفق
عليك. إنه يطلب إليك أن تسلح الآخيين ذوى الشعور الطويلة
بسرعة فائقة، ففى مقدورك الآن أن تستولى على مدينة
الطرواديين ذات الطرق العريضة، إذ إن الآلهة الخالدين الذين
يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة
بينهم خلاف فى الرأى بعد أن حزموا أمرهم بفضل
توسلات هيرا إليهم. وهكذا باتت نذر الويل تخيم
على الطرواديين بمشيئة زيوس. والآن، لتحتفظ بهذا فى
صدرك ولا تسلم نفسك إلى النسيان حين تفيق من نومك الذى
له مذاق العسل".
- ٣٥ هكذا تحدث أونيروس (الحلم) إلى أجاممنون، ثم عاد
تاركاً إياه يقلب الرأى ملياً فى أمور لم يكن مقدراً لها أن
تتحقق، بعد أن اعتقد حقاً أنه سيستولى على مدينة برياموس
فى اليوم ذاته. ألا ما كان أحمقه ! إنه لم يكن يدرى ما كان
يدبره زيوس من أمور وما كان ينتوى أن يسوق إلى
- ٤٠ الطرواديين والدانائيين على السواء من الولايات والأنين من
خلال قتالهم الشرس. ثم أفاق (أجاممنون) من سباته بينما كان
الصوت الإلهى لا يزال يطن فى أذنيه، فجلس وقد انتصب
ظهره ولبس قميصه اللين الجيد الجديد وقد لف فوقه عباءته
العظيمة وفى أقدامه الناصعة ربط خفه الأنيق. ثم وضع حول
٤٥ كتفيه سيفه (ذا المقبض) المرصع بالأزرار الفضية وأمسك

سيف آبائه الخالد، وأخذ طريقه بمحاذاة سفن الأخيين ذوى
الدروع البرونزية.

والآن صعدت إلهة الفجر إيوس إلى جبل الأوليمبوس فى
عليائه لتعلن بزوغ الضياء إلى زيوس وبقية (الآلهة) الخالدين.

- ٥٠ وهنا طلب (أجاممنون) إلى المنادين ذوى الأصوات النقية
الرنانة أن يدعوا الأخيين ذوى الشعور الطويلة إلى ساحة
الاجتماع، فبلغوا الدعوة واجتمع الرجال على جناح السرعة.
وقد بدأ (أجاممنون) بالشيوخ من ذوى الرأى فجعلهم
يجلسون إلى جوار سفينة الملك نيستور الذى ينحدر من مدينة
٥٥ بيلوس وكان حين دعاهم إلى الاجتماع قد دبر فكرة مكرة،
وقال:

"أنصتوا إلى أيها الأصدقاء ! لقد جاءنى أونيروس،

فيما يرى النائم، حلم من السماء فى أثناء الليل مضمخ بعطر
الآلهة. وكان أقرب ما يكون من نيستور، شبيهه الإله، سواء فى
هيئته أو فى قوامه أو فى بنيته واتخذ موقفه عند رأسى وحدثنى
٦٠ قائلاً: إنك تخذل إلى النوم يا ابن أتريوس ذى الفكر الصائب،

ومروض الخيول. ولكن النوم طوال الليل ليس من شيم

حامل مسئولية الرأى (الفاصل) بين الرجال، فإليه يُرجع

فى أمر المقاتلين، وعلى كاهله تقع تبعات كبار. والآن فلتصغ

إلى دون إبطاء لأنى رسول زيوس إليك، فهو، رغم ما يفصل

بينكما من مسافات شاسعة، إلا أنه يوليك اهتماماً كبيراً. كما

- ٦٥ أنه يشفق عليك. إنه يطلب إليك أن تسلح الأخيين ذوى الشعور
الطويلة بسرعة فائقة، ففى مقدورك الآن أن تستولى على

المدينة ذات الطرق العريضة التى يقطنها الطرواديون، إذ إن

(الآلهة) الخالدين الذين يتخذون مساكنهم فوق الأوليمبوس لم يعد ثمة

خلاف بينهم فى الرأى بعد أن عزموا أمرهم بفضل توسلات هيرا إليهم،

- وهكذا باتت نذر الويل تخيم على الطرواديين بمشيئة زيوس.
- ٧٠ والآن، لتحفظ هذا فى صدرك ولا تسلم نفسك إلى النسيان حين تفيق من نومك اللذيذ^(*). هكذا تحدث (أونيروس) الحلم ثم طار بعيداً، بينما تركنى النوم العميق. هلموا الآن ولنحاول بأية وسيلة أن نسلح أبناء الآخيين، ولكنى قبل ذلك سأحدث إليهم حسبما تقضى التقاليد. وسأحاول أن أطلب إليهم الفرار بسفنههم ذات المجاديف الكثيرة^(**). أما أنتم فحاولوا أن تحدثوهم وأن تحدثوهم بكافة الطرق على البقاء.
- ٧٥ ثم جلس (أجاممنون) بعد أن فرغ من حديثه، فنهض من بينهم نيستور ملك بيلوس ذات الأراضى الرملية ووجه إلى جمعهم حديثاً نابعا من القلب:
- "أيها الأصدقاء من زعماء وأمراء الأرجيين! ^(***) لو كان الذى قص علينا هذا الحلم شخصاً آخر من بين الآخيين لاعتبرنا ما قال أمرا زائفاً ولم نلق إليه بالاً. ولكن طالما أن الذى رآه فى منامه هو أعظم وأنبى الآخيين، فلنقدم إذن ولنسلح أبناء الآخيين بكل الوسائل".
- ٨٠ هكذا تحدث ثم قاد الطريق خارجاً من المجلس، فوقف الملوك ذوو الصولجانات وقد اقتنعوا بما ذكره لهم راعى الجموع، بينما تسارعت حشود الرجال، تماماً كما يحدث عندما تخرج أسراب النحل من شقوق الأحجار الغائرة هنا وهناك، متدافعة فى طيرانها فى مجموعة تلو الأخرى نحو أزهار
- ٨٥

(*) التكرار سمة هومرية وتعيد هذه الفقرة رواية الحلم - الرسالة الإلهية - للمرة الثالثة (راجع أبيات ٢٣-٣٤) ولذلك قيل إن زينودوتوس Zenodotos قد كنف هذه الفقرة إلى بيتين فقط ويفعل بعض المترجمين المحدثين نفس الشيء ولكننا رأينا أن تتبع النص كما جاء فى طبعة أكسفورد. (المحرر).

(**) لفظة polykleisi فى الأصل اليونانى تعنى: ذات مقاعد المجدفين الكثيرة. وقد ترجمها قرى بتعبير: ذات المقاعد الكثيرة، وترجمها فوس: ذات المجاديف الكثيرة. ورغم أن الترجمة الأولى أقرب حرفياً للأصل، إلا أن الترجمة الثانية أقرب فى رأى إلى السياق الذى يقدمه الشاعر، فالشاعر هنا يتحدث عن "فرار" الآخيين بسفنههم، وكثرة المجاديف توحى بالسرعة التى تلازم معنى الفرار. ولذلك تبيت هذه الترجمة الأخيرة.

(***) تستخدم كلمة "الأرجيون" عند هوميروس للدلالة على الإغريق جميعاً، وليس فقط أهل أرجوس. (المحرر).

- ٩٠ الربيع، تارة هنا وتارة هناك. هكذا تدفق الرجال من السفن والخيام المقابلة للشاطئ المنخفض متقدمين في فصائلهم العديدة إلى ساحة الاجتماع على شاطئ البحر العريض، وقد انتشرت بين جموعهم أوسًا "الشائعة الإلهية" مرسله من زيوس. كما تنتشر النار (في الهشيم) وهي تحتهم على الذهاب (إلى المعركة) - حتى التأم شملهم جميعا. وكانت الجموع تضطرب بالحياة والأرض تئن تحتهم والطنين يعلو، بينما كان تسعة من المنادين يحاولون بأصواتهم المرتفعة أن يعيدوهم إلى الهدوء حتى يخف صخبهم ويلقوا السمع إلى ملوكهم الذين شبوا على يدى زيوس. وفي النهاية تم بالكاد التوصل بهم إلى الجلوس فى أماكنهم بعد أن تخلوا عن ضجيجهم.
- ٩٥ وهنا نهض فى وسطهم أجاممنون السيد، حاملا فى يده الصولجان الذى بذل هيفايستوس جهدا كبيرا فى صناعته. وكان هيفايستوس قد قدمه إلى زيوس بن كرونوس ثم قدمه هرميس إلى بيلوبس سائق الخيل وقدمه بيلوبس بدوره إلى أتريوس راعى الشعب، وتركه أتريوس لدى موته إلى ثيستيس صاحب قطعان الغنم الثرى، ثم تركه ثيستيس بدوره إلى أجاممنون حتى يكون بذلك سيّدًا على جزر كثيرة وعلى كل أرجوس. اتكأ أجاممنون عليه وألقى كلمته بين جموع الأرجيين:
- ١٠٠ "أصدقائى، أيها الأبطال الدانائيون المحاربون^(*) سدنة آريس. إن زيوس العظيم ابن كرونوس قد أوقعنى فى مأزق من سوء تقدير الأمور أضيق به كثيرا. إن هذا الإله القاسى قد وعدنى من قبل، وأوما تأكيدا لوعده، بأنى لن

(*) فى الأصل therapontes Areos أى القائمون على خدمة آريس، إله الحرب، وهى تسمية أطلقها الشاعر على المحاربين.

- أعود إلى أرض الوطن قبل أن أكون قد أسقطت إليون
 ذات الأسوار المنيعة. ولكنه (على ما يبدو) قد
 ١١٥ خطط الآن لخداع قاس. فهو يطلب إلى أن أعود بلا مجد إلى
 أرجوس، بعد أن أكون قد فقدت أعدادًا كبيرة من الرجال. هذه
 فيما أظن مشيئة زيوس القدير الذى أحنى من قبل رؤوس مدن عديدة
 ١٢٠ وسوف يُحنى بعدُ رءوس مدن أخرى، فإن قدرته هي الأعلى.
 إنه لمن العار أن يقع على مسامع ذريتنا أن حشدًا من الآخيين
 الطبيين يمثل هذه العظمة قد حارب دون أن يحصل على
 غنيمة، وأنه قاتل رجالاً أقل منه عددًا دون أن تظهر حتى الآن
 أية نتيجة لذلك. لأنه لو أننا أردنا، آخيين وطرواديين، أن
 ١٢٥ نُقسم يمينا مقدسة وأردنا أن يحصى كل من الطرفين
 أعدادهم، ولو أن الطرواديين جمعوا معًا كل من يقيمون
 بمدينتهم وقسمنا نحن الآخيين أنفسنا إلى جماعات تضم كل
 منها عشرة أفراد، ثم اختارت كل جماعة منا رجالا من
 الطرواديين ليصب نبيذها، فإن عددًا كبيرًا من هذه الجماعات
 ١٣٠ لن يجد من يصب لهم نبيذهم - إلى هذا الحد يتفوق أبناء
 الآخيين فى العدد على الطرواديين الذين يقطنون بالمدينة^(*).
 على أن لهؤلاء حلفاء من مدن أخرى كثيرة، وهم رجال
 يجيدون استخدام الحراب ويقفون فى مواجهتى ويحولون دون
 أن أسقط مدينة إليون الحصينة الأهلة بالسكان. لقد مرت حتى الآن تسع
 من سنوات زيوس العظيم لقد تهرأ خشب سفننا بينما تراخت حبال
 ١٣٥ الأشرعة والصواري، وأحسب أن نساءنا وأولادنا الصغار
 ينتظروننا فى قاعات بيوتنا، ومع ذلك فإن مهمتنا التى جاءت
 بنا إلى هنا قد بقيت دون أن تتحقق على الإطلاق. وإذن

(*) يقدر بعض الدارسين المحدثين عدد الإغريق المحاربين حول طروادة بـ ١٢٠.٠٠٠ فإذا أخذنا بما يقوله هوميروس بأن نسبة الطرواديين كانت العشر تقريبًا فإن عددهم يكون ١٢.٠٠٠ يمكن أن نضيف إليهم ٣٨.٠٠٠ من الحلفاء فيصل مجمل عددهم إلى ٥٠.٠٠٠ رجلاً. (الغور)

- ١٤٠ فلتنفذوا جميعا ما أطلبه إليكم. دعونا نقفل عائدين فى سفننا إلى أرض آبائنا الحبيبة. فليس أمامنا أى أمل فى أن نستولى على طروادة ذات الطرق العريضة".
- هكذا تحدث (أجاممنون) فانقضت الأفئدة فى الصدور فى صفوف الجمع ممن لم يسمعوا ما دار فى اجتماع الشيوخ، وانتشرت الحركة فى الحشود كما تتور الأمواج فى عرض البحر الإيكارى حين تثيرها الريح الشرقية (يوروس) أو الريح الجنوبية (نوتوس) عندما تندفع إليها من السحب التى يجمعها الأب زيوس. وكما تحرك الريح الغربية (زيفيروس) فى أثناء هبوبها، السنابل التى تتحنى أمامها فى حقل القمح المنخفض - هكذا تحرك جمعهم وقد علا صياحهم وهم يهرولون إلى السفن، بينما ثار الغبار من تحت أقدامهم وهم يتنادون فيما بينهم ليمسكوا بالسفن ويسحبوها إلى البحر الصافى. ثم أقدموا على إخلاء مسارات دفع السفن إلى البحر (من العوائق) وارتفع صياحهم إلى عنان السماء - إلى هذا الحد كان ابتهاجهم بحديث العودة إلى بلادهم، وهكذا بدأوا يسحبون الدعامات من تحت السفن.
- ١٤٥
- ١٥٠
- ١٥٥

والآن لقد كانت حشود الأرجيين على وشك الشروع فى العودة التى لم يكن مقدراً لها أن تتحقق، لولا أن هيرا تحدثت إلى أثينة قائلة: "يا للخزى ياينة زيوس، لابس الدرع أيجيس أثينة أتريتونى ! هل قدر على الأرجيين أن يقفلوا عائدين إلى أرض آبائهم الحبيبة على متن البحر العريض وأن يتركوا لبرياموس

- ١٦٠ وللطرواديين ما يفخرون به، هيلينى، ابنة أرجوس التى هلك من أجلها كثير من الآخيين على أرض طروادة، بعيدا عن أرض آبائهم الحبيبة. ألا فلتذهبى ولتطوفى بحشود المقاتلين من الآخيين ذوى الدروع البرونزية وبحديثك العذب حاولى

١٦٥ أن توقفى اندفاع الرجال حتى لا يسحبوا (إلى البحر) سفنهم ذات الصفوف المتقابلة من المجاديف" (*).

هكذا تحدثت (هيرا) ولم تتوان أثينة ذات العيون الزرقاء فى طاعتها. وهكذا انطلقت من قمم الأوليمبوس

١٧٠ وجدت أوديسيوس، نظير زيوس فى الرأى السديد، واقفا.

لم يكن أوديسيوس يعتمد بيديه على سفينته السوداء

ذات المجاديف الكثيرة (**)، لأن الأسى كان يتقل قلبه. فوقفت

أثينة ذات العيون الزرقاء إلى جواره وقالت.

"أى ابن لائيرتيس، يا سليل زيوس، أى أوديسيوس الواسع

الحيلة ! هل ستقفزون حقيقة فى سفنكم ذات المجاديف الكثيرة وتفرون

إلى أرض آبائكم الحبيبة ؟ هل ستتركون لبرياموس وللطرواديين ما

١٧٥ يفخرون به، هيلينى ابنة أرجوس، التى هلك من أجلها الكثير من

الآخيين فى طروادة بعيدا عن أرض آبائهم الحبيبة ؟ لتذهب

فى هذه اللحظة بين جموع الآخيين دون أن تقيد نفسك

١٨٠ (بالصمت) بعد الآن. وإنما هدىء بكلماتك الرقيقة من اندفاع كل

منهم ولا تدع الرجال يسحبون سفنهم ذات الصفوف المتقابلة

من المجاديف".

هكذا تحدثت أثينة، وقد تعرف (أوديسيوس) على صوت

الإلهة حين كانت تتحدث، فانطلق راکضاً بعد أن رمى بعباءته

من على جسده فالتقطها رسوله يوريباتيس الذى ينحدر من

١٨٥ إيثاكي والذى كان يقوم على خدمته. أما هو نفسه فقد ذهب فى

(*) amphielissas (فى حالة المفعول به) فى الأصل تعنى بشكل مباشر: التى تجدف من ناحيتين متقابلتين. وقد

تعنى: مدور، إذا أخذت من جذر لغوى آخر. وقد استخدم قرى وريو المعنى الثانى، واستخدم فوس المعنى

المباشر. وأجد أن المعنى المباشر أنسب للسياق العام، فهو يوحى بالأعداد الكبيرة من الجدفين. وهذا يتسق

مع المعنى الذى يقدمه الشاعر، وهو أن الآخيين هرعوا أو اندفعوا إلى السفن يجرونها إلى البحر. وعلى هذا

فقد تبنيت فى ترجمتى المعنى المباشر للفظه.

(**) eusselmos فى الأصل، تعنى (الركب) الأجهزة جيداً بمقاعد الجدفين الكثيرة.

التوّ إلى أجاممنون بن أتريوس وأخذ منه صولجان آباءه الذى لا يفنى
وذهب به فى طريقه إلى سفن الأخيين ذوى الدروع البرونزية
و (هناك) كان يقترب من كل من كان يصادفه من الملوك ومن
الرجال البارزين ويحاول أن يهدىء من اندفاعه بكلمات رقيقة قائلاً:

١٩٠

"ياسيدى الفاضل، إنه لا يليق بك أن تستسلم
(هكذا) لليأس كما لو كنت جباناً، ولكنى أهيب بك أن تجلس
أنت نفسك وأن تطلب إلى رجالك أن يجلسوا (كذلك)، لأنك
لا تعرف بوضوح ما يُكنه ابن أتريوس فى قرارة نفسه. إن
هذا هو مجرد اختبار. ولكنه سيسدد ضربة عاجلة إلى (من
يحاول الفرار) من أبناء الأخيين. ألم نسمع جميعاً ما قاله فى
المجلس؟ حذار من أن يثور غضبه فيوجه الأذى إلى أبناء
الأخيين. ذلك أن الاعتزاز بالنفس يملأ قلوب الملوك الذين
انحدروا من السماء. لأن شرفهم من شرف زيوس، ولأن
زيوس، إله الرأى، يكن لهم (كلّ) المحبّة".

١٩٥

أما حين كان (أوديسيوس) يرى رجلاً من العامة يثير اللغظ (حول
هذا الأمر) فإنه كان يضربه بصولجانه ويوجه إليه ألفاظ التقرّيع قائلاً:

٢٠٠

"أيها البائس! أبق فى مكانك دون أن تتحرك، واصنع
إلى كلمات الآخرين ممن هم خير منك. أيها الجبان الرعديد
الذى لا اعتبار له فى الحرب أو فى الرأى. إننا، نحن الأخيين،
لن نكون جميعاً ملوكاً هنا، وإنه لشىء سيىء حقاً أن تكون هناك
جموع من السادة! ليكن هناك سيد واحد، ملك واحد، خصه

٢٠٥

بالصولجان والحكم (زيوس) بن كرونوس ذو الدهاء^(*). وذلك

(*) اللفظة *ankylometes* فى الأصل معناها الماكر أو ذو الدهاء الذى لا يظهر كل ما لديه من أفكار، وإنما يظهر بعضها ويخفى البعض الآخر. كذلك من معانيها: المتنوى أو المخادع. وقد تبني المعنى الأخير كل من قرى وريو، وهو معنى يوحى بصفة سيئة عند الإله. وهو لا يتفق مع سياق الحديث الذى يرمى فيه زيوس (بن كرونوس) الملوك الذين يقدمون الرأى لشعوبهم. كذلك ترجم فوس اللفظة بمعنى: الخفى، ويقصد به الذى يخفى بعض الأشياء (حسبما يوحى به سياق الترجمة)، وهو معنى جزئى يورد نصف المعنى الحقيقى. وأفضل أنا المعنى المباشر للفظه وهو: ذو الدهاء، فهو يجمع بين الإيماءات المذكورة جميعاً.

- حتى يكون صاحب الأمر فى رعاية النظام بين الناس".
- وقد تناول (أوديسيوس) الأمر بين المقاتلين بحزم جعلهم يسرعون ثانية من سفنهم وخيامهم إلى مكان الاجتماع فى جلبه تحاكي صوت موجة من أمواج البحر الهادر، تتردد كالرعد بطول الشاطئء بينما يزار البحر من الأعماق. أما الآخرون فقد جلسوا وظلوا فى أماكنهم، ولم يبق مستمرا فى ثرثرته إلا ثرسيتيس الذى لا ينتهى حديثه والذى يعشش فى ذهنه قدر كبير من اللغة البذيئة التى يتناول بها على الملوك فى ألفاظ تافهة، لا رابط بينها، وإنما تبدو له وكأنها تثير الضحك بين الأرجيين. كان هذا الرجل هو أبأس من أتى إلى إليون وأكثرهم مدعاة للكرهية، مقوس الساقين، أعرج فى إحدى قدميه، تكاد كتفاه تلتقيان أمام صدره بينما يعلوهما رأس محدودب نمت فوقه بضع شعيرات قصيرة^(*)، كما كان يمقته فوق كل شىء كل من أخيليوس وأوديسيوس لأنه كان ينزع إلى توجيه السباب إليهما. ولكنه الآن، مرة أخرى، كان يوجه السباب بصوته الحاد إلى أجاممنون، شبيه الآلهة. هذا بينما يثير سخط الآخيين ويملاً قلوبهم الغضب منه.
- وأيا كان الأمر فإنه وجه الخطاب إلى أجاممنون مقترنا بالتوبيخ،
- "يا ابن أتريوس ! ما الذى يدعوك إلى السخط من جديد ؟ وماذا ينقصك ؟ إن خيامك مليئة بالبرونز كما هى مليئة بالنساء. وهى غنائم مختارة نعطيك إياها قبل الآخرين كلما استولينا على مدينة محصنة. أم أنك لا تزال تريد، إلى جانب ذلك، ذهباً قد يأتى به إليك، من إليون، رجل من بين

(*) فى شخصية ثرسيتيس يتجسد النقيض الشارح لفكرة أن الجمال هو جمال الشكل والمضمون معاً، ولا يمكن أن يكون الإنسان المثالى أو الخير والفاضل Kalos k'agathos إلا جميل المظهر لأنه رائع الجوهر. وثرسيتيس هو الشخص الوحيد من عامة الناس أو الدهماء الذى يذكر بشىء من الوضوح والتركيز فى "الإلياذة". (المحرر)

- ٢٣٠ الطروديين يفتدى به ابناً له قد أكون أنا أو قد يكون غيرى من الآخيين
الذى قيده واقتاده من هناك؟ أم أنك تريد فتاة أخرى تمارس
معها الحب وتبتغى أن تحتفظ بها لنفسك؟ حقاً إنه لا يليق بشخص
هو قائد أبناء الآخيين أن يعرضهم للهلاك. يالكم من ضعفاء مخنثين^(٢).
- ٢٣٥ إنكم (حقاً) كائنات دنيئة تجلب العار. بانساء أخايا، فأنتم لم تعودوا رجالاً
أخيين. دعونا نلق بسفنتنا إلى بلدنا، أما هذا (الشخص) فلنتركه
هنا فى أرض طروادة لينعم بغنائمه وليدرك كذلك إذا كنا ذوى
نفع له أم غير ذلك؟ لقد أساء إلى شرف أخيلئوس الذى هو
٢٤٠ خير منه بكثير، فقد سلبه سبيته ظلماً وعدواناً. ولكن يبدو من
المؤكد أن أخيلئوس لم يفضب لذلك. نعم، إنه لم يتحرك على
الإطلاق وإلا، يالبن أتريوس، لكانت هذه آخر مرة تقدم فيها
على مثل هذه الإساءة".
- هكذا تحدث ثرسيتيس موجهاً نقده اللاذع إلى راعى
الشعب. أجاممنون ابن أتريوس، وما أن فرغ من حديثه حتى
٢٤٥ كان أوديسيوس إلى جواره، وقد انطلقت من عينيه نظرة
داكنة، معنفاً إياه فى كلمات خسنة:
- "أى ثرسيتيس! ياذا الحديث الذى ينضح حمقاً. إنك قد تكون
خطيباً مفوها ذا حديث رنان، ولكن حذار، ولا تكن أنت وحدك الذى
يجابه الملوك، إذ لا يوجد فى اعتقادى رجل أحقر منك من بين كل
٢٥٠ من أتوا مع ابنى أتريوس. إلى إليون، ولذا فليس لك أن
تلك أسماء الملوك فى حديثك موجهاً إليهم أنواع التقرير دون
أن يكون لك من هدف سوى العودة إلى الوطن. إننا لا
نعرف على الإطلاق ما الذى ستكشف عنه الأمور وهل سنعود
نحن أبناء الآخيين بما هو خير لنا أم ستكون عودتنا بالبلاء
والويل، بينما لا يشغلك أنت إلا أن توجه إلى أجاممنون بن

(٢) قارن فرجيليس "الإبيادة" الكتاب التاسع (٦١٧).

- ٢٥٥ أتريوس قائد الرجال، البذات بصفة مستمرة، لأن الدانائيين يقدمون إليه الهدايا الكثيرة، وإلا أن تستمر في هذا الخطاب اللاذع. ولكنى سأوجه لك الآن كلامًا وهو ليس تهديدًا أجوف: إذا وجدت مرة أخرى تردد حماقاتك كما تفعل الآن، فلتفصل رأس أوديسيوس عن كتفه. ولنكر الناس أبوتى لتيليمachus بعد الآن إذا لم أمسك بك وأجردك من ثيابك، قميصك وعباءتك، التى تغطى عورتك، وأطردك من ساحة الاجتماع مولولا إلى حيث توجد السفن بعد أن أكون قد أشبعتك ضربًا".
- ٢٦٠ هكذا تحدث (أوديسيوس) ثم ضرب (ثرسيثيس) بصولجانه على ظهره وكتفيه، بينما انكمش هذا مذعورا وسقطت (من عينيه) دمعة كبيرة، كما تفجرت من ظهره قطرات الدماء تحت (أزرار) الصولجان الذهبى. بعد ذلك جلس وقد تملكه الذعر وزاغ بصره بينما كان الألم يلسعه وهو يمسح دموعه. أما أولئك الذين كانوا حوله. فرغم ابتئاسهم العميق، إلا أنهم ضجوا بالضحك منه. وهكذا كان الواحد منهم يقول: ياغرابية (ما أقدم عليه ثرسيثيس) ! حقًا إن أوديسيوس قد قام قبل الآن بالعديد من الأعمال الجليئة، سواء أكان يدلى برأيه الحكيم أم كان يعد العدة للمعركة. ولكن ما فعله الآن هو خير ما قام به بين الأرجيين، من حيث إنه وضع حدًا للسباب الذى يقذف به هذا الثرثار. إن (ثرسيثيس)، فيما أظن، لن يكون بعد الآن فى عجلة من أمره ليقذف الملوك بالألفاظ النابية.

٢٧٥ هكذا تحدث الجمع قبل أن ينهض أوديسيوس، مدمر المدن، وفى يده الصولجان، وإلى جواره الإلهة أثينة، ذات العيون الزرقاء، وقد اتخذت هيئة الرسول. ثم طلب إلى الجمع أن يصمتوا حتى يستطيع أمناء الآخيين. سواء منهم

أقرب الناس من مكانة أو أكثرهم بعدًا عنه، أن يستمعوا إلى كلماته وأن يأخذوا بنصيحته. ثم تحدث إلى الجميع بنية صادقة قائلاً:

"يا ابن أتريوس، إن الآخيين يريدون جميعاً أن

- ٢٨٥ يجعلوا منك أيها الملك أحقر الناس أجمعين، وألا يفوا بوعدهم الذى قطعوه على أنفسهم أمامك لدى قدومهم من أرجوس، حيث مراعى الخيل: وهو ألا تعود إلى أرض الوطن قبل أن تدمر إيون ذات الأسوار القوية. وذلك لأنهم مثل الأطفال الصغار أو النساء الأرامل، يولول كل منهم للآخرين وقد غلبه الحنين للعودة إلى أرض الوطن. حقيقة لقد كان الجهد المرهق هنا كفيلاً بأن يجعل الرجل منا يعود وقد خبت همته، ذلك لأن من يقضى شهراً واحداً بعيداً عن زوجته فى سفينته المزودة بالمقاعد الكثيرة لا بد أن ينتابه الأسى بعد أن تكون قد ابتعدت به أنواء الشتاء والأمواج المتلاطمة. أما بالنسبة لنا، فإن السنة التاسعة تكاد تنتهى ونحن ها هنا بعد قابعون. ولهذا فإنى لا أعيب على الآخيين أن ينتابهم الضيق وهم إلى جوار سفنهم المعقوفة الأطراف. ومع ذلك فإنه لمن العار أن نغيب (عن الوطن) كل هذا الوقت ثم نعود خالي الوفاض. تحملوا أيها الأصدقاء وخذوا وقتكم حتى نعرف إذا ما كانت نبوءة كالخاس ستصدق أم تخيب. فما عرفناه لا يزال مستقراً فى قلوبنا حتى الآن وكلكم، ممن لم يذهب به قضاء الموت، شهود على ذلك.

لقد كان ذلك كأنه بالأمس أو أول أمس حين تجمعت سفن

الآخيين فى أوليس وهى تحمل الولايات لبرياموس

والطرواديين. وكنا نحن حول النبع نقدم الأضاحى الناضجة

- ٣٠٥ فوق المذابح المقدسة قرابين للآلهة الخالدة حتى يتحقق الخير

لنا. وكان ذلك تحت شجرة دلب نضرة تجرى من تحتها المياه

- المتألقة. وهنا ظهرت لنا بشارة عظيمة. ذلك أن ثعبانا ضخما
 بشعاً، لون ظهره فى حمرة الدماء، دفعه رب الأوليمبوس
 ٣١٠ (من جحره) إلى الضياء، فزحف من تحت المذبح وانطلق
 إلى شجرة الدلب. وقد كانت فوق هذه الشجرة أفراخ لعصفورة،
 وكانت هذه الأفراخ لم تزل بعد صغاراً لا حول لها، وقد
 انكشيت تحت الأوراق على أعلى فرع فى الشجرة، وكان
 عددها جميعاً ثمانية وتاسعتهم أمهم التى أفرختهم. وهنا التهم
 الثعبان الأفراخ جميعاً وهى تزقزق زقزقة صاحبة تدعو
 ٣١٥ للشفقة، هذا بينما كانت الأم ترفرف حول الأفراخ وهى
 تولول من أجل صغارها المحبوبين. غير أن الثعبان التف
 حول نفسه وعض على جناحها بينما كانت تصرخ من
 حوله. ولكن بعدما التهم الثعبان أفراخ العصفورة ومعها أمها،
 رأينا الإله الذى كان قد أخرجه إلى الضياء يحول كيانه
 بحيث لم يعد يرى - ذلك أن ابن كرونوس ذا الدهاء كان قد
 أحاله إلى كتلة من الحجر، بينما وقفنا نحن نعجب لما حدث.
 ٣٢٠ وحين ظهرت هذه الآية المخيفة حيث كانت توجد أضاحى
 الآلهة قدم كالكاس نبوءته مباشرة وخاطب جمعنا قائلاً:
- لماذا يخيم عليكم الصمت أيها الآخيون ذوو الشعور
 الطويلة؟ إن زيوس صاحب الرأى قد أطلعنا على هذه الآية
 ٣٢٥ العظيمة: لقد انتظرنا مجيئها طويلاً وسوف يتأخر تحققها كثيراً،
 ولكن نكرى ذلك اليوم لن تختفى أبداً. فكما أن هذا الثعبان
 الضخم قد افترس أفراخ العصفورة وافترسها معهم، وكانوا
 ثمانية وكانت الأم التى أفرختهم هى التاسعة، فإننا كذلك
 سنخوض الحرب هنا سنين بالعدد نفسه، ولكننا سوف نستولى
 فى السنة العاشرة على المدينة ذات الطرق العريضة.
 ٣٣٠ هكذا ألقى (كالكاس) كلماته الحكيمة، والآن فإن ما ذكره يتحقق

- بالفعل. اصمدوا إذن في أماكنكم أيها الأخيون المزودون جيداً
بواقيات الأرجل حتى نستولى على مدينة برياموس العظيمة".
- هكذا تحدث (أوديسيوس). وهنا أخذت حشود الأرجيين تتصارع
بصوت مرتفع، ومن حولهم رددت السفن صيحات الأخيين في روعة
مدهشة، وهم يثنون على كلمات أوديسيوس شبيه الآلهة.
- ٣٣٥ وهنا تحدث نيسنور، الفارس الجيريني:
- "يا للعجب ! حقا إنكم تتصرفون في اجتماعاتكم كما لو
كنتم صغارا لا يهتمون بإنجازات الحرب. ماذا إذن سيئول إليه
ما اتفقنا عليه وأقسمنا على تنفيذه؟ فلنلق إذن في النار بكل
الآراء وبكل خطط الرجال (المحاربين) وبكل ما سكبنا من قرابين
الشراب (لتكريس القسم)، وبكل ما تعاهدنا بالمصافحة
على القيام به. فما نحن نتجادل بالكلمات دون جدوى، ودون
أن نجد وسيلة ناجعة (للفداء بكل ذلك) مهما طال مقامنا في
هذا المكان. يا ابن أتريوس ! ابق على رأيك الذي كنت عليه
من قبل دون أن تهتز إرادتك وقد الأرجيين خلال المعارك
الشرسة، وإذا كان من بين الأخيين فرد أو اثنان قد اتفقا في
الخفاء على أن يعودا إلى أرجوس - فلن يجنى هؤلاء سوى الإحباط -
فدعهم يذهبون إلى الهلاك قبل أن يتبين لنا ما إذا كان
ما وعدنا به زيوس، لابس الدرع أيجيس، أمرا صادقا أم غير صادق.
- ٣٤٠ أما أنا فإني أعلن أن ابن كرونوس، القادر على كل شيء، قد
أعطانا وعدا بإيماءة من رأسه في ذلك اليوم حين اعتلى أبناء
أرجوس سفنهم السريعة حاملين الموت والقدر إلى الطرواديين،
لأنه جعل النور عن يميننا وأظهر لنا آيات الخير. وإذن فلا
تتعجلوا في العودة إلى أرض الوطن قبل أن يضاجع كل منكم
امرأة من زوجات الطرواديين، وبذلك يكون قد أخذ ثأره لكل
٣٥٥ ما انتابه من عناء وأسى بسبب ما حدث لهيليني. ومع ذلك

- فإذا كان هناك من هو متعطش للرحيل إلى الوطن، فليضع
 يده على سفينته السوداء ذات المجاديف الكثيرة. وسيلقى
 أمامنا جميعا نهايته وقدره. أما الآن، أيها الملك فتدبر الأمر
 ٣٦٠ مليًا واستمع لرأى الآخرين ولا تأخذ ما أقوله ببساطة. قسم
 رجالك يا أجاممنون إلى القبائل والعشائر (التي ينتمون إليها)،
 حتى تساعد كل عشيرة الأخرى، وحتى تشد كل قبيلة من أزر
 الأخرى. إنك إن فعلت ذلك والتزم به الأخيون، فإنك سوف
 ٣٦٥ تعرف من هم الجبناء من بين قادتك ورجالك، كما ستعرف
 من هم الشجعان لأن كل عشيرة ستقاتل من أجل كيانها،
 وعندئذ سوف تعرف ما إذا كانت إرادة الآلهة هي التي تحول
 دون أن تستولى على المدينة أم أن ذلك يعود إلى جبن
 الرجال وقلة خبرتهم بالحروب".
- وهنا رد عليه الملك أجاممنون قائلاً:
- ٣٧٠ "حقاً أيها الشيخ (الحكيم) إنك تتميز في الحديث، مرة
 أخرى، على كل الأخيين. لكم أتمنى، أي زيوس الأب، ويا
 أيتها الإلهة أثينة، ويا أيها الإله أبوللون أن يكون لدى عشرة من
 الأخيين يقدمون هذا النوع من المشورة. عندئذ سوف تحنى مدينة الملك
 برياموس رأسها بعد أن نكون قد استولينا عليها ودمرناها.
- ٣٧٥ ولكن ابن كرونوس، زيوس الذى يلبس الدرع أيجيس، قد
 جلب لى الأسى حين وضعنى وسط صراعات ومشاحنات غير
 ذات جدوى. فقد نشبت الخصومة بينى وبين أخيليوس بكلمات
 عنيفة حول فتاة، وكنت أنا الذى ثار فى البداية،
- ٣٨٠ ومع ذلك فلو اتفقنا فى الرأى فلن يكون للطرواديين نجاة من
 البلاء بالمرّة. ولكن على أية حال فلتذهبوا الآن جميعاً لتناول طعامكم
 حتى نستطيع أن نخوض معاً معركة أريس، وليشحد كل منكم رمحه
 ويعد ترسه إعداداً حسناً، ولتزودوا بالطعام خيلكم راكضة

- الخطو، وليتم (أصحاب العجلات الحربية) كل على
 ٣٨٥ عجلته من كل جانب وليركز كل منكم ذهنه فى القتال حتى
 نستطيع أن نقاتل طوال اليوم معركة أريس البغيضة، إذ لن
 تكون هناك لحظة راحة قبل أن يفرق الليل بين عنف
 المتقاتلين. إن أربطة الدروع التى تحمى الرجال ستكون
 مبللة بالعرق، وستكون يد المقاتل حول الرمح قد أصابها الكلل
 وسيكون حصانه قد نضح بالعرق وهو يجر عجلته الحربية
 ٣٩٠ المصقولة. على أنى إذا أبصرت بأحد يتلكأ عند السفن
 المعقوفة الطرفين، فلن تكون هناك بارقة أمل فى أن تفلت
 جثته من الكلاب والجوارح".
- هكذا تحدث (أجاممنون)، فارتفع صياح الأرجيين كأنهم
 ٣٩٥ موجة تهدر عند شاطئء مرتفع عندما تأتى ريح الجنوب
 نوتوس، فتزيد من حجمها وهى ترتطم بنتوء صخرى
 لا ينجو من الأمواج التى تتقاذفها الرياح حين تهب مرة من
 هنا ومرة من هناك. وهنا نهض الجميع وأسرعوا، متناثرين
 بين السفن، ثم أشعلوا (مواقد) النار داخل خيامهم وتناولوا
 ٤٠٠ الوجبة (*). وقدم كل منهم القرابين لإلهه (المفضل)،
 واحدًا لهذا وآخر لذاك، ومعها دعاء بأن ينجو من الموت
 ومن عناء القتال. أما أجاممنون، ملك الرجال، فقد ذبح لابن
 كرونوس، الأعلى فى قدرته، ثورًا ذا خمسة أعوام، ودعا
 شيوخ القوم وزعماء كل الأخيين. نيستور فى المقدمة
 ٤٠٥ والملك إيدومينيوس ثم الثنائى أياس (**). وابن تيديوس (***)،
 وكان سادسهم هو أوديسيوس نظير زيوس فى الرأى. أما

(*) لفظة deipnon الموجودة فى الأصل تعنى الوجبة الرئيسية، سواء أكانت فى الصباح أم فى الظهر أم فى المساء. ولكن المعنى الواضح هو وجبة الصباح فى ضوء ما ذكره أجاممنون سابقا (بيت ٣٨٥) وهو يخاطب الأخيين قائلا: حتى نستطيع أن نقاتل طوال اليوم ... الخ.
 (**). أى أياس بن تيلامون وأياس بن أويليوس Oileus. (المحرر)
 (***) أى ديوميديس. (المحرر)

- مينيلاؤس (أخو أجاممنون)، الشجاع عند سماع صيحة الحرب
فقد حضر دون دعوة، إذ كان يعرف ما يشغل أخاه من مهام.
٤١٠ ثم التقوا حول الثور وأخذوا حبوب الشعير (اللازمة لتقديم
القربان). بعدها ارتفع صوت أجاممنون، سيد الجمع، بالدعاء:
"أى زيوس، الأجد والأعظم، رب السحب ورب
السموات ! فلنكن مشيئتك ألا تغرب الشمس ويزحف علينا
الظلام قبل أن أكون قد انقضت مدمرا قصر برياموس،
٤١٥ بعد أن يكون الدخان قد كساه بالسواد، وقبل أن أكون قد
أحرقت أبوابه وأضرمت فيها النيران وشققت قميص هيكتور
من على صدره بسيفى البرونزى، وليسقط رفاقه من حوله
فى الرغام وهم يعضون الأرض".
- هكذا تحدث (أجاممنون)، ولكن ابن كرونوس لم تكن
٤٢٠ مشيئته قد انعقدت بعدُ على الاستجابة لدعوته. لقد قبل القربان
ولكنه دفع فى طريق (أجاممنون) بالمزيد من المعاناة. ولما
انتهوا من صلاتهم ونثروا حبوب الشعير قاموا فى البداية
بدفع رعوس الأضاحى إلى الخلف وقطعوا رقابها ثم سلخواها.
بعد ذلك قطعوا أفخاذها قطعًا غطوها بطبقة مزدوجة من
الدهن ومن فوق هذه قطع (أخرى) من اللحم، ثم قاموا بشى كل
٤٢٥ ذلك على عيدان من الأغصان الجافة نزعوا عنها أوراقها.
أما الأجزاء الداخلية للذبائح فقد شكوها بأسياخ أمسكوا بها
فوق نيران هيفايستوس. وحين أتموا إنضاج قطع الأفخاذ
وتذوقوا الأجزاء الداخلية، قطعوا ما تبقى من
٤٣٠ الذبائح وشكوا القطع فى أسياخ (كذلك) وشووها بعناية ثم
نزعوا القطع من على الأسياخ. وحين توقفوا عن عملهم هذا
وجهزوا الطعام، احتفلوا بالوليمة التى أخذ كل منهم نصيبه
منها على الشواء. وحين شبعوا من الطعام وارتووا من الشراب

كان أول من تحدث بينهم هو نيستور، الفارس الجيريني فقال:

٤٣٥

"أيها الأمجد، يا ابن أتريوس أي أجاممنون يملك

الرجال ! لا تدعنا نبقى ها هنا مجتمعين أو تؤجل العمل الذى

عهد به إلينا الإله. بل تقدم ودع منادى الأخيين ذوى الدروع

البرونزية يقومون بإعلان الأمر عليهم ويجمعون الحشد من

حول السفن، لنذهب جماعة إلى المعسكر العريض للأخيين

٤٤٠

حتى نتمكن من دفع حركة الحرب على جناح السرعة".

هكذا تحدث (نيستور)، ولم يتوان ملك الرجال،

أجاممنون، عن أن يوليه أذناً صاغية. وهكذا طلب إلى

المنادين نوى الأصوات الرنانة أن يجمعوا للمعركة

الأخيين ذوى الشعور الطويلة، وقد قام المنادون بالإعلان

(المطلوب) واجتمع المقاتلون بسرعة فائقة. وهنا أسرع

٤٤٥

الزعماء، (ملوك المدن)، الذين رعاهم زيوس والذين كانوا

حول ابن أتريوس يجمعون حشود المقاتلين، وفى وسطهم

كانت تقف (الإلهة) أثينة ذات العيون الزرقاء وقد ارتدت

الدرع أيجيس الذى لا يقدر بثمن والذى لا يبلى ولا يعرف الفناء،

وقد تدلت منها مائة شرابة من خيوط الذهب،

نسجت بمهارة فائقة وتصل قيمة كل منها إلى ما يساوى مائة

٤٥٠

ثور. وما لبثت الإلهة أن أسرعت متألفة خلال صفوف

الأخيين تحثهم على التقدم، وتبعث العزم على القتال فى قلب

كل رجل بلا توقف، (وظلت هكذا) حتى غدت الحرب أكثر

٤٥٥

عذوية لديهم من أن يعودوا بسفنتهم إلى أرض الوطن الحبيب.

وكما تضطرم النار المدمرة فى غابة شاسعة على قمة

جبل بحيث يرى وهجها عن بعد، هكذا كان ينبعث الوميض

المبهر من عتادهم البرونزى الذى لا حصر له، وهم

يتقدمون، ليصل إلى عنان السماء. وكما تفعل المجموعات

- ٤٦٠ العديدة من الطيور المرفرفة. من الإوز البرى والكراكى
والبجع ذات الرقاب الطويلة فوق المرج الآسيوى عند
روافد نهر كاوستريوس، وهى تطير مختالة بأجنحتها القوية،
ثم وهى تحط (على الأرض) خلف طبيعتها المتقدمة - هكذا
كانت تندفع العشائر العديدة للرجال وهى تتدفق من السفن
والخيام إلى الأمام فى سهل سكامانديوس، بينما كانت
- ٤٦٥ الأرض تردد الأصداء الرهيبه تحت وقع (أقدام) الرجال
(وسنابك) الخيل، وهكذا توقف الجمع عند المرج المزهر بجوار
النهر فى أعداد تفوق الحصر تحاكى وفرة الأوراق والزهور
فى موسم ازدهارها. ومثل أسراب الذباب العديدة التى تطن
غادية رائحة فى حركة دائبة فى حظائر الرعاة فى موسم
- ٤٧٠ الربيع عندما تمتلئ الدلاء بالحليب، هكذا اصطف الآخيون
ذوو الشعور الطويلة فى الوادى فى مواجهة الطرواديين، وهم
متعطشون إلى أن يمزقوهم إربًا.
ومثلما يفعل الرعاة فى حالة القطعان المتناثرة من
- ٤٧٥ الماعز، حين يفرقونها دون صعوبة عندما تختلط فى المرعى،
هكذا فعل الزعماء حين جمعوا الرجال ونظموهم هنا وهناك
ليخوضوا المعركة. هذا بينما كان يقف فى وسطهم سيد القوم
أجاممنون، (وقد بدت) عيناه ورأسه مثل زيوس حين يطلق الصاعقة،
وخصره مثل خصر آريس وصدرة مثل صدر بوسيدون. وكما يقف
- ٤٨٠ الفحل وسط أفراد القطيع رئيسًا سيدًا للجميع مقدا على القطيع،
هكذا فعل زيوس بابن أتريوس فى ذلك اليوم، مقدا على الكثيرين
ومبرزًا بين المحاربين.
- والآن، أخبرتنى يا ربات الفن (الموساى) يا من تقطن
- ٤٨٥ الأوليمبوس، فأنتن إلهات تساعدن الجميع وتعرفن كل
شئ، بينما ما نسمعه نحن هو محض شائعات، ولا نعرف

- شياً على الإطلاق: من كان زعماء الدانائيين
ورؤساؤهم^(*)؟ أما العامة فإنى لن أعرفهم أو أعرف أسماءهم
حتى لو أوتيت عشرة ألسن وعشرة أفواه وصوتاً لا يكل،
وحتى لو كان القلب الذى فى صدرى قد صبّ من البرونز،
٤٩٠ ما لم تشأ ربات الفن الموساى، المقيمات فوق الأوليمبوس،
بنات زيوس الذى يلبس الدرع (أيجيس)، أن تُعذّنَ إلى ذاكرتى
كل من قدم إلى إليون. والآن سأذكر لكم قادة السفن ثم أذكر
السفن جميعاً.
- ٤٩٥ من البويوتيين كان هناك من الزعماء بينيليوس وليثيتوس
وكذلك أركيسيلائوس وبروثوثينور وكلونيوس. وقد كان
هؤلاء (البويوتيون) يقيمون فى هيريا وأوليس ذات الطبيعة
الصخرية وسخوينوس وسكولوس وإتيونوس ذات التلال العالية
وثيسيبا وجرايا وميكاليسوس الفسيحة. ومعهم كان أولئك
الذين كانوا يقيمون حول هارما وإريثراى وإيليسيون، والذين
كانت فى أيديهم مدن إيليون وهولى وبيتيون وأوكاليا
٥٠٠ وميديون ذات المباني المتقنة^(**) وكوباي ويوتريسيس وثيسيبى،
حيث يتجمع اليمام. ومع هؤلاء جميعاً كان أولئك الذين
قدموا من كورونيا وهاليارتوس حيث الحشائش التى تنبت
بوفرة وأولئك الذين كانت فى أيديهم بلاتايا والذين كانوا
يقيمون فى جليساس. والذين كانت بأيديهم ثيبى السفلى ذات
٥٠٥ المباني المتقنة وأونخيستوس المقدسة، وغيضة بوسيدون
الباهرة والذين كانت بأيديهم أرنى الغنية بالكروم، وميديا

(*) هذا الجزء ٤٨٤-٨٧٧ كان يعرف باسم بويوتيا أو قائمة السفن Boiotia e katalogos ton neon وتحذفه كثير من الطبقات على اعتبار أنه مقحم أو منتحل. ولكننا نتبع طبعة أكسفورد التى أوردته وشرحنا فى المقدمة أهمية هذا الجزء. (المحرر)

(**) لفظة euktimenos ترجمة ريو بمعنى النقطة الحصينة وترجمها مرى بمعنى الحصن المتقن البناء. ولكن معنى الحصن لا يأتى كصفة للمدينة إلا إذا اقترنت المدينة بما يفيد معنى الارتفاع، وهو غير متوفر فى هذا البيت، وعلى هذا فقد فضلت فى ترجمتى المعنى المباشر للفظه وهو: المتقنة البناء أو ذات المباني المتقنة.

ونيسا المقدسة وأنثيدون المطللة على البحر. من هؤلاء
(جميعا) جاءت خمسون سفينة على متن كل منها مائة
وعشرون من رجال البويوتيين.

٥١٠

وأولئك الذين كانوا يقيمون فى أسبليدون

وأورخومينوس بلد المينيايين، الذين كان يقودهم أسكالافوس
وبالمينوس ابنا (الإله) آريس اللذين حملت فيهما أستيوخى،

٥١٥

الفتاة الرقيقة فى قصر أكتور بن أزيوس من آريس القوى
الجبار بعد أن صعدت إلى غرفتها فى الطابق العلوى حيث
ضاجعها الإله فى الخفاء. ومع هؤلاء كانت هناك ثلاثون سفينة
مجوفة.

وعلى رأس الفوكيين كان سخيدوس وإبيستروفوس ابنا

إفيتوس ذى الهمة العالية ابن ناويلوس. وكان هؤلاء

٥٢٠

(الفوكيون) هم مواطنى كيبارسوس وبيثو (ذات الأرض)

الصخرية وكريسا المقدسة وداوليس ويانوبيوس. و (كذلك)

الذين كانوا يقيمون حول أنيموريا وهيامبوليس، والذين كانوا
يعيشون حول النهر المقدس كيفيسوس، والذين كانت بأيديهم

لياليا عند منابع كيفيسوس. ومع هؤلاء كانت هناك أربعون

٥٢٥

سفينة سوداء. وقد نشط رؤساء الفوكيين فى جمع صفوفهم

واستعدوا للمعركة، (وكان موقعهم) إلى يسار البويوتيين
مباشرة.

أما اللوكريون فقد كان يقودهم الابن العذاء لأويليوس،

وهو آياس الأقل شأنا فهو لا يصل بأى حال إلى قدرة آياس

التيلامونى، وإنما يقل عن ذلك كثيرا، وكان صغيرا فى حجمه

٥٣٠

يشتمل بمشد من الكتان. ومع ذلك فقد كان يفوق فى رمى

الرمح كل مقاتلى الهلثيين والآخيين. هؤلاء (اللوكريون) هم

الذين كانوا يقطنون كينوس وأوبويس وكالياروس وبيسا

- وسكارفى وأوجياى الجميلة وتارفى وثرونيون حول روافد
نهر بوأجربوس. وقد جاءت مع أياس أربعون سفينة سوداء
٥٣٥ (من سفن) اللوكريين الذين يقيمون مقابل (جزيرة) يوبويا المقدسة.
وكان هناك الأبانتيون الذين ينفثون الغضب، وقد كانت
بأيديهم يوبويا وخالكيس وإيريتريا وهستيايا، الغنية بالكروم،
وكيرينثوس المطلة على البحر ومدينة ديون المحصنة
الشاهقة الارتفاع، والذين كانت بأيديهم كاريستوس وأولئك الذين
٥٤٠ يقطنون ستيرا. وكان يقود هؤلاء (جميعا) إليفينور، سليل
آريس، والذي كان ابناً لخالكودون زعيماً للأبانتيين ذوى
الروح العالية. وقد تبعه الأبانتيون السريعو الخطى ذوو الشعر
الطويل على ظهورهم، حاملو الحراب المتحمسون، وقد شرعوا
رماحهم الرمادية وهم متعطشون لأن يمزقوا بها
٥٤٥ المشدات التى أحاط بها أعداؤهم صدورهم. وقد جاءت
مع قائدهم أربعون سفينة سوداء.
وأولئك الذين كانت بأيديهم أثينا، المدينة الحصينة البناء،
مدينة إريخثيوس ذى القلب الكبير، الذى رعته فى قديم الزمان
الإلهة أثينة، ابنة زيوس، حين حملت به الأرض المنتجة
للحبوب، والذي جعلته (الربة) يقيم فى محرابها الخاص (ذى
٥٥٠ المذبح) الدهنى الملمس (من وفرة الأضاحى)، حيث يحاول
الشباب الأثينيون على مر السنين أن يحصلوا على رضاه بتقديم
القرابين من الثيران والكباش. هؤلاء كان يقودهم مينيسثيوس
بن بيتيوس الذى لا نظير له على وجه البسيطة فى تنظيم
(فصائل) العجلات الحربية والمحاربين من حملة التروس،
٥٥٥ فيما عدا نيستور لأنه كان أكبر منه سناً، وقد جاءت معه
خمسون سفينة سوداء. كذلك قاد أياس اثنتى عشر سفينة
من سلاميس وصفهم حيث كان يوجد الأثينيون.

- ٥٦٠ أما من كانت بأيديهم أرجوس وتيرينس التى اشتهرت بأسوارها وهرميونى وأسبنى اللتان تطوقان الخليج العميق، وترويزين وإيوناي وإبيداوروس التى تغطى أرضها الكروم وشباب الآخيين الذين كانت بأيديهم أيجينا وماسيس، فقد كان
- ٥٦٥ على رأسهم ديوميديس الذى تميز بإطلاق صيحة الحرب وستينيلوس، الابن المحبوب لكابانيوس صاحب الأمجاد. وكان ثالثهم الذى جاء معهم هو يوريالوس، المحارب الشبيه بالآلهة، ابن الملك ميكستيروس بن تالاؤس. على أن قائدهم جميعا كان ديوميديس الذى يجيد إطلاق صيحة الحرب. وقد جاءت مع هؤلاء ثمانون سفينة سوداء.
- ٥٧٠ أما الذين كانت بأيديهم موكيناي، المدينة الحصينة البنيان وكورنثة الغنية وكليوناي ذات المباني الرائعة وأورنياى وأراثيريا الجميلة وسيكيون التى كان أدراستوس أول ملوكها، والذين كانت بأيديهم هيريسيا وجونوثيسا التى تقع
- ٥٧٥ على مرتفع شديد الانحدار وبيللينى وأولئك الذين يقطنون حول أيجيون وفى كل أرجاء أيجيالوس وحول هيليكى المترامية الأطراف. كل أولئك كان يرأسهم سيد القوم، أجاممنون بن أتريوس ومعه مائة سفينة. وكان الذين تبعوه هم خيرة الرجال وأكثرهم عددًا. أما هو فكان يقف بينهم بسلاحه البرونزى
- ٥٨٠ اللامع، ملكًا مجيدًا ومقدمًا على المقاتلين جميعا، فقد كان أكثرهم نبلاً كما كان يقود أكثر القوات عددًا. ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أغوار لاكيدايمون التى تكثُر فيها الوهاد الضيقة المنحدرة. وفاريس وإسبرطة وميسى حيث يتجمع اليمام، وبرويسياى وأوجياى الجميلة، وكذلك الذين كانت بأيديهم أميكلاى وهيلوس، المدينة
- ٥٨٥ المحصنة التى تقع على ساحل البحر، وأولئك الذين كانت

- بأيديهم لآس، والذين كانوا يقيمون حول أويتيلوس. هؤلاء
(جميعا) كان على رأسهم أخو أجاممنون، مينيلائوس الذى
يجيد صيحة الحرب ومعه ستون سفينة. وقد تم تجميع هؤلاء
(فى موقع) على حدة. أما هو فقد كان يتحرك بينهم وهو
واثق من شجاعته. كما كان يحثهم على المعركة، إذ لم
يكن بين كل الآخرين من تهفو روحه أكثر منه لينتقم
لنفسه بسبب ما أصابه من عناء وأنين من جرأ هيلينى.
٥٩٠
- كذلك كان هناك أولئك الذين كانوا يقيمون فى بيلوس
وأرينى الجميلة وثريون حيث يسهل عبور نهر الألفيوس وفى
آيبى ذات التأسيس الجميل، وأولئك الذين كانوا يقيمون فى
كياريسينيس وأمفيجينيا وبتيلايوس وإيلوس ودوريون حيث كانت
ربات الفنون الموساي قد قابلن ثاموريس الطراقى ووضعن
٥٩٥
- حدًا لغنائه وهو بسبيل سفره من أويخاليا، من بيت يوريتوس
الذى ينحدر من أويخاليا، وذلك لأنه كان يفخر بثقته الكاملة فى
الفوز (فى أية مباراة للغناء) حتى لو كانت ربات الفنون
الموساي هن اللاتى يغنين فى مواجهته - وهن بنات زيوس
لابس الدرع أيجيس. وقد أغضبهن هذا فأصبهن بالعمى
وعاقبهن بأن سلبهن نعمة الغناء الجميل وأنسينه فن العزف
٦٠٠
- على القيثارة. كل هؤلاء كان يقودهم الفارس نيستور الجيرينى،
وقد اصطفت معه تسعون سفينة مجوفة.
- ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أركاديا عند سفح الجبل
المرتفع فى كيلينى بجوار مقبرة أيبوتايوس حيث يحارب
المقاتلون فى مواجهة متلاحمة (مع الأعداء)، وأولئك الذين
كانوا يقيمون فى فينيوس وأورخومينوس الغنية بقطعان
٦٠٥
- الغنم وريبي وستراتيا وإنيسبى التى تهب عليها الرياح
الشديدة. والذين كانت بأيديهم تيجيا ومانتينا الجميلة والذين

- كانت بأيديهم ستيμφالوس، والذين كانوا يقيمون في باراسيا.
- ٦١٠ لقد كان هؤلاء (جميعاً) تحت قيادة ابن أنكايوس أجابينور السيد (ومعه) ستون سفينة، على متن كل منها مجموعة كبيرة من رجال الأركاديين الذين تميزوا بالمهارة في القتال، لأن ملك الرجال، أجامنون بن أتريوس، قام بنفسه بإعطائهم السفن الكثيرة المجاديف. ليعبروا بها البحر الذى له لون الخمر الداكنة، إذ لم تكن لهم دراية بأمر البحر .
- ٦١٥ أما عن أولئك الذين كانوا يقطنون بوبراسيون وتلك المنطقة من أرض إيليس الرائعة، التى كانت تحتضنها هيرمينى وميرسينوس الواقعتان على ساحل البحر (من جانب) وصخرة أولينيا وأليسيون من الجانب الآخر. هؤلاء، مرة أخرى، كان على رأسهم أربعة قواد تتبع كلا منهم عشر سفن سريعة كان يعتلى سطحها عدد كبير من الإيبينيين.
- ٦٢٠ إذ كان يقود بعض هذه السفن أمفيماخوس وثالببوس، الأول ابن كتياتوس والآخر ابن يوريتوس وكلاهما من نسل أكتور. أما البعض الآخر فكان يقود عدداً منه ديوريس ذو المقدره الفائقة من نسل أمارينكيوس، وأما المجموعة الرابعة فكانت تحت قيادة شبيه الآلهة، ابن الملك أجاستثيس بن أوجياس.
- ٦٢٥ ثم أولئك الذين قدموا من دوليخيون وإيخيناي، الجزر المقدسة التى تقع عبر البحر فى مواجهة إيليس، وكان على رأس هؤلاء، مرة أخرى، ميغيس نظير الإله آريس، وهو ابن فيليوس، (الابن) الذى أنجبه الفارس فيليوس، الذى يحبه زيوس، والذى كان قد ذهب فى الزمن الماضى ليقيم فى دوليخيون حين كان حانقاً على أبيه. و(مع ميغيس) جاءت أربعون سفينة سوداء.
- ٦٣٠ وقد قاد أوديسيوس الكيفالينيين ذوى الهمة العالية،

الذين كانت بأيديهم إيثاكي ونيريتون ذات الغابات التى
تتموج (أمام الرياح)، والذين يقيمون فى كروكيليا وأيجيليبس
الصخرية ومواطنى زاكينثوس وكذلك الذين يقيمون حول
٦٣٥ ساموس ومواطنى القسم الرئيسى من الأراضى والشواطئ
المقابلة للجزر. كل هؤلاء كان يقودهم أوديسيوس، نظير
الإله زيوس فى رأى وقد جاءت معه اثنتا عشر سفينة
لونت مقدماتها باللون القرمزى.

أما الأيتوليون فقد كان يقودهم ثواس بن أندرايمون،
٦٤٠ وكان هؤلاء يقيمون فى بليورون وأولينوس وبيلينى.
وخالكيس المطلة على البحر وكاليدون الصخرية. وذلك
لأن أبناء أويينوس ذى الهمة العالية لم يكونوا على قيد الحياة،
وكان هو الآخر قد مات. وكان قد فارق الحياة كذلك
ملياجروس ذو الشعر الذهبى الذى كانت الأوامر قد صدرت
بأن يقود كل الأيتوليين. وقد جاءت مع ثواس أربعون
٦٤٥ سفينة سوداء.

وكان قائد الكريتيين هو إيدومينيوس، الذى اشتهر
باستخدام الرمح. وكانت بأيدى هؤلاء كنوسوس وجورتين
التي ذاع صيتها بسبب (متانة) أسوارها وليكتوس وميليتوس
وليكاستوس التى يكسوها الحجر الطباشيرى بالبياض،
وفايستوس وريتون اللتان تقطنهما أعداد غفيرة. ثم الآخرون
الذين كانوا يقيمون فى كريت ذات المائة مدينة. كل هؤلاء
٦٥٠ كان يقودهم إيدومينيوس الذى اشتهر باستخدام الرمح ومعه
ميريونيس، نظير إنياليوس قاتل الرجال. وقد جاءت معها
ثمانون سفينة سوداء.

وهناك تليبوليموس بن هيراكليس (هرقل)، رجل
شجاع كبير الجسم. وقد قاد من رودس تسع سفن عليها

- مجموعات من الرودسيين المعتدين بأنفسهم، الذين يقيمون
 ٦٥٥ في رودس مقسمين إلى ثلاثة أقسام، في ليندوس ويليوسوس
 وكاميروس التي يكسوها بياض الحجر الطباشيري. هؤلاء
 كان يقودهم تليبوليموس، الذي اشتهر باستخدام رمحه، وهو
 الذي حملت فيه من هيراكليس البالغ القدرة، أستيوخيا التي
 ٦٦٠ كان قد اقتادها من إفيري ونهر سيلليئس بعد أن دمر عددا
 من مدن (المقاتلين) الأشداء الذين كان يرعاهم زيوس. ولكن
 حين بلغ تليبوليموس مبلغ الرجال في القصر الذي تحيط به
 الأسوار القوية، قام على التو بقتل ليكيمنيوس، العم الحبيب
 لأبيه ذاته، وسليل آريس وكان قد بدأ يتقدم في
 السن آنذاك. وهكذا بدأ تليبوليموس يبني لنفسه سفناً، وحين
 ٦٦٥ جمع عدداً كبيراً من الناس هرب إلى البحر لأن أبناء وأحفاد
 هيراكليس البالغ القدرة قد هددوه. ولكنه وصل في تجواله
 إلى رودس بعد عناء كبير، وهناك استقر شعبه في ثلاثة
 أقسام حسب قبائلهم التي كانت تتمتع بحب زيوس، ملك الآلهة
 والبشر. وقد أنعم ابن كرونوس عليهم بثراء عريض.
 ٦٧٠ وإلى جانب ذلك قاد نيريوس ثلاث سفن رائعة المظهر
 من سومي. وكان نيريوس ابناً لأجلايا والملك خاروبس. إنه
 نيريوس، أوسم من وصل إلى أسوار إليوس من الدانائيين،
 ٦٧٥ وذلك بعد ابن بيليوس، الذي لا نظير له. على أن نيريوس
 كان رجلاً تنقصه القوة ولم يتبعه إلا عدد قليل من الرجال.
 أما أولئك الذين كانت بأيديهم نيسوروس وكراباثوس
 وكاسوس وكوس، مدينة يوريبيلوس، والجزر الكاليدونية
 (كاليدناي)، فقد كان يقودهم فيديبوس وأنتيفوس، ابناً الملك
 ٦٨٠ نيسالوس، ابن هيراكليس الملك - وكان معهم ثلاثون سفينة مجوفة.
 هذا وكل أولئك الذين كانوا يقيمون في أرجوس،

- ٦٨٥ المدينة البلاسجية، والذين كانوا يقيمون فى ألويس وألوبي
وتراخيس، والذين كانت بأيديهم فثيا وهيلاس التى اشتهرت
بجمال نسائها - وكانوا يدعون الميرميدونيين والهلينيين
والآخيين. كل أولئك كان أخيليوس يقود سفنهم الخمسين.
على أنهم لم يعودوا يفكرون الآن فى الحرب
البيغيزة، إذ لم يكن هناك من يُعدّ صفوفهم للقتال، فقد كان
أخيليوس النبيل سريع القدم، يرقد بين السفن لا يفعل
شيئاً وقد غلبته الهموم من جراء الفتاة بريستيس ذات الشعر
الجميل التى كان قد سبها (لنفسه) من ليرنيسوس بعد عناء
شديد دمر خلاله ليرنيسوس وأسوار ثيبى وصرع كلا من
مينيس وإبيستروفوس، من رجال الرمح العتاة وأبناء الملك
ايوينوس بن سيليبوس. هكذا كان أخيليوس، فى حزنه الشديد
أخرى. عليها، يرقد دون أن يفعل شيئاً ولكنه كان سينهض مرة
٦٩٥ أما أولئك الذين كانت بأيديهم فيلاكى وبيراسوس
المزهرة، مدينة ديميتير، وإيتون ذات قطعان الغنم
وأنترون المتاخمة للبحر وبتيليوس التى تحتضنها الحشائش
الوفيرة هؤلاء كان يقودهم بروتيسيلأوس، المحارب الشديد المراس
عندما كان على قيد الحياة قبل أن يرقد تحت الأرض السوداء
٧٠٠ أما زوجته التى مزقت خدودها (نواحا عليه) فقد
تركها (الآن) وراءه فى فيلاكى، كما ترك بيته يفتقد السيد
والخلف^(*)، فقد ذبحه رجل دارداتى بينما كان (بروتيسيلأوس)
يقفز من سفينته قبل كل الآخيين. على أن رجاله لم يستمروا

(*) تعبير *domos hemiteles* يعنى: البيت الذى لم يكتمل بناؤه، وقد ترجمه ريو بهذا المعنى الحرفى. كذلك ترجمه مرى بالمعنى الحرفى ولكنه أضاف فى الحاشية أنه يعنى أن البيت خال من الابن، على اعتبار أن الزوج القليل لم يترك أبناً. أما فوس فقد اكتفى بأن يترجمه: البيت الخالى. ويترك للقارىء تصور هذا المعنى المجازى. وقد رأيت أن أترجمه: البيت الخالى من السيد والخلف. على أساس أن الزوج (سيد البيت) قد قتل، وأنه، لو كان قد ترك خلفاً لما ذكر هومروس أنه لم يكتمل، حيث إن الابن يخلف الأب ويصبح هو رجل البيت فيكتمل البيت بذلك.

- ٧٠٥ دون قيادة رغم افتقادهم إياها، فقد خلفه على تنظيم صفوفهم بوداركيس سليل أريس وحفيد فيلاكوس وابن أفيكوس، صاحب قطعان الغنم الكثيرة. كما كان أخا بروتيسيلأوس ذى الهمة العالية. كان هو الأخ الأصغر بينما كان (بروتيسيلأوس) هو الأخ الأكبر وهكذا لم تفتقر قواتهم إلى قائد رغم أنهم كانوا يفتقدون الرجل النبيل الذى فقدوه. وقد جاءت مع بوداركيس أربعون سفينة سوداء.
- ٧١٠ ثم أولئك الذين كانوا يقيمون فى فيراى بجوار بحيرة بويبئيس وفى بويى وجلافيراي ويأولكوس الحصينة البنيان. وكان يقودهم الابن الحبيب لأدميتوس ومعه إحدى عشر سفينة، وهو يوميلوس الذى أنجبته من أدميتوس، سيدة النساء ألكيستيس، أنبل بنات بيلياس.
- ٧١٥ أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى ميثونى وثاوماكيا وفى ميليبويا وأوليزون الوعرة، فقد كان يقودهم، هم وسفنهم السبع، فيلوكتيتيس الذى يجيد الرماية. وقد كان فى كل سفينة خمسون مجدفا تمرسوا فى القتال بالقوس. ولكن فيلوكتيتيس كان يرقد فى جزيرة وقد ألمت به آلام موجعة، إذ تركه أبناء الآخيين (مضطرين) وهو يعانى من جراح جرح أصابه به ثعبان مميت من ثعابين البحر. على أنه لم يمضى وقت طويل قبل أن تتذكر جموع أرجوس الملك فيلوكتيتيس وهم بجوار سفنهم. وحقيقة أنهم افتقدوا قائدهم إلا أنهم لم يظلوا بلا قائد. فقد أعد ميدون صفوفهم للمعركة، وهو الابن الذى حملت به رينى سفاحاً من أويلوس مدمر المدن.
- ٧٢٠ ثم أولئك الذين كانت بأيديهم تريكى وإيثومى ذات المنحدرات الصخرية وأويخاليا، مدينة يوريتوس الأويخالى.
- ٧٢٥ هذه المدن كان يقودها ابنا أسكليبيوس، وهما الطبيبان
- ٧٣٠

الماهران بوداليريوس وماخاؤون، ومع هؤلاء كانت هناك
٧٣٥ ثلاثون سفينة مجوفة.

أما أولئك الذين كانت بأيديهم أورمينيوس ونبع هيبيريا، والذين
كانت بأيديهم أستيريون والقمم البيضاء لتيتانوس، فقد كان يقودهم
يوريبيلوس، الابن المجيد ليوأيمون، وكانت معه أربعون سفينة سوداء.
ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أرجيسا والذين كانوا

٧٤٠ يقطنون جورتوني وأورثي وإلوني ومدينة أولوؤسون
البيضاء. وكان يقودهم بوليبيوتيس، المحارب القدير ابن
بيريثوؤس الذى أنجبه زيوس الخالد والذى حملت به
هيبوداميا المجيدة من بيريثوؤس فى اليوم الذى انتقم فيه
من الكنتوروى^(*). نوى الشعر الأشعث وطردهم من
بيليون ثم دفع بهم إلى أيدى الأيثيكيين. هذا ولم يكن

٧٤٥ (بوليبويتيس) وحده، بل كان معه ليونتيوس، سليل آريس
وحفيد كاينيوس وابن كورونوس ذى الهمة العالية وكانت معهما
أربعون سفينة سوداء.

٧٥٠ كذلك كان جونيوس يقود اثنين وعشرين سفينة من
كوفوس. وقد تبعه الإينيونيون والبيريبييون، وهم مقاتلون
أشداء، كانوا قد أقاموا مساكنهم فى دودونى ذات الطقس
الشتوى وعاشوا على فلاحه الأرض حول (نهر) تيتاريسيوس
الذى تتوق النفس إلى رؤيته، والذى تتدفق مياهه فى سلاسة

(*) اللفظة فى الأصل: Feres. وترجمها فوس: الوحشيون المسوخون. ويكتفى ريو بترجمتها: رجال البرارى،
بينما يترجمها مورى: مخلوقات الكنتوروى، وهى مخلوقات نصفها الأعلى حتى أسفل الجذع على هيئة
نصف بشر أما بقية الجسم فهو بقية جسم حصان، والترجمة بهذا الشكل قوية ففى ملحمة "الأوديسية"
الكتاب الأول، بيت ٢٩٥ وما بعده) إشارة إلى علاقة بين بيريثوس وهذه الكائنات. وقد رأيت أن الترجمة
الأولى (الوحشيين المسوخين) غير كاملة المعنى لأنها لا تشير إلى النصف البشرى من هذه المسوخ كما
رأيت أن ترجمة: رجال البرارى لا تستند على أصل لغوى أو أسطورى، وفى رأي أن ترجمة: مخلوقات
الكنتوروى هو الأقوى بين الترجمات الثلاث وذلك استنادا إلى ما ذكره الشاعر فى ملحمة "الأوديسية"
على نحو ما سبق. ولكن خوفا من أن يكون بعض القراء على غير معرفة كافية بماهية مخلوقات
الكنتوروى، نشير إلى أنها مخلوقات نصفها الأمامى على هيئة بشر ونصفها السفلى على هيئة حصان.
(راجع "الأوديسية" مرة أخرى، الكتاب الحادى والعشرون، أبيات ٣٠١-٣٠٣، حيث ترد كلمة
الكنتوروى بمعنى الحيوان البرى أو المتوحش).

- فى (نهر) بينيوس، ومع ذلك لا تلتقى بالدوامات الفضية لنهر
بينيوس وإنما تجرى فوق مياهه كما يسيل الزيت، إذ إنه
٧٥٥ يتفرع من مياه (نهر) ستيكس، نهر القسم (الرهيب) (*).
ثم هناك الماجنيتيون الذين كان يقودهم بروثوؤس بن
تنثريدون. وكان هؤلاء يقيمون حول بينيوس وبيليون التي
تغطيها الغابات التي تتماوج (أوراقها تحت الرياح). لقد كان
٧٦٠ بروثوؤس هو قائد هؤلاء. وقد جاءت معه أربعون سفينة سوداء.
وكان أولئك قادة الدانائيين وسادتهم. ولكن حدثني
ياربة الفن والحكمة: من كان الأفضل بينهم، سواء من أولئك
(الرجال) أو من الخيل، ممن تبعوا ابني أتريوس.
لقد كانت فرسا ابن فيريس، من بين الخيل، هما الأفضل
كثيراً، وهما اللتان كان يسوقهما يوميلوس، سريعتين كالطير
ولهما نفس لون الجلد وذات السن. أما ظهراهما فكانا فى
استوائهما كخير ما يمكن أن يصل إليه الخط الذى يحدد مدى
الاستواء. لقد كان الإله أبوللون ذو القوس الفضى هو الذى
٧٦٥ رعى هاتين الفرسين اللتين تثيران الهلع. أما من بين الرجال فقد
كان الأفضل هو أياس التيلامونى طالما كان أخيليوس لا يزال على
غضبه، ذلك أن أخيليوس كان أقدرهم بشوط طويل، هو والخيل التي
كان يسوقها (هو نفسه)، ابن بيليوس الذى لا نظير له. ولكنه كان
٧٧٠ يقيم (آنذاك) بين سفنه ذات المقدمات المعقوفة والتي تمخر
عباب البحر، وقد استبد به الغضب على أجاممنون بن
أتريوس، راعى حشود المقاتلين، بينما كان رجاله يمضون
وقتهم على شاطئ البحر فى رمى القرص والرمح والرماية
٧٧٥ بالقسى والسهام. أما خيولهم فقد كانت تقف فى تراخ، كل

(*) Styx: هو نهر فى أركاديا (بلاد اليونان) له صلة فى الميثولوجيا اليونانية بالعالم الآخر، وكان أهل أركاديا (وكذلك الآلهة عند هومروس) يقسمون عنده (هيرودوتوس، الكتاب السادس، بيت ٧٤).

منها إلى جانب عجلته الحربية، وهى تقضم اللوتس ونبات
المقدونس من الأرض الموحلة، وبينما كانت عجلات
الزعماء معدة ومغطاة بعناية فى داخل خيامهم، كانوا هم،
فى غمرة افتقادهم لقائدهم الحبيب، يتجولون فى تراخ
فى أرجاء المعسكر دون أن يشاركوا فى القتال.

٧٨٠

هكذا تقدم (بقية) الرجال كما لو كان السهل قد اكتسحته
النيران وقد أنت الأرض تحت وطأتهم كما تئن تحت وطأة
زيوس حين يقذف بصاعقة الرعد فى لحظة غضبه ليجلد
بها الأرض حول تيفويوس^(*)، فى منطقة الأريبيين التى
يقولون إن بها مخدع تيفويوس. هكذا كانت الأرض تئن

٧٨٥

تحت أقدامهم عندما أتوا وهم يخترقون السهل فى سرعة فائقة.
أما عن الطرواديين فقد ذهبت إليهم إيريس^(**) بخطواتها
التى تحاكي سرعة الريح، ومعها رسالة محزنة من زيوس

٧٩٠

لابس الدرع أيجيس، بينما كان هؤلاء يعقدون اجتماعهم أمام بوابة
برياموس، وقد التأم جمعهم فى مجلس واحد، الشباب منهم
والشيوخ. لقد وقفت إيريس سريعة الخطى على مقربة منهم
وتحدثت إليهم وجعلت صوتها شبيها بصوت بوليتيس، بن
برياموس، الذى كان يجلس، وكأنه حارس يحمى الطرواديين،
فوق قمة الرابية التى تعلو مقبرة أيسيئيتيس الشيخ المسن، وانثقا
فى سرعة قدميه، منتظرا حين يبدأ الآخيون التقدم بعد

٧٩٥

أن يغادروا سفنهم. وبعد أن جعلت نفسها شبيها له تحدثت
إيريس ذات الخطى الخفيفة إلى برياموس:

"سيدي الشيخ! إن الأحاديث التى لا تنتهى لا تزال حبيبة إلى

(*) وحش أنجته الأرض من أحد العمالقة له مائة رأس على هيئة رأس التنين ومائة يد ومائتا قدم (وفى رواية
أخرى مائتا زوج من الأيدي والأقدام) ذات حجم هائل.

(**) إلهة قوس قزح، وكانت مهمتها أن تقوم بدور الرسول لكبار الآلهة. وربما كان السبب فى نسبة هذا الدور
إليها هو أن قوس قزح حين يظهر يبدو وكأنه يمتد عبر السماء ويلمس الأرض عند طرفيه، فكانه يصل ما
بين السماء والأرض أو ما بين طرفى الأرض.

- قلبك كما كان الحال فى أيام السلام، ولكن الحرب التى لا يهدأ أوارها
أصبحت (الآن) على الأبواب. وفى الحق فإنى قد خضت قبل الآن
حروبًا كثيرة ضد المقاتلين، ولكن لم أر قبل الآن حشدًا من
المقاتلين بمثل هذا الحجم الكبير، فإنهم (يبدون) بعدد أوراق
الشجر وحبّات الرمل، وهم يتقدمون نحو السهل ليحاربوا ضد
المدينة. ياهيكتور ! إنى أطلب إليك قبل أى شخص آخر أن
تعمل بما سأقوله. كثيرون هم الحلفاء فى مدينة برياموس
العظيمة، وكثير هو اختلاف اللغات بين هؤلاء الرجال
المنتشرين خارج المدينة. فليتحدث كل (زعيم) منهم إلى
المجموعة التى برأسها . وليتقدم كل منهم بعد أن ينتهى من
ترتيب صفوف رجال مدينته".
- ٨٠٥
هكذا تحدثت، ولم يخف على هيكتور صوت الإلهة بأية حال،
ففض الاجتماع لساعته وانطلق الجميع ليأخذوا أسلحتهم وفتحت كل
الأبواب على مصاريعها وأسرع الرجال، سواء منهم المشاة أو راكبو
العجلات الحربية، بينما ارتفع الضجيج.
- ٨١٠
هذا، وهناك أمام المدينة، وعلى مسافة بعيدة منها، تقوم
رابية على شىء من الانحدار ، تحفها الأرض الفسيحة من
هنا ومن هناك. ويطلق الرجال على هذه الرابية اسم باتينيا،
بينما يسميها الآلهة الخالدون رابية ميرينى ذات الخطى
الخفيفة. هناك قسم الطرواديين والحلفاء حشودهم.
- ٨١٥
وكان يقود الطرواديين هيكتور ذو الخوذة اللامعة، ابن
برياموس، وكانت قد انتظمت معه أعظم القوات وأفضلها،
ملوحين بالرماح فى شجاعة.
- ٨٢٠
وكان يقود الداردانيين الابن الشجاع لأنخيسيس، وهو
أينياس الهمام الذى حملت به الإلهة أفروديتى الجميلة من
أنخيسيس على أحد نتوءات جبل إيدا حين ضاجعت الإلهة هذا

الرجل من بنى البشر. ولم يكن وحده (على رأس الداردانيين)، وإنما كان معه إينا أنتينور: أرخيلوخوس وأكاماس، المتمرسان فى كل ضروب القتال.

٨٢٥

أما أولئك الذين كانوا يقيمون فى زيليا عند أدنى سفوح جبل إيدا، وهم عشيرة طروادية من أهل الثراء، يشربون المياه السوداء^(*). من نبع أيسيبوس، فقد كان يقودهم الابن المجيد لليكاون، بانداروس الذى أعطاه أبوللون نفسه القوس. ثم أولئك الذين كانت بأيديهم أدراستيا وأرض أبايسوس،

٨٣٠

وأولئك الذين كانت بأيديهم بيتويا وجبل تيريا الشديد الانحدار. وكان يقودهم أدراستوس وأمفيوس ذو المشد الكتانى، وهما ابنا ميروبس الذى ينتمى إلى بركوتى والذى كان أمهر القوم فى العرافة. ولم يكن (ميروبس) يريد لولديه أن يخوضا الحرب المدمرة للرجال. ولكن الأخوين لم يصغيا لرأيه على الإطلاق لأن

٨٣٥

أشباح الموت كانت تغريهما بالذهاب إلى قدرهما. أما أولئك الذين كانوا يقطنون حول بركوتى وبراكتيوس، والذين كانت بأيديهم سيستوس وأبيدوس وأريسبى الجميلة، فقد كان يقودهم ابن هيرتاكوس، أسيوس، وهو زعيم (بطبيعته) للرجال، أسيوس بن هيرتاكوس، الذى جاءت معه من أريسبى عند

٨٤٠

نهر سيللئيس خيوله الكبيرة التى تشع بريقا. هذا، وقد قاد هيبوثوؤس قبائل البلاسجيين المتمرسين فى استخدام الرماح، والذين كانوا يقيمون فى لاريسا ذات التربة العميقة. لقد كان يقودهم هيبوثوؤس وبيلايوس، سليل

٨٤٥

أريس، وهما ابنا ليثوس البلاسجى ابن تيوتاموس. أما أكاماس والمحارب البطل بيروؤس فقد كانا على

(*) المياه السوداء ترد عند هوميروس صفة لمياه الينابيع العميقة (على سبيل المثال، "الأوديسية": الكتاب الرابع سطر ٢٥٩) التى لا يصل النور إلى عمقها فتبدو سوداء الجدران، أو التى تترلق على صخرة مكسوة بالبقع السوداء (الإلياذة، الكتاب السادس عشر، بيت ٤ وما بعده).

رأس الطراقيين الذين يحيط بأرضهم بحر الهيليسبونطوس
ذو المياه المتدفقة.

كذلك كان يوفيموس قائدا لحاملي الرماح الكيكونيين،
وهو حفيد كياس وابن ترويزينوس الذى يرعاه زيوس.

٨٥٠

أما بيرايخيميس فقد كان يقود البايونيين ذوى الأقواس
المشدودة والذين أتوا من بلاد بعيدة، من أميدون ومن
(ضفاف) أكسيوس، النهر الواسع المتدفق، أكسيوس الذى تجرى مياهه
فى سلاستها كما لا تجرى أى مياه أخرى على وجه البسيطة.

ثم هناك البافلاجونيون الذين كان على رأسهم

بيلايمينيس ذو الرجولة الخشنة^(*)، وقد أتى بهم من أرض

الإينيتيين حيث توجد مجموعة إناث البغال البرية. إنهم أولئك

٨٥٥

الذين كانت بأيديهم كيتوروس والمناطق الواقعة حول

سيساموس وكانت تقوم مساكنهم الشهيرة حول نهر بارثينيوس
وحول كرومنا وأيجيالوس وإريثيني ذات الموقع المرتفع.

وكان يقود الهاليزونيين كل من أوديوس وإبيستروفوس

الذين جاء من منطقة بعيدة، من أليبي حيث مصدر الفضة.

أما عن الميسيين، فقد كان يقودهم خروميس وإنوموس

العراف (الذى يتنبأ عن طريق مراقبة حركات الطير وأصواته)

الذى لم يستطع - رغم كل تنبؤاته وعرافته - أن يتخلص

٨٦٠

من قدر الموت الأسود، فقد ذبحه ابن أياكوس، (أخيلئوس)

العداء ذو القدم السريعة، الذى كان يشيع الدمار بين

(*) التعبير فى الأصل *lasion ker*. والمعنى الحرفى (على غرابته) هو: القلب الأشعث أو الخشن. وعلى هذا
فأما أن نأخذ التعبير بالمعنى المجازى بمعنى الصدر الأشعث الشعر أو الخشن الشعر (على أساس أن الصدر
يجوى القلب)، وإما أن نأخذه بمعنى القلب الشديد الذى لا يهاب (ويقابله فى العامية المصرية: القلب
الجامد). والترجمتان تشير كل منهما إلى معنى الرجولة الشديدة (أمثلة فى الإلياذة، الكتاب الأول،
بيت ١٨٩، الكتاب السادس عشر، بيت ٥٥٤). وقد ترجم مرى هذا التعبير: القلب الأشعث وهى ترجمة
غير مألوفة، كما ترجمة ريو: ذو الصدر المغطى بالشعر الأشعث. أما لوس فقد ترجمه: ذو القلب العنيد.
وقد رأيت أن أترجمه: ذو الرجولة الخشنة، فهى تجمع، فى تصورى، بين المعنى الحرفى والمعنى المجازى بشكل
أكثر قبولا وأقرب إلى الدقة فى الوقت ذاته.

الطرواديين ولدى الآخرين (*).

وقد كان فوركيس يقوم هو وأسكانيوس، ذو القوام الإلهي، بقيادة الفريجيين الذين أتوا من منطقة بعيدة، من أسكانيا، والذين كانوا يتحرقون شوقاً إلى خوض المعركة.

٨٦٥

وكان على رأس المايونيين كل من ميستليس وأنتيفوس، إينا تالايمينيس الذى كانت أمه عروس بحيرة جيجايا - كانا على رأس المايونيين الذين ينتمون إلى سفح (جبل) تمولوس. كذلك كان ناستيس يقود الكاريين الذين يتحدثون لغة غير مألوفة (**). وكانت بأيديهم ميليتوس وجبل فثيريس

٨٧٠

الذى تكسوه الأشجار المورقة، وروافد (نهر) الماياندروس وقمم ميكالى الشديدة الانحدار. وكان يقود هؤلاء كل من أمفيماخوس وناستيس، ناستيس وأمفيماخوس هما ابنا نوميون المجيدان وكان قد أتى إلى الحرب متزیناً بالذهب كما تتزين الفتاة، ياله من أحمق ! ولكن ذهبه لم يُجد شيئاً فى دفع النهاية التعيسة عنه، فلقد لقي حتفه ذبحاً على يدي ابن أياكوس، (العداء) ذى القدم السريعة، فى النهر وقد قام أخيلئوس (بن أياكوس)، الذى كان يفكر بعقلية المحارب (***)، بالاستيلاء على الذهب.

٨٧٥

و(أخيراً) كان هناك ساريبيدون وجلاوكوس الذى لا

(*) فى الأصل: الآخرون، ولكننا نفهم أن الآخرين هم "الحلفاء، وذلك بالرجوع إلى أبيات ٨٠٣-٨٠٥ من هذا الكتاب، حيث يتحدث هومروس عن الحلفاء الكثيرين، الموجودين فى داخل المدينة وأولئك الذين تختلف لغاتهم والمتناثرين خارج المدينة كما تعرف منه فى آخر هذه الأبيات أن هؤلاء جميعاً سوف يحاربون إلى جانب طروادة.

(**) barbarophonoi تعنى حرفياً ذوى اللغة البربرية. ولكن اليونان يطلقون لفظة البربرى على كل من يتحدث لغة غير يونانية (وليس بالضرورة من هم أقل منهم تحضراً)، لأن أية لغة غير يونانية كان صوتها، بالنسبة لهم، كأنه تكرار مستمر لصوت: بربر.

(***) daiphron تعنى فى الأصل أحد معنيين، الأول هو: الذى يفكر بعقلية المحارب، والثانى هو: العاقل أو الحكيم. وقد اختار مرى معنى الحكيم القلب، واختار فوس: العظيم، واختار ريو معنى: البعيد النظر، وكلها تدور حول المعنى الثانى. ولكنى وجدت أن المعنى الأول أنسب وهو: الذى يفكر بعقلية المحارب. فى الحرب يصبح ما يملكه المغلوب ملكاً لمن يغلب. وقد تغلب أخيلئوس وقتل خصمه فأصبح ذهب الخصم ملكاً لأخيلئوس.

نظير له، وكانا يقودان الليكيين الذين أتوا من منطقة بعيدة،
من ليكيا وتهر كسانثوس ذى الدوامات الكثيرة.

الكتاب الثالث



ترجمة لطفى عبد الوهاب يحيى

- حين تم تجميع الحشود وقادتها، أقدم الطرواديون صاخبين
متصايحين مثل أسراب الطير، تماما كما يرتفع صخب طيور الكركى
إلى عنان السماء حين تفر أمام عواصف الشتاء والأمطار التي لا حد لها
وتطير فى صخبها نحو رواقد النهر المحيط الأوكيانوس جالبة
معها القتل والهلاك لمجتمعات البيجميين الأقزام^(*)، وهى
تنقض عليهم فى معركة شرسة مع بدايات الفجر. ولكن
الآخيين كانوا يتقدمون فى صمت وهم ينفثون غضبهم وكلهم
حماس لأن يساعد كل رجل رفيقه .
- ٥
- ١٠ ومثلما تنتشر ريح الجنوب (نوتوس). الضباب على قمم الجبال،
وهو ضباب لا يحبه راعى الأغنام وإن كان لدى اللص خيرا
من (ظلام) الليل، ولا يرى فيه الرجل أبعد من رمية حجر،
هكذا ارتفعت سحابة الغبار الكثيفة من تحت أقدامهم وهم
١٥ ذاهبون (إلى المعركة) وقد تقدموا فى سرعة فائقة عبر السهل.
وعندما اقترب الرجال حين تقدم كل من الجيشين فى مواجهة الآخر،
تقدم (صفوف) الطرواديين زعيمهم ألكسندروس شبيه الآلهة، وهو يحمل
فوق كتفيه جلد الفهد إلى جانب قوسه وسيفه، ثم أخذ يلوح
بحربتين ذات رأسين من البرونز وهو يتحدى أقدر من فى
الأرجيين أن يقاتله وجها لوجه فى معركة شرسة حاسمة.
٢٠ وحين شعر به مينيلاؤس، الحبيب إلى آريس، وهو
يتقدم بخطى واسعة أمام الحشد، كان فى مثل فرحة الأسد حين
يعثر على فريسة كبيرة، غزال ذى قرون كبيرة أو عنزة
برية، بعد أن يكون قد نال منه الجوع، فيلتهمها بشراهة غير

(*) أوكيانوس، هو النهر الذى يحيط بالعالم، حسب تصور اليونان القدماء (راجع الكتاب الأول)، وكان من بين روافده نهر ستيكس (راجع الكتاب الثانى: بيت ٧٥٥). وعند هذه الروافد كانت تسكن مجموعات من قبائل المخلوقات المتوحشة وعدد من الشعوب غير المألوفة بالنسبة لليونان، من بينهم الأثيوبون والأقزام. ويذكر بعض الكتاب القدامى هذه القبائل أى البيجميون على أنها فى وسط أفريقيا Pausanias I xii 4 (المحرر)

- ٢٥ عابىء بالكلاب السريعة أو بالشباب المتعطش (لصيده) وهم
يطاردونه - (مثلما يكون هذا الأسد) كان مينيلأوس سعيدا
عندما رأى بعينيه ألكسندروس شبيه الآلهة، إذ إنه اعتقد أنه
سيأخذ بثأره من المعتدى. وفي لمح البصر كان قد قفز
بسلاحه وعتته من عجلته الحربية إلى الأرض.
- ٣٠ على أن ألكسندروس، شبيه الآلهة، حين شعر به عندما
ظهر بين الزعماء، ارتجف قلبه وتراجع بين مجموعة
رفاقه تجنباً للهلاك. ومثلما يقفز رجل إلى الخلف حين يباغته
ثعبان عند وهدة بغاية فى جبل فترتعد أطرافه ويلتف
بحسمه ليعود مسرعا إلى حيث أتى وقد امتنع وجهه،
- ٣٥ هكذا استبد الخوف بألكسندروس شبيه الآلهة من ابن أتريوس،
فقفز إلى الخلف بين الطرواديين المعتدين بأنفسهم.
ولكن هيكتور شاهده وقرعه بألفاظ شائنة،
"أى باريس، المنحوس ! (*) إنك (قد) تملك الوسامة
الفائقة فى أعين من ينظر إليك، أيها المجنون بالنساء
وبإغوائهن، (ولكن) ليتك لم تولد، وليتك لقيت حتفك قبل أن
تتزوج. نعم ! إنى أتمنى لو كان ذلك قد حدث، فهو خير من
أن تكون موضع خزى لنا وأن ينظر إليك الرجال باحتقار.
إن الآخيين ذوى الشعور الطويلة سيضحكون ملء أصداقهم
حقاً حين يرون أننا نعتبر أميرنا زعيماً، لمجرد أن لك قواما
ممشوقاً، بينما لا تملك القوة أو الشجاعة. هل كنت (حقيقة)
على هذا القدر (الضئيل) من القوة حين أفلعت إلى ظهر البحر
فى سفنك التى اعتادت الإبحار، بعد أن جمعت رفاقك من
أهل الثقة، ثم وصلت إلى شعب غريب وجئت من بلاد بعيدة

(*) باريس هو اسم آخر لألكسندروس. ويأتى هذا الاسم البديل ضمن لفظة واحدة هى: Dysparis بمعنى باريس المنحوس، (قارن: Ovid. Her xiii 43: Dyspari Priamide). (الحرر)

- ٥٠ بامرأة جميلة، ابنة رجل جيد استخدام الرمح، ولكنها لعنة بالنسبة لأبيك ولمدينتك ولكل الشعب - فهي فرحة لأعدائك ولكنها خزي لك أنت. ألا تريد حقيقة أن نتصدى لمينيلائوس، حبيب آريس؟ إنك (لو فعلت) ستعرف أى نوع من المحاربين هو ذلك الرجل الذى سلبته زوجته، وحينئذ لن تتفعل قيثارتك أو هدايا أفروديتى. أو خصلات شعرك أو وسامتك حين تمرغ فى التراب. ولكن الطرواديين ذوو قلوب لينة وإلا لرجموك (*) حتى الموت قبل الآن جزاء وفاقاً على ما أقدمت عليه من شرور.
- وهنا رد عليه ألكسندروس، شبيه الآلهة قائلاً:
- ٦٠ "أى هيكتور! إنك توبخنى بما أستحقه وبما لا يتجاوز الحق، وإن قلبك لا يعرف الرضوخ أبداً، مثله مثل البلطة التى تدفعها إلى قلب عرق الخشب على يد نجار ماهر وهو يشكل عارضات السفن فيزيد ذلك من قوته (على تشكيل تلك العارضات) - هكذا روحك الصامدة دوماً وهكذا دائماً قلبك الذى لا يعرف الخوف. ولكن لا تعيرنى بالهدايا الجميلة التى قدمتها إلى أفروديتى الذهبية، فالهدايا القيمة التى تقدمها الآلهة، دون أن نسألها إياها، لا يجوز أن يرفضها المرء أو يفرط فيها، رغم أنه قد لا يختارها إذا ترك لإرادته. ولكنك إذا أردت منى الآن أن التحم فى معركة، فلتدع الطرواديين الآخرين يجلسون وكذلك الآخيين، وأدفع بى أنا ومينيلائوس، حبيب آريس، إلى ما بين الجمعين لنتبارز فى سبيل هيلينى وكل ممتلكاتها، ومن ينتصر منا نحن الاثنين ويثبت أنه الرجل الأقوى، فلتكن من نصيبه الممتلكات والمرأة، وليأخذها جميعاً ويعود بها إلى بيته. أما الآخرون فليقسموا على الصداقة
- ٦٥
- ٧٠

(*) كان الرجم بالحجارة عقوبة معروفة لدى الشعوب السامية القديمة. (المحرر)

والثقة (المتبادلة) وليقدموا القرابين على ذلك، أنتم تقيمون
 فى طروادة ذات التربة العميقة، وهم يبحرون إلى أرجوس
 ٧٥ حيث مراعى الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات".
 هكذا تحدث (باريس). وقد ابتهج هيكتور كثيرا حين
 سمع كلماته، ثم تقدم إلى ما بين الجمعين وأوقف عن الحركة
 حشود الطرواديين بإشارة من رمحه التى كان يقبض بيده
 على وسطها، فجلسوا جميعا. أما الآخيون ذوو الشعور
 الطويلة فقد كانوا يحاولون طوال الوقت أن يصوبوا سهامهم
 ٨٠ نحوه وأن يسددوا إليه ضرباتهم وأن يقذفوه بالحجارة. ولكن
 أجاممنون، ملك الرجال، صاح فيهم:

"أوقفوا ذلك، ولا تصوبوا بعد الآن يا شباب الآخيين، فإن هيكتور،
 ذا الخوذة اللامعة، يبدو وكأنه يود أن يقول شيئا".

٨٥ هكذا تحدث فتوقفوا عن هجماتهم وأخذوا إلى الصمت
 فى سرعة فائقة ثم تكلم هيكتور بين الجيشين:

"استمعوا منى أيها الطرواديين وأنتم أيها الآخيون
 المزودون بواقيات الأرجل، إلى ما يقوله ألكسندروس، الذى
 نشب الصراع من جراء ما قام به. إنه يدعو كل الطرواديين
 الآخرين وكل الآخيين أن يضعوا عدتهم وسلاحهم الرائع
 ٩٠ فوق الأرض السخية، حتى يتبارز هو ومينيلائوس فى البقعة
 الواقعة بين الجيشين من أجل هيلينى وكل ممتلكاتها، وأى من
 الطرفين تكون له الغلبة ويثبت أنه الرجل الأصلى تكون من
 نصيبه الممتلكات والمرأة ويعود بها (جميعا) إلى بيته، أما
 نحن الآخرون فلنتعاهد على الصداقة ولنقسم على الثقة
 (المتبادلة) مقدمين القرابين فى سبيل ذلك".

٩٥ هكذا تحدث (هيكتور) فخيم الصمت عليهم جميعا
 وأمسكوا عن القتال. ثم تحدث مينيلائوس البارع فى صيحة الحرب:

- ١٠٠ "أنصتوا إلى الآن كذلك. فإن قلبى مفعم بالأسى أكثر من الجميع. إنى أرى أن يتفرق الأرجيون والطرواديون الآن بعد أن تحملتم قدرا كبيرا من الولايات بسبب النزاع الذى كانت بدايته بينى وبين ألكسندروس. فمن منا كان الموت هو قدره، فلنتركه للموت. أما أنتم الآخرون، فابتعدوا الآن بكل سرعة ولتحضروا (أيها الطرواديون) خروفين: كبشاً أبيض ونعجة سوداء (قربانا) للأرض (جى) والشمس (هيلوس) وسنحضر نحن (قرباناً) آخر للإله زيوس،
- ١٠٥ واطلبوا حضور (الملك) برياموس حتى يقوم هو بنفسه بتأدية اليمين مصحوباً بالتضحية طالما أن ابنه يتسمان بالتعالى وعدم الالتزام بالعهد، وذلك حتى لا يُقدم أحد، نتيجة عدم الالتزام، على عمل عنيف يسيء إلى قسم زيوس، فإن قلوب الشباب لا تستقر دائماً على رأى ثابت. أما إذا شارك (فى العهد) من هو أكبر سناً فإنه يقلب الأمر على كافة جوانبه، السابقة منها واللاحقة (فينظر إلى الأمام وإلى الخلف) (*)، حتى يرى ما فيه أقصى الخير لكل من الطرفين".
- ١١٠ هكذا تحدث (مينيلاؤس)، فسّر بحديثه الآخيون والطرواديون على حد سواء، إذ قدر الجانبان أنهما فازا بالراحة من الحرب المليئة بالولايات فأوقفوا عجلاتهم الحربية فى أماكنها ونزلوا منها ونزعوا عدتهم وسلاحهم وألقوا بها على الأرض، كل مجموعة إلى جانب الأخرى لا يفصل بينها سوى فاصل ضيق. ثم أرسل هيكتور رسولى المدينة على

(*) هكذا يقول النص الهومرى الأصلى وقارن Plato, Cratylus 428D. وقول شكسبير فى "هاملت" (الفصل الرابع مشهد ٤ بيت ٣٧):

"He that made us with such large discourse,
Looking before and after.

وقارن شيللى "إلى طائر القبرة" "To a Skylark"

We look before and after
And pine for what is not

- وجه السرعة ليحضروا الخراف وليطلبوا إلى برياموس
المجىء. أما أجاممنون فقد أرسل تالتيبيوس إلى السفن المجوفة
١٢٠ وطلب أن يقوم بإحضار خروف. وقد أصغى هذا إلى
أجاممنون، شبيه الإله (وشرع في تنفيذ ماطلبه).
ولكن (الإلهة) إيريس ذهبت رسولاً إلى هيليني
ذات الأذرع البيضاء في صورة أخت زوجها، زوجة ابن
أنتينور، التي اتخذها السيد هيليكاون ابن أنتينور زوجة له،
وهى لاؤديكى، أجمل بنات برياموس وقد وجدت هيليني في
١٢٥ البهو وهى تنسج شالا مزدوج العرض وقد ظهر فوقه تطريز
يمثل معارك كثيرة بين الطرواديين مروضى الخيول
والآخيين ذوى الدروع البرونزية والذين تحملوا فى سبيلها
الكثير على أيدي آريس. وقد تقدمت إيريس إليها فى خطى سريعة
وتحدثت إليها قائلة:
١٣٠ "هيا أيتها العروس العزيزة(*)، حتى يمكنك أن تشاهدى الأعمال
الغريبة التى يُقدم عليها الطرواديون مروضو الخيول والآخيون ذوى
الدروع البرونزية. إن أولئك الذين كانوا مستعدين فى الماضى لأن
يخوضوا فوق سهل آريس حرباً شرسة فيما بينهما وقد استقر عزمهم
على معركة دامية، أخذوا الآن إلى الصمت وتوقفوا عن إشعال
١٣٥ نار الحرب وهم يتكئون (الآن) على تروسهم بعد أن غرسوا
حولهم حراهم الطويلة فى الأرض. ولكن ألكسندروس
ومينيلأوس، حبيب آريس، ستدور المعركة بينهما
بحراهما الطويلة من أجلك، ومن يحالفه النصر منهما
١٤٠ ستصبحين زوجته الحبيبة".

(*) اللفظة التى يستخدمها الشاعر وهى: *nymphe*، تعنى المرأة الصغيرة المتزوجة أو المرأة المتزوجة على الإطلاق أو الفتاة المقبلة على الزواج. وواضح هنا أن لاؤديكى كانت تريد أن تدلل هيليني وتكون رفيقة معها حتى تستطيع أن تستميلها لما تريد أن تقوله له. ومن هنا استخدمت لفظة عروس التى تتماشى مع هذه الرقة وهذا التدليل.

١٤٥ هكذا تحدثت الإلهة، وملأت (بحديثها) قلب هيليني
 بالحنين إلى زوجها السابق وإلى مدينتها وإلى أبويها فوضعت
 على رأسها غطاء من الكتان الفضى وخرجت من غرفتها^(*)
 وقد انهمرت الدموع من عينيها. ولم تكن وحيدة فقد تبعتها
 وصيفتاها كذلك، وهما آيثرا ابنة بيتثيوس وكليميني ذات
 العيون الواسعة، ووصل الجميع بسرعة إلى حيث توجد
 البوابات سكاياى.

١٥٠ أما الذين كانوا حول برياموس وبانثوس وثيرمويتيس
 ولامبوس وكليتيوس وهيكتاؤن، سليل آريس، وأوكاليجون
 وأنتينور، وهم من أصحاب الرأي - فقد جلسوا بوصفهم
 شيوخ المدينة فوق بوابات سكاياى. لقد كان هؤلاء
 قد توقفوا عن المشاركة فى الحرب بعد أن تقدمت بهم السن،
 ولكنهم كانوا متحدثين متميزين. وكما تعمد الجنادب إلى
 شجرة فى الغابة وترسل من هناك صغيرها النقى الناصع
 كان زعماء الطرواديين يتحدثون وهم يجلسون فوق
 سور المدينة. وحين رأوا هيليني تصعد إلى أعلى السور.
 ١٥٥ تهامسوا فيما بينهم بصوت خافت وكلمات مجنحة:

"(حقاً) إننا لا يمكن أن نلوم أحداً إذا عانى الويلات كل من
 الطرواديين والآخيين المزودين بواقيات الأرجل فى سبيل امرأة كهذه.
 إنها تشبه إلى حد العجب الرباب المقدسة لمن ينظر إليها.
 ومع ذلك ورغم كل ما هى عليه (من جمال) دعوها تغادر إلى
 السفن (حتى تعود إلى وطنها) ولا تبقى عليها هنا حتى لا
 ١٦٠ تصبح (بوجودها) مصدر لعنة تحل بنا وبابنائنا من بعدنا".
 هكذا تحدث (الزعماء)، ولكن برياموس نادى هيليني قائلاً:

(*) يبدو أن غطاء الرأس كان متبعاً عند ظهور المرأة فى مجتمع الرجال فهل هذه عادة طروادية شرقية أم
 إغريقية كذلك؟ (المحرر)

- "تقدمى يا صغيرتى الحبيبة واجلسى هنا أمامى حتى
تستطيعى أن ترى زوجك السابق وأقاربك وشعبك. إنه لا
لوم عليك البتة فى نظرى، إنما يقع اللوم فى رأى على
الآلهة، فهم الذين أثاروا الآخيين للحرب الرهيبة. ولتخبرينى من هو
١٦٥ ذلك الآخى الظاهر فى بسالته، الفارع فى طوله. حقيقة أن هناك من
يفوقه طولاً بفارق رأس، ولكن عينى لم تقع قط على من هو أكثر منه
١٧٠ وسامة أو عظمة. إن له سميت الملوك".
- وهنا ردت عليه هيلينى الحلوة الشمائل بين النساء:
"إنك لتبعث فى نفسى الاحترام والهيبة، أى حماى
وموضع إعزازى، لكم تمنيت لو كنت قد اخترت الموت بأئسة
قبل أن أحضر فى ركاب ابنك إلى هنا، تاركة ورائى بيت
١٧٥ زوجيتى وأهلى وطفلتى (*) الوحيدة الحبيبة (**). ورفيقات الصبا
- ولكن هذا لم يكن مقدراً له أن يكون. ومن أجل هذا فإنى
أتلاشى الآن فى دموعى. ومع ذلك فإنى سأجيبك عما تتساءل
عنه. إن هذا الرجل هو ابن أتريوس، أجامنون، الذى
يسيطر على بلاد مترامية الأطراف، فهو ملك ومن رماة
١٨٠ الرمح البواسل وكان أخاً لزوجى، أنا التى لم تعرف الحياء،
إذا كان هناك حقاً أحد بهذه الصفات".
- هكذا تحدثت (هيلينى) فتملك الإعجاب الشيخ وقال:
"يا ابن أتريوس، أيها السعيد المحظوظ المبارك، إنى
أرى الآن الأعداد الهائلة من شباب الآخيين الذين يخضعون
١٨٥ لحكمك. لقد سافرت فى الماضى إلى أرض فريجيا (***)

(*) المقصودة هنا هى هرميون (قارن "الأوديسية" الكتاب الرابع ١٤) ومن الملاحظ أن هيلينى تقدم هنا فى الإلياذة على أمأ ليست زوجة صغيرة مدللة ومضللة لأن هرميون الصبية (ما بين ١٣ و ٢٠ سنة) توحى بأن هيلينى فى الثلاثينيات من عمرها على الأقل. (الخر)

(**) لفظة telygete الواردة فى النص صفة للطفل الوحيد أو الطفل الحبيب. فرأيت أن أجمع بينهما.

(***) كما هو واضح يفرق هوميروس فى "الإلياذة" بين الفريجيين والطوراديين ولكن فيما بعد هوميروس صار هذا التمييز غير واضح أو بالأحرى تلاشى، وراجع المقدمة. (الخر)

الغنية بالكروم وشاهدت الفريجيين المتمرسين فى ركوب الخيل ذات الجلد البراق، قوم أوترىوس وميجدون، نظير الآلهة، الذين كانوا يعسكرون على ضفاف نهر سانجاريوس لأنى، أنا الآخر، بوصفى حليفاً لهم، كنت أعد واحدا منهم حين جاءت (نساء) الأمازونات، نظيرات الرجال. ومع ذلك فحتى هؤلاء (الفريجيون) لم يكونوا بكثرة الأخيين ذوى العيون البراقة".

١٩٠

بعد ذلك وقعت عينا الشيخ على أوديسيوس فسأل (هيلينى) عنه:

"والآن خبرينى، يا صغيرتى الحبيبة، عن هذا الرجل،

من هو؟ إنه أقصر بمقدار رأس عن أجامنون بن أترىوس،

ولكنه (يبدو) لمن ينظر إليه أعرض منكبين وصدرًا. إن

١٩٥

عدته الحربية لقاءة على الأرض السخية بينما يطوف هو

مثل الكبش الذى يتزعم القطيع بين صفوف المقاتلين. إنه يبدو

لى مثل الكبش، الكبش ذى الصوف السميك وهو يتابع

الخطو خلال قطع كبير من النعاج البيضاء".

وقد أجابته هيلينى، سليلة زيوس:

٢٠٠

"هذا هو ابن لائيرتيس، أوديسيوس الواسع الحيلة، الذى شب فى أرض

إيثاكي الوعرة. ومع ذلك فهو على قدر كبير من الدهاء

ومتتمرس فى دهايز التحايل الماكرة".

وهنا أردف أنتينور، الرجل الحكيم:

"إن ما ذكرته (الآن) هو عين الحقيقة، فقد جاء أوديسيوس، شبيه

٢٠٥

الآلهة إلى هنا فى الماضى فى مهمة تخصك، هو ومينيلائوس حبيب

أريس. وقد كنت أنا الذى يحتفى بهما فى أبهاء (قصرى)

واستطعت أن أعرف على شكلهما وقوامهما وحيلهما الماكرة.

وحين تقابلا مع الطرواديين واختلطا بهم عندما اجتمع

٢١٠

الطرفان، كان مينيلائوس، وهو واقف، يفوق أوديسيوس

- بمنكبيه العريضين، ومع ذلك فحين كان الاثنان يجلسان كان
أوديسيوس هو أبرزهما من حيث السمات الملكى. ولكن
عندما بدأ يدبجان الحديث ويقدمان الرأى فى حضور الجميع،
٢١٥ تحدث مينيلأوس بكلمات قليلة حقاً ولكن فى وضوح كامل،
إنه لم يكن رجل الأحاديث المطولة أو الخروج عن لب الموضوع
مع أنه كان أصغر الرجلين سناً. ولكن أوديسيوس الواسع الحيلة كان،
حين ينهض (من مجلسه)، يقف وينظر إلى أسفل مركزاً نظراته على
الأرض دون أن يحرك عصاه إلى الأمام أو الخلف، وإنما يقبض
عليها كما لو كان رجلاً تتقصه القدرة على الفهم، حتى إنك لتظنه
٢٢٠ رجلاً فظاً غليظاً غارقاً فى البلاهة. على أن صوته الضخم حين كان
ينطلق من صدره وتتساب كلماته مثل ندف الثلج فى يوم من
أيام الشتاء، حينئذ كان لا يجارى أوديسيوس أحد من بنى
البشر الفانين. وحين كنا ننظر إلى طلعة أوديسيوس آنذاك لم
تعد تخذعنا ظواهر الأمور".
٢٢٥ وكان ثالث من رآهم الشيخ هو أياس، فسأل (هيلينى):
"ومن إذن هو هذا الرجل الآخى الباسل الضخم الذى يقف
شامخاً بين الأرجيين برأسه ومنكبيه العريضين؟".
وهنا أجابته هيلينى ذات الرداء الطويل وذات الشمائل
الحلوة بين النساء:
٢٣٠ "هذا هو أياس، الرجل العملاق والسند الرئيسى للأخيين. وعلى
الجانب المقابل يقف إيدومينيوس مثل الإله بين الكريتيين، وحوله
يلتف زعماء الكريتيين. وقد كان مينيلأوس، حبيب أريس،
يحرص على أن يحتفى به فى بيتنا كلما أتى من كرييت.
والآن فإنى أرى باقى الأخيين ذوى العيون البراقة، الذين أتيتهم جيداً
٢٣٥ وأذكر أسماءهم ولكن اثنين من بين من قاموا بتنظيم الجيش لا
أراهما، وهما كاستور مروض الخيول، والملاكم النبيل بوليديوكيس،

- وهما أخوای اللذين حملت بهما أمى. فإما أنهما لم يتبعا (المقاتلين)
 ٢٤٠ من لاكيدايمون الساحرة، وإما أنهما، بعد أن حضرا إلى هنا فى سفنهم التى تمخر عباب البحر، يتجنبان دخول معركة المقاتلين تفاديا للفضيحة والإهانات التى ارتبطت بشخصى".
- هكذا تحدثت (هيلينى) ولكنها لم تكن تدرى أن الأرض
 ٢٤٥ واهبة الحياة كانت قد احتوتهما فى لاكيدايمون، وطنهما الحبيب. وفى خلال ذلك كان الرسل يحملون فى طرف المدينة قرابين الأيمان المقدسة (التي أقسموها) إلى الآلهة: خروفين وقربة للخمر مصنوعة من جلد الماعز وفاكهة الأرض التى تتعش القلب. وكان الرسول إيداوس يحمل طاسًا لامعة وكئوسًا من الذهب، فذهب إلى جوار الشيخ قائلاً:
- "قم يا ابن لاؤميدون، فإن زعماء الطرواديين مروضى الخيول
 ٢٥٠ و(زعماء) الآخيين ذوى الدروع البرونزية يطلبون إليك أن تنزل إليهم فى السهل حتى تقسم أيمان الثقة مصحوبة بتقديم القرابين، فإن ألكستروس ومينيلأوس، حبيب أريس، سيتبارزان بالرماح الطويلة من أجل المرأة، وأى من الاثنين يكون النصر حليفًا له فلتتبعه المرأة وما تملك. أما فيما يخص الآخرين، فبعد القسم على الصداقة وتقديم أيمان الثقة مصحوبة بتقديم القرابين، نقيم نحن فى طروادة ذات التربة العميقة، بينما يغادرون هم إلى أرجوس حيث مراعى الخيول وإلى آخايا، أرض النساء الجميلات".
- هكذا تحدث (إيداوس) فارتجف الشيخ، ولكنه طلب إلى
 ٢٦٠ رفاقه أن يشدوا وثاق الخيل (إلى عجلته الحربية)، فنفذوا ما أمر به بسرعة، وارتقى برياموس (العجلة) وأمسك بالعنان ثم صعد أنتينور إلى جواره فى العجلة الجميلة، وساق الاثنان الحصانين السريعين من خلال بوابات سكاياى إلى السهل.

- ٢٦٥ ولكنهما حين وصلا إلى حيث يوجد الطرواديون
والآخيون، نزلا من العجلة على الأرض السخية وذهبا إلى
(البقعة التي تقع) مابين الطرواديين والآخيين. وعلى الفور
نهض أجاممنون ملك الرجال وأوديسيوس واسع الحيلة. بعدها
أحضر الرسل، ذوو السمات النبيل، القرابين التي كانت
ستصاحب الأيمان المقدسة للآلهة، و (صبوا) الخمر في
٢٧٠ الطاس وخلطوها^(*) ثم سكبوا الماء على أيدي الملوك
والزعماء، بعدها سحب ابن أتریوس بيده السكين التي كان يعلقها دائما
إلى جوار غمد سيفه الكبير ثم قطع شعرا من رعوس الخراف وقسمه
الرسل بين زعماء الطرواديين والآخيين، وفي وسطهم رفع ابن أتریوس
يديه وأطلق دعواته بصوت مرتفع:
٢٧٥ "أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من (جبل)
إيدا، أيها الأمجد الأعظم، وأنت أيتها الشمس (هيلیوس) التي
ترى كل شيء وتسمع كل شيء، وأنت أيتها الأنهار ويا أيتها
الأرض والقوى الإلهية الموجودة تحت الأرض^(**)،
٢٨٠ يامن ينتقمون من الذين فارقوا هذه الحياة بعد أن حنثوا بأيمانهم!
لتكونوا (جميعا) شهودا ولترعوا أيمان العهد. إذا قتل
ألكسندروس مينيلائوس فليحتفظ بهيلينى وكل ما تملكه وسنعود
نحن فى سفننا التي تمخر عباب البحر. أما إذا قتل مينيلائوس
ذو الشعر الأشقر ألكسندروس، فليعد الطرواديون
٢٨٥ هيلينى وكل ما تملكه، وليدفعوا للأرجيين، ردا للاعتبار،
التعويض الملائم الذى سوف يتحدث به رجال لم يوجدوا بعد^(***).
أما إذا رأى برياموس وأبناء برياموس ألا يدفعوا لى

(*) الخمر المستخدمة فى القسم وإبرام العهد لا تخلط بالماء والمقصود هنا هو خلط الخمر الطروادية مع نظيرتها الإغريقية. (المحرر)

(**) المقصود هنا هاديس وبرسيفونى. (المحرر)

(***) فى الأصل: ممن سوف يكونون *essomenoisi*، ويقصد بذلك الأجيال القادمة.

- ٢٩٠ التعويض إذا قتل ألكسندروس، فإننى سوف أحارب عند ذلك لأحصل على التعويض، وسوف أظل هنا حتى أصل بهذه الحرب إلى نهايتها". وبعد أن تحدث (أجاممنون) حز رقاب الخراف بالنصل البرونزى الذى لا يعرف الرحمة ووضعها على الأرض وهى تشهق باحثة عن الأنفاس الضائعة، لأن النصل البرونزى قد
- ٢٩٥ حرمها من قوتها. بعد ذلك ملأوا كئوسهم خمرا من الطاس وسكبوها (على الأرض) وصلوا للآلهة الخالدة. وهكذا كان أى (رجل) من الآخيين أو من الطرواديين يقول، "أى زيوس، أيها الأمد الأعظم، وأنت أينها الآلهة الخالدة الأخرى إذا بدأ أى من الجمعين بالشر حنثا بالأيمان والعهود، فلترق أمخاخم على الأرض مثل هذه الخمر، وأمخاخ ابنائهم (من بعدهم)، ولتصبح نساؤهم إماء عند الآخرين".
- هكذا تحدثوا ولكن (زيوس) بن كرونوس لم يكن قد شاء بعد أن يحقق ما تعاهدوا عليه. بعد ذلك تحدث فى وسطهم برياموس ابن داردانوس قائلا:
- ٣٠٥ "أنصتوا إلى أيها الطرواديين وأيها الآخيون المزودون بواقيات الأرجل. إنى سأخذ طريقى عائداً إلى إليون التى تتناوبها الرياح، لأنى لن أستطيع بأية حال أن أتحمّل رؤية ابنى الحبيب وهو يبارز مينيلأوس، حبيب أريس. ولكنى أعتقد أن زيوس وحده هو والآلهة الخالدة يعلمون من من الاثنين قد كتب عليه الموت".
- ٣١٠ هكذا تحدث الرجل نظير الآلهة وأمر بوضع الخراف فى عجلته الحربية وأمسك بالعنان وصعد أنتينور بجواره فى العجلة الرائعة وعاد الاثنان إلى إليون. ولكن هيكتور بن برياموس وأوديسيوس، شبيه الآلهة، قاسا مسافة (بين الغريمين) فى أول الأمر ثم أخذوا علامات الاقتراع ووضعها فى
- ٣١٥

- الخوذة البرونزية ليعرفوا أيا من الاثنين سيكون له حق البدء بالرماية برمحه البرونزي، ثم قامت الجموع بالدعاء ورفعوا أيديهم (ابتهاالا) إلى الآلهة. وهكذا كان أي (رجل) من الآخيين أو من الطرواديين يقول، "أبانا زيوس الذى يحكم (الكون) من إيدا، أيها الأمدج الأعظم، فلتكن مشيئتك، إذا كان أي من الاثنين هو الذى تسبب فى هذا العناء، أن يكون الموت نصيبه وأن يدخل مقر هاديس، بينما تكون الصداقة وعهود الثقة (المتبادلة) من نصيبنا".
- ٣٢٠ هكذا كانوا يتحدثون، بينما كان هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة يهز الخوذة (التي بها علامات الاقتراع) وهو ينظر إلى الخلف (حتى لا يراها)، وفى التوقفزت علامة باريس إلى المقدمة. فجلست الجموع فى صفوف حيث كانت توجد الخيل ذات الخطو المرتفع الخاصة بكل منهم، وحيث كان قد وضع عدته الحربية المرصعة. أما هو فقد وضع عدته الأنيقة حول منكبيه، ألكسندروس، زوج هيلينى ذات الشعر الجميل. ثم بدأ بتثبيت الواقيات حول رجليه. لكم كان هذا جميلا وقد تُبَّتْ بأسفله قطعتان فضيتان عند الكعبين. بعدها لف صدره بمشد أخيه ليكاؤن بعد أن أحكمه ليلائم حجم (صدره)، ثم علق على منكبه سيفه البرونزى^(*) الذى رصع (مقبضه) بالأزرار الفضية. بعد ذلك أعد ترسه الكبير القوى، وفوق رأسه الضخم وضع الخوذة المتقنة الصنع تعلوها خصلة من شعر الخيل. أما الريشة (المثبتة بها) فقد كانت تهتز من أعلى إلى الأمام بشكل مخيف، ثم أخذ رمحًا ملائمًا لقبضته. وبالطريقة ذاتها أعد مينيلائوس، المغرم بالحرب، سلاحه وعدته.
- ٣٣٥
- ٣٤٠
- وحيثما انتهيا من التسلح على جانبي الحشدين، خطا

(*) هذه الصفة تأتي فى نهاية الجملة فى الأصل وتقع فى بداية بيت ٣٣٥، ولكن كان لابد من تقديمها فى الجملة العربية المترجمة إلى البيت السابق، ٣٣٤.

- كل منهما خطوات واسعة إلى المسافة الموجودة بين
الطرواديين والآخيين، وكل منهما يرمق الآخر بنظرات
مخيفة، بينما علت الدهشة أوجه الذين كانوا يشاهدونها من
الطرواديين مروضى الخيول والآخيين المزودين بواقيات
الأرجل. ثم وقفا على مقربة من بعضهما فى المساحة
المحددة وكل منهما يهز رمحه فى غضب نحو الآخر. وفى
٣٤٥ البداية رمى ألكسندروس رمحه البعيد الظل (*) فأصاب
ضربته ترس ابن أتريوس، المتوازن الاستدارة ولكن
الرمح البرونزى لم يخترق الترس وإنما التوى سنه على ظهر
الترس السميك. بعد ذلك أسرع برمحه البرونزى ابن
٣٥٠ أتريوس، مينيلأوس، مقدما الدعاء للأب زيوس:
"أى زيوس، ملكنا، فالتكن مشيئتك أن أنتقم ممن كان البادىء
بإيذائى، ألكسندروس شبيه الإله، ولتجعله يجثو تحت يدى حتى
يرتجف رجال سوف يولدون، إذا حاول أحدهم أن يسبب الأذى
لمضيفه الذى أكرم وفادته".
٣٥٥ وبعد أن قال ذلك وازن فى يده رمحه البعيد الظل ثم
صوبه فأصاب ضربته ترس ابن برياموس، المتوازن
الاستدارة، فاخترق الرمح الترس اللامع ثم نفذ من خلال
الدرع فى اندفاعه القوى حتى مزق قميصه عند خاصرته،
ولكن ألكسندروس انثنى بجسمه فأفلت من الموت الأسود. بعد
٣٦٠ ذلك استل ابن أتريوس سيفه المرصع (مقبضه) بالأزرار الفضية،
وارتفع بنفسه عاليا فهوت ضربته على حافة خوذة (ألكسندروس)،
ولكن سيفه تحطم إلى ثلاث قطع إن لم يكن أربعا. عندها أطلق ابن
٣٦٥ أتريوس صرخة مليئة بالمرارة وهو ينظر إلى السماء:
"أبانا زيوس، إنه لا يوجد إله آخر فى مثل

(*) كناية عن طول الرمح.

قدرتك على التدبير. لقد اعتقدت أنى انتقمت من ألكسندروس
بسبب ما أوقعه بى من أذى، ولكن سيفى تحطم فى يدي،
بينما سددت رمحى بلا طائل دون أن أصيب (غريمى)".

قال ذلك ثم انقض عليه وأمسك به من خوذته ذات الخصلة

٣٧٠ السميكة من شعر الخيل ثم دار به عدة دورات وسحبه نحو
الآخيين المزودين بواقيات الأرجل، وهنا كاد (ألكسندروس) أن
يختنق بالشريط الجلدى المطرز بسخاء أسفل حلقه اللين
والذى كان مشدودا بإحكام تحت ذقنه حتى يضبط الخوذة فى
مكانها. وقد كان بإمكان مينيلائوس أن يفوز بالمجد الذى لا
نزاع فيه لولا أن ابنة زيوس، أفروديتى، لمحت بسرعة

٣٧٥ ما حدث فقطعت، نفرط أسفه، الشريط المصنوع من جلد
ثور ذبيح، إلى قطعتين، وهكذا انخلعت الخوذة الفارغة فى
يده القوية، فقذف بها بشدة إلى جمع الآخيين المزودين بواقيات
الأرجل ليتلقفها رجاله المخلصون. أما هو فقد قفز مرة أخرى،

٣٨٠ وكله حماس ليقتل غريمه بالرمح البرونزى، ولكن أفروديتى
جذبت (ألكسندروس) بعيدًا بسهولة فائقة لا تستطيعها إلا إلهة،
وأحاطته بضباب سميك ثم وضعت فى غرفته المعطرة ذات
العقود بينما ذهبت هى لكى تستدعى هيلينى، فوجدتها فوق

السور العالى وقد أحاطت بها مجموعات من الطرواديات. فأمسكت
٣٨٥ الإلهة بردائها العطر وجذبتة قليلا وتحدثت إليها فى صورة سيدة مسنة،
ماشطة للصوف، كانت تقوم بتمشيط الصوف الجميل عندها حين كانت
(لاتزال) فى لاكيدايمون، وكانت محبوبة لديها. فى صورة

٣٩٠ هذه الماشطة تحدثت أفروديتى:

"تعالى إلى هنا، إن ألكسندروس يدعوك إلى الذهاب إلى
بيتك، إنه هناك فى غرفته وفوق سريره المزركش يشع وسامة
ونضارة، لن يخطر على بالك أنه قد أتى إلى هناك من

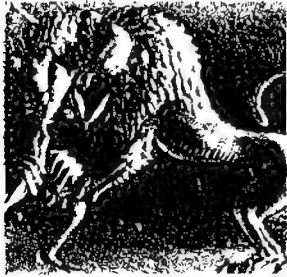
- مبارزة خصم، بل (ستعتقدين) أنه ذاهب إلى (حفلة) رقص أو
 ٣٩٥ أنه يجلس (على سريرته) وكأنه شخص أتى لتوه من (حفلة) رقص".
 هكذا تحدثت (أفروديتي) فاضطرب قلب هيليني وحين
 رأته عنق الإلهة الجميل وصدرها الساحر وعيونها
 البراقة. تملكته الدهشة فوجهت حديثها إليها قائلة:
 "أيتها الإلهة غريبة الأطوار ! لماذا تريدان أن تضليليني على
 ٤٠٠ هذه الصورة ؟ حقا إنك كنت ستقودينني إلى أبعد من هنا،
 (ربما) إلى إحدى المدن الآهلة بالسكان في فريجيا أو مايونيا
 الجميلة، إذا كان هناك، مرة أخرى، شخص من البشر حبيب
 إليك، بعد أن انتصر مينيلائوس على ألكسندروس شبيه
 الآلهة، ويريد الآن أن يأخذني، أنا المكروهة إلى بلده.
 ٤٠٥ إنك أتيت إلى هنا لهذا السبب بفكر مخادع، فلتذهبي
 الآن ولتجلسي إلى جوار (ألكسندروس)، ولتبتعدى عن طريق
 الآلهة ولا تجعلي قدميك تقودانك بعد الآن إلى الأوليمبوس،
 بل ظلي منشغلة به وأحرسيه حتى يتخذك زوجة
 ٤١٠ له أو ربما أمًا له. ولكني لن أذهب إلى هناك لكي أشاركة
 مخدعه، فهو شيء مشين. إن كل الطرواديات سوف يوجهن
 إلى اللوم بعد ذلك، وأنا لذي من الهموم ما يتقل روعي بلا حدود".
 وقد أغضب ذلك (الكلام) الإلهة أفروديتي، فردت عليها:
 ٤١٥ "لا تثيريني أيتها المرأة الطائشة وإلا غضبت عليك
 وتخليت عنك وكرهتك بقدر ما أحبك الآن حبا جمًا، وقمت
 بإثارة الكراهية بين الجانبين، الطرواديين والدانائيين، وبذلك
 يكون قدرك هو النهاية اليائسة".
 هكذا تحدثت فتملك الخوف هيليني، سليلة زيوس،
 ٤٢٠ وذهبت وهي ملتفة بردائها اللامع في صمت دون أن تلاحظها
 الطرواديات، بينما كانت الإلهة تقود الطريق.

- وحين وصلا إلى قصر ألكسندروس الرائع، بدأت خادمت
القصر أعمالهن. ولكن السيدة حلوة الشمائل ذهبت إلى الغرفة
ذات السقف العالي. وهناك أخذت الإلهة أفروديتي، الضحوك
٤٢٥ كرسيا وضعته في مواجهة ألكسندروس، فجلست عليه هيليني ابنة
زيوس لابس الدرع أيجيس وعيناها تنظران شزراً، وعنفت زوجها قائلة:
"لقد عدت من القتال، وبالييتك كنت هلكت هناك بعد أن
٤٣٠ انتصر عليك رجل باسل هو زوجي السابق. لقد كنت تفخر في
الماضي بأنك أفضل من مينيلأوس، حبيب أريس، سواء
في قوة يديك أو في تسديد الرمح. فلتذهب إذن ولتتحد
مينيلأوس، حبيب أريس، للمبارزة وجها لوجه! ولكني
أنا نفسي أدعوك ألا تقدم على ذلك وألا تتدفع إلى مينيلأوس
٤٣٥ ذى الشعر الأشقر لتبارزه، فقد تسقط صريع رمحه".
وهنا رد عليها باريس بهذه الكلمات:
"لا تعنفى قلبى أيتها السيدة بكلمات الإهانة الجارحة.
٤٤٠ لقد هزمنى مينيلأوس هذه المرة بمساعدة (الإلهة) أثينة، ولكني
سأنتصر عليه فى مرة قادمة، فهناك آلهة تقف إلى جانبنا
ولكن تعالى (الآن)، ولناخذ حظنا من البهجة والسعادة
بممارسة الحب معاً، فإن روى لم تستشعر مثل هذه الرغبة
الجارفة من قبل، حتى حين انتزعتك فى البداية من (أرض)
لاكيدايون الجميلة وأبحرت معك على سفنى التى تمخر
٤٤٥ عباب البحر، ولا حتى فى جزيرة كراناى (*). حين داعيتك
فوق مخدع الحب - (إن روى لم تستشعر ذلك) كما أحب
الآن ولا كما تسيطر على الرغبة اللذيذة (فى هذه اللحظة)".
وحين انتهى من حديثه قاد الطريق إلى الفراش وتبعته

(*) "كراناى Kranae يقول البعض إنما ماراثونيسى Marathonisi (جزيرة ماراثون = جيثيون Gythion الحديثة ميناء إسبرطة وتقع على مبعده ٢٧ ميلاً منها ويقول آخرون إنما جزيرة هيليني Hellene بالقرب من ساحل أتيكا. (المحرر)

- زوجته، وهكذا رقد الاثنان على السرير الخشبي الجيد الصنع.
- ٤٥٠ أما ابن أتريوس فقد هاج وماج وسط الجمع كأنه حيوان متوحش،
وراح يبحث عن ألكسندروس، شبيه الآلهة، فى كل مكان. ولكن أحدا
من الطرواديين أو من حلفائهم ذوى الصيت الذائع لم يكن بمقدوره أن
يدل مينيلائوس، حبيب أريس، عليه، ولم يكونوا يودون إخفاءه لحب
يكنونه له، فقد كان الجميع يبغضونه كما يبغضون الموت الأسود.
- ٤٥٥ عند ذلك تحدث بينهم ملك الرجال، أجامنون، قائلاً:
"أنصتوا إلى أيها الطرواديين والداردانيون والحلفاء. إن النصر
الآن بكل تأكيد فى جانب مينيلائوس، حبيب أريس. وعلى هذا
فلتخلوا عن هيلينى التى تتحدر من أرجوس وعمما تملكه،
وعليكم أن تدفعوا التعويض الملائم الذى سيبقى فى أذهان
الرجال الذين سوف يولدون".
- ٤٦٠ هكذا تحدث ابن أتريوس فتعالى صياح كل الآخيين تأييداً له.
- ٤٦١

الكتاب الرابع



ترجمة أحمد عثمان

- كان الآلهة يجلسون في حضرة زيوس يتباحثون ويتحادثون
على الأرضية الذهبية^(*). وعليهم تدور هيبي وتصب لهم النيكتار
في كنوس ذهبية. تبادلوا أنخاب العهد الوثيق فيما بينهم، وألقوا نظرة
من عليانهم على مدينة طروادة. وفجأة هب ابن كرونوس زيوس
يداعب هيرا بكلمات موحية، إذ قال ساخرًا :
٥ "أنتان من الإلهات تساعدان مينيلأوس، هيرا الأرجية
وأثينة الحارسة الالكومينية"^(**). ولكنهما فيما يبدو لى تجلسان جانبًا
وتستمعان بالمشاهدة، بينما أفروديتي الضحوك تقف دومًا بجوار
١٠ بطلها المحبوب تدفع عنه غائلة المصير المحتوم. والآن تَوَّأ
أنقذته من موت محقق، وإنى لعلى يقين تام أن النصر حليف
مينيلأوس حبيب آريس. وعلينا نحن إذن أن نتظر فيما يمكن أن تنتهى
١٥ إليه هذه الأعمال، هل سنثيرها من جديد حربًا ضروسًا وصراعًا مريرًا،
أم نزرع الحب والسلام بين الطرفين. فإذا راق لكم جميعًا ما ندع
مدينة الملك برياموس تظل عامرة بأهلها ويعود مينيلأوس بهيليني
الأرجية إلى وطنهما".
- ٢٠ قال ذلك بينما كانت أثينة وهيرا تتهامسان فى تململ وتبرم.
كانتا تجلسان ملتصقتين تضمران الشر للطروديين. صامتا كانت أثينة،
فلم تنبس بكلمة، عابسة تقطب الجبين لوالدها زيوس، حيث استولى عليها
غضب وحشى. أما هيرا فلم يستطع صدرها أن يحتوى غضبها
فانفجرت صارخة فى وجهه:
- ٢٥ "يا ابن كرونوس، أيها المرعب، ما معنى هذا الذى تقوله ؟
كيف تضيع جهدى وتجعله عبثًا، جهدى الطويل وعرقى يوم أجهدت
جوادى الاثنين وأنا أجمع الناس وأعلنها لعنة وخرابًا على برياموس

(*) سادت فى العصور القديمة فكرة تعد من الحزبيلات فحواها أن هذا الكتاب إذا وضع تحت الرأس رقى صاحبه من وباء حتى اليوم الرابع quartan ague. (المغرب)

(**) نسبة إلى مدينة صغيرة فى بويرتيا (Pausanias, IX 33.5) وكان لأثينة معبد صغير هناك ومعنى الإسم "الحارسة".

- وذريته ؟ امض في طريقك واعمل ما تشاء ! ولكن اعلم عن
يقين أن كل الآلهة الآخرين لا يوافقونك .
- ٣٠ عندئذ رد عليها زيوس جامع السحب وقد تميز غيظاً
"أيتها الشريرة! أي ذنب اقترف برياموس وابناؤه في حقك
حتى تصرين هكذا في عناد على تدمير قلعة إليون الحصينة ؟
إنك لو تصادف ومررت عبر أبواب طروادة إلى داخل
أسوارها الطويلة لابتلعت برياموس وابناءه - هكذا لحمًا
٣٥ نيناً - مع كل الطرواديين، وعندئذ فقط يمكن أن تخمدى سورة
غضبك. افعل ما تشائين! ولكن لا تدعى ذلك يحدث، أي
أن يصبح الأمر سبباً لنزاع كبير بيننا، بينى وبينك. ولأضف
كلمة واحدة تعيها جيداً، عندما أرغب أنا في تدمير مدينة يقطنها
٤٠ أناس تحبينهم، لا تعترضى طريق غضبى، بل دعيه يأخذ مجراه
فالיום قد لببت لك طلبك ليس كرها بل بمحض
إرادتى، فمن بين كل المدائن المعمورة بالبشر وتحتل مكاناً
تحت الشمس والسماء ذات النجوم لا تحتل واحدة منها ما
٤٥ تحتله إليوس المقدسة من مكانة فى قلبى، هى ومليكها برياموس
ذو الرمح المتين وشعبه. فمذبحى هناك لا تنقصه الولائم ولا
قرايين الشراب ولا الأضاحى، فهذا هو التكريم الواجب ويستحقه اسمى".
- ٥٠ فأجابته الملكة هيرا ذات العيون الواسعة كعيون المها:
"أما بالنسبة لى فأحب المدن ثلاث: أرجوس وإسبرطة
وموكيناى ذات الطرقات الواسعة. دمرها إذا ما داخلك حقد عليها!
فأنا لا أقف فى وجهك دفاعاً عنها، لا ولن أنازعك بشأنها.
٥٥ فحتى إذا عن لى أن أنازعك هذه المدن فأنى لى أن أقاوم يدك المدمرة ؟
لن أكسب شيئاً فأنت الأقوى منى بكثير، ومع ذلك فينبغى ألا تفسد
على جهدى المبذول، فأنا أيضاً من منبت إلهى وجئت من نفس السلالة
مثلك، بل أنجبنى كرونوس ذو التدبير المراوغ الملتو قبلك مما يزيدنى

- شرفاً. فيفضل سنى الأكبر، ولأنتى أدعى زوجتك ولأنك سيد كل الآلهة
 ٦٠ الخالدين دعنا إذن نستسلم لبعضنا البعض، أنا لك وأنت لى،
 وعندئذ سيتبعنا بقية الآلهة الخالدين.
- فعلبك إذن أن تصدر الأمر فوراً لأثينة أن تسرع الخطى نحو
 ٦٥ ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وتحاول أن تدفع الطرواديين
 للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة".
- هكذا أنهت حديثها ودون أن يجيبها أبو البشر والآلهة
 وجه مباشرة إلى أثينة كلماته المجنحة:
- "أسرعى إلى ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين وحاولى أن
 ٧٠ تدفعى الطرواديين للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة" (*).
- بهذه الكلمات حث زيوس أثينة التى طالما تلهفت على
 هذه المهمة وفتزت من علياء الأوليمبوس كنجم أرسله ابن
 كرونوس ذو التدبير المراوغ لتكون نذيراً للبحارة والجيوش
 ٧٥ المتحاربة كانت تلمع متوهجة وتطير منها سنايل النور بلا
 عدد، هكذا هبطت باللاس أثينة إلى الأرض فيما بين الجيشين.
- فذهل الجميع، الطرواديون مروضو الخيول البارعون
 والآخيون لابسو دروع الساق القوية، ذهلوا عندما رأوها
 ٨٠ وصار كل واحد منهم يحدث جاره "انظر ستشتعل الحرب
 المدمرة والمعركة الوحشية ثانية"، أو "هل زيوس موجه دفة
 الحروب بين البشر، سيزرع الحب بيننا؟".
- هكذا كان لسان حال الطرواديين والآخيين يلهج
 بالحديث. تنكرت الإلهة وشقت طريقها عبر الجمع متكررة
 ٨٥ فى هيئة لاودوكوس بن أنتينور ذلك المحارب المغوار، باحثة
 عن بانداروس شبيه الآلهة عساها أن تجده أينما وجد. ووجدت
 ابن ليكاون يقف ساكناً وسط الجمع، إنه محارب باسل وعتيد،

(*) البيان ٧١-٧٢ تكرر حول للبين ٦٦-٦٧.

- وحوله يتحلق لفيف من صفوف لابسى الدروع الأقوياء من
 ٩٠ بنى شعبه الذين جاءوا معه من حيث مجرى نهر أيسيبوس^(*).
 بجانبه وقفت الإلهة هامسة بكلماتها المجنحة:
 "أى ابن ليكاؤن، الحكيم، أرجو أن تسمعنى ! كن شجاعاً
 وأطلق سهماً خاطفاً على مينبلاؤس، وهكذا تفوز برضا الطروانيين
 ٩٥ وتحوز الشهرة بينهم سترضى وقبل كل شيء ألكسندروس أمير
 طروادة حقاً. فمنه، دون الآخرين، ستلقى الهدايا الملكية إذا رأى
 مينبلاؤس الشجاع بن أتربوس يسقط بسهمك صريعاً فوق
 كومة الدفن المفجعة. اذهب الآن وصب سهامك على
 مينبلاؤس ذائع الصيت وأنذر لأبوللون، سليل الذئب (ابن الضوء)^(**)
 ١٠٠ الشهير بقوسه أنك ستقدم له قريان الذبائح الفخم من بكور الكباش.
 عندما تعود سالماً إلى وطنك مدينة زيليا المقدسة"
 هكذا قالت أثينة وأفتحت قلب هذا الرجل فى حمقه (بانداروس)،
 وعلى الفور نزع الغطاء عن قوسه الصقيل المصنوع من قرن
 ١٠٥ الوعل الوحشى، الذى هو نفسه كان قد طعنه فى الصدر تحت القلب
 عندما انطلق من فوق صخرة، وحيث كان بانداروس يختبئ فى
 مكنم مترصداً إياه. وقد وقع الوعل الوحشى على ظهره إلى
 الخلف فوق الصخرة. وكانت قد نمت فوق رأسه ستة عشر قرناً
 كاملة فى طول جريد النخيل. فأخذها صانع الحدادة الماهر فطوعها
 ١١٠ وصبها جميعاً فى كتلة واحدة، ولما صقلها صقلاً أتيقاً صنع من
 هذه الكتلة عرقاً مذهباً ذا طرف مدبب.
 عندئذ أسند (بانداروس) القوس على الأرض وشده وبعناية فائقة
 أعده، بينما وضع رفاقه الأقوياء الدروع على أجسامهم
 خشية أن يشرع أبناء أخايا المحاربون فى القذف، أو أن يصاب

(*) نهر أيسيبوس Aisepos يصب مياهه فى بحر مرمرة.

(**) Lykegenes لقب من ألقاب أبوللون.. وقد يعنى "ابن الذئب" أو "ابن الضوء" فهذان العنصران مرتبطان به فى الأسطورة.

- ١١٥ مينيلاوس بن أتريوس وحبيب آريس.
عندئذ نزع غطاء جعبته، والنقط سهماً مجنحاً لم يسبق
إطلاقه من قبل، إنه حقاً حامل الآلام السوداء ! وبسرعة
خاطفة شد القوس وابتعد لإطلاق السهم ونذر لأبوللون بن
الذئب (أو الضوء) المجيد بقوسه أنه سيقدم قربان الذبائح الفخم
١٢٠ من بكر الكباش عندما يعود إلى وطنه مدينة زيليا المقدسة.
عندئذ أمسك بمقبض السهم ووتره القوى معاً وأطلقه
وكان قد ألصق وتر السهم بصدره وقرب طرف السهم من القوس،
وعندما كان قد أثنى القوس القوى إلى نصف دائرة أطلق القوس
صفيراً مدوياً وانطلق الوتر بعناء صاخب وانقض السهم ذو الرأس
١٢٥ المدببة بحدة ملهوفاً على هدفه وقد اخترق صفوف الحشد.
ولكن الآلهة الخالدين المباركين لم ينفلوا عنك يامينيلاوس،
ولاسيما ابنة زيوس جالبة الأسلاب أثينة التي وقفت أمامه وتقاتلت
ضربة السهم الشرسة. وحالت بينه وبين أن يصيب لحمه،
وأبعدته مسافة قصيرة كما تبعد الأم ذباية عن طفلها حين يرتع
في نوم لذيذ. فبيديها قادت السهم إلى حيث تلتقى مشابك الحزام بأطرافه.
١٣٠ لقد أصاب السهم القاسى الحزام المربوط جيداً عند الحلية المعدنية
واخترق الحزام المزخرف بالحلقات المعدنية ونفذ منه، وكان صاحبه
قد ارتداه ليتلقى ضربات سهام. وثبت أنه اتخذ أقوى وسائل
١٣٥ الدفاع عن نفسه. ومع ذلك فقد نفذ السهم إلى اللحم، لقد خدش
السهم سطح جلده، ومن الجرح انهمر الدم القانى غزيراً متدفقاً.
وكما تخط امرأة ما من مايونيا أو كائيرا الصبغة
١٤٠ العاجية ناصعة البياض بالصبغة القرمزية لكي يصنعوا
العدار (غطاء الوجنة) لحصان ما يرقد في الحظيرة، ويتلهف
الكثير من الفرسان على امتطاء صهوته، ولكنه هو ما يزهر
به ينتظر ملكاً ما يزين بالعدار حصانه، وهو مايزهو به سائق العربة،

- ١٤٥ هكذا أرى، أى مينيلائوس، فخذيك الممتلئين وركبتك وكعبك وقد غطاها الدم.
- عندئذ انتفض أجامنون ملك الرجال، عندما رمقت عيناه الدم القانى يتدفق من الجرح. وانتفض أيضاً مينيلائوس نفسه حبيب أريس. ولكنه عندما لاحظ أن نصل السهم نفسه وشوكاته خارج اللحم، استجمع قواه وشجاعته. بيد أن أجامنون الملك أمسك بيد مينيلائوس وزأر فى أنين وسط صيحات الرفاق من حوله:
- ١٥٠ "أيها الأخ الحبيب ! كأننى بالقسم على الهدنة وبوضعك فى مقدمة صفوف الأخيين لمحاربة أبناء طروادة كنت أدير لموتك ! فالطرواديون قد أصابوك وداسوا بأقدامهم العهود ولكن لا... لن يذهب سدى قربان القسم ولا دماء الكباش المذبوحة، ولا قرابين الشراب الطاهرة المسكوبة، ولا يمانا التى أعطينا بها عهدنا. فمع أن سيد الأوليمبوس لم ينجز على الفور انتقامه
- ١٥٥ ولكنه من المؤكد أنه سيأذن به ولو أجلاً. وسوف يسدد المعتدون دينهم بثمن باهظ، بحياتهم، بنسائهم وأطفالهم. فأنا أعرف جيداً ما يستقر سرّاً فى أعماق قلبى سيأتى اليوم الذى تهلك فيه إليوس المقدسة وبرياموس وشعب برياموس بسهمه الرمادى^(*). عندما سيهز زيوس نفسه، على العرش ابن كرونوس ساكن الأثير، درعه المرعب (الأيجيس) فوقهم مرة واحدة ولأبد نقمة من خداعهم. بالقطع لن نترك هذه الأمور دون أن تتجز، ولكن حزنى سيكون أليماً عليك يامينيلائوس إذا مت ولقيت أجلك المحتوم وسيلحقنى العار المشين حين أعود إلى أرجوس
- ١٦٥ العطشى. فهلاكك سيذكر الأخيين بوطن الآباء، وستترك هيلينى الأرجية يتباهى بها برياموس والطرواديون، وستذوب عظامك

(*) هذان البيتان ١٦٤-١٦٥ اكتبا شهرة واسعة بعد أن ردهما سكيبر أفرهكانوس على أنقاض قرطاجة موحياً بمصر روما نفسها. وورد فى "الفردوس المفقود" لباتون (XI 441-2).

"And over them triumphant Death his dart shook".

- ١٧٥ في تراب طروادة حيث ترقد ميتاً دون أن تتجز واجبك !
وقد يصيح أحد الطرواديين المتكبرين وهو يقفز فوق
قبر مينيلأوس المجيد: دع أجاممنون يصل بغضبه إلى
عنان السماء، فلن يجنى من وراء ذلك سوى ماجناه عندما
أحضر إلى هنا الجيش الآخى عبثاً، وعاد إلى أرض وطنه
١٨٠ الحبيب بسفن فارغة، تاركاً مينيلأوس الطيب هنا.
هكذا يوماً ما سيجرى الحديث على ألسنة الناس عندئذ
لتفغر الأرض الفاه وأسعاً وتبتلعنى"
عندئذ أجابه مينيلأوس الأشقر مهدئاً روع أخيه:
"تشجع ولا ترعج الشعب الآخى. فإن نصل السهم الحاد
١٨٥ لم ينفذ إلى جزء قاتل بل بلغ فقط واستقر عند حلية الحزام المعدنية
وما تحتها عند الخصر حيث الثنيات بأيدى صانعى الدروع".
فأجابه أجاممنون الملك:
- ١٩٠ "عزيزى مينيلأوس ! حسناً إن الأمر كان هكذا، ولكن هذا الجرح
يحتاج إلى طبيب ليضع البلسم عليه، ويخفف الألمك الفظيعة".
قال ذلك والتفت إلى تالشيبيوس الرسول الإلهى قائلاً:
- ١٩٥ "تالشيبيوس على جناح السرعة أحضر إلى هنا ماخاؤون
ابن أسكليبيوس، ذلك الطبيب الشهير والإنسان النبيل، ليرى
مينيلأوس بن أتريوس، حبيب آريس، حيث أصيب بسهم
صوبه قواس داهية من الطرواديين أو الليكيين فحقق لنفسه
مجداً، ولنا حزناً بالغاً"
- ٢٠٠ هكذا تحدث وأنصت إليه الرسول وانصاع لأمره
واستدار مخترقاً جموع الآخيين المسلحين بحثاً عن ماخاؤون
البطل. ولمحه واقفاً فى الوسط تحيط به صفوف من الأشاوس
حاملى السهام، أولئك الذين جاءوا معه من تريكى (*). مربية

(*) مدينة على حدود ثيساليا.

- الخيل. ووقف الرسول لصيقاً بجانبه ونطق بكلماته المجنحة:
- ٢٠٥ "هيا يا ابن أسكليبيوس، فالملك أجاممنون يدعوك لفحص
المحارب مينيلائوس أحد قادة الأخيين، الذى أصابه سهم
صوبه أحد الرماة الحاذقين - سواء أكان من الطرواديين أو
الليكيين - فأصاب مجداً، وسبب لنا ألماً".
- قال الرسول ذلك فحرك روح ماخاؤن وقلبه،
- ٢١٠ فشقا طريقهما سريعاً بين الجموع، عبر الحشد الآخى.
ولكن عندما وصلا فى النهاية إلى حيث يرقد مصاباً ذو
الشعر الأشقر مينيلائوس، وحيث يلتف حوله فى دائرة أشجع
القادة إلى الوسط دخل ماخاؤن البطل شبيه الآلهة ووقف إلى جانبه.
وعلى الفور نزع السهم من الحزام الملتصق بجسد مينيلائوس،
- ٢١٥ وعندما خرج السهم تكسرت أطرافه الحادة وسقطت للخلف،
وعندئذ فك عقدة الحزام والثنيات الموشاة بأيدي صانعى الدروع.
فلما رأى موضع الجرح الذى سكن فيه السهم المرير صفى للدم منه،
وببراعة وضع البلسم على الجرح. كما كان قد فعل خيرون^(*)،
طيب القلب والطوية، مع أبيه.
- ٢٢٠ وبينما كانوا منهمكين فى العناية بمينيلائوس البارح فى
صيحة للحرب تقدمت جموع الطرواديين من حملة السهام،
ومرة أخرى استعاد المحاربون الأخيون حماسهم، وعاودتهم اللهفة
على متعة القتال الوحشية.
- وقد ترى أجاممنون الإلهى لا يهجع ولا يتردد ولا
- ٢٢٥ يحجم عن النزال، بل هو مندفع نحو المعركة جالبة المجد

(*) خيرون Cheiron: ابن كرونوس و فيلورا، كما تقول الأساطير من سلالة الكنتوروى فله رأس آدمى
وجسد جواد. اشتهر بعلمه الغزير بالموسيقى والرماية والطب. وقد علم البشر استخدام الأعشاب الطبية،
كما أشرف على تربية وتعليم أعظم أبطال عصره. مثل أخيليس وثيسوس وبيليس واسكليبيوس
وهيراكليس وغيرهم. أصيبت ركبته بجرح من أحد السهام المسمومة التى أطلقها هيراكليس أثناء مطاردته
للكنتوروى، وعندما اكتشف هيراكليس ذلك هب لمساعدته؛ غير أن عمق الجرح كان أخطر من أن
يعالج، ونظراً لشدة آلامه عرض على زيوس أن يحرمه من الخلود حتى يخلصه من عذابه، فاستجاب له كبير
الآلهة وضمه إلى مجموعات النجوم تحت اسم كوكبه (القوس والرأى Sagittarius).

- والشهرة للرجال. لقد ترك خيوله وعربته المرصعة بالبرونز
فقد كان تابعه يوريميون بن بطلميوس بن بيرايوس قد نحى
جانبا الخيول وهى تصهل فى إباء. وقد أمر الملك تابعه أن
يكون على أهبة الاستعداد مع خيوله، إذا ماتسرب الإعياء إلى
أقدام الملك، وهو يتفقد الحشود الهائلة، وسار على قدميه
٢٣٠ يتفقد جيئة وذهابا الصفوف. فإذا لقي أحدا من الدانائيين ذوى الخيول
السريعة متحفزا للحرب كان يقترب منه ويحثه بحماس قائلاً:
"أيها الأرجيون لا تتخلوا عن شيء من قوتكم الفياضة،
فزيوس لن يعين الكذابين أولئك الذين حنثوا بأيمانهم.
٢٣٥ حقاً فالرجال منهم ستتغذى الجوارح على لحومهم الطرية،
أما الحرائر من نسائهم وأطفالهم الناعمين فسناًخذهم أسرى
فوق سفننا، بعد أن نكون قد استولينا على مدينتهم".
أما إذا لقي متخاذلاً متعاساً عن الحرب الكريهة
٢٤٠ وبخه الملك أجاممنون بكلمات حادة قائلاً:
"أيها الأرجيون، محبى القوس يارجال العار ألا تفكرون
فى الكرامة؟ لماذا تغفون هكذا مذهلين كالطباء التى أنهكها الجرى
٢٤٥ سريعاً عبر الوادى جيئة وذهاباً فوقفت بلا روح؟
هكذا تغفون مذهلين ولا تحاربون؟ أتراكم تنتظرون أن يقترب
الطرواديون إلى حيث ترسوا سفنكم المتينة عند شاطئ البحر الهادر
تنتظرون إلى زيوس بن كرونوس لعله يمد يد العون لكم لينقذكم؟".
٢٥٠ هكذا سار الملك أجاممنون يتفقد صفوف المحاربين.
فجاء إلى حيث كان الكريتيون، وتحرك وسط حشودهم.
كان إيدومينيوس شجاع القلب وحاشيته منهمكين فى ترتيب الصفوف
وهم فى كامل عدتهم. وقف إيدومينيوس فى صفوف المحاربين الأولى
فهو قوى البنية كالخنزير البرى، بينما كان ميريونيس يحث الجنود فى
الصفوف الخلفية. فلما رأهما أجاممنون ملك الرجال انفرجت أساريه،

- ٢٥٥ وعلى الفور حيا إيدومينيوس بكلمات الود:
 "أى إيدومينيوس، إنى أشيد بك أكثر من كل الدانائيين ذوى
 الخيول السريعة، أشيد بك سواء فى ميدان الوعى، أو فى كل عمل
 شاق من أى نوع، وفى الوليمة حين يتبادل أنبل نبلاء
 الأرجيين فى ولائم الاحتفالات كنوس الخمر المتوهجة.
- ٢٦٠ فبينما الآخرون من الآخيين ذوى الشعر الطويل يشربون قدراً
 محدوداً، فإن كأسك يظل دوماً إلى جانبك مترعاً يفيض
 بالخمر، مثل كأسى، ليطرد كل ما قد يعكر صفوك. ولكن ما
 أن تحين ساعة الجد حتى تهب للمعركة وتظهر نفسك كما كنت
 دوماً مفخرة للجميع".
- ٢٦٥ فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين:
 "يا ابن أتريوس، اعلم علم اليقين أننى سأكون لك نعم الصديق،
 وكما أقسمت لك بالقسم المقدس منذ البداية، بل استنفر الآخيين
 ذوى الشعر الطويل أن تسرع بالحرب فى أقرب وقت، حيث إن
 الطرواديين هم الذين نقضوا موثيقهم فلهم الأحران والموت
 من الآن فصاعداً بما أنهم كانوا سباقين فى الخيانة والحنث بالقسم".
- ٢٧٠ وهكذا تحدث إيدومينيوس ومضى ابن أتريوس فى
 طريقه مسروراً. وبعد ذلك وصل إلى حيث أتباع الثنائى أياس
 فتحرك وسط جموعهم. كان كل من الاثنين يضع الخوذة على رأسه
 وتتبعهما سحابة من المحاربين. وكما يلاحظ راعى المعيز
 من فوق صخرة سحابة تزحف فوق البحر، تسوقها الرياح
 الغربية (زيفيروس). ولأنه يقف بعيداً تبدو السحابة أكثر اسوداً
 من القار وهى تسافر عبر البحر وتسوقها عاصفة هوجاء.
 فعندما رآها راعى المعيز ارتعدت فرائصه وأسرع
 يقطعانه إلى الكهف. هكذا كانت سحابة(*) الصفوف الكثيفة
- ٢٨٠

(*) قارن: Lucretius vi 256 ff, Tennyson "Princess", vii.

- من المحاربين الأشداء المتحركين مع الثنائي أياس نحو المعركة
النارية متأهبين بالدروع والسهام، وبرؤية هذا المشهد اتفرجت
أسارير الملك أجاممنون وتحرك لسانه بكلمات مجنحة:
- ٢٨٥ "أى أياس وسميه، أنتما الاثنان قائدا الأرجيين لابسى البرونز
لا يصح أن أحتكما، فلا مزيد من الحض لكما، أنتما بنفسكما تقودان
بعزم قوى شعبكما للقتال بحماس. أى زيوس الأب وأنت أثينة
وأبوللون كم أتمنى أن تكون مثل هذه الروح فى صدور كل الرجال!
فعندئذ أعتقد أن مدينة الملك برياموس ستسقط على الفور فندمرها
ونستولى عليها بأيدينا"
- ٢٩٠ بهذه الكلمات تركهما وذهب نحو الآخرين. فوصل إلى
حيث نيسطور القائد الخطيب الفصيح زعيم أهل بيلوس الذى
كان ينظم صفوف أتباعه ويحثهم على الدخول فى المعركة
تحت قيادة بيلاجون وآلاستور وخروميوس وهايمون السيد
٢٩٥ النبيل، وكذا بياس راعى الحشود. فى المقدمة وضع نيسطور
الفرسان بخيولهم وعرباتهم وخلفهم المشاة كثيرى العدد
والشجعان ليكونوا درع المعركة برمتها. وعندئذ وضع
الضعفاء فى الوسط حتى يضطر كل واحد منهم رغماً عن
أنفه للدخول فى الحرب. فى البداية أصدر أوامره للفرسان،
٣٠٠ أمرهم أن يشددوا قبضتهم على خيولهم وحتى لا تعوقها
الحشود فصاح قائلاً:
- "لاتدع أحدا معتمداً على فروسيته الفائقة، أو قوته
البالغة يسعى للقتال ضد الطرودايين بمفرده مستبقاً الآخرين،
ولا تدعه ينسحب، وإلا فستكونون فريسة أسلس استسلاماً.
٣٠٥ أى واحد منكم يحارب من عربته ويستطيع أن يدرك عربات
العدو دعه يصوب سهامه نحوها من مسافة بعيدة. هكذا كان
يفعل أبائنا، فهذه قاعدة موروثية، إذ دمروا الأسوار والمدن. وهم

متماسكون عقلاً وقلباً".

- ٣١٠ هكذا كان المحارب الهرم المحنك في ميدان الوغى يسحّتهم
فعدما لمحّه الملك أجامنون انفجرت أساريره وحياه بكلماته المجنحة:
"أيها الشيخ ليت عضلات جسمك وركبتك توازي قوة
قلبك، وليت قوتك لا تهتز! ولكن الشيخوخة التي تصيب
الجميع سواء بسواء قد أثقلت حملها عليك، ليت أحداً آخر هو
الذي بلغ هذه السن المتقدمة، أما أنت فلتعد بين الشباب".
فرد عليه نيسطور فارس جيريني:
"يا ابن أتريوس فعلاً كم كنت أتمنى أنا نفسي أن أعود كما كنت
يوماً ما، عندما قتلت إريوثاليون الإلهي. ولكن الآلهة لا تهب كل شيء
للبشر دفعة واحدة. لقد كنت شاباً عندئذ، والآن بلغت أرذل العمر،
لا بأس، سأظل، متخذاً مكاني بين الفرسان وسأحثهم بنصائحي
وكلماتي، فهي ثمرة من ثمرات السن المتقدمة. ولكن الشباب
الأكثر استعداداً للخدمة مني سيتسلحون بالسهم ويتقون في قوتهم".
٣٢٥ هكذا كان حديث نيسطور، فمضى ابن أتريوس وقد
انفجرت أساريره، فوجد مينيسثيوس ضارب الخيل (بالسوط)
ابن بيتيوس، يقف ساكناً وحوله يتجمع الأثينيون البارعون في صيحة
الحرب. وبالقرب منهم يقف أوديسيوس واسع الحيلة
ومعه على الجانب الآخر تصطف صفوف محاربي
كيفالينيا الأشاوس، فهم لم يسمعوا بعد صيحة القتال
ويرون أنه قد تأخر تحرك أسراب الطرواديين
مربي الخيول والآخيين نحو اللقاء في أرض المعركة. ومن
ثم فهم لم يستنفروا أنفسهم، بل ينتظرون حتى تبدأ صفوف
الآخيين في اتخاذ الخطوة الأولى لمهاجمة الطرواديين
فبيدأون الحرب فلما رآهم أجامنون ملك الرجال ناداهم بصوت
٣٣٥ جهوري محيياً بكلماته المجنحة:

- "أنت يا ابن بيتيوس، أيها الملك سليل زيوس، وأنت
يا أوديسيوس الماهر في الحيل الماكرة، أية خطة داهية تختبئ في
ذهنك؟ من المؤكد أنه ينبغي أن تقف في المقدمة، لتكون أول
من يواجه هجمة العدو. وأتمنى أن تكونا أنتما الاثنان أول
٣٤٠ من يتلقى دعواتنا عندما نقيم نحن الأخيين الوليمة لكبار القوم!
وستسرون جدًا بأكل اللحم المشوى واحتساء كتوس الخمر
الطوة كالعسل، تشربون منها ماتشاءون قدر طاقتكم.
٣٤٥ أما الآن فقد لا يكون سروركما أقل، عندما ترون صفوف
الأخيين العشرة يحاربون أمامكم بنصل سيوف لا ترحم"
فرد عليه أوديسيوس واسع الحيلة بنظراته الصارمة:
٣٥٠ "يا ابن أتريوس! أي حديث هذا الذي تقوهت به؟ كيف
تقول إننا نتلأ في القتال حين يهب الأخيون للحرب
الفاضلة ضد الطرواديين مربي الخيول؟ سترى بنفسك
أن أبا تيلياخوس سيشتبك مع مقدمة جيش الطرواديين مربي
الخيول، إن كلماتك حقيقة فارغة مثل الهواء"
٣٥٥ رد عليه الملك أجاممنون مبتسما، فقد لاحظ غضبه وأراد
أن يسحب كلامه:
"يا ابن لائيرتيس وسليل زيوس أي أوديسيوس واسع الحيلة!
أنا لا أوبخك كثيرًا ولا أمرك، فأنا أعرف أن الروح داخل صدرك
تدرك الأفكار النبيلة. إنك تملك عقلًا يشبه عقلي.
٣٦٠ على أية حال دعنا الآن نكفر عن أية كلمة مسيئة قد تكون خرجت
من أفواهنا، فياليت السماء تمحو كلماتي وتحيلها عمدًا".
بهذه الكلمات تركهم حيث كانوا وانتقل نحو الآخرين.
فوجد بعد ذلك ديوميديس بن تيديوس سامي الروح يقف
٣٦٥ فوق عربته الحربية بخيولها وقد زركشت تمامًا. وبجواره
كان يقف سثينيلوس بن كابانيوس. فلما رآه صاح الملك

أجامنون يناديه ويحييه بكلماته المجنحة:

- ٣٧٠ " ويحي ! يا ابن تيديوس يا مروض الخيول الحكيم لماذا تتوارى ؟ لماذا تتغاضى عن الخطوط الفاصلة في المعركة ؟ لم يكن تيديوس فيما أعتقد، يتوارى هكذا، بل حارب العدو وهو فى مقدمة أقرانه. ومع أننى لم ألتق به قط ولم أره ولكن يقول الناس - ممن شاهدوه فى قلب المعركة - إنه فاق الجميع حقاً.
- ٣٧٥ لقد جاء إلى موكتيناي ذات مرة - ضيفاً لا عدواً - مع بولينيكيس شبيه الآلهة ليحشد جيشاً. لقد كانوا آنذاك عازمين على الحرب حتى ضد الأسوار المقدسة لطيبة، ومن ثم توجهوا إلى موكتيناي (وملكها ثيستيس) برجاء حار أن تمنحهم حلفاء أماناً. لقد كانوا متلهفين على مثل هذه المساعدة من موكتيناي ووافقوا على مطالبها، ولكن زيوس عطل خطتهم بأن أظهر علامات الشؤم.
- ٣٨٠ وعندما رحلوا وكانوا بالفعل على طريق الرحيل، ووصلوا إلى أسوبوس الذى كان يفيض مجراه على الجانبين وتحيط به مستنقعات موحلة، أرسل الآخيون تيديوس رسولاً (إلى طيبة) فلما وصل إلى هناك ووجد الكثيرين من الكادميين (أهل طيبة)، جلسوا إلى الوليمة فى منزل إتيوكليس القوى. فلم يتردد تيديوس مروض الخيول رغم أنه غريب ووحيد بين كادميين كثيرين، بل تحداهم فى مباراة للمصارعة وتفوق عليهم جميعاً، فقد منحته الرية أثينة العون.
- ٣٨٥ عندئذ استشاط الكادميون غضباً وهم البارعون فى نخس الخيول بالمهماز فنصبوا كميناً مكثفاً فى طريق عودته. كان الكمين من خمسين محارباً يقودهم التوأم مايون بن هايمون قرين الآلهة الخالدة وبوليفونتييس بن أوتوفونوس ذى القلب الصلب. ومع ذلك فقد جلب عليهم تيديوس مصيراً مخزياً، لقد قتلهم جميعاً ماعداً واحداً سمح له بالعودة إلى بلده سليماً. لقد أرسل

- مايون على الطريق، وقد انصاع تيديوس لنذر السماء. هذا
هو تيديوس الأيتولى. أما فيما يتعلق بابنه الذي أنجبه فهو
٤٠٠ بالقطع محارب أشد خطرًا وأكثر بلاغة".
- هكذا كان حديثه. ولكن ديوميديس الصنديد لم يرد عليه
بكلمة واحدة، فلقد شعر بالحرج إزاء توبيخ الملك الذي يحترمه.
وعندئذ أجاب ابن كابانيوس النبيل (سثينيلوس) قائلاً:
٤٠٥ "يا ابن أتريوس لا تقل الكذب وأنت تعرف كيف تقول
الصدق حقًا، فنحن نفخر بأننا نفوق آبائنا، نحن الاثنان استولينا
على طيبة المدينة ذات السبعة أبواب، رغم أننا كنا نقود
جيشًا صغيرًا أمام أسوارها المنيعه، لأننا أطعنا نذر السماء
ويعون من زيوس حققنا ذلك. أما أبائنا فقد ماتوا بفعل جنونهم.
٤١٠ ومن ثم لا أسمح لك أن توجه قدرًا من التكريم لأبائنا مثل ما توجه لنا"
عندئذ وبنظرة صارمة أردف ديوميديس الصنديد:
"كفناك! والزم جانب السلامة وسمع كلامي. لا أنكر
على أجاممنون وهو راعي الشعب أن يحث الآخيين
المسلحين بالدروع جيدًا للحرب. فعليه كما اعتقد تقع
المسئولية وينتظره الشرف والمجد إذا سحق الآخيون
٤١٥ الطرواديين وأسروا إليون المقدسة، وعليه سيهبط عبء الحزن
إذا هزم الآخيون. ولكن امض في طريقك الآن (يا أجاممنون)
ودعنا نفكر في أمر قوتنا الهائجة".
- قال ذلك وقفز من عربته الحربية إلى الأرض بكل
٤٢٠ اندفاع، فكان دوى ارتطام الحلية المعدنية على صدر هذا
الأمير مرعبًا، فحتى أعتى قوة ارتعدت لهذا الدوى المفزع
وكما يحدث على شاطئ تتردد منه الأصداق وقد أثارته
عاصفة الرياح الغربية (زيفيروس) مدوية فتثير سطح البحر
موجة بعد موجة، تبدأ من بعيد فوق أعماق البحر بإثارة ذؤابة

- الموجة، وبعدئذ يعلو زئيرها وهي تتكسر على الشاطئين وهي
٤٢٥ تعلو كل الصخور النائية والمنتثرة على الشاطئ في منحني
قوى وقد قذفتها بالزبد المملح. هكذا سارت موجة بعد أخرى
دون توقف صفوف الدانائيين نحو الحرب.
كان كل قائد يقود رجاله ويتبعهم الآخرون في
صمت - في صمت لا يسمح بتصور أن جيشاً جراراً في
٤٣٠ الطريق إلى المعركة - وفي سكون خشية من أولئك الذين
يقودونهم. ويلفهم جميعاً في أثناء سيرهم بريق أسلحتهم.
أما الطرواديون فكانوا كالمقطعان يقفون في أعداد لا
حصر لها وهم في حوزة صاحبها الثرى، بينما يحلب اللبن
٤٣٥ الأبيض منها يعلو ثغاؤهم ولا يتوقف وهم يسمعون كباشهم.
هكذا كان دوى الضوضاء في الجانب الطروادى حيث ساد
عبر كل جموعهم، فلم يكن واحداً الحديث الدائر بينهم، ولم
يكن واحداً صوتهم، بل كان صوتهم مختلطاً وكانت أصوات
محاربيهم تسمع من بعيد.
٤٤٠ كان يستنفرهم أريس وأثينة ذات العيون الزرقاء،
ومعهم سارت القوى الإلهية الرعب (ديموس) والخوف
(فوبوس) والنزاع (إريس)^(*). التي لا تشبع من جنونها.
"النزاع" (إريس) أخت أريس الفتاك وحبيبته. إنها وهي ذات
قوام صغير، ولكنها عندما انتصبت واقفة وصلت رأسها إلى
السماء، بينما وضعت قدمها على الأرض. وإذا تتجول عبر
الحشود غرست شجرة النزاع بالتساوى فيما بين الفريقين

(*) إريس Eris: هي ربة النزاع والشقاق وشقيقة أريس إله الحرب. وقد بدأت أحداث الحرب الطروادية عندما أرسلت إريس الفاحشة الذهبية إلى الرباب الفلاح، ولكن هيسودوس في قصيدته "الأعمال والأيام (بيت ١١ وما يليه) "يوحي بوجود شكلين مختلفين من ربة النزاع: واحدة خيرة والأخرى شريرة وتسبب ربة النزاع الشريرة في إشعال الحروب والصراعات. وأتباعها هم العار والحداد والجنس والشيخوخة القاتلة. وقد أنجبت العيب والنسيان والجماعة والألم وكافة أشكال الموت العنيف والشجار والتمرد والجنون. بينما نجد أن إريس الحيرة تدفع حتى الشخص الكسول مثل بيريس شقيق هيسودوس إلى بذل الجهد حتى يحقق ثروة مثل الآخرين.

- ٤٤٥ مضاعفة بذلك أجزان البشر.
وعندما التقى الجمعان في مكان واحد، عندئذ فإن البرونز
الذي يغطي أجساد المحاربين من الطرفين قد اصطدم وأحدث
دويًا، الترس ضد الترس، والسهم مع السهم، والدروع
المحدودة مع الدروع، وارتفع الصياح إلى الأعلى. فهنا
٤٥٠ وهناك اختلطت الصرخات والتضرعات الصادرة من الرجال،
القتلة والمقتولين وفاضت الأرض بالدماء.
وكما يحدث في النهرات التي تفيض بمياه أمطار الشتاء
فتنفع من التلال نحو الوديان، وتلتقى مع مياه أخرى تقذف بها
التيابح الكبيرة عبر الصخور المجوفة، وهناك بعيدًا بين
٤٥٥ الجبال يسمع الراعي خريز المياه المتدفقة، هكذا كان صخب
ورعب الجموع التي اشتبكت في المعركة.
في البداية قتل أنتيلوخوس رجالاً من الطرواديين
محاربًا قويًا في كامل عدته كان في المقدمة. إنه إخيولوس
بن ثاليسوس، كان أول من ضربه (أنتيلوخوس) فوق قرن
٤٦٠ خوذته ذات العرف من شعر الخيل لقد رشق السهم تمامًا في وجهه،
فاخترق رأس السهم البرونزي العظام وغطى الظلام عينيه،
وسقط كأنه قلعة هوت في ميدان المعركة الوحشية.
وبعد أن هوى على الأرض فإن الأمير إيفينور القائد الهمام
نلابانتيس بن خالكودون وضع قدمه عليه وجره جانبًا حرصًا على أن
٤٦٥ ينجو عدته بأقصى سرعة ممكنة. ولكن اندفاعه كان طيشًا لأن أجيونور
ذا الهمة العالية رآه وهو يجر الجثة فأصابه بالرمح البرونزي
وسبب له جرحًا في جنبه، فلما انحنى زحزح عن نفسه جزءًا
من الدرع وأسلم أعضاء جسمه للموت.
٤٧٠ هكذا انتزعت الحياة من جسد إيفينور، بينما كان
عمل الطرواديين والآخيين محزنًا وثقيلًا على الطرفين. كانوا

- كالذئاب التي تهاجم بعضها بعضاً، فكل محارب يلتحم مع نده.
عندئذ ضرب أياس بن تيلامون الشاب سيموثيسوس بن:
أنثيميون، وهو في زهرة العمر. كانت أمه فيما مضى في
٤٧٥ طريقها من جبل إيدا وعندما كانت ترعى الغنم مع والديها رقدت
عارية على ضفاف سيموثيس. فحملت به ولداً أطلقوا عليه اسم
سيموثيسوس ولكنه لم يكن قد سدد لوالديه العزيزين شيئاً
من دينه مكافأة على تربيتهما له، كانت حياته قصيرة وسريعة،
لقد سقط صريعاً بسهم أياس ذي الهمة العالية. فما أن جاء
٤٨٠ إلى الصفوف الأمامية في المعركة حتى ضربه عند صدره
بجوار حلمة الدى اليمنى. واخترق السهم البيرونزى مباشرة
إلى الكتف، لقد مال وسقط في التراب كما تسقط شجرة الحور
التي نمت على حافة مستنقع ضخم فربت وأورقت أغصانها
عند القمة، والآن يسقطها النصل البراق، يسقطها صانع العربة
٤٨٥ لكي تستخدم أخشابها فيما بعد إطاراً للعجلة في عربة ما مجيدة.
منتصرة ترقد الشجرة الآن على ضفاف المجرى المائي، كما يرقد
ابن أنثيميون سيموثيسوس وقد قتله أياس بن زيوس.
عندئذ حاول ابن برياموس، أنتيفوس ذو الأسلحة اللامعة أن
٤٩٠ يصوب سهمًا حادًا إلى أياس من بين جموع الأخيين. أخطأ
التصويب وأصاب السهم ليوكوس صديق أوديسوس الصدوق
عند أعلى الفخذين عندما كان يجر الجثة جانباً. فسقط فوق
الميت وأفلتت الجثة منه، واستشاط أوديسوس غضباً عندما
رأى صديقه ميتاً. اخترق صفوف المقدمة وقد برقت عليهم
٤٩٥ جميعاً عدة الحرب اللامعة. فاقترب ووقف، وبعد نظرة فاحصة
حوله صوب سهمًا لامعاً، ولكن الطرواديين ولوا الأدبار
أمام هجمة البطل. ومع ذلك لم يذهب هذا السهم عبثاً بل
أصاب ديموكوون بن برياموس غير الشرعى، الذي جاء

- ٥٠٠ من أبيدوس حيث كان يقوم على تربية الخيول السريعة،
ولقد ضربه أوديسيوس بسهم في جبهته وقد تملكه الغضب
من أجل صديقه. فاخترق رأس السهم البرونزي صدغيه وغطى
الظلام عينيه وسقط صريعاً، فكان ارتطامه بالأرض مدويا
وكذا تكومت عدته الحربية فوق جسده وأحدثت ضجيجاً.
- ٥٠٥ عندئذ فقط اضطر هيكتور المجيد أن يتراجع عن قليل
من الأرض مع الصفوف الأمامية. فصاح الأرجيون صيحة
عالية وسحبوا الموتى وضغطوا بشدة زاحفين إلى الأمام.
ولكن عندما نظر إليهم أبوللون من فوق قلعة طروادة
برجاموس امتلاً بالحزن ونادى الطرواديين بصوت مدوٍ واستحثهم :
"انهضوا أيها الطرواديون مروضى الخيول لا تستسلموا
للأرجيين وهم في نشوة القتال الوحشية. فأجسادهم ليست من
حجر ولا من حديد، ولا يمكن أن تقاوم حد السهم النافذ
عندما يصابون به. لا .. ولا يحارب الآن معهم أخيليوس
بن ثيتيس ذات الخصلات الجميلة، ولكنه يقبع بجوار السفن
يجتر غضبه الموجع لقلبه".
- هكذا تحدث الإله المرعب من القلعة الشاهقة في نفس الوقت
- ٥١٥ كانت بنت زيوس تريتوجينيا الإلهة المجيدة تتحرك بين
الحسود مستهضة الهمم عندما رأتهم مترددين.
وبعد ذلك سرعان ما أصاب القدر ديوريس بن أمارونكيوس،
فلقد ضرب بحجر خشن في قصبة الساق اليمنى عند الكعب.
كان قائداً طراقيا هو الذي رمى هذا الحجر إنه
- ٥٢٠ بيروس بن إمبراسوس الذي جاء من أيثوس^(*). لقد مزق
هذا الحجر القاسى العضلات والعظام تمزيقاً كاملاً.
فسقط إلى الخلف في التراب ماذا يديه لرفاقه المحبوبين

(*) مدينة تقع على نهر هيروس في طراقيا.

- وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ أجهز عليه - من سبق
أن قذفه بالحجر - بيروس فجرحه بالسهم الحاد عند السرة،
فتفجرت كل أمعائه إلى خارج بطنه، وغطى الظلام عينيه. ٥٢٥
- عندئذ أسرع ثواس الأيتولى وضربه بسهم عند الصدر
فوق حلمة الثدي، فثبت رأس السهم البرونزية في الرثة. واقترب
ثواس من الجثة، ونزع السهم القوي من صدره واستل سيفه
الحاد وضربه ضربة نجلاء عند المعدة فقضى على حياته
قضاءً مبرماً. ولكنه لم يسلب الميت أسلحته إذ وقف حوله ٥٣٠
- أصدقاؤه المقربون الطراقيون بخصلات شعرهم العنقودية،
وقد أمسكوا بسهام طويلة في أيديهم، فعلى الرغم من قوته
وقامته ومظهره النبيل حال هؤلاء بينه وبين أسلحته
فاستدار وعاد أدراجه إلى الوراء. وجنباً إلى جنب كان يرقد
هذان الاثنان القائدان، أحدهما من الطراقيين والآخر من ٥٣٥
- الإيبينين لابسى البرونز وكثيرون آخرون رقدوا موتى حولهم .
وعندئذ لم يستطع أحد أن يستخف بهذه المعركة ولا أن
يشتبك في مزيد من القتال. فإذا كان هناك من لم يصب
بضربة ولم يجرح برمح فتاك، فإنه كان يتحرك وسط الحشود ٥٤٠
- تفوده باللاس أثينة التي كانت قد أمسكت بيده وهي تدفع عنه جانباً
الضربات القوية. لأنه حقا في ذلك اليوم كثير من الطرواديين
وكثير من الآخيين سقطوا صرعى فوق الرمال جنباً إلى جنب. ٥٤٤

الكتاب الخامس



ترجمة أحمد عثمان

- وهبت باللاس أثينة ديوميديس بن تيديوس القوة واليسالة،
لكي ييز كل الأرجيين ويحرز الشهرة المجيدة. فقيست من خوذته
ودرعه نازاً لا يخدم أوارها، مثل نجم الحصاد (= سيريوس) ٥
الذي يتلألأ بأنواره أكثر من أى نجم آخر، عندما ييزغ
مغتسلاً بالأوكيانوس (المحيط). لقد أوقدت الإلهة هذه الشعلة
من رأسه وكتفيه؛ وأرسلته إلى القلب من حشد الرجال.
- ١٠ وكان داريس بين الطرواديين رجلاً ثرياً لا نظير له، كاهن
هيفايستوس؛ وكان له ابنان: فيجيوس وإيداوس، وكانا بارعين
فى كافة فنون القتال. تركا صفوف الجيش وتقدما لمواجهة ديوميديس،
وكانا يمتطيان عربتهما، بينما كان هو يهرول بقدميه على الأرض.
- ١٥ وعندما اقتربا وتقدم كل منهما من الآخر، أطلق فيجيوس
رمحه الخاطف، فكاد سن الرمح أن يلامس الكتف
الأيسر لابن تيديوس دون أن ينال منه. وعلى الفور أطلق
ابن تيديوس رمحه البرونزى، ولم ينطلق الرمح سدى
إذ أصاب عدوه فى صدره بين الحلمتين، وأطاح به من فوق العربة. ٢٠
أما إيداوس فقد قفز إلى الخلف متخلياً عن عربته رائعة الجمال، ولم
يطعنه، ولم يجرؤ على الزود عن أخيه المقتول،
بل إنه هو نفسه ما كان ليتملص من مصيره الأسود، لولا أن
نجاه هيفايستوس وأنقذه. إذ لفه فى غلالة من الظلام، حتى لا يأتى
الحزن على والده الكاهن المسن. وبالنسبة للخيل فإن ابن تيديوس ٢٥
الجبور قد أذن لرفاقه أن يسوقوها نحو السفن المجوفة.
- فلما رأى الطرواديين البواسل ولدى داريس على هذه الحال،
أحدهما يولى الأديار والآخر يرقد صريعاً بجوار عربته، أصاب
الهلع قلوبهم جميعاً. وأمسكت أثينة ذات العينين الزرقاوين ٣٠
بأريس المجنون قائلة:

- "أريس، أريس، يا لعنة على البشر الفانين، يا محطم الأسوار، أيها
الملطخ بالدماء ! دع الطرواديين والآخيين يتقاتلون. لنرى لأى من
الطرفين يشاء زيوس الأب أن يهب المجد؟ وعلينا نحن الاثني
٣٥ أن ننسحب تجنبا لسورة الغضب من قبل زيوس".
- هكذا قالت وقادت أريس المجنون بعيدا عن ساحة
الوغي، حيث أجلسته فوق رمال ضفة نهر سكامندروس، فأجبر
الدانائيون الطرواديين على أن يولوا الأبرار مدحورين.
إذ قتل كل قائد الرجل الذي يواجهه؛
- ٤٠ ففي البداية قتل ملك الرجال أجاممنون أوديسوس
العظيم قائد الهاليزونيين في عربته، فعندما استدار ليولى
الأدبار صوب رمحه إلى ظهره بين كتفيه، غرس الرمح
وغاص به حتى صدره؛ فخرّ صريعا في صوت مكتوم تحت درعه.
- ٤٥ وقتل إيدومينيوس فايسوس بن بوروس للمايوني الذي جاء من أرض
تارنى^(*) الخصبية. إذ كان يمتطى عربته
مرتديا درعه، فأصابه إيدومينيوس بطعنة من رمحه الطويل
حيث اخترق كتفه الأيمن؛ فسقط عن عربته واحتواه
ظلام الموت الكريه. ثم جرده أتباع إيدومينيوس من أسلحته.
- ٥٠ وأما سكاماندريوس بن ستروفيسوس البارع في فنون الصيد
فقد قتله مينيلأوس بن أتريوس برمحه المسنون، مع أنه
كان صيادا عتيذا، إذ دربه أرتيمس بنفسها
على التصويب وإصابة كافة وحوش الغابات
فوق الجبال. بيد أن أرتيمس رامية القوس لم تفده الآن بشيء
- ٥٥ ولم تنفعه مهارته الفائقة في رامية القوس، والتي بزّ فيها الجميع
من قبل. طعنه مينيلأوس بن أتريوس الشهير برمحه بهذا الرمح في
ظهره بين كتفيه قبل أن يولى الأدبار أمامه، وغرس رمحه ليبلغ صدره

(*) مدينة في ليديا عرفت فيما بعد باسم سارديس. (المحرر)

- فانكفا على وجهه وسقط درعه فوقه.
- وقتل ميريونيس فيريكوس بن تكتون بن هارمون، ذا اليدين
الماهرتين في صنع كل شيء دقيق؛ وكانت باللاس
- ٦٠ أثينة تحبه أكثر من أى شخص آخر. وكان هو الذى بنى لألكسندروس
السفن الجميلة متبع الشرور والخراب لكل الطرواديين وله هو
نفسه، لأنه لم يكن يعرف شيئاً البتة عن نيوآت الآلهة. طارده
ميريونيس فلما أدركه طعنه على يمين مؤخرته وغاص سن الرمح
٦٥ تحت عظامه إلى مئانته؛ فسقط على ركبتيه وهو يئن وطواه الموت.
ثم قتل ميغيس بيدايوس بن أنتينور، والذى كان فى الحقيقة
ابنا غير شرعى، ولكن ثيانو الطيبة ربه وتولته بالرعاية
كأحد ابنائها إرضاء لزوجها. فاقترب منه
- ٧٠ ابن فيليبوس (ميغيس)^(٤) الشهير برمحه وطعنه بهذا الرمح
المستون فى وتر رأسه؛ فغاص الرمح حتى وصل إلى أسنانه
عند جذور لسانه، فسقط فى التراب وهو يعض الرمح البارد بأسنانه.
وقتل يوريبيلوس بن يوايمون هيبسينور بن دولوبيون الطيب
- ٧٥ سامى الروح، وقد كان كاهنا لإله النهر سكاماندروس، وكان الناس
يجلونه وكأنه إله. فقد اندفع نحوه يوريبيلوس بن يوايمون العظيم
٨٠ بسيفه بينما كان يولى الأدبار أمامه، فأصابه فى كتفه فقطع
نراعه الثقيلة حيث سقطت على الأرض وغرقت فى الدماء،
وغيب الموت المظلم والقدر القهار نور عينيه.
- وهكذا أجهدوا أنفسهم فى الاقتتال؛ أما ابن تيديوس
- ٨٥ فلا تستطيع أن تقول مع أى الفريقين كان يحارب،
هل كان يحارب فى صف الطرواديين أم الآخيين.
فقد صال وجال فى السهل كله كأنه سيل شتوى عارم
يكتسح السدود بفيضاته الجارف؛ فلا تصده

(٤) قارن الكتاب الثانى بيت ٦٢٧. (المحرر)

- ٩٠ السدود المحكمة، ولا تستطيع حوائط بساتين الكروم المتقلبة بالأعنان
أن توقف هجمته المياغثة عندما تسوقه
عاصفة زيوس؛ فتتداعى أمامه التحصينات التي أنجزها
البشر. هكذا اندحرت فرق الطرواديين على كثرتها ولم تصمد
- ٩٥ أمام هجمات ابن تيديوس. ولكن ما أن رآه ابن ليكاون العظيم
وهو يجتاح السهول ويلحق قلول فرق الطرواديين المنحدرين، حتى
صوب قوسه المعقوف إلى ابن تيديوس أثناء اندفاعه فأصابه
في كتفه الأيمن أعلى درع الصدر؛ فاخترق الرمح القاتل
صدره وتدفقت منه الدماء غزيرة وغطت الدرع.
- ١٠٠ وعندئذ صاح ابن ليكاون العظيم قائلاً:
"انهضوا أيها الطرواديون العظام، مروضو
الخيول؛ فقد سقط أفضل الرجال بين الآخيين،
وأرى أنه لن يحتمل طويلاً طعنة الرمح القوية؛ فأنا في الواقع
مبعوث الملك ابن زيوس (أبوللون)، حين انطلقت من ليكيا".
هكذا قال في زهو بالغ، بيد أن الرمح
- ١٠٥ الحاد لم يغص تماماً في جسد خصمه، الذي ارتد للوراء ووقف أمام
خيوله وعربته، وخاطب سثينيلوس بن كابانيوس قائلاً:
"أقبل يا ابن كابانيوس الطيب،
وانزل من العربة، لكي تسحب السهم الحاد من كتفي".
هكذا قال فقفز سثينيلوس من عربته إلى الأرض
ووقف بجانبه وسحب السهم الحاد من كتفه،
- ١١٠ فانهمر الدم وغطى رداءه ذا الطيات. وشرع
ديوميديس البارع في صيحة الحرب في الإبتهاال قائلاً:
"اسمعيني يا أثينة أتريتوني، يا ابنة زيوس، يا ذات الدرع
(أيجيس)، يا من لا يصيبك الوهن! يامن وقفت بكل
عناية إلى جانب أبي في خضم حومة الوغي، فافعل
- ١١٥

- ذلك الآن يا أثينة واشمليني أنا أيضا برعايتك.
 إنى أستعين بك لكى أفضى على ذلك الرجل الذى أصابنى
 فاجعليه فى مرمى رمحى. إنى أبغضه، إذ يتبجح
 معلناً هزيمتى وأنى لن أرى شمس النهار الساطعة".
- ١٢٠ هكذا قال فى ابتهاج، وسمعتة باللاس أثينة فلملمت أوصاله
 وقوت قدميه ويديه، وأقتربت منه وهمست إليه بكلمات مجنحة قائلة:
 "كن شجاعاً الآن يا ديوميديس لكى تقاثل الطرواديين،
 فقد وضعت فى صدرك قوة أبىك القوى المقدام،
 قوة تيديوس الفارس لابس الدرع الأشهر. وقد
 ١٢٥ أزلت الغشاوة عن عينيك حتى تميز الإله من الإنسان.
 فإذا أتاك إله ما مبتلياً، فلا تقاثل الخالدين وجها لوجه
 إلا إذا دخلت أفروديتى ابنة زيوس
 ١٣٠ المعركة، فعليك أن تطعنها بسيفك البتار".
 وانصرفت أثينة ذات العينين الزرقاوين بعد أن قالت ذلك
 وعاد ابن تيديوس لينضم من جديد إلى مقدمة المقاتلين؛ وكان
 ١٣٥ يتلهف من كل قلبه لمنازلة الطرواديين، إذ تملكه الغضب ثلاث
 مرات الآن. وكأنه أسد استفره للغضب راع فى الحقل يحرس أغنامه
 ذات الصوف الغزير، وهو يقفز فوق أسوار حظيرة الأغنام، ولم
 ١٤٠ يخدم الغضب الذى استناره بقوة، ولكنه تخلى عن الدفاع وراح يهاجم
 وسط مبانى المزرعة، فتبعثرت الأغنام هنا وهناك فى فلول هاربة.
 ويستشيط الأسد غضباً ويقفز فوق أسوار الحظيرة العالية.
 ١٤٥ هكذا وبمثل هذا الغضب يقاثل ديوميديس العظيم الطرواديين.
 قتل أستينووس وهيبايرون راعى شعبه، ضرب أحدهما فى صدره
 بطعنة من رمحه البرونزى، وضرب الآخر بسيفه البتار
 بجانب كتفه فى عظمة الترقوة، ففصل الكتف عن الرقبة والظهر.
 ثم تركهما وأسرع ليلاحق أباس وبوليئيدوس بن بوليداماس

- ١٥٠ الشيخ المسن مفسر الأحلام، فلم يرجعا إلى أبيهما الشيخ ليفسر
لهما أحلامهما، فقد قتلها ديوميديس. ثم لاحق كسانثوس وثوون
ابنى فاينوبس الحبيبين. وكان أبوهما يعاني من أرذل العمر
ولم يرزق بدين آخر يرث أملاكه ويرعاها. قتلها ديوميديس
وانتزع منهما الحياة الغالية. ولم يترك لأبيهما سوى الحزن والحسرة
١٥٥ حيث لم يرهما ليرحب بعودتهما إليه؛ واقتسم الأقربون ممتلكاته.
وبعد ذلك أسر إخميون وخروميوس ابنى برياموس بن
داردانوس، وكانا كلاهما فوق عربة واحدة، فكان كأسد قفز في قلب
القطيع، فهشم رقبة عجل أو بقرة كانا يرعيان في المرعى وسط الغابة.
١٦٠ هكذا فعل ابن تيديوس، حيث أنزلها مرغمين بقسوة وعنف مؤلم
من عربتهما وجردهما من السلاح، وأسلم خيولهما لرفاقه ليقتادوها
إلى السفن. ولمحه آينياس وهو يمزق صفوف المحاربين ويخوض
١٦٥ المعركة في غمار قعقة الرماح بحثاً عن بانداروس شبيه الآلهة
عسى أن يعثر عليه هنا أو هناك. فوجد ابن ليكاون، القوي العتيد
الذى لا نظير له، ووقف أمامه وخاطبه قائلاً:
١٧٠ "أين قوسك الآن يا بانداروس؟ وأين سهامك المجنحة
بل وأين شهرتك المجيدة؟ لم يكن هناك قط
على ظهر الأرض من يقف في وجهك، ولم يكن هناك فى ليكيا
من يزعم بزهو أنه أفضل منك. تعال الآن
وارفع يديك مبتهلاً لزيوس، واطلق رمحا على
١٧٥ هذا الرجل أياً كان ذلك الذى انتصر هكذا وأوقع
الكثير من الأذى بالطرواديين، وقتل الكثيرين من النبلاء؛
إن هو إلا إله ما قد أضمر الغضب على الطرواديين
لسبب يتعلق بالقرابين، فكم هو ثقيل غضب الإله على البشر^(*)."

(*) قارن ما قاله سيكا عن بطش الإله:

Gravis ira regum est; quanto magis dei, qui rex regum !

"ثقل هو غضب الملوك، وأثقل منه بكثير غضب الإله فهو ملك الملوك."

- ١٨٠ فرد عليه ابن ليكاون المجيد فاتلاً:
 "أى آينياس، يا مرشد الطرواديين ذوى الدروع البرونزية،
 إنى آراه شبیه ابن تیدیوس محب القتال شجاع القلب وأعرفه بدرعه
 وخودته المجنحة وحين أنظر إلى خيوله؛ ولكنى لا أعرف يقينا
 ما إذا كان إليها. وعلى أية حال إذا كان إنساناً، ذلك الرجل الذى أظنه،
 فإن ابن تیدیوس طيب القلب ما كان لينزل كل هذا الغضب دون عون
 من أحد الآلهة، فهناك أحد الخالدين يقف بجانبه دوماً وتحيط بكتفيه
 سحابة هى التى ضللت رمحى السريع بعيداً عنه. فقد
 أطلقت عليه رمحا بالفعل أصاب كتفه الأيمن فاخترق
 صدره؛ وحسبت أنى شيعته إلى آيدونيوس، ولكن
 ديهات فلم أستطع القضاء عليه. إنه حقا إله غاضب.
 ولم تكن لدى عربة ولا خيول أمتطياها مع أن
 هناك إحدى عشرة عربة جديدة مجهزة ومطهمة
 فى ساحة ليكاون؛ تجر كلاً منها خيول تأكل الشعير الأبيض
 والحنطة. حقاً عندما انطلقت للمعركة من
 قصر ليكاون المنيع عهد إلى ذلك المحارب الأشيب بمهام جمّة،
 إذ أمرنى أن أمتطى صهوة الحصان والعربة،
 وأن أهاجم الطرواديين فى معارك طاحنة.
 ولكنى لم أطعه. وكان من الأفضل كثيراً لو فعلت
 لقد تركت الخيول خشية أن يعوزها العلف ولا أجد
 ما يشبعها فى حومة الوغى. وجنت على
 قدمى إلى إليوس واضعاً كل ثقتى فى قوسى؛
 ولكنه لم ينفعننى. وقد أطلقت رمحا أصاب بالفعل
 الزعيمين ابن تیدیوس وابن أتريوس فأسال دماءً غزيرة منهما
 ولم أجن من ذلك سوى المزيد من غضبهما.
 لقد كان من سوء الطالع أنى استليت قوسى المعقوف من جعبتى

- ٢١٠ في ذلك اليوم. وقدت رجالى من الطرواديين إلى إليوس الجميلة
من أجل إرضاء هيكتور المجيد.
- ولكن إذا عدت إلى بيتى لألقى نظرة على بلدى وزوجتى
وقاعات قصرى العالى فليفصل أحد الغرباء رأسى عن رقبتى
- ٢١٥ إذا لم أنزع بنفسى هذا القوس وألقه بيدى فى لهب النار
فهو كقبض الريح لا ينفعنى فى شئ"
- فرد عليه آينياس قائد الطرواديين قائلاً :
- "لا، لا تتحدث هكذا فلن يتحسن الموقف إذا لم
نقد أنا وأنت خيولنا وعربتنا لصد هذا الرجل
- ٢٢٠ ونبتلّيه بالقتال. بل هيا امتط عربتى لترى من أى نوع
خيول طروس، البارعة فى الركض هنا
وهناك عبر الوديان سواء فى الكر أو الفر.
- وسيعود الجوادان بنا سالمين إلى
- ٢٢٥ المدينة، إذا منح زيوس المجد لديوميديس بن تيديوس
مرة أخرى. هيا أقبل وخذ السوط والعنان اللامع وسأنزل
أنا للقتال؛ وإلا فعليك أن تصد هجمته، لأعتنى أنا بالخيول"
- فرد عليه ابن ليكاون المجيد قائلاً :
- ٢٣٠ "أى آينياس لتمسك أنت العنان ولتقد أنت الخيول
التي ستجر العربة المجوفة على نحو أفضل؛
فمن الأنفع لها أن تجر العربة بقيادة سائقها المعتاد، إذا كان
لا بد لنا من الفرار هرباً من ابن تيديوس. أما أنا
فلن أستطيع قيادها، وفى غياب صوتك قد تجفل وتحرن
- ٢٣٥ ولا تخرج بنا من المعركة فينقض علينا ابن تيديوس
القوى ويقتلنا معاً ويسوق خيولنا ذات الحافر الواحد أسلاباً.
فلنكن أنت قائد عربتك وخيولك، وسأتصدى أنا لهجمة
هذا الرجل برمحي المسنون".

- تبادلا هذا الحديث تم امتطيا العربية المزركشة وقادا الخيول
 ٢٤٠ السريعة ضد ابن تيديوس. فلما لمحهما سثينيلوس بن كابانيوس
 المجيد قال:
- "ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا حبيب قلبي، إنى ألمح محاربين
 باسليين مهرولين فى لهفة لقتالك، ولا حدود لقوتهما. أحدهما بارع
 فى رمى القوس إنه بانداروس الذى يزهر بأنه ابن ليكاون؛
 ٢٤٥ أما الثانى آينياس، فيفخر أنه من نسل أنخيسيس الذى لا نظير له،
 وأمه أفروديتى. تعال نمطى العربية وتمضى، أتوسل إليك، ولا تتدفع
 هكذا فى الصف الأول بين المحاربين الأشارس كيلا تهلك".
- ٢٥٠ فرد عليه ديوميديس العظيم بنظرة حانقة قائلاً:
 "لا تحدثنى عن الفرار، فلا أظن أنك ستقنعنى.
 وليس من شيمتى أن أتسلل منسحباً من حومة الوعى
 ٢٥٥ أو أن أجنب. فلا تزال قوتى عتيده. لانية عندى أن أمطى
 عربية، بل سأقدم كما أنا لمواجهتهما؛ فتخاذلى أمر
 لا تسمح به باللاس أثينة. أما هذان فإن خيولهما
 السريعة لن تعود بهما سالمين من هنا، حتى ولو فر أحدهما
 ٢٦٠ أو الآخر. ولأصارع قلبك بشيء آخر: إذا أرادت (باللاس) ذات
 النصائح الكثيرة أن تمنحنى هذا المجد
 بأن أقتل كليهما، فلتبق أنت ممتطيا الخيول السريعة
 هنا واربط العنان إلى إطار العربية،
 ولا تتس أن تسرع إلى خيول آينياس ولتأخذها من
 الطروديين ولتفدها إلى حشود الآخيين لابسى الدروع.
 ٢٦٥ فهذه الخيول من السلالة التى عوض بها زيوس
 ذو الصوت المدوى فى الآفاق، طروس عن ابنه جانيميديس،
 لذا فهى أفضل خيول تحت أشعة الفجر والشمس. وقد سرق
 أنخيسيس ملك الرجال عدداً من هذه السلالة وهجن بها فرسانه

- ٢٧٠ دون علم صاحبها لأوميدون. فولدت له ستة خيول في قصره من هذه
السلالة، احتفظ بأربعة لنفسه ورباها في حظيرته،
وأعطى الاثنين الباقيين مسبى الذعر لأينياس. فإذا
- ٢٧٥ أخذنا هذين الحصانين لأحرزنا مجداً عريضاً".
هكذا جرى الحديث بينهما واقتريا (من ديوميديس) وهما يقودان
الخيول السريعة. وكان ابن ليكاون المجيد البادئ بالحديث:
"يا ابن تيديوس العظيم، يا ذا القلب الجسور الشغوف بالحرب،
حقاً إن سهمي المرير السريع لم يصبك؛ والآن سأجرب رمحي
فلعلني أصيبك".
- ٢٨٠ قال ذلك وأعد رمحه طويل الظل وأطلقه فأصاب درع
ابن تيديوس؛ فاخترق البرونز حتى حزام الخصر.
فصاح به ابن ليكاون المجيد قائلاً:
"لقد أصبت بطنك مباشرة وأظن أنك لن تحتمل طويلاً وقد منحتني
مجداً عظيماً".
- ٢٨٥ فرد عليه ديوميديس المجيد دون أية بادرة من خوف وقال:
"بل أخطأت فلم تصبني. وأرى أن كليكما لن تكفا حتى يسقط
أحدكما أو الآخر سريعاً فيتخمد بدمه آريس المحارب ذا الدرع المحكم".
- ٢٩٠ هكذا كان يصيح وهو يصبو رمحه، ووجهت أثينة الرمح إلى
أنف (ابن ليكاون) بجانب عينه، فاخترق أسنانه البيضاء. أصاب
الرمح لسانه عند المنبت فبرزت أسنانه أسفل الذقن. فسقط عن العربة
ومن فوقه درعه، وارتعدت الخيول السريعة، وتحت جانبا،
- ٢٩٥ وهناك خارت قواه وفاضت روحه. أما آينياس فقد قفز بدرعه وأمسك
برمحه الطويل متأهباً، خشية أن يسحب الآخيون جثة الميت منه.
ووقف فوق الجثمان كأنه أسد شديد اللقمة في قوته، ممسكاً بدرعه
ورمحه بثبات وتوازن، منلهها لقتل
- ٣٠٠ كل من تسول له نفسه أن يتقدم ليخطف الجثة، وأخذ

- يطلق الصيحات الرهيبة. لكن ابن تيديوس
 أمسك بحجر - لا يستطيع رجلان رفعه،
 ٣٠٥ ومع ذلك فقد سيطر عليه بمفرده - ياله من عمل خارق!
 وأصاب به آينياس أعلى الفخذ حيث يلتقى الفخذ
 بالمؤخرة - أي عند "الكأس" كما يقول الرجال.
 فهشم عظمة الكأس وحطم أيضاً عظام الحوض،
 ومزق الحجر جلده. فانكفأ المحارب على ركبتيه متكئاً على يديه،
 ٣١٠ وأطبق ظلام الموت الدامس على عينيه.
 كاد آينياس ملك الرجال أن يهلك لولا أن أسرعت أفروديتى ابنة زيوس
 التى أنجبته لأنخسيس وهو يرعى قطعانه. ففتحت
 ذراعها البيضاء لابنها الحبيب وغطته
 ٣١٥ بثنية من رداها ليكون له درعاً يحميه من
 القذائف، خشية أن يصيبه أحد الدانائيين
 ذوى الخيول السريعة برمح برونزى فى صدره
 فيهلكه. ثم حملت ابنتها الحبيب بعيداً عن
 حومة الوغى. لكن ابن كابانيوس (ستينيلوس) لم ينس
 ٣٢٠ الأوامر التى كلفه بها ديوميديس البارع
 فى صيحة القتال. فأبعد جواده ذا الحافر
 الواحد عن المعركة، وربط العنان إلى إطار
 العربة وهرع إلى خيول آينياس وأخذها
 ٣٢٥ من الطرواديين إلى حثود الأخيين وسلمها لدايبيلوس رفيقه
 العزيز الذى هكذا فضله بالتكريم على كل رفاق شبابه، إذ كان
 مقرباً إلى نفسه؛ وأمره بالإسراع
 إلى السفن المجوفة. ثم امتطى المحارب عربته
 وأمسك بالعنان اللامع وقاد خيوله سعياً
 ٣٣٠ إلى ابن تيديوس. الذى مضت فترة وهو يبحث برمحه

- البرونزي الذي لا يرحم عن كيبريس (القيصرية)^(*) مدركاً أنها
إلهة ضعيفة وليست من الإلهات المحاربات التي تسود
في المعارك؛ فهي ليست أثينة ولا إنيو^(**)
محطمة المدن. فلما عثر عليها بعد لأي
٣٣٥ في خضم الحشود، رماها ابن تيديوس المجيد
برمحه الحاد ووثب إليها، وجرح سطح يدها الرقيقة، فمزق الرمح
رداءها الأمبروسي (الإلهي) الذي صنعه لها إلهات الرشاقة
الثلاث الخاريتيس، واخترق الرمح الجلد عند رسغها
٣٤٠ فوق راحة اليد فسال الدم الإلهي من الإلهة، كما يتدفق
في الآلهة المباركين؛ فهم لا يأكلون الخبز ولا يشربون
النبيذ. لذا فلا تجري في عروقهم الدماء العادية ويسمون بالخالدين.
صرخت صرخة مدوية وتركت ابنها يسقط،
فالتقطه فوييوس أبوللون بين ذراعيه وأنقذه في
٣٤٥ سحابة داكنة خشية أن يطعنه أحد الدانائيين
برمح برونزي في صدره فيودي بحياته.
بيد أن ديوميديس البارع في صيحة الحرب صاح فيها قائلاً:
"ابتعدى يا ابنة زيوس عن ساحة الحرب والضرب
ألا تكفيك غواية النساء الضعيفات ؟
أما إذا اقتربت من ساحة الحرب فتذكرى أنك ستصابين
٣٥٠ بالهلع من مجرد سماع اسمها ولو من بعيد".
هكذا قال، فانصرفت يركبها الفرع والحزن؛ فأخذتها
إيريس ذات القدمين السريعتين كالريح بعيداً
عن الحشود. كانت تتألم وقد غطى الدم جلدتها حتى اسودّ لونه.

(*) منذ بداية "الإلياذة" هذه أول مرة يذكر لقب أفروديتي هذا "القيصرية" (كيبريس) مما جعل بعض النقاد
يؤرخون هذا الكتاب بفترة زمنية تالية لتأليف بقية الكتب. وقارن الكتاب الخامس عشر ٦٣٨. (الحرر)
(**) إنيو Enyo هي التي اعتبر الدارسون إلهة الحرب الرومانية القديمة بيللونا Bellona مقابلاً لها واعتبرها
بعض الشعراء المتأخرين أم آريس. (الحرر)

- ٣٥٥ وسرعان ما صادفت آريس الناثر يقف على يسار
أرض المعركة، وكان رمحه يتكئ على سحابة،
ممسكا في يده بعنان جواده السريعين.
فجثت على ركبتيها وأخذت تتوسل وتطلب
من أخيها خيوله المغطاة جبينها بعصابات ذهبية قائلة :
- ٣٦٠ "أنقذنى يا أخى الحبيب وأعطنى خيولك عسى أن أصل بها إلى
الأوليمبوس حيث مساكن الخالدين. إذ يعتصرنى الألم من جرح أصابنى
به رجل فإن هو ابن تيديوس، الذى قد يشعل حرباً على زيوس
الأب نفسه".
- هكذا قالت فقدم لها آريس جواده وعليهما العصابات الذهبية؛
- ٣٦٥ فامتطت العربة بقلب مضطرب وركبت بجانبها إيريس،
وأمسكت بالعنان فى يديها وضربت الجياد بالسوط حتى تتحرك،
فركض الجوادان حتى بلغا مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق؛
- ٣٧٠ وهناك أوقفت إيريس ذات القدمين السريعتين كالريح
الجوادين وفكت قيودهما عن العربة، ووضعت أمامها
العلف الأمبروسى؛ وجثت أفروديتى الجميلة على ركبتي أمها
ديونى^(*). التى احتضنت ابنتها بين ذراعيها وربت
عليها بيدها وقالت لها :
- "من من أبناء السماء يا طفلى الحبيبة أساء إليك على
هذا النحو، كما لو أنك ارتكبت منكرًا أمام أعين الجميع؟"
- ٣٧٥ فردت عليها أفروديتى صاحبة الابتسامة الجميلة قائلة:
"جرحنى ديوميديس بن تيديوس، لأنى كنت أحمل ابنى الحبيب،
آينياس أحب البشر لى، بعيداً عن ساحة الوغى. فلم تعد الحرب حرباً
بين الطروديين والآخيين؛ إذ يقاتل الآن الداناتيون الخالدين".
- ٣٨٠ فردت عليها ديونى الإلهة الجميلة قائلة :

(*) لم تذكر ديونى Dione عند هومروس إلا فى هذا الموضع. (الحرر)

- ٣٨٥ هُدنى من روعك يا ابنتى، وصبراً على كل ما تعانين؛
فكم عانى كثير منا نحن آلهة الأوليمبوس على أيدي البشر
وهم يجلبون الآلام لبعضهم البعض .
ف هكذا عانى آريس عندما قام أوتوس وإفيالتيس
العظيم ولدا ألويس بحبسه فى الأصفاد القاسية. وظل
راقداً فى إناء نحاسى لمدة ثلاثة عشر شهراً. وهكذا
أوشك آريس المتعطش للحروب على الهلاك، لولا أن
جاءت إيريبويا الجميلة زوجة الأب
٣٩٠ وأنبات هرميس؛ فأخذ آريس خلسة وكان فى حزن
شديد لأن الأصفاد كانت أقوى منه. وهكذا أيضاً عانت
هيرا عندما أصابها ابن أمقيتريون العظيم (هرقل) فى صدرها
الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكات؛ ثم أصابها أيضاً ألم
لم يهدأ أبداً. وهكذا عانى هاديس المتوحش من بقية
٣٩٥ سهم مسموم عندما أصابه هذا الرجل هيراكليس (هرقل) نفسه
ابن زيوس لابس الدرع أيجيس فى بيلوس وسط
الموتى وتركه للآلام. ولكنه ذهب إلى مقر زيوس وإلى
الأوليمبوس الشاهق بالحزن فى قلبه والآلام فى جرحه؛ فقد
٤٠٠ اخترق الرمح كتفه القوى فأصاب روحه بالحزن. لكن بايون نثر
عليه عشباً مداوياً فشفاه؛ فهو لم يكن من سلالة الفانيين.
الطائش مرتكب العنف هو الذى لا يتوقف
عن أعماله الشريرة، فهو بمساهمه يثير حنق
٤٠٥ الآلهة صاحبة السيادة على الأوليمبوس. و عليك أطلقت الإلهة
أثينة ذات العيون الزرقاء هذا الرجل الأحمق؛
فعقل ابن تيديوس لا يدرك أن الفانى لا يحتل قتال
الخالدين لمدة طويلة، ولا ابناؤه يثرثرون عند
قدميه عندما يعود من الحرب والنزال المميت.

- ٤١٠ والآن دعى ابن تيديوس مهما كان باسلاً
دعیه یقاتل من هو أقوى منك، أخشى أن توظ أيجيالیا زوجته ابنة
أراستوس كل أهل بيتها من نومهم
بالعويل الطويل والنحيب الحزين على زوجها أفضل
- ٤١٥ رجال الآخيين، زوجها ديوميديس مروض الخيول".
هكذا قالت ثم بكلتا يديها أزالتم الدم من فوق الذراع،
فشفى الذراع وهذأت حدة الآلام. ولكن أثينة وهيرا
بعد أن شاهدتا ما حدث استارتا غضب زيوس بن كرونوس
بسخر الكلام. وكانت أثينة ذات العيون الزرقاء هي البادئة بالقول:
- ٤٢٠ "أبي زيوس، هل ستغضب على سبب ما أقول؟
يبدو أن كيبريس (القبرصية) هي التي أغوت إحدى نساء الآخيين
على اللحاق بالطرواديين الذين تحبهم الآن
- ٤٢٥ إلى أقصى حد؛ وبينما هي تغوى إحدى نساء آخايا ذات الرداء الجميل
وتضرب يديها على دبوسها الذهبي خدشت يدها الرقيقة".
هكذا قالت، لكن أبا البشر والآلهة ابتسم ونادى أفروديتي
الذهبية قائلاً:
- "لم تعهد إليك يا طفلاتي شئون الحرب؛
وعليك متابعة أمور الزواج المحببة،
٤٣٠ أما كل تلك المهام فهي من شأن آريس السريع وأثينة".
هكذا تحدث كل منهم إلى الآخر، أما ديوميديس البارع في صيحة
الحرب فقد انقض على آينياس، مع علمه أن أبوللون نفسه
كان يحميه بذراعيه؛ إلا أنه لم يكن يهرب حتى هذا الإله الكبير،
٤٣٥ وكان لا يزال يتلهف على قتل آينياس وسلب أسلحته المجيدة.
وهاجمه مرات ثلاث وكاد أن يفتك به وصدده أبوللون بدرعه اللامع
ثلاث مرات. ولكن عندما هاجمه للمرة الرابعة كأنه إله،
توجه إليه أبوللون بصيحة رهيبة دوت أصدائها من بعيد:

- ٤٤٠ "تعقل يا ابن تيديوس، وامض بعيداً ! لا تظن أنك ستصير مثل الآلهة. فليس هناك ما يوحد بين سلالة الآلهة الخالدين وسلالة البشر الذين يمشون على الأرض".
هكذا خاطبه فترجع ابن تيديوس إلى الخلف ليتحاشى أن يصيبه غضب أبوللون من بعيد.
- ٤٤٥ ثم عزل أبوللون آنياس عن الحشد وذهب به إلى برجاموس المقدسة التي بنى فيها معبده. وهناك قامت ليتو وأرتميس ربة القوس بعلاجه في المعبد الفسيح ومنحاه المجد؛ لكن أبوللون صاحب القوس الفضى صنع طيفاً على شاكلة آنياس ودرعاً على شاكلة درعه؛ وحول هذا الطيف شرع الطرواديون والآخيون شبيهو الآلهة يضرب كل منهم على صدر الآخر، وعلى التروس المستديرة والمصنوعة من جلد الثور وعلى الدروع المتطايرة بشدة.
ثم تحدث فوييوس أبوللون إلى أريس السريع قائلًا:
- ٤٥٠ "أى أريس، يا أريس أنت يا مهلك البشر، أيها الملطخ بالدماء العاصف بالأسوار، ألن تدخل ساحة المعركة لكي تسحب منها هذا الرجل، ابن تيديوس الذى على ومثلك أن يحارب زيوس الأب نفسه؟ فهو بداية أصاب كيبريس (القبرصية) بجرح فى راسها فى التحام مباشر، ثم شرع يهاجمنى أنا نفسى وكأنه إله".
هكذا قال ثم أجلسه بنفسه على قمة برجاموس وتسلل أريس الفتاك إلى وسط صفوف الطرواديين، وأخذ يحثهم متخفياً فى هيئة أكاماس الشجاع قائد الطراقيين. واستدعى أبناء برياموس اللذين رباهم زيوس وقال :
- "يا أبناء برياموس الملك ربيب زيوس، إلام تتركون الآخيين يقتلون حشودكم؟ هل سيظل الأمر كذلك إلى أن يقاتلونا عند بواباتنا المحكمة؟
- ٤٦٥

- إن رجلاً نكرمه كما نكرم هيكتور الباسل
يعانى، إنه آينياس بن أنخيسيس المغوار.
هلموا ننتقد رفيقنا النبيل من مازق الصراع".
- ٤٧٠ بهذا القول رفع عاليًا روح كل رجل وقواها
فهب ساربيدون يوبخ هيكتور الإلهى بشدة قائلاً:
"أين ذهبت القوة التى كانت لك
من قبل يا هيكتور؟ كنت قد قلت من قبل إنك
بدون الحشود والحلفاء ستدافع عن المدينة وتصمد
وحدك بعون من أزواج شقيقاتك وإخوتك؛ ولا أجد أحدًا
٤٧٥ من هؤلاء الآن، فهم ينقاعسون كما تنقاعس الكلاب
حول الأسد. نحن الذين نقاتل، ونحن مجرد حلفاء لكم.
وما أنا إلا حليف جاء من بعيد؛ من ليكيا
عند كسانثوس الفياض، حيث تركت زوجتى الحبيبة
٤٨٠ وابنى الرضيع وثروتى الكبيرة التى يطمع فيها كل
إنسان. ومع ذلك فإنى أستنفر أهل ليكيا، وأنا
نفسى أتلهف على قتال العدو، مع أنه ليس لى هنا ما أملكه
مما يطمع الآخيون فى سلبه ونهبه؛ أما أنت فلا تتحرك ولا حتى تحض
٤٨٥ حشودك على الصمود والدفاع عن زوجاتهم.
فاحذر لنفسك ولهم، كيلا تقعوا
فى خيوط الفخ المحبوكة جيدًا لتسقطوا فرانس وغنائم
فى أيدي أعدائكم؛ وسيحطمون فوراً مدينتكم العامرة
٤٩٠ بسكانها. ينبغى أن يكون هذا شغلكم الشاغل ليل نهار. وينبغى أن
تتوسلوا إلى قادة حلفائكم الأماجد لكي يثبتوا فى مواقعهم
ويصمدوا دون خوف عليكم، وبذلك تتجنّبون التأنيب العنيف".
هكذا قال ساربيدون، وأصاب كلامه قلب هيكتور فى الصميم.
٤٩٥ فقفر بدرعه من عربته إلى الأرض، وأخذ يلوح برمحيه المسنونين،

- وهو يجرى فى كل اتجاه وسط الحشود ويحث الرجال على القتال
فأثار صخب المعركة. إذ احتشدوا وأخذوا مواقعهم
ولوا وجوههم صوب الآخيين؛ وصمد الأرجيون أمام
هجمتهم فى حشود كبيرة ولم يفروا. وكما تسوق الريح
قش الغلال إلى أرض الحصاد المقدسة، عندما
٥٠٠ يذروها الرجال فى وجه الريح،
فنفصل ديميتز ذات الشعر الذهبى الحبوب عن
القش وسط هبات الريح القوية، وتعلو
أكرام الغلة البيضاء وتتزايد. هكذا الآخيون أنفسهم
ترداد رءوسهم وأكتافهم بياضًا تحت سحابة الغبار التى تثيرها
٥٠٥ حوافر الخيل بين المحاربين لتصل إلى عنان السماء البرونزية.
لقد اشتبك الجمعان مرة أخرى، وأدار سائقو العربات عجلاتهم.
مشددين قبضة أيديهم على العنان، وغطى آريس السريع
أرض المعركة بضياب كثيف لمساعدة الطرواديين
المندفعين فى كل اتجاه؛ وبذلك حقق وصية فوبوس
أبوللون ذى السيف الذهبى الذى أمره بتقوية روح الطرواديين
٥١٠ عندما رأى باللاس أثينة ترحل، فقد
كانت هى التى تمد يد العون للدانائيين. وقام أبوللون
نفسه بإرسال آينياس من معبده الثرى
ونفث الشجاعة فى صدره باعتباره راعى الحشود. وأخذ
آينياس موقعه وسط رفاقه المحاربين ففرحوا حين
٥١٥ رأوه قادمًا لينضم إليهم حيا وسليما مفعما بالشجاعة. ولكنهم لم
يسألوه عن شىء فقد شغلتهم متاعب من نوع آخر، أى تلك
التي أثارها صاحب القوس الفضى وآريس مرعب
الفانين، وإلهة الشقاق إريس التي انطلقت دون أن يعوقها عائق.
٥٢٠ وعلى الجانب الآخر كان الثنائى آياس وأوديسيوس وديوميديس

- يحرصون الدانائيين على القتال؛ فهم لم يرهبوا عنف الطرواديين
وهجماتهم، بل صمدوا فكانوا مثل السحب
التي جمعها ابن كرونوس ثابتة بلا حراك فوق قمة الجبل
حيث الجو ساكن، حين تهب قوة ربح الشمال بورياس، وتهجع
الريح الثائرة الأخرى التي تهب وتزمر فتتفرق السحب
الظليلة هنا وهناك. وصمد الدانائيون للطرواديين ولم يهربوا.
وجال ابن أتربوس بين الجموع مردداً أوامره قائلاً:
"كونوا رجالاً يا أصدقائي، ولتسجع قلوبكم، وليستح كل منكم
من الآخر في هذه المعركة الطاحنة. فأغلب الرجال ذوى الحياء
ينجون ولا يهلكون، أما من دأبوا على الفرار فلا يرجى منهم مجد
ولا دفاع".
قال ذلك ثم صوب رمحه فأصاب محارياً في المقدمة، أحد
رفاق آينياس الهمام، إنه ديكوون بن برجاسوس الذي يبجله
الطرواديين كما يبجلون أبناء برياموس لسرعته في
القتال في المقدمة. أصابه أجاسمون الملك برمحه في درعه الذي لم
يصد الرمح، بل نفذ من البرونز إلى أسفل البطن مخترقاً الحزام؛
فهوى وهو يصرخ صرخة مكتومة وسقط درعه فوقه.
ثم فتنك آينياس باثنين من أبطال الدانائيين هما كريثون وأورسيلوخوس
ولدا ديوكليس الذي كان يقيم في فيري^(*) المنبوعة، كان ثرياً منحدرًا
من نسل إله النهر ألفيوس ذى المجرى العريض عبر أرض البيليين،
أنجب ألفيوس أورسيلوخوس ليكون ملكاً على رجال
كثيرين. وأنجب أورسيلوخوس ديوكليس
سامى الروح، وولد لديوكليس توأم من الإبناء
هما كريثون وأورسيلوخوس (أورتيلوخوس)^(**)، وهما بارعان

(*) تقع فيري Phere ل ميسينا Messene.

(**) يرد هذا الاسم أحياناً على هيئة أورتيلوخوس Ortilochos. كما ورد عند زينو دوتوس. (الخرز)

- في كل فنون القتال. والآن عندما بلغ الاثنان مبلغ الرجال، جاء
مع الأرجبيين على السفن السوداء إلى إليوس الشهيرة بخيولها سعيًا وراء
الفوز بتكريم ولدى أتريوس أجامنون ومينيلأوس؛ إلا أن الموت
المشئوم طواهما على تلك الأرض. كانا مثل أسدين يربضان على قمة
٥٥٥ الجبل ربتهما أمهما في غابة كثيفة؛
كانا يفتيسان الماشية والأغنام وينشران
الدمار في المزارع، حتى قتلا بسيف برونزية بتارة،
٥٦٠ هكذا فتك آينياس بالتوأم فسقطا مثل شجرتي الصنوبر الشاهقتين.
حزن مينيلأوس المحب للقتال عليهما وقد سقطا على أرض المعركة،
فاحترق مقاتلي الصفوف الأولى شاهراً سيفه
البرونزي البتار وملوحاً برمحه؛ وقوى أريس شديد البأس
٥٦٥ روح هذا البطل حتى لا يقتل على أيدي آينياس. لكن أنتيلوخوس
بن نيسثور المقدم رأى فشق طريقه بين
مقاتلي المقدمة؛ فقد كان يخاف على راعي الحشود
خشية أن يناله مكروه، فيحبط كل جهودهم.
كان الاثنان يرفعان أيديهما بالرمح
الواحد ضد الآخر، وكانا على وشك الالتحام، فاقترب
٥٧٠ أنتيلوخوس من راعي الحشود. ولم يصمد آينياس طويلاً،
مع أنه كان محارباً هماماً، عندما رأى الاثنتين يقفان بثبات
جنباً إلى جنب؛ بل سحبا الجثتين (كريتون وأورسيلوخوس)
نحو حشود الآخيين ووضعاهما في أيدي
٥٧٥ رفاقهما ثم عادا ليقاتلا وسط الصفوف الأولى.
ثم قتلا بيلامينيس ند أريس وقائد لابسى الذروع
البافلاجونيين الأثاوس. كان يقف راسخاً قطعته مينيلأوس
بن أتريوس الشهير برمحه، حيث أصاب الرمح عظمة الترقوة.

- ٥٨٠ وصوب أنتيلوخوس رمحه على حامل
دروعه وسائق عربته ميدون ابن أتيمنوس
القوى، عندما كان يقود الخيول ذات الحافر الواحد.
فأصابه بحجر فى كوعه؛ فسقط العنان الأبيض العاجى
٥٨٥ من يده على الأرض فى التراب . انقض أنتيلوخوس
عليه وطعنه بسيفه فى صدغه فسقط من عربته المحكمة
على رأسه وكنتفه وهو يلفظ أنفاسه فى التراب.
وظل كذلك لمدة طويلة راقدًا فوق حفرة رملية
إلى أن ركلته الخيول وألقت به إلى
التراب؛ ضربها أنتيلوخوس بالسوط وقادها إلى حشود الآخيين.
٥٩٠ وعندما لمح هيكتور المحاربين من وسط الصفوف أسرع
نحوهم وهو يصيح صيحات مدوية وتبعته فرق الطرواديين
القوية، يقودها أريس وإنيو^(*) الرهيبه حيث جاءت
ومعها صخب الحرب (كيدويموس)، بينما أمسك أريس فى يده
برمح ضخم وأخذ يحوم أمام هيكتور ووراءه. وعندما لمح
٥٩٥ ديوميديس البارع فى صيحة الحرب أصابه الهلع؛ كان مثل رجل
يعبر واديًا فسيحًا توقف فى فرع عند النهر جارف
التدفق نحو البحر، حيث رآه يرغى بالزبد
فبدأ يتراجع. فحتى ابن تيديوس تراجع الآن وقال للحشود :
٦٠٠ "انظروا يارفاقى كيف كنا أقرب إلى التغلب على هيكتور الإلهى
وكنا نظنه رجلاً محاربًا بالرمح لا خوف منه، ولكن إلها ما يقف بجانبه
ويصد عنه الهلاك؛ إنه أريس على هيئة بشرى فان. فتراجعوا إلى
٦٠٥ الورا ووجهكم نحو الطرواديين دون أن تندفع فى الحرب ضد الآلهة"
بعد أن قال ذلك اقترب الطرواديين منهم بشدة، فقتل هيكتور
اثنتين من المقاتلين شديدي المراس فى النزال، وهما

(٦) فارن أعلاه بيت ٣٣٣. (المحور)

- ميتيسثيس وأنخيالوس. وكانا يمتطيان عربة واحدة.
- ٦١٠ فلما قُتلا حزن عليهما أياس بن تيلامون فاقترب منهما وأصاب
برمحه المتألق أمفيوس بن سيلاجوس
من سكان بايسوس. إنه رجل ذو مال وفير
وله من حقول الغلال الكثير؛ لكن القدر
- ٦١٥ ساقه حليفاً لبرياموس وابنائه. أصابه أياس التيلاموني
في خصره واستقر الرمح طويل الظل في أسفل بطنه،
فسقط وهو يصرخ صرخة مكتومة. وأسرع إليه أياس
المجيد ليجرده من أسلحته، ولكن الطرواديين
- ٦٢٠ قذفوه برماحهم المصنونة ذات البريق وصد درعه الكثير منها.
ولكنه ثبت قدمه على الجثمان وسحب الرمح البرونزي،
ولكنه لم يستطع نزع بقية سلاحه من
الكتفين، حيث تلقى الكثير من القذائف. كما أنه
كان يخشى المدافعين الطرواديين، فقد حاصره حشد من
- ٦٢٥ أشاوسهم برماحهم المشهورة، ومع أنه طويل القامة قوى البنيان،
إلا أنهم دفعوه للخلف؛ وتراجع إلى الوراء وتقهقر.
كان القتال على أشده وساق القدر العنيد تليبوليموس
بن هيراكليس (هرقل)، وهو رجل باسل
طويل القامة، لملاقاة ساربيدون شبيه الآلهة.
- ٦٣٠ وعندما اقتربا وتقدم كل منهما نحو الآخر، ابن زيوس جامع السحب
وحفيده، كان تليبوليموس البادئ بالحديث فقال :
"أى ساربيدون يا مسدى المشورة بين أهل ليكيا،
ما الذى أتى بك إلى هنا إلى أرض المعركة
وأنت لا تتقن فن الحرب؟ كذابون من يقولون إنك من نسل زيوس
حامل الدرع أيجيس. إذ أراك اليوم أقل شأنًا
من أولئك المحاربين الذين أنجبهم زيوس في

- الزمن القديم. يقولون إن هيراكليس (هرقل) المجيد أبى
 كان نوعاً آخر من الرجال، قوياً في القتال، له قلب
 ٦٤٠ أسد. وجاء إلى هنا ذات مرة طلباً لخيول
 لأوميدون، ولم يكن معه سوى ست سفن
 وعدد أقل من الرجال، ولكنه دمر مدينة إليوس
 وخرّب طرقاتها. أما أنت فجبان القلب
 وقليل حشدك. مجيئك من ليكيا لتدافع
 ٦٤٥ عن أهل طروادة بلا طائل، فأنت لست قويا، بل
 سأفهرك لتعبر بوابات هاديس".
 فأجابه ساربيدون قائد الليكيين قائلاً:
 "أى تليبوليموس، حقا إن أباك ذلك البطل الأشهر دمر إليوس
 المقدسة بسبب رعونة سيدها لأوميدون الذي
 ٦٥٠ أغلظ القول لمن قدم له جميلاً معروفاً
 ولم يعطه الخيول التي كان قد جاء من أجلها من بعيد.
 أما فيما يتعلق بك أنت، فأظن أن موتك ذلك المصير الأسود سيكون
 على يدي، وهزيمتك برمحي ستمنحني المجد
 ٦٥٥ وسترحل روحك إلى هاديس ذى الخيول الأصيلة."
 هكذا قال ساربيدون، وشهر تليبوليموس رمحه عاليًا، وانطلقت
 الرماح الطويلة من أيدي كل منهما صوب الآخر في لحظة واحدة.
 فأصابه ساربيدون في رقبته واخترقه الرمح
 وغطى ظلام الليل الحالك نور عينيه وأحاط به.
 أما تليبوليموس فضرب ساربيدون في فخذه الأيسر
 ٦٦٠ برمحه الطويل، ونفذ الرمح إلى العظم؛ لكن أباه
 كان لا يزال يصد عنه الموت. ثم قام رفاقه الطيبون
 بحمل ساربيدون شبيه الآلهة بعيدًا عن ساحة الوغى،
 وكان الرمح الطويل يتقله، لكن لم يلحظه أحد

- من الرجال في عجلتهم، ولم يفكر أحد في سحب الرمح من فخذ
 ٦٦٥ لكي يقف على قدميه؛ فقد استغرقتهم العناية به.
 وعلى الجانب الآخر، حمل الأخيون لابسو الدروع المتينة
 تليوليموس بعيدًا عن أرض المعركة، ولما علم أوديسيوس الإلهي
 ذو الروح الصبور بالأمر ثارت روحه بالغضب
 ٦٧٠ في داخله، وقلب في قلبه وروحه الفكرة ما إذا
 كان عليه أن يلاحق ابن زيوس مرسل الرعد المدوي،
 أم عليه أن يحصد أرواح المزيد من الليكيين،
 فلم يكن من العسير على أوديسيوس المغوار أن يقتل ابن زيوس
 ٦٧٥ الصنديد بسيفه البرونزي البتار؛ فحولت أثينة انتباهه
 إلى حشود الليكيين. ففتك بكل من كويرانوس والاستور وخروميوس
 وألكانديروس وهاليوس ونوثيمون وبريتانيس؛
 وكان بوسع أوديسيوس الإلهي أن يقتل
 ٦٨٠ المزيد من الليكيين، لكن هيكتور العظيم ذا الخوذة اللامعة
 رأى ذلك فشق طريقه نحو مقاتلي
 الصفوف الأولى المدججين بالسيوف البراقة
 فألقى الرعب في قلوب الدانائين، وفرح ساربيدون
 بن زيوس بقدمه وقال له كلمات تثير الشفقة:
 ٦٨٥ "يا ابن برياموس، لا تتركني راقدا هنا فريسة للدانائين، بل
 مد لي يد العون واحملي بعيدًا؛ وبعد ذلك إن أملت الضرورة دع روعي
 تفارقني في مدينتك، فلا أظن أنني سأعود
 إلى بلادي وإلى أرضي لأدخل السرور على
 زوجتي الحبيبة وطفلي الرضيع".
- ٦٩٠ هكذا قال، لكن هيكتور ذا الخوذة اللامعة لم يرد عليه، بل انطلق
 في لهفة وبكل سرعة ليطعن الأرجيين ويحصد
 أرواح الكثيرين منهم. ثم قام الرفاق الطيبون بمساعدة

- ساربيدون شبيه الآلهة على الجلوس تحت شجرة
بلوط من أشجار زيوس حامل الدرع أيجيس؛
٦٩٥ وسحب بيلاجون القوى والرفيق الحبيب الرمح من فخذة، فلم
تتحمل روحه وحط الضباب على نور عينيه.
ولكنه عاود التنفس مرة أخرى،
حيث هبت نسمة من ريح الشمال بورياس عليه وبعثت فيه الحياة
من جديد بعد أن كان قد لفظ روحه على نحو حزين.
- ٧٠٠ لم يول الأرجيون الأديار نحو السفن السوداء، أمام هجمة آريس
وهيكتور المدججين بالبرونز ولم يصمدوا في المعركة،
بل تراجعوا إلى الوراء عندما أدركوا أن آريس كان مع الطرواديين.
من كان أول من قتل ومن كان الأخير على يد هيكتور
٧٠٥ بن برياموس وآريس لابس البرونز؟ ثيوثراس شبيه الآلهة،
وبعده أوريسستيس قائد الخيول، وتريخوس رماح آيتوليا، وأويناموس
وهيلينوس بن أونوبس، وأوريسسيوس الذي كان يسكن في هولى على
بحيرة كيفيسيس^(*) يرعى ثروته. وكان يسكن معه
البويوتيون الآخرون ذوو الأرض الغنية.
- ٧١٠ وحين علمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض بهم وبما
أحدثوا من خراب بين الأرجيين في القتال الطاحن،
خاطبت أثينة بكلمات مجنحة :
"يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أى أتريتونى ! حقا كان
٧١٥ مدى أن أعطينا كلمتنا لمينيلأوس ألا يعود إلى بلاده حتى يدمر
إليوس متيعة الأسوار، إذا سمحنا هكذا لآريس اللعين
أن يعربد في غضبه المجنون. لنفكر نحن الاثنتين في عمل شجاع".
هكذا قالت ولم تتوان الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
٧٢٠ في تلبية رغبتها. ثم راحت هيرا، الملكة ابنة كرونوس ذى الجلال،

(*) كيفيسيس Kephisis كان الاسم القديم لبحيرة كوبايس Kopais في بويوتيا. (المحرر)

- تطوف هنا وهناك لتجهز الخيول ذات العصابات الذهبية،
 ووضعت هيبي بهمة العجلات البرونزية المقوسة
 ذات الثمانية برامق على محور العربة الحديدى.
 وكانت الحلقة المستديرة حول العجلة ذهبية لا تصدأ ولا تبلى
 ٧٢٥ يغطيها إطار برونزى، هكذا كان منظرها أعجوبة.
 أما صرر العجلات فضضية تلف على هذا الجانب وذاك؛
 وكان هيكل العربة مطليًا بالذهب وعروق الفضة،
 وتحيط به حافظان مزركشتان. ومن الهيكل خرج عمود فضى،
 ٧٣٠ ربطت هيبي فى طرفه النير الذهبى الجميل، ولفت حوله
 الأحزمة الذهبية البهيجة؛ وشدت هيرا
 الخيول السريعة إلى نير العربة، وكانت تواقفة إلى
 القتال وصيحات الحرب .
- أما أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس فقد تركت طيات رداؤها
 الفضفاض الناعم المطرز تتدلى على عتبات أبيها،
 ٧٣٥ ذلك الرداء الذى حاكته بيديها. وارتدت عباءة زيوس جامع السحب،
 وحشدت الحشود ذات الدروع متأهية لخوض معركة فتاكة
 وضعت على كتفها الدرع (أيجيس) ذا الذؤابات،
 إنه درع رهيب رسم عليه إله الرعب (فوبوس)
 ٧٤٠ وربة الشقاق إريس، وإلهة القوة ألكى، وربة الهجوم بوكى
 التى تجمد الدم فى العروق. وعليه رسم رأس
 الجورجونة(*) الرهيب معجزة زيوس حامل الدرع أيجيس.
 وضعت على رأسها الخوذة ذات القرنين، وبها
 أربع عقد من الذهب وعليها رجال مدججون بالسلاح

(*) الجورجونة (Gorgo(n):

ومعناها الحرقى "المشجومة". ويحدث هوميروس عن ثلاث جورجونات هن: يوربال (Euryale) وسينو (Stheino) وميدوسا (Medusa) والأخيرة هى أشهرهن، وهى المنقوشة على درع أثينة، وكانت تحول من ينظر إليها إلى حجر.

- من مئة مدينة. ثم امتطت العربة النارية
 ٧٤٥ وأمسكت برمحها الطويل القوى الضخم، الذي
 به تشتت صفوف المحاربين ممن
 تصب جام غضبها عليهم، فهي ابنة الإله الجبار.
 لمست هيرا الخيول بالسوط وصرخت في حراسات
 بوابات السماء هوراي القائمت على حراسة مدخل
 ٧٥٠ نسماء الأورنيمبوس، حيث يفتح السحب الكثيفة
 أو يغلقها. وقادت هيرا وأثينة خيولهما المدفوعة بالمنخاس
 عبر البوابات التي تتحرك ذاتياً وتصدر صريراً. ووجدت الإلهتان ابن
 كرونوس جالسا في خلوة بعيداً عن سائر الآلهة على قمة جبل
 ٧٥٥ الأوليمبوس كثير القمم. فأوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض
 الخيول وسألت زيوس الأعلى ابن كرونوس قائلة :
 "أى زيوس الأب، ألا تغضب على آريس بسبب أفعاله
 العنيفة المشينة ؟ لقد حطم الكثيرين من الأخيين دون هوادة ودون توقف
 فسبب الحزن الشديد لى. وفي نفس الوقت فإن كييريس (القبرصية)
 ٧٦٠ وأبوللون ذا القوس الفضى يجلسان فى هدوء ويستمتعان
 وقد تركا هذا المجنون يعيث قتلاً ودون مراعاة لأية أصول
 وقواعد. أى زيوس الأب، ألن تغضب منى إن طعنت آريس
 طعنة مؤلمة وأبعدته عن أرض المعركة ؟"
 فرد زيوس جامع السحب قائلاً :
 ٧٦٥ "لا، بل ثورى عليه يا أثينة يا جالبة الأسلاب
 فأنت وحك التي تنزلين به العقاب الموجع".
 هكذا قال ولم تتوان هيرا الإلهة ذات الذراع
 الأبيض فى الانصياع لأمره. ولمست خيولها بالسوط؛ فطارت فيما بين
 الأرض والسماء ذات النجوم. وخيول الآلهة ذات الصهيل
 ٧٧٠ المدوى تتطلق إلى أبعد مما تراه عين إنسان يجلس على صخرة

- ويحلق في بحر لجى مظلم، هكذا طارت خيول
السما رافعة رعوسها وراكضة بخطى واسعة.
فلما وصلت إلى أرض طروادة وحيث يلتقى النهران المتدفقان سيمونيس
وسكامندروس، أوقفت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض خيولها
وفكتها من العربية بينما صنع سيمونيس الأمبروسيا وألقاه
غذاء طيباً عند أقدامها، وألقّت هيرا عليها ضباباً كثيفاً.
٧٧٥ ثم تقدمت الإلهتان مثل حمامتين رعاشتين في لهفة لتقديم
العون للمحاربين الأرجيين. وعندما وصلتا
إلى حيث يلتف أقوى الرجال وأشجعهم حول
٧٨٠ ديوميديس العتيد مروض الخيول، كأنهم
أسود ضارية أو خنازير برية لا تضعف قوتها، وقفت هيرا الإلهة
ذات الذراع الأبيض وصاحت كأنها ستنتور
٧٨٥ المغوار ذو الصوت النحاسي الذي يعلو صوته
على صوت خمسين رجلاً وقالت :
"العار عليكم أيها الأرجيون، فأنتم جديرون بالتوبيخ، إذ تبدون
الجمال في الظاهر فقط ! طالما كان أخيليوس الإلهي يخوض الحرب
بشغف لم يتقدم الطرواديون إلى خارج البوابة الداردانية،
فهم يخشون رمحه الجبار؛ وأما الآن فهم يقاتلون بعيداً
٧٩٠ عن المدينة، في السفن المجوفة نفسها".
هكذا قالت فقوت الروح داخل كل رجل.
وظهرت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء
إلى جانب ابن تيديوس. حيث كان ذلك الملك بجانب
٧٩٥ خيوله وعربته يضمم الجرح الذي أصابه به بانداروس
بسهمه. وكان العرق يضايقه تحت حزام
درعه المستدير؛ تضايق من ذلك وشعر بالإرهاق في ذراعه،
لذا فقد كان يرفع الحزام ليمسح الدم الداكن. فشددت

الإلهة عنان جواديه وخاطبته قائلة:

- ٨٠٠ "حقاً لقد أنجب تيديوس ابناً قصير القامة مثله. كان تيديوس
قصير القامة، لكنه كان محارباً عنيداً وحتى حين لم أمره أن
يقاوم أو يتفوق على غيره، عندما أتى وحده دون أن يصحبه
أى أخى إلى طيبة رسولا وسط حشود الكادميين - حيث
٨٠٥ أقمت له وليمة في قاعاتهم ليتناول الطعام في أمان - كان بروحه
الوثابة يتحدى شباب الكادميين ويغلبهم
في كل شيء بسهولة؛ لذا كنت في عونه دائماً. أما أنت
فإنى أقف بجانبك وأحميك وبكل قلبى أمرك بقتال الطروليين،
فإما أن تكون أوصالك قد أنهكت من الهجمات الكثيرة
٨١٠ وإما أن يكون الرعب قد تملكك فأنت رعديد.
أنت لست من نسل تيديوس بن أوينيوس الصنديد".
رد ديوميديس قائلاً :
- "أنا أعرفك يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس؛
٨١٥ لذا فإنى سأكشف لك عن مكنون قلبى ولن أخفى عنك شيئاً.
فلا الخوف يتملكنى ولا التفاعس يقعدنى، ولازلت
على المهمة التى عهدت بها إلى محافظاً. فما
كنت لتسمحى لى أن أقاتل وجهاً لوجه
٨٢٠ الآلهة المباركين الآخرين. ولكن أفروديتى ابنة زيوس
دخلت المعركة فكان على أن أصيبها بسيفى المسنون
لذا فقد تراجعت الآن وأمرت بقیة
الأرجيين بالتجمع هنا؛ حيث علمت
أن أريس يسيطر على ساحة الوغى".
- ٨٢٥ ردت الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء قائلة :
- "أى ديوميديس بن تيديوس، يا حبيب قلبى،
لا تخش أريس ولا أحداً آخر من الخالدين، فما جئت إلا فى عونك

- انهض وقد خيولك ذات الحافر الواحد لتواجه آريس، التحم معه وأصبه.
 ٨٣٠ لا تخف من آريس المجنون في غضبه مثير الرعب هنا،
 إنه حقًا مجنون وغير مأمون. إذ سبق أن تحدث إليّ أنا وهيرا
 ووعد بأن يحارب الطرواديين وأن يؤيد الأرجيين،
 ٨٣٥ إلا أنه يتحالف مع الطرواديين مخلفًا وعده".
 هكذا قالت وجذبت بيديها سثينيلوس وأطاحت به من فوق العربة
 إلى الأرض، فزحف هاربًا على وجه السرعة؛ وامتطت العربة
 بجانب ديوميديس الإلهي؛ إلهة تتلطف إلى خوض القتال. وأحدث
 محور العربة المصنوع من خشب البلوط صريرًا عاليًا تحت وطأة
 ٨٤٠ هذا النقل الإلهي، فقد كان يحمل إلهة رهيبة ومحاربا هو أفضل الرجال.
 وقبضت باللاس أثينة على السوط والعنان وقادت على وجه السرعة
 الخيول ذات الحافر الواحد صوب آريس.
 وكان آريس قد قتل بيريفاس الضخم ابن أوخيسيوس
 وقد كان أنبل أهل آيتوليا، كان آريس للفتاك ينزع عنه الأسلاب.
 ٨٤٥ وضعت أثينة على رأسها غطاء هاديس حتى لا يراها آريس شديد
 البأس. وعندما أدرك آريس مهلك البشر الفانين وجود
 ديوميديس الإلهي ترك بيريفاس الضخم يرقد حيث كان،
 قد قتله، وانتزع منه الروح، وتوجه إلى ديوميديس
 ٨٥٠ مروض الخيول. وعندما اقترب كل منهما من الآخر،
 كان آريس البادئ بمهاجمة نير الخيول وعنانها برمحه
 البرونزي ليقتضى على حياة الآخر. بيد
 أن الإلهة أثينة ذات العيون الزرقاء أمسكت
 الرمح المقذوف بيدها، وألقت به من فوق العربة ليذهب بعيدًا وسدى.
 ٨٥٥ ثم هجم ديوميديس البارع في صيحة الحرب على آريس برمحه
 البرونزي، وأمدته باللاس أثينة بالمزيد من السرعة في انطلاقه
 إلى أسفل بطنه المطوق بالأحزمة.

- فأصابه الرمح وهتك جلده الجميل وغاص.
صرخ آريس الرهيب صرخة مدوية تعادل صرخة تسعة
آلاف أو عشرة آلاف محارب ملتحمين
٨٦٠ في معركة إله الحرب الشرسة. حينئذ ارتعد
الآخيون والطرواديون على حد سواء
وتملكهم الخوف. هكذا صرخ آريس، الذي لا يشيع أبداً
من خوض الحرب، صراخاً مدوياً.
ومثلما يحدث عندما تبدو بقعة ظلام أسود بين السحب حيث
هبّت ريح عاتية بعد شدة الحر،
٨٦٥ هكذا ظهر لديوميديس بن تيديوس، أن آريس الرهيب
بين السحب نحو السماء العريضة. وسرعان ما بلغ
مقر الآلهة فوق الأوليمبوس الشاهق،
وجلس بجوار زيوس بن كرونوس حزينا وعرض عليه
الدم الإلهي النازف من جرحه، وخاطبه باكياً بكلمات مجنحة فقال :
٨٧٠ "أى زيوس أبى، ألا يثير حنقك أن ترى هذه الأفعال الشنيعة ؟
فحن الآلهة نقاسى الويلات من تدبير بعضنا
ضد بعضنا الآخر فى حين نسدى للبشر كل معروف
نحن جميع الآلهة فى حرب عليك، لأنك أنجبت هذه البنت المجنونة
٨٧٥ المدمرة التى تفكر دوماً فى أفعال مخلة بالقانون.
نحن كل الآلهة الآخرين فوق الأوليمبوس نطيعك ونخضع لك،
أما هى فلا تعترض عليها لا بالقول ولا بالفعل؛
بل تشجعها لمجرد أن هذه الفتاة المدمرة هى ابنتك.
٨٨٠ والآن ها هى قد أطلقت ديوميديس بن تيديوس الجسور
لكى يصب جام غضبه على الآلهة الخالدين . فأصاب
كبيريس (القبرصية) أولاً بطعنة فى يدها عند الرسغ فى
التحام مباشر. ثم هاجمنى أنا نفسى وكأنه إله

- ٨٨٥ ولولا أن قدمي السريعة حملتني بعيداً عنه
لطلت معاناتي وسط أكداس الموتى، أو
لعضت للأبد جريحاً بسبب طعنات رماحه".
فألقى زيوس جامع السحب بنظرة غاضبة عليه قائلاً :
'لا تجلس إلى جوارى وتبكي أيها المارق.
٨٩٠ فأنا أمقتك أكثر من أي واحد من آلهة الأوليمبوس،
أنت تحب القتال والحروب والنزال أكثر من أي شيء آخر،
فلك روح أمك هيرا؛ المتسلطة والتي لا تحتمل، فلا
أستطيع أن أكبح جماحها بكلامي إلا
٨٩٥ بالكاد. ويبدو لي أنك تعاني ما تعاني بسبب ما تشير هي به عليك
ومع ذلك فلن اسمح بعد الآن أن تتألم
فأنت ولدي، وحملت بك أمك من أجلى أنا،
ولو كنت ابن أي إله آخر وارتكبت ما ارتكبت من
أفعال مأكرة لطردتك إلى مكان آخر أدنى من مقر الآلهة"
٩٠٠ هكذا قال وأمر بايون بعلاج إصابته؛ فنثر بايون
عليها أعشاباً تقتل الألم وشفاه، فهو بحق من الخالدين . فشفى
أريس النائر بسرعة كما تجعل عصارة التين اللبن
يزداد كثافة، وسرعان ما يتخثر
٩٠٥ بتقليبه. وقامت هيبى بغسل جسده وكسته بتياب
جميلة وأجلسته بجانب زيوس بن كرونوس
فرحا بمجده. ثم أسرعت هيرا الأرجية
وأثينة الألكومينية إلى قصر زيوس العظيم
٩٠٩ بعد أن أوقفنا أريس مهلك البشر الفانين عن قتل البشر

الكتاب السادس



ترجمة أحمد عثمان

- هكذا ترك الآلهة ساحة القتال الفناك بين الطرواديين والآخيين،
وكثيراً ما مالت كفة المعركة على الوادى لهذا الجانب أو ذاك.
حيث صوب كل من الطرفين رماحه برونزية الأسنة إلى
الطرف الآخر، فيما بين النهرين سيمونيس وكسانثوس.
٥ وكان أياس بن تيلامون حصن الآخيين أول من اخترق
فرقة من الطرواديين، وأتى بنور الخلاص لرفاقه. فقد
أصاب أفضل رجل بين الطراقيين، أكاماس بن يوسوروس،
وهو رجل باسل طويل القامة. أصابه في قرن خوذته
١٠ ذات الذؤابة الخصلة من شعر الحصان، فاخترق الرمح جبينه
بل نفذ السن البرونزى مخترقاً العظام، وهبط الظلام على
نور عينيه. وقتل ديوميديس البارح في صيحة الحرب
أكسيلوس بن تيوتراس الساكن في أريسي المحكمة البناء،
وهو رجل ثرى يحبه كل الناس؛ فكان يسكن بيتاً على الطريق
١٥ وأظهر كرم الضيافة للجميع.
- لكن من هؤلاء لم يظهر أحد أمامه ليصد عنه العدو ويحميه
من الموت المفجع. فسلب ديوميديس حياة اثنين، حياة الرجل نفسه
وحياة تابعه كالبيسيوس قائد العربة، فطوت الأرض كليهما.
٢٠ ثم قتل يوربالوس دريسوس وأوفيلتيوس
وظل يلاحق آيسيبوس وبيداسوس اللذين حملت بهما
أبارباري عروس الماء من بوكوليون، الذى لا
قرين له. إذ إن بوكوليون هو الابن البكر للملك الجليل لاؤميدون،
حيث حملت به أمه دون زواج. فبينما كان بوكوليون يرعى
٢٥ قطعانه فوق التلال طارح عروس الماء عذب الغرام، فحملت
وولدت التوام (أيسيبوس وبيداسوس). وقام الآن ابن
ميكبستيوس بإخضاع مفاصلهما القوية والمجيدة للموت

ونزع الدرع عن كتفیهما.

- ٣٠ وقتل بوليبيوتيس المحارب العتيد أستياأوس .
 وفي تلك الأثناء قتل أوديسيوس برمحه
 البرونزي بيدوتيس من بركوتى^(*). وقتل نيوكروس
 أريتاون الإلهي. وقتل أنتيلوخوس بن نيستور برمحه اللامع
 أبليروس. وأما ملك الرجال أجامنون فقتل إلاتوس الساكن
 في بيداسوس المنحدرة على ضفاف سانتياويس جارف المجري
 ٣٥ وقتل البطل ليثيتوس فيلاكوس وهو يولي الأديار أمامه،
 وقتل يوريبيلوس ميلانثيوس.
 أما أدراستوس فقد أسره حيا مينيلأوس البارغ في صيحة الحرب.
 ذلك أن خيوله التي كانت تطير بوحشية فوق السهل
 ٤٠ تعثرت في فروع شجرة الطرفاء، وتحطمت العربية
 المقوسمة عند طرف العمود، ثم مضت الخيول مسرعة في
 اتجاه المدينة كما كان يفعل الآخرون، وقد أصابهم جميعا الهلع.
 لكن صاحبها قذف به من العربية، فانكفا على وجهه فوق التراب
 بجوار العجلة. فاقترب منه مينيلأوس بن أتريوس
 ٤٥ ووقف بجانبه شاهرا رمحه طويل الظل. ثم احتضن
 أدراستوس ركبتيه وتوسل إليه قائلاً :
 "لتأسرنى حيا يا ابن أتريوس، ولتأخذ فدية ضخمة؛
 ففي قصر أبي الثرى خزائن المال الوفير :
 برونز وذهب وحديد مطروق في عدة أشكال.
 سيدفع لك أبي منها فدية لا تعد بمجرد أن يسمع بأني
 ٥٠ لازالت على قيد الحياة فوق سفن الآخيين".
 هكذا كانت توسلاته محاولاً أن يستدر العطف من قلب الآخر،

(*) مدينة على بحر مرمرية أي هيليسيونطوس. (الحرر)

وأوشك بالفعل مينيلائوس أن يسلمه لتابعه ليسوقه إلى سفن الآخيين
السريعة، لولا أن جاء أجاممنون يجرى وصرخ قائلاً :

٥٥ "أى مينيلائوس ذا القلب الرهيف، لم تعباً هكذا بأمر الرجال ؟
هل كان الطرواديون يتصرفون بنبل هكذا فى بيتك ؟

لا تدع أحداً منهم يفلت من الهلاك التام، ولا حتى الجنين
فى بطن أمه، لا تدعه يفلت من أيدينا الفئাকে. بل دعهم جميعاً
٦٠ أبناء إليوس يهلكون معاً، ويختفون للأبد دون عزاء أو رثاء".

هكذا قال البطل فأقنع أخاه بالتخلى عن عزمه،
فقد نصحه بالجزاء الوفاق، فدفع المحارب أدراستوس بيده.
وعندئذ طعنه أجاممنون السيد فى جنبه فسقط أدراستوس على ظهره،
٦٥ وداس ابن أتريوس بقدمه على صدره وسحب الرمح الرمادى.

ثم أطلق نيستور صيحة مدوية ونادى على الأرجيين قائلاً :
"أحيائى المحاربين الداناتيين سدة آريس، لا تدعوا أحدكم
يتخلف إلى الوراء طمعاً فى الغنائم، لكى يعود إلى السفن
٧٠ حاملاً أنفسها. لا، دعونا الآن نقلت الرجال؛ وبعد ذلك
ستجمعون الأسلاب من الجثث الملقاة فوق الوادى".

هكذا كان حديثه، فبث القوة فى روح كل رجل.
وكاد الطرواديون يدحرون مرة أخرى على يد الآخيين،
أحياء آريس، إلى إليوس، كادوا يهزمون بسبب ضعف إقدامهم،
٧٥ لولا أن جاء هيلينوس بن برياموس أفضل من يتكهن
بالمستقبل إلى آينياس وهيكتور وقائلاً:

"أى آينياس وهيكتور إن عبء هذه الحرب يقع على عاتقكما
أكثر من الطرواديين الآخرين والليكيين، فأنتما الأفضل
فى الحرب وفى الرأى. فتمسكا بموقعكما وطوفا هنا وهناك
٨٠ بين الحشود، تثبتوا الصفوف أمام بوابات المدينة، لكى لا يرتدى

- رجالنا فى أحضان زوجاتهم ويصبحوا أضحوكة أمام أعدائهم.
 أما إذا غرستم الشجاعة فى كل فرقنا، سنصمد
 ونقاتل الدانائيين، وإن أنهكنا القتال. فالضرورة
 تملى علينا ذلك. أما أنت يا هيكتور فاذهب إلى المدينة
 ٨٥ وتحدث إلى أمك وأمي (هيكابي) واطلب منها أن تجمع
 الزوجات العجائز فى معبد أثينة ذات العيون الزرقاء فى
 داخل القلعة، وعندما تفتح أبواب المعبد المقدس، ستجد
 رداءً يبدو أنفوس وأجمل شىء فى القاعة، فلتضعه على ركبة
 ٩٠ أثينة جميلة الشعر، وتندر نذراً بأن تذبح فى معبدها اثنى عشر
 عجلًا عمرها سنة واحدة، ولم يلمسها مهماز بعد، إذا أشفقت الإلهة
 على المدينة والطرواديات وأطفالهن الصغار. لتتوسل إليها
 ٩٥ أن تبعد ابن تيديوس الرهيب حامل الرمح الوحشى
 أعتى المحاربين الآخيين، ليبعد عن إليوس المقدسة.
 فحتى أخيليوس مسيد الرجال الذى يقال إنه ابن إلهة لا نخشاه
 بالقدر نفسه، فهذا الرجل يعيث غضبا بما يفرق الحد، ولا
 ١٠٠ أحد يباريه فى القوة".
- هكذا أنهى حديثه ولم يتوان هيكتور فى الأخذ بنصائح أخيه.
 فعلى الفور قفز من عربته إلى الأرض بكامل عدته
 وشاهراً رمحيه المسنونين، وطاف هنا وهناك فى كل
 اتجاه عبر الحشود محرضاً على القتال؛
 ١٠٥ فزاد المعركة صخباً. تكتلوا واتخذوا مواقعهم وولوا
 وجوههم شطر الآخيين، فتقهقر الأرجيون وأمسكوا
 عن القتال؛ وقد ظنوا أن أحد الخالدين
 هبط من السماء ذات التجوم، ليقدم
 ١١٠ للطرواديين المدد. لذا فقد اشتد هجومهم. وأطلق هيكتور صيحة
 مدوية وحث الطرواديين قائلاً :

- "أيها الطرواديون الأشاوس وأيها الحلفاء ذاتعي الشهرة،
كونوا رجالاً يا أحبائي، وفكروا في عنفوان قوتكم الهادرة،
إني ذاهب في التو إلى إليوس للقاء الكبار أصحاب المشورة،
وكذا زوجاتنا لكي يتضرعن للآلهة بتقديم نذور الأضحيات الفخمة". ١١٥
- هكذا تحدث، ومضى هيكتور ذو الخوذة اللامعة
فلامس درعه المصنوع من جلد الثور الأسود كاحله،
وكذا لامسته عند العنق الحافة المحيطة بالدرع.
- اشتبك جلاوكوس بن هيپولوخوس مع ابن تيديوس فيما
بين الجمعين، إذ كان كل منهما متلهفاً على الفزال. وعندما تقدم
كل منهما من الآخر وتقاربا، كان ديوميديس البارع في
صيحة الحرب البادىء بالحديث صائحاً:
- "من أنت بين البشر الفانين أيها المحارب القوي ؟
فأنا لم أرك قبل اليوم قط في معركة، حيث يصيب
الرجال الشهرة، وأراك الآن وقد تفوقت على الجميع
جرأة وإقداماً، فما أنت تصمد لرمحي طويل الظل. ويالهم
من تحساء أولئك الآباء الذين يواجه ابناؤهم قوتي. أما
إذا كنت أحد الخالدين وهبطت علينا من السماء، فلا قبل
لي بقتال آلهة السماء. حتى ليكورجوس بن درياس الجبار
لم يعش طويلاً، إذ دخل في صراع مع آلهة السماء. حيث
طارذ ذات مرة مرضعات ديونيسوس مجنوناً فوق تلال
جبل نيسا المقدس؛ فسقطت الأغصان - الصولجانات
المقدسة من أيديهن على الأرض، بعد أن أصابهن
ليكورجوس قاتل الرجال بمهماز الثور. بيد أن ديونيسوس
قد لاذ بالفرار وغاص تحت لجة البحر، فتلقفته تيتيس
بالأحضان. كانت فرائصه ترتعد، حيث تملكه الهلع

- بفعل صيحات ليكورجوس. فغضبت الآلهة المقيمة دومًا
 في النعيم على ليكورجوس، وأصابه ابن كرونوس بالعمى.
 ١٤٠ ولم يعيش طويلًا حيث صار كريبًا لدى جميع الآلهة الخالدين.
 لذلك لا أدخل في صراع مع الآلهة المباركين. أما إذا كنت
 من البشر آكل ثمار الأرض فلنقترب، حتى تدخل على
 وجه السرعة سراديب الفناء"
 فرد عليه ابن هيبولوخوس المجيد قائلاً :
- ١٤٥ "يا ابن تيديوس ياسامى الروح، لم تسأل عن نسبي ؟
 فأجيال البشر مثل أجيال أوراق الشجر. تعصف الرياح ببعض
 الأوراق وتلقيها على الأرض، ولا تلبث الغابة أن تزهر
 وتتبت غيرها بحلول موسم الربيع. كذلك البشر، يزدهر
 جيل ويتوارى جيل آخر. ومع ذلك فلنسمع إن شئت،
 فلعلك تعرف شجرة نسبي حق المعرفة؛ وكثيرون يعرفونها.
 ١٥٠ هناك مدينة إفيرى فى ركن من أرجوس، مرعى الخيول
 ومرتعها، وبها يسكن سيسيفوس أبرع الرجال، سيسيفوس
 بن أبولوس؛ وقد أنجب ولداً هو جلاوكوس؛ الذى بدوره
 أنجب بيلليروفونتييس وهو من لا تشوبه شائبة. وقد وهبته
 ١٥٥ الآلهة الحسن والرجولة المرغوبة؛ لكن برويتوس كان
 يضمم له فى قلبه شراً حيث اعتبر نفسه الأقوى منه
 بكثير، وطرده من أرض الأرجيين، لأن زيوس كان
 قد أخضعهم لسلطانه. وكان بيلليروفونتييس قد شغف أنتيا - زوجة
 برويتوس رائعة الجمال - حباً إلى حد الجنون، واشتهت أن تقيم
 ١٦٠ معه علاقة عشق سرية. لكنها لم تستطع أن تغوى بيلليروفونتييس،
 إذ كان قلبه مستقيماً. فحاكت مكيدة وقالت للملك برويتوس:
 "إما أن تموت أنت يا برويتوس أو تقتل بيلليروفونتييس، لأنه كان
 ١٦٥ يريد أن ينال منى غصباً".

- هكذا قالت فاستبد الغضب بالملك لسماعه
القصة، ولم يشأ قتل بيليروفونتييس، لأن قلبه لم يطارعه فى ذلك.
ولكنه أرسله إلى ليكيا وأعطاه علامات مميتة، رموزاً محفورة على لوح
مطوى وأمره بعرضها على والد زوجته (أنتيا) لعله يهلك. شق طريقه ١٧٠
إلى ليكيا بصحبة الرعاية الإلهية التى لا نظير لها. فلما بلغ ليكيا
ونهر كسانثوس، أكرمه ملك ليكيا الشاسعة، واستضافه
بسخاء لمدة تسعة أيام وذبح له تسعة ثيران.
فلما طلع الفجر الوردى العاشر، سأله وطلب منه أن يريه ١٧٥
العلامة التى حملها معه من زوج ابنته أى برويتوس. وعندما
تسلم منه العلامة الشريرة أمره أولاً بقتل خيمايرا التى
لا تقهر. وهى من سلالة إلهية لا بشرية، فالجزء الأمامى
منها على هيئة أسد والخلفى أفعى والأوسط عنزة أو ١٨٠
خيمايرا، تتنفس فيخرج زفيرها نيراناً مرعبة.
قتلها بيليروفونتييس بناءً على توجيهات الآلهة.
وبعد ذلك شن حرباً على السوليمينين^(*) المتوحشين
فكانت - على حد قوله - أشرس معركة خاضها. أما
المغامرة الثالثة فهى أنه قتل الأمازونات، الشرسات أنداد ١٨٥
الرجال. وفى رحلة العودة من هذه المغامرات، دبر الملك
له خدعة أخرى مأكرة، فاختار من ليكيا الشاسعة أقوى
رجالها فنصبوا له كميناً. لكن هؤلاء لم يعودوا إلى ديارهم،
فقد قضى عليهم عن آخرهم بيليروفونتييس الذى لا ند له. ١٩٠
وعندما أدرك الملك أنه من نسل إلهي، حرص على أن
يستبقه هناك ورهبه ابنته زوجاً، واقتسم معه مناصفة أبهة
الملك. وما كان من الليكيين إلا أن منحوه ملكية أرض

(*) السوليمون Solymoi يقال إنهم بحوار ليكيا وعند هيرودوتوس (1. 173) يدور أنهم من الأمم التى اختفت.

(المحرر)

- ١٩٥ شاسعة بها كروم وأرض محروثة تحمل ثمار الفاكهة. وولدت الزوجة لبيليروفونتيس ثلاثة أطفال هم إيساندروس وهيبولوخوس ولاؤداميا. وضاجع زيوس صاحب الرأي السديد ابنته لاؤداميا، فأنجبت له ساربيدون شبيه الآلهة المحارب لابس الدرع البرنزي. عندئذ صار بيليروفونتيس موضع حسد جميع الآلهة، فهام على وجهه وحيداً شريداً في وديان أليا يلتهم روحه كمدأ، مجتنباً طريق البشر. وقتل ابن إيساندروس على يد آريس الذي لا يشبع من القتال، إذ شن حرباً على السوليميين المتوحشين.
- ٢٠٠ وقتلت أرتيميس ذات الأعنة الذهبية ابنته لاؤداميا تقمة عليه. وأنجبنى هيبولوخوس، وإنى لأعلن أنى من صلبه؛ وهو الذى أرسلنى إلى طروادة وكلفتى أن أبز كافة المحاربين الآخرين إستبسلاً وقتالاً، وألا أجلب العار على سلالة آبائى، وقد كانوا أفضل الرجال فى إفيرى وليكيا الشاسعة.
- ٢١٠ هذا هو النسل والدم الذى أعلن أنى أنحدر منهما".
- هكذا قال وسر ديوميديس البارع فى صيحة الحرب. فغرس رمحه فى الأرض الثرية بنباتاتها وبكلمات ودودة خاطب راعى الشعوب قائلاً :
- ٢١٥ "حسناً فأنت كما أرى الآن صديق لبيت الآباء من قديم الزمان. لقد أكرم أوينيوس الإلهى ذات مرة ببيليروفونتيس الذى لا قرين له فى قاعاته واستبقاه عشرين يوماً. كما تبادلنا هدايا الصداقة الجميلة، فقدم له أوينيوس حزاماً لامعاً باللون القرمزى، وأعطاه ببيليروفونتيس كأساً ذهبياً
- ٢٢٠ ذا مقبضين، تركته فى قصرى عندما رحلت إلى هذا المكان. ولكنى لا أتذكر تيديوس جيداً، فقد كنت مجرد طفل صغير عندما رحل، حين هلك جيش الأخيين فى طيبة. لذا فلاأكن

- مضيفاً وصديقاً ودوداً لك في قلب أرجوس، ولتكن أنت
 بالنسبة لي في ليكيا كذلك في أي وقت قد أصل فيه
 ٢٢٥ إلى أرض هؤلاء القوم. لذا دع كل منا يتجنب رمح الآخر
 حتى وسط هذا الجمع؛ فلدى الكثيرون المرموقون من الطرواديين
 وحلفائهم لكي أقتلهم، إذا ما مكنتى الإله وقدمائى
 منهم. وهناك كثرة من الآخيين قد تقتلهم أنت بقدر ما تملك
 ٢٣٠ من قوة. دعنا نتبادل أسلحتنا حتى يعلم الناس جميعاً أننا
 أحيينا وأعلننا صداقتنا الموروثة منذ أيام الآباء."
- وما أن انتهى من الحديث حتى نزلا من العربات وتصافحا
 وتعهدا على الوفاء. وعلى هذا النحو يكون زيوس بن كرونوس
 قد حرم جلاوكوس حسن التقدير، لأنه تبادل الأسلحة
 ٢٣٥ مع ديوميديس بن تيديوس، فأخذ البرونز مقابل الذهب
 واستبدل ما يساوى تسعة ثيران بما يساوى مئة ثور.
- فلما وصل هيكتور إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط
 أقبلت عليه زوجات الطرواديين وبناتهم يسألن عن ابنائهن
 وإخوتهن وأحبائهن وأزواجهن. فأمرهن بالابتهاال
 ٢٤٠ للآلهة كل بدورها. ولكن سحابة الحزن غطت كثرة منهن.
 فلما بلغ قصر برياموس الجميل بأبهائه ذات الأعمدة الصقيلة
 وبه خمسون حجرة بنيت بالحجر المصقول وكل حجرة
 ٢٤٥ بجوار الأخرى، حيث إعتاد أبناء برياموس أن يناموا بجوار
 زوجاتهم. وعلى الجانب الآخر كانت اثنتا عشر
 حجرة بنيت بالحجر المصقول كل حجرة بجوار الأخرى؛
 حيث كان أزواج بنات برياموس ينامون مع زوجاتهم ذرات
 ٢٥٠ الحياء. أقبلت أمه وافرة العطاء لتقابله وفي معيتها لاؤديكى
 أجمل بناتها وأكثرهن بهاء؛ احتضنته بيدها وخاطبته بقولها:

- لم تترك المعركة حامية الوطيس يا ولدى وجئت إلى
هنا ؟ لا بد أن أبناء الأخيين - ملعونى الاسم - يضيّقون
٢٥٥ عليك الخناق إذ يشعلون الحرب حول مدينتنا، فحدثك قلبك
أن تأتى هنا لكى ترفع يد الضراعة لزيوس من فوق القلعة.
انتظر فسأحضر لك نبيذاً معسولاً لكى تسكبه فى البداية
٢٦٠ قرباناً لزيوس الأب والخالدين، ثم إن النبيذ سيكون مفيداً لك
إذا رشفت منه، إذ يستعيد للرجل قواه إذا ما أنهكه التعب.
فأنت مرهق، إذ تخوض غمار الحرب دفاعاً عن ذوك"
فرد عليها هيكتور البطل العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:
"لا... لا تحضرى النبيذ المعسول يا أمى المبهجة، فقد
٢٦٥ تجعلينى أقعد، فأتقاعد وأنسى قوتى وبأسى، ثم إننى أتورع
أن أسكب النبيذ المتوهج قرباناً لزيوس بيدي غير المغسولة.
ولا يليق أن يبتهل المرء لابن كرونوس جامع السحب السوداء
وقد دنسه الدم والقدر. فلتنهبي أنت بالقرايين إلى معبد
٢٧٠ أثينة جالبة الغنائم، ولتأخذى معك الزوجات العجائز.
وضعى الرداء الذى ترين أنه الأجل والأوسع فى القاعة
والأعز لديك، ضعيه على ركبة أثينة ذات خصلات
الشعر الكثيف والجميل. وانذرى لها أن تنبحى فى معبدها
٢٧٥ اتى عشر عجلًا لم يلمسها مهماز بعد، إذا أشفقت على طروادة
وزوجات الطرواديين وأطفالهن الصغار، وأبعدت ابن تيديوس
ذلك المحارب الشرس عن إليوس. فاذهبي إلى معبد أثينة جالبة
الغنائم وسأذهب أنا بحثاً عن باريس لكى استدعيه، فلعله يسمع
٢٨٠ كلامى هذه المرة عن طيب خاطر. فلکم أتمنى أن تتشق الأرض
وتبتلعه ! فقد رباه سيد الأوليمبوس ليكون وبالاً على الطرواديين
وعلى برياموس سامى الروح وعلى أبناء برياموس.
وكم أتمنى أن أراه وهو يهبط إلى مقر هاديس

عندئذ قد أقول إن قلبي قد نسي أجزائه تماماً".

- ٢٨٥ هكذا كان حديثه، فذهبت هي إلى القاعة، وأمرت وصيفاتها
أن يجمعن الزوجات العجائز من أرجاء المدينة. أما الملكة نفسها
فقد نزلت إلى خزانة الكنوز ذات القباء حيث أودعت
ملابسها فاحشة التطريز والثراء، إذ أتقنت صنعها نساء صيدا
اللائي كان ألكسندروس (= باريس) نصف الإله قد جلبهن
من صيدا حين مخر عباب البحر الشاسع في رحلة عودته
٢٩٠ (إلى طروادة) بهيليني رفيعة النسب. انتقت هيكاىي واحداً
منها وقدمته قرباناً لأثينة؛ كان هو الرداء الأجل في تطريزه
والأوسع، كما كان يقع خلف كل الثياب. وكان يلعب كأنه
٢٩٥ نجم في الظلماء. التقطته وانطلقت، وحشد الزوجات العجائز
في أعقابها. فلما بلغن معبد أثينة فوق القلعة، فتحت الأبواب
لهن ثيانو ذات الخدود الجميلة - ابنة كيسييس
وزوجة أنتينور مروض الخيول - وكان الطرواديون قد
انتقوها كاهنة لأثينة. رفعت كل النساء أيدي الضراعة
٣٠٠ بالابتهالات لأثينة. وتناولت ثيانو ذات الخدود الجميلة
الرداء وبسطته على ركبتى أثينة ذات خصلات الشعر
الكثيف والجميل وابتهلت وقدمت النذور لابنة زيوس
ذى الجلال قائلة :
- ٣٠٥ "سيدتى يا صاحبة الجلالة أثينة، يا من تحرسين مدينتنا،
أيتها الإلهة المبجلة، اكسرى سيف ديوميديس، دعيه
هو نفسه يسقط صريعاً عند بوابات سكاياى؛ لكي نتمكن
على الفور من تقديم قرباننا إليك فى معبدك، اثنى عشر
عجلاً لم يمسخها مهماز بعد، إذا ما أشفقت على طروادة
٣١٠ وزوجات الطرواديين والأطفال الرضع".
هكذا كان ابتهالها، لكن باللاس أثينة لم تتقبل الابتهال.

- بينما كانت النسوة يتضرعن لابنة زيوس المجيد
كان هيكتور قد ذهب إلى مقر ألكسندروس، ذلك
القصر الجميل الذي كان هو نفسه قد أقامه مع رجال
كانوا عندئذ أبرع البنائين في طروادة خصيبة التربة. ٣١٥
إذ شيدوا له حجرة وقاعة وفناء بجوار قصرى برياموس
وهيكتور فوق القلعة. دخل هيكتور حبيب زيوس،
ممتشقا في يده رمحا طوله أحد عشر ذراعا،
ومن سنه البرونزى المسنون يمتد البريق، وتحيط به
حلقة من الذهب. فوجد باريس في حجرته حفا
بأسلحته الجميلة ودرعه ودرع الصدر، قابضا على قوسه ٣٢٠
المعقوف. وكانت هيليني الأرجية جالسة بين وصيفاتها
تحدد لهن أعمالهن اليدوية الرائعة. فلما رأى هيكتور أخاه
وبخه بكلمات مخجلة:
- "أيها التعس، لا يليق بك أن تكتم هذا الغضب في قلبك.
وأهالك يهلكون وهم يحاربون حول المدينة وأسوارها
المنحدرة، وبسببك اندلعت صيحة المعركة واشتعلت
الحرب حول هذه المدينة. وكان الأحرى بك أن تصب ٣٢٠
جام غضبك على أى محارب تراه يتقاعس عن الحرب
الكريهة. انهض الآن قبل أن تلتهم نيران الأعداء مدينتنا"
فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة بقوله:
"هيكتور، حيث إنك تؤنبنى بحق ولا تتعدى
إلى ما وراء الحق، فلك أشرح موقفى، وعليك أن تصغى
وتتبعن فيما أقول. فلم يكن سبب قعودى فى حجرتى ٣٣٥
الغضب والنقمة على الطرواديين، بل أسلمت نفسى للأسى.
وسعت زوجتى أن تغير موقفى بكلمات ودودة

وتحضنى على الحرب، وكنت أنا نفسى أظن ذلك أفضل؛
فالنصر دوار يتداوله الأبطال المحاربون، فهو مرة لهذا
وأخرى لذاك. والآن تعال وانتظرنى قليلاً حتى أرتدى
٣٤٠ عدة الحرب؛ وإلا فامض أنت فى سبيلك وسأتبعك، وسألحق بك".
هكذا قال فلم يرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة،
بل خاطبته هيلينى بكلمات وردة قائلة:

" واخجلاه ! فأنا مدبرة الشر جالبة الأذى. ياليتنى يوم
ولدتى أمتى قد عصفت بى ريح هوجاء ففذفت بى إلى
٣٤٥ جبل أو إلى لجة البحر المتلاطم فجرفنى الموج بعيداً
قبل أن تقع هذه المصائب. لكن حيث إن الآلهة هى التى
شاعت هذه الشرور، فياليتنى كنت زوجة لرجل أفضل
من هذا، يشعر بنقمة الرفاق وتوبيخهم. ولكن قدرة زوجى هذا
على الفهم لم تعد على ما يرام، ولن تكون كذلك من بعد أبداً. لذا فإنى
أرى أنه سيجنى مر الثمار حصيلة أفعاله. ولكن تعال الآن، ادخل
واتخذ لك مجلساً، فقد نال قلبك مانال من المتاعب أكثر من الآخرين.
٣٥٠ كل ذلك بسببى أنا التعيسة، ويسب حمق ألكستندروس،
الذى أنزل به زيوس سوء المصير. فقد أصبح مع مرور الزمن
أمثلة تردها الأجيال القادمة فى أغانيهم".

ورد هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً:
" لا تطلبى منى الجلوس يا هيلينى، فلن تقنعينى برغم توددك.
٣٦٠ فقلبى الآن متلهف على الوقوف إلى جانب الطرواديين
الذين يفتقدوننى فى غيابى. ولكن دعى زوجك ينهض
ويسرع ليلحق بى مادمت داخل المدينة. فسوف أذهب
إلى بيتى عسى أن أرى أهلى: زوجتى الحبيبة وطفلى
٣٦٥ الرضيع؛ فلا أدرى ما إذا كنت سأعود إلى بيتى لأراهم

- مرة أخرى، أم ستقهرنى الآلهة على أيدي الآخيين".
- هكذا قال وأسرع هيكتور ذو الخوذة اللامعة
- ٣٧٠ إلى بيته المحكم البناء. فلم يجد أندروماخي ذات الذراع
الأبيض في قاعاته؛ إذ كانت هي، مع طفلها ووصيفتها
ذات الرداء الجميل، قد ذهبت ووقفت تبكي فوق أحد
الأبراج. فلما لم يجد هيكتور زوجته التي لا مثيل لها
٣٧٥ في البيت، توقف عند العتبات وقال للخادמות :
- "تعالين أيتها الخادמות وأخبرنني بحقيقة الأمر، إلى أين
ذهبت أندروماخي ذات الذراع الأبيض بعد أن تركت
القاعة ؟ هل ذهبت إلى بيت أي من أخواتي أو زوجات
٣٨٠ إخوتي ذوات الثياب الجميلة، أم تراها ذهبت إلى معبد
أثينة مع نساء طروادة ذوات الجداول الجميلة
ليستدررن عطف هذه الإلهة الرهيبة".
- فقالت له خادمة منهمكة في أعمال البيت:
- "هيكتور، بما أنك تأمرنا بإصرار أن ننبئك بالحقيقة، فإنها لم
تذهب إلى بيت أي من أخواتك أو زوجات إخوتك ذوات
٣٨٥ للثياب الجميلة، ولا إلى معبد أثينة حيث ذهبت نساء طروادة
ذوات الخصلات الجميلة لاستدرار عطف الإلهة الرهيبة. بل ذهبت
إلى برج إليوس الكبير، حيث كانت قد سمعت أن الطرواديين
يمرون بمألق حرج حين ظهرت عليهم قوة الآخيين، عندئذ جن
جنونها وأسرعت إلى السور تصحبها المرضعة وهي تحمل صغيرها".
- هكذا قالت الخادمة، فأسرع هيكتور من البيت وعاد أدراجه من
٣٩٠ الطريق نفسه عبر الممرات المحكمة البناء. وبعد أن قطع المدينة
الكبيرة وبلغ بوابة سكاياي، حيث كان ينوي الخروج إلى ساحة
المعركة، أقبلت زوجته وافرّة العطاء تجرى للقاءه،

- أندروماخي ابنة إينيتيون الباسل الساكن في ثيبي
 (طيبة) بجوار بلاكوس الكثيفة الأشجار. وكان سيدًا على
 ٣٩٥ شعب كيليكيا، إذ تزوج ابنته هيكتور ذو الدرع البرونزي.
 ها هي تلتقي به ومعها خادمة تحمل على صدرها الطفل
 الجميل ابن هيكتور اللطيف. فكان على صدرها كأنه نجم
 ٤٠٠ يتلألأ. وكان هيكتور يحب أن يسميه سكامانديوس،
 لكن الآخرين كانوا ينادونه أستياناكس، لأن هيكتور وحده
 كان حامى حمى إليوس. فابتسم هيكتور في صمت
 ٤٠٥ عندما رأى طفله، لكن أندروماخي اقتربت منه وهي
 تذرف الدمع متعلقة بيديه ومخاطبة إياه:
- "آه يا زوجي! قوتك هي التي ستقضى عليك، إذ لا ترحم
 طفلك الرضيع، ولا ترحمنى أنا، حيث عما قريب سأمسي
 ٤١٠ أرملة، بعد أن يجهز عليك الآخيون ويفتكون بك. ومن
 الخير لى أن أهبط تحت الأرض قبل أن تضيق منى، فلا
 راحة لى بعدك إذا حان أجلك، ولن يبقى لى شىء سوى
 الآلام بعد أن فقدت أبى وأمى الملكة. أبى قتله أخيليوس
 الإلهي، بعد أن دمر مدينة كيليكيا المنيعه وثيبي
 ٤١٥ ذات البوابات الشاهقة. قتل إينيتيون ولكنه لم يسلب أسلحته،
 إذ حالت الرهبة دون ذلك الفعل. ولكنه أحرقه مع أسلحته
 رائعة الزينة وكدس فوقه الركام؛ ومن حوله غرست عرائس
 الجبل بنات زيوس حامل الدرع أيجيس، أشجار الدردار.
 ٤٢٠ أما إخوتى السبعة الذين كانوا يعيشون فى قاعاتنا، فقد
 رحلوا جميعًا إلى مقر هاديس فى يوم واحد، قتلهم جميعًا
 أخيليوس الإلهي سريع القدمين، قتلهم وهم يمشون الهويني
 يرعون أغنامهم ذات الصوف الأبيض. أما أمى التى كانت
 ٤٢٥ ملكة فى بلاكوس الكثيفة الأشجار فقد جاء بها (أخيليوس)

- إلى هنا مع بقية الغنائم، ولكنه بعد ذلك أطلق سراحها
 في مقابل فدية لا حصر لها، ثم قتلها أرتميس ربة القوس
 في دار أبيها. فأنت لى يا هيكتور الأب والأم الرؤوم،
 ٤٣٠ أنت لى الأخ، وأنت الزوج الهمام. فلنكن عندك رحمة
 بى، وأبق هنا عند البرج، لكى لا تحيل طفلك يتيما وتترك
 زوجتك أرملة. أما حشدك فليتحصن بجوار شجرة التين
 البرية، فهناك مكان لحماية المدينة، إنها أسهل نقطة
 للاختراق وانطلاق هجوم الأعداء. وسبق أن جاء إلى
 ٤٣٥ هذا الموقع الثنائى أياس وإيدومينيوس الأشهر وولدا
 أتريوس وابن تيديوس الباسل ثلاث مرات، وحاولوا
 الاختراق، سواء بناءً على مشورة أحد العرافين البارعين
 أو كما دلتهم قلوبهم".
- ٤٤٠ فرد عليها هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة:
 " يا زوجتى، لقد فكرت مثلك فى كل ذلك، ولكنى استحيى من
 الطرواديين وزوجاتهم ذوات الثياب الطويلة، إذا تقاعست
 عن المعركة كالجناء. وقلبى لا يحتمل، لأنى تربيت على
 البسالة دائماً، وأن أقاتل فى مقدمة الطرواديين
 ٤٤٥ لأصون مجد أبى العظيم ومجدى. وأنا على يقين بقلبى
 وعقلى أن إليوس المقدسة ستقع لا محالة، وسيقع برياموس
 وقوم برياموس للرمح الرمادى. ولكن لا مصائب الطرواديين،
 ٤٥٠ ولا فجيعة هيكايبى، ولا أحزان الملك برياموس أو إخوتى
 الكثيرين النبلاء الذين سيمرغون فى التراب بأيدي أعدائهم،
 ليس كل هذا هو الذى يفزعنى، بل فجيعةك أنت إذا ما ساقك
 أحد الآخيين المسلحين بالببرونز بعيداً، وسلبك الحرية وأنت
 ٤٥٥ تولولين، ثم تعملين على النول فى أرجوس بأمر إحدى السيدات،
 أو تحملين الماء كرهاً من نبع ميسيئيس أو هيبيريا، أو تنقل

كاهلك ضرورة أو أخرى لا تحتل. وقد يقول قائل وهو يراك
 ٤٦٠ تبكين : هذه زوجة هيكتور الذى بز فى القتال كل الطرواديين
 مروضى الخيول، يوم التقى الأبطال فى القتال حول
 إليوس. قد يقول قائلهم ذلك وتزداد فجيعةك، إذ تفتدين
 رجلاً مثلى يصد عنك غائلة يوم العبودية. فدعيني أموت، ودعى
 ٤٦٥ ركام التراب يغطيني، ولا أسمع صراخك وهم يسوقونك
 إلى ذل الأسر."

هكذا قال هيكتور المجيد ثم مدّ كلتا يديه إلى ابنه، لكن الطفل
 صرخ وغاص فى صدر مرضعته ذات النطاق الجميل خوفاً من
 ٤٧٠ مظهر أبيه الحبيب ومن البرونز ومن ذؤابة خصلة شعر الحصان
 وقد رآها وهى تهتز بعنف مخيف على قمة الخوذة.
 فقهره أبوه الحبيب وأمه الملكة. ونزع هيكتور الخوذة
 عن رأسه ووضعها بيريقيها على الأرض، وقبل ولده
 ٤٧٥ المحبوب وهدده بين يديه وابتهل لزيوس والآلهة
 الآخرين قائلاً:

"أى زيوس، ويا أيتها الآلهة، ليكن ابنى هذا مثلى ميرزاً
 بين الطرواديين، بأسلاً فى القتال، قوياً فى حكم إليوس.
 ٤٨٠ وليقل قائلهم يوماً ما أثناء عودته من ساحة الوعى: إنه أكثر
 بسالة من أبيه. ليكن من نصيبه أن يقتل أعداءه ويعود
 للوطن بالأسلاب المخضبة بالدماء ليسعد قلب أمه".

هكذا قال ووضع طفله بين ذراعى زوجته الحبيبة،
 ٤٨٥ فضمته إلى صدرها الحنون وهى مبتسمة وبأكية بالدموع؛
 وعندما رمعها زوجها أشفق عليها وداعبها بيديه
 وسماها باسمها قائلاً:

"رجائى ألا تسرفى فى الحزن داخل قلبك من أجلى

يا زوجتي الحبيبة. فلن يبعث بي أحد إلى هاديس إن لم
 يكن هذا هو قدرى، ولا أحد يتملص من قدره المحتوم،
 ٤٩٠ نبيلاً كان أم وضيعاً، هو قدر مرسوم للمرأة منذ ولادته.
 عودى إلى بيتنا، واعتنى بشئونك من نول ومغزل،
 ومرى وصيفاتك أن يقمن بواجباتهن، أما شئون الحرب
 فللرجال، لكل الرجال، ومن شأنى أنا قتل جميع من يقيمون
 ٤٩٥ فى إليوس".

هكذا قال هيكتور المجيد والتقط خوذته ذات الذؤابة من خصلة
 شعر الحصان؛ وعادت زوجته إلى بيتها وبين الحين والحين كانت
 تنظر خلفها، وظلت تنرف الدموع مدراراً. فلما بلغت القصر
 ٥٠٠ متين البناء، قصر هيكتور قاتل الرجال، وجدت وصيفاتها الكثيرات
 فأتارت بينهن الشجن والنحيب. فشرعن يولولن على هيكتور
 فى قصره، مع أنه كان لا يزال على قيد الحياة، إذ كن يتوجسن
 خيفة ألا يعود أبداً من المعركة، فلا هو يقادر على أن يتحاشى
 القتال، ولا أن يفلت من أيدى الآخرين.

٥٠٥ ولم ينتظر باريس طويلاً فى قصره الشاهق، بل
 أقبل فى درعه البرونزى الرائع وهرول عبر المدينة واثقا
 فى سرعة قدميه. كان مثل حصان أخذ كفايته من طعام مزوده،
 وكسر قيوده، وركض عبر السهل، وقععت حوافره، مدوية على
 الأرض، وسعى حثيثاً إلى أن يرمى نفسه فى النهر سلس التدفق
 ٥١٠ منتشياً ورافعاً رأسه عالياً، ويتموج شعر لبدته على كتفه،
 يتبختر مزهواً بعظمته، تحمله ركبته إلى مرعى الفرسات.
 هكذا كان باريس بن برياموس،

فقد هبط من قمة برجاموس الشاهقة بدرعه اللامع
 كالشمس الساطعة، تضحك أسارير وجهه بالبهجة، وتطير
 ٥١٥ به قدماه السريعتان. وعلى الفور لحق بأخيه هيكتور

الإلهي، الذي كان للتو عائداً من حيث قابل زوجته.

وخاطبه ألكسندروس شبيه الآلهة قائلاً:

"لاشك يا أخي أنتى بتلكوى الطويل تسببت فى تأخرى،

وربما لم أصل فى الوقت الملائم كما أمرتى".

فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة:

"يا أخى الطيب، ما من رجل عاقل يستطيع أن يستخف

بما تقوم به فى الحرب، فأنت باسل؛ ولكنك تتكاسل

بمزاجك ولا نبالى. لذا فإن قلبى فى داخلى يأسف عندما

أسمع كلمات مشينة عنك تتردد بين الطرواديين، الذين

من أجلك عاتوا الكثير من الأهوال. ولكن دعنا نواصل

مسيرتنا وسنعالج هذه الأمور مستقبلاً، إذا سمح لنا زيوس

أن نسكب من نخب الحرية فى قصرنا قرباناً لآلهة السماء

الخالدين، بعد أن نطرد الآخيين المزودين بالدروع جيداً

من أرض طروادة".

الكتاب السابع



ترجمة منيرة كروان

- هكذا قال هيكتور المجيد، واندفع خارجًا من البوابة
 وخرج معه شقيقه ألكسندروس، وهما يتحرقان شوقًا
 في قرارة نفسيهما للحرب والقتال.
 وكما يرسل الإله ريحًا مواتية للبحارة الذين
 طالبت لهفتهم ونالهم التعب
 ٥ من التجديف في البحر بالمجاديف جيدة الصقل، وارتخت أطرافهم
 من الإرهاق، هكذا ظهر هذان المحاربان للطرواديين المتحمسين.
 وعندئذ قتل أحدهما ابن الملك أريثوؤس،
 المسمى مينيسثيوس، والذي كان يسكن في أرني.
 ١٠ وكان أريثوؤس صاحب الصولجان قد أنجبه من جميلة العينين
 فيلوميدوسا. وضرب هيكتور إيونيوس برمح حاد الطرف
 في عنقه، أسفل خوذته المصنوعة من البرونز القوي، فقتله.
 وضرب جلاوكوس، بن هيولوخوس، قائد الليكيين
 إفينوؤس، بن ديكسيوس، بالرمح، أثناء احتدام
 القتال، بينما كان يسرع خلف جياده السريعة
 ١٥ فأصابه في كتفه وسقط من فوق الجياد على الأرض جثة هامدة.
 ولكن الربة أثينة، زرقاء العينين، شعرت بهم
 وهم يدمرون الأرجيين في قتال عنيف
 فنزلت مسرعة من قمة الأوليمبوس
 واتجهت إلى مدينة إليون المقدسة. وأسرع أبوللون لملاقاتها
 ٢٠ فقد كان ينظر لأسفل من برجاموس. وكان يرغب أن يكون
 النصر من نصيب الطرواديين. وبجانب شجرة البلوط التقى كل
 منهما بالآخر وبأدرها الملك أبوللون، بن زيوس، بقوله:
 "لماذا يا ابنة زيوس العظيم تسرعين في لهفة
 ٢٥ من الأوليمبوس، ولأى غرض عظيم أتيت؟"

- هل لكى تمنحى الدانائيين النصر الحاسم فى القتال
وتحققى لهم الفوز ؟ حيث أنك لا تشعرين بالشفقة على
الطرواديين الذين يهلكون. ولكن سوف يكون من الأفضل لو
استمعت لنصيحتى. دعينا الآن نوقف الحرب والصراع
اليوم، وفيما بعد سوف يستأنف القتال، حتى يتموا
القضاء على إليون. حيث إن قلوبكن أيتها الرباب
تجد متعة فى تدمير تلك المدينة والقضاء عليها .
عندئذ أجابته الربة أثينة، زرقاء العينين، قائلة :
- " ليكن ما تريد، يا من تصيب من بعيد، فبهذه الفكرة نفسها
أتيت أنا أيضاً من الأوليمبوس إلى الطرواديين والآخيين.
ولكن كيف نوقف الحرب بين الرجال قل لى ؟ "
فأجابها الإله أبوللون، بن زيوس بدوره قائلاً :
- " دعينا نستحث حمية هيكتور، مروض الخيول،
حتى يتحدى واحداً من القادة الدانائيين للنزال فيتبارزا رجلاً لرجل
فى معركة فردية شرسة وسوف يتحمس الآخيون، المسلحون جيداً
بالدروع البرونزية، لمنازلة هيكتور، شبيه الآلهة".
هكذا قال، ولم تخالفه الربة أثينة، زرقاء العينين
ولكن هيلينوس، الابن الحبيب لبرياموس، سمع الخطة
التي تدور فى عقليهما من خلال محاورتهما،
فذهب إلى شقيقه هيكتور، ووقف بجانبه ثم خاطبه قائلاً :
- " هيكتور، يا ابن برياموس، يا شبيه الآلهة فى النصح
هلا أصغيت إلىّ، فأنا شقيقك ؟ فلتدع الطرواديين الآخرين وجميع
الآخيين إلى الجلوس معاً، ولتتحد أنت واحداً من أفضل الآخيين

- لتنازله فى معركة فردية شرسة
فلم يحن بعد قدرك وأجلك المحتوم.
هذا على وجه اليقين ما سمعت بنفسى من الآلهة الخالدين".
هكذا قال، فغمر السرور قلب هيكتور لسماعه ذلك.
- ٥٥ وذهب إلى وسط فرق الطرواديين وكبح جماحها،
وأمسك برمحه من المنتصف، فجلسوا جميعاً.
وكذلك أمر أجاممنون الأخيين، لابسى الدروع، بالجلوس.
وجلس أبوللون، الإله ذو القوس الفضى، وكذلك أثينة
على هيئة طائرين جارحين
- ٦٠ فوق شجرة البلوط العالية، المقدسة للأب زيوس، لابس الدرع
أيجيس واستمتعا برؤية الرجال، الذين اصطفت صفوفهم
المتلاحمة مدججين بالدروع والخوذات والرماح.
ومتلما يثور سطح البحر بسبب هبوب الرياح
الغربية (زيفيروس)، ويسود موج البحر من تحتها.
- ٦٥ هكذا جلست صفوف الأخيين و الطرواديين
فى السهل، وخاطبهم هيكتور قائلاً :
- " أيها الطرواديين وأيها الأخيون لابسو الدروع
لتسمعونى حتى أقول لكم ما يأمرنى به قلبى الكائن فى صدرى.
إن زيوس ابن كرونوس رفيع العرش، لم يحقق وعوده
ولكنه ينوى الشر لكلا الجانبين.
- ٧٠ فإما أن تستولوا على طروادة، ذات الأبراج الحصينة
أو أن تهلكوا بجوار سفنكم ماخرة عباب البحار.
وبما أنه يوجد بينكم الآن أفضل قادة الأخيين كافة

- فليتقدم من يأذن له قلبه بمنازلتى.
- ٧٥ وليأت هنا أفضلكم جميعاً لمنازلة هيكتور الإلهى.
وإننى أعلن أيضاً ما يلى، وليكن زيوس شاهداً علىّ،
إذا ما قتلنى ذلك المحارب بسلاحه البرونزى حاد النصل
فليجردنى من سلاحى وليحمله إلى سفنكم المجوفة.
ولكن يجب عليه أن يعيد جثتى إلى منزلى مرة أخرى، حتى
٨٠ يتمكن رفاقى من الطرواديين والطروديات أيضاً أن يحرقوا
جثتى. أما إذا تمكنت من قتله، وليمنحنى أبوللون هذا المجد،
فسوف أجرده من سلاحه وأحمله غنيمة إلى إيون المقدسة.
وهناك سوف أعلقه على معبد أبوللون، رب القوس،
ولكننى سوف أعيد جثته إلى سفنكم، ذات المجاديف المتينة
٨٥ حتى يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، من دفنه
وبناء مقبرة له بجوار شاطئ الهاليسبونطوس.
فذات يوم، رب قائل من الأجيال القادمة،
عندما يبجر بسفينته، كثيرة المجاديف فى البحر القاتم بلون الخمر
يقول : هذا قبر رجل قتل منذ زمن بعيد.
٩٠ إذ قتله، وهو فى عنفوان قوته، هيكتور المجيد .
هكذا ذات يوم قد يقول أحدهم فلا يخبو مجدى أبداً ".
هكذا قال، واستمع إليه الجميع فى صمت
فقد كانوا يدخلون من رفض تحديه، ولكنهم كانوا يخشون قبوله.
وبعد وقت طويل، قام مينيلأوس وخاطبهم
٩٥ وهو يئن ويتوجع من أعماق قلبه، وعنفهم بشدة وهو يزار قائلاً :
" أيها الجبناء يا من لا يملكون سوى الجعجة، أيتها الأخيات ولا
أقول الآخيين سوف يكون من العار، بل سوف يكون عاراً شنيعاً
إذا لم يقف أحد الدانائيين الآن ويقبل تحدى هيكتور

- للتحولوا جميعاً إلى ماء وطين،
 ١٠٠ إذ يجلس كل منكم هكذا مجللاً بالعار والجبن.
 حسناً، سوف أتسلح أنا نفسي و أنازله. ومن علي،
 من لدن الآلهة الخالدين، سوف تأتي فرص النصر".
 وما أن قال ذلك، حتى وضع على جسده أسلحته الرائعة.
 وكان من الممكن أن تكون هذه نهاية حياتك يا مينيلأوس
 ١٠٥ على يد هيكتور، حيث إنه يفوقك قوة بمراحل،
 لو لم ينهض ملوك الآخيين بسرعة ويمسكون بك.
 فقد قام أجامنون، بن أتريوس، واسع الملك،
 وأمسك بيدك اليمنى وخاطبك بقوله :
- " هل أصابك الجنون يا مينيلأوس، يا من رباك زيوس، إن مثل
 ١١٠ هذا التهور لا يليق بك، ويجب عليك أن تتراجع، رغم أن هذا
 يؤلمك ولا تفكر في منازلة رجل أقوى منك،
 هيكتور بن برياموس، الذي يخشاه الأبطال الآخرون.
 إن أخيليوس نفسه يخشى لقاءه في المعركة
 التي تجلب المجد للرجال، رغم أن أخيليوس يفوقك كثيراً في القوة.
 ١١٥ فلتذهب وتتخذ لنفسك مجلساً الآن مع مجموعة رفاقك
 وسوف يقدم الآخيون محارباً آخر ينازله،
 وحتى لو كان (هذا المحارب) شجاعاً ولا يشبع من القتال
 فإنني أعتقد أنه سوف يجلس في سعادة، إذا أمكنه،
 الإفلات من الحرب المدمرة والقتال البشع".
- ١٢٠ وعندما نطق البطل بهذه الكلمات، أقنع شقيقه
 فقد قدم نصيحته بحكمة، فأقنعه. عندئذ
 شعر أتباعه بالسعادة وهم ينزعون أسلحته من فوق أكتافه.
 وبعد ذلك وقف نيستور بين الأرجيين وخاطبهم قائلاً :

" آه ثم آه، لقد حل بأرض أخايا حزن عظيم.

١٢٥

وسوف يئن وينتحب الفارس الأشيب بيليوس
ذلك الخطيب البارع، ناصح الميرميديين الشجاع
الذى سألتى ذات مرة وأجبتة فى منزله، وملأت نفسه بالسعادة
عندما عرف منى نسب جميع الأرجيين وأصلهم.
فإذا سمع الآن أنهم يرتعدون خوفاً ويهربون أمام هيكتور

١٣٠

فسوف يرفع يديه الغاليتين ويتضرع للخالدين
أن تنسل روحه من أعضائه وتذهب إلى مقر هاديس
ليتنى، يا أبانا زيوس ويا أثينة وأبوللون،
كنت شاباً مثلما كنت، عند نهر كيلادون سريع الجريان،
عندما احتشد البيليون والأركاديون المشهورون برماحهم، للقتال،

١٣٥

تحت أسوار فيا، بشأن مياه نهر ياردانوس.
عندما وقف إريوثاليون، بطلهم شبيه الآلهة
واضعاً حول كتفيه أسلحة الملك أريثوؤس،
أريثوؤس الشجاع، الذى كان يلقب بحامل الصولجان.

١٤٠

فقد اعتاد الرجال واعتادت النساء، ذوات الأحزمة الجميلة،
تسميته بذلك لأنه لم يكن يحارب بالقوس ولا بالرمح الطويل،
وإنما كان يشتت جموع المحاربين (المعادين) بصولجان حديدى،
وقد تمكن ليكورجوس من قتله بالمكر، وليس بالشجاعة،
فى ممر ضيق، ولم يكن معه صولجانه الحديدى

١٤٥

ليدفع الموت عن نفسه، فأسرع ليكورجوس
وضربه برمح فى وسطه، فسقط على ظهره أرضاً،
فجرده من أسلحته التى منحها له الإله آريس، ذو الدرع
البرونزى. ثم استخدم ليكورجوس نفسه هذا الصولجان بعد ذلك

- فى القتال. وعندما بلغ ليكورجوس المشيب فى قصره،
أعطاه لتابعه المفضل إريوثاليون، والذى
١٥٠ كان فى إمكانه تحدى أقوى الرجال عند استخدامه،
وأصبحوا يخافونه ويخشونه بشدة، ولم يجازف أحدهم بمنازلته
ورغم ذلك، فقد حنتى روى الثائرة على القتال
واستفزت شجاعتى. رغم أننى كنت أصغر الموجودين سناً
كنت أنا من تصدى له، ومنحتى الربة أثينة المجد.
١٥٥ وكان أضخم وأقوى رجل قتلته فوق على الأرض
فاقد الوعى تماماً منبطحاً كجذع شجرة ضخمة تمددت
ذات اليمين وذات اليسار. لينتى أعود شاباً مرة أخرى، وليت قوتى
ظلت كما كانت، لكنك قد نازلت بسرعة هيكتور، ذا الخوذة
اللامعة، فمن بينكم، رغم أنكم أفضل الآخيين طراً،
لا يوجد من يتحمس للذهاب لمواجهة هيكتور."
١٦٠ هكذا وبخهم الشيخ المسن، فهب تسعة منهم
وكان أجاممنون، ملك الرجال أولهم جميعاً،
وتبعه ابن تيديوس الشجاع، ديوميديس.
وبعده قام الثنائى أياس، العتيدان
١٦٥ ثم تلاهما إيدومينيوس ورفيقه فى القتال
ميريونيس، نظير إينواليوس، قاتل الرجال.
ثم يوريبيلوس بن يوايمون العظيم.
وبعده قام ثواس بن أندرايمون، ثم أوديسيوس الإلهى.
هبوا جميعاً يريدون منازل هيكتور شبيه الآلهة.
١٧٠ فخطبهم نيستور الفارس الجيرينى، قائلاً:

" والآن لتجروا القرعة (*) بينكم لنحدد من سيقع عليه الاختيار

فإنه بحق سوف يفيد الأخيين، لابسى الدروع

كما أنه سوف يستفيد أيضاً، إذا ما تمكن من النجاة

من الحرب الشرسة والقتال الرهيب ."

١٧٥

هكذا قال، فحمل كل منهم قرعته

وألقاها فى خوذة أجامنون، بن أتريوس.

وشرع الجميع فى التضرع للآلهة وهم يرفعون أيديهم عالياً

واتجه كل منهم ببصره للسماء العريضة قائلاً :

" يا أبانا زيوس، لتجعل القرعة من نصيب أياس

١٨٠

أو ابن تيديوس أو ملك موكيناي الغنية بالذهب ."

هكذا تضرعوا، وقام نيستور، الفارس الجيرينى

بهز الخوذة، فظهرت قرعة البطل الذى أرادوه :

أياس. فحملها أحد الرسل وطاف على الحشد

الذى يضم الأخيين جميعاً من اليسار إلى اليمين.

١٨٥

وعندما عرضها عليهم لم يتعرف واحد منهم عليها

ولكن عندما وصل، بعد أن حملها عبر الحشد كله، إلى

البطل الذى كتب العلامة ووضعها فى الخوذة، أياس المجيد،

مد يديه، ووضعها الرسول الواقف على مقربة منه، فى يده.

وعندما رأى أياس العلامة الموضوعة على القرعة تعرف عليها

١٩٠

وانشرح صدره، ثم ألقاها على الأرض وصاح قائلاً :

" أيها الأصدقاء هذه هى قرعتى، وقد سعدت بذلك

(*) القرعة κληρος كانت الطريقة المتبعة للاختيار فيما بين مجموعة من الرجال. ويحدد كل منهم علامة على شقافة أو قطعة من الحجر تدل عليه وتوضع العلامات جميعاً فى خوذة أو إناء، ويتم السحب بطريقة عشوائية، فيفوز من تخرج علامته أو قرعته أولاً. كانت هذه الطريقة تستخدم فى أثينا للاختيار من يتولى بعض المناصب.

- نفسى. فإننى أعتقد أننى سوف أهزم هيكتور شبيه الآلهة.
ولكن، بينما أضع أسلحتى على جسدى، هيا
لترفعوا الصلوات للملك زيوس، بن كرونوس
سرا فيما بينكم حتى لا يسمعكم الطرواديون.
١٩٥ أو حتى صلوا جهراً، فإننا لا نخشى أحدا على أية حال.
فإنه ما من شخص يستطيع أن يحملنى على الفرار رغماً عنى
سواء بالقوة أو بالحيلة، حيث أعتقد أننى لست إنساناً بسيطاً
وقد ولدت فى سلاميس وترعرت فيها".
- ٢٠٠ هكذا قال، فتضرعوا للملك زيوس، بن كرونوس.
وقال كل منهم وهو يتطلع للسماء الفسيحة الأرجاء :
" أبانا زيوس، يا من تحمى جبل إيدا، يا أعظم الآلهة وأكثرهم
مجداً مكن أياس من إحراز النصر ونيل الشرف والمجد.
أما إذا كنت تحب هيكتور وتهتم بأمره
فلتمنحهما قوة ومجداً متساويين".
- ٢٠٥ هكذا قال كل منهم متضرعاً، بينما كان أياس يرتدى سلاحه
البرونزى البراق. وعندما انتهى من وضع جميع أسلحته على جسده
انطلق مسرعاً، مثل أريس الضخم،
إلى القتال، وسط الرجال الذين حشدهم ابن كرونوس
ليشاركوا فى الحرب، التى تأكل القلوب غضباً.
٢١٠ هكذا اندفع أياس الضخم، حصن الأخيين،
وهو يضع ابتسامة خفيفة على وجهه المخيف، وأقدامه من تحته
تمشى بخطوات واسعة، وهو يلوح برمحه الطويل.
وصاح حشد الأرجيين فى سرور عند رؤيته،
بينما تملك الطرواديين خوف رهيب فكك أوصال كل منهم.
- ٢١٥

- وتسارعت دقات قلب هيكتور داخل صدره،
 فلم تعد هناك وسيلة للهرب أو التراجع
 أمام شعبه، فهو الذى دعا للنزال.
 واقترب أياس حاملاً درعه البرونزى
 الذى يشبه البرج والمصنوع من سبع طبقات من جلد الثور.
 ٢٢٠ وقد صنعه له تيخيوس، أفضل صانعى الجلود فى هولى، بمهارة
 فائقة. لقد صنع الدرع البراق من سبع طبقات
 من جلد الثيران السمينة، وصنع الطبقة الثامنة من البرونز.
 حمل أياس التيلامونى درعه أمام صدره
 ووقف على مقربة من هيكتور وهدده قائلاً :
 ٢٢٥ "هيكتور، سوف ترى الآن بوضوح، ونحن نقف رجلاً لرجل
 أى نوع من الرجال بقى بين قادة الدانائيين،
 حتى بعد غياب أخيليوس، مشتت صفوف المحاربين، فى شجاعة
 قلب الأسد. حقاً إنه يرقد الآن فى سفنه المقوسة التى تمخر العباب
 إلى أبعد البحار بعد أن سيطر على نفسه غضب جامح ضد
 ٢٣٠ أجاممنون، راعى الشعوب. ولكن بقى بيننا كثيرون قادرون
 على منازلتك. فلتبدأ المعركة وليبدأ القتال."
 فأجابه هيكتور المجيد، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً :
 " أياس، ياسليل زيوس، أيها التيلامونى، يا قائد الشعوب،
 ٢٣٥ لا تتعامل معى وكأننى غلام ضعيف
 أو امرأة لا تعرف فنون الحرب .
 فقد رأيت ما فيه الكفاية من الحروب وقتل الرجال
 وإننى لخبير فى التعامل بالدروع المصنوعة من جلد الثيران
 المجفف، فأنا أعرف كيف أديرها يميناً ويساراً، وأعرف كيف أشتبك فى

- ٢٤٠ حرب شرسة، كما أعرف كيف أندفع للقتال بخيولى السريعة،
وأعرف جيداً كيف أردد لأريس أنشودة الحرب الضروس.
ولكننى لا أقتل بطلاً مثلك، مترصدًا له
سرًا، ولكننى أنوى أن أطيح بك فى العلىن".
هكذا قال، وسحب رمحه الطويل وقذف
- ٢٤٥ به درع أياس الرهيب المكون من سبع طبقات
من الجلد وتعلوه طبقة ثامنة من البرونز،
فمرق السهم البرونزى الذى لا يقهر من خلال الطبقات السبع
ووصل إلى الطبقة الثامنة من الدرعى. وعندئذ
استل أياس، سليل زيوس، رمحه الطويل
- ٢٥٠ وضرب به درع ابن برياموس متين التوازن،
فنفذ الرمح القوى من خلال الدرعى اللامع
ومرق خلال درع الصدر المزخرف بسخاء
ومزق عباءته بجوار ضلوعه مباشرة.
لكن (هيكتور) مال فتجنب الموت الأسود.
- ٢٥٥ وفى نفس اللحظة سحب كل منهما رمحه الطويل بيده
وهجم كل منهما على الآخر، كما لو كانا أسدين ضاربيين
أو خنزيرين بريين متوحشين لا تقهر قوتهما.
وبعد ذلك صوب ابن برياموس رمحه فى منتصف درع أياس
ولكن الرمح البرونزى لم ينفذ خلاله، فقد انثنى سنه.
- ٢٦٠ فوثب أياس وطعنه فى درعه ونفذ الرمح
خلال الدرعى، فترنح المحارب القوى من جراء الهجوم
وشق الرمح طريقه إلى عنقه، فقطعه وتدفق الدم الأسود.
ولكن هيكتور ذو الخوذة اللامعة لم يتوقف عن القتال

- ولكنه سحب حجراً أسود، ضخماً وحاداً مدبباً، كان ملقى
 ٢٦٥ في السهل ورفع به بيده الضخمة.
 وضرب به درع أياس الرهيب، المكون من سبع طبقات
 فجاءت الضربة في منتصف الدرع، فدوى صوت البرونز.
 عندئذ رفع أياس بدوره حجراً كبيراً جداً
 وقذفه بسرعة واضعاً فيه كل قوته
 ٢٧٠ وضرب الدرع بالحجر الذي يشبه حجر الطاحونة فمزقه،
 ثم سقط الحجر على ركبتي هيكتور الغاليتين فأصابهما. فسقط
 ممدداً تحت درعه المحطم. ولكن أبوللون رفعه في الحال.
 وكادا أن يلتحما في قتال بالسيوف،
 لولا وصول الرسل، مبعوثي زيوس والبشر.
 ٢٧٥ وكان أحدهما موفداً من قبل الطرواديين والآخر من الآخيين،
 لابسى البرونز. تالشيبيوس و إيدايوس وكان كل منهما ذا عقل راجح
 ووقفاً بين المتحاربين وهما يمسكان بصولجانيهما. وصاح
 إيدايوس صاحب النصح السديد قائلاً :
 " لتكفا يا ولدى الحبيبين عن الصراع والقتال
 ٢٨٠ فإن زيوس، جامع السحب، يحب كلاً منكما
 وكل منكما يجيد استخدام الرمح كما نعرف جيداً.
 لقد أقبل الليل بالفعل ومن الخير أن تخضعاً لحكمه ".
 فأجابه أياس التيلاموني بقوله :
 " إيدايوس، فلتأمر هيكتور بهذا القول
 ٢٨٥ فهو الذي كان قد دعى أفضل القادة جميعاً للنزال
 فليبدأ، وسوف أمتثل تماماً إذا ما فعل ".
 عندئذ أجابه هيكتور العظيم ذو الخوذة اللامعة قائلاً :

- "أياس، حيث إن الإله قد حباك بنعمة عظيمة سواء في القوة
أو في الحكمة، كما إنك أمهر الأخيين في استخدام الرمح
٢٩٠ فدعنا الآن نتوقف عن القتال
والنزال. على أن نستأنفه فيما بعد إلى أن يحكم الإله
فيما بيننا، ويمنح أحدنا النصر.
لقد أقبل الليل بالفعل. ومن الخير لنا الخضوع لحكمه.
حتى تتمكن من إسعاد جميع الأخيين الموجودين في السفن
وخاصة أقاربك ورفاقك الموجودين معك.
٢٩٥ أما أنا فسوف أسعد قلب الطرواديين والطروديات، ذوات الثياب
الطويلة، في أنحاء مدينة الملك برياموس العظيمة.
اللأثى سوف يدخلن معابد الآلهة ويصلين من أجلى.
ولكن دعنا نتبادل الهدايا^(*) القيمة، أحدنا مع الآخر،
حتى يقول قائل من الأخيين أو الطرواديين:
٣٠٠ لقد تصارع الاثنان في قتال، يلتهم القلوب،
ولكنهما اتفقا بعد ذلك وافترقا صديقين ودودين".
هكذا قال، ثم أعطاه سيفه المرصع بالفضة،
ومعه غمده الذي يضعه فيه، وحمالاته الجلدية الجميلة.
٣٠٥ فأعطاه أياس بدوره حزامًا براقًا قرمزي اللون^(**)
وافترقا الاثنان. فذهب أحدهما إلى حشود الأخيين

(*) حول تبادل الهدايا بين الأعداء انظر "بنات تراخيس" و "أياس" لسوفوكليس وراجع:

Ahmed Etman, The Problem of Heracles' Apotheosis, pp. 108, 112, 118 n.3, 128, 162, 165, 185 n.3 etc.

(المحرر)

(**) اللون القرمزي أو الأرجواني في اليونانية يشتق من اسم الفينيقين Phoinikes لأن أقدم من اكتشف هذا اللون وأول من استخدمه هم الفينيقيون .

- بينما عاد الآخر إلى الطرواديين. فسعدوا
برؤيته وقد عاد إليهم حيًا وسالمًا مرة أخرى،
وبأنه قد أفلت من بأس أياس ويديه اللتين لا تقهران.
فقادوه إلى المدينة بعد أن كادوا يفقدون الأمل في نجاته.
- ٣١٠ بينما قاد الآخيون لابسو الدروع أياس
إلى الناحية الأخرى، إلى أجاممنون المجيد، مزهواً بانتصاره.
وعندما وصلوا إلى خيام ابن أتريوس
ذبح أجاممنون، ملك الرجال، ثوراً لهم،
عمره خمس سنوات، قدمه قرباناً لابن كرونوس القوى
سلخوا جلده وأعدوه، وقطعوه إلى أجزاء
ووضعوا قطع اللحم في السفود بمهارة فائقة.
وقاموا بشوائها بعناية، ثم نزعوا السفود.
وعندما انتهوا من مهمتهم وأصبحت الوجبة جاهزة
أقاموا وليمتهم. فلا توجد نفس لا تهفو لوليمة جيدة.
- ٣٢٠ وكرم البطل ابن أتريوس أجاممنون، واسع الملك،
أياس وأعطاه ظهر الثور كله.
وعندما نالوا كفايتهم من الطعام والشراب،
وقبل الجميع، قام الشيخ المسن نيستور ليعلن نصيحته في حكمة،
فقد ظهر من قبل أن رأيه هو أفضل الآراء
وأنه يجيد الحكم على الأشياء، فخاطبهم قائلاً :
- ٣٢٥ " يا ابن أتريوس، ويا زعماء الآخيين جميعاً
لقد لقي كثير من الآخيين ذوى الشعر الطويل حتفهم
لقد أسأل أريس القاسى دمهم القانى حول
نهر سكاماندروس سريع الجريان، ونزلت أرواحهم إلى هاديس.
- ٣٣٠ لذا يجب عليك أن تمنع الآخيين من الحرب

- ثم نتجمع لننقل جثث الموتى
 بالعربات التي تجرها الثيران والبغال ثم نحرقها
 على مقربة من السفن، حتى يتمكن
 كل فرد من حمل جثث نويه
 ٣٣٥ إلى أولادهم، عندما نعود إلى أرض الوطن.
 ولنقم قبرًا واحدًا حول المحرقة
 يضم رفات الجميع في الوادي. ولنشيد بسرعة
 الأبراج العالية لتكون حصنًا لنا ولسفننا،
 ولنصنع فيها بوابات محكمة الغلق،
 ٣٤٠ حتى تكون طريقًا تعبر من خلاله عرباتنا.
 ومن الخارج، نحفر خندقًا عميقًا بالقرب منه
 ليمنع عنا هجوم الجياد والفرسان،
 حتى لا تتساقط علينا هجمات الطرواديين المتعاليين".
 هكذا قال، ووافق جميع الملوك.
 ٣٤٥ بينما عقد الطرواديون في قمة مدينة إليون
 اجتماعًا صاخبًا ورهيبًا، بجوار بوابات برياموس.
 وكان أنتينور الحكيم أول من بدأ الحديث، وقال :
 " اسمعوني أيها الطرواديون والداردانيون
 وأيها الحلفاء، حتى أقول لكم ما يحدثني
 به قلبي الكائن في صدري،
 ٣٥٠ هيا بنا نعيد هيليني الأرجية وكل ممتلكاتها
 إلى أبناء أتريوس. فإننا نقاتل الآن.
 بعد أن ثبت حنثنا بعهودنا الموثقة، فلا مكسب

سوف يتحقق لنا، كما أتوقع، إذا لم نفعل ما أشير به "

وما إن قال هذه الكلمات حتى جلس. عندئذ وقف وسطهم

٣٥٥

ألكسندروس المبجل، زوج هيليني جميلة الشعر.

فأجابه بكلمات مجنحة قائلاً :

" أنتينور إن ما نطقت به لايعجبني مطلقاً.

فأنت تعرف كيف تتطرق بحديث أفضل من هذا.

ولكن إذا كنت جاداً بالفعل فيما تقول

٣٦٠

فلا بد أن الآلهة قد أتلفت عقلك.

والآن سوف أتحدث وسط الطرواديين، مروضى الخيول :

إننى أعلن بكل صراحة أننى لن أعيد زوجتى أبداً.

أما عن الممتلكات التى أحضرتها من أرجوس إلى منزلى،

فإننى أزمع ردها كلها وسوف أضيف إليها المزيد من ثروتى."

٣٦٥

وما إن قال هذا حتى جلس، ونهض من

وسطهم برياموس بن داردانوس، نظير الآلهة فى سداد الرأى

والنصح، وتحدث راجح العقل وخاطبهم قائلاً :

" لتسمعونى أيها الطرواديين والداردانيون ويا أيها الحلفاء،

حتى أقول لكم ما يحدثنى به قلبى الكائن فى صدرى.

٣٧٠

لنتناولوا الآن عشاءكم المعد فى أنحاء المدينة كسابق عهدكم،

وليتذكر كل منكم الحراسة، وليجلس منتبهاً.

وعند الفجر، ليذهب إيداىوس إلى السفن المجوفة

حاملاً لولدى أتريوس، مينىلاؤس وأجاممنون،

حديث ألكسندروس، الذى تفجرت الحرب بسببه.

٣٧٥

وعليه أن يعلن هذه الكلمة الحكيمة: إذا ما أرادوا

لنوقف هذه الحرب الكريهة، حتى نتمكن من إحراق

الجثث. وبعد ذلك لنستأنف الحرب مرة ثانية، إلى أن يمنح أحد الآلهة النصر لأحدنا".

هكذا تحدث واستمعوا إليه باهتمام، ثم أطاعوا قوله.

٣٨٠ . فتناولوا العشاء على هيئة جماعات في جميع أنحاء الجيش .

وعند بزوغ الفجر شق إيداوس طريقه إلى السفن

المجوفة ووجد الدانائيين، سدنة آريس، مجتمعين،

على مقربة من مقدمة سفينة الملك أجاممنون. فوقف

الرسول في وسطهم وصاح عاليًا مخاطبًا جمعهم :

٣٨٥ " يا ابن أتريوس، ويا كافة قادة الأخيين الآخرين،

لقد أمرني برياموس وباقي الطرواديين النبلاء

أن أعلن لكم عرض ألكسندروس، الذي قامت الحرب

بسببه، عله يجد منكم قبولاً ورضاً.

إن كل الممتلكات والثروات التي أحضرها في سفنه المجوفة

٣٩٠ إلى وطنه طروادة، وليته هلك قبل وصوله إليها،

فإنه يرغب في ردها كلها وسوف يضيف إليها من ممتلكاته

الخاصة، ولكنه لن يرد تلك المرأة التي كانت زوجة

لمينيلائوس المبجل. رغم أن الطرواديين يحثونه على فعل ذلك.

كما أمروني أن أعلن لكم هذا الرأي أيضاً، فإذا ما رغبتُم

٣٩٥ فلنوقف هذه الحرب الكريهة حتى يتسنى لنا حرق

جثث الموتى. ولنستأنف الحرب فيما بعد حتى يحكم

أحد الآلهة بيننا، ويمنح النصر لأحدنا".

هكذا قال، واستمع إليه الجميع في صمت مطبق.

وبعد برهة، قال ديوميديس البارع في صيحة القتال :

٤٠٠ "لا تدعوا أحدًا منكم يقبل ثروة ألكسندروس،

ولا حتى عودة هيلينى. فقد أصبح معروفًا، حتى لطفل لا يفهم،
أن مصير الخراب قد حل بالفعل على الطرواديين."

هكذا قال، فصاح أبناء الآخيين جميعًا

مستحسنين حديث ديوميديس، مروض الجياد.

٤٠٥ عندئذ رد الملك أجامنون على حديث إيداوس قائلاً:

"لقد استمعت بنفسك يا إيداوس إلى حديث الآخيين

وهذا ردهم على ما عرضت. وهو رد يسعدنى.

أما بالنسبة لجثث الموتى، فإننى لا أعترض على حرقهم

فقد ماتوا وأصبحوا مجرد جثث،

٤١٠ ويجب ألا نبخل عليهم بوضعهم فى المحرقة على جناح السرعة.

وليشهد زيوس، ذو الرعود الصاعقة، زوج هيرا على عهدنا."

هكذا قال، ثم رفع صولجانه تحيةً لجميع الآلهة.

وانطلق إيداوس عائداً إلى إيون المقدسة.

وكان الطرواديين والداردانيون جميعًا يجلسون

٤١٥ مجتمعين فى انتظار عودة الرسول

إيداوس. وعندما عاد وقف فى وسطهم

وأعلن لهم الرد على رسالتهم. فاستعدوا بمنتهى السرعة.

وانطلق بعضهم لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر لإحضار

الأخشاب. وعلى الناحية المقابلة، انطلق بعض الأرجيين من

٤٢٠ السفن ذات المقاعد المتينة لإحضار الجثث، وانطلق البعض الآخر

لإحضار الأخشاب. وعادت الشمس لتسطع من جديد على الحقول

بعد أن بزغت من مياه المحيط (الأوكيانوس) العميقة هادئة

الجريان وارتفعت فى السماء. وهنا تقابل الفريقان.

وكان من الصعب التعرف على شخصية القتلى،

- ٤٢٥ ولكنهم غسلوا الجثث بالماء لإزالة الدم المتخثر،
وذرفوا الدموع الساخنة عليها، ثم حملوها فوق العربات
ومنعهم برياموس المجيد أن يجهشوا بالبكاء بصوت عال. وفي
صمت وضعوا الموتى فى أكوام على المحرقة وقلوبهم مفعمة
بالأسى. وبعد أن أشعلوا فيهم النيران عادوا إلى اليون المقدسة.
- ٤٣٠ ومن الناحية الأخرى، كان الآخيون لابسو الدروع
يضعون جثث موتاهم فوق المحرقة وقلوبهم مفعمة بالحزن
وبعد أن أضرموا فيهم النيران عادوا إلى سفنهم المجوفة.
وبينما كان الفجر لم يبرز بعد، وفى ظلمة الليل،
اجتمعت نخبة مختارة من الآخيين حول المحرقة
وشرعوا فى تشييد قبر واحد حولها
- ٤٣٥ يضم الجميع، بإحضار التراب من الوادى. وعلى مقربة منه أقاموا
حائطاً زودوه بأبراج عالية، حماية لهم ولسفنهم.
وبنوا فى وسطه بوابات متينة
تصلح أن تكون طريقاً تعبر من خلاله العربات.
- ٤٤٠ ومن الخارج حفروا خندقاً عميقاً
كبير الحجم وعريضاً، وثبتوا فيه أوتاداً محكمة.
هكذا كان الآخيون، ذوو الشعر الطويل، يعملون
بينما جلس الآلهة حول زيوس، إله البرق، وهم ينظرون
بإعجاب لهذا الجهد العظيم الذى يبذله الآخيون، لابسو البرونز.
- ٤٤٥ وبدأ بوسيدون، مزلزل الأرض، الحديث وخاطبهم قائلاً:
"أبانا زيوس، هل يوجد واحد من البشر على الأرض التى
لانهاية لها لا يزال يخبر الآلهة الخالدين عما يدور فى عقله، وعن نيته

- المبيّنة؟ ألا ترى أن الآخيين ذوى الشعر الطويل قد أقاموا
 مرة أخرى حائطاً من أجل حماية سفنهم، وحفروا
 ٤٥٠ حوله خندقاً، ولم يقدموا القرابين الفخمة للآلهة؟
 وسوف تمتد شهرة هذا الحائط إلى حيث يسطع ضوء النهار
 وسوف يطوى النسيان ذلك الحائط الذى بنيناه أنا وأبوللون
 فوبيوس (الوضاء) للبطل لأؤميدون، وتكبدنا مشقة بنائه."
 فغضب زيوس جامع السحب، وأجابه قائلاً:
 ٤٥٥ "سحقاً لك يا مزلزل الأرض، ما هذا الذى تقوله أيها القوى؟
 قد يخشى إله آخر غيرك من هذا الشعور،
 إله أقل منك، أضعف فى القدرة والقوة.
 إن شهرتك تصل إلى كل مكان يشرق عليه ضوء النهار.
 فاذهب وانظر، فإذا ذهب الآخيون، ذوى الشعر الطويل،
 ٤٦٠ ليعودوا بسفنهم ثانية إلى أرض وطنهم الحبيبة
 فحطم الحائط وبعثره فى جميع أنحاء البحر،
 ولتكسو الشاطئ الكبير بالرمال مرة أخرى،
 بعد أن ترى أن حائط الآخيين الكبير قد تحطم."
 هكذا خاطب كل منهما الآخر
 ٤٦٥ حتى غربت الشمس وأتم الآخيون عملهم،
 فذبحوا الثيران فى جميع أنحاء المعسكر وتناولوا عشاءهم.
 وكانت السفن العديدة قد أحضرت الخمر
 من ليمنوس. فقد أرسلها إيونيوس بن ياسون،
 والذى أنجبته هيببيلي من ياسون راعى الشعوب.
 ٤٧٠ لقد أرسل ابن ياسون ألقب مكيال من النبيذ
 لولدى أتريوس، أجاممنون ومينيلائوس، وحدهما.

- وأشترى الأخيون ذوو الشعر الطويل حاجتهم من الخمر،
لقد اشتراه بعضهم بالبرونز، وبعضهم بالحديد اللامع
وآخرون مقابل الدروع المصنوعة من جلد الثيران، والبعض
الآخر بالثيران الحية، والبعض الآخر مقابل العبيد .
٤٧٥
ثم أقاموا مأدبة فاخرة. واستمر الأخيون ذوو الشعر الطويل
يحتفلون بالولائم طوال الليل، وكذلك فعل الطرواديون والحلفاء
في طروادة. وظل زيوس ذو المكر يدبر لهم المكائد
طوال الليل، ويرسل الرعد المخيف. فأصابهم الشحوب من شدة
الخوف، وسكبوا الخمر على الأرض من الكؤوس. ولم يجرؤ
٤٨٠
واحد منهم. أن يشرب قبل أن يسكب الخمر تقريبًا لابن كرونوس القوي.
ثم خلدوا بعد ذلك للنوم ليستمتعوا بهذه الهدية.
٤٨٢

الكتـاب الثامن



ترجمة منيرة كروان

- ونشرت إلهة الفجر، ذات الرداء الزعفراني، الضياء في أنحاء الأرض. أما زيوس، المتمتع بالصاعقة، فقد عقد اجتماعاً للآلهة على أعلى قمة في الأوليمبوس، متعدد القمم. وبينما كان جميع الآلهة يرهفون السمع تحدث زيوس قائلاً:
- ٥ " أيها الآلهة وأيتها الإلهات لتسمعوني حتى أقول لكم ما يحدثني به قلبي الكائن في صدري. لا يحاول أحدكم أبداً، إلهاً كان أم إلهة، أن يعارض رأبي، ولتقوموا جميعاً بالموافقة عليه، حتى أستطيع تحقيق هذه المهام بسرعة.
- ١٠ فإن من أشعر أنه ينفرد دون الآلهة ويرغب في الذهاب لمساعدة الطرواديين أو الداناتيين، فسوف يعود إلى الأوليمبوس وقد عاقبته بقسوة، أو سوف أمسك به وأقذفه إلى تارتاروس المظلمة أسفل سافلين، في أعماق الأرض،
- ١٥ حيث توجد البوابات الحديدية والطريق البرونزي. الهوة التي تبتعد عن هاديس بمقدار بعد السماء عن الأرض. وسوف يعرف عندئذ أنني أقوى الآلهة أجمعين. فهيا حاولوا أيها الآلهة، وسوف تعرفون جميعاً أنكم لو ربطتم حبلًا متيئناً من الذهب، وأنزلتموه من السماء العالية
- ٢٠ وأمسكتم به جميعاً، آلهة وإلهات، فلن تستطيعوا إنزال زيوس أحكم الحكماء، من السماء إلى الأرض، حتى لو بذلتم أقصى ما في وسعكم. ولكن إذا حاولت أنا أن أشده فسوف أجركم ومعكم الأرض نفسها والبحر.
- ٢٥ وإذا ما لففت الحبل حول إحدى قمم الأوليمبوس وربطته فيها، فسوف يظل الكون كله معلقاً.

- بهذا القدر أتفوق أنا على جميع الآلهة والبشر".
هكذا قال واستمع إليه الجميع في صمت
من فرط إعجابهم بحديثه، فقد كان يتحدث بثقة تامة.
وأخيراً تكلمت الزهرة أثينة، زرقاء العينين وقالت:
٣٠ "يا أبانا يا ابن كرونوس، يا أقوى الآلهة،
إننا نعرف تماماً أن قوتك لا تقهر.
ولكننا رغم ذلك نشعر بالحزن على الرماحين اللدائيين
الذين قد يكون من نصيبهم أن يهلكوا بعد أن فاض بهم الكيل من
سوء المصير. وسوف ننسحب من هذه الحرب، كما أمرتنا ،
٣٥ ولكننا سوف نقدم للأرجيين نصيحة قد تفيدهم،
حتى لا يهلكوا جميعاً بسبب غضبك عليهم".
فأجابها زيوس، جامع السحب، وهو يبتسم بقوله:
"لا تخافى ياطفلتى الحبيبة أثينة تريتوجينيا(*)، فأنا لا أتكلم
٤٠ الآن بصرامة، وإنما لأرغب أن أكون رفيقاً بك".
هكذا قال، ثم ربط إلى عربته خيوله سريعة الركض
ذات الحافر البرونزي والعرف الذهبى الطويل.
ووضع رداءه الذهبى على جسده، وأمسك بسوطه
الذهبي رائع الصنع، وأعتلى عربته
٤٥ وضرب الخيل بسوطه لتتطلق، فشرعت فى الركض
وانطلقت بين الأرض والسماء المزينة بالنجوم.
فوصلت إلى جبل إيداء، كثير الينابيع، حاضن الوحوش،
إلى جار جاروس، حيث يوجد مذبحه المقدس الفواح بالعبير.

(*) يشر هوميروس هنا لأثينة بأحد أسمائها وهو (Τριτογενεια) وقد اختلفت وجهات النظر في تفسير معنى هذه الكلمة، فالبعض يسميها لبحيرة (Τριτωνίς) بليبيا والتي ولدت الزهرة على مقربة منها، بينما يسميها البعض الآخر للصفة (Τριτος) أى الثالث. فيقولون إنها ولدت في ثالث يوم من الشهر أو إنما ولدت بعد أبوللون وأرقيس فكانت الطفلة الثالثة.

- وهناك أوقف أبو البشر والآلهة جواده
 وحل قيودها من العربة، ونشر حولها ضيابًا كثيفًا. ٥١
 وجلس فوق القمة، مزهواً بجلاله
 وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وسفن الأخيين.
 وتناول الأخيون ذوو الشعر الطويل عشاءهم
 في المعسكر على عجل، ثم وضعوا أسلحتهم على أجسادهم.
 وفي الجانب الآخر، كان الطرواديون يسلحون أنفسهم أيضًا في ٥٥
 أنحاء المدينة. كانوا أقل عددًا، بيد أنهم كانوا شديدي الحماس
 للقتال بسبب حاجتهم الملحة للدفاع عن أولادهم وزوجاتهم.
 وعندما فتحت البوابات كلها، اندفع شعب طروادة،
 مشاة وفرسانًا، وارتفعت جلبة شديدة.
 وعندما جاء الجيشان والتقيا في مكان واحد ٦٠
 تصادمت الدروع والرماح مع بعضها البعض، وثار غضب
 المحاربين لابسى الدروع للبرونزية. وكانت الدروع ذات الصرة
 في المنتصف تتصادم مع بعضها البعض فتثير الصخب
 والضجيج. واختلطت أصوات النحيب مع صيحات النصر،
 والقاتل بالقتيل، وتخضبت الأرض بالدماء. ٦٥
 وبعد الفجر ومع تقدم النهار المقدس ومرور الوقت
 ظلت الرماح تسقط بغزارة على الجانبين، وتوالى سقوط الرجال.
 وعندما صعدت الشمس إلى منتصف السماء،
 أمسك الأب (زيوس) بكفتى الميزان الذهبيتين
 ووضع فيهما مصيرين من الموت الرهيب ٧٠
 واحدًا للطرواديين مروضى الخيول، والآخر للأخيين لابسى
 البرونز. وأمسك الميزان من منتصفه ورفع. فسقط يوم موت
 الأخيين، لقد سقطت أقدار الأخيين إلى الأرض وافرة الثمرات،
 بينما ارتفعت أقدار الطرواديين إلى السماء الفسيحة.

- ٧٥ عندئذ أُرعد (زيوس) بقوة وأرسل البرق من أيدي
وأسقط نيرانه المشتعلة وسط الأخيين. فلما رأوا ذلك
ذهلوا وأصابهم الخوف بالشحوب.
عندئذ لم يجرؤ إيدومينيوس على البقاء، ولا أجامنون
ولا البطلان الثنائى أياس، خادما أريس.
- ٨٠ وبقي نيسطور الجيريني، حارس الأخيين وحيداً.
ولم يبق نيسطور برغبته، ولكن جواده كان قد أصيب بجرح
عندما ضربه ألكسندروس النبيل، زوج هيليني جميلة الشعر،
فى مقدمة رأسه، حيث تنبت الشعيرات الأولى
فى أعلى جبهة الجواد، وهى المقتل.
- ٨٥ وقفز الجواد من الألم عندما دخل السهم فى جبهته
وأثار الارتباك وسط بقية الجياد وهو يتألم من طعنة السهم البرونزى.
عندئذ ضرب الشيخ الطاعن فى السن سيور الجواد الجلدية
بسيفه فقطعها، ولكن خيول هيكتور السريعة
جاءت وراءه حاملة قائدًا شجاعاً
- ٩٠ هو هيكتور نفسه. عندئذ كاد الشيخ المسن أن يفقد حياته
لو لم ينتبه إليه بسرعة ديوميديس البارح فى صيحة القتال.
فقد صاح فى أوديسيوس بصوت مرعب، واستحثه قائلاً:
- " أوديسيوس يا ابن لائيرتيس، ياسليل زيوس ويا واسع الحيلة
إلى أين تهرب وسط الحشود مولياً الأدبار كالجبان.
- ٩٥ انتبه حتى لا يرميك أحدهم بسهم فى ظهرك أثناء هروبك ولتنتظر
معى حتى ندفع عن الشيخ الطاعن فى السن عدوه الشرس بعيداً".
هكذا قال، ولكن أوديسيوس الإلهى، شديد الجلد لم
يصغ إليه واندفع مسرعاً إلى سفن الأخيين المجوفة.
ولكن ابن تيديوس اندفع إلى الصفوف الأولى، رغم أنه كان
بمفرده ووقف أمام عربة ابن نيلیوس المسن
- ١٠٠

وصاح مخاطباً إياه بكلمات مجنحة:

"أيها الشيخ، لقد ضيق عليك المحاربون الشبان الخناق،
وقد ضعفت قوتك، وتضغط عليك الشيخوخة
بشدة، كما أن تابعك ضعيف وجيادك بطيئة.

١٠٥ فلتركب في عربتي حتى تعرف
كيف تكون الجياد الطروادية التي تعرف كيف
تكر وتقر هنا وهناك بسرعة كبيرة في السهل.

فهي التي استوليت عليها ذات مرة من آينياس، الذي يبعث الخوف
في النفوس. إن تابعي سوف يعتنيان بجيادك، ولكن دعنا

١١٠ نطارد بعربتي الطرواديين، مروضى الخيول، حتى يعرف
هيكثور نفسه أن رمحاً أيضاً قد يبلغ حد الجنون في غضبه".
هكذا قال، فأطاعه نيسثور الفارس الجبريني.

أما عن جياد نيسثور، فقد تولى أمرها خادماه

القويان، سثينيلوس ويوريميدون الشجاع

١١٥ بينما ركب البطلان في عربة ديوميديس
وأمسك نيسثور بيديه أعنة الجياد اللامعة

وضرب الجياد بسوطه، فاقتربت بسرعة من هيكثور،

واندفع ابن تيديوس تجاهه وكله حماس، وصوب سهمه

تجاهه ولكنه أخطأه، وأصاب تابعه الذي يقود عربته

١٢٠ إنويبيوس، بن ثيبايوس، المقدام

والذي كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه في صدره بجوار ثديه.

فسقط من العربة وانحرفت الجياد

سريعة الأقدام جانباً، وفاضت روحه ومات في التو.

وأصاب قلب هيكثور حزن رهيب على سائق عربته،

١٢٥ ولكنه تركه راقداً، ورغم أن الألم كان يعتصر روحه

حزناً على رفيقه، فقد أسرع ليبحث عن سائق آخر شجاع.

- ولم يطل انتظاره، فسرعان ما عثر لجياده على سائق. فقد وجد بسرعة
 أرخبيتوليموس، بن إفيثوس، الشجاع وجعله
 يمتطى ليقود جياده سريعة الأقدام، وأعطاه الأعنة فى يديه.
 ١٣٠ عندئذ ساد الدمار وحدثت أحداث أليمة.
 وكادوا يحبسون فى إليون كالأغنام
 لو لم يرهم أبو الآلهة والبشر بسرعة.
 فقد أرع بعنف وأنزل ألسنة البرق،
 فسقطت على الأرض أمام جياذ ديوميديس.
 ١٣٥ واشتعلت ألسنة اللهب التى بعث بها الإله بقوة
 فأصاب الرعب الجياذ وانكشمت، وهى ترتعد تحت العربة.
 وأصاب الرعب تيمستور، فأفلتت أعنة الجياذ اللامعة من يديه
 فأصاب الحزن قلبه، وصاح مخاطبًا ديوميديس
 " تعال يا ابن تيديوس ولتستدر بجياذك الأصيلة طلبًا للهرب.
 ١٤٠ ألا ترى أن زيوس لا يؤيدك بنصره، فإن زيوس بن كرونوس
 يهب اليوم مجده لهذا الرجل عدونا، وقد يمنحنا المجد فيما بعد
 إذا كانت هذه هى مشيئته. فلا يوجد بشر مهما بلغت
 قوته يمكنه أن يتحدى إرادة زيوس، فإنه أقوى الجميع ".
 ١٤٥ فأجابه ديوميديس البارع فى صيحة القتال قائلاً:
 " سيدى إن كل ما تقوله صحيح تمامًا.
 ولكن الحزن الرهيب يخيم على قلبى وروحي،
 لأن هيكتور سوف يقول ذات يوم وسط الطرواديين:
 لقد هرب ابن تيديوس، ذات يوم، إلى السفن خوفًا منى .
 ١٥٠ هكذا سوف يتفاخر ذات يوم. فلتبتلعنى الأرض الواسعة قبل ذلك "
 عندئذ أجابه نيستور الفارس الجيرينى قائلاً:
 " آه مما قلته يا ابن تيديوس الحكيم،

- فحتى إذا وصمك هيكتور بالجبن والضعف،
 فلن يصدق الطرواديون والداردانيون كلامه
 ١٥٥ ولا زوجات المحاربين الشجعان اللائي
 مرغت في التراب أزواجهم، وهم في عنفوان شبابهم".
- هكذا قال، ثم أدار جباهه القوية وحيدة الحافر، لكي يهرب
 من خضم الاقتتال، بينما واصل الطرواديون وهيكتور
 قذفه بوابل من السهام الموجهة، وهم يصيحون في جلبة شديدة.
 ١٦٠ وخاطبه هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً بصوت عال:
 "يا ابن تيديوس لقد كان الدانائيون، نوو الجباد السريعة،
 يكرمونك في مجالسهم، ويقدمون لك اللحوم والكؤوس المترعة.
 أما الآن فإنهم سوف يحتقرونك. فإن شجاعتك لا تزيد عن
 شجاعة النساء. اذهب أيها الدمية القميئة (الفتاه للتافهة)، فلن
 ١٦٥ أستسلم ولن أدعك تعتلي أبراجنا، ولن تحمل نساءنا
 أبداً في سفنك، وسأرديك صريعاً في القريب العاجل".
- هكذا قال، فتردد ابن تيديوس بين أمرين:
 فإما أن يهرب بجباهه أو يحاربه وجها لوجه.
 ثلاث مرات تردد عقله وترددت روحه،
 ١٧٠ ولكن زيوس المدبر، أرعد ثلاثاً من جبال أيدا. معطياً إشارة
 للطرواديين بأن مجرى الأمور في القتال يسير لصالحهم.
 فصاح هيكتور في الطرواديين واستحثهم بصوت عال قائلاً:
 "أيها الطرواديون والليكيون وأيها المقاتلون الداردانيون
 كونوا رجالاً يا أصدقائي، وتذكروا شجاعتكم الفائقة،
 ١٧٥ فإني أشعر أن ابن كرونوس يوميء لي بنية طيبة
 وسوف يمنحني النصر والمجد العظيم، والدمار للدانائيين.
 يا لهم من سذج، فقد شيدوا هذه الحوائط

- الضعيفة التي لا تستحق النظر إليها، والتي لن تصمد أمام قوتنا.
 إن خيولنا سوف تعبر بسهولة فوق خندقهم الذي حفروه.
 ١٨٠ ولكن إذا ذهبنا إلى حيث توجد سفنهم المجوفة
 فلا تنسوا إحضار شعلات النار الحارقة
 حتى أضرم النيران في السفن، وأقتل هؤلاء
 الأرجيين عندما يقفون مشدوهين بجانب سفنهم بسبب الدخان".
 هكذا قال، ثم صاح في جياده قائلاً:
 ١٨٥ " هيا يا كسانثوس ويا يودارجوس ويا أيثون ويا لامبوس القوي
 إنكم مدينون لى على ما أوليته لكم من رعاية.
 فإن أندروماخي، ابنة إينيتيون الجسور،
 قدمت لكم بقلبها المعسول القمح اللذيذ، ووضعت أمامكم
 الخمر الممزوجة لتشربوا منها، كلما هفت نفوسكم للشراب.
 ١٩٠ أو تضعها أمامي، أنا الذي أزهو بأننى زوجها الهمام،
 فلتسرعوا فى مطاردة نيسطور، حتى يمكننا أن نستولى
 على درعه، ذلك الدرع الذى بلغ صيته السماء
 والمصنوع كله من الذهب، حتى قضبانه واقية الذراع.
 وحتى نخلع عن كتفى ديوميديس، مروض الجياد،
 ١٩٥ درع الصدر المزخرف الذى صنعه له هيفايستوس.
 فإذا ما أمكننا الاستيلاء عليه فسوف يراودنى الأمل
 فى أن الآخيين سوف يبحرون فى سفنهم السريعة هذه الليلة".
 هكذا قال بتفاخر، ولكن هيرا المبجلة كانت غاضبة،
 وكانت تهتز فى عرشها، فجعلت الأوليمبوس الشاهق يرتجف.
 ٢٠٠ ثم خاطبت الإله بوسيدون العظيم قائلة:
 " ويحى يا مزلزل الأرض يا واسع السلطان.
 ألا تتألم روحك داخل صدرك لمصير الدانائيين الذين يهلكون،

- رغم أنهم كانوا يحملون الهدايا إلى هيليكي وأيجاي^(٦) من أجلك،
هدايا كثيرة وجميلة، ألا تريد لهم النصر ؟
٢٠٥ فلو أمكننا، نحن الذين نناصر الدانائيين،
أن نطرد الطرواديين ونعرقل خطط زيوس، واسع الأفق،
لجلس وحيداً يبكي فوق جبل ايذا ."
فانزعج مزلزل الأرض القوى من كلماتها ورد قائلاً:
" هيرا، ما هذه الكلمات الجريئة التي تتفوهين بها !
٢١٠ إننى لا أرغب مهما كان الأمر فى شن حرب ضد زيوس، ين
كرونوس. سواء نحن بمفردنا أو مع الآخرين، حيث إنه الأقوى ."
هكذا خاطب كل منهما الآخر .
وكانت كل المسافة بين السفن والخندق مكتظة
بالجياذ والمحاربيين على حد سواء
٢١٥ وقد حبسهم بداخلها شبيه الإله أريس،
هيكاتور بن برياموس الذى منحه زيوس المجد،
حتى كاد أن يضرم النيران الحارقة فى السفن، متينة الاتزان،
لو لم تلهم هيرا المبجلة عقل أجاممنون
أن ينهض ليحث الأخيين بسرعة .
٢٢٠ فذهب إلى حيث توجد خيام الأخيين وسفنههم
ويده القوية حمل عباءته الأرجوانية الفضفاضة،
ووقف بجوار سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة،
والتي تقف فى المنتصف، حتى يصل صوته إلى كلا الاتجاهين،
إلى خيام أياس التيلامونى على هذا الجانب،
٢٢٥ وإلى خيام أخيلئوس على الجانب الآخر . فقد سحبا سفنههم القوية
متينة الاتزان إلى أقصى الطرفين معتمدين على شجاعتهم

(٦) هيليكي وأيجاي مدينتان فى آخايا. (المعمر)

- وقوة أيديهما، وبصيحة شقت الفضاء صاح في الدانائيين قائلاً:
- يا للعار ! عليكم اللعنة أيها الأرجيون يامن لا تملكون سوى
المظهر الحسن. أين ذهب تفاخركم عندما كنتم تعلنون أننا الأسجع
مثلما كنتم تتفاخرون بزهو في ليمنوس:
- ٢٣٠ وانتم تلتهمون الكثير من لحم الثيران صغيرة السن،
وتشربون الكؤوس المترعة بالخمير حتى حافتها،
وتدعون أن كل واحد منكم يعادل في القتال مائة أو مائتين
من الطرواديين. بينما لا نعادل جميعاً الآن رجلاً واحداً
هو هيكتور، الذي سرعان ما سيضرم النيران الحارقة في
٢٣٥ سفننا. أبانا زيوس، هل يوجد أحد من الملوك العظام
أغرقتة في الحيرة رسلبته ملكه العظيم مثلي ؟
رغم أنني لم أمر مطلقاً بسفينتي ذات المقاعد الكثيرة
بأى من مذابحك الجميلة بأى مكان في الأرض
إلا وأحرقت فيها من أفخاذ الثيران السمينة
٢٤٠ متضرعاً أن تمكنا من تدمير طروادة، منيعة الأسوار.
فلتحقق لى يا زيوس هذا الرجاء
ولتمكنا أن نهرب وننجو بحياتنا.
ولا تسمح يا أبانا للطرواديين أن يقتلوا الآخيين بهذه الصورة".
- ٢٤٥ هكذا قال، فشعر الإله الأب بالشفقة عليه، وهو يذرف الدمع
الغزير، فأوماً بالموافقة على إنقاذ شعبه حتى لا يفنى.
وفى الحال، أرسل نسرًا، علامة زيوس المؤكدة بين الطيور،
يمسك بمخالبه ظبيًا صغيرًا، وليد غزالة سريعة،
وأسقط النسر الظبي على مذبح زيوس فائق الجمال،
حيث كان الآخيون يقدمون القرابين لزيوس، سيد كل النبوءات.
٢٥٠ وعندما تأكدوا أن الطائر مرسل من لدن زيوس
هجموا بسرعة على الطرواديين وعاودهم الحماس للقتال.

- عندئذ، لم يستطع واحد من قادة الدانيين، رغم كثرة عددهم،
 أن يتفاخر بأنه سبق جياذ ابن تيديوس السريعة
 ٢٥٥ في عبور الخندق وفي منازلة الأعداء وجهًا لوجه.
 وكان هو بالفعل أول من قتل أحد المحاربين الطرواديين،
 أجيلاؤس بن فرادمون، الذي كان قد استدار بجياده طلبًا للفرار،
 ولكنه ما كاد يستدير حتى غرس ابن تيديوس الرمح في ظهره
 في منتصف المسافة بين كتفيه. فنفذ الرمح إلى صدره
 ٢٦٠ وسقط من فوق عربته، وسقطت أسلحته فوقه وهي تجلجل.
 وجاء بعده أجامنون ومينيلأوس، ولدا أتريوس
 ثم جاء البطلان الثنائي أياس وهما يتدثران بشجاعتهما.
 وبعدهما إيدومينيوس، ورفيقه في الحرب
 ميريونيس، نظير إنيايوس، قاتل الرجال.
 ٢٦٥ وجاء بعدهم يوريبيلوس، بن يوايمون الشجاع
 وكان تاسعهم تيوكروس الذي جاء رافعًا قومه المعقوف،
 ووقف في حمى درع أياس التيلاموني.
 وكان أياس يرفع درعه للأمام عاليًا، بينما يقوم البطل
 باستطلاع الأمر ثم يصوب سهمه تجاه واحد
 ٢٧٠ من الأعداء فيسقط في الحال ويلفظ أنفاسه.
 ثم يذهب على الفور إلى أياس كطقل يرتدى
 في صدر أمه، فيحميه بدرعه اللامع.
 فمن أولاً بين الطرواديين قتل تيوكروس التنبيل ؟
 لقد سقط أورسيلوخوس أولاً، ومن بعده أورمينوس، ثم أوفيلستيس،
 ٢٧٥ ثم دايتور، فخروميوس، ثم ليكوفونتيس، شبيه الآلهة ،
 ثم أموباؤن بن بوليايمون، ثم ميلانيبوس.
 لقد جعلهم تيوكروس جميعًا يتمددون على الأرض، كثيرة
 الخيرات. ولقد انشرح صدر أجامنون، ملك الرجال، وهو يراء

- يشبع الفوضى في صفوف الطرواديين بقوسه العتيد.
فاقترب منه ووقف بجانبه وخاطبه قائلاً:
- ٢٨٠ "أيها الحبيب إلى قلبي، تيوكروس بن تيلامون، قائد الشعوب
واصل إطلاق سهامك هكذا، حتى يكون ثمة بارقة أمل للدانائيين
ولو الدك تيلامون، الذي رباك وأنت طفل صغير
وكان يملكك، وقام بتثنتك في منزله رغم أنك كنت ابناً غير شرعي.
فسوف تجلب له الشهرة رغم وجوده على مسافة بعيدة منك.
٢٨٥ إنني أعلن لك ما سوف يحدث،
فإذا ما مكنتي زيوس، حامل الدرع أيجيس، وأثينة
من تدمير مدينة إليون، متينة البنيان
فسوف أضع جائزة الشرف بين يديك،
٢٩٠ التي قد تكون مقعداً ثلاثياً أو زوجاً من الجياد ومعهما عربة،
أو امرأة تشاركك فراشك".
فرد عليه تيوكروس النبيل بقوله:
"يا ابن أتريوس صاحب الجلالة، لماذا تحتنى على ما أنا
متحمس له بالفعل؟ فإني لن أراجع طالما بقيت قوتي
٢٩٥ فلم أتوقف عن القتال، منذ دفعناهم إلى داخل إليون
ولم أترك فرصة واحدة لقتل الرجال بسهامي.
فقد صوبت ثمانية سهام ذات رموس مدببة،
أصابت كلها أجساد محاربين أقوياء يتميزون بالسرعة في
الحرب. ولكنني رغم ذلك، لا أستطيع إصابة ذلك الكلب الهائج".
٣٠٠ هكذا قال، ثم قذف سهماً آخر من جعبة سهامه
في اتجاه هيكتور، وقلبه يهفو لإصابته.
ولكن السهم أخطأه وأصاب جورجيثيون الذي لا مثيل له،
ابن برياموس النبيل، واستقر السهم في صدره.

- جورجيثيون الذى أنجبته أمه كاستيانيرا الجميلة، من مدينة
 ٣٠٥ أيسيمى والتي تشبه الرباب فى هيئتها بعد زواجها (من
 برياموس). وكما تضع زهرة الخشخاش، الموجودة فى الحديقة،
 رأسها على أحد الجانبين بسبب ثقل ما تحمله من ندى الربيع،
 هكذا مالت رأسه جانبا بسبب ثقل خوذته.
 ومرة أخرى سدّد تيوكروس تجاه هيكتور
 ٣١٠ سهما من جعبة سهامه، فهكذا أمره قلبه.
 ولكنه أخطأ مرة أخرى. فقد جعل أبوللون السهم يحيد عن هدفه،
 فأصاب السهم أرخيتوليموس، سائق عربة هيكتور الشجاع،
 فى صدره بجانب ثديه، وهو يسرع وسط معمة القتال.
 فسقط من فوق العربة، وتراجعت الخيول
 ٣١٥ سريعة الأقدام. وفى الحال خارت قوته وقاضت روحه.
 وامتلا قلب هيكتور بحزن موجه على سائقه،
 ولكنه تركه مسجى هناك رغم شدة حزنه عليه.
 وأمر شقيقة كيبيريونيس، الذى كان موجودا على مقربة منه،
 أن يمسك بأعنة الجياد، فأطاعه فور سماع أمره.
 ٣٢٠ أما هو فقد قفز من عربته اللامعة إلى الأرض.
 وصاح صيحة مرعبة. ثم أخذ بيده حجرا
 واندفع تجاه تيوكروس يريد مهاجمته.
 ولكن تيوكروس جذب سهما حادا من جعبة سهامه
 ووضعها على وتر قوسه، وبينما هو يسحب السهم للخلف
 ٣٢٥ ضربه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، فى كتفه، حيث تفصل عظمة
 الترقوة العنق عن الصدر، وحيث المقتل.
 لقد ضربه، أثناء اندفاعه تجاهه، بحجر مدبب
 فقطع الوتر، وأصيبت يده بالشلل من عند المعصم.
 فتوقف ثم سقط على ركبتيه، وسقط السهم من يده.

- ٣٣٠ ولم يكن أياس غافلاً عن سقوط أخيه،
فجرى وأحاطه بدرعه ليحميه
وقام اثنان من رفاقه المخلصين برفعه،
هما ميكبيستوس بن إخيوس وألاستور المجيد،
وحمله إلى السفن المجوفة، وهو يئن ويتوجع.
- ٣٣٥ عندئذ بعث الأولمبي (زيوس) الحماس في نفوس
الطرواديين مرة أخرى، فدفعوا الآخيين في الحال في اتجاه الخندق
العميق. ووقف هيكتور في مقدمة المحاربين وهو يتيه زهوا
بقوته. ومثلما يطبق أحد الكلاب السريعة فكيه على خنزير برى
أو أسد ويغرس فيه أسنانه من الخلف، وهو يطارده بسرعة
٣٤٠ ويمسك به من ردفه أو فخذيه وهو يراقبه عن كثب أثناء دورانه.
هكذا كان هيكتور يتعقب الآخيين ذوى الشعر الطويل
ويقتل منهم من كان في المؤخرة، فيفرون منه مذعورين.
وكانوا يعبرون التحصينات والخندق
أثناء هروبهم، فقتل كثير منهم بأيدى الطرواديين.
٣٤٥ وبعد تراجعهم، مكثوا بجوار سفنهم
يتنادى بعضهم البعض، ويصلى كل منهم
لجميع الآلهة رافعاً يديه في ضراعة .
وكان هيكتور يجول هنا وهناك بجياده جميلة العرف
وهو ينظر بعيون أشبه بعيون الجورجونة. أو أريس مدمر
٣٥٠ البشر. وعندما نظرت إليهم الربة هيرا، بيضاء الذراعين، أشفت
عليهم وعلى الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة قائلة:
" يا للعار، ألا يجب علينا، يا ابنة زيوس حامل الدرع أيحيس،
أن نفكر، ولو للمرة الأخيرة، في الدائيين
الذين يعانون من القدر القاسى وقد يهلكون الآن
بسبب هجوم رجل واحد، هو هيكتور بن برياموس
- ٣٥٥

- الذى يثور الآن بطريقة لا يمكن احتمالها
والذى ارتكب الكثير من الشرور". فأجابتها الربة أثينة،
زرقاء العينين، بدورها قائلة:
"حقاً، كم تمنيت أن يفقد قوته وروحه
فى أرض وطنه أو يموت بيد أحد الأرجيين.
ولكن أبى غاضب ولا يضمن (لاينوى) خيراً
فهو يخيب آمالى، كما أنه آثم وقاسى
ولا يتذكر أننى كثيراً ما أنقذت
ابنه (هرقل) من الأعمال القاسية
التي فرضها عليه يوريسثيوس. فكثيراً ما كان
ينتحب وهو ينظر للسماء، فكان زيوس
يرسلنى من السماء، لمساعدته.
" ولو كنت قد أدركت ذلك يعقلى الحكيم
عندما أرسله إلى مملكة هاديس،
كى يخرج (يقود) كلب هاديس الكريه حارس البوابات من
إرييوس^(٤). ما كان ليستطيع الهروب من نهر ستيكس شديد
الانحدار. ولكنه يكرهنى الآن، ويستجيب لرغبات ثيتيس.
التي قبلت ركبتيه وأمسكت ذقنه بيدها
وتوسلت إليه أن يمنح المجد لأخيلئوس، مدمر المدن.
و لكن سوف يأتى وقت ينادينى فيه مرة أخرى بحبيبتى زرقاء
العينين. والآن، فلتنهزى جياندا السريعة (ذات الحافر الواحد)
حتى أدخل أنا إلى قصر زيوس، حامل الدرع ليجيس
وأتسلح بأسلحة الحرب، وسوف ترى عقدنذ
إذا كان هيكتور، بن برياموس، ذو الخوذة اللامعة

(٤) إرييوس Erebus: مكان يوجد فى ظلمة العلم السفلى . فرق هاديس ويستخدم فى التشبهات للدلالة على الإظلام الشديد.

- سوف يُسرّ بظهورنا عند خطوط القتال
 أم أن أحد الطرواديين سوف يملأ بطون الكلاب والطيور
 ٣٨٠ الجارحة باللحم والدهن، بعد أن يسقط صريعاً بجوار سفن الأخيين".
 هكذا قالت، فأطاعتها الربّة هيرا، بيضاء الذراعين.
 وأسرعت الإلهة المبجلة هيرا ابنة كرونوس العظيم
 وأعدت الجياد ذات الجبهة الذهبية.
 بينما كانت أثينة ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس
 ٣٨٥ تدع طيات ثوبها الرقيق رائع الزينة تقع على عتبات والدها.
 ثوبها الذي صنّعه وطرزته بيدها،
 ثم وضعت على جسدها عباءة زيوس جامع السحب.
 وسلحت نفسها استعداداً للحرب، التي تُدرّف فيها الدموع.
 ثم صعدت إلى العربة البراقة، وأمسكت بمرمحتها
 ٣٩٠ الثقيل، القوي والكبير، الذي قتل صفوفاً من الرجال
 الصناديد، إذا ما غضبت عليهم ابنة الأب الجبار.
 وبسرعة ضربت هيرا الجياد بالسوط
 فأنفتحت بوابات السماء من تلقاء نفسها البوابات التي كانت
 تحرسها الهوراي فقد عهد إليهن بحراسة السماء
 ٣٩٥ الفسيحة والأوليمبوس، وأن تفرق السحب الكثيفة، وأن تجمعها معاً.
 وقادت الإلهتان خيولهما التي يحثها المهماز.
 ولكن الأب زيوس رأهما من فوق إيدا فتملكه غضب شديد،
 وأرسل إيريس، ذهبية الجناحين، لكي تبلغهما رسالته:
 "فلتذهبي، أيتها السريعة إيريس. ولتعديهما مرة أخرى
 ٤٠٠ ولا تجعليهما يأتیان لمقابلتي، فليس من المفيد أن تتعارك معاً.
 ولتعلمي أن ما أقوله الآن سوف أجعله يتحقق.
 فسوف أعيق جيادهما السريعة عن التحرك بالعربة،
 وسوف أذف بهما من فوق مقعديهما إلى خارج العربة

- ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
 ٤٠٥ لشفاء الجروح التى سوف تسببها لهما الصواعق.
 حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع
 أبيها. أما هيرا، فإننى لا أغضب منها، ولا أحق عليها بالقدر نفسه،
 فقد اعتادت معارضتى دائماً وإحباط كل ما أنوى فعله."
- هكذا قال، فنهضت إيريس سريعة القدمين، حاملة رسالته
 ٤١٠ وذهبت منطلقاً من إيدا إلى الأوليمبوس شاهق الارتفاع.
 وعند بوابات الأوليمبوس الأمامية، ذلك الجبل كثير الثنيات،
 التقت بهما فأوقفتهما، وأبلغتهما رسالة زيوس وقالت:
 "إلى أين تتدفعان؟ لماذا أصاب الجنون قلبيكما داخل صدريكما؟
 إن ابن كرونوس لن يسمح بتقديم المساعدة للأرجيين.
 ٤١٥ لقد هدد ابن كرونوس بالآتى وسوف ينفذ وعيده،
 فسوف تعيق الهوراي جياذكما السريعة عن التحرك بالعربة
 ولن يكفى مرور عشر سنوات متوالية
 لكى تشفى جروحكما التى سوف تسببها لكما صاعقته
 ٤٢٠ حتى تعرف زرقاء العينين ماذا يعنى أن تدخل فى حرب مع
 أبيها. أما هيرا، فإنه لا يغضب منها، ولا يحق عليها بالقدر نفسه
 فقد اعتادت معارضته دائماً وإحباط كل ما ينوى فعله.
 وسوف تكونين بشعة للغاية، أيتها الكلبة الوقحة، إذا ما
 تجرأت على رفع سهمك الضخم فى وجه زيوس".
- ٤٢٥ هكذا قالت إيريس سريعة القدمين ثم رحلت.
 فوجهت هيرا حديثها لأثينة قائلة:
 "ويحى يابنة زيوس، حامل الدرع أيجيس، فإننى لا أوافق
 مطلقاً على الدخول فى حرب ضد زيوس من أجل البشر.
 فليهلك هذا وليعيش ذلك،

- ٤٣٠ كل حسب حظه، وليحدد زيوس ما يشاء،
ما يقرره للطرواديين وللدانائيين، حسب ما يتلاءم معه."
هكذا قالت، ثم استدارت عائده بجيادها السريعة.
وفكت الهوراي لجام الجياد، جميلة العرف
وربطتها لتأكل من المعلف الملىء بالطعام الإلهي الأسبروسيا.
- ٤٣٥ وأسندت العربة على الجدار الداخلي اللامع.
بينما جلست الريبان على عرشيهما الذهبي
وسط الآلهة الآخرين، وقلباهما مفعمان بالأسى؟؟؟
ومن إيدا قاد الإله زيوس عربته متينة العجلات وجياده
إلى الأوليمبوس، وعندما وصل إليه اتخذ مجلسه بين الآلهة.
- ٤٤٠ وقام مززل الأرض النبيل يفك الخيول من لجامها
ووضع العربة في مربطها ونشر فوقها الغطاء الكتاني،
بينما جلس زيوس بعيد النظر فوق عرشه الذهبي،
ومن تحت قدميه، كان الأوليمبوس الضخم يهتز.
وجلست أثينة وهيرا بمفردهما بعيدا عن زيوس،
- ٤٤٥ لم تتبادلا الحديث معه، ولم تسألاه عن شيء
ولكنه كان يدرك ذلك في قرارة نفسه، فخاطبهما قائلاً:
"ماذا يحزتكما هكذا يا أثينة وهيرا؟
من المؤكد أنكما لم تتعيا من القتال الرهيب،
ومن قتل الطرواديين، إذ إنكما تحقدان عليهما حقاً رهيباً.
- ٤٥٠ وعلى أية حال فطالما أملك القوة، وطالما يداي لا تقهران
فلن يثني عن عزمي جميع الآلهة الموجودين فوق الأوليمبوس،
على كثرتهم. لقد استولى الرعب على أطرافكما اللامعة
حتى قبل أن تريا الحرب وأعمالها المروعة.
ولذلك فأبني أقول، وهو ما كنت سوف أنفذه،
إذا كانت الصاعقة قد أصابت عربتيكما
- ٤٥٥

- لما أمكنكما للعودة مرة أخرى إلى الأوليمبوس، مقر الآلهة".
هكذا قال، وتمتعت أثينة وهيرا،
اللذان كانتا تجلسان متجاورتين وهما تدبران المصائب
للطرواديين. وظلت أثينة صامتة ولم تنيس بكلمة
٤٦٠ رغم غضبها الشديد من أبيها زيوس.
أما هيرا فلم تشعر بمثل هذا الغضب في صدرها، فخاطبته قائلة:
"يا بن كرونوس، يا أكثر الآلهة مهابة، أى حديث هذا الذى تقوله
إننا نعرف جيداً أن قوتك لا تقهر.
ولكننا نشعر بالشفقة على الرماحين الدانائيين
الذين يخرون صرعى ويلقون مصيراً سيئاً.
٤٦٥ وسوف ننسحب من القتال، إذا كانت هذه هي أوامرك.
ولكننا سوف نسدى النصيح للأرجيين، ربما يستفيد به أحدهم،
فلا يهلكون جميعاً بسبب غضبك".
فأجابها زيوس، جامع السحب بقوله:
٤٧٠ "فى الصباح، سوف تشاهدين ابن كرونوس أقوى الجميع
ياعزيزتى هيرا ذات العيون الواسعة (كعيون المها)، إذا ما
رغبت، وهو يفنى جيش المحاربين الأرجيين الكبير.
لن ينسحب هيكتور القوى من الحرب قبل
أن ينهض ابن بيليوس سريع القدمين بجانب السفن،
٤٧٥ وفى اليوم نفسه سوف يدخلان، بالقرب من مقدمة السفن،
فى صراع رهيب حول جسد باتروكلوس بعد موته.
فهكذا قدرت الآلهة، ولن يزعجنى غضبك
مطلقاً، حتى لو ذهبت إلى أقصى حدود الأرض،
سواء على البر أو فى البحر، حيث يقم يابيتوس وكرونوس
٤٨٠ حيث لا يستمتعون بفجر هيلوس هيبيريون

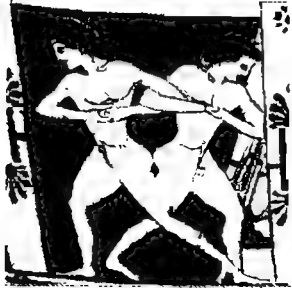
- ولا بالهواء (بالرياح). حيث يلفهم ظلام تارتاروس السحيق.
 فحتى لو ذهبت إلى هناك في تجوالك، فلن
 أحفل بغضبك، فلا يوجد من هو أكثر خزيًا منك".
- هكذا قال، ولم ترد عليه هيرا بيضاء الذراعين.
 وسقطت أشعة الشمس اللامعة في المحيط (الأوكيانوس)
 الذي أسدل الليل الأسود فوق الحقول المثمرة.
 فاخفت ضوء النهار على غير رغبة الطرواديين، ولكنه لقي
 ترحابًا من الأخيين، الذين صلوا ثلاث مرات لمجيء الليل المظلم.
 وعقد هيكتور المجيد اجتماعًا للطرواديين
 بعد أن قادمهم من السفن بجوار البحر الهادر.
 إلى ساحة رحبة، حيث لا تتكدس الجثث،
 نزلوا من فوق خيولهم إلى الأرض واستمعوا إلى الحديث
 الذي ألقاه هيكتور، حبيب زيوس. وفي يده
 كان يمسك برمحه الذي يبلغ طوله أحد عشر ذراعًا، وأمامه
 كانت تلمع رأس الرمح البرونزي، الذي كانت تحيط به حلقة من
 الذهب. وثبت هيكتور رمحه في الأرض وخاطب الطرواديين قائلاً:
 "فلتسمعوني أيها الطرواديون والداردانيون والحلفاء،
 لقد كنت أعتقد أننا سوف ندمر السفن وجميع الأخيين الآن
 ونعود على الفور إلى إيون ذات الرياح العاصفة.
 ولكن ظلمة الليل هبطت. فأنقذت
 الأرجيين وسفنهم للراسية على شاطئ البحر.
 فدعونا الآن نستسلم لليل المظلم
 ولنجهز عشائنا. ولنحل قيود الجياد، جميلة العرف،
 من العربات، ونضع أمامها الكثير من العلف.
 ولتحضروا من المدينة الثيران والأغنام السمينة

- بسرعة، ولتجلبوا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلكم، ولتجمعوا الكثير من الخشب
حتى نشعل النيران الكثيرة طوال الليل
إلى أن يظهر الفجر، ابن الصباح، ولبصل لهب النيران إلى السماء
٥١٠ حتى لا يتمكن الآخيون، ذوو الشعر الطويل، أثناء الليل
من الهرب ويشرعون في الإبحار إلى عرض البحر.
فلا تدعوهم يركبون سفنهم دونما قتال
ولكن يجب أن ينال كل منهم رمية رمح
فيذهب إلى وطنه مصابًا بطعنة من رأس رمح حاد،
٥١٥ وهو يقفز إلى سفينته، حتى يحجم أي شخص آخر
أن يشن الحرب المؤلمة على الطرواديين، مروضى الخيول.
وليعلن المنادون، أحياء زيوس، في أنحاء المدينة
أن على الشباب والشيوخ
أن يتخذوا مواقعهم في الأبراج التي بنتها الآلهة حول المدينة.
٥٢٠ أما بالنسبة للأمهات المرضعات، فعلى كل واحدة منهن
أن تشعل نارًا عظيمة في منزلها، ولتكن الحراسة يقظة
حتى لا يدخل كمين إلى المدينة في غياب المحاربين.
ليكن الأمر كما قلت أيها الطرواديون الشجعان.
وإنني أمل أن يكون حديثي الذي قلته الآن صحيحًا.
٥٢٥ وسوف أعلنه عند الفجر لبقية الطرواديين، مروضى الخيول.
وإنني أصلى متضرعًا لزيوس وللآلهة الآخرين
أن تطرد من أرضنا هؤلاء الكلاب
الذين سوف تحملهم أقدارهم فوق سفنهم السوداء
ومع ذلك سوف لا نغفل الحراسة طوال الليل
٥٣٠ وعند الفجر في الصباح سوف نسلح أنفسنا
ونشن حربًا شرسة بجوار السفن المجوفة.

- وسوف أرى ما إذا كان ديوميديس، بن تيديوس، القوي
سوف يدفعني إلى الحائط بعيداً عن السفن، أم أنني
سوف أمزقه بمساحي البيرونزي وأسلبه أسلحته المملوطة بالدماء.
٥٣٥ سوف يحدد الغد مدى شجاعته وما إذا كان في إمكانه
الصمود أمام، هجمة رمحي، أم أنه سوف يرقد،
كما أمل. جريحاً في الصفوف الأولى وحوله العديد من رفاقه.
وذلك عندما تشرق شمس الغد. فليتني أتيقن
من أنني سأكون خالداً ولن أعاني من الشيخوخة
٥٤٠ و أنني سوف أكون مبعلاً مثل أثينة وأبوللون
مثلما أنا متأكد الآن أن الغد سوف يحمل البلاء للأرجيين".
- هكذا قال هيكتور، وصاح الطرواديين عالياً.
ثم رفعوا النير عن الجياد المبللة بالعرق،
وربطوا كل واحد منها بسيور جلدية إلى عربته.
٥٤٥ ومن المدينة جلبوا الثيران والأغنام السمينة
بسرعة، وأحضروا النبيذ اللذيذ
والقمح من منازلهم، كما جمعوا أخشاباً كثيرة.
ومن السهل رفعت الرياح رائحة شواء القرابين إلى السماء.
٥٥٠ وسهروا الليل بطوله، وهم يفكرون في أمور عظيمة،
بجوار خنادق القتال، وأشعلوا الكثير من النيران أمامهم.
وكما تلمع النجوم المتألقة حول القمر
في السماء، عندما يكون الهواء عليلاً
٥٥٥ فتظهر قمم الجبال كلها والأراضي المرتفعة
والوديان كثيفة الأشجار، ومن السماء ينساب الأثير الرائع
فيرى المرء النجوم جميعها، ويتهلل قلب الراعي،
٥٦٠ هكذا أشعل الطرواديين، فيما بين السفن وروافد نهر كسانثوس،
الكثير من النيران التي كانت تتألق أمام إليون .

لقد أشعلت آلاف النيران في السهل، وبجانب كل
شعلة من النيران المتأججة، جلس خمسون رجلاً.
وكانت الجياد تأكل الشعير الأبيض والحبوب وقد وقفت ساكنة
بجوار العربات في انتظار ظهور ربة الفجر، ذات العرش والبهاء. ٥٦٥

الكتاب التاسع



ترجمة منيرة كروان

- هكذا واصل الطرواديين الحراسة، ولكن الرعب
الإلهي، رفيق الخوف الذي يجمد الأطراف، أصاب
الآخيين، وتملك حزن يفوق الاحتمال جميع القادة.
وكما تهب الرياح الشمالية (بورياس) والغربية (زيفيروس)،
القادمة من طراقيا، على البحر المليء بالأسماك،
فتهبج أمواجه وفي الوقت نفسه، تندفع موجة داكنة،
على حين غرة وتحرف معها إلى الشاطئ الكثير
من الأعشاب البحرية، هكذا هاجت روح الآخيين داخل
صدورهم. وقد أصاب قلب ابن أتريوس ضيق عظيم،
فكان يروح جيئة وذهابا، وأمر المنادين نوى الصوت
الواضح أن يدعوا كل فرد بالاسم لحضور الاجتماع،
وإلا يصيحوا بصوت عال. بينما تولى هو دعوة القادة.
وبقلوب كسيرة جلسوا في الاجتماع، ونهض أجاممنون
وهو يذرف الدمع الغزير مثل نافورة
تصب مياهها قاتمة اللون من فوق صخرة منحدرية،
وخاطب الأرجيين وهو يئن بشدة قائلاً:
" أيها الأصدقاء، يا زعماء الأرجيين وقادتهم
لقد أوقعني زيوس، بن كرونوس، ذلك القاسي، في حرج كبير
فقد أعلن موافقته ووعدني بالأشق طريقى للوطن قبل تحطيم إليون
للحصينة تماما. أما الآن فقد خطط لخيانة مخجلة، إذ يأمرني
أن أعود إلى أرجوس مجللاً بالعار، لأننى حطمت
شعوباً عديدة. رغم أن زيوس، أقوى الآلهة، يجد
متعة في ذلك، لقد حطم قلاع مدن عديدة من قبل،
وسوف يحطم غيرها بالتأكيد، لأنه أقوى سلطة.

ولكن هيا بنا ولنحاول إقناع الجميع بما أقول،
فلنهرب بسفننا إلى أرض وطننا الحبيبة،
لأننا لن نستولى على طروادة، فسيحة الطرقات ، أبداً".
هكذا تحدث، واستمع إليه الآخرون في صمت.

٢٠ وظل أبناء الآخيين في صمتهم طويلاً بسبب حزنهم
الشديد. وبعد وقت طويل، تحدث ديوميديس، البارع في
صيحة القتال، قائلاً:

" يا ابن أتريوس، سوف أجادلك أولاً فيما قلته من حماقة،

فلا تغضب يا سيدي، فتلك سنة مجلسنا،
في البداية، لقد سبق وأنكرت شجاعتى وسط جموع
الدانائيين، وادعيت أنني ضعيف وغير كفء للحرب.

٣٥ إن الأرجيين جميعاً، صغارهم وكبارهم، يعرفون تماماً
أن ابن كرونوس، ملتوى النصيحة، منحك إحدى الحسينين:
لقد منحك الصولجان لتكون مبعلاً بين الجميع،
ولكنه لم يمنحك الشجاعة، ولها السلطان الأكبر.

٤٠ سيدي المبعجل، أعتقد حقاً أن الآخيين ضعفاء
وغير أكفاء للحرب كما سبق وأعلنت ؟
إذا كنت متلهفاً على العودة، فلتنذهب أنت،

فالطريق أمامك والسفن تقف في انتظارك بجانب
الشاطئ. العديد من السفن، إنها تلك التي أفلتت من
موكيناي. أما الآخيون الآخرون ذوو الشعر الطويل

٤٥ فباقون إلى أن تتمكن من تدمير طروادة تماماً. وإذا أرادوا
حتى هؤلاء فليعودوا إلى أرض وطنهم الغالية.
أما نحن الاثين، أنا وسثينيلوس، فسنظل نحارب
حتى ندمر إليون. لقد جمعنا مشيئة الآلهة "

- ٥٠ هكذا قال، وواصل كل أبناء الأخيين الصياح
مستحسنين حديث ديوميديس مروض الخيول.
عندئذ قام الفارس نيسطور وخاطبهم قائلاً:
" يا ابن تيديوس، إنك بارع في الحرب
كما أنك تبرز أقرانك المتساوين معك مناً في إسداء
النصيحة، وما من أحد بين الأخيين سوف يلومك على
٥٥ حديثك، وما من أحد سوف يعارضك. ولكن شيئاً ما لم
تقل بعد. إنك صغير جداً، أصغر من أن تكون
كآخر ما جاءني من الولد. ولكنك تنطق بالحكمة.
لقد حدثت النبلاء الأرجيين بطريقة صائبة،
ولكن، لأنني أكبرك في السن
٦٠ فسوف أتكلم وأحكي كل شيء. وما من أحد
سوف يستخف بحديثي، ولا حتى أجامنون سيدنا:
إن الذي يحب إشعال نيران الحروب بين أهله
وعشيرته، تكرهه عشيرته وينبذه القانون ويلفظه وطنه.
والآن، وما دمنا قد انتهينا من متاعب النهار
٦٥ دعونا نجهز العشاء، وليمكنك كل حارس
بجوار الخندق المحفور خارج المتاريس.
سوف أعلن هذه الأوامر للشباب. ولتتول أنت
بقية الأمور يا ابن أتريوس. ولأنك أكثر الملوك هبية،
فلتقم مادبة تليق بك لكبار السن. فهذا من مهام
٧٠ منصبك. فالخيام مليئة بقنان الخمر، التي تحضرها
سفن الأخيين يومياً من طراقيا، وهي تجوب أنحاء
البحر الفسيح. أما كرم الضيافة فمن شيمك. وأنت سيد
الجميع. فإذا ما اكتمل الجمع، أطيعوا من يقدم

- ٧٥ النصيحة الأكثر حكمة. فالأخيون جميعاً
 فى أمس الحاجة للنصيحة الطيبة الحصيفة. لقد أشعل
 الأعداء حرائق كثيرة بالقرب من السفن. من الذى
 يسعده ذلك؟ سوف تشهد هذه الليلة تحطم أسطولنا أو إنقاذه".
 هكذا قال، وبعد أن استمعوا إليه فى هدوء
- ٨٠ أطاعوا نصيحته، وأسرع الحراس كل إلى وظيفته بعد
 أن نظموا أنفسهم وتجمعوا حول ثراسيميديس بن
 نيستور، حامى الشعوب، وحول أسكالافوس وبالمينوس،
 ولدى آريس، وحول ميريونيس وأفاريوس ودأبييروس،
 وحول ليكوميديس الإلهى بن كريون.
- ٨٥ سبعة قادة للحرس، ذهب مع كل منهم مائة من
 الشباب، ساروا شاهرين رماحهم الطويلة فى أيديهم،
 واتخذوا مواقعهم فى منتصف المسافة بين الخندق
 والحائط هنالك أشعلوا النيران وأعدت كل فرقة
 عشاءها. بينما جمع ابن أتريوس حشداً من كبار
- ٩٠ أعضاء مجلس الأخيين فى خيمته، وبسط أمامهم مائدة
 حاقة (تليق به). ومد الضيوف أيديهم إلى الطعام
 الوفير المبسوط أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الطعام
 والشراب بدأ نيستور، قبل الجميع، ينسج خيوط
 نصيحته، فقد كانت نصيحته دائماً الأكثر حكمة.
- ٩٥ لقد قام ذو العقل الراجح واستحثهم قائلاً:
 "أجاممنون، يا ابن أتريوس، يا ملك الرجال وصاحب
 الجلال، باسمك سيبدأ هذا الحديث وبه سوف
 ينتهى. فأنت ملك العديد من الشعوب. وقد وضع زيوس
 بين يديك الصولجان والقوانين، حتى تقدم

- ١٠٠ النصيحة للشعوب. لذلك يجب عليك أن تتحدث قبل الجميع، وواجبنا أن نستمع حتى تحقق للآخرين ما تتمناه قلوبهم. تحدث إلى القادة، فإن تحقيق رغباتهم يتوقف عليك. أما أنا فسأعلن الرأي الذي أراه أكثر حكمة، وما من أحد سوف يجد فكرة أفضل منه. فقد واصلت التفكير فيه منذ زمن بعيد وحتى هذه اللحظة. منذ اندفعت أنت يا سليل زيوس إلى خيمة أخيليوس الغاضب، وأخذت فتاته بريسييس رغم أننا لم نوافقك قط. لقد حاولت إقناعك بالعدول، حاولت جاهداً دون جدوى. فلأسف، لقد جعلتك روحك المتجبرة تهين أشجع الرجال، الذي تحترمه الآلهة نفسها وتجله. لقد أخذت جائزة تكريمه. والآن فلنشاور كيف نصالحه ونقعه ونستميله بالهدايا، وكيف نخاطبه بالكلمات الرقيقة "
- ١١٠ ومرة أخرى رد عليه أجامنون، ملك الرجال قائلاً:
- ١١٥ "إنك لم تجاوز الحقيقة فيما قلت عن أخطائي، لقد تصرفت بحماقة. ولن أنكر ذلك أبداً. فمن يحبه زيوس من صميم قلبه يجعله يساوى عدداً كبيراً من البشر، مثلما يكرم الآن هذا الرجل ويدمر شعب الأخبين. لقد كنت أعمى، عندما خضعت لحماقتي، ولكي أصلح ما فعلته فسأقدم له فدية
- ١٢٠ لا تعد ولا تحصي، وأعلن أمامكم هداياي: سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة تالنتات^(*)

(*) لم تك العملة تالت Talanton قد عرفت في عصر هومروس وربما تشير العبارة إلى مجرد أوزان من الذهب. (المحرر)

- من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع،
اثني عشر جواذاً من جباد السباق القوية التي
١٢٥ تحصد الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيراً
أبداً من يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب
من يحصل على هذا الكنز، فقد أحرزت لي
جياذى الأصيلة الكثير منه في السباقات.
وسوف أمنحه سبع نساء ماهرات لا نظير
لهن جليتهن من ليسوس، جميلة المياني،
١٣٠ عندما فتحها هو نفسه، وكنت قد اخترتني
لجمالهن الفائق. سوف أقدمهن له،
بالإضافة إلى الفتاة التي أخذتها منه
ابنة بريسوس. وأقسم بأغظ الأيمان
أننى لم أفز إلى فراشها ولم أضمها في أحضانى
ولم تربطنى بها قط العلاقة المعتادة بين الرجل والمرأة.
١٣٥ كل هذه الأشياء سوف تكون ملكاً له في الحال. وإذا ما
قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة برياموس
العظيمة، فسوف أجعله يملأ سفينته بالذهب والبرونز،
قبل أن نفتح نحن الأخيين المدينة، ونبدأ في توزيع
الغنائم. وسوف أدعه يختار لنفسه عشرين امرأة من
الطرواديات من بين أجمل النساء بعد هيليني الأرجية.
١٤٠ وإذا ما وصلنا إلى أرجوس الآخية، أخصب
الأراضين، سوف أعامله كابنى. وسوف أحبه مثلما
أحب ابنى أوريستيس الذى ربيته في رفاهية ونعيم لشدة
حبي له، ومن بين بناتى الثلاث الموجودات فى قصرى

- ١٤٥ الحصين، خريسوثيرميس ولاؤديكي^(*) وإفياناسا
فليأخذ من تروق له إلى بيت بيلبوس،
دون أن يقدم هدايا الزواج، بل سوف أعطيها
أنا هدايا كثيرة قيمة. لم يقدمها أحد لابنته
من قبل قط. سوف أمنحه سبع مدن عامرة بالسكان:
- ١٥٠ كاردامولى وإنوبى وهيرى، كثيرة الأعشاب
وفيراي المقدسة، وأنثيا الغنية بالمروج
وأييا الجميلة، وأيضاً بيداسوس الغنية بجنات الأعتاب.
وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلبوس
كثيفة الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير
من الماشية والثيران، وسوف يبجلونه كما لو كان إلهاً
ويقدمون له الهدايا. وعندما يحكمهم
سوف يقدمون له فرائض الطاعة.
كل هذا سوف أقدمه له إذا ما تخلى عن غضبه
وأذعن، فإن هاديس فقط هو الإله الذى يتصف بالعناد الشديد
لذلك فهو من بين جميع الآلهة الخالدين كره لى كافة البشر
- ١٦٠ الغانين فليذعن لى، فأنا أقوى منه سلطاناً، وأنا أتوسل إليه،
رغم أننى أكبر منه سناً".
فأجابه نيسطور، الفارس الجيرينى، قائلاً:
" سيدى الميجل أجامنون بن أتريوس، يا ملك الرجال
لا عيب مطلقاً فى الهدايا التى تقدمها لأخيلبوس لتكسب
وده، ولكن لنعجل بإرسال من نختارهم ليذهبوا
بأقصى سرعة إلى خيمة أخيلبوس بن بيلبوس.
أما الآن فليطع أوامرى من يقع عليه اختيارى

(*) يرجح أن تكون لاؤديكى هى إلكرا. (الحرر)

- سوف يتولى القيادة، قبل الجميع، فويتيكس،
 حبيب زيوس، ثم يليه أياس العظيم، ويليهِ أوديسيوس
 ١٧٠ شبيه الآلهة، وليذهب معهم أوديسوس ويوريباتيس رسلاً.
 أما الآن، فلتحضر الماء لغسل أيدينا، ولنلتزم الصمت
 المقدس ولننزع لزيوس بن كرونوس، كي يرحمنا".
 هكذا تحدث. وكان حديثه مصدر ارتياح للجميع.
 وفي الحال أحضر الرسل الماء وصبوه على أيدي
 ١٧٥ القادة. ثم ملأوا أباريق الخمر عن آخرها،
 وبعد أن وزعوها على الكنوس، سكبوا القرابين للآلهة.
 وبعد أن شرب كل منهم حتى ارتوى،
 اندفعوا خارجين من خيمة أجامنون بن أتريوس،
 بعد أن أصدر إليهم تيستور، الفارس الجيريني، العديد
 ١٨٠ من الأوامر وهو ينظر إلى كل منهم، وخاصة إلى
 أوديسيوس. وأوصاهم أن يحاولوا إقناع ابن بيليوس،
 البطل المغوار. وسار الرفيقان بمحاذاة شاطئ البحر
 الهادر وتضرعا كثيراً (لبوسيدون) مزلزل الأرض
 والمحيط بها، أن يساعدهما في إقناع عقل سليل أياكوس
 ١٨٥ العنيد. وعندما وصلا إلى خيام الميرميدونيين
 وجدا أخيليوس يروح عن نفسه بالعزف على
 قيثارته الجميلة، التي تزينها الزخارف الدقيقة وكذا قضيب
 من الفضة. وكان قد أخذها ضمن الغنائم عندما اجتاح
 مدينة إيثيون وكان يطيب له التغنى بأمجاد الأبطال.
 ١٩٠ وكان باتروكلوس يجلس في مواجهته صامتاً وحيداً،
 وكان يستمع إلى سليل أياكوس منتظراً أن ينتهي من
 غنائه. وعندما وصل الاثنان إليه، وكان أوديسيوس في

- المقدمة، وقفاً في مواجهة أخيليوس الذي ترك
مكانه وهب واقفاً من الدهشة وهو ما يزال يمسك
قيثارته. وبالمثل هب باتروكلوس واقفاً عندما رأى
الرجلين ورحب أخيليوس، سريع القدمين، بهما قائلاً:
"مرحباً بكما أيها الصديقان العزيزان.
ما الأمر الملح الذي جاء بكما؟ فرغم غضبي فأنتم أحب
الناس إلى قلبي بين جميع الآخرين".
- ١٩٥ هكذا قال أخيليوس النبيل وهو يقودهما حيث أجلسهما على
المقاعد والمفارش الأرجوانية. وتوجه بالحديث لباتروكلوس الذي كان
يقف على مقربة منه قائلاً:
"والآن يا ابن مينويتوس، لتحضر لنا طاساً أكبر
ولتمزج فيه الخمر الأقوى، ولتصب لهما الخمر في
الكنوس، فهذان اللذان جاءا إلى خيمتي هما أعز الرجال لدى".
- ٢٠٠ هكذا قال وأطاعه رفيقه الحبيب باتروكلوس ،
الذي ألقى صحيفة ضخمة في النيران المستعرة
كان قد وضع فيها قطعة لحم من ظهر خروف سمين ،
كما وضع بها قطعة من سلسلة ظهر خنزير سمين ،
غنى بالدهون. وكان أوتوميدون يمسك اللحم بينما كان
أخيليوس المبجل يقطعها. وبعد أن قطعها جيداً، ثبت
قطع اللحم في الأسياخ وأشعل ابن مينويتوس، شبيه
الآلهة، ناراً ضخمة. وبعد أن هدأت النيران وسكن
لهيبها قام بتسوية الجمرات ووزع الأسياخ فوقها
ونثر عليها الملح المقدس، ثم وضع قطع اللحم على
النار. وعندما نضج الشواء تم وضعه على الموائد،
- ٢١٠
٢١٥

- ثم أخذ باتروكلوس الخبز ووزعه على الموائد،
بعد أن وضعه فى سلال جميلة، بينما وزع أخيليوس
اللحم. ثم جلس فى مواجهة أوديسيوس الإلهى
قريبًا من الحائط المقابل، وأمر رفيقة باتروكلوس
بتقديم القرابين للآلهة، فوضع نصيب الآلهة على
الذيران. ومدوا جميعًا أيديهم إلى الأطباق المصقوفة
أمامهم. وعندما نالوا كفايتهم من الأكل والشراب
أوماً أياس برأسه إلى فوينيكس. والنقط أوديسيوس
الميجل الإشارة فملاً كأسه بالخمير وشرب نخب أخيليوس وهو يقول:
- ٢٢٠ "تسعد أخيليوس! ونحن حقاً لم نتقصنا الولائم
سواء فى خيمة أجاممنون بن أتريوس أو فى هذه الوليمة
المصقوفة أمامنا فهى فاحشة الثراء.
ولكن الولائم المبهجة لم تعد تثيرنا
إذ يجتاح نفوسنا حزن عظيم، يا ربيب زيوس، عند
رؤية الكارثة. فنشعر جميعاً بالخوف، إذ نتوقف نجاتنا
أو هلاكنا على السفن ذات المقاعد القوية، إذا لم
نتزود بالشجاعة. لقد أقام الأعداء معسكرهم بالقرب من
السفن والحائط. لقد أشعل الطرواديون الأشاوس
وحلقاؤهم ذائعو الصيت نيراناً كثيرة فى جميع أنحاء
المعسكر، يعتقدون أننا لن نستطيع الصمود وأننا
سوف نسقط هنا وسط السفن السوداء.
- ٢٢٥ كما أن زيوس بن كرونوس، يظهر لهم علامات فأله
الطيب ويرسل البرق، ويسطع نجم هيكتور مفعماً
بالقوة. لقد استبد به الغضب الشديد، ولأنه يعتمد على
تأييد زيوس، ولم يعد يحترم بشراً ولا آلهة. لقد امتلأت

- ٢٤٠ نفسه بغضب مجنون، وهو يتضرع لربة الفجر (أيوس)
أن تسرع باليزوغ متوعدًا أن يمزق الشارات
فوق سفننا وأن يشعل فيها النيران المدمرة، وأن يقتل
الآخيين بجوار السفن بعد أن يجبرهم الدخان على
الخروج. يرتجف قلبي خوفًا من هذا كله، خشية أن
- ٢٤٥ تحقق الآلهة هذه التهديدات، ويصبح مقدرًا علينا
أن نهلك هنا في طرودة، بعيدًا عن أرجوس، حيث
توجد مراعى الخيول، إلا إذا كنت ترغب في إنقاذ
الآخيين الذين يعانون من صخب الطرواديين. ولو أنك
قد تأخرت كثيرًا، وإلا فسوف يصيبك الحزن فيما بعد.
- ٢٥٠ ولن تجد علاجًا للكارثة بعد أن تكون قد وقعت
بالفعل^(*). ففكر جيدًا كيف تجنب الدائنين مغبة هذا
اليوم العصيب، صديقي العزيز، لقد أمرك أبوك
بيليوس نفسه يوم أرسلك من فثيا لمساعدة أجامنون قائلاً:
- "يا بني، إن أثينة وهيرا ستمنحانك القوة
إذا كانت هذه هي مشيئتهما، ولكن لتكبح جماح الغضب
داخل قلبك وإن كبر حجمه، فإن الحلم سيد الأخلاق.
واجتنب الشقاق جالب الفتنة يبجلك
الأرجيون جميعًا، صغارهم وكبارهم.
بهذا أمرك الشيخ المسن ولكنك أهملت نصيحته.
- ٢٦٠ والآن لتتوقف عن غضبك الذي يضنى قلبك، وسوف
يمنحك أجامنون هدايا تليق بك إذا تخليت عن غضبك

(*) يرد عند بداروس (الأولمبية الثانية بيت ٢٩ وما يليه مامناه: "عندما يتم الفعل لا يستطيع الزمن نفسه، الأب الكرون للأشياء، وليس يوسع، أن يغير نتائج ما تم فعله" وعن فكرة فوات الآران في الأدب الإغريقي بصفة عامة راجع: أحمد عثمان، "الزمن المأساوي في الفكر الإغريقي"، "ألف، مجلة الملاحظة المقارنة"، عدد ٩ (الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٨٩) ص ١٧٣-١٨٨. (الغزر)

- تعال الآن هنا واستمع لى وأنا أعدد لك
الهدايا الموجودة فى خيامه و التى وعد أن يمنحك
إياها: (*) سبعة مقاعد ثلاثية لم تمسها النار، عشرة
٢٦٥ تالنتات من الذهب، عشرين وعاء من النحاس اللامع،
انثى عشر جواذاً من جباد السباق القوية التى تحصد
الجوائز لسرعة أقدامها. لن يكون فقيراً أبداً من
يحصل على هذه الأشياء، ولن يحتاج للذهب من يحصل
على هذا الكنز، فقد أحرزت له جواده الأصيلة الكثير
٢٧٠ منه فى المسابقات. وسوف يمنحك سبع نساء ماهرات لا
نظير لهن، جليهن من ليسبوس، جميلة المباني، عندما
قمت أنت نفسك بفتحها، وكان قد اختارهن لجمالهن
الفائق، سوف يقمنهن إليك، بالإضافة إلى الفتاة التى
أخذها منك، ابنة بريسيسوس. وهو يقسم بأغلظ الإيمان
٢٧٥ أنه لم يقفز إلى فراشها ولم يضمها إلى أحضانه ولم
تربطه بها قط، أيها الملك، العلاقة المعتادة بين الرجل
والمرأة. كل هذه الأشياء سوف تكون ملكك فى الحال
وإذا ما قدرت لنا الآلهة أن نستولى على مدينة
برياموس العظيمة فسوف يدعك تدخل وتملأ سفينتك
٢٨٠ بالذهب والبرونز، قبل أن نقتحم نحن الأخيين المدينة
ونبدأ فى توزيع الغنائم. وسوف يدعك تختار لنفسك
عشرين امرأة من الطرواديات من بين أجمل
النساء بعد هيلينى الأرجية. وإذا ما وصلنا إلى أرجوس
الأخية، أخصب البلاد فسوف يعاملك كابنه. سوف
٢٨٥ يحبك مثلما يحب ابنه أوريسيس الذى رباه فى رفاية

(*) هذه الأبيات مكررة قارن أعلاه بيت ١٢٠ وما يليه. (المحرر)

- ونعيم لشدة حبه له. ومن بين بنائه الثلاث الموجودات
 فى قصره الحصين خريسوثيرميس ولاؤديكى وإفياناسا
 لتأخذ من تروق لك إلى بيت بيلوس. دون أن تقدم هدايا زواج،
 ٢٩٠ وسوف يعطيها هو هدايا كثيرة قيمة لم يقدمها أحد لابنته من قبل قط.
 وسوف يمنحك سبع مدن عامرة بالسكان:
 كاردامولى وانوبى وهيرى، كثيرة الأعشاب،
 وفيراي المقدسة، وأثيا الغنية بالمروج
 وآيبيا الجميلة وكذلك بيداسوس الغنية بجنات الأعناب
 ٢٩٥ وكلها قريبة من البحر وتقع على حدود بيلوس، كثيفة
 الرمال. ويملك سكان هذه المدن الكثير من الماشية
 والثيران، وسوف يبجلونك كما لو كنت إلهاً وسيدمون
 إليك الهدايا. وعندما تحكمهم سوف يقدمون لك فرائض
 الطاعة، كل هذا سوف يقدمه لك إذا ما تخليت عن
 ٣٠٠ غضبك، حتى لو كنت تكره ابن أتريبوس من كل قلبك،
 وتكره هداياه، فلترحم كافة الآخرين
 الذين أصابهم الحزن فى جميع أنحاء الجيش، فسوف
 يبجلونك كإله، وسوف تكون مكانتك رفيعة بينهم.
 والآن يجب عليك أن تقتل هيكتور، فقد يهاجمك
 ٣٠٥ فى نوبة جنون مدمرة، إذ يعتقد أنه يتفوق
 على جميع الدانائيين الذين أحضرتهم السفن إلى هنا".
 فرد عليه أخيلوس، سريع القدمين، قائلاً:
 "أوديسوس، ياكثير الحيل، يا ابن لائيرتيس. ياسليل
 زيوس هل يجب على أن أقول كلمتى دون تدبر
 ٣١٠ العواقب، ودون أن أمحص ما أفكر فيه وأرى كيف
 يتحقق، حتى لا تتكسوا من حولى بكلمات التملق.

- إننى أكره الرجل الذى يخفى فى قلبه أمرًا
ويعلن أمرًا آخر^(*)، كراهيتى ليوابات هاديس.
ولكننى سوف أعلن ما يبدو أفضل الأشياء بالنسبة لى.
٣١٥ أعتقد أن أجاممنون، بن أتريوس، لن يستميلنى أبدًا.
ولا جميع الدانائيين، فما من كلمة شكر قدمت لى،
عندما كنت أحارب الأعداء دون هوادة.
فمصير من يتكاسل ومن يحارب واحد
ويلقى الجبان والمقدام التقدير نفسه، فالذى
٣٢٠ يكافح كثيرًا، والذى لا يكافح مطلقًا يموتان الميتة نفسها،
وما جنيت فائدة قط من الصعاب التى تكابدها روحى،
والتى تربط حياتى بالخطر وإشعال الحروب.
مثل الطائر الذى يحمل بمنقاره كسرات الطعام
لصغاره قليلة الخبرة ويطعمها إياها، رغم أنه فى شدة
٣٢٥ الحاجة إليها. هكذا أنا، فكم من ليالٍ مديدة وأيام عديدة
قضيتها دون نوم، تغطى الدماء جسدى فى ساحة
الوغي، أحارب مع من يحاربون من أجل زوجاتهم.
لقد دمرت اثنتى عشر مدينة بسفلى، وإحدى
عشر مدينة سيرًا على قدمى عبر أراضى طروادة الخصيبة.
٣٣٠ كثيرة هى وعظيمة تلك الكنوز التى غنمتها من هذه
المدن، والتى كنت أحملها كلها إلى أجاممنون بن أتريوس،
وأعطيها له. بينما يبقى هو فى الخلف بجوار
السفن ليستقبل ما أعطيه له. فيوزع القليل ويحتفظ
لنفسه بأكثرها. وعندما كان يعطى مكافأة للملوك

(*) قارن ما يقوله سينيكا "Turpe est aliud loqui, aliud sentire" (Epist. 14) "من العار أن تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخر". (المحرر)

- ٣٣٥ والنبلاء كانت يده لا تمتد إليها ثانية. ولكنه أخذ
محظيتي أنا من بين جميع الآخيين، وهو ينعم بقربها
الآن. ولكن لماذا ينبغي أن يحارب الأرجيون
الطرواديين؟ لماذا أبحر ابنا أتريوس
وحشدوا الجيوش هنا؟ من أجل هيليني جميلة الشعر،
٣٤٠ ليس كذلك؟ أم أن ابنا أتريوس هما فقط من بين
البشر اللذان يحبان زوجتيهما؟ إن الرجل النبيل الفطن
يحب زوجته ويهتم بأمرها. وكذا أحببت أنا
أيضاً زوجتي، رغم أنني حصلت عليها بحد السيف.
فدعه لا يحاول الآن، وقد أخذ جائزتي وخذعني
٣٤٥ أن يستميلني ثانية، فأنا أعرفه جيداً، فلن أذعن له.
وليتشاور معك يا أوديسيوس ومع الملوك الآخرين
كيف يجنب السفن خطر نيران العدو، فقد قام بأعمال كثيرة بدوني،
فقد قام ببناء الحائط وأضاف إليه أيضاً خندقاً
٣٥٠ كبيراً وعميقاً وأحاطه جيداً بالسياج الخشبية.
فليبحث الآن كيف يصد هيكتور قاتل الرجال.
لم يجرؤ هيكتور أن يحارب بعيداً عن أسواره
طالما كنت أحارب أنا في صفوف الآخيين. ولم يذهب
مطلقاً لأبعد من بوابات سكاياي وشجرة البلوط،
٣٥٥ لقد قاومتني مرة واحدة وأفلت من هجومي بصعوبة.
والآن، حيث إنني لا أرغب في قتال هيكتور، شبيه
الآلهة، فسوف أقدم القرابين غداً لزيوس ولجميع الآلهة.
ويعد أن أملاً سفتني بالعتاد الكافي سوف أبحر،
فإذا ما كانت لديكم الرغبة والاهتمام، سوف تروني
٣٦٠ أبحر في الصباح الباكر إلى بحر هيليسبونطوس

- الملء بالأسماء، ومعى فى السفن رجالى الذين يجدفون
بحماس جارف، وإذا ما وفر لى بوسيدون المجيد،
مززل الأرض، رحلة طيبة فسوف أصل إلى فثيا الخصبة
فى اليوم الثالث. إننى أملك الكثير، وقد تركته خلفى
٣٦٥ عندما أتيت إلى هنا للدمار. وسوف أحمل معى من هنا
الذهب والنحاس الأحمر والنساء اللاتى يتمنطقن جيداً
والحديد العتيق. وكانت كلها من نصيبى عند إجراء
القرعة. فهى غنيمتى التى أعطانى إياها الملك
أجاممنون بن أتريوس، ثم أهاننى وأخذها منى ثانية .
٣٧٠ فلتعلنوا على الملأ ما أمركم به حتى لا يتذمر الأخيون
الأخرون، إذا ما فكر فى خداع أحد الرفاق من الدانائيين،
فهو يتصف بالوقاحة دوماً ، ولكنه لن يجرؤ
على النظر فى وجهى، رغم أنه لا يعرف
الخدل، ولن أتشاور معه فى أمر، ولن أشاركه العمل
٣٧٥ لأنه خدعنى وأساء إلى. لذلك فمن الآن فصاعداً
لن يخدعنى بكلماته. يكفينى منه ذلك، وليذهب هو
للجحيم كما يشاء. لقد سلبه زيوس، واسع الحكمة،
عقله. إننى أكره هداياه، وهى لا تساوى عندى شيئاً ،
حتى لو أعطانى عشرة أضعاف أو حتى عشرين ضعفاً
٣٨٠ من كل ما يملكه الآن، وكل ما قد يحصل عليه من مكان
آخر، ولا كل ما يدخل إلى أورخومينوس أو إلى طيبة.
المصرية، حيث تمتلئ الخزائن بكل ما هو نفيس وقيم طيبة،
ذات البوابات المائة التى ينطلق من كل
منها مائتا بطل ومع كل منهم جياده وعربته.
٣٨٥ إن أجاممنون لن يسيطر على روحى،

- حتى لو أعطاني هدايا بعدد حبات الرمال،
بسبب ما لحقني منه من إهانة.
- ولن أتزوج ابنة أجاممنون بن أتريوس، أبدًا حتى لو
كانت تبارى أفروديتي ذهبية الشعر، جمالاً،
٣٩٠ أو لو كانت تقوم بما تقوم به أثينة، زرقاء العينين، من
أعمال. لن أتزوجها أبدًا. فليختر لها شخصًا آخر من
بين الأخيين، شخصًا يتناسب معه ويكون أكثر سلطانًا مني.
أما أنا، فإذا ما أنقذتني الآلهة وعدت إلي وطني سالمًا
فإن بيليوس نفسه هو الذي سوف يختار لي زوجتي.
- ٣٩٥ ففي هيلاس وفي فستيا، توجد فتيات أخيات كثيرات
من بنات الملوك، الذين يحرصون على إنقاذ
المدن، ومن الأفضل أن أختار عروسي من بينهم.
إن روعي الأبية تدفعني دفعًا
إلى أن أتخذ لنفسى زوجة تتواءم معي، وأن أستمتع
٤٠٠ بما يملكه بيليوس الشيخ المسن من ثروة. فإنني أعتقد
أنه لا شيء يساوي روح الإنسان، ولا حتى الثروات
الضخمة التي يقال إن مدينة إليون العامرة كانت
تملكها وقت السلم، قبل مجيء الأخيين، ولا حتى
كل ما يوجد في معبد أبوللون الوضاء (فوييوس)
٤٠٥ الذي يسيطر على معبد بيثو (دلفي) الصخري.
- فمن الممكن أن يأخذ المرء غنائم من الثيران والماشية
السمينة، ومن المقاعد الثلاثية، وكذلك من الجباد الشقراء،
ولكن روح الإنسان لا تعود إليه مرة أخرى
إذا ما أزهقت وخرجت من بين أسنانه.
- ٤١٠ لقد أخبرتني أمي ثيتيس، فضية القدمين أن مصيري

- الذى يحمل لى الموت فى النهاية مقسم بين أمرين:
 فإذا ما اخترت البقاء فى مدينة طروادة لأحارب
 فلن نتاح لى العودة، وإن كنت سأنال شهرة لا تزول.
 أما إذا عدت إلى أرض وطنى الحبيب
 ٤١٥ فسأفقد سمعى الطيبة، وإن كانت حياتى ستمتد طويلاً،
 إذ لن ألقى الموت سريعاً. ومن ثم فإننى سوف أحت الأخرين كذلك
 على الإبحار للوطن، حيث أنكم لن تشهدوا
 سقوط إليون المنيعه. لأن زيوس بعيد النظر،
 ٤٢٠ يحمى هذه المدينة ويؤيد أهلها.
 وحيث إنكم سوف تذهبون للقاء ملوك الأخيين
 فلتعلموا لهم رسالتى بصراحة، فتلك هى مهمة الشيوخ
 أن يعملوا عقولهم ويفكروا فى خطة أفضل تنقذ السفن
 وتنقذ شعب الأخيين الموجود فى السفن المجوفة حيث أن الخطة
 ٤٢٥ التى أعلنوها وهم لا جدوى منه، فإن غضبى لم يهدأ بعد.
 أما فوينيكس، فلنتركوه لينام هنا فى خيامنا
 حتى يبحر معى فى السفن إلى وطننا الحبيب فى
 الصباح الباكر. إذا كانت هذه رغبته، فإننى لن أصحبه مكرهاً "
 ٤٣٠ هكذا تحدث واستمع إليه الآخرون فى صمت
 مطبق، وقد أخذتهم الرهبة من حديثه. فقد كان رفضه
 عنيفاً للغاية. وبعد وقت طويل تحدث فوينيكس، الفارس الأشيب،
 ودموعه تنهمر مدراراً من شدة خوفه على سفن الأخيين وقال:
 "أخيلبوس أيها الأمجد، إذا كنت قد حسمت أمرك
 ٤٣٥ وقررت العودة، ولم تعد تهتم مطلقاً بإبعاد خطر النار المدمرة
 عن السفن السريعة، حيث إن الغضب تمكن من
 روحك، فكيف أبقى أنا هنا بعيداً عنك، يا ولدى

- الحبيب، وأتركك وحيداً؟ لقد أرسلنى إلى جانبك
 الفارس المسن بيليرس فى اليوم نفسه الذى أرسلك
 ٤٤٠ من فثيا لمساعدة أجاممنون وكنت آنذاك غراً صغيراً،
 لا تعرف فن القتال ولا مهارة الحديد، وهى المهارات
 التى تتضح الرجال. من أجل ذلك استدعانى والدك كى أعلمك
 كيف تكون ماهراً فى القول وفى الفعل.
 لذلك يا ولدى الحبيب، لن أوافق بعد الآن على أن
 ٤٤٥ ابتعد عنك، حتى لو وعدنى الإله نفسه بأن يخلصنى
 من الشيوخة، وأعود إلى شرخ الشباب مثلما كنت
 عندما تركت هيلاس، بلاد النساء الجميلات، وهربت
 بعد أن تشاجرت مع أبى أمينتور، بن أورمينوس.
 فقد غضب منى غضباً شديداً بسبب محظيته جميلة الشعر.
 ٤٥٠ فقد شغف أبى بحبها، مهملأ زوجته، أمى،
 التى ركعت أمامى وتوسلت لى أن أستبقه
 وأضاجع محظيته حتى تنفر من أبى المسن.
 فحضعت بالفعل لتوسلاتها. وفى الحال. شعر أبى بما حدث
 واستمطر اللعنات على، ونادى الإيرينيات^(*) البغيضات
 ٤٥٥ وتضرع إليهن ألا يجلس على قدميه ابن
 يخرج من صلبى. واستجابت الآلهة للعناته على.
 استجاب زيوس العالم الآخر (هاديس) وبرسيفونى الرهيبة.
 ٤٦٠ ولم يعد قلبى يحتمل أكثر من ذلك فى داخل صدرى،
 ولم أعد أحتمل البقاء فى منزل أبى الغاضب.

(*) الإيرينيات (Eirivues) : الإيرينيات ربات يظهرن فى الأعمال الأدبية بدءاً من هوميروس كمنتقمات
 جارات عادلات ومنفذات للعنات التى يصها المظلوم وخاصة على أولئك الذين يرتكبون جرائم تقطع صلة
 الرحم، ومن ثم كن يصفين إلى لعنات الأمهات والآباء على أولادهم العاقين. لذلك استجبن للعنات أمينتور
 على ولده فوينكس كما طاردن أورستيس، بن أجاممنون، بعد أن قتل أمه كليتمسترا.

- وجاء العديد من رجال عشيرتى وابناء عمومى
 وتضرعوا إلى محاولين إبقائي فى المنزل ،
 ٤٦٥ وظلوا يذبحون الكثير من الأغنام السمينة والثيران
 ذات القرون الملتوية والخنازير المليئة بالشحم والدهون،
 وقدموا الكثير منها قرابيناً على نيران الإله
 هيفايسترس. وشربوا حتى الثمالة من قوارير خمر
 أبى، وظلوا لمدة تسع ليال ينامون بالقرب منى،
 ٤٧٠ وتناولوا الحراسة فيما بينهم، تسع ليال لم تنطفئ
 خلالها النيران فى فناء الدهليز المنيع
 ولا فى الفناء الآخر الموجود أمام مدخل الحجرة.
 ولكن عندما أرخت الليلة العاشرة أسدالها حولى
 نهضت وفتحت باب حجرتى الموصد
 ٤٧٥ ومرقت للخارج، وقفزت من فوق سور الفناء، وأفلتت
 بسهولة من الحرس، ومن رجال المنزل ونسائه.
 ثم هربت بعد ذلك بعيداً إلى هيلاس الفسيحة ووصلت
 إلى فثيا الخصيبة، موطن قطعان الماشية، حيث
 ٤٨٠ ذهبت إلى الملك بيليوس الذى استقبلنى بحفاوة بالغة،
 وأحببنى كما يحب الأب ابنه
 الوحيد، الذى أنجبه والذى سيرث ثروته الضخمة.
 فأغدق علىّ المال وجعلنى حاكماً على شعب كبير العدد.
 وعندما كنت أقيم فى أطراف فثيا، حكمت الدولوبيس.
 ٤٨٥ ولقد أحببتك يا أخيلئوس، يا شبيه الآلهة،
 من كل قلبى، فقد كنت ترفض الذهاب
 إلى المآذب مع أحد غيرى، وكنت ترفض الأكل
 فى المنزل، إلا إذا أجلسنك على ركبتى. وكنت

- أطعمك من اللحم حتى تشبع، وأقدم لك الخمر لتشرب
 ٤٩٠ وكم من مرة لوئت صدر عباأتي
 وسكبت عليها الخمر في مشاكسة طفولية
 لقد تعبت من أجلك كثيراً وعانيت مصاعب جمّة.
 وحيث إن الآلهة لم تمنحني ولذا من صلبى،
 فقد اتخذتك أنت، يا أخيليوس يا شبيه الآلهة
 ٤٩٥ ولذا لي، حتى تدفع عنى الدمار المخيف. فلنكظم
 يا ولدى أخيليوس غيظك الكبير، فلا يليق بك أن تملك
 هذا القلب، الذى لا يلين. فإن الآلهة ذاتها تلين، رغم
 أن فضيلتها ومكانتها وقوتها أكبر منا، فالبشر
 يجعلون الآلهة تلين، عندما يقدمون لها البخور والندور،
 ٥٠٠ وعندما يحرقون لها الذبائح، ويسكبون قرابين الشراب
 ويتضرعون وبذلك يتخلصون من غضب الآلهة عليهم،
 إذا ما أخطأوا أو أصابهم الغرور. الليتاى^(٢) هن بنات زيوس
 العظيم بحق، وهن عرجاوات، مجعدات الوجوه،
 تنظر عيونهن بارتياح. تمشى الليتاى خلف الخطيئة وتتبعها.
 ٥٠٥ الخطيئة قوية ورشيقة القدمين، لذلك فإنها
 تسبق الجميع، وهى تصل إلى جميع أنحاء الأرض،
 وتسبب سقوط البشر، ثم تصلحهم مرة أخرى.
 أما الذى يبجل بنات زيوس، عندما يحضرن إليه،
 يساعده كثيراً ويستجبن لتضرعاته.
 ٥١٠ ولكن من ينكرهن ويصرح بذلك جهراً
 يجعلهن يذهبن إلى زيوس بن كرونوس ويتضرعن إليه
 أن يجعل خطيئته تتبعه حتى يكفر عنها

(٢) الليتاى (Λιταί): الليتاى هى تضرعات الاستغفار والتوبة وقد جسدتهن الأساطير وجعلتهن بنات زيوس.

- ولتتأكد يا أخيليوس، أن من يتبع طريق بنات زيوس
ينال التقدير، مثلما يميل القلب بفطرته للأشياء الطيبة.
ولكن لو لم يكن ابن أتريوس قد أحضر الهدايا ولم يسع
وراءك، بل استمر في غضبه العنيف وغيه،
ما كنت سأنصحك بالتخلي عن غضبك
حتى من أجل إنقاذ الأرجيين رغم حاجتهم للعون.
ولكنه يقدم لك الكثير الآن، ووعده بتقديم المزيد فيما بعد
كما أرسل لك أفضل الرجال ليتوسلوا إليك،
واختار من بين الآخيين أكثر
المقربين إلى نفسك، فلا تحنقر حديثهم
ولا تستهن بسعيهم، رغم أنك محق في غضبك.
لقد سمعنا فيما مضى عن أبطال مشهورين،
قد يمتلك الغضب الجامح نفس أحدهم، لكنه يقبل
الهدايا وتؤثر في نفسه الكلمات الطيبة. إنني شخصياً
أذكر تلك القصة، وهي ليست قصة جديدة، ولكنها
ترجع إلى الأزمان السحيقة، وسوف أقصها على هؤلاء
الأصدقاء، اشتبك الكوريتيون في حرب مع الأيتولييين
الأشداء حول مدينة كاليدون، واحتدم القتال بين
الطرفين، وبينما كان الأيتوليون يدافعون عن مدينة
كاليدون الجميلة، كان الكوريتيون يحاولون تدميرها
عن بكرة أبيها. وقد أنزلت ذهبية العرش أرتيمس البلاء بهم.
فقد استشاطت غضبا لأن أوينيوس لم يقدم على أعتاب معبدها قرابيننا
من بشائر المحصول، وقدم القرابين الضخمة للآلهة الآخرين.
لقد تجاهلها هي فقط، وهي ابنة زيوس العظيم،
سواء أكان ذلك نسياناً منه، أو لأنه لم يهتم بها. فاكْتَسَبَ بذلك إثماً كبيراً

- مما أثار حفيظتها وغضبها. وسلطت رامية السهام
 عليه مخلوقاً سماوياً، خنزيراً برياً ذا أنياب بيضاء،
 ٥٤٠ فدمر حديقة أوبينيوس تدميراً شاملاً.
- فقد اجتث الكثير من الأشجار الطويلة من جذورها
 وطرحها أرضاً وسواها ببراعم أشجار التفاح.
 ولكن ملياجروس، بن أوبينيوس، تمكن أخيراً من قتله،
 عندما جمع العديد من الصيادين والكلاب من مدن
 ٥٤٥ كثيرة، لأن الوحش أيا كانت قوته لن يتغلب
 على عصابة كبيرة من البشر، رغم أنه أهلك كثيرين.
 وأطلقت الربة الكثير من الصياح والعيول حوله
 وعلى رأسه وجسده الملىء بالشعر. وأثارت
 الصراع بين الكوريتيين والأيتوليين البواسل وحتى ذلك
 ٥٥٠ الوقت كان ملياجروس، حبيب أريس، يحارب
 الكوريتيين وينزل البلاء بهم، لذلك لم يستطيعوا
 البقاء خارج السور رغم كثرتهم. ولكن عندما دخل
 الغضب إلى نفس ملياجروس، وهو ما يحدث دائماً،
 جعل قلبه يمتلىء بالغضب داخل صدره، بالرغم من
 ٥٥٥ رجاحة عقله، وقد رقد الآن بجانب زوجته الجميلة
 كليوباترا، وقلبه ملىء بالغضب من أمه الحبيبة ألتايا.
 كليوباترا ابنة ماربيسا، جميلة الكعبين، ابنة إيوانيني
 وإيداس الذى كان يعد من أقوى الرجال
 على وجه الأرض، والذى صوب قوسه ضد أبوللون
 ٥٦٠ الوضاء (فويبوس) دفاعاً عن زوجته جميلة الكعبين
 والتي كان أبوها وأمها يدعوانها وهي في
 قصرهما ألكيونى، وإذ أطلقت أمها صرخة ألم عليها

- مثل نحيب طائر الرفراف^(*) عندما اختطفها
أبوللون الوضاء (فوبوس) رمى السهام البعيدة.
٥٦٥ رقد ملياجروس بجانب كليوباترا حزين القلب مهموماً
غاضباً من لعنات أمه، فقد تضرعت للآلهة وصلت
لها كثيراً وهي في شدة الحزن لموت إخوتها^(**).
وبيديها لطمت الأرض كثيرة الخيرات وتضرعت إلى
هاديس وبرسيفوني (برسيفونيا) الرهيبية وهي راکعة
٥٧٠ على ركبتيها ودموعها الغزيرة تسيل أنهاراً على
صدرها متمنية الموت لابنها. وسمعتها الإبرينيات
اللاتى يسرن في الظلام في أعماق إريوس^(***) بقلوبهن
التي لا تعرف الرحمة. وفي الحال ارتفع ضجيج الأعداء وصياحهم
حول البوابات وبدأت الأبراج في السقوط. فتضرع له كبار السن
٥٧٥ من الأيتوليين وأرسلوا له أفضل الكهنة
حتى يأتي وينقذهم واعدن إياه بهدايا كثيرة، وتوسلوا
إليه أن يختار قطعة أرض شديدة الجمال ويأخذها
لنفسه، حيث تكون التربة شديدة الخصوبة في وادي
كاليدون الجميل، خمسين فداناً نصفها مزروع بالكروم
٥٨٠ ونصفها الآخر أرض خالية في الوادي جاهزة للحرث.
وقد توسل إليه الفارس المسن أرينيوس
وهو يقف على أعتاب حجرته ذات السقف العالي،
وظل يهز مقبض الباب الذي أغلقه بإحكام.

(*) طائر الرفراف Alkyon : طائر من فصيلة القريات ، يصيد الأسماك من المياه العذبة ، ويبني هذا الطائر عشه في أيام محددة أثناء فصل الشتاء . حيث استقرار الطقس وهدوء البحر ، لذلك تستخدم كلمة Alkyonides والتي تعني في الأصل الأربعة عشر يوماً التي يبني فيها الطائر عشه للتعبير عن أيام الصفاء والهدوء الذي لا يعكر صفوه شيء.

(**) يسمى باكهيلايديس (V, 129) أخويها إيفيكولوس Iphiklos وأفارسيس Aphares. (المحرر)

(***) إريوس Erebos: هي منطقة الظلام الغامض التي يعبرها الميت في طريقه إلى هاديس ولد جدت الأساطير الإغريقية إريوس ابنا للفوضى Chaos وكشفق الليل Nyx.

- كما توسلت إليه أيضًا شقيقاته وأمه المبجلة. ولكنه
 ٥٨٥ أدار ظهره لتوسلاتهم. كما توسل إليه مرارًا أكثر
 من يتق فيهم من أصدقائه الذين يحبهم أكثر من الجميع،
 ولكنهم فشلوا جميعًا في استمالة قلبه الكائن في صدره.
 إلى أن وصل الهجوم الكاسح إلى حجرته. وصعد
 الكوريتيون إلى البرج، وأشعلوا النيران الضارية في
 ٥٩٠ المدينة، عندئذ تضرعت الزوجة ذات النطاق الجميل إلى
 ملياجروس، وقصت على مسامعه وهي تبكي
 كل الفطائع التي تنتظر شعب المدينة المهزومة. فبعد
 قتل جميع الرجال سوف تضرم النيران في أنحاء
 المدينة، وسوف تساق الزوجات والنساء ذوات النطاق المتين
 إلى ذل العبودية مع أطفالهن.
 ٥٩٥ وعندما سمع ملياجروس تلك الفطائع انتفضت روحه،
 وخرج للمعركة واضعًا أسلحته البراقة حول جسده.
 وهكذا جنب ملياجروس الأيتوليين مغبة يوم مفجع
 بعد أن خضع لنداء قلبه، ولكنهم لم يقدموا له بعد ذلك
 الهدايا الكثيرة والجميلة، بالرغم من أنه أتقدهم.
 ٦٠٠ فلا تكن يا أخيليوس يا ولدى الحبيب عنيدًا مثله، فإن
 الآلهة لا تؤيدك في ذلك. إن المهمة الصعبة هي إنقاذ
 السفن المحترقة، فلتذهب للحرب بعد قبول الهدايا
 فإن الأخيين سوف يجلوئك كإله.
 أما إذا رفضت الهدايا، وواصلت الشقاق
 ٦٠٥ فلن تنال تقديرهم بعد ذلك أبدًا، إذ إنك اعتزلت الحرب".
 عندئذ أجابه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:
 قوينيكس، يا والدي الشيخ، يا من ربك زيوس. إنني

- لا أحتاج لتقديرهم، فأنا أعتقد أن زيوس منحني تقديراً
مماثلاً سوف يبقى معي، وأنا بجوار سفنى معقوفة
٦١٠ المقدمة، طالما بقى نفس فى صدرى، وطالما كانت
أطرافى قادرة على الحركة. إننى أقول لك شيئاً آخر
فكر فيه جيداً مع نفسك: لا تتعب روحى بنواحك
وحزنك لمجرد إرضاء ابن أتريوس المغوار. إن
صداقته لا تتواءم معك. وحتى لاتصبح عدواً لى رغم
٦١٥ حبى لك. والأفضل لك أن تشاركنى عداوة الرجل الذى
عادانى، لأنك ملك مثلى وتشاركنى التقدير الذى أناله.
هؤلاء الرجال سوف يعلنون له قرارى، ولكن لتبقى أنت
هنا ولتستريح فى فراش وثير. وعندما يشرق الصباح
سوف نفكر ما إذا كنا سوف نبحر إلى وطننا أم سنبقى هنا".
- ٦٢٠ وفى صمت أوماً إلى باتروكلوس بحاجبيه
ليقوم بإعداد فراش وثير لفوينيكس، وأن
يغادر (الرسولان) الخيمة بأقصى سرعة، ولكن أياس
بن تيلامون، شبيه الآلهة، خاطبهم قائلاً:
"أوديسيوس يا ابن لائيرتيس، يا كثير الحيل ويا سليل
٦٢٥ زيوس هيا بنا نرحل. يبدو لى أن هذه الرحلة
لن تحقق شيئاً أبداً. ويجب علينا أن نعلن ذلك
للدانائيين على وجه السرعة، رغم أنه خير لا يسعد،
ولن يأت خير من ورائه، فإنهم يجلسون الآن فى انتظار
الرد. ولكن صدر أخيلئوس ونفسه البطولية تجيشان
٦٣٠ بغضب وحشى فهو لا يلين أبداً، ولا يهتم بحب
زملائه. فمن بين كل الموجودين فى السفن كان هو
أكثر من أحببنا. يا لقسوة قلبه! إن المرء يقبل الفدية

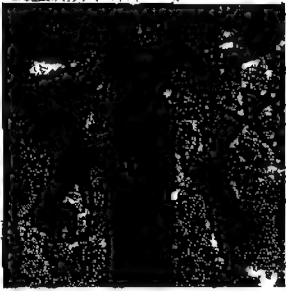
- من قاتل شقيقه، أو حتى من قاتل ولده
ويبقى القاتل في البلدة إذا نال العقوبة
العادلة. وبعد أن يقبل الفدية
٦٣٥
- تهدأ روحه الغضوب. أما أنت، فقد وضعت الآلهة في
قلبك غضبًا شرييرًا لا يلين، وذلك من أجل فتاة واحدة
فقط، بينما نقدم لك الآن سبع فتيات فاضلات بالإضافة
إلى أشياء أخرى قيمة، فلتنصن روحك الكريمة
٦٤٠
- ولتحتترم وجودنا في منزلك. فنحن ضيوفك وقد أرسلنا
إليك وفودًا كثيرة من الدانائيين. ونحن نرغب أن تكون
أكثر من نهتم به من بين الجميع، وأكثر من ينال حبنا
من بين جميع الأخيين، على كثرتهم".
عندئذ. أجابه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:
"أياس، يا سليل زيوس التيلاموني وحاكم الشعوب
٦٤٥
- يبدو أنك تنطق دائمًا بما يدور في عقلي
ولكن قلبي مازال مغممًا بالغضب عندما أتذكر
تلك الأفعال، وكيف أهانتني ابن أتريوس بين الأرجيين
بوقاحة، كما لو كنت شخصًا منبوذًا عديم الكرامة.
فلترجعوا ولتعلنوا للأرجيين قراري بوضوح: إنني لن
٦٥٠
- أبالي بالحرب الملعونة التي تستنزف الدماء، قبل أن
يأتي ابن برياموس ذو القلب الحكيم، هيكتور شبيه
الآلهة، إلى سفن الميرميدونيين وخيامهم،
فيقتل الأرجيين ويضرم النيران في سفنهم. ولكنني
أعتقد أنه مهما كانت رغبة هيكتور في القتال، لن يأت
٦٥٥
- لمحاربتي هنا بجوار خيمتي وسفينتي السوداء".
هكذا تحدث. وأمسك كل منهم كأسًا ضخماً، وقبل

- أن يشربوا سكيوا القرايين للآلهة، ثم أسرعوا إلى سفنهم
 مرة أخرى. وقادهم أوديسيوس. فى حين أمر
 باتروكلوس محظياته بإعداد فراش وثير لفوينيكس على
 ٦٦٠ وجه السرعة. وكما أمرهن، قمن بإعداد الفراش
 بأجود أنواع الكتان وبأغطية من الفرو.
 وتمدد العجوز فوقه منتظراً بزوغ ربة الفجر (ايوس).
 بينما نام أخيليوس فى نهاية الخيمة المتينة،
 وإلى جانبه نامت امرأة: ديوميدي، ابنة فورباس،
 ٦٦٥ جميلة الوجنتين، التى أحضرها من ليسبوس. أما
 باتروكلوس فقد نام فى الجانب المقابل وبجانبه إيفيس
 (ذات النطاق الجميل) التى منحها له أخيليوس المبجل
 عندما استولى على مدينة سكيروس، قلعة إنيوس الحصينة.
 وعندما عاد الرسل، دخلوا خيمة ابن أتريوس،
 ٦٧٠ فنهض جميع الآخيين وقدموا لهم الكئوس الذهبية،
 وتجمعوا من كل صوب وحذب وتوجهوا إليهم
 بالأسئلة، وكان أجامنون، ملك الرجال، أول السائلين:
 "فلنأت يا أوديسيوس، يا فخر الآخيين العظيم، يامن
 يمدحونك كثيراً، ولتخبرنى ما إذا كان قد وافق على الدفاع
 ٦٧٥ عن السفن وحمائيتها من نيران العدو أم رفض.
 وهل مازال الغضب يسيطر على روحه المتعالية؟".
 وفى الحال أجابه أوديسيوس الإلهى، الذى عانى كثيراً، قائلاً:
 "أجاممنون يا ابن أتريوس المبجل، ياملك الرجال،
 إنه يرفض أن يطفىء نار حنقه. ومازال الغضب
 المجنون يسيطر على روحه أكثر مما مضى. ويحتقرك
 ٦٨٠ أنت وهدايك. وهو يطلب منك أن تتشاور مع الأرجيين

- كيف تنفذ شعب الأخيين وسفنتهم .
وهو يهدد أنه، عندما يطلع الصباح سوف ينزل إلى
الماء سفنه ذات المجاديف القوية على كلا الجانبين.
كما قال إنه سوف يحث الآخرين على العودة معه
٦٨٥ إلى الوطن، حيث إنكم لن تشهدوا نهاية إليون المنيعه،
لأن زيوس، بعيد النظر يضع يده مع هذه المدينة
ويحميها، ويملاً شعبها بالثقة. هكذا قال، ويستطيع
من ذهبوا معي أن يؤكدوا ذلك، إنهم موجودون
هنا، أياس والرسولان الآخران، وهم جميعاً يتمتعون
٦٩٠ بالحكمة والحصافة. كما أمر الشيخ فوينيكس أن يبقى
معه حتى الصباح، فسوف يصحبه في سفينته
إلى وطنه الحبيب في اليوم التالي، إذا ما رغب في ذلك.
فهو لا يريد أن يصطحبه مكرهاً".
هكذا تحدث. واستمع الآخرون إليه في صمت
مطبق، من شدة دهشتهم بحديثه العنيف
٦٩٥ ومن شدة حزنهم. ظل الأخيون صامتين فترة طويلة.
وأخيراً تحدث ديوميديس، البارح في صيحة القتال، قائلاً:
"يا ملك الرجال، أجامنتون العظيم، يا ابن
أثريوس، يجب عليك ألا تتوسل لابن بيليوس الذي لا
نظير له، وألا تخطب وده بالهدايا الكثيرة. فهو
متعطرس على الدوام، وأنت الآن تثير فيه روح
٧٠٠ الخطرسة أكثر. فيجب علينا أن نتركه الآن، سواء قرر
الرحيل أو البقاء، فسوف يحارب مرة أخرى عندما
يأمره قلبه داخل صدره بذلك، أو عندما يحثه أحد
الآلهة. ولكن فلنحاول إقناع الآخرين.

- ٧٠٥ أما الآن. فلنذهب للنوم، سعداء القلب مسرورين،
بعد أن امتلأنا بالطعام والخمر. فذلك يمتحننا القوة
والشجاعة. وعندما تشرق ربة الفجر الجميلة ذات
الأصابع الوردية، سوف نأخذ الرجال والحياد بسرعة
من أمام السفن ونسرع للقتال. ولتحارب أنت في المقدمة".
- ٧١٠ هكذا تحدث ديوميديس، مروض الخيول.
وصاح الجميع مستحسنين حديثه.
وبعد أن سكبوا قرابين الشراب، ذهب كل منهم إلى
- ٧١٣ خيمته ليستريح ويستمتع بهدية النوم.

الكتاب العاشر



ترجمة منيرة كروان

- تام كافة ملوك الأخيين الآخرون بجانب السفن
طوال الليل بعد أن غلبهم النعاس الجميل.
فقط أجاممنون بن أتريوس، راعى الشعب
لم يستطع النوم اللذيذ أن يتغلب عليه، لانشغال ذهنه بالتفكير.
- ٥ وكما يرسل زيوس، زوج هيرا جميلة الشعر، البرق
ويصاحبه عاصفة مروعة من المطر أو البرد،
أو عاصفة تلجية تجعل الثلج يغطي الحقول،
أو عندما يجعل الحرب المدمرة تفرغ فاهًا واسعًا،
هكذا كانت تأوهات أجاممنون تندفع بسرعة من صدره،
- ١٠ من أعماق قلبه، وكانت روحه ترتعد داخله.
وكثيرًا ما كان يحملق في السهل الطروادى متعجبًا
من كثرة النيران المستعرة أمام اليون.
بينما تصل إلى مسامعه أصوات الناي والمزمار وضجيج البشر.
وكاد يمزق شعر رأسه من جذوره،
- ١٥ عندما كان ينظر إلى سفن الأخيين وحشودهم
ويتضرع إلى زيوس في عليائه، وقلبه الشجاع يئن ويتوجع.
ورأى في قرارة نفسه أن أفضل الحلول
أن يذهب أولاً إلى نيسنور بن نيلوس، دون سواه
عله يستطيع أن يدبر معه خطة ماهرة وماهرة،
- ٢٠ يمكن بها تجنب الكارثة التي تكاد تقع على جميع الدانائيين.
لذلك نهض، ثم لف عبائه حول جسده،
ووضع صندله الجميل في قدميه اللامعتين
ولف جسده بجلد أسد متوحش
أصفر اللون، وطويل يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه.
- ٢٥ وبالمثل، تملك الخوف ميتيلاوس

- وهجر النوم جفونه، فقد كان يخشى
 أن تنزل كارثة بالأرجيين، فمن أجله
 عبروا البحر، وجاءوا إلى طروادة ساعين إلى حرب شجاعة.
 لذلك، لف مينيلأوس كتفيه العريضتين بجلد نمر
 ٣٠ مبرقش، ثم رفع خوذته البرونزية ووضعها
 على رأسه، وأمسك رمحه بيده القوية.
 ثم انطلق كي يوقظ أخاه، ملك
 الأرجيين جميعاً، الذى كان الناس يبجلونه كإله.
 فوجده فى مؤخرة سفينته، واضعاً سلاحه
 الجميل حول كتفيه، ورحب به بسرور عند قدومه.
 ٣٥ وبدأ مينيلأوس النبيل الحديث بقوله:
- "لماذا تسلحت هكذا، يا أخى العزيز؟ ألا تبحث عن أحد
 الرفاق ليقوم بالتجسس على الطرواديين؟ لشد ما أخشى
 ألا يوافق أحد على القيام بهذه المهمة من أجلك،
 ٤٠ وأن يقوم بالتجسس على الأعداء بمفرده،
 أثناء الليل العاطر. إذ يتطلب الأمر شجاعة فائقة".
 ورد عليه أجاممنون المهيب قائلاً:
- "إننى فى أمس الحاجة للنصيحة، وكذلك أنت يامينيلأوس،
 يامن رباه زيوس، نصيحة ذكية، تساعد الأرجيين
 ٤٥ وتتفقد سفنهم، حيث إن زيوس قد تحول ضدنا
 فمما لا شك فيه أن قلبه قد تحول بسبب القرابين التى يقدمها له هيكتور.
 فلم أرى فى حياتى، ولم أسمع أن أحداً قال من قبل،
 إن رجلاً واحداً يمكنه أن يحدث هذا القدر الهائل من الضرر يومياً
 مثلما ينزل هيكتور، حبيب زيوس، بالآخيين من أضرار،

- ٥٠ رغم أنه ليس ابنا لأحد الآلهة أو إحدى الإلهات.
أعتقد أن تلك الأفعال الشريرة التي يخطط لها
ضد الأرجيين سوف تصيبهم بأضرار تستمر أمداً طويلاً.
ولكن، لنذهب الآن بسرعة تجاه السفن، ولتدعو
أياس وإيدومينيوس، وسوف أسرع أنا إلى نيسطور، شبيه الآلهة.
- ٥٥ فإذا كان راغباً في الحضور، سوف أحثه لكي يأتى الآن
ليرى الحراس البواسل وليوجه إليهم الأوامر.
فهو الوحيد الذى سوف يطيعون أوامره أكثر من أى شخص آخر،
لأن ابنه يتولى قيادة الحرس، فقد عهدنا إليه
بهذه المهمة، هو وميريونيس، رفيق إيدومينيوس فى القتال".
- ٦٠ عندئذ أجابه مينيلائوس، البارع فى صيحة القتال، قائلاً:
"حسناً، ولكن بماذا تأمرنى
أبقى هنا معهم فى انتظار عودتك
أم الحق بك بعد أن أصدر لهم الأوامر؟"
فأجابه أجاممنون، ملك الرجال، مرة ثانية، بقوله:
"لتبق هنا، حتى لا يفقد أحدنا الآخر
- ٦٥ فى الذهاب هنا وهناك، إذ توجد طرق عديدة تؤدي إلى المعسكر.
وأينما ذهبنا لنتناد عليهم بصوت مرتفع حتى يستيقظوا،
ولنتناد على كل منهم باسم أبيه
ولنعظمهم جميعاً، ولا تبالغ فى تكريم نفسك.
- ٧٠ فلنتعب نحن أنفسنا من أجلهم، نحن الذين رسم لنا
زيوس، منذ مولدنا، قدرًا مليئًا بالمتاعب".
هكذا قال، ثم أرسل أخاه بتعليمات مشددة،
بينما ذهب هو باحثًا عن نيسطور، راعى الشعوب.

- ولقد وجده مستلقياً بجوار خيمته قريباً من سفينته السوداء
 ممدداً على فراش وثير وبجواره سلاحه المزرکش:
 ترس مستدير، ورمحان، وخوذة لامعة
 وعلى مقربة منه، الحزام البراق الذي اعتاد البطل المسن
 أن يَمنطق به، كلما بدأ الاستعداد لقيادة شعبه للحرب،
 قائلة الرجال، غير عابئ بوهن الشيخوخة.
 وبعد أن ارتكز على مرفقيه، رفع رأسه
 وخاطب ابن أتريوس وسأله قائلاً:
 "من هذا للقادم بمفرده إلى السفن عبر المعسكر
 خلال الليل البهيم، بينما جميع البشر يغطون في سبات عميق؟
 أتبحث عن بعض الحراس أم تبحث عن أحد رفاقك؟
 تحدث ولا تقرب في صمت، ماذا جاء بك؟"
 عندئذ أجابه أجاممنون، ملك الرجال، قائلاً:
 "اطمئن يا فخر الأخيين نيبثور، بن تيليوس،
 فأنا أجاممنون بن أتريوس، الذي أوقعه زيوس،
 أكثر من جميع البشر الآخرين، في متاعب تدوم طالما
 بقى نفس في صدري، وطالما استطاعت أطرافى الحركة.
 وهكذا أهيم على وجهي، لأن النوم اللذيذ لم يزر جفوني،
 لقد أثقلتني الحرب وأحزان الأخيين بالهموم.
 إنني أشعر بخوف عظيم على الدانائيين، ولا تستقر روحى
 فى هدوء، بل تعاني من هم ثقيل، ويكاد قلبي
 يقفز خارج صدري، وترتعد فرائصي من الخوف.
 ولكن، إذا كنت مهتماً ولم يتغلب عليك النوم،
 دعنا نذهب هناك لنتفقد الحرس ونراقبهم

- حتى لا يغلبهم التعب والنعاس
فيخروا نائمين وينسوا واجبهم تمامًا.
١٠٠ فالعدو يربض على مقربة منا، ولا نعرف
إذا كان يخطط للقتال أثناء الليل أم لا".
- عندئذ أجابه نيسطور، الفارس الجبريتي، قائلاً:
"أجاممنون، يا ابن أتريوس، يملك الرجال وأعظمهم
١٠٥ إننى الآن أتمنى ألا يحقق زيوس الحكيم
خطط هيكتور، بل إننى أتوقع أنه
سوف يصادف متاعب جمّة، إذا ما تحول
قلب أخيلئوس الرقيق وتخلّى عن غضبه العنيد.
بكل تأكيد سوف أذهب معك لتوقظ الآخرين،
ابن تيديوس المشهور برمحه، أوديسيوس،
١١٠ وأياس سريع القدمين، وابن فيليوس الشجاع.
وليذهب أحدهم ليستدعى هؤلاء الأبطال:
أياس شبيه الآلهة، وإيدوميتئوس المبجل.
فإن سفنهم توجد على مسافة بعيدة، وليست على مقربة منا.
وسوف أوجه اللوم لمينيلائوس، رغم حبي الشديد له
١١٥ واحترامى لشخصه، ورغم أن ذلك قد يضايقك، فلن أخفيه.
فهو يغط في سبات عميق ويترك هذا العبء عليك وحدك،
وكان أحرى به أن يكون هو الذى يسعى بين جميع القادة
ويتضرع إليهم، فقد أصبح الموقف عصيباً".
- عندئذ، أجابه أجاممنون، ملك الرجال، بقوله:
١٢٠ "أيها الشيخ، ربما أطلب منك فى وقت آخر أن تلومه
فهو كسول ولا يحب أن يجهد نفسه،

- ولا يتخلى مطلقاً عن كسله وحماقته،
وينتظر دائماً أن أتولى أنا القيادة.
- أما هذه الليلة، فقد سبقني، استيقظ مبكراً وجاءني
ولكنني أرسلته ليستدعي بعض القادة الذين أمرت بحضورهم. ١٢٥
ولكن لنذهب الآن، فسوف التقى بهؤلاء القادة أمام البوابات،
فقد طلبت منهم أن يتجمع عند الحراس".
- فأجابه نيمستور، الفارس الجيريني، قائلاً:
"هكذا لن يتضايق منه أحد من الأرجيين
إذا ما طلب منه شيئاً، ولن يعصاه إذا ما أصدر إليه أمراً". ١٣٠
هكذا قال ثم ضم رداءه على صدره،
ووضع صندله الجميل في قدميه اللامعين
ولف عباءته الأرجوانية الواسعة ذات الطيات،
كثيفة الوبر، حول جسده ثم أمسك رمحه القوي ذا الرأس
البرونزي الحاد. وذهب متجهاً ناحية سفن الأخيين لابسى البرونز. ١٣٥
وأيقظ نيمستور، الفارس الجيريني، أوديسيوس نظير زيوس في حكمته،
عندما صاح صيحة نفذت إلى عقله بسرعة،
فجاء من خيمته مسرعاً وخاطبهم بقوله: ١٤٠
- "لماذا تتجولان هكذا بمفردكما بين المعسكر والسفن
أثناء الليل العاطر، ماهي الحاجة الملحة التي دفعتكما لذلك؟"
فأجابه نيمستور، الفارس الجيريني بقوله:
"لا تنزعج يا أوديسيوس يا كثير الحيل، يامن وهبته
السماء للثيرتس. لقد أطبق الحزن الشديد على الأخيين،
فلتلحق بنا حتى نوقظ بقية القادة، فيجب
أن نناقش معهم ما إذا كان من الأفضل أن ننسحب أو أن نحارب". ١٤٥

- هكذا قال، أما أوديسيوس كثير الحيل، فقد ذهب إلى خيمته
 ووضع درعه المزخرف على كتفيه، وذهب ليلحق بالآخرين.
 ١٥٠ وانطلقوا يبحثون عن ديوميديس بن تيديوس، ووجدوه،
 خارج خيمته ومعه سلاحه، وكان رفاقه نائمين حوله وقد
 وضعوا تروسهم تحت رعوسهم. وعلى مقربة منهم كانت رماحهم
 مصفوفة ومسندة على مقابضها، بينما كانت رعوسها البرونزية
 تلمع من بعيد وكأنها وميض البرق، الذي يرسله زيوس أبو الآلهة.
 ١٥٥ وكان البطل نائماً وقد بسط تحته جلد ثور من ثيران
 المراعى، ووضع تحت رأسه بساطاً رائفاً.
 ووقف نيسطور، الفارس الجيريني، بجانبه،
 وأيقظه بركلة من كعب حدائه، وانفجر في وجهه مؤنباً:
 "استيقظ يا ابن تيديوس، أتغرق في النعاس طوال الليل؟"
 ١٦٠ ألا ترى أن الطرواديين قد عسكروا على التل المرتفع
 بالقرب من السفن وأن المسافة التي تفصلهم عنا ضئيلة؟
 هكذا قال، فقفز الآخر من نومه مذعوراً
 ورفع صوته بهذه الكلمات المجنحة:
 "سيدي الشيخ، إنك عديم الرحمة، ولا تتوقف عن خلق المتاعب
 ١٦٥ أليس هناك من بين الأخيين من هو أصغر منك سناً
 فيكون بوسعه أن يذهب هنا وهناك ليوقظ الملوك
 كلاً حسب دوره؟ إنك عجيب أيها الأشيب."
 فأجابه نيسطور، الفارس الجيريني، بدوره قائلاً:
 "بلى يا صديقي العزيز، لقد نطقت صدقاً.
 ١٧٠ فلدى أبناء شجعان، وهناك الكثير من
 الرجال، ويمكن لأحدهم أن يذهب ويتجول ليدعو القادة،

- ولكن الضرورة القاسية تسحق الأخيين فمصيرهم الآن على شفا الهاوية،
فإما أن تقدر لنا النجاة أو الموت.
- ١٧٥ ولكن إذا كنت حقاً تشفق عليّ، فلتذهب لتوقظ
ابن فيليبوس وأياس، سريع القدمين، فأنت بالفعل أصغر سنّاً".
- هكذا قال، ثم وضع حول كتفيه جلد
أسد متوحش أصفر اللون يصل إلى قدميه، ثم أمسك رمحه
وشرع في الانصراف، فأيقظ الأبطال وسار أمامهم.
- ١٨٠ وعندما وصلوا إلى مكان الاجتماع وسط الحراس،
وجدوا أن قادة الحرس لم يناموا،
بل كانوا يقومون بالمراقبة ومعهم أسلحتهم، لقد كانوا جالسين،
مثل الكلاب التي تحرس الغنم بيقظة تامة في ساحة المنزل،
فعندما يشعرون باقتراب وحش مفترس قادم
عليهم من الغابة، يحيطونه بجلبة شديدة،
- ١٨٥ جلبة من أصوات البشر والكلاب، ويهرب النوم من أعينهم.
هكذا هجر النوم اللذيذ جفوتهم
وسهروا طوال الليل في نوبات للحراسة. وحدثت
أبصارهم في اتجاه التل، عليهم يسمعون صوت قدوم الطرواديين.
- ١٩٠ وقد سعد الشيخ المسن لرؤيتهم وشجعهم بحديثه
وخاطبهم بهذه الكلمات المجتحة:
- "أبنائي الأعزاء، هكذا تكون الحراسة، لا تدعوا النوم
يتمكن من أحدكم، حتى لا نصيح مصدر سعادة لعدونا".
- هكذا تكلم، ثم وثب ليعبر الخندق وتبعه الملوك
الأرجيون الكثيرون الذين تمت دعوتهم لهذا الاجتماع.
- ١٩٥ وقد جاء معهم ميريونيس وابن نيسطور المجيد،

- فقد دعا الملوك هذين الاثنين ليتشاوروا معهما.
وبعد أن عبروا الخندق المحفور، جلسوا
في مكان نظيف خال من الجثث
المبعثرة، بعد أن توقف هيكتور القوى
٢٠٠ عن قتل الأرجيين، عندما بدأ الليل يرخي سدوله.
وجلسوا هناك ليتبادلوا الحديث معاً.
وبدأ نيسطور، الفارس الجيريني، الحديث قائلاً:
"أيها الأصدقاء، ألا يتق أحدكم في شجاعته
٢٠٥ ويجرؤ على الذهاب وسط الطرواديين البواسل
ويقوم بهذه المخاطرة، فربما يأسر بعض الأعداء المتخلفين،
أو قد يكشف شيئاً، أو قد يسمع حديث بعض الطرواديين
فنعرف منه ماذا يدبرون الآن،
وهل سيمكثون هنا قرب السفن بعيداً عن المدينة، أم
٢١٠ أنهم سوف ينسحبون إلى المدينة بعد أن قهروا الأخيين؟
إن من يذهب ويكتشف كل ذلك، ثم يعود إلينا
سالمًا، سوف تبلغ شهرته عنان السماء
ويصل صيته إلى جميع البشر، فهو شجاع للغاية.
وسوف يمنحه كل واحد من القادة الذين يتولون
٢١٥ أمور السفن، على كثرتهم، شاة
سوداء^(*) ومعها رضيعها، وبألها من ملكية عظيمة.
وسوف يكون ضيفاً مكرماً على كل الولايم والمآدب".
هكذا تحدث، واستمع إليه الباقيون في صمت مطبق،
إلى أن تحدث ديوميديس، البارع في صيحة القتال، قائلاً:

(*) يبدو أن الشاة السوداء كانت الجائزة أو المكافأة التي تعطى للجاسوس العائد من مهمته الصعبة. وقد تكون لها دلالات رمزية. (المحرر)

- ٢٢٠ "نيسٲور، إن قلبى وروحى الشجاعة يدفعانى
للذهاب إلى معسكر أعدائنا الطرواديين
الموجود على مقربة منا. ولكن شجاعتى وتقتى
سيلقيان مزيداً من القوة إذا ما صحبني أحد الرفاق.
فعندما يذهب اثنان معاً، فإن أحدهما يوضح للآخر
كيف يحقق الفائدة، أما إذا كان فرداً واحداً فإن حيلته ضعيفة"
- ٢٢٥ هكذا قال، ورغب كثيرون فى مرافقة ديوميديس.
فقد رغب فى ذلك المحاربان الثنائى أياس حبيب آريس.
وكذلك ميريونيس، وكانت رغبة ابن نيسٲور شديدة
وكذلك مينىلاؤس بن أتريوس، المشهور برمحه.
- ٢٣٠ كما رغب أوديسيوس شديد التحمل فى الذهاب إلى
معسكر الطرواديين، فإن حب المغامرة كامن فى نفسه دائماً.
لذلك صاح أجاممنون ملك الرجال قائلاً:
"ديوميديس، يا ابن تيديوس، يا أحب الناس إلى قلبى
سوف تختار أنت من تريده ليكون رفيقاً لك.
ومن ثم، فمن بين الكثيرين الراغبين، خذ الأفضل.
ولا تأخذ شخصاً سيئاً ليكون رفيقك، وتترك الأفضل
بسبب احترامك لشخص ما، أو لأنك
تخشى أحدهم، حتى لو كان من أصل ملكى".
- ٢٤٠ هكذا تكلم، ولكنه كان قلقاً بشأن مينىلاؤس، أشقر الشعر.
ومرة أخرى تحدث ديوميديس، البارع فى صيحة القتال، وقال:
"إذا كنتم تطلبون منى أن أختار رفيقاً لى
فكيف إذن أنسى أوديسيوس، شبيه الآلهة،
فهو يملك قلباً مليئاً بالحماس وروحاً بطولية قادرة على مواجهة

- ٢٤٥ كل الصعاب، كما أن أثينة باللاس تحبه.
 فإذا صاحبنى وكان رفيقى فى مهمتى فسوف نعود معاً
 من بين النيران المشتعلة، فهو يعرف كيف يتدبر الأمور ببراعة".
 عندئذ أجابه أوديسيوس، شبيه الآلهة، برياطة جاش قائلاً:
 "لست بحاجة لأن تمدحنى أو تهنئنى، يا ابن تيديوس،
 فأنت، كما ترى، تتحدث بين الأرجيين الذين يعرفوننى جيداً.
 ولكن هيا بنا نذهب، فالليل يمضى سريعاً والصبح يقترب
 وارتحلت النجوم بعيداً فى السماء، لقد مضى معظم الليل،
 لقد انقضى ثلثاه وبقي ثلثه الأخير فقط".
- هكذا قال، ثم وضع الاثنان أسلحتهما الرهيبة على جسديهما،
 ٢٥٥ وأعطى ثراسيميديس، ثابت الجنان فى المعركة، ابن تيديوس
 سيفاً ذا حدين، لأنه ترك سلاحه فى السفينة
 كما أعطاه ترساً، ثم وضع على رأسه خوذة
 من جلد الكلب، ليس بها عرف ولا يزينها الريش،
 إنها غطاء يحمى رأس المحارب قوى البنية.
 ٢٦٠ وأعطى ميريونيس أوديسيوس جعبة سهام وقوساً
 وسيفاً، وغطى رأسه بخوذة
 من الجلد ومزينة بشرائط عديدة ومبطنة من الداخل جيداً،
 أما من الخارج فقد كان بها نتوءات لامعة
 منتشرة هنا وهناك ومصنوعة من أسنان الخنزير.
 ٢٦٥ إنها خوذة جيدة الصنع، ومثبت بها فى منتصفها طبقة من اللباد.
 إنها خوذة أمينتور بن أورمينوس الذى أخذها ذات مرة
 أوتوليوكوس عندما حل ضيفاً على صاحبها الجسور فى مدينة إيليون^(*).

(*) إيليون Eleon تقع فى بويوتيا أما أوتوليوكوس فهو اللص الرئيسى فى الأساطير وهو جد أوديسيوس وكان قادراً على تغيير شكله ومن ثم لم يستطع أحد الإمساك به. (المحرر)

- وقد أعطاها إلى أمفيداماس، ملك كثير، الذى أخذها إلى سكانديا
وقدمها أمفيداماس إلى مولوس، هدية ضيافة.
ثم أعطاها مولوس إلى ابنه ميريونيس ليرتديها.
وهى تحيط الآن برأس أوديسيوس وتغطيها.
هكذا، وبعد أن وضع هذان البطلان أسلحتهما الرهيبية
شرعا على الفور فى الانصراف، وتركوا بقية القادة.
فلما مضيا فى طريقهما أرسلت
لهما أثينة باللاس طائر البلشون (مالك الحزين)
على الجانب الأيمن من الطريق، ورغم أنهما لم يرياها بأعينهما
بسبب ظلمة الليل الحالك، فقد سمعا صوت هتافه .
وتفاعل أوديسيوس بهذا الطائر و تضرع إلى أثينة قائلاً:
"اسمعينى يا ابنة زيوس حامل الدرع أيجيس، يامن
أجلك دائماً بجوارى فى كل الأزمان، فما من حركة من حركاتى
تخفى عليك، كوني كريمة معى الآن أكثر من ذى قبل
وامنحينا عودة سالمة إلى سفننا، محاطين بالمجد،
بعد أن نتم بنجاح مهمتنا التى ستجلب الحزن للطوراديين".
ثم تبعه ديوميديس، البارع فى صيحة الحرب، قائلاً فى تضرع:
"فلتستمعنى إلى أنا أيضاً يا ابنة زيوس الذؤوبية
ولتتبعينى كما تبعت أبى نيدوس، شبيه الآلهة،
إلى طيبة، عندما ذهب رسولاً من قبل الآخيين
بعد أن ترك الآخيين لابسى البرونز عند نهر أسوبوس
وحمل معه للكادميين حديثاً رقيقاً.
ولكنه سبب لهم أهوالاً فظيعة عندما عاد إليهم مرة أخرى
معك، أيتها الربة المشرقة، عندما وقفت بجانبه بمنتهى العطف.

- والآن فلتقفى بجانبى بكل الرضا ولتساعديني،
وسوف أقدم لك عجلًا عمره عام واحد، عريض الجبين
سوف أقدمه لك كاملاً، عجلًا لم يضعه بشر في النير بعد،
بعد أن أزين قرونه بالذهب".
- ٢٩٥ هكذا تحدث البطلان في ضراعة، واستمعت
إليهما أثينة باللاس. وبعد أن تضرعا إلى ابنة زيوس القوى
انطلقا كزوج من الأسود خلال الليل البهيم،
انطلقا إلى القتل والذبح وعبر الدم الأسود والسلاح
ولم يسمح هيكتور للأبطال الطرواديين بالنوم، ولكنه دعاهم
٣٠٠ للاجتماع. لقد دعى للاجتماع جميع قادة الطرواديين ورؤساءهم
وقدم للمجتمعين خطة مأكرة وهو يقول:
"من منكم يعدنى أن يقوم بهذا العمل
وسوف ينال هدية ضخمة؟ إن جائزته سوف تكون ضخمة،
فسوف أمنحه زوجًا من الخيول طويلة العنق،
٣٠٥ من أفضل الخيول الموجودة على سفن الأخيين السريعة وعربة.
فمن يخاطر ويقوم بهذا العمل سوف يحقق لنفسه شيئاً
إذا ذهب إلى سفن الأخيين السريعة واستطلع ما إذا كانت
توجد حراسة على هذه السفن السريعة، كما كان الحال
من قبل، أو أنهم بعد أن قهرتهم أيادينا،
٣١٠ يتساورون فيما بينهم كي يهربوا، ولا يرغبون
في تولى الحراسة طوال الليل بعد أن غلبهم التعب الرهيب".
هكذا قال، واستمع إليه الحاضرون في صمت دون أن ينبسوا
بكلمة، وكان يوجد بين الطرواديين الحاضرين دولون، بن يوميديس،
٣١٥ الرسول الذى يشبه الآلهة، والذى كان يملك ثروة من الذهب والبرونز.

- ورغم قبح منظره، فقد كان دولون سريع القدمين،
وكان الابن الوحيد لوالده بعد خمس بنات.
خاطب دولون الطرواديين و هيكتور بهذه الكلمات:
"هيكتور، إن قلبي وروحي الشجاعة يدفعاني
إلى أن أذهب إلى السفن السريعة للتجسس.
ولكن لتأت وترفع هذا الصولجان، وتقسم
أنك سوف تعطيني الخيول والعربة المزينة بالبرونز
التي كانت تحمل ابن بيليوس الذي لا نظير له،
فإنني لن أخاطر دون مكسب. سوف تتحقق آمالك
إذ سأذهب على الفور إلى حيث يعسكر الجيش حتى
أصل إلى سفينة أجاممنون، حيث يعقد القادة اجتماعاً
يتناقشون فيه ليقرروا ما سيفعلون، سيهربون أم سيحاربون".
هكذا قال، ورفع هيكتور الصولجان بين يديه وأقسم قائلاً:
"ليشهد زيوس، مرسل الرعد القوى، زوج هيرا
إنه ما من رجل آخر من بين الطرواديين
سوف يمتطي هذه الخيول، وإنني لأؤكد لك
أنك سوف تسعد بهذه الخيول إلى الأبد".
هكذا قال، وأقسم قسمًا غير مجد، لكنه أثار روح دولون
فوضع أقواسه المعقوفة على كتفيه على الفور،
ولف نفسه بحزام من جلد الذئب الرمادي،
ووضع على رأسه غطاء من فرو الدلق
الرمادي اللون، وأمسك برمحه الحاد.
وأسرع بالخروج من المعسكر سائرًا في اتجاه السفن، عازمًا
على ألا يعود مرة أخرى من السفن دون أن يحمل خبرًا لهيكتور،

- وترك خلفه حشدًا من الجياد والرجال
 واتجه في طريقه بحماس. ولكن أوديسيوس، سليل زيوس،
 ٣٤٠ لمحّه قادمًا، فقال مخاطبًا ديوميديس:
 "ديوميديس، إنني ألمح شخصًا قادمًا من المعسكر،
 ربما جاء ليتجسس على سفننا.
 أو ربما جاء ليسلب أسلحة إحدى الجيوش الملقاة،
 فلنجعله يمر بأمان على التل لبعض الوقت
 ٣٤٥ ثم نقتض عليه بعد ذلك ونمسك به
 بسرعة. فإذا ما أفلت منا، بسبب سرعة قدميه،
 فلندفعه بعيدًا عن معسكره في اتجاه السفن،
 مستخدمًا الرمح، حتى لا يهرب إلى المدينة."
 وبعد أن قال ذلك، انبطح الاثنان أرضًا، بعيدًا
 عن الطريق، وفي غفلة تامة مر دولون بهما مسرعًا.
 ٣٥٠ وعندما ابتعد عنهما بمقدار المسافة التي تقطعها البغال
 بمحراث مزدوج في تربة سهلة.
 - والمعروف أن البغال تتفوق على الثيران في سرعة الحرث -
 عندئذ انفع الاثنان في موجهته، وتوقف دولون فور
 ٣٥٥ سماع صوتيهما، وقلبه ينبض بأمل أن يكونا رفيقين قادمين
 من عند الطرواديين كي يعودا به، حسب أوامر هيكتور.
 وعندما أصبح على بعد رمية رمح أو أقل منها
 عرف أنهما من الأعداء، فلاذت قدماه السريعتان
 بالفرار، وبدأ الاثنان مطاردته في الحال.
 ٣٦٠ ومثلما يطارد كلبان خبيران بقنون الصيد والقنص ولهما أسنان حادة
 غزالًا صغيرًا أو أرنبًا بريًا ويجريان وراءه بدون توقف

- وسط الأشجار الكثيفة، وهو يجرى أمامهما صارخاً في هلع،
هكذا قام ابن تيديوس و أوديسيوس مدمر المدن،
بإبعاده عن أهله، وتعباه دون توقف.
- ٣٦٥ وعندما كان على وشك الجرى وسط الحراس
والهرب في اتجاه السفن، وملأت الرية أثينة
نفس ديوميديس بالمشجاعة مرة أخرى، وخشى أن يتفاخر أحد
الآخيين لابسى البرونز أنه كان الأول وأن ديوميديس كان الثاني
فهاجمه ديوميديس برمحه قائلاً:
- ٣٧٠ "قف وإلا أصابك رمحي، إنني أحذرك بأنك لن تفلت
من الموت المؤلم على يدي لفترة طويلة".
هكذا قال، ثم قذف رمحه وتعهد ألا يصيبه
فمر طرف الرمح اللامع من فوق كتفه اليسرى
ثم انغرس في الأرض. فتوقف دولون مرتبكاً
وكانت أسنانه تصطك ببعضها البعض من الخوف
٣٧٥ وشحب لونه من الرعب، وعندما وصلا إليه وهما يلهثان
أمسكاه من كلتا يديه، فقال وهو يذرف الدمع:
"أبقيا على حياتي وسوف أدفع فديتي، فقى بيتي
الكثير من البرونز والذهب وكذلك الحديد المصنوع بفن ومهارة.
٣٨٠ إن أبي سوف يقدم لكما عن طيب خاطر فدية هائلة
إذا عرف أنني مازلت حيًا في سفن الآخيين".
عندئذ أجابه أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:
"لا تخف ولا تجعل فكرة الموت تسيطر عليك،
والآن لتصدقني القول ولتحكى لي بالتفصيل
٣٨٥ لماذا أتيت بمفردك من معسكركم إلى سفننا

- أثناء الليل المظلم، بينما جميع الأحياء نيام؟.
 أجنث لتجرد الجثث من أسلحتها ؟
 أم أرسلك هيكتور لتتجسس على ما جرى،
 فى السفن الضخمة ؟ أم جئت من تلقاء نفسك؟"
- ٣٩٠ عندئذ أجابه دولون، وأطرافه ترتعد من الخوف قائلاً:
 لقد قادنى هيكتور لأخطاء كثيرة
 عندما وعدنى أن يعطينى خيول ابن بيليوس
 الأشهر الأصيل، وعربته المزينة بالبرونز
 وأمرنى أن أذهب بسرعة فى ظلمة الليل
 إلى معسكر الأعداء، ربما أعرف
- ٣٩٥ ما إذا كانت هناك حراسة على السفن السريعة، كما كانت من قبل
 أم أنكم، بعد أن هزمت على أيدينا، تتشاورون
 فيما بينكم بشأن الهرب، وتركتم السفن
 دون حراسة طوال الليل، بعد أن نال منكم التعب الفظيع".
- ٤٠٠ فأجابه أوديسيوس، كثير الحيل، وهو يبتسم بقوله:
 "حقاً، إنها هدايا عظيمة تلك التى كانت روحك تتطلع إليها،
 خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها خيول يصعب
 على الرجال من البشر أن يتحكموا فيها ويروضوها،
 باستثناء أخيلئوس، لأنه مولود لأم من غير البشر.
 ولكن لتحك لى القصة، ولتلتزم الصدق فى روايتها.
- ٤٠٥ أين تركت هيكتور، راعى الشعوب،
 عندما حضرت إلى هنا؟ وأين يضع سلاحه؟ وأين توجد خيوله؟
 كيف يتم تنظيم الحرس؟ وكيف ينام بقية الطرواديين؟
 فيما يتناقشون الآن: هل يرغبون فى

- ٤١٠ البقاء عند السفن، بعيداً عن المدينة، أم سوف
 ينسحبون إلى الداخل، بعد أن قهروا الآخيين؟"
 وأجاب دولون بن يوميديس، على أسئلة أوديسيوس بقوله:
 "حسنًا، سأخبرك بكل هذه الأمور وسألتزم الصدق تمامًا.
 يعقد هيكتور وجميع القادة الآخرين الذين يتشاور معهم
 بالفعل اجتماعًا الآن بالقرب من قبر إلوس المقدس،
 بعيدًا عن ضوضاء المعركة. أما الحراس الذين تسأل عنهم، أيها البطل،
 فلا يوجد أحد منهم لينتقد المعسكر أو ليحرسه. يشعل
 الطرواديون الكثير من المشاعل المضيئة، بقدر ما تقضى الحاجة،
 لمن يسهر لتولى الحراسة، حيث ينادى كل منهم
 على الآخر (ليظل مستيقظًا). أما الحلفاء القادمون من بلاد مختلفة،
 فقد خلدوا للنوم بعد أن اعتمدوا على الطرواديين في الحراسة،
 حيث إن أطفالهم وزوجاتهم (ليسوا معهم بل) يعيشون في مكان بعيد".
 حينئذ سأله أوديسيوس، كثير الحيل، قائلاً:
 "ولكن كيف ينامون؟ أينامون مختلطين بالطرواديين
 مروضى الخيول أم منفصلين عنهم؟ أخبرني حتى أعرف".
 ٤٢٥ فأجابه دولون، بن يوميديس، قائلاً:
 "حسنًا، سأخبرك بكل صراحة. ينام الكاريون
 في مواجهة البحر، وكذلك البايونيون ذرو الأفراس المعقوفة،
 وأيضًا الليليحيون والكاوكونيون ومعهم البلاسجيون أشباه الآلهة.
 وفي مواجهة تيمبرا عسكر الليكيون والميسيون الشجعان والفريجيون
 الذين يحاربون من فوق العربات والمايونيون الفرسان
 ولكن لماذا تكثر من السؤال عن هذه الأشياء؟
 فإذا كنتم ترغبان حقًا في دخول معسكر الطرواديين،

- فإن الطراقيين يعسكرون في مؤخرة خطوط الطرواديين حيث وصلوا
 ٤٣٥ لتوهم وهم الأقرب لكم ومعهم ملكهم ريسوس، بن إيونيوس،
 ومعه خيوله، وهي أجمل الخيول التي رأيتها على الإطلاق وأكبرها
 حجماً، وهي أكثر بياضاً من الجليد وتشبه الريح في سرعتها.
 وقد زينت عربته بالذهب والفضة، كما أحضر معه سلاحه الضخم
 المصنوع من الذهب، أعجوبة للناظرين.
- ٤٤٠ إن من يستطيع حمل هذا السلاح لا يعد من البشر بأى حال
 من الأحوال، ولكنه يعد من الآلهة الخالدين. فلتأخذاني الآن إلى
 السفن السريعة، أو لتتركاني هاهنا بعد أن تقيداني بقيد رقيق.
 ولتذهب أنتما في طريقكما لتحاولا التحقق
 ٤٤٥ ما إذا كنت قد أخبرتكما بالحقيقة أم لا".
- فرماه ديوميديس الشجاع بنظرة قاسية وقال له:
 "لا تفكر الآن في الهرب يا دولون
 بعد أن وقعت في أيدينا، فرغم الأشياء الجيدة التي قلتها،
 فإننا إذا أطلقنا سراحك الآن، أو منحناك حريتك مقابل الفدية،
 ٤٥٠ فقد تأتي فيما بعد إلى سفن الآخيين السريعة
 لتتجسس علينا أو لتحارب ضدنا. ولكن إذا خضعت لأيدينا
 وأزهدنا روحك فلن تكون مصدر متاعب للأرجيين أبداً".
- فأمسك دولون لحيته الكثيفة وهو يتضرع إليه،
 ٤٥٥ ولكن ديوميديس وثب عليه، وفي الحال ضرب عنقه بسيفه
 ضربة قطعت شرايينه، وتمرغت رأسه في التراب بينما كان.
 لا يزال يهذى عندئذ خلعاً عنه غطاء رأسه وهو من
 فرو للدلق الرمادي، وأخذاً رمحه الطويل وقوسه المعقوف
 ٤٦٠ وجلد الذئب وقدما ذلك كله قرباناً لأثينة، مانحة الغنائم فقد رفع

أوديسيوس، شبيه الآلهة هذه الأسلاب عاليًا بين يديه وقال متّصرعًا:

"فلتسعدى أيتها الربية بهذه الأشياء، فإننا نطلب عونك

أنت من بين جميع الآلهة التي تسكن الأوليمبوس.

فلتقودينا إلى حيث توجد خيام الطراقيين وخيولهم".

٤٦٥

هكذا قال، ثم رفع الغنائم عاليًا وعلقها في

شجرة الطرفاء، ووضع عليها علامة واضحة

وجمع فوقها أعواد الشجرة المزهرة وسيقانها

حتى لا يفقد مكانها، عندما يعود في ظلمة الليل.

ومضى الاثنان يخوضان وسط الأسلحة والدم الأسود،

٤٧٠

حتى وصلا بسرعة في النهاية إلى حيث يعسكر الطراقيون.

وكانوا يرقدون على الأرض نيامًا بعد أن أنهكهم التعب، وقد وضعوا

أسلحتهم الجميلة بجوارهم، إذ صفوها على هيئة ثلاثة صفوف

في نظام كامل، وكان يقف بجوار كل منهم زوج من الجياد.

وقد نام ربسوس في وسط الطراقيين وبجواره خيوله السريعة

٤٧٥

التي كانت مربوطة بإحكام في مقدمة عربته بسيور جلدية.

وكان أوديسيوس قد رآه أولاً، فأشار إلى ديوميديس عليه قائلاً:

"ها هو ذا يا ديوميديس، وهذه هي خيوله

التي وصفها لنا دولون، الذي قتلناه منذ لحظات.

ولكن هيا بنا، ولتتحل بكل قوتك، فلا يليق بك

٤٨٠

أن تقف عاطلاً وأنت كامل السلاح، ولتطلق سراح الخيول.

أو لتقتل أنت الرجال بينما أتولى أنا أمر الخيول"

هكذا قال، وملأت أثينة، زرقاء العينين، نفسه بالشجاعة

فصار يقتل الأعداء عن يمينه وشماله، وارتفع أنين مؤلم

من الرجال الذين أصابتهم السيوف. واصطبغت الأرض بالدماء

- ٤٨٥ الحمراء. ومثل أسد يهاجم قطيعاً من الغنم أو الماعز
ليس له راع، ويقفز عليه بغتةً وغيلةً،
هكذا هاجم ابن تيديوس الطراقيين،
حتى قتل منهم اثني عشر رجلاً، ولكن
أوديسيوس، كثير الحيل، كلما كان ابن تيديوس يضرب بالسيف عنق
٤٩٠ رجل، يقترب منه أوديسيوس ويمسك الجثث من أقدامها ويجرها،
لأنه كان يخطط أن تمر من بينها الخيول،
جميلة العرف، بسهولة، وحتى لا تصاب بالفزع
إذا ما داست فوق الجثث، فهي غير معتادة على الجثث .
وأخيراً، وصل ديوميديس، إلى الملك (ريسوس)
٤٩٥ وكان الضحية الثالثة عشر، فسلمه الحياة
وأخذ الملك نفسه الأخير بصعوبة. وفي تلك الليلة
كان ابن أونيوس (ريسوس) يعاني من حلم فظيع أرسلته له أثينة.
وأثناء ذلك، كان أوديسيوس الشجاع قد أطلق سراح الخيول الأصيلة
٥٠٠ وربطها معاً بسيور من الجلد، وقادها بعيداً عن المعسكر
وهو يضربها بقوسه، فقد نسى
أن يأخذ سوطه اللامع من العربية المزركشة.
ثم أطلق صفارة خافتة لكي ينبه ديوميديس الإلهي،
الذي كان يقف وهو يفكر في حيرة أيهما أكثر شجاعة:
٥٠٥ أن يمسك العربية التي تحمل الأسلحة المطعمة بالنحاس
ويسحبها من القضيبي ويرفعها ويحملها عاليًا،
أو أن يحصد المزيد من أرواح الطراقيين.
وبينما هو يقلب هذه الأفكار في ذهنه، ظهرت الإلهة أثينة
ووقفت بالقرب من ديوميديس الإلهي وخاطبته قائلة:
٥١٠ "يا ابن تيديوس عظيم الشجاعة، فكر في العودة

- إلى السفن السريعة، فرما يوقظ أحد الآلهة الآخرين
 حشود الطرواديين قبل أن تتمكن من الهرب".
- هكذا قالت، وعندما عرف من هي التي تتحدث معه من صوتها
 قفز بسرعة إلى العربية، بينما واصل أوديسيوس
 ٥١٥ ضرب الخيول بقوسه حتى وصلا إلى سفن الآخيين السريعة.
 ولم يكن أبوللون، ذو القوس الفضي، غافلاً عن
 مراقبة ما جرى، وعندما رأى أثينة تحث بن تيديوس وتشجعه
 حنق عليها، ودخل وسط الطرواديين
 وأيقظ أحد قادة الطراقيين، هيبوكورون
- ٥٢٠ ابن عم ريسوس نبيل المولد، فهب من نومه فجأة
 وعندما رأى المكان الذي كانت تقف فيه الخيول السريعة خالياً
 ورأى الرجال مازالوا يصارعون ألام للموت الرهيبة
 راح يئن وهو يصرخ باسم صديقه الحبيب.
 وما هي إلا لحظات حتى ارتفعت صرخات الطرواديين الرهيبة عالياً.
 ٥٢٥ وفي الحال اندفعوا جميعاً، وجحظت عيونهم عندما رأوا الأفعال
 العديدة البشعة التي قام بها أولئك الذين عادوا إلى السفن السريعة.
 وعندما وصل أوديسيوس وديوميديس إلى المكان الذي قتلا فيه جاسوس
 هيكتور قام أوديسيوس، حبيب زيوس، بإيقاف الخيول السريعة
 وقفز ابن تيديوس إلى الأرض، وبعد أن وضع بين يدي أوديسيوس
 ٥٣٠ تلك الأسلاب المخضبة بالدم، اعطى ظهر خيوله مرة أخرى
 بعد أن دفعها بلمسات من سوطه، وذهبا في طريقهما
 للسفن المجوفة، ونفوسهما تتلطف للوصول إليها.
 وكان نيسثور أول من سمع جلجلة العربية، فصاح قائلاً:
 "أصدقائي، يا زعماء الأرجيين وقادتهم

- أوهم هذا أم صدق؟ إن الفرحة تملأ روحي
 ٥٣٥ إننى أسمع الآن وقع حوافر خيول سريعة.
 أيقود أوديسيوس، ومعه ديوميديس الشجاع،
 الآن بعض خيول الطرواديين الأصيلة؟
 فرغم أنهما أشجع قادة الأرجيين، فإنتى أخشى من كل
 ٥٤٠ قلبى أن يكون قد أصابهما مكروه فى معركتهم مع الطرواديين".
 ولم يكن قد أتم قوله عندما وصل البطلان
 فترجلا بسرعة عن الخيول، ووقفا على الأرض وسط فرحة
 الآخيين الذين قابلوهما بترحاب عظيم وبكلمات رقيقة،
 وكان نيسثور، الفارس الجيرينى، أول من سألهما قائلاً:
 ٥٤٥ "أوديسيوس، يامن يمدحك الجميع، يا فخر الآخيين
 لتقل لى كيف استرليتما على هذه الخيول بعد دخولكما
 معسكر الطرواديين، أم منحها لكما أحد الآلهة عندما تضرعتما إليه.
 إن هذه الخيول تشبه أشعة الشمس تماماً.
 لقد اشتبكت مع الطرواديين فى حروب كثيرة، ونظراً لأننى
 محارب قديم، فقد ذهبت إلى مناطق كثيرة بعيدة عن السفن،
 ٥٥٠ ولكننى، مع ذلك، لم أر مثل هذه الخيول، ولم أتخيل مجرد وجودها.
 لذلك فإننى أعتقد أن أحد الآلهة قد منحها لكما عندما تضرعتما إليه
 فإن زيوس، جامع السحب، يحبكما معاً
 وكذلك زرقاء العينين، أثينة حاملة الدرع أيجيس، وابنة زيوس".
 فرد عليه أوديسيوس، كثير الحيل، بقوله:
 ٥٥٥ "تيسثور، يابن نيلوس، يا فخر الآخيين العظيم
 إذا شاء إله من الآلهة فسوف يقدم بسهولة خيولاً أفضل
 من هذه الخيول، فالآلهة أكثر قدرة من البشر.

- وهذه الخيول، التي وصلت ثوأ و تسأل عنها، أيها الشيخ الأشيب،
خيول طراقية، لقد قتل ديوميديس الشجاع الملك الذي كان يملكها،
كما قتل اثني عشر قائداً من خيرة رفاقه.
٥٦٠ وقتل الثالث عشر، وكان جاسوساً، بعد أن أمسكنا به بالقرب من السفن،
لقد أرسله هيكتور وبقية القادة
الطرواديين لكي يتجسس على جيشنا".
- بعد أن قال ذلك، قفز بخيوله الأصبيلة فوق الخندق
وهو يضحك بصوت عال، وعمت الفرحة بقية الأخيين.
٥٦٥ وعندما وصلوا إلى خيمة ابن نيديوس
هنالك ربطوا الخيول بأريطة قوية
في مقدمة العربة، حيث كانت تقف خيول
ديوميديس السريعة تأكل طعامها من الحبوب المعسولة.
٥٧٠ ووضع أوديسيوس أسلحة دولون المطلخة
بالدماء في مؤخرة سفينته حتى يقدمها قرباناً للربة أثينة.
وذهب أوديسيوس وديوميديس إلى البحر
ليزيلا العرق الغزير عن جسدهما بماء البحر،
وغسلا أرجلهم وأعناقهم وأكتافهم، فانتعشت روحاهما بعد
أن غسل موج البحر العرق الغزير الذي علق بجلاهما
٥٧٥ ثم ذهبا بعد ذلك إلى أحواض الاستحمام متينة البناء ليستحما.
وبعد أن استحما، مسح جسديهما بالزيت،
وجلسا إلى مائدة العشاء، وسكبا القرابين
٥٧٩ للربة أثينة من إريق مملوء بالنبيذ اللذيذ.

الكتاب الحادي عشر



ترجمة منيرة كروان

- استيقظت ربة الفجر لتحمل الضياء للآلهة والبشر،
 ونهضت من مخدعها بجوار تيثونوس^(٥) النبيل.
 وأرسل زيوس إريس الشريرة إلى سفن الأخيين.
 المريرة، وكانت ترفع شارة الحرب بيدها.
 ٥ ووقفت على سفينة أوديسيوس السوداء الضخمة،
 ووقت في منتصفها تماما، حتى يصل ما تعلنه إلى كلا الناحيتين،
 إلى حيث توجد خيام أياس التيلاموني،
 وإلى حيث توجد خيام أخيليوس، فقد سحبوا سفنهم
 إلى أبعد مسافة ممكنة معتمدين على شجاعتهم وقوة أيديهم.
 ١٠ وعندما وفتت الربة هناك صاحت بأعلى
 صوتها، ووضعت في قلب كل واحد من
 الأخيين رغبة عارمة للحرب وللقتال الدائم.
 وفي الحال شعروا أن الحرب أكثر بهجة من أن يبحروا
 إلى أرض الوطن الحبيبة في سفنهم المجوفة.
 ١٥ وصاح بن أتريوس عالياً وأمر الأرجيين
 أن يستعدوا للحرب. ثم لبس سلاحه البرونزي اللامع.
 ففي البداية وضع درع الساق حول ساقه
 الجميلتين، وثبته بأربطة من الفضة.
 وبعد ذلك وضع حول صدره درع الصدر،
 ٢٠ الذي أعطاه له ذات مرة كينيراس، عندما نزل ضيفاً عليه.
 فعندما وصلت إلى قبرص أنباء بأن الأخيين
 يستعدون للإبحار بسفنهم إلى مدينة طروادة،

(٥) تيثونوس Tithonos: شقيق الملك برياموس، وزوج إيوس (ربة الفجر)، ووالد ممون. تقول الأساطير إن ربة الفجر طلبت من زيوس أن يمنح زوجها الخلود ولكنها نسيت أن تطلب منه أن يمنحه أيضاً الشباب الدائم. ولذلك أصبح يضرب به الملل على مناعب الشيخوخة والمزم.

- أعطى كينيراس الدرع للملك حتى يسعد باستخدامه.
 وكان الدرع مصنوعاً من عشر طبقات من الفولاذ الداكن،
 واثنتي عشر طبقة من الذهب، وعشرين طبقة من القصدير.
 وعلى كل جانب كانت تزينه ثلاثة أشكال فولاذية ثعبانية
 تتلوى صوب العنق تشبه قوس قزح الذى يرسله
 ابن كرونوس من بين السحب العالية نذيراً للبشر الفانين .
 ثم وضع سيفه حول كتفيه، وكانت به مسامير
 من الذهب البراق، بينما كان غمده
 فضياً، وكانت الأربطة التى يثبت بها ذهبية.
 وأمسك درعه المزخرف الذى يستخدم فى الدفاع والهجوم،
 وكان درعاً جميل المنظر، تحيط به عشر دوائر من البرونز،
 وكان به عشرون نقوءاً بيضاء اللون
 مصنوعة من القصدير، أما اللقوء الموجود فى الوسط فكان من
 الفولاذ الأسود، وقد نقش عليه رسم لجورجونة فاسية النظرة
 بشعة الهيئة، يحيط بها كل من "الذعر" و"الخوف"
 ويتدلى منه حزام فضى، يلتف حوله
 تنين من الفولاذ له ثلاثة رعوس
 تنور فى جميع الاتجاهات، ولكنها تخرج جميعاً من عنق واحد.
 ووضع على رأسه غطاء من الجلد به شارتان وأربع
 خصلات من شعر الجباد، ويحيط به العرف ويميل عليه بشكل مهيب
 وأمسك رمحين قويين، مطلين جيداً بالبرونز وحادين.
 وانبعث من هذين الرمحين البرونزين بريق
 هائل وصل إلى عنان السماء، فأصدرت أثينة وهيرا صوتاً عالياً
 لتحية ملك موكيناي الغنية بالذهب.
 ثم أمر كل قائد سائق عربته

- أن يقود الخيول بمهارة، حتى لا تتراجع عند الخندق.
واندفع الجنود المشاة بسرعة
- ٥٠ مدججين بالأسلحة. وارتفعت صيحة مدوية قبيل الفجر.
وتقدم المشاة حتى وصلوا إلى الخندق، متراصين في صفوف منظمة،
ثم تبعهم الفرسان بعد قليل.
- وأثار ابن كرونوس جلبة شديدة بينهم، عندما أسقط عليهم
من السماء قطرات مطر ممزوجة بالدماء، دليلاً على
٥٥ أنه ينوي إرسال العديد من الأبطال الأقوياء إلى هاديس.
وعلى الجانب الآخر، كان الطرواديون يقفون على التل المرتفع
ملتفتين حول هيكتور العظيم وبوليداماس النبيل
ومعهم آينياس الذي يبجله الشعب الطروادي كما لو كان إلهاً.
وكان معهم ثلاثة من أبناء أنتينور، الأول بوليبيوس والثاني أجينور
٦٠ الإلهي والثالث أكاماس الابن (الصغير) شبيه الآلهة.
وكان هيكتور يقف في المقدمة حاملاً درعه المستدير،
وكما يسطع نجم الكوارث ويتلألأ من بين
السحاب، ثم يختفي وسط السحب غير واضحة المعالم.
هكذا كان هيكتور يظهر في لحظة في (وسط) الصفوف الأولى،
٦٥ وفي اللحظة التالية يصدر أوامره وهو في الصفوف الخلفية، وكان
درعه البرونزي يتلألأ مثل البرق، الذي يرسله أبو الآلهة زيوس،
لابس الدرع أيجيس. ومثلما يحصد الفلاحون القمح أو الشعير
في حقل مالك ثرى، ويقفون في صفوف، كل منهم
في مواجهة الآخر، وتتساقط حزم المحصول أمامهم بغزارة،
٧٠ هكذا هاجم الطرواديون والآخيون كل منهما الآخر
وتبادلوا القتل، ولم يفكر أى منهم في الهزيمة الأليمة.
وسيطر الحماس للقتال على رؤوسهم بنفس القدر، فاندفعوا

- مثل الذئب. ونظرت إريس، مسببة الأحران، وهي سعيدة.
فقد كانت لها السيادة من بين جميع الآلهة الذين شاركوا في المعركة
فإن أحدا من الآلهة الآخرين لم يكن حاضرا، ولكنهم
جلسوا جميعا في قصورهم في راحة تامة، حيث جهز كل منهم
مسكنه الجميل، المشيد على جنبات الأوليمبوس.
وكانوا جميعا يلومون ابن كرونوس، المتدثر بالسحب،
لأنه قد عقد العزم على منح المجد للطرواديين.
ولكن الإله الأب لم يعرهم اهتماما. فقد جلس
بعيدا عن الآخرين، متألقا في عليائه،
وهو ينظر إلى مدينة الطرواديين وإلى سفن الآخيين
وإلى بريق السلاح وإلى القتل والقتلى.
والآن، ومع انبلاج الفجر (الصباح) وتقدم النهار
اندفعت السهام من كلا الجانبين وسقط البشر.
وعندما حل الوقت الذي يقوم فيه الحطاب الذي يعيش فوق الجبل
بإعداد عشاءه، بعد أن تتعب يده من تقطيع
الأشجار العالية ويعود، قرير العين،
لكى يشبع رغبته في الطعام والحلوى،
شق الدانائيون صفوف الأعداء بشجاعتهم
وهم يحثون رفاقهم من صف لآخر. وكان أجامنون
أول المهاجمين، فقام بقتل البطل بينور، حامى الشعوب،
ثم قتل رفيقه أويليوس الذي كان يقود العربة.
فعندما قفز من عربته كى يواجه خصمه،
اندفع إليه أجامنون بحماس، وجعل رمحه الحاد ينفذ داخل
جبينه، ولم تنجح خوذته البرونزية الثقيلة في صد الرمح
ولكنه نفذ من خلالها إلى عظامه، وبعثر

- مخه كله داخل الخوذة، فسقط قتيلًا رغم شجاعته الفائقة.
وترك أجاممنون، ملك الرجال، الجثث مبعثرة هناك،
١٠٠ عارية الصدر مكشوفة، بعد أن نزع عنهم ملابسهم.
ثم أسرع كي يستولى على أسلحة إيسوس وأنتيفوس
ولدى برياموس، الشرعى وغير الشرعى، واللذان جاءا
معاً فى عربة واحدة. وكان الابن الشرعى يقود العربة
بينما أنتيفوس الشهير يقف بجانبه. وذات مرة
١٠٥ شد أخيليوس وثاقهما بأغصان الصنصاف اللينة على ظهر جبل إيدا
حيث كانا يرعيان الأغنام، ولكنه أطلق سراحهما بعد أن حصل
على فدية. لقد صوب أجاممنون بن أتريوس واسع الملك
رمحه إلى صدر إيسوس فأصابه فوق ثديه تمامًا وأصاب أنتيفوس
بالقرب من أذنه بطعنة سيفه، ثم أطاح به من فوق العربة،
١١٠ وبحركة سريعة جردهما من أسلحتهما الرائعة
فقد كان يعرفها جيدًا، فقد سبق ورآها من قبل عند السفن
السريعة عندما أحضرهما أخيليوس، سريع القدمين من إيدا.
وكما يهاجم أسد ما بسهولة صغار غزالة سريعة
ويقبض عليهم بأسنانه القوية ويعود بهم إلى عرينه فيزهق أرواحهم
١١٥ البريئة، ورغم وجود الأم على مقربة منهم فإنها لا تستطيع
إنقاذهم لأن الخوف القاتل يملكها،
فتتطلق بسرعة خلال الغابة والأحراش الكثيفة
وتسرع بالفرار وهى خائفة من هجوم الوحش القوي.
١٢٠ هكذا، لم يستطع أحد الطرواديين أن ينفذ
هؤلاء من الموت، لأنهم كانوا خائفين من الأرجيين.
ثم هاجم أجاممنون بيماندروس و هيبيولوخوس الشجاع
ولدى أنتيماخوس الحكيم، والذي كان أشد المعارضين

- ١٢٥ لإعادة هيليني إلى زوجها مينيلأوس، ذهبى الشعر،
متوقعا أن يقدم له ألكسندروس ذهبًا كثيرًا وهدايا رائعة.
والآن يهاجم الملك أجامتون ولديه الاثنين،
وكانا معًا فى عربة واحدة تجرها الخيول السريعة.
وعندما أفلت اللجام المصقول من أيديهما
أصيبا بالذعر والهلع. عندئذ اندفع ابن أتريوس
١٣٠ كالأسد لمواجهتهما، فنزلا من العربة وتضرعا إليه:
"يا ابن أتريوس، لتأخذنا أسرى حتى تحصل على
فدية عظيمة، إذ توجد كنوز ضخمة فى منزل أنتيماخوس،
سواء من البرونز أو الذهب أو الحديد المصقول بمهارة.
فإذا أبقيت علينا أحياء فى سفن الأخيين،
١٣٥ فسوف يقدم لك والدنا فدية لا حصر لها ولا عند".
بهذه الكلمات الرقيقة خاطبها الملك
وهما يذرفان الدمع، ولكنهما سمعا ردًا قاسيًا:
"إذا كنتما حقًا ولدى أنتيماخوس الحكيم،
الذى أمر ذات مرة فى مجلس الطرواديين بقتل مينيلأوس،
١٤٠ عندما ذهب كرسول مع أوديسيوس شبيه الآلهة،
حتى لا يعود مرة أخرى إلى رفاقه الأخيين،
فسوف تدفعان الآن ثمن حماقة والدكما المشينة".
هكذا قال، ثم دفع بيسانندروس من فوق العربة وطرحه أرضًا
ثم غرس السيف فى صدره، فرقد على ظهره بلا حراك.
١٤٥ وعندما قفر هيبلوخرس، طرحه أرضًا وجرده من أسلحته،
وقطع يديه بسيفه البتار، ثم فصل رأسه عن جسده
وأسرع يدرجه وسط الجموع الغفيرة وكأنه صخرة،

- ثم تركه حيث هو، واندفع إلى حيث تقاتل غالبية الجنود.
وانطلق ومعه باقى الأخيين، الذين كانوا يحمون أنفسهم جيداً بدروع
الساق، إلى حيث كان المشاة يقاتلون المشاة ويرغمونهم على الهرب. ١٥٠
كما كان الفرسان يقاتلون الفرسان. وارتفع الغبار عاليًا
فى الوادى، فقد أثارته حوافر الخيول التى تحدث دويًا هائلًا
أثناء القتال بالأسلحة البرونزية. وكان الملك أجاممنون
يحارب وهو يصدر أوامره للأرجيين
وكما كانت النيران المدمرة تهب على أشجار الغابة المتشابكة، ١٥٥
فتحملها الرياح إلى جميع الأنحاء، فتسقط
أشجار الغابة من جذورها بسبب شدة النيران
هكذا كانت رعوس الطروانيين تتساقط أمام
أجاممنون بن أتريوس أثناء هروبهم. وكانت الخيول، طويلة العنق،
تصدر صهيلًا مدويًا وهى تجر العربات الفارغة على خطوط القتال، ١٦٠
لقد خلت من فرسانها النبلاء بعد أن سقطوا قتلى
على الأرض، فأحببتهم الطيور الجارحة أكثر مما كانت زوجاتهم تحبهم.
وسحب زيوس هيكتور بعيدًا عن المسهام والغبار
والقتل والدماء وضوضاء المعركة.
وكان بن أتريوس يصدر الأوامر للدانائيين وهو غاضب ١٦٥
خلف قبر إيلوس بن دارداناوس، القديم
فى وسط الوادى، بينما كان البعض يندفعون خلف شجرة التين الضخمة،
مشتاقين للعودة للمدينة، بينما كان ابن أتريوس يواصل
الصياح وقد تخضبت يده التى لا تقاوم بدماء ضحاياها،
وعندما وصل الطرواديون إلى بوابات سكاياى وشجرة البلوط ١٧٠
توقفوا عندها وانتظر أحدهم الآخر.
وكان بعضهم يقف فى منتصف الوادى، وهم يرتعدون من الخوف

- كقطيع من الثيران يتوجس خيفة من قدوم أسد في ظلمة الليل،
ولكن جمعهم يتفرق عندما يكتشف أن كارثة خطيرة قد أصابت بالفعل
أحدهم. فقد أمسك به الأسد بأنيابه القوية من رقبتة فكسرها
١٧٥ أولاً، ثم قام بعد ذلك بالتهام أحشائه ودمه.
هكذا كان الملك أجامنون، بن أتريوس، يقوم بمطاردتهم
ويقتل من كان في المؤخرة منهم، فيتملك الخوف الآخرين.
وسقط كثير منهم من فوق الخيول، سواء على وجوههم أو على
١٨٠ ظهورهم ووقعوا في يد ابن أتريوس. فقد صال وجال بسيفه.
بيد أنه عندما أوشك على الاقتراب من المدينة ومن السور
المتنوع، كان زيوس أبو البشر والآلهة
يتخذ مجلسه على قمة إيذا المليء بعيون الماء،
بعد أن نزل بعيداً عن السماء. وكان يمسك الصاعقة بيديه
١٨٥ فأسرع بإرسال إيريس، ذات الأجنحة الذهبية، برسالة قائلاً:
"إيريس، أيتها السريعة، هيا بسرعة واعلنى هذه الكلمة لهيكتور:
طالما يرى أجامنون، راعي الشعوب،
يحارب في مقدمة الجيش، ويعيث قتلاً في صفوف المحاربين،
١٩٠ ليكف هو عن القتال، وليأمر الآخرين بقتال الأعداء قتالاً عنيفاً.
ولكن عندما يصيب أجامنون رمح أو يجرحه سهم،
فليسرع نحو خيوله، وسوف أضع في يديه قوة
تمكّنه من القتال حتى يصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
إلى أن تغرب الشمس ويأتي الليل المقدس".
١٩٥ هكذا قال، ولم تعص إيريس، سريعة القدمين،
أمره بل أسرعت من إيذا إلى إليون المقدسة،
حيث وجدت هيكتور المبجل شبيه الآلهة، بن برياموس الحكيم،

- واقفاً وسط خيوله وعربته المتينة.
 ووقفت إيريس، سريعة القدمين، على مقربة منه وخاطبته قائلة:
- ٢٠٠ "هيكاتور يا بن برياموس، يامن تماثل زيوس في الحكمة،
 لقد أرسلني زيوس الأب كي أبلغك الرسالة التالية:
 طالما ترى أجاممنون، راعي الشعوب،
 يحارب في مقدمة الجيش، ويعيثُ قتلاً في صفوف المحاربين
 فلتكف أنت عن القتال، ولتأمر الآخرين
 بقتال الأعداء قتالاً عنيفاً.
- ٢٠٥ ولكن عندما يصيبه رمح أو يجرحه سهم
 فلتسرع نحو خيولك وسوف يضع زيوس في يديك قوة
 تمكنك من القتال حتى تصل إلى السفن ذات المجاديف القوية
 إلى أن تغرب الشمس ويأتي الليل المقدس".
- ٢١٠ هكذا قالت إيريس، سريعة القدمين، ثم رحلت،
 وقفز هيكاتور من فوق عربته إلى الأرض ومعه سلاحه
 وسار وهو يلوح بسيفه البتار ليحث المحاربين
 في كل مكان على القتال، فأشعل فيهم شهوة القتال المخيفة
 فنظموا صفوفهم ووقفوا في مواجهة الأخيين. وعلى الجانب الآخر،
 دعم الأرجيون صفوفهم، وبعد أن استعدوا للمعركة،
 وقفوا في مواجهة العدو. وكان أجاممنون أول من بدأ الهجوم،
 فقد كان يرغب، أكثر من الجميع، في القتال في المقدمة.
- والآن، ياربات القنون (الموساي) يامن تسكن
 الأوليمبوس لتخبرني من الذي جاء أولاً لمواجهة أجاممنون،
 هل كان واحداً من الطرواديين أنفسهم أم من حلفائهم المشهورين.
- ٢٢٠ لقد كان القوى الشجاع إفيداماس بن أنتينور

- الذى نشأ فى طراقيا أم قطعان الماشية.
 إذ تولى كيسييس تربيته فى قصره طفلاً صغيراً.
 وكان كيسييس جده لأمه ووالد ثيانو جميلة الخدين،
 ٢٢٥ وعندما بلغ إفيداماس مبلغ الرجال وأصبح شاباً يافعاً
 أراد كيسييس أن يمنعه من العودة لوطنه، فمنحه ابنته
 زوجة له، ولكن عندما قدم أبناء الأخيين غادر غرفة نومه
 وتبعته اثنتا عشر سفينة ذات مقدمة معقوفة،
 وهى السفن التى تركها بعد ذلك فى بركوتى
 ٢٣٠ فقد جاء إلى مدينة إليون سيراً على الأقدام.
 وهو المحارب الذى يواجه أجامنون بن أتريوس الآن.
 وعندما وقف أحدهما فى مواجهة الآخر
 أخطأ ابن أتريوس الرمية ومرق الرمح بالقرب من خصمه،
 فأصاب إفيداماس فى أسفل درعه، الذى كان قد ثبته جيداً
 ٢٣٥ بيديه القويتين، ولكنه لم يصل إلى حزامه المزخرف،
 فقبل أن يصل إلى الجزء المصنوع من الفضة، انثى كما لو كان
 مصنوعاً من الرصاص. فأمسك أجامنون، واسع الملك، خصمه بيده.
 وسحبه بقوة تجاهه بغضب شديد، ورفع، كالأسد،
 ٢٤٠ بين يديه بعنف وضرب عنقه بالسيف فأرداه قتيلًا.
 هكذا سقط، حيث نام نومًا أبدياً (حديديًا). ياله من مسكين،
 فقد كان عوناً لأبناء وطنه، ولعروسه التى زف إليها
 ولكنه لم يعرف المتعة معها، رغم أنه قدم لها هدايا كثيرة.
 فقد قدم فى البداية مائة ثور، ثم وعد بعد ذلك بتقديم ألف
 ٢٤٥ رأس من الأغنام والماعز، فهو يرمى أعداداً غفيرة منها،
 واستولى أجامنون بن أتريوس على عتاد خصمه
 وحمل أسلحته الرائعة وذهب إلى حضود الأخيين.

- وعندما رآه كوؤن، أكثر الرجال شهرة
 ٢٥٠ وأكبر أبناء أنتينور، اكتست عيناه بحزن شديد لمقتل شقيقه.
 فوقف جانباً بحيث لم يلحظه أجامنون الإلهي،
 وقذفه برمح في منتصف ذراعه، أسفل الكوع
 فنفذت رأس الرمح اللامعة إلى مقدمة ذراعه
 فانتفض أجامنون، ملك الرجال، ولكنه
 ٢٥٥ رغم ذلك، لم ينسحب من المعركة ولا من القتال
 بل اندفع بعنف تجاه كوؤن حاملاً رمحه الصلب المتين.
 وكان كوؤن يجر إفيداماس، شقيقه من الأب نفسه،
 من قدميه بسرعة وهو ينادى على جميع الأبطال بصوت مرتفع.
 وبينما كان يسحبه وسط الزحام والصخب، محتمياً بدرعه
 ٢٦٠ ذى الحلى المعدنية أصابه سهم برونزي أطلقه أجامنون،
 فأرداه قتيلاً، وحيث كان برقد إفيداماس، قطعت رأس شقيقه،
 وفي المكان نفسه نال ولدا أنتينور كفايتهما من الموت (القدر)
 على يد الملك أجامنون، ودخلا معاً مقر هاديس.
 وواصل أجامنون صولاته وجولاته بين صفوف المحاربين
 ٢٦٥ ممسكاً رمحه أو سيفه أو مستخدماً الأحجار الضخمة.
 وأثناء ذلك كله كان الدم الدافئ يسيل من جرحه،
 ولكن عندما جف الجرح وتوقف الدم،
 شعر ابن أتريوس بشدة آلامه وشعر بالوهن.
 لقد كان ألماً حاداً، مثل الذى يصيب المرأة أثناء الولادة
 ٢٧٠ ذلك الألم القاتل الذى ترسله الإيليثويات اللاتى يساعدن النساء أثناء
 المخاض، بنات هيرا اللاتى يتحكمن فى آلام الولادة الموجهة.
 وبعد أن نال الألم الشديد من قوة ابن أتريوس قفز إلى العربة
 وأمر سائقه أن يسرع به إلى السفن المجوفة. فقد كان

- ٢٧٥ قلبه حزينا. وأطلق صيحة مدوية وخاطب الدانائيين قائلا:
"أصدقائي، يا قادة الأرجيين وحكامهم،
يجب عليكم الآن أن تبتعدوا صخب المعركة الأليمة
عن سفننا جوارية البحار البعيدة، حيث إن زيوس إله التدبير
لم يسمح لي أن أوصل قتال الطرواديين طوال اليوم".
- ٢٨٠ هكذا قال، ثم ضرب خيوله ذات العرف الجميل بالسوط
لتذهب به إلى السفن المجوفة، فاندفعت طائفة.
وانطلقت حاملة الملك المنهك بعيدا عن المعركة
وصورها مملوءة بالزبد، وهي تتشر الغبار من تحتها.
وعندما رأى هيكتور أجاسمون يذهب بعيدا
حث الطرواديين والليكيين بصيحة تردد صداها بعيدا، وقال:
٢٨٥ "أيها الأصدقاء من الطرواديين والليكيين والداردانيين
إنكم أبطال بحق، فلتذكروا شجاعتكم وإقدامكم،
لقد ذهب أفضل رجالهم، ولقد منحني زيوس بن كرونوس
مجدا عظيما. فلتقودوا خيولكم الأصيلة ضد
٢٩٠ الدانائيين الأقوياء، حتى تنالوا مجدا عظيما أعلى من مجدي".
هكذا قال، فأثار حديثه شعور كل واحد منهم وعقله،
وكما يقوم أحد الصيادين بإطلاق كلابه
ذات الأسنان البيضاء، أثناء رحلته لاصطياد خنزير برى أو أسد،
٢٩٥ هكذا حث هيكتور بن برياموس، شبيه آريس مدمر البشر،
الطرواديين ذوى العقول الراجحة كي يحاربوا الأخيين.
وانطلق هو، وقلبه ينبض بالشجاعة، إلى الصفوف الأولى
وواصل القتال كالعاصفة المدمرة
التي تقلب البحر رأسا على عقب، وترفع مياهه البنفسجية.

- ٣٠٠ فمن كان أول القتلى ومن كان آخرهم،
عندما منح زيوس المجد لهيكتور بن برياموس؟
قتل أولاً أسايوس (أو أساياس) وأوتونوؤس وأوبيتيس
دولويس بن كليتيوس وأوفيلتيوس، ثم أجيلاؤس
وأيسيمينوس وأوروس، ثم هييونوؤس الجسور فى الحرب .
قتل هيكتور كل هؤلاء القادة الدانائيين، ثم واصل
التدمير بعد ذلك. ومتلما تهب الرياح الغربية (زيفيروس) العاصفة
وتدفع سحب الجنوب الصافية أمامها وهى تضربها بهباتها
العنيفة فترتفع أمواج البحر، ويمتلئ بالزبد
الذى يقذفه الموج فتبعثره الرياح هنا وهناك،
هكذا تتأثرت رءوس الأعداء الكثيرة التى أسقطها هيكتور،
لقد كان دماراً عليهم وقام بأعمال لا تقاوم.
- ٣١٠ وكان الآخيون على وشك الإسراع ليهربوا إلى سفنهم
لولا أن أوديسيوس صاح فى ديوميديس بن تيديوس بقوله:
"ماذا أصابك يا ابن تيديوس، أنسيت شجاعتك وإقدامك؟
تعال هنا، أيها الصديق، وقف بجانبى، فسوف يكون
من العار حقيقة أن يستولى هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، على السفن".
- ٣١٥ فأجابه ديوميديس القوى بقوله:
"سوف أبقى معك فعلاً وسوف أصمد، ولكن مكسبنا
سوف يكون تافهاً، فمن الواضح أن زيوس، جامع السحب،
يرغب فى منح القوة للطرواديين، وليس لنا".
- ٣٢٠ قال ذلك، ثم طرح ثيميراىوس أرضاً
وضربه بالرمح فى الجانب الأيسر من صدره، بينما قتل
أوديسيوس موليون، شبيه الآلهة، الذى كان يرافق ذلك الملك.

- وبعد أن تركا الجثتين انسحبا من القتال،
وأقبل بقية الأبطال لمواصلة الهجوم. وكما يهجم خنزيران بريان
٣٢٥ على مجموعة من كلاب الصيد ويقاتلنها بشراسة وغضب،
هكذا واصل البطلان هجومهما على الطرواديين، بعد أن التقطتا
أنفاسهما. وتنفس الأخيون الصعداء وهم يهريون من هيكتور شبيه
الآلهة. واستولى البطلان على إحدى العربات، وهاجما اثنين من
خيرة الرجال إنهما ولدا ميرويس البركوتى (*) الذى كان يبز الجميع
٣٣٠ فى مهارته فى فن العرافة. لقد حاول أن يمنع ولديه
من الاشتراك فى الحرب، مهلكة الرجال. ولكنه فشل
فى إقناعهما. فقد كانت الأقدار تسوقهما للموت الأسود.
إذ حرمهما ديوميديس بن تيديوس، المشهور برمحه القوى،
من الحياة، واستولى على أسلحتهما ذائعة الصيت.
٣٣٥ بينما كانت أسلحة هيبوداموس وهيبيروخوس من نصيب أوديسيوس،
عندئذ نظر (زيوس) بن كرونوس من فوق جبل إيدا
وجعل كفتى المعركة متساويتين. وأثناء اقتتال الطرفين
ضرب ابن تيديوس البطل أجاستروفوس
بن بابون بالرمح فى فخذه، ولم تكن خيوله
٣٤٠ قريبة منه حتى يتمكن من الهرب، وكانت إصابته شديدة.
لقد كان تابعه يقف بالعربة فى مكان بعيد، بينما كان هو يحارب
وسط الجنود المشاة فى طليعة الجيش. وهكذا فاضت روحه.
وكان هيكتور يراقب الموقف باهتمام من بين صفوف الجنود،
فاندفع وسطهم وهو يطلق صيحة مدوية. وفى الحال تبعته فيالق
الطرواديين. ورأى ديوميديس، البارع فى صيحة القتال،
٣٤٥

(*) هـ أدريستوس Adrestos أى أدراسوس وأمفيوس Amphios. (المحرر)

ذلك فشعر بالرجفة، وبسرعة خاطب أوديسيوس الذى كان واقفاً على مقربة منه قائلاً:

"إن دائرة الدمار تضيق علينا بسبب شجاعة هيكتور فهيا بنا نتصدى له ولنصمد، ربما أمكننا أن نصد هجومه".

هكذا قال، ثم جذب رمحه طويل الظل، وقذفه

٣٥٠ فأصاب هيكتور ولم يخطئه. فقد صوبه إلى رأسه فرشق الرمح البرونزى فى فمة خوذته، فصدته الخوذة البرونزية بعيداً، ولم يصل الرمح إلى اللحم الأبيض، فقد كانت مقدمة خوذته مصنوعة من ثلاث طبقات، وكان أبوللون فويبوس (الوضاء) قد أعطاها له. وبسرعة قفر هيكتور بعيداً وذاب وسط الزحام

٣٥٥ حيث وقع على ركبتيه، واستند على يديه القويتين إلى الأرض، ثم غاب عن الوعي لحظات . وظل (ديوميديس) ابن تيديوس واقفاً فى مقدمة الجيش يتابع اندفاع رمحه حتى سقط على الأرض.

٣٦٠ وبعد أن استعاد هيكتور وعيه، اندفع إلى عربته مرة أخرى وانطلق بها وسط الجموع، وهكذا تجنب الموت الأسود. ولكن ديوميديس القوى اقترب منه ومعه رمحه وصاح قائلاً:

"لقد هربت من الموت مرة ثانية أيها الكلب، لقد اقترب منك الموت جداً، ولكن أبوللون فويبوس أتقذك مرة أخرى،

فلنرى من الذى سوف تتضرع إليه عندما يأتيك ضجيج رماحي فعندما أنتقى بك سوف أقتلك، إن عاجلاً أو آجلاً،

٣٦٥ إذا ما ساعدنى أحد الآلهة ووقف بجانبى أما الآن فسوف أهاجم غيرك إلى أن أجد هذا الإله".

هكذا قال، ثم قتل ابن بايون، المشهور بقوة رمحه،

- بينما كان ألكسندروس، زوج هيليني، ذات الشعر الجميل،
 ٣٧٠ يوجه سهمه تجاه ابن تيديوس، حامى الشعوب،
 وهو منكىء على قبر أيلوس بن داردانوس
 الذى أقامه له البشر، لأنه كان أحد الأبطال القدامى.
 وكان ديوميديس قد خلع درع أجاستروفوس الشجاع
 عن صدره، وخلع درعه المستدير اللامع من كتفيه،
 ٣٧٥ كما خلع خوذته الثقيلة. فسحب لألكسندروس قوسه
 ورماه بسهم لم ينطلق من يده دون طائل
 بل أصابه فى مقدمة قدمه اليمنى، ثم انغرس فى الأرض
 بعد أن حرح قدمه، فخرج (ألكسندروس) من مكمنه
 وضحك ملء شذقيه وقال فى نشوة وسعادة:
- ٣٨٠ "لقد أصيبتك، فسهمى لم ينطلق دون طائل، ولكن لو لم أقدفه
 لأسفل لكان قد استقر فى معدتك وأخذ روحك وكان الطرواديين
 قادرين على التنفس بحرية بعيداً عن المتاعب بدلاً من وقوفهم
 الآن يرتعدون أمامك مثل الماعز التى تجهش باكية أمام الأسد".
 وأجابه ديوميديس القوى بشجاعة قائلاً:
- ٣٨٥ "يا رامى السهام، أيها الوغد المشهور بقوة رمحه، يا من تغرر
 بالعذارى، لو كنت قد حاولت مواجهتى وجهاً لوجه ومحك سلاحك
 ما كان لينفعك رمحك ولا سهامك الثقيلة فى شىء.
 ليس هناك ما تتفاخر به لأنك قد خدشت سطح قدمى.
 ابنتى لا أبالى. كما لو كانت قد أصابتنى امرأة أو صبية غر
 ٣٩٠ إنه سهم كليل قذفه رجل ضعيف لا قيمة له.
 فعندما ينطلق السهم الحاد من يدي ويلمس شخصاً لمساً خفيفاً
 فإنه يجعله يرقد بلا حراك فى الحال، وتلطم زوجته خديها

- وتمزقهما حزنا عليه ويتحول أطفاله إلى أيتام،
وترثوى الأرض من دمه القانى. وعندما يتعفن جسده تتجمع
٣٩٥ حوله الجوارح أكثر مما كانت النساء تتجمع حوله".
- هكذا قال له، ثم جاء إليه أوديسيوس المشهور بقوة
رمحه ووقف على مقربة منه. ثم جلس خلفه، وبدأ (ديوميديس) يسحب
الرمح من قدمه بسرعة، فسرت فى جسده آلام رهيبة.
وبعد ذلك صعد إلى العربة وأمر السائق
٤٠٠ أن يذهب به إلى السفن السريعة. فقد كان قلبه مهموما.
أما أوديسيوس المشهور بقوة رمحه، فظل وحده، إذ لم يبق
معه أحد من الأرجيين، فقد سيطر الخوف عليهم جميعا.
وبقلب جريح ناجى روحه النبيلة قائلاً:
- "آه لى، ماذا أصابنى؟ سوف تكون فضيحة كبرى إذا
٤٠٥ هربت خوفا من بعض الرعاع. ولكن لو هزمت وأنا وحيد
فسوف يكون الأمر أسوأ. لقد جعل ابن كرونوس الدانائيين الآخرين
يفرون، ولكن لماذا يحدثنى قلبى الحبيب بهذه الأشياء؟
إننى أعرف جيدا أن الجبناء فقط هم الذين يهربون من القتال،
ولكن المقاتل الشجاع هو الذى يصمد
٤١٠ فى الحرب بقوة سواء انتصر أو هزم".
- كان أوديسيوس يقلب هذه الأفكار فى عقله وقلبه
عندما هجمت عليه صفوف المقاتلين الطرواديين
وحاصرته من كل جانب، حاملة الدمار معها.
وكما تهجم مجموعة من الأثرياء الأقوياء ومعهم كلابهم
٤١٥ على خنزير برى، فيندفع تجاههم من الدغل الكثيف
شاهراً أسنانه البيضاء من بين أنيابه المعقوفة

- فيلتفون حوله، وتعلو أصوات ارتطام أسنانه ببعضها،
 فلا يترجعون بل يصمدون أمامه رغم قوته.
 هكذا حاصر الطرواديون أوديسيوس،
 ٤٢٠ حبيب زيوس، ولكنه قتل البطل ديوبيتيس
 أولاً بعد أن قفز فوقه وضربه بسيفه البتار،
 ثم بعد ذلك قتل ثوون، وإثوموس،
 ثم انقض على خير سيداماس في عربته
 وضربه بسيفه، فنفذ السيف داخل درعه ذى الحلى المعدنية
 ٤٢٥ وسقط على الأرض، وتشبثت أطافره بالتراب.
 وترك أوديسيوس هؤلاء القتلى، وهاجم خاروبس بن هيباسوس،
 شقيق سوكوس نبيل المحدث، وقتله بضربة من رمحه .
 ذهب سوكوس، شبيه الآلهة، للدفاع عن شقيقه
 فاقترب من أوديسيوس وخاطبه قائلاً:
 ٤٣٠ "أوديسيوس الأمجد، يا من تسعى دائماً وراء المزيد من
 المتاعب والحيل، إما إنك سوف تقتخر اليوم بقتل
 اثنين من أبناء هيباسوس، وسلب أسلحتهما،
 وإما إنك سوف تسلم الروح بعد ضربة من سهمي".
- ٤٣٥ هكذا قال، ثم قذفه بسهم قوى رشق فى درعه المستدير ونفذ
 من خلال الدرع، دقيق الصنع، فمزق لحم ضلوعه. ولكن الرية
 أنينة باللاس ما كانت لتسمح بنفاذ السهم إلى أحشائه.
 وانسحب أوديسيوس للخلف، وحتى يعرف سوكوس
 ٤٤٠ أنه لم يصب فى مقتل، خاطبه قائلاً
 "أيها الجبان، لقد حل بك موت محقق،
 لقد أمكنك أن توقفنى عن قتال الطرواديين.

- والآن فإنتي أعلن لك أن الخراب والموت الأسود
سوف يحلان عليك اليوم، ويرمحي المهزوم سوف تمنحني
المجد، فسوف أبعث بروحك إلى هاديس، ذى الجياد الأصيلة".
- ٤٤٥
- هكذا قال، ولكن سوكوس تمكن من الهرب وانطلق
مولياً الأدبار وبينما كان يدير ظهره، ضربه أوديسيوس بالرمح
فى ظهره فى منتصف المسافة بين كتفيه، فنقذ الرمح إلى صدره
وسقط مرتطماً بالأرض، فصاح أوديسيوس المجل متباهياً بقوله:
- ٤٥٠ "سوكوس يا ابن هيباموس مروض الخيول الماهر،
لقد هزمتك الموت الذى لا فرار منه، ولم تستطع الهرب
أيها البانس، ولن يخلق أبوك وأمك المججلة
عينيك عند موتك، بل سوف ترفرف الطيور الجارحة الجائعة
بأجنحتها ذات الريش حولك وتمزق لحمك.
أما أنا، فعندما أموت سوف يدفنتى الآخيون النبلاء باجلال".
- ٤٥٥
- هكذا قال، ثم نزع رمح سوكوس الثقيل ذلك المحارب
القوى، نزعه بنفسه من جسده فخرج من لحمه، ومن الدرع المزين
بحلية ناتئة فى المنتصف وأنبعث الدم بغزارة، وشعر بالألم المبرح.
وعندما رأى الطرواديين، ذوو النفوس الأبية، دماء أوديسيوس
صاحوا فى جموع المحاربين حتى يذهبوا جميعاً ويهاجموه.
- ٤٦٠ ولكنه تراجع للخلف وأخذ ينادى على رفاقه.
أطلق ثلاث صيحات عاليات بقدر ما يستطيع فم محارب أن يصيح.
وسمعه مينيلائوس، حبيب آريس، وهو يصيح ثلاثاً،
وفى الحال خاطب آياس الذى كان على مقربة منه بقوله:
- ٤٦٥ "آياس يا سليل زيوس، أيها التيلامونى يا قائد الشعوب،
إن صيحة أوديسيوس، ذى القلب الشجاع، تحيط بى و تصك أذنى

- ويخيل إلى أنه يصيح وهو في مأزق وحيداً،
وأن الطرواديين الشرسين قد أبعده عن أصدقائه.
فلنذهب وسط الحشود. فمن الأفضل أن ننقذه.
- ٤٧٠ فإننى أخشى أن يصيبه سوء وهو وحيد بين الطرواديين
رغم شجاعته العظيمة، فإن الدانائيين يحتاجون إليه بشدة".
هكذا قال، ثم انطلق وتبعه البطل شبيه الآلهة
حتى وجدا أوديسيوس، حبيب زيوس، وقد حاصره
الطرواديون مثلما تلتف مجموعة متوحشة من ابن آوى
٤٧٥ فى الجبال حول غزال ذى قرون، كان صياد قد أصابه
بسهم من جعبة سهامه، فأطلق ساقيه للريح
كى يهرب منهم، بينما دمه الدافىء ينساب ولا تقوى ساقاه على حمله
وفى النهاية، عندما يقهره السهم السريع
تبدأ حشود ابن آوى المتوحشة فى التهامه على الجبال العالية
٤٨٠ وفى الغابة وارفة الظلال، إلى أن يرسل أحد الآلهة أسداً
كاسراً، فتتفرق حشود ابن آوى (عند رؤيته) ويلتهم هو الفريسة.
هكذا، تجمع هناك الكثير من الطرواديين الأقوياء
حول أوديسيوس الداهية كثير الحيل، ولكن البطل
استطاع أن يبعد يوم موته لأنه واصل قذفهم بالسهام،
٤٨٥ وجاء أياس حاملاً درعه، ووقف على مقربة منه
مثل البرج المنيع، فتفرق الطرواديون هنا وهناك.
وقاده مينيلائوس، المحب للقتال، بعيداً عن صخب المعركة
وهو يمسك بيده. وأمر تابعه بأن يقود الخيول بعيداً.
عندئذ هاجم أياس الطرواديين وقتل دوريكلوس
٤٩٠ ابن برياموس غير الشرعى، ثم قتل باندوكوس بعد ذلك
ثم ليساندروس وبيراسوس وبيلارتيس.

- ومثلما يفيض النهر ويندفع من فوق الجبال
إلى الوادى بعد أن يمتلئ من (ذوبان) جليد الشتاء وسقوط أمطار
زيوس، فيجرف الكثير من أشجار البلوط الجافة وأشجار الصنوبر
ويلقى بالكثير من الطمي فى البحر،
٤٩٥ هكذا واصل أياس العظيم الهجوم عليهم، وكان يشنت جموعهم
فى الوادى وهو يقتل الرجال والجياد. ولم يعرف هيكتور
ذلك، إذ إنه كان يحارب فى مكان بعيد على اليسار،
على ضفاف نهر سكاماندروس، حيث تطاير الكثير
من رعوس الرجال، وارتفعت صرخة لا تخدم
٥٠٠ حول نيسطور العظيم وإيدومينيوس، المولع بالقتال.
فقد اشتبك هيكتور فى قتال معهما، وقام بأعمال مدمرة
متسلحا بسيفه وراكبا عربته. وعاث تحطيمًا فى صفوف المحاربين.
وما كان الآخيون البواسل لينسحبوا من المعركة
٥٠٥ لو لم يصب ألكسندروس، زوج هيلينى جميلة الشعر،
ماخاؤن الشجاع، قائد الشعوب، الذى كان يفوق الجميع فى شجاعته.
فقد قذفه فى كنفه الأيمن بسهم ذى ثلاث شوكات.
ورغم شجاعته الفائقة، خشى الآخيون البواسل
أن يقع فى أيدى الطرواديين وهو جريح عندما تنتهى المعركة.
٥١٠ وفى الحال خاطب إيدومينيوس نيسطور، شبيه الآلهة، بقوله:
"نيسطور يا ابن نيلوس، يا فخر الآخيين العظيم،
تعال واصعد إلى العربة ولتدع ماخاؤن
يصعد بجانبك، وسوف نقود الخيول الأصيلة بأقصى سرعة
إلى السفن. فإن طبيبا واحدا يساوى فى أهميته الكثير من الأبطال،
٥١٥ فلنذهب حتى ينزع السهم وينثر الأدوية المسكنة على الجرح".

- هكذا قال وأطاعه نيسطور، الفارس الجيريني، وصعد في الحال
إلى العربية وصعد معه ماخاؤون بن أسكليبيوس الطبيب الماهر
وضرب الخيول بالسوط، فطارت بحماس
في اتجاه السفن السريعة، وكانت روحه متشوقة للوصول.
٥٢٠
وعندما لاحظ كبير يونيس تشتت الطرواديين
وقف بجانب هيكتور في عربته وخاطبه قائلاً:
'هيكتور، لقد واصلنا نحن الاثنين بمفردنا القتال ضد الداناتيين
حتى انتهت هذه المعركة الكريهة. بينما كان بقية الطرواديين
يتخبطون في الفوضى هم وخيولهم.
٥٢٥
لقد أربكهم أياس بن تيلامون، إننى أعرفه جيداً
فهو يضع درعاً عريضاً حول كتفيه. لذلك دعنا
نتجه بالخيول والعربة إلى هناك، إلى حيث يحارب
الفرسان والمشاة ويقاثلون بشراسة. حيث يقتل بعضهم البعض الآخر،
وترتفع صيحة الحرب التى لا تخمد'.
٥٣٠
هكذا خاطب هيكتور، ثم ضرب الخيول ذات العرف الجميل
بالسوط ذى الصفير. وعندما سمعت الخيول صوت السوط
جرت العربة السريعة وسارت وسط حشود الطرواديين والأخيين
وهى تدوس فوق الجثث والدروع. وكان الدم يلمخ
محور العجلة كله من أسفل، وكانت قطرات الدم
٥٣٥
التي تنثرها حوافر الجياد تتساقط من حافة العربة المستديرة
ومن الإطارات. وكان هيكتور يتمنى أن
يدخل وسط زحام البشر ويقفز داخله ويخترقه. ولقد سبب
إزعاجاً كبيراً للداناتيين. وبعد وقت قصير نحى رمحه جانبا،
ولكنه واصل جولته بين صفوف رجاله الآخرين
٥٤٠

- ليزودهم بالسيوف أو الرماح أو الصخور الضخمة.
ولكنه كان يحجم عن منازلة أياس بن تيلامون
ووضع الأب زيوس، رفيع العرش، الخوف في نفس أياس
٥٤٥ فوقف مذهولا واضعا درعه المصنوع من سبع طبقات من جلد الثور
خلفه، وكان يحملق في الجموع وهو خائف، وكأنه حيوان مقترس
يتجول خانقا هنا وهناك، يتقدم خطوة ثم لا يلبث أن يتراجع أخرى.
مثل أسد كاسر يحاول المزارعون، ومعهم كلابهم،
أن يبعده بعيدا عن حظيرة الثيران،
٥٥٠ حتى لا تسنح له الفرصة ويقتنص أسمن الثيران .
لذلك فإنهم يواصلون مراقبته طول الليل. وعندما تدفعه
شراسته إلى الدخول فإنه يفشل في تحقيق غايته
لأن الأيدي الشجاعة تطلق الكثير من السهام ضده.
كما أنه يخاف من المشاعل المضيئة ويخشاها رغم عنف رغبته.
٥٥٥ إلى أن يشعر قلبه باليأس عند الفجر فيرحل بعيدا.
هكذا رحل أياس بعيدا عن الطرواديين وهو حزين القلب،
رغم كراهيته لذلك، لأنه كان يخاف على سفن الأخيين.
ومثلما يعبر حمار عنيد أحد الحقول، ويفشل الصبية في
٥٦٠ إبعاده، رغم أنهم يضربونه بالكثير من العصي ويكسرونها عليه،
فإنه يدخل حقل القمح الناضج ويدمره، رغم مواصلة الصبية
ضربه بالهراوات. ورغم أن قوة الصبية محدودة
فإنهم يطردونه بسهولة عندما ينال كفايته من الطعام.
هكذا واصل الطرواديون اليواصل وحلفاؤهم من مختلف البلاد
قذف أياس العظيم، ابن تيلامون،
٥٦٥ بالرماح في منتصف درعه، وواصلوا تعقبه أينما ذهب.
وعندما كان أياس يتذكر شجاعته الفائقة في الماضي

- كان يعود مرة أخرى ويواصل صد فرق
الطرواديين مروضى الخيول، ولا يفكر في الهرب.
وكان يمنعهم جميعاً من الذهاب إلى السفن السريعة،
٥٧٠ فقد كان يحارب في المسافة التي تفصل بين الطرواديين والأخيين،
ونجح في الاحتفاظ بموقعه. وكانت السهام تنطلق
من الأيدي القوية فيصطدم بعضها بدرعه الكبير، ورغم قوة اندفاعها
كان الكثير منها يسقط في منتصف المسافة ويرشق في الأرض
قبل أن يلمس لحمه الأبيض، رغم تعطشه الشديد له.
٥٧٥ وعندما لاحظ يوريبيلوس بن يوايمون الشهير كيف
يعانى أياس من السهام التي تتساقط حوله
ذهب إليه ووقف بالقرب منه، وصوب سهمه اللامع
فأصاب أبيساؤن بن فاوسياس راعي الشعوب
في كبده أسفل قلبه، فأرداه قتيلاً في الحال.
٥٨٠ وهب يوريبيلوس إليه كي ينزع السلاح من كتفه.
وعندما رآه ألكسندروس. شبيه الآلهة،
يجرد أبيساؤن من سلاحه، وفي الحال صوب سهماً
تجاه يوريبيلوس، فأصاب السهم فخذه
الأيمن. وانكسر رأس السهم في فخذه وألمه.
٥٨٥ فتقهقر عائداً إلى رفاقه حتى يتجنب الموت
وصرخ صرخة مدوية وخاطب الداناتيين قائلاً:
"أصدقائي قادة الأرجيين وملوكهم
تعالوا وتجمعوا حتى نجيب أياس هذا
اليوم للعصيب، فإن السهام تحاصره. وأعتد
٥٩٠ أنه لن يستطيع الهرب من هذه المعركة الكريهة. فلتتجمعوا ولتقفوا
بقوة بجانب أياس العظيم بن تيلامون".

- هكذا قال يوريبيلوس الجريح. فوقفوا
بجانبه، مثبتين دروعهم على أكتافهم
وممسكين بحرايهم. فاستدار أياس
٥٩٥ وجاء إليهم، وعندما وصل إلى رفاقه وقف،
وحاربوا معا وكانهم نيران مستعرة.
وحملت خيول نيلوس وماخاؤون قائد الشعوب
لكي يعودوا من المعركة، وهي تتصبب عرقاً
ورأى أخيلوس الإلهي، سريع القدمين، نيسطور وعرفه في الحال،
٦٠٠ فقد كان واقفاً في مؤخرة سفينته الضخمة
يراقب اندلاع المعركة الصاخبة المليئة بالدموع.
وفي الحال صاح، وهو يقف على سفينته، منادياً
رفيقه باتروكلوس، وعندما سمعه باتروكلوس، شبيه أريس،
وكان داخل خيمته، خرج إليه. وكان ذلك بداية الكارثة
٦٠٥ وخاطبه باتروكلوس بن مينويتوس الشجاع أولاً بقوله:
"لماذا تتاديني يا أخيلوس، في أي شيء تحتاجني؟".
فأجابه أخيلوس، سريع القدمين، بقوله:
"يا بن مينويتوس الإلهي، أيها العزيز على قلبي،
أعتقد أن الآخرين سوف يحتشدون سريعاً حول قدمي،
٦١٠ لكي يتضرعوا لي. فما سوف يأتي يصعب احتمالته.
فلتذهب الآن يا باتروكلوس، يا حبيب زيوس، ولتسأل من
الجريح الذي أحضره نيسطور من الحرب،
فهو من الخلف يشبه ماخاؤون
بن أسكليبيوس، ولكنني لم أتمكن من رؤية وجهه،
٦١٥ فقد مرقت الخيول أمامي بسرعة"

- هكذا قال، وأطاع باتروكلوس، رفيقه العزيز
 وذهب مسرعاً إلى حيث توجد خيام الأخيين وسفهم.
 وعندما وصلت العربة إلى خيمة نيسطور بن نيلبوس
 نزلوا منها جميعاً إلى الأرض، وفيرة الخيرات.
 ٦٢٠ وفك يوريميديون، تابع نيسطور، الخيول من
 عربة الشيخ المسن. ووقف النيطان في مواجهة النسيم
 القادم من شاطئ البحر ليجففا العرق في ملابسهما.
 ثم دخلا الخيمة حيث اتخذا مجلسهما.
 وأعدت الشراب لهما هيكاميدي، جميلة الشعر،
 التي كان قد أحضرها الشيخ المسن من تينيدوس، عندما دمر
 ٦٢٥ أخيليوس المدينة. وهي ابنة أرسينووس الشجاع. وقد اختارها
 الأخيون له، لأنها كانت تفوق الجميع في حكمتها.
 وفي البداية، مدت لهما هيكاميدي مائدة
 جميلة، ذات أرجل فولاذية جيدة الصقل، ووضعت عليها
 ٦٣٠ سلة من البرونز وبعض البصل لإعطاء نكهة للحم،
 وعسل مصفى وطبقاً من القمح المقدس
 بالإضافة إلى كأس فائق الجمال، أحضره الشيخ المسن من منزله،
 كأس مرصع بحليات ذهبية نائنة، وله أربعة من
 الأيدي حول كل يد تحت من الذهب، يمثل زوجاً من
 الحمام وهو يلتقط الحب. وكان للكأس قاعدة مزدوجة.
 ٦٣٥ وكان من العسير على أي شخص أن يرفعه
 عن المائدة، ولكن نيسطور الشيخ المسن كان يرفعه بسهولة.
 ومزجت فيه الفتاة التي تشبه الإلهات
 نبيذاً برامبياً، ثم بشرت جينا من لبن الماعز
 ٦٤٠ بمبشرة من البرونز، ثم نثرت بعضاً من الشعير الأبيض.

- وبعد أن أعدت لهما الشراب طلبت منهما أن يشربا.
وبعد أن شربا وأطفأ نيران الضمأ الشديد
بدأ متعة تبادل أطراف الأحاديث فيما بينهما.
وقف باتروكلوس، البطل الذي يشبه الآلهة. على الباب
وعندما رآه الشيخ الممن نزل عن عرشه الذهبي
وأخذ من يده وطلب منه أن يتخذ لنفسه مجلسا.
ولكن باتروكلوس رفض الجلوس قائلاً:
- ٦٤٥ "سيدى المبجل، يا من رباه زيوس، لا تحاول إقناعى بالجلوس.
لقد أرسلنى السيد النبيل المهيب حتى أسأل وأعرف
من هو الجريح الذى أحضرته. إننى أعرفه .
فقد رأيته، إنه ماخاؤون، قائد الشعوب والآن، ولأننى رسول
أخيلوس، يجب أن أعود بالخبر إليه. سيدى المبجل،
يا من رباه زيوس، أنت تعرف جيداً ذلك البطل الرهيب،
الذى قد يبادر بلوم حتى ذلك الإنسان الذى لا تتريب عليه".
- ٦٥٥ عندئذ أجابه نيسطور، الفارس الجيرينى، قائلاً:
"ولكن لماذا يبكى أخيلوس هكذا على الآخيين
الذين جرحتهم السهام؟ إنه بالقطع يجهل
مدى الحزن الذى ساد الجيش. فأفضل أبطالنا
يرقدون فى السفن جرحى ومصابين.
فقد أصيب ديوميديس القوى، ابن تيديوس.
وكذلك أوديسيوس ذو الدرع الشهير، وكذلك أجاممتون.
أما يوريبيلوس فقد أصيب برمح فى فخذه،
وهناك شاب آخر أحضرته من المعركة
وقد أصابه سهم أطلقه أحدهم من جعبة سهامه. ولكن أخيلوس

- ٦٦٥ الشجاع لا يهتم بالدانائيين ولا يشفق عليهم
هل ينتظر حتى تحترق سفننا السريعة
الراسية على شاطئ البحر، وتأتي عليها نيران العدو نكاية في
الأرجيين، أم ينتظر حتى يتم قتلنا واحدا تلو الآخر؟ إن أطرافى
الواهنة لم يعد بها قوة مثلما كان الحال فى الماضى.
- ٦٧٠ أه لو كنت فى ميعة الصبا والشباب وفى عنفوان قوتى
مثلما كنت، عندما حدث بيننا وبين الإلييين صراع
بشأن نفل الإبل. فقد قتلت آنذاك إيتيمونيوس
بن هيبيروخوس الشجاع، الذى كان يسكن فى إيليس.
وذلك عندما كنت أسوق قطعانه غنائم لى. لقد حاول الدفاع عن ثيرانه
فأصيب، وهو وسط حرسه، بسهم انطلق من يدى رغما عنى،
وسقط على الأرض. ووقف الناس حوله وهم يرتعدون من الخوف،
فأخذنا غنائم كثيرة وسقناها بعيدا عن الوادى:
خمسين قطيعا من الثيران، العديد من الأغنام
والكثير من الخنازير ومن قطعان الماعز،
بالإضافة إلى مائة وخمسين من الخيول الشقراء،
كانت كلها من الإناث فتبع العديد منها صغارها.
وبعد أن سرنا طوال الليل، وصلنا بها
إلى مدينة بيلوس مدينة نيلوس، وأبتهج قلب نيلوس،
لأنتى حققت كل هذا النجاح عندما ذهبت للقتال وأنا شاب صغير.
- ٦٨٥ وفى الصباح، صاح المنادون بصوت عال ودعوا السكان
للذهاب حتى يأخذوا ديونهم التى كانت لهم فى إيليس الإلهية.
وعندما تجمعوا جميعا، قام قادة مدينة بيلوس
بتوزيع الغنائم، فقد كان الإيبيون مدينين لكثيرين منا.
فنظرا لقلّة عددنا، فقد كنا نلقى معاملة سيئة فى بيلوس.

- ٦٩٠ لقد نزلت علينا قوة هيراكليس (هرقل) وقهرتنا
وقُتل خيرة رجالنا في السنوات الماضية.
وكنا نحن أبناء نيلوس النبيل اثني عشر ابنا
لم يبق منهم أحد غيري، فقد هلك الباقون جميعا.
ولقد عاملنا الإيبويون، لابسو البرونز، بكبرياء وصلف
وواصلوا إهانتنا وسببوا لنا الكثير من الأذى.
- ٦٩٥ واختار الشيخ لنفسه قطيعا من الثيران وقطيعا
كبيرا من الأغنام، بالإضافة إلى ثلاثمائة رأس ومعها رعاتها.
فقد كان له دين كبير في إيليس الإلهية
فقد أرسل أربعة خيول من التي تفوز في المسابقات ومعها العربات
لنتشارك في المسابقات وتجري من أجل الفوز
- ٧٠٠ بالمقعد ذي القوائم الثلاث. ولكن أوجياس^(٥) ملك الرجال
استولى عليها وطرد السائق الذي عاد حزينا على خيوله
وبطبيعة الحال غضب للشيخ المسن من هذه الأفعال والأقوال.
لذلك اختار الكثير من الغنائم وأعطى الباقي للشعب
كى يوزعه فيما بينه حتى لا يحرم أحد من نصيب عادل.
- ٧٠٥ وبعد أن ناقشنا كافة الأمور - ذبحنا القرابين
في أنحاء المدينة. وفي اليوم الثالث جاء سكان المدينة
بأعداد غفيرة، جاءوا ومعهم خيولهم الأصيلة
كى يتعقبونا. وقد جاء معهم ولدا مولوس التروأم
رغم أنهما كانا مجرد صبيين لا يعرفان فنون القتال.
- ٧١٠

(٥) تقول الأساطير الإغريقية إن أوجياس Augias كان ملكا على مدينة إيليس. وكانت حظائره تضم عددا هائلا من الثيران (٣٠٠٠). ولكن هذه الحظائر لم تُنظف لمدة ٣٠ سنة. فكان من ضمن الأعمال الحارقة الاثني عشر التي أسند هيراكليس القيام بما تنظف الحظائر الأوجية. ولقد أمكنه القيام بهذه المهمة في يوم واحد عندما حول مجرى نهرى الفبوس وبينوس ليمرا داخل الحظائر فأزال في ساعات كل ما كان قد تجمع فيها من الروث على مدى السنوات الثلاثين.

- وكانت توجد مدينة تسمى ثريؤيسا تقع على تل مرتفع
على نهر الفيوس، بعيدًا جدًا عن مدينة بيلوس الرملية.
فحاصروا هذه المدينة وكلهم رغبة في إبادتها
وعندما احتلوا السهل بأكمله، جاءت إلينا الربة أثينة.
فقد ظلت تجرى طوال الليل من الأوليمبوس حتى وصلت إلينا
برسالة تحثنا فيها أن نتسلح، ليس لأنها تكره شعب بيلوس
ولكن لرغبتها الشديدة في الحرب. ولم يسمح لي نيلبوس
أذالك بحمل السلاح. لذلك أخفى خيولي.
قائلًا إنني لم أعرف فنون الحرب بعد.
- ٧١٥
- ٧٢٠ ورغم أنني كنت أحارب على الأقدام فقد كنت
مميزًا بين صفوف الفرسان، إذ كانت أثينة هي التي توجهني.
وعند النهر المسمى مينبويس الذي يصب في البحر
بالقرب من أريني انتظرنا نحن فرسان بيلوس
بزوغ ربة الفجر المقدس. وتوافد إلى هناك الفرسان
بسرعة مسلحين بالدرع وكافة أسلحتهم.
- ٧٢٥
- وعند منتصف النهار وصلنا إلى نهر الفيوس المقدس،
وهناك قدمنا لزيوس الكثير من القرابين العظيمة،
كما قدمنا لنهر الفيوس ثورا، ولبوسيدون ثورا آخر.
واخترنا ثورا سمينا لأثينة زرقاء العينين .
- ٧٣٠ ثم تناولنا العشاء في (وسط) حشود الجيش
وذهبنا للنوم حول ضفتي النهر،
وكل واحد منا بكامل سلاحه. وكان الإيبيون الشجعان
يقفون أمام المدينة متلهفين على تدميرها،
ولكنهم سرعان ما شاهدوا بطولة رائحة من بطولات
الحرب (أريس). فعندما أشرقت الشمس على
- ٧٣٥

- تجمعنا استعدادا للقتال، ونحن نبتهل لزيوس وأثينة.
وعندما بدأ القتال بين أهل بيلوس والإيبين
كنت أنا أول من قتل واحدا من الأعداء، وغنمت خيوله الأصيلة.
إذ قتلت موليروس، رامى السهام، وصهر الملك أوجياس
فقد تزوج كبرى بناته، أجاميدى الشفراء،
التي كانت تعرف جميع الأعشاب المداوية التي تنبتها الأرض
الشاسعة. فبينما كان يهجم بالهجوم على قذفته برمح برونزى
فسقط على الأرض. وقفزت إلى العربة
وحاربت في طليعة الصفوف. وعندما رأى
الإيبين البواسل قائد الفرسان وقد سقط صريحا
أصابهم الرعب وهربوا هنا وهناك. فقد كان أفضل مقاتليهم
واندفعت أهاجمهم مثل عاصفة سوداء،
واستوليت على خمسين عربة، وعض اثنان من أبطالهم
الأرض بأسنانهم وهم فى سكرة الموت بعد أن قهرهما رمحى.
وكنت على وشك قتل ولدى موليروس المنسوبين إلى أكتور،
ولكن أبوهما الحقيقى (بوسيدون)، مزلزل الأرض، أنقذهما
من الموت (القتل)، فقد أخفاهما بين طيات الضباب الكثيف.
ووضع زيوس فى أيدينا نحن أبناء بيلوس قوة عظيمة،
فشتتنا فلول العدو فى أنحاء الوادى الفسيح
وأشبعناهم قتلا، واستولينا على أسلحتهم الرائعة.
وقدنا خيولنا حتى بوبراسيون، الغنية بالغالل.
ووقفت الربة أثينة على صخرة أولينيا التى توجد
فى تل أليسيون، أو هكذا يسمى، ورددتهم على أعقابهم.
وهناك قتلت أخر قتلاى وتركته. وقاد الأخيون
خيولهم السريعة من بوبراسيون عائدين إلى بيلوس.

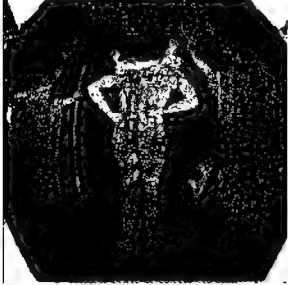
- وتوجه الجميع بالشكر لزيوس من بين الآلهة، ولنيستور من بين البشر.
هكذا كنت، وهكذا كانت مكانتي ذات يوم بين الرجال. أما أخيليوس
فلن يفيد من بسالته سوى هو نفسه. وأعتقد أنه
سوف يتدم كثيرا. حيث لا ينفع الندم. إذا ما دُمر هذا الشعب.
٧٦٥ يا ولدي الحبيب، لقد أمرك مينويتوس بذلك
في اليوم الذي أرسلك فيه من فثيا إلى أجاممنون.
لقد كنت أنا وأوديسيوس الإلهي في المنزل،
وسمعنا كل أوامره وهو يلقيها عليك.
فما أن وصلنا إلى قصر بيليوس الفخم
٧٧٠ حتى حشد شعب آخايا، كثيرة الخيرات،
ووجدنا البطل مينويتوس بالداخل،
كما وجدناك أنت وأخيليوس. وكان الفارس الأشيب بيليوس
يحرق قطعة سميثة من فخذ ثور قربانا لزيوس، مرسل الصواعق،
وذلك في الفناء. ثم رفع كأسا ذهبيا
٧٧٥ وصب منه خمرا متلألئة فوق القرابين المشتعلة.
وكنتما منمكين في إعداد لحم الثور عندما وقفنا
نحن الاثنين أمام الباب. فنهض أخيليوس وقد تملكته الدهشة لرؤيتنا
وقادنا من أيدينا. ودعانا للجلوس
وأحسن ضيافتنا. كما جرى العرف دائما مع الضيوف.
٧٨٠ وعندما أشبعنا رغبتنا من الطعام والشراب،
بدأت أنا الحديث، وطلبت منك أن تكون التالي.
وكنتما شديدي الحماس للذهاب. وأصدر كل منهما الكثير من
الأوامر لكما. فقد أمر بيليوس الشيخ ولده أخيليوس
أن يكون الأفضل دائما، وأن يتفوق على الآخرين.
٧٨٥ كما أمرك مينويتوس، بن أكتور، أن تكون كذلك (مثله)

- يا بني، قد يباهى أخيلئوس بأنه أفضل منك نسبا،
أما أنت فأكبر منه سنا. كما أنه يتفوق عليك من حيث القوة،
ولكن من المفيد أن تتصحه نصيحة عاقلة،
وأن توضح له ما يجب عليه فعله. فإن من مصلحته أن يطيعنا
٧٩٠ هكذا أمرك الشيخ المسن، ولكنك نسيت. ويجب
عليك أن تقول هذه الأشياء لأخيلئوس المحارب الجامح.
من يدري! ربما يسمع كلامك، إذا عاونك أحد الآلهة، فعليك أن ترفع
روحه بكلماتك المفتحة. فمن الخير إقناع الصديق.
فإذا كان يخشى إحدى النبوءات، التي كشفها له زيوس
٧٩٥ أو كشفتها له أمه المبجلة (المقدسة)
فليرسلك أنت، وليجعل بقية الميرميدونيين
يتبعونك في الحال. فقد تأتي بنور الخلاص للدانائيين.
وليعطك أسلحته الرائعة لترتيديها في الحرب،
فربما ينسحب الطرواديون من الحرب،
٨٠٠ إذا ما اعتقدوا أنك هو. وعندئذ سوف يتنفس المحاربون الآخيون
الصعداء. إن فترات الراحة شحيحة أثناء الحرب
وقد يُتاح لكم، لأنكم غير متعبين، أن تطردوا الأعداء،
الذين أرهقتهم الحرب، إلى داخل المدينة بعيدا عن السفن والخيام".
هكذا قال، فأهاج قلب باتروكلوس داخل صدره،
٨٠٥ فشرع يجرى بمحاذاة السفن، ليذهب إلى أخيلئوس، سليل أياكوس
وبعد جريه وصل إلى سفينة
أوديسيوس (الإلهي) حيث كان مجلسهم واجتماعهم منعقدين
وحيث شيدوا المذابح للآلهة.
هنالك قابل يوريبيلوس بن يوايمون،
٨١٠ سليل زيوس، مصابا بسهم في فخذه،

- مما جعله ينسحب من القتال. وكان العرق الغزير
يتساقط من كتفيه ورأسه، وكان الدم الأسود
يتدفق من جرحه المؤلم. ولكنه كان رابط الجأش.
وعندما رآه ابن ميتوييتيوس القوي شعر بالشفقة عليه
وخاطبه بكلمات مجنحة وهو يتأوه من الحزن:
- ٨١٥ "أيها البؤساء، يا قادة الدانائيين وملوكهم،
هذا قدركم، أن تشيع الكلاب المتسارعة
من لحمكم الأبيض، هنا في طروادة، بعيدا عن أحبابكم وعن أرض
الوطن. ولكن لتقل لى أيها البطل يوريبيلوس، يا سليل زيوس.
هل سيتمكن الآخيون من قهر بطل مثل هيكتور
٨٢٠ أم سيتمكن هو منهم ويقهرهم بمسيفه؟".
فأجابه يوريبيلوس الجريح قائلاً:
"باتروكلوس، ياسليل زيوس، لم يعد للآخيين
أية قدرة على الدفاع وسوف يسقطون بجوار السفن السوداء.
٨٢٥ فرغم أنهم كانوا الأفضل فيما مضى،
فإنهم يرقدون مصابين وجرحى فى السفن،
ويقعون فى أيدي الطرواديين الذين تزداد قوتهم على الدوام.
والآن، ليتك تأخذنى إلى مكان آمن فى السفينة السوداء
لتنزع الرمح من فخذى، وتغسل الدم الأسود
٨٣٠ بالماء الدافئ، وأنتثر عليه بعض الدواء الملائم المسكن للألم
إنهم يقولون، إنك تعلمت ذلك من أخيلبيوس
الذى تعلمه على يد خيرون، أعظم الكنتوروى.
فالطيبان يوداليريوس و ماخاؤون
حسب ما أظن، يرقد أحدهما فى الخيمة جريحا

- ٨٣٥ في أمس الحاجة هو نفسه لرعاية أحد الأطباء، بينما بقي
الأخر في السهل متحملاً هجوم الطرواديين الضارى".
- فأجابه (باتروكلويس) بن مينويتيوس الشجاع بدوره قائلاً:
"ما هذا المأزق؟ وماذا نفع إزاءه أيها البطل يوريبيلوس؟
إتنى ذاهب إلى أخيلئوس الحكيم، لأنقل إليه الحديث
كما أمرنى بذلك نيسطور الجيرينى، حامى الأخيين،
ولكننى لن أتركك وأنت تعاني في وقت الشدة".
- ٨٤٠ هكذا قال، ثم أمسك قائد الشعوب من صدره
وقاده إلى خيمته. وعندما وجد فراشا من جلد الثور
جعله يتمدد فوقه، وأخرج الرمح الحاد المؤلم
من فخذة بسكين، وغسل جرحه من الدم الأسود
٨٤٥ بالماء الدافئ، ونثر فوقه نبات مر الطعم
بعد أن فركه بين يديه، فسكنت
- ٨٤٨ جميع آلامه وجف الجرح، وتوقف تدفق الدم.

الكتاب الثاني عشر



ترجمة منيرة كروان

- هكذا اعتنى (باتروكلوس) ابن مينويتوس القوى الشجاع داخل
 الخيمة ببيرثيوس الجريح، بينما كانت حشود الأرجيين
 والطرواديين تواصل القتال. ولم يكن مقدرًا
 أن يصمد خندق الدانائيين طويلاً ولا الحائط العريض
 الذي بنوه فوقه حتى يحيط بالخندق،
 ٥ ولكي يحمى هذا الحائط سفنهم السريعة
 ويحفظ غنائمهم الكثيرة آمنة. وذلك لأنهم أغفلوا تقديم قرابين ذات
 قيمة للآلهة. لقد بنى هذا الحائط ضد إرادة
 الآلهة الخالدين. لذا لم يكن مقدرًا أن يبقى طويلاً.
 ١٠ وطالما ظل هيكتور على قيد الحياة، وظل أخيليوس غاضبًا
 بقيت مدينة الملك برياموس صامدة،
 وظل حائط الأخيين القوى قائمًا.
 ولكن عندما مات العديد من أفضل قادة الطرواديين،
 وقتل كثير من الأرجيين. بينما بقي البعض الآخر،
 ١٥ وتدمرت مدينة الملك برياموس في العام التاسع.
 عندما أبحر الأرجيون في السفن إلى وطنهم الحبيب.
 عندئذ تحاور بوسيدون وأبوللون
 في أمر تدمير الحائط، واستعانوا بقوة الأنهار.
 تلك الأنهار العديدة التي تتبع من جبال أيدا وتصب في البحر:
 ٢٠ نهر ريسوس وهيبتابوروس وكاريسوس وروديوس
 وجرينيكوس وأيسيوس وسكاماندروس المقدس وسيمونيس.
 حيث يوجد الكثير من الدروع المصنوعة من جلد الثيران والخوذات
 ملقاة في الثرى، وبجوارها جيل من أنصاف الآلهة من البشر.
 لقد جمع أبوللون فويبوس (الوضاء) كل ذلك في مجرى واحد
 ٢٥ وأرسله لمدة تسعة أيام في فيضان تجاه الحائط، كما أرسل

- زيوس مطراً متواصلًا حتى يجعل الماء يغطي الحائط بسرعة أكبر.
 وكان (بوسيدون) يتولى القيادة بنفسه،
 وشوكته الثلاثية في يده. وكان يرسل مع الأمواج جميع الأساسات.
 سواء عوارض السفن أو الأحجار، تلك التي صنعها الأخيون بمشقة،
 فسواها مع سطح مياه الهيليسيونطوس، سريعة الجريان.
 ٣٠ وبعد أن غطت أكوام الرمال الشاطئ القسيح
 وبعد تحطيم الحائط، حول بوسيدون الأنهار لتعود
 إلى مجراها، إلى حيث تصب مياهها لطيفة الانسياب مرة أخرى.
 هكذا كان بوسيدون وأبوللون يخططان للتدمير
 ٣٥ فيما بعد. ولكن الحرب وصخب القتال أشعلا النار
 حول الحائط المتين، وتردد صوت القتال
 بين جنبات الأبراج، وقهر سلطان زيوس الأرجيين،
 فتوقفوا عن القتال وعادوا أدراجهم إلى السفن المجوفة
 خائفين من هيكتور جالب الخوف الشديد.
 ٤٠ فقد كان يحارب، كعهده دائمًا، مثل عاصفة هوجاء، مثل أسد
 أو خنزير برى يقف مدافعًا عن نفسه، وروحه مفعمة بالقوة،
 أمام مجموعة من الرجال والكلاب الذين يحاولون صيده.
 وتكالبوا عليه وهاجموه بثبات كالبرج الحصين
 ووقفوا له بالمرصاد وانطلقت من أيديهم رماح
 ٤٥ وحراب لا حصر لها. ورغم ذلك لم يهتز قلبه الشجاع،
 ولم يشعر بالخوف، فقضت شجاعته عليه.
 هكذا كان هيكتور يمتحن شجاعة الرجال أينما ذهب،
 وحيثما كان يشن هجومه تنسحب حشود الأعداء.
 وطوال القتال كان يجمع الرجال
 ٥٠ ويستحثهم على عبور الخندق. ولكن الخيول
 رغم سرعتها. فعندما كانت تصل إلى حافة الخندق

- كانت تتوقف وتتصل بصوت عال. فقد كان الخندق
العريض يخيفها. ولم يكن من السهل القفز عن قرب،
وكان عبور الخندق عسيرًا. إذ انتشرت التحصينات
العالية على جانبيه وقد ثبت عليها حاجز
من الأعمدة المدببة، أقامه الآخيون
بشكل قوى ومتين، ليحميهم من هجوم الأعداء
وكان من المستحيل أن يعبره حصان بعربة، حتى لو كان سريعًا.
واشتدت رغبة المحاربين لإتمام هذه المهمة.
عندئذ وقف بوليداماس بجانب هيكتور الشجاع وخاطبه قائلاً:
"هيكتور، ويا قومي من الطرواديين ويا قادة الحلفاء،
من الغباء أن نحاول عبور الخندق بخيولنا السريعة
فمحاولة عبوره خطيرة للغاية. وقد ثبتت عليه
أعمدة حادة، وهو قريب من الحائط الذي بناه الآخيون
فكيف يمكن أن ينزل عليه الفرسان أو أن يحاربوا.
فهو ضيق للغاية وأعتقد أننا سوف نعاني هناك.
ولكن إذا دبر زيوس، مرسل الرعد من عل، لتدميرهم
فإن ذلك سوف يكون لصالح الطرواديين.
لكم أتمنى أنا نفسي أن يموت جميع الآخيين في الحال،
هنا بعيداً عن أرجوس، مجهولين بلا تكري.
ولكن إذا هاجمنا الخندق المحفور عندما يرجعون من السفن
بعد أن يستردوا قوتهم ويتجمعوا مرة أخرى،
أعتقد انه لن يذهب رسول للمدينة
ويعود مرة أخرى من عند الآخيين.
والآن أقول لكم لتوافق جميعاً على
أن يبقى الأتباع عند الخندق ومعهم الخيول.
بينما نذهب نحن مترجلين

- مدججين بالسلاح لنتبع هيكتور. فإذا كان
مقدراً للأخيين الهلاك فلن يصمدوا طويلاً.
- ٨٠ هكذا تحدث بوليداماس. وأسعد حديثه هيكتور،
فقفز في الحال من عربته إلى الأرض ومعه سلاحه.
ولم يبق الطرواديون الآخرون في عرباتهم.
ولكنهم قفزوا جميعاً، عندما رأوا هيكتور الإلهي يقفز
وعهد كل منهم بخيوله لسائقه،
- ٨٥ وأمره أن يبقى بجانب الخندق في نظام وترتيب.
وانتشر الطرواديون بعد أن قسموا أنفسهم
إلى خمس مجموعات منظمة، وساروا خلف قادتهم.
وهكذا ذهب أفضل الرجال وأشجعهم
خلف هيكتور وبوليداماس النبيل، وكانوا متحمسين
- ٩٠ لاختراق الحائط، وللسير للقتال عند السفن السريعة.
وكان رفيقهم الثالث هو كيبيرونيس. حيث عهد هيكتور
بخيوله لشخص آخر أقل شجاعة من كيبيرونيس.
- وتولى باريس قيادة القسم الثاني ومعه ألكاثووس وأجينيور
أما هيلينوس وديفوبوس، شبيهه الآلهة، فتوليا قيادة القسم الثالث.
- ٩٥ وهما ولدا الملك برياموس. وكان رفيقهم الثالث
أسيوس بن هيرتاكوس. الذي حملته خيوله الضخمة
النشيطة من أريسبي على ضفاف نهر سيلنتيس.
- وقاد المجموعة الرابعة الشجاع آيتياس
بن أنخيسيس. وكذلك أرخيلوخوس و أكاماس
- ١٠٠ ولدا أنتينور، اللذان كانا يتقنان فنون القتال.
وقاد ساريبيدون الحلقاء الأماجد
واختار معه جلاوكوس وأستيروباوس المحب للقتال.

- فقد كاتا، على ما يبدو، أفضل كثيرًا من الآخرين.
 وكان (ساربيدون) أفضل الجميع. وبعد أن ثبتوا
 ١٠٥ دروعهم المصنوعة بإتقان من جلد الثور ذهبوا فى الحال،
 وكلهم حماس، لملاقة الدانانيين، وهم يعتقدون أنهم لن يصمدوا
 طويلاً، وأنهم سرعان ما سيسقطون وسط سفنهم السوداء.
 وأطاع بقية الطرواديين وحلفائهم الأماجد
 نصيحة بوليديماس النبيل.
- ١١٠ ولكن أسوس بن هيرتاكوس، قائد الرجال، لم يرغب
 فى ترك خيوله وعربته التى يقودها تابعه.
 لذلك أخذها واقترب من السفن السريعة.
 ياله من ساذج !! فلا يمكنه تجنب سوء حظه
 والعودة سالماً مرة أخرى من السفن، ومعه خيوله وعربته،
 ١١٥ إلى مدينة إيون التى تعصف بها الرياح
 فقدره السبى يكمن له^(*) تحت سيف إيدومينيوس بن ديوكاليون النبيل.
 واتجه إلى السفن من جهة اليسار، من حيث اعتاد الآخيون
 الدخول بعد عودتهم من السهل ومعهم خيولهم وعرباتهم.
- ١٢٠ لقد سار بخيوله وعربته، ولكنه لم يجد
 أبواب المدينة مغلقة، ولم يجد الألواح الخشبية الطويلة التى تغلقها.
 وكان الرجال قد فتحوها على مصاريحها انتظاراً لأن
 يفر أحد الرفاق من الحرب ويعود سالماً إلى السفن.
 وعلى الفور قاد خيوله بلا تردد وتبعه رفاقه
 ١٢٥ وهم يصيحون عالياً. لقد ظنوا أن الآخيين
 لن يصمدوا طويلاً وأنهم سرعان ما سيسقطون بجوار سفنهم السوداء.
 يالهم من حمقى ! فقد وجدوا عند البوابة رجلين من أفضل
 الرجال بين اللابثياى الجسورين، وأمهر رماة السهام.

(*) راجع وصف موته فى الكتاب الثالث عشر بيت ٣٨٤ وما يليه. (المحرر)

- الأول هو بوليبيوتيس بن بيريثوؤس القوي،
 ١٣٠ والثاني ليونتيس شبيه أريس قاتل الرجال.
 وجد أسبوس هذين البطلين واقفين أمام البوابات العالية
 مثل شجرتى بلوط فى أعالى الجبال،
 تقفان شامختين بثبات فى مواجهة الرياح والأمطار الغزيرة،
 بينما تتغلغل فى الأرض جذورهما القوية فتزيدهما صلابة وقوة،
 ١٣٥ هكذا وقف الاثنان ولم يخشيا أسبوس العظيم، بل هاجماه
 معتمدين على قوة أيديهما وشجاعتهما.
 وفى الحال، جاء رفاقهم واتجهوا نحو الحائط المتين حاملين دروعهم
 المصنوعة من جلد الثور وهم يصبحون عاليًا.
 والتفوا حول الملك أسبوس وبامينوس و أوريسيس
 ١٤٠ وكذلك حول أداماس بن أسبوس، وحول ثوون وأوينوماؤس.
 وواصل البطلان تشجيع الأخيين لاسى الدروع
 على القتال دفاعا عن سفنهم .
 ولكن عندما لاحظا اندفاع الطروانيين نحو الحائط
 والذعر الذى ساد بين الدانانيين وصراخهم
 ١٤٥ اندفعا من البوابة وانخرطا فى القتال.
 ومثلما تتوقع مجموعة من الخنازير البرية التى تعيش
 فى الجبال وتخشى هجوم حشد من الرجال ومعهم كلابهم لصيدها
 فتسلك طريقا جانبيًا وتدوس على أحرش الغابة المنتشرة حولها
 وتقتلع الأشجار من جذورها ويعلو صوت صرير أسنانها
 ١٥٠ ويتزايد، إلى أن يصوب أحدهم سهامه تجاهها فيسلبها الحياة.
 هكذا كان البرونز اللامع يحدث صريرًا فوق صدور المحاربين
 عندما توجه إليهم الضربات. لقد كانوا يحاربون بشجاعة متناهية
 واتقين من قوتهم وقوة جنودهم،
 الذين كانوا يواصلون قذف الحجارة من الأبراج

- ١٥٥ الحصينة، دفاعًا عن حياتهم وخيامهم
وسفنهم السريعة. وكانت الحجارة تسقط على الأرض مثل نتف
الجليد التي تذف بها الرياح العاصفة، التي ترح السحب الداكنة
فتذف نتف الجليد الكثيفة على الأرض كثيرة العطاء.
هكذا كانت الحجارة تسقط من أيدي الأخيين والطراديين
١٦٠ على حد سواء. وعندما كانت الحجارة تسقط على الخوذات
والدروع ذات الطلى المعدنية كانت تحدث دويًا خشناً
وحادًا مثل جعجة الطواحين. وعندما أصيب أسبوس بن هيرتاكوس
في فخذه صرخ بصوت عال وصاح في غضب قائلاً:
"زيوس، أيها الإله الأب، حتى أنت تلتفق
١٦٥ الأكاذيب الكثيرة!! إننى لم أتصور أن يتمكن أبطال الأخيين
من مقاومة بأسنا والتصدى لأيدينا التي لا تقهر.
لقد صمد هذان البطلان ثابتين ولم يرغبوا
فى التوقف قبل أن يقتلا أو يُقتلا،
مثل مجموعة من النحل أو الزنابير، التي لها لمعة فى منتصفها،
١٧٠ وبنيت لنفسها وكرًا فى طريق وعر
فإنها لا تترك وكرها الذى حفرتة فى الأعماق، ولكنها
تبقى وتقاوم الصيادين لتدافع عن صغارها".
هكذا قال، ولكن حديثه لم يؤثر فى زيوس،
فقد عقد العزم على أن يمنح هيكتور المجد.
١٧٥ كان هناك من يحاربون بجانب البوابة والبعض الآخر يحاربون
على اللبابة الأخرى ولذلك فمن الصعب أن أحكى كل ما حدث،
حتى لو كنت إلهًا. واشتعلت النيران، فى كل الحائط الحجري،
بتحريض من أحد الآلهة. ورغم الحزن الذى أصاب الأرجيين، فقد
دافعوا عن السفن ببسالة. وأصاب الحزن كل الآلهة،

- ١٨٠ التي كانت تقف بجانب الدانيين في المعركة.
وهكذا استيك اللابثاي في الحرب، وشاركوا في المعركة،
وعندئذ قذف بوليبيوتيس القوي، بن بيريثووس،
داماسوس برمح نفذ من خلال خوذته البرونزية.
ولم تغلح الخوذة، رغم أنها مصنوعة من البرونز، في حمايته،
- ١٨٥ فنفذ السهم الحديدي إلى عظامه، وقتت مخه
تماماً، فأرداه قتيلاً، رغم حماسه الشديد.
ثم قتل بيلون بعد ذلك، ثم أورمينوس، واستولى على أسلحتهم.
وصوب ليونتيوس بن آريس رمحه
تجاه هيبوماخوس بن أنتيماخوس فأصابه في بطنه.
وفجأة سحب سيفه البتار من غمده
- ١٩٠ واندفع وسط المقاتلين، وفي البداية قتل أنتيفاتيس
بعد أن التحم في قتال لصيق، فطرحه أرضاً.
وبعد ذلك قتل مينون ويامينوس و أوريستيس،
فجعلهم جميعاً يتمددون على الأرض، وفيرة الخيرات،
- ١٩٥ الواحد تلو الآخر. وقام بعض المحاربين بالاستيلاء على أسلحة القتلى
البراقة، بينما هب كثير من الشباب الذين تشتعل نفوسهم بالحماس
والرغبة في تحطيم الحائط وإشعال النيران في السفن،
للسير وراء بوليداماس وهيكتور.
وأثناء وقوفهم القلق بجوار الخندق، يفكرون
في كيفية عبوره، اقترب منهم طائر،
- ٢٠٠ نسر يخلق عاليًا، ومر على يسار المحاربين
حاملاً بين مخالبه ثعباناً ضخماً أحمر قاني.
وكان الثعبان حياً رغم ضعفه ، ولأنه لم ينس لذة القتال
انحنى للخلف وهاجم أسره فجرحه في صدره
- ٢٠٥ بالقرب من رقبته. وعندما شعر النسر بالألم

- أسرع بالهبوط به إلى الأرض، وألقاه وسط حشود المحاربين
ثم عاد يطير عاليًا وهو يصرخ وسط الرياح العاصفة (*).
وشعر الطرواديون بالرعب عندما رأوا الشعبان البراق
يرقد وسطهم، نذير شؤم (**). من زيوس حامل الدرع أيجيس.
عندئذ ذهب بوليداماس إلى هيكتور الشجاع وخاطبه قائلاً:
٢١٠ "هيكتور، إنك تنتصر على دائمًا في مناقشات المجلس
رغم أنني أجيد الحديث، ولم يحدث مطلقاً
أن عارضك الشعب، سواء في مناقشات المجلس
أو في أمور الحرب. إذ تزداد قوتك على الدوام،
ولكنني سأعلن ما أحسب أنه الأفضل:
٢١٥ يجب علينا ألا ندخل في حرب الآن مع الدانانيين
بالقرب من سفنهم، لأنني أعتقد أنه إذا كان صحيحاً
أن طائرا جاء للطرواديين وهم يخططون لعبور الخندق،
ذلك النسر الذي يحلق عاليًا، و مر بهم من جهة اليسار
حاملًا بين مخالبه شعبانًا ضخماً أحمر اللون
٢٢٠ وهو مازال حيًا، ولكنه ألقاه فجأة قبل أن يصل لعشه
وفشل في مواصلة حمله ليعطيه لصغاره.
هكذا سيكون حالنا. فإذا ما حطمتنا بوابات الأخيين وسفنهم

(*) ناقش أوريغين Origen. هذه الفقرة (في "دفاع ضد كلسوس ٩١ و IV) وصور هذا المشهد على عملة عثر عليها في إبليس وتعود للقرن الرابع الميلادي.

British Museum. Coins of Peloponnesos, p. 62: 34.

وفي الكتاب الحادي عشر من "الإلياذة" (آيات ٧٥١ ومايلها) يقلد فرجيليوس هذه الفقرة. حيث يقول: "مثل نسر أغفر عندما يحمل حية، خطفها وطار بها عاليًا وقد شبك قدميه، وقبض عليها بمخالبه، بينما نشق الحية الجريحة طياتها المتوية وتتصلب مخارشفها المنفخحة بفمها، وهي تنهض منتصبة. وليس النسر بأقل منها، فهو يصرعها بمنقار العقوف، وهي تقاومه، بينما يرفرف النسر بأجنحته في الهواء". كما أشار شيللي إلى المعركة بين النسر والنعمان في أغنية "لاورن وكيتنا Laon and Cythna". (الخرر)

(**) سادت في العالم القديم كله تقريبًا ظاهرة التشاؤم والتفاؤل واستطلاع الغيب لمعرفة المستقبل. وكان القدماء، وخاصة الإغريق، يعتمدون في تشاؤمهم وتفاؤلهم على نوعين من الظواهر: الأول: الظواهر الطبيعية مثل تعيق الغريبان واليوم ونباح الكلاب... إلخ، وكانت تفسر في بعض الأحيان على أنها نذير خير وفي أحيان أخرى على أنها نذير. أما النوع الثاني فهي الظواهر غير الطبيعية مثل اتجاه الطيور المقدسة في طيرانها جهة اليمين أو اليسار وكسوف الشمس وسقوط المذنبات وما إلى ذلك. وكانوا يعتقدون أن هذه الظواهر تدل على ظهور الآلهة بشكل غير مباشر للإنسان لتحذره من فعل شيء أو لتشجعه عليه.

- وأخضعنا الآخرين بالقوة الغاشمة.
فسوف نعود من السفن فى فوضى من نفس الطرق
٢٢٥ تاركين وراءنا الكثير من الطرواديين، وسوف يقتلهم
الآخيون بأسلحتهم البرونزية دفاعا عن سفنهم.
ويستطيع أى عراف يفهم جيدا مغزى الإشارات
ويثق فيه الشعب أن يفسر ذلك".
- ٢٣٠ فنظر إليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، متجهما وخاطبه قائلاً:
"إن ما تقوله يا بوليداماس لا يصادف هوى فى نفسى،
فأنت بالتأكيد تعرف كيف تفكر بشكل أفضل من هذا.
ولكن يبدو أنك تقول هذا بسبب تهورك،
وإلا فمن المؤكد أن الآلهة قد سلبت عقلك
٢٣٥ فأنت تطلب منا أن ننسى زيوس، مرسل الرعد،
وننسى كل ما وعدنا به، عندما أوما برأسه موافقاً.
وتأمرنا أن نطيع الطيور، ذات الأجنحة الطويلة.
فلن أنظر إليها ولن أهتم بها، سواء اتجهت ناحية اليمين،
٢٤٠ إلى الفجر والشمس أو إلى اليسار، إلى عتمة الليل والظلام.
فلنتق فى نصيحة زيوس القوى فهو سيد الجميع، بشراً وآلهة.
ثم إن ظهور طائر واحد فال ممتاز لكى ندافع عن وطننا،
ولكن قل لى لماذا تخشى الحرب والموت؟
٢٤٥ فحتى لو قُتلنا جميعاً عند سفن
الأرجيين، فلا خوف عليك من الموت.
فلا أنت شجاع القلب، ولا أنت محب للقتال.
ولكن إذا امتنعت عن القتال، أو حرصت أحداً
آخر على الانسحاب من الحرب بكلماتك
٢٥٠ فسوف أضربك برمحي وأقتلك فى الحال".

- هكذا قال، ثم شق طريقه وتبعه الآخرون
وهم يصبحون صيحة مدوية. ولكن زيوس، صاحب الصاعقة
أثار من جبال إيدا رياحا عاصفة
أهالت الغبار على السفن مباشرة. فمشوش
٢٥٥ عقل الآخيين ومنح المجد لهيكتور و للطرزوانيين.
فقد اعتمدوا على قوتهم وعلى علامات الفأل
فى محاولتهم تحطيم حائط الآخيين الكبير.
فهدموا أسوار البرج وأسقطوا التحصينات
وحاولوا رفع الدعامات والأساسات التى وضعها الآخيون
٢٦٠ فى الأرض فى البداية لتكون أساسا للبرج.
لقد سحبوا بعيدا على أمل أن يحطموا
حائط الآخيين. ولم ينسحب الدانائيون من الممر،
ولكنهم تحصنوا بالدروع المصنوعة من جلد الثور،
واستمروا يقذفون أعداءهم من الأبراج إذا ما اقتربوا من الحائط.
٢٦٥ وكان الثنائى أياس يصدران الأوامر من البرج
ويتجولان هنا وهناك. ويثيران حماس الآخيين،
فتارة يحثان أحدهم بكلماتهما الرقيقة، وعندما
يجدون أحدهم ينسحب من المعركة يعنفانه بكلمات خشنه قائلين:
"أيها الأصدقاء إن الرجال جميعا لا يتساوون
٢٧٠ فى الحرب. وبين الأرجيين يوجد المحارب الغز والمتموسط القدرة
والمسيئ، وقد جاء الآن دور الجميع كى يبذلوا الجهد.
وأنتم تعرفون ذلك. فلا تسمحوا لأحد
أن ينسحب الآن إلى السفن، لمجرد أنه سمع من يدعو للانسحاب.
ولكن لتتقدموا للأمام ولتحتوا بعضكم البعض على التقدم .
٢٧٥ فقد يمكننا زيوس الأولمبى، سيد البرق،

- أن تصد الأعداء وتطردهم بعيدا عن المدينة".
هكذا كانا يصيحان عاليًا ويشجعان الآخيين،
ومتلما تسقط نتف الثلج بكثافة
في أيام الشتاء، هكذا أسقط زيوس،
صاحب التدبير، الثلج بغزارة، معلنًا معجزاته للبشر.
٢٨٠ ولقد استمر سقوط الثلج حتى بعد أن هدأت الرياح، حتى غطى
أعلى الجبال وقممها، واللسان الممتد في البحر والسهول المليئة
بنبات اللوتس^(*)، والأراضي الخصبة التي حرثها الرجال.
كما غطى الموانئ، والشواطئ على طول البحر الرمادي
وكان الموج يزيله عندما يقترب من الشاطئ. ولكنه كان
٢٨٥ يغطي كل شيء. ومثل المطر الغزير الذي تسقطه عاصفة زيوس
تساقطت الحجارة الكثيفة على الجانبين.
سقط بعضها على الطرواديين وسقط بعضها الآخر على الآخيين
من أيدي الطرواديين. وارتفعت الجلبة على طول الحائط.
وحتى ذلك الحين ما كان للطرواديين ولا لهيكتور العظيم
٢٩٠ أن يحطموا بوابات الحائط ولا العارضة الطويلة
إذا لم يستحث زيوس ذو التدبير ابنه ساربيدون
ويثيره ضد الأرجيين. ومثل أسد يهاجم مجموعة من الثيران القوية
اندفع في الحال، وأمامه درعه المستدير
٢٩٥ المصنوع من الحديد المطروق بمهارة وفن، لقد صنعه حداد
ماهر ووضع داخله المزيد من جلد الثور،
وخاطه بخيوط ذهبية حول الحلقة التي تحيط به.

(*) هناك عدة أنواع من اللوتس، اللوتس الإغريقي: عبارة عن نبات يشبه البرسيم تغذى عليه الحيوانات . اللوتس القوريني: عبارة عن شجرة إفريقية ذات سيقان متعددة، كانت بعض القبائل الإفريقية السق تقطن الساحل تغذى على ثمارها، ولذلك سموا " آكلي اللوتس Lotophagi وقد جاء ذكرهم في "الأوديسية" لأن أتباع أوديسيوس عندما أكلوا من اللوتس نسوا الوطن كما أشار إليهم هيرودوتوس. وهناك اللوتس المصري أو زهر النيل وهناك أيضًا لوتس شمال إفريقيا وكانت سيقانه السوداء القوية تستخدم لصنع آلة الفلوت ، ومن ثم استخدم الشعراء تعبير "اللوتس الليبي" للدلالة على هذه الآلة.

- حمل ساربيدون درعه أمامه، وهو يلوح باثنين من الرماح.
 وأسرع في طريقه كأسد تربي في الجبال
 ٣١٠ وطال شوقه لأكل اللحم. فأغراه قلبه الشجاع
 أن يدخل بيتاً حصيناً ويحاول أن يهاجم الأغنام.
 فلما وجد هناك رعاة شجعاناً
 معهم كلابهم ورماحهم يحرسون الأغنام
 لم يفكر في الهرب قبل أن يفوز بصيده،
 ٣١٥ فإما أن يقفز مختطفاً فريسته من الأغنام، وإما أن يصاب
 عندما تقذف يد سريعة سهماً من الصفوف الأولى.
 هكذا كان قلب ساربيدون شبيه الآلهة في
 شوقه للاندفاع نحو الحائط وتحطيم التحصينات.
 وفي الحال خاطب جلاوكوس بن هيبولوخوس قائلاً:
 ٣٢٠ "جلاوكوس، لماذا نزال نحن الاثنين التكريم في
 ليكيا، ونمنح مقاعد الشرف وتقدم لنا اللحوم والكنوس
 المترعة؟ إن الجميع ينظرون إلينا باحترام كما لو كنا آلهة،
 وقد خصصت لنا قطعة أرض كبيرة على ضفاف نهر كسانثوس
 بها مزارع كروم جيدة وحقول مزروعة بالقمح.
 ٣٢٥ لذا يجب علينا الآن أن نقف في طليعة المقاتلين
 الليكيين، وأن نواجه القتال الضاري
 حتى يقول عنا دائماً الليكيون حاملو الدروع:
 إن ملوكنا الذين يحكمون في ليكيا
 ليسوا وضيعين، إنهم يلتهمون الأغنام السمينة
 ٣٢٠ ويشربون خمراً قوية في حلاوة العسل،
 لأنهم يحاربون دائماً في مقدمة الليكيين.
 يا صديقي العزيز، لو كان الهروب من هذه
 الحرب يجعلنا نعيش للأبد ونصبح خالدين،

- ما كنت لأحارب في طليعة الصفوف،
 ٣٢٥ وما كنت لأبعث بك إلى الحرب التي تجلب المجد للأبطال
 أما الآن، فأبني أرى ما لا حصر له من حالات الموت
 تحيط بنا، بحيث لا يمكن لبشر أن يهرب منه أو يتجنبه.
 لذلك فلنذهب للحرب ولنبتهل للآلهة أن تمنحنا المجد".
 هكذا قال، وأصاخ جلاوكوس السمع ولم يقاطعه.
 ٣٣٠ وذهبا مباشرة ليقودا شعب الليكيين العظيم.
 وارتجف مينيسثيوس بن بيتيوس عندما وقع بصره عليهما
 فقد جاء إلى البرج حاملين الدمار.
 وحدق طويلاً في برج الأخيين، فقد يرى واحداً
 من القادة يستطيع أن يمنع الكارثة ويدافع عن رفاقه.
 ٣٣٥ ووقع بصره على الثنائي أياس، اللذان لا يشبعان من القتال،
 واقفين على مقربة من تيوكروس الذي كان قد وصل
 لتوه من خيمته، وماكان الصباح ليصل إليهما
 فقد كان الصخب شديداً، وكان الصراخ يصل إلى عنان السماء،
 صخب ارتطام الدروع والخوذات المزينة بشعر الخيل،
 ٣٤٠ وصخب الاصطدام بالبوابات، لقد كانت كلها مغلقة ولكن
 الطرواديين كانوا يحاولون فتحها والدخول عنوة.
 وفي الحال، أرسل مينيسثيوس الرسول ثووتيس إلى أياس قائلاً:
 "ثووتيس يا شبيه الآلهة، لتذهب ولتستدع واحداً من الثنائي أياس
 أو لتستدعهما هما الاثنيين معا، فذلك أفضل،
 ٣٤٥ فسرعان ما سيحل علينا دمار كبير،
 لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتبهروا
 منذ القدم بعنف هجومهم وضرأوته.
 ولكن إذا كان الوضع قد تأزم هناك بسبب القتال

- فليأت فقط أياس التيلاموني القوي
 ٣٥٠. ويحضر معه تيوكروس. الخبير بالسهام".
 هكذا قال واستمع إليه الرسول وأطاع أوامره،
 فجرى بسرعة حتى وصل إلى حائط الأخيين لابسي البرونز
 ووقف بالقرب من الثنائي أياس وخاطبهما قائلاً:
 "أيها الثنائي أياس، يا قائد الأرجيين لابسي البرونز
 ٣٥٥. لقد أمرني ابن بيتيوس الحبيب، الذي رباه زيوس
 أن أحضر لأستدعكما لتشاركما في القتال في الحال.
 ومن الأفضل أن تحضرا معا فهذا أفضل
 لأن الدمار الكبير سرعان ما سيحل علينا،
 لأن قادة الليكيين يضغطون علينا وقد اشتهروا
 ٣٦٠. منذ القم بعنف هجومهم وضراروته.
 ولكن إذا كان الوضع هنا قد تازم بسبب القتال،
 فليأت أياس التيلاموني القوي
 ويحضر معه تيوكروس، الخبير بالسهام".
 هكذا قال. وأطاعه أياس التيلاموني العظيم.
 ٣٦٥. وفي الحال خاطب ابن أويليوس بكلمات مجتحة:
 "لتمكث هنا يا أياس ومعك ليكوميديس (= ديوميديس) القوي
 لتشجعا الدانائيين على أن يحاربوا ببسالة .
 أما أنا فسأسرع بالذهاب لأشارك في القتال
 وسوف أعود بسرعة مرة أخرى بعد أن أقدم لهم المساعدة".
 ٣٧٠. هكذا قال أياس التيلاموني ومضى في طريقه
 ومعه شقيقه من نفس الأب. كما سار معهما باتديون حاملاً سهام
 تيوكروس المقوسة. وعندما وصلوا إلى البرج حيث يوجد مينيسثيوس،
 سامى الروح، عبروا الحائط. ووجدوا محاربيهم في مأزق

- ٣٧٥ فقد كان الأعداء يتسلقون التحصينات مثل عاصفة سوداء.
وانخرط قادة الليكيين وحكامهم البواسل
والأشداء في القتال. وارتفعت صيحة الحرب عاليًا.
وكان أياس التيلاموني أول من قتل واحدًا من الأعداء
فقد قتل إبيكليس، سامى الروح، رفيق ساربيدون،
وذلك عندما قذفه بحجر مدبب ضخّم
كان فى داخل الحائط أعلى الحاجز. حجر لا يستطيع
رجل من رجال الجيل الراهن (*) أن يرفعه بسهولة بكلتا يديه
وإن كان فى شرح الشباب. ولكن أياس رفعه عاليًا وقذفه به
فحطم الخوذة ذات الحلقات الأربع، وتحطمت فى الوقت نفسه
جميع عظام رأسه. لقد سقط الحجر مثل غواص
يسقط من قمة للبرج، ففارت الحياة جسده.
عندئذ قذف تيوكروس جلاوكوس بن هيبولوخوس القوى
بسهم، بينما كان يواصل تقدمه نحو الحائط المرتفع
وذلك عندما رأى ذراعه مكشوفة، فتوقف عن القتال
فى الحال، وقفز فى الخفاء من فوق الحائط حتى
لا يلحظ أحد الأخيين أنه جريح ويتباهى بذلك.
وعندما شعر ساربيدون برحيل جلاوكوس
شعر بالألم، ولكنه لم يترك القتال. فقد صوب رمحه تجاه
الكماؤن بن ثيستور فأصابه وسقط على مقربة منه. سقط الكماؤن،
متنبهًا اندفاع السهم، على وجهه وأسلحته البرونزية المزخرفة
تجلجل حوله. وأمسك ساربيدون الحائط بيديه القويتين
وجذبه بقوة. فسقط كله تباعًا. وهكذا صار الحائط
بلا دفاع. وأصبح الطريق مفتوحًا أمام الجميع.

(*) هنا يشير هومروس إلى فكرة تدهور الأجيال وهى الفكرة التى تصح محورية فى أشعار هيسودوس الذى ربط العصور والأجيال بالمعادن. (المحرر)

- ٤٠٠ وهاجم أياص وتيوكروس ساربيدون. فصوب أحدهما
رمحه إلى الرباط اللامع المنتف حول صدره
والذى يحمل الدرع الذى يغطى جسده كله. ولكن زيوس أبعد
الموت عن ولده حتى لا يُقتل فى مؤخرة السفن.
ثم وثب أياص وصوب سهماً إلى درع ساربيدون، ولكن السهم
٤٠٥ لم ينفذ من خلاله، وإن جعل ساربيدون يترنح أثناء الهجوم عليه.
فترجع قليلاً عن الحاجز ولكنه لم ينسحب
تماماً، فقد كان عقله ما يزال يطمع فى أن ينال المجد.
واستدار ساربيدون تجاه الليكيين أشباه الآلهة وهو يصيح قائلاً:
"أيها الليكيون، لماذا تتخلون عن شجاعتكم وإقدامكم؟
٤١٠ فمن العسير علىّ، رغم قوتى أن أذهب
وحدى وأحطم الحائط لأشق طريقاً للسفن
فلتتبعوني، فكلما كثر العدد كان ذلك أفضل".
هكذا قال. والتف الليكيون حول ملكهم
أكثر من ذى قبل بسبب تأنيبه لهم، والتزموا بنصيحته.
٤١٥ وكان الأرجيون على الجانب الآخر يدعمون صفوفهم
داخل الحائط، وياله من عمل ضخم
ولم يستطع الليكيون رغم قوتهم أن يحطموا
حائط الدانائيين وأن يشقوا طريقاً إلى السفن.
كما لم يستطع رماة الرماح الدانائيون أن يبعثوا
٤٢٠ الليكيين عن الحائط عندما اقتربت منه طلائع قواتهم.
وكما يتنافس رجلان على الحدود
فى حقل على المشاع، وهما يحملان فى أيديهما عصى القياس،
ويتعاركان فى مساحة ضئيلة من أجل الحصول على نصيب متساوٍ.
هكذا كانوا يتنافسون على تقسيم الحائط، بينما كان الأعداء

- ٤٢٥ فوقه يتعاركون ويمزق كل منهم دروع الآخر المستديرة المصنوعة
من جلد الثور، والتي كانوا يضعونها حول صدورهم وكذلك الصدريات
الخفيفة. وجرحت الأسلحة الحديدية التي لا ترحم أجساد كثيرين.
وأثناء المعركة، عندما كان يصبح ظهر
أحدهم مكشوفاً، كان يتلقى العديد من الجروح من خلال درعه.
- ٤٣٠ وفي كل مكان لطخت دماء الرجال الأبراج
والأسوار. دماء الطرواديين والآخيين على السواء..
ولكن الآخيين لم يخافوا ولم يتشتتوا.
ومثلما تمسك امرأة أمينة كفتى الميزان وهي تقوم بالغزل
وتضع الصوف في كفة والمكايل في الكفة الأخرى
حتى تتعادل الكفتان، وذلك حتى تكسب قوت أولادها.
- ٤٣٥ هكذا كانت المعركة تسير بالتساوي بين الطرفين
إلى أن منح زيوس مجداً عظيماً لهيكتور،
بن برياموس، الذي اندفع أولاً تجاه حائط الآخيين
وصاح في الطرواديين بصوت مدوّ قائلاً:
- ٤٤٠ "أيها الطرواديين، يا مروضى الخيول، انهضوا
وحطموا حائط الأرجيين أشعلوا النيران المستعرة في سفنهم".
هكذا قال ليحرضهم. وبعد أن استمعوا له جميعاً
اندفعوا تجاه الحائط. ثم أمسكوا رماحهم الحادة وهاجموا،
وأمسك هيكتور بحجر كان يوجد
- ٤٤٥ أمام البوابة ورفعته. حجر ضخّم عند قاعدته ومدبب
وحاد عند قمته، حجر لا يستطيع اثنان من أفضل رجال
العصر الحالي أن يرفعاه بسهولة من الأرض كي يضعاه
في العربة. ولكن هيكتور رفعه وحده بسهولة
- ٤٥٠ فقد جعله زيوس بن كرونوس، ملتوى النصيحة، خفيفاً بالنسبة له.

- ومثلما يرفع الراعى فروة كبش بسهولة
ويمسك بها فى يد واحدة، ويكون الحمل خفيفاً عليه،
هكذا رفع هيكتور الحجر ووضع فوق الألواح الخشبية
التي كانت تحمى البوابة كلها والتي تربطها بقوة
٤٥٥ بطبقتين من الألواح الخشبية الطويلة وبعارضتين كانتا
تحيطان بالبوابة من الداخل وتمسكاتها. وكان يضمهما معاً مزلاج واحد.
ووقف هيكتور على مقربة، ثم اندفع إلى المنتصف
بعد أن أعد نفسه جيداً للهجوم حتى يكتسب قوة أكبر
ثم دفع ضفتى البوابة فحطمهما. وبسبب ثقل الحجر
٤٦٠ سقط إلى أسفل. وتأوهت البوابة على كلا الجانبين. ولم تصمد
العوارض الخشبية أكثر من ذلك، فتحطمت وتناثرت أجزاؤها
من ثقل الحجر. وقف هيكتور الشجاع
ووجهه يشبه الليل المفاجئ وسلاحه الرهيب
الذى ارتداه حول جسده يتلألأ. وأمسك فى يديه
٤٦٥ اثنتان من الحراب. وما كان فى استطاعة أحد،
سوى إله من الآلهة، أن يوقفه إذا ما قابله. فقد اندفع نحو البوابة
وعيناه تشعان ناراً، واستدار وصاح فى الطرواديين
يحثهم لعبور الحائط، فاستجابوا لندائه.
وعبر بعضهم الحائط على الفور، بينما اندفع
٤٧٠ البعض الآخر عبر البوابة. وأصاب دعر شديد الدائيتين
٤٧١ فهربوا إلى سفنهم السريعة، وعمت الفوضى العارمة.

الكتاب الثالث عشر



ترجمة أحمد عثمان

- وبعد أن سمح زيوس لهيكتور والطرواديين بالوصول إلى السفن،
ترك المتحاربين هناك يكابدون اللويل بلا نهاية، أما هو فأدار عينيه
البراقنتين، ونظر إلى الآفاق البعيدة،
إلى أرض الفرسان الطراقيين والميسيين، الذين
يشتبكون في التحام مباشر. وأرض الهيبيمولجيين السادة
الذين يشربون من لبن الفرسات، وأرض الأبيين أكثر الناس عدلاً.
ولم يعد يولى عينيه البراقنتين شطر طروادة على نحو أو آخر،
لأنه لم يكن يعتقد في قلبه أن أيا من الخالدين سيتوجه إلى
هناك، ليمد يد العون إلى الطرواديين أو الدانائيين.
- أما للسيد، مزلزل الأرض، فلم يغفل عن المراقبة الدقيقة،
لقد جلس يشاهد الحرب والمعارك على قمة جبل ساموطراقيا
الشاهقة، وكثيفة الغابات، فمن هناك كان من السهل عليه أن يرى
أرجاء إيذا. وظهرت أمامه مدينة برياموس جليلة المعالم، وسفن الآخيين.
- قفز من لجة البحر ليجلس هناك مشفقاً على الآخيين المدحورين
أمام الطرواديين، واستشاط غضباً من زيوس. بعدئذ هبط من
قمة الجبل الوعر بخطى واسعة رشيقة، ارتعدت الجبال
والغابات تحت قدمي بوسيدون الإلهيتين، حيث خطا خطوات
ثلاث، وفي الخطوة الرابعة بلغ غايته أيجاي^(٩) حيث أقام
قصره المعروف في أعماق اليم، وهو قصر ذهبي يتألق ولا يبدي
أبد الدهر. وبعد أن وصل بوسيدون إلى هناك أعد عربته وشد إليها
جواده الرشيقيين ذوى الحافر البرونزي والعرف الذهبي، وتزيا
بالذهب وتزود بالسوط الذهبي، وامتطى عربته وطار بها
فوق لجة البحر. ومن تحته كانت وحوش البحر تثب على الجانبين

(٩) كانت أيجاي Aigai في جزيرة بوبويا ترتبط بعلاقة خاصة مع أسطورة بوسيدون وعبادته. قارن Anth. Pal

- منطلقة من الأعماق، وقد عرفت سيدها. وانشق البحر عن
طيب خاطر أمامه، فاندفع الموكب في سرعة هائلة.
٣٠ ولم يبتل محور العربة تحت قدميه، وحمل الجوادان
الرشيقان سيدهما إلى سفن الأخيين.
هناك كهف سحيق في أعماق البحر العميق،
في منتصف المسافة بين تينيدوس وإمبروس الوعرة،
وفي هذا المكان توقف بوسيدون مزلز الأرض،
٣٥ فحل الخيول من العربة، ووضع أمامها
شيئاً من طعام الخلود (الأمبروسيا) لتتغذى عليه، وحول
أرجلها وضع أصفاداً ذهبية
لا تكسر ولا يمكن فكها، فلا مفر من البقاء حيث تركها
وحتى يعود سيدها. ثم ذهب هو نفسه إلى جيش الأخيين.
٤٠ وكان الطرواديين جميعاً يسرون وراء هيكتور بن برياموس
متوهجين كاللهب المتأجج، ويطلقون صيحات مدوية.
كانوا يشعرون أنهم على وشك الاستيلاء على سفن الأخيين،
والفتك بأبسل المحاربين جميعاً. إلا أن بوسيدون، طاوى الأرض
ومزلزلها، شرع يحث الأخيين بعد أن خرج من أعماق البحر
٤٥ في هيئة كالخاس وبصوته الذي لا يكل.
وبدا بمخاطبة الثنائي أياس فقد كانا يتأججان حماساً:
"أيها الثنائي أياس، أنتما اللذان ستتقدان جيش الأخيين، إذا
وتقتما في قوتكما، ولم تفكرا في الفرار المخزى.
٥٠ أنا لا أخشى الطرواديين وأيديهم التي لا تقهر،
فهم بحشدهم الغفير قد تسلقوا الحائط العظيم، فالأخيون
لابسو الدروع المتينة سيصدونهم جميعاً، بل أخشى ما أخشاه
هنا أن يصيبنا الشر، لأن هيكتور ذا الغضب الجنوني ينطلع
٥٥ كأنه لهب النار مزهواً بأنه ابن زيوس الجبار. وأتمنى أن يبث

- إله ما فى قلبيكما الثبات فتحرضان الآخرين على الصمود،
وقد تصدانه عن السفن السريعة مهما كان اندفاعه،
حتى وإن كان (زيوس) الأوليمبى نفسه هو الذى يحفزّه".
- ٦٠ تم لمس طاوى الأرض ومزلزلها البطلين بعصاه،
فنفخ كامل القوة، وعتفوان النشاط فيهما، فى أوصالهما
وأيديهما وأقدامهما. وطار هو نفسه كالصقر حين يحلق
فى أجواز الفضاء فوق ربوة عالية مطارداً صيده، طائراً
٦٥ آخر، هكذا طار بوميدون مزلزل الأرض بعيداً عنهما.
وكان أياس بن أويليوس أول من أدرك أنه الإله،
فصاح مخاطباً أياس بن تيلامون:
- "أياس ! إنه إله من آلهة الأوليمبوس جاء يستحثنا
٧٠ على القتال دفاعاً عن السفن - إنه ليس كالخاس
العراف المفسر، فبسهولة تعرفت على علامات قدميه ورجليه
حين انطلق بعيداً عنا، والآلهة يعرفون بسهولة - وإن قلبى
داخل صدرى يكاد يقفز لهفة على القتال، وتشتعل جذوة النشاط
٧٥ فى قدمى من تحتى، وفى يدي من فوقى".
- فرد عليه أياس التيلامونى:
- "أنا أيضاً تدب شعلة النشاط فى يدي اللتان لانهزمان، لكى
أشهر رمحى، واستنفرت كل قوتى، وقدمائى تتحركان
من تحتى برشاقة. إذ أتلهف على مواجهة هيكتور بن برياموس
٨٠ - الذى لا تتوقف سورة غضبه - فى معركة فردية"
- هكذا تحدث كل منهما إلى الآخر
فرحين بما بث الإله فى قلوبهما من جنون الحرب.
وفى الوقت نفسه استنفر طاوى الأرض بقية الأخيين، الذين
٨٥ كانوا بجوار السفن السريعة. لكى يهبوا للقتال .

- كانت أوصالهم قد تسيبت وأنهكت بفعل الإرهاق والأسى ،
الذى حط على قلوبهم، وهم يرون حشود الطرواديين يتسلقون
الحائط العظيم. كانوا يشاهدون ذلك بعيون غارقة في الدموع
حتى الحواجب. إذ كانوا يظنون ألا أمل في الخلاص
من الهلاك. ولكن عندما مر مزلزل الأرض، تسلل بينهم،
٩٠ وأخذ يشعل جذوة الحماس في فرقهم القوية.
- في البداية اقترب من تيوكروس وليئيوس ليصدر لهما الأوامر،
ثم أقبل على المحارب بينيلوس وثواس ودأبيروس وميريونيس
وأنتيلوخوس، سادة صيحات الحرب، مستغزاً همتهم بكلمات مجنحة:
- ٩٥ "عار عليكم أيها الأرجيون، يا لكم من صبية صغار !
كنت أتق في قدرتكم على القتال لإنقاذ سفننا. أما إذا
كنتم ستقاعسون عن الحرب المؤلمة، فهذا معناه أنه جاء اليوم
الذى يقيناً سنندحر فيه أمام الطرواديين. يا لهول ما آراه بعينى!
١٠٠ شئ فظيع! لم أظن قط أنه يمكن أن يقع: الطرواديون يبلغون سفننا!
كانوا من قبل كالأيلة المذعورة التى وقعت فريسة للشعالب
والنمور والذئاب فى وسط الغابة، بينما كانت تهيم على وجهها
بلا هدف وفى جبن، دون أن يكون لديها أية فكرة عن الحرب.
١٠٥ لم يكن الطرواديون من قبل يجروون على مواجهة قوة الأخيين
وأيديهم، ولو للحظة واحدة.
- أما الآن فهم بعيدون عن مدينتهم، بل بجوار سفننا المجوفة يحاربوننا
بسبب غلطة قائدنا وتقاعس حشودنا، التى بسبب الغضب
١١٠ لا تملك الدفاع عن سفننا السريعة، بل سيصل الأمر
إلى حد أن ينجحوا فيها. وإذا كان المحارب بحق أجاممنون
بن أتريوس واسع الملك هو السبب فى كل هذا، بما جلبه
من شعور بالخزي والعار فى قلب ابن بيلوس سريع القدمين،
١١٥ يجب ألا نتقاعس عن القتال. ولنكفر عن الخطأ بسرعة،

- فقلوب الأخيار تقبل الاعتذار. لا يليق أن تتخلفوا في البسالة،
فأنتم خيرة الرجال في الجيش. أنا لا أتنازع مع من يتقاعسون
عن القتال منكم، فهم ليسوا سوى جبناء. ولكن جام غضبي
١٢٠ ينصب عليكم. أنتم مستكبتون، وسرعان ما ستجلبون شروراً أكبر
بتقاعسكم هذا. فليضع كل منكم العار والخزي أمام ناظره؛
انظروا فوهج المعركة يندلع من جديد. وهيكتور البارح في
صيحة القتال يقائل فوق السفن شامخاً في قوته،
وقد حطم الأبواب والحائط الطويل".
- ١٢٥ وهكذا أفلح طاوى الأرض في استنارة همة الأخيين بكلماته،
وانخذت الفرق مواقعها حول الثنائي أياس. كانوا من القوة بحيث
لا يستطيع حتى آريس نفسه أن يخترق صفوفهم ويضعفهم،
ولا أتينة محرضة الرجال على القتال تستطيع ذلك.
فقد كانوا خيرة الأبطال الذين صمدوا أمام هجمة الطرواديين،
١٣٠ وهيكتور الإلهي. كان المتحاربون يتبارزون الرمح بالرمح
والدرع المتين بالدرع، والترس بالترس، والخوذة بالخوذة
والرجل بالرجل. وكل خصلة من شعر الخيل تلامس نظيراتها فوق
الخوذات اللامعة، كلما هز الرجال رؤوسهم. وكانوا يحاربون في
صفوف متراسة، كل محارب كان لصيقاً بالآخر، شاهرين جميعاً
١٣٥ الرماح المتلامسة، ملوحين مهددين بعضهم بعضاً.
ولم تكن أذهانهم شاردة ولا قلوبهم شتى،
بل كانوا جميعاً يتلهفون على النزال. ثم تقدم الطرواديون
في التحام مباشر بقيادة هيكتور، الذي كان يتقدم مهاجماً مثل
١٤٠ جلود صخر يتدحرج من فوق ريوه شاهقة، حطه من على
نهر فاضت به أمطار الشتاء. فيقفز عالياً ويتطاير وتهتز الغابات
من تحته، وتزداد سرعة تدحرجه، ولا يتوقف إلا حين

- يبلغ أرض السهل المستوية^(*)، فيتوقف عن التدرج
على الرغم من كل ما اكتسبه من قوة اندفاع. وتمثل
الخطر الداهم في أن يشق هيكتور طريقه إلى البحر
عبر خيام الأخيين وسفنهم مواصلاً القتل في طريقه.
ولكنه اصطدم بالفرق المتلاحمة عند تقدمه فتوقف. وواجهه
ابناء الأخيين بسيوفهم ورماحهم ذات الحدين، وصدوه فتراجع
وتقهقر، ثم أطلق صيحة مدوية يخاطب الطروانيين قائلاً:
- ١٤٥
- "أيها الطرواديون، والليكيون والداردانيون، يا من تقاتلون في
التحام مباشر، اصمدوا، لن يفلح الأخيون في صدّي
لمسافة طويلة، مع أنهم اصطفوا جميعاً كأنهم حائط. بل سيتراجعون
أمام رمحي إذا أيدني أكبر الآلهة زوج هيرا ذو الرعد المدوي".
- ١٥٠
- فلما قال ذلك استثار القوة والروح في نفس كل محارب،
وسار بينهم ديفوبوس بن برياموس بروح عالية، ورفع درعه
المتوازن في كل اتجاه أمامه، وأخذ يتقدم برشاقة على قدميه
محتماً في درعه. وصوب ميريونيس عليه برمحه اللامع
وأطلق رمحاً لم يخطيء هدفه بل أصاب الدرع المبطن بجلد
الثور، والمتوازن في كل اتجاه، ولكنه لم يخترقه،
- ١٥٥
- بل انكسر سن الرمح الطويل في التجويف. وحافظ ديفوبوس
على الدرع المبطن بجلد الثور، واستولى الخوف على قلبه من
رمح ميريونيس الحصيف. عندئذ تراجع هذا المحارب إلى
حشد رفاقه أمام هذه الهجمة الشرسة، وقد استشاط غضباً بسبب
فقدان النصر وانكسار الرمح. وانطلق نحو خيام الأخيين
وسفتهم طلباً لرمح طويل لنفسه، كان قد تركه في خيمته.
- ١٦٠

(*) تذكر المرء هنا قول امرئ القيس

كجلمرد صخر حطه السيل من عل

مكر مفر مقبل مسير معاً

وواصل الآخرون القتال ودوت صيحة لا حدود لها، وبدأ

- ١٧٠ تيوكروس بن تيلامون بقتل أحد المحاربين، إنه
الرمح إمبريوس بن مينتور ذو الثروة الهائلة من الخيول.
وكان يسكن في بيدايون قبل أن يأتي أبناء
الآخيين، وتزوج ابنة برياموس ميديسيكاستي
- ١٧٥ التي ولدت له من قصة حب. ولكنه بمجيء سفن الدانائيين
المقوسة، عاد إلى إليوس واكتسب مكانة مرموقة بين
الطرواديين، وسكن في بيت برياموس، الذي كرمه كأنه واحد
من ابنائه. الآن أصابه ابن تيلامون تحت أذنه بطعنة من
رمحه الطويل، ثم سحب الرمح من جسده فسقط. كان مثل شجرة
الدردار على قمة جبل ترى من مسافات بعيدة من كل اتجاه،
اجتثت بالبرونز الحاد، فتناثرت أوراقها
- ١٨٠ على الأرض. هكذا سقط وفوقه أسلحته البرونزية المزركشة.
وهرع تيوكروس في لهفة لتجريده من أسلحته، لكن هيكتور
صوب إليه رمحه البراق. بيد أن تيوكروس لمح الرمح
البرونزي وتغاداه بمسافة صغيرة جداً. فأصاب هيكتور
- ١٨٥ أمفيماخوس بن كتياتوس بن أكتور في صدره برمحه،
بينما كان يتأهب لدخول النزال، فسقط وهو يصرخ صرخة
مكتومة، وارتطم بالأرض وتكوم سلاحه فوقه. واندفع هيكتور بسرعة
لينزع عن رأس أمفيماخوس الباسل خوذته المثبتة عند وجنتيه،
لكن أياس صوب رمحه البراق إلى هيكتور المندفع،
- ١٩٠ فلم يصل الرمح إلى لحمه، إذ كان محمياً تماماً بالبرونز
الرهيب؛ ولكنه أصاب صرة درعه فدفعه بشدة إلى الوراء
وأبعده عن الجنتين، وعندئذ سحبهما الآخيون. وحمل
- ١٩٥ ستيخيوس ومينيسثيوس الإلهي قائدا الأثينيين أمفيماخوس
إلى الآخيين، وحمل الثنائي أياس الملهوفان على خوض

- المعركة الفتاكة، جثة إمبريوس بعيداً. وكانا مثل أسدين
 اختطفاً عنزة من أفواه كلاب صيد حادة الأنياب، فحملها
 ٢٠٠ عبر أحراش الغاية الكثيفة، فرعاها في فكيهما بعيداً عن
 الأرض. هكذا حمل الثنائي أياس الباسلان إمبريوس عالياً
 وجرداه من سلاحه، وقام ابن أوليوس بفصل رأسه عن عنقه
 انتقاماً غاضباً لمقتل أمفيماخوس، وقذف بها لتندرج وسط
 ٢٠٥ الحشود كأنها كرة، واستقرت في التراب تحت قدمي هيكتور.
 شعر بوسيدون بالغضب الشديد في قلبه، عندما سقط
 ابن ابنه في خضم الصراع الرهيب، فذهب بين خيام الأخيين
 وسقنهم ليستنفر الدانائيين للقتال. أما بالنسبة للطرواديين
 ٢١٠ فكان يثير الرعب. وهناك قابل إيدومينيوس المعروف برمحه
 أثناء عودته من المعركة مع أحد رفاقه المصاب في ركبته
 بالرمح البرونزي الحاد. حمله رفاقه، وكان إيدومينيوس قد
 أصدر أوامره إلى الأطباء وذهب هو إلى خيمته، فقد كان
 ٢١٥ تواقفاً إلى المعركة. وخاطبه الإله مزلزل الأرض بصوت
 يتقمص صوت ثواس بن أندرايمون، الذي كان سيذاً على
 الأيتوليين في كل أنحاء بليورون وكاليدون، وكان موضع
 تبجيل الناس كأنه إله، وقال:
 ٢٢٠ "أى إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، أين ذهبت
 التهديدات التي وجهها أبناء الأخيين للطرواديين؟"
 فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
 "يا ثواس، لا تثريب على أحد الآن، فكلنا بارعون في الحرب.
 وما من رجل ولى الأديار من المعركة مستكيناً أو مستسلماً للجين،
 ٢٢٥ وما انسحب أحد من الحرب اللعينة، بيد أن
 ابن كرونوس الأعلى في جيروته يسره أن يهلك الأخيون هنا
 بعيداً عن وطنهم أرجوس، فلا يبقى لهم ذكر. لكن يا ثواس،

٢٣٠ بما أنك كنت دومًا صامدًا في ساحة الوغى وتحرض الآخرين
حين ترى أحدهم يتقاعس عن القتال، فلا تتوان، بل
أطلق صيحاتك واستنفر كل الرجال".

فرد عليه بوسيدون مزلزل الأرض قائلاً:
"أى إيدومينيوس، ليت هذا الرجل لا يعود إلى وطنه من أرض
طروادة، بل يترك هنا طعامًا للكلاب، ذلك الذي تقاعس اليوم عمدًا
٢٣٥ عن القتال. فانهض وتملح واتبعنى،
فلعلنا معًا ننجز هذه المهمة على وجه السرعة. ورغم أننا اثنان
فقط، فالأمل معقود علينا، والتعاون والتعاقد يزيدان قوة الأقوياء
حتى لو كانوا محاربين في مأزق، بيد أننا نحن الآخيين نعرف
جيدًا كيف ندير القتال ضد عدونا الشرس".

هكذا قال الإله، ثم انخرط مرة أخرى في زمرة المتقاتلين.
٢٤٠ وما أن بلغ إيدومينيوس خيمته المحكمة البناء، حتى سلح
نفسه تسليحًا جيدًا واختار رمحين وأنطلق. كان مثل الصاعقة
التي يمسك بها ابن كرونوس في يده ويلوح بها من فوق
الأوليمبوس، آية للبشر الفانين، تومض الأشعة منه على المدى،
٢٤٥ هكذا تآلق البرونز على صدره وهو يهرول. وقابله تابعه الهمام
ميريونيس وقد كان لا يزال على مقربة من الخيمة،
وكان قد ذهب ليحضر رمحًا برونزيًا، ونداه
إيدومينيوس الجبار قائلاً:

"أى ميريونيس، يا ابن مولوس، يا سريع القدمين، أنت أعز رفاقي
٢٥٠ إلى، لماذا أتيت تاركًا القتال والمعركة؟ هل أصيبت
وهل يؤلمك سن رمح؟ أم هل أتيت إلى برسالة ما؟
أما أنا فلا يسرنى البقاء هنا في الخيام، بل يسرنى الالتحام في القتال".

فرد عليه ميريونيس الحصيف:

- ٢٥٥ "أى إيدومينيوس يا قائد الكريتيين ومرشدهم، لايسى
الدروع البرونزية، أنا فى طريقى لأحضر رمحاً،
لعلك تكون قد تركت واحداً فى الخيام؛ فالرمح الذى
أحمله منذ مدة تحطم حين أطلقته على درع ديفوبوس المتجبر".
فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً :
- ٢٦٠ "إن أردت رمحاً فستجدها، سواء أردت واحداً أو عشرين،
ستجدها فى الخيمة تقف مستندة على حائط المدخل اللامع،
رمحاً طروادية، فمن عادتى أن أسلبها من قتلاهم. وأنا لا أميل
إلى قتال الأعداء من مسافة بعيدة، لذا فإن لدى رمحاً
ودروعاً ذات صرر وخوذات وأحزمة تلمع".
- ٢٦٥ فرد عليه ميريونيس الحصيف:
"وفى خيمتى أنا أيضاً وفى سفينتى السوداء الكثير من غنائم
الطرواديين، ولكنها الآن ليست فى متناول يدي. ولم أنس
البسالة، بل أحب مكانى فى طليعة المقاتلين؛ حيث يحرز
الأبطال المجد، وحيث ترتفع صيحات القتال. وقد لا يعلم
بعض الأخيين لابسى الدروع للبرونزية قدرتى فى القتال،
ولكنك أنت تعرفها تماماً".
- ٢٧٥ فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
"أنا أعرف أى نوع من الرجال أنت، وأى بأس لديك
فى القتال. فما الداعى لتقول ما هو معروف؟ إذا كان
أفضل ما لدينا قد قيل بجوار السفن وفيما يتعلق
بالكمين، فإن بسالة الرجال تختبر وتتجلى ويتبين الجبان
من الشجاع، إذ يتبدل الجبان
٢٨٠ من لون إلى لون آخر، وروحه لا تظل فى صدره، فلا
يثبت على حال، فيغير ركبة مكان الأخرى، ويرتكز على

- قدم بعد الآخر، ويخفق قلبه بدقات مرتفعة الصوت، ويتوقع الموت في كل لحظة، وتصطك أسنانه في فمه. أما لون الشجاع فلا يتغير ولا يتبدل، وهو لا يخاف حين يتخذ موقعه في كمين المحاربين، بل يبتهل أن يخوض قتالاً رهيباً -
- ٢٨٥ وحتى في مثل هذه الحالة لا يقلل أحد من بسائك وقوة يديك. وإذا كنت قد أصبت بسن رمح أو بطعنة في لهيب القتال، فالرمية لا تأتيك من الخلف في الرقبة أو الظهر، بل على صدرك أو بطنك حيث كنت تهاجم في مقدمة صفوف المقاتلين. ٢٩٠ فتعال ولنتوقف عن التلكؤ هنا، حتى لا نثرثر كالأطفال، فقد يثور غضب أحدنا إلى ما وراء الحد، فاذهب إلى الخيمة واتخذ لنفسك رمحاً متيناً.
- ٢٩٥ هكذا قال، وأخذ ميريونيس، قرين آريس في سرعته، رمحاً برونزياً وتبع إيدومينيوس متطلعاً بلهفة للقتال. فهو يخوض الحرب مثل آريس الفتاك بالبشر الفانين، ويتبعه ابنه فوبوس (الخوف) المقدام، الذي لا يهاب والذي يربع أي محارب إن لم يكن ثابت القدمين. كلاهما تسليح ٣٠٠ وقدم من طراقياً^(*) للانضمام إلى الإفيريين أو الفليجيين الأشاوس، ولكنهما لا يصغيان لأى من الجانبين، بل يهبان المجد لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى. هكذا يخوض ميريونيس وإيدومينيوس قائدا الأبطال القتال لابسين الدروع البرونزية اللامعة، وقال ميريونيس لإيدومينيوس:
- "يا ابن ديوكاليون، أين ترغب أن تنضم إلى زمرة المقاتلين، هل في الجانب الأيمن للحشد، أم في القلب، أم إلى اليسار؟ وظنى أن الآخيين ذوى الشعر الطويل يفلحون

(*) تقبل طراقياً Thrake أو Threke في العموم على أنها موطن إله الحرب (المحور).

- ٣١٠ في القتال في أى موضع".
فرد عليه إيدومينيوس قائد الكريتيين قائلاً:
"في وسط السفن هناك من يدافعون عنها، وهما الثنائي أياس
وتيوكروس أبرع الأخيين في رمى القوس وفي الالتحام
القتالي المباشر. وهؤلاء سينهكون هيكتور بن برياموس
ويصدونه بعيداً عن القتال رغم شراسة هذا البطل وقوة عزمه.
٣١٥ ومهما كان متلهفاً على القتال سيكون من العسير عليه
أن يقهر عنقوانهم وأيديهم القوية، وأن يضرم شعلة النار
في السفن، ما لم يشعل ابن كرونوس نفسه اللهب المنذع في
السفن السريعة. أما أياس التيلاموني الجبار، فلا يستسلم لأحد
٣٢٠ من البشر الفاتين من أكلي حبوب ديميتير، الذين يضربون
بالبرونز أو يسحقون بالأحجار الضخمة. ولا يخضع حتى
لأخيليوس مشتت صفوف الرجال، الفتاك في الالتحام القتالي
المباشر، فلا أحد ينازع أخيليوس في سرعة القدمين.
٣٢٥ أما بالنسبة لكلينا، فلنقف في ميسرة الجيش كما قلت،
حتى تعلم ما إذا كنا سنهب المجد لغيرنا، أم غيرنا هو
الذي سيهب المجد لنا".
- هكذا كان حديث ميريونيس، الذي ينازع أريس في سرعة
الهرولة، ثم قاد الطريق حتى بلغا الحشد، حيث أمره إيدومينيوس
٣٣٠ بأن يمضى. وما أن رأى الطرواديون منظر إيدومينيوس بقوته وكأنه
شعلة لهب ومعه تابعه المسلح تسليحاً جيداً بالغ الإتقان،
نادى كل فرد من أفراد الحشد على الآخر إيذاناً
بالهجوم، فهاجموه. وعند مؤخرات السفن التحم المتحاربون
جميعاً في قتال مباشر في حشد متكامل. واشتدت العواصف
٣٣٥ وهبت الريح في يوم تراكم التراب فيه سميحاً على الطرقات.
فأثارت الريح سحابة كثيفة من الغبار. بيد أن المعركة بينهم

- لم تنقطع، وكان كل طرف منهما يتلطف على قتل الآخر
بالبرونز البتار. واندلع الصراع فتكًا بالفانين، الذين سقطوا
ضحايا الرماح الطويلة ممزقة لحم الأجساد. وكادت الأبصار
٣٤٠ تزوغ ببريق البرونز في الخوذات اللامعة والأحزمة
المصقولة والدروع البراقة، حيث كانوا يلتحمون التحامًا
كاملاً. قوى العزيمة فقط هو من جرؤ قلبه وانشرح صدره
لرؤية هذا القتال المفجع دون أن ينقبض فؤاده.
- ٣٤٥ كان ابنا كروتوس^(*) الجباران موجودين، وكان لكل منهما
أهدافه المختلفة عن أهداف الآخر، ولكنهما معًا دبرا آلاما
قاسية للمتحاربين الفانين. كان زيوس يود النصر للطرواديين
ولهيكتور، وبذلك يوفر المجد لأخيلئوس سريع القدمين.
٣٥٠ مع ذلك لم يشأ القضاء على حشد الأخيين قضاءً مبرماً
أمام إليوس، وكل ما أراد هو أن يوفر التكريم لثيتيس والمجد
لابنها المغوار.
- أما بوسيدون فقد ذهب إلى وسط الأرجيين، وأخذ يقوى عزمهم
بعد أن انسل سرا من البحر المضطرب، إذ كان قد ضايقه
كثيراً أن الطرواديين دحروهم، وكان حانقاً على زيوس.
٣٥٥ ومع أنهما من سلالة واحدة ومن الوالدين نفسيهما،
بيد أن زيوس كان هو الأكبر والأكثر فطنة بمراحل.
ولذا كان بوسيدون يتجنب إظهار مساعدته المباشرة،
وسعى سرا لاستنقار الأرجيين وحشدهم متخذاً هيئة
بشرية. وهكذا عقد كلاهما طرفي حبل الصراع التفتاك والحرب
٣٦٠ اللعينة، وأخذ يتجادبانه بعنف فوق الجيشين، ولا يستطيع
أى رجل قوى أن يحل عقدة هذا الصراع، وإن استطاع أن

(*) زيوس وبوسيدون. (الغور)

- يحل ركب العديد من الرجال.
- ونادى إيدومينيوس، مع أن اللون الأبيض بدأ يخالط شعر رأسه، على الدانائيين، وقفز وسط الطرواديين فولوا الأدبار. فقتل أوثريونيوس القادم من كاييسوس والمقيم ضيقاً في طروادة، فقد جاء حديثاً بعد أن سمع نبأ الحرب؛ وطلب يد كاساندرأ أجمل بنات برياموس. ولم يقدم الهدايا ليخطب ودها، بل وعد بإنجاز بطولى، وهو أن يطرد أبناء الأخيين من أرض طروادة. ووعد الشيخ برياموس بأن يعطيها له فأوما برأسه، وانخرط (أوثرينيوس) في القتال واتقأ في وعد الملك.
- ٣٦٥ بيد أن إيدومينيوس صوب إليه رمحه البراق وأصابه بينما كان يتبختر في خيلاء، ولم يحمه الدرع البرونزى الذى يحتفى به، بل اخترق الرمح بطنه، فسقط مرتطمًا بالأرض، وفوق جثته وقف إيدومينيوس متباهياً وقائلاً:
- ٣٧٠ "يا أوثرينيوس! إني أعذك حقاً الأسعد بين كل البشر الفانين، فسوف تنجز وعدك لبرياموس الداردانى، وقد وعدك باينته. ونحن أيضاً نعدك وسننجز ما وعدنا، وسنزوجك أجمل بنات أتريوس، وسنحضرها إليك من أرجوس لتتزوجها هنا؛ إذا ناصرتنا في حصار إليوس المأهولة. فاتبعنا فقد نعقد عقد الزواج في السفن جوابة البحار، وثق تماماً أننا لا نغالى في طلب هدايا الزواج".
- ٣٧٥ هكذا كان حديثه، وسحب المحارب إيدومينيوس الجثة من القدمين عبر ساحة القتال. وجاء أسبوس لينقذ الميت سيراً على قدميه أمام جواده، اللذين ساقهما تابعه وقائد عربته، واقتربا حتى صارت أنفاسهما فوق كنفى أسبوس. وكان الأخير يتلهف على إصابة إيدومينيوس؛ إلا أن هذا البطل كان أسرع منه، فأطلق عليه رمحاً أصابه في عنقه تحت ذقنه.
- ٣٨٥
- ٣٩٠

واخترق البرونز لحمه. فسقط كما تسقط شجرة البلوط أو
شجرة الجوز أو شجرة الصنوبر الباسقة، التي أسقطها
وسط الجبال قاطعو أخشاب السفن ببلطاتهم الحادة. هكذا
تمدد أسبوس أمام جواده وعربته ينن بصوت عال قابضاً
على التراب المختلط بالدم.

أما سائق عربته الذي أصيب بالهلع، فتخلى عن تماسكه
الذي تحلى به، ولم يجرؤ على العودة بالخيل والفرار من
أيدى الأعداء. فرماه أنتيلوخوس البارح في القتال
وأصابه برمحه، فلم يحمه الدرع البرونزي، الذي كان يرتديه
بل استقر الرمح في بطنه تماماً. فسقط من العربة المتينة
البناء. وساق أنتيلوخوس بن نيسطور الباسل الحصانين من
معسكر الطرواديين إلى حيث حشد الأخيين.

حزن ديفوبوس حزناً بالغاً على أسبوس، فاقترب من إيدومينيوس
وصوب إليه رمحه اللامع. بيد أن إيدومينيوس الذي كان يحملق فيه
مباشرة تغادى الرمح البرونزي، إذ احتفى بغطاء درعه الذي
اعتاد ارتدائه والمتوازن من كل جانب والمصنوع من جلد الثور
والبرونز اللامع بإتقان شديد وعليه حلقتان. تقلص تحت
هذا الدرع فطار الرمح البرونزي من فوقه مرتطمًا بدرعه
بشدة. وما كان ديفوبوس ليدع الرمح يطير من يده الثقيلة سدى،
بل أصاب هيبسينور بن هيباسوس راعى شعبه في كبده تحت
حجابه الحاجز، ففك مفاصل ركبتيه. ووقف ديفوبوس فوق
جثته منتشياً بالنصر وصائحاً بأعلى صوته:

"لم يمت أسبوس دون انتقام؛ بل سير - فيما أظن - في
رحلته إلى مقر هاديس، الحارس شديد البأس، فقد منحته
مرافقاً في رحلته".

- هكذا كان تفاخره، وتألم الأرجيون لتبجحه.
 أثار بالدرجة الأولى حنق أنتيلوخوس الحصيف، الذي رغم
 حزنه لم ينس رفيقه الحبيب^(*)، بل جرى نحوه ووقف فوق
 ٤٢٠ جثمانه وحماه بدرعه. وانحنى اثنان من الأتباع الموثوق بهما،
 وهما ميكسيثيوس بن إخيوس وألستور الطيب، وحملا هيبسينور
 وهما يجهشان بالبكاء إلى السفن المجوفة. ولم يتكأ إيدومينيوس
 ٤٢٥ فى عنفوان غضبه، بل تلهف على أن يدفن أحد الطروديين
 فى ظلمة الليل الأسود، أو أن يسقط هو نفسه دفاعاً عن الأخيين.
 فقتل الوحش المحارب الكاثوؤس الابن الحبيب لأيسينيتيس ربيب
 زيوس، إنه زوج بنت أنخيسيس، حيث كان قد تزوج
 ٤٣٠ كبرى بناته، هيبوداميا التى أحبها أبوها وأمها ورباها فى بيتهما،
 فبزت كل الفتيات من سنها فى جمالها وكمالها وأسغالها اليدوية
 وحكمتها. وتزوجها أفضل رجال طروادة الشاسعة، إنه ذلك
 ٤٣٥ الذى أخضعه بوسيدون برمح إيدومينيوس، فألقى غشاوة على
 عينيه البراقنتين، وفك أوصاله المتينة حتى لا يفر أو يتقادى
 الرمح. وفى ثباته كان كمثل دعامة أو شجرة باسقة تطاول
 السماء، أصابه إيدومينيوس المغوار بطعنة من رمحه فى صدره
 ٤٤٠ فاخترقت درع صدره البرونزى، والذى طالما صد عنه طعنات
 الموت. أما الآن فقد اخترق الرمح هذا الدرع، فأحدث دويًا
 هائلًا وسقط مرتطمًا بالأرض فى خضم دمانه، وغاص الرمح
 فى قلبه فارتج ظهره. ووقف أريس الجبار على مبعدة يكظم غيظه^(**).
 ووقف إيدومينيوس فوق الجثة منتشياً بانتصاره
 ٤٤٥ ومباهياً وصاح عاليًا:

"أى ديفوبوس، هل لنا الآن أن نحسبها تسوية مرضية - ثلاثة

(*) هيسنور. (الخرر)

(**) تحذف بعض الطبقات اليين ٤٤٣ - ٤٤٤ باعتبارهما متحليين. (الخرر)

- قَتلى في مقابل رجل واحد؟ تراك تفخر بهذا؟
 أيها السيد الطيب، بل قف بنفسك وواجهني! لتعلم من هو
 ٤٥٠ ابن زيوس الذى جاء هنا. فى البداية أنجب زيوس مينوس
 حارسًا على كريت، ثم أنجب مينوس ابنا هو ديوكاليون
 الذى لا قرين له، وأنجبنى ديوكاليون سيّدًا على الكثير من
 رجال كريت الشاسعة. الآن حملتني السفن إلى هنا
 ٤٥٥ وبالأعلى عليك وعلى أبيك وعلى كافة الطرواديين".
- هكذا قال، ودبت الحيرة فى قلب ديفوبوس، تراه يتراجع ويتخذ
 رفيقًا من الطرواديين البواسل، أم يعتمد على نفسه ويتقدم
 بمفرده ويجرى، وظن أنه من الأفضل أن يذهب إلى آينياس.
 فوجده واقفًا فى نهاية الحشد، وكان آينياس ناقما على
 ٤٦٠ برياموس الإلهي. فعلى الرغم من بسالته المميزة بين المحاربين
 لم يكرمه برياموس بشيء. فأقترب ديفوبوس منه وخاطبه
 بكلمات مجنحة :
- "أى آينياس يا صاحب الرأى بين الطرواديين، عليك الآن أن
 تقدم العون لزوج أختك، إذا كان حقًا يؤلمك ما ألم بقريب
 ٤٦٥ لك. أقبل وقدم العون لألكاثوؤس، فقد كان على أية حال زوج
 أختك وهو الذى رباك فى بيته طفلاً صغيرًا. لقد قتله
 إيدومينيوس الشهير برمحه".
- هكذا قال فاستثار همة آينياس فى صدره، فراح يبحث عن
 ٤٧٠ إيدومينيوس توافقًا لمنازلته. لكن لم يكن الخوف يعرف
 طريقه إلى قلب إيدومينيوس، كما لو كان مثل طفل مدلل. كان فى
 هجومه مثل خنزير برى يسكن الجبال يتوق تمامًا فى قواه
 فيصمد أمام هجوم حشد غفير من الرجال فى مكان منعزل، تنتصب
 ٤٧٥ عضلات ظهره وتتقد عيناه بالشرر، ويكشر عن أنيابه استعدادًا لصد

- الكلاب والرجال. هكذا كان إيدومينيوس الشهير برمحه،
حيث تصدى لهجمة آينياس الذي لى نداء العون، ولم يتراجع،
بل نادى على رفاقه وبحث عن أسكالافوس وأفاريوس ودايبيروس
وميريونيس وأنتيلوخوس سادة صيحة الحرب. فحرضهم
على القتال بكلمات مجنحة:
- ٤٨٠ "هلموا يا أصدقاء وقدموا العون لى، فأنا بمفردى وأخشى
بشدة مجيء آينياس سريع القدمين، فهو يتقدم ليهاجمنى.
فله من القوة ما يمكنه من الفتك بالرجال فى المعارك، وهو
فى زهرة شبابه وكامل قوته. أه لو كنا فى السن نفسها وبالحالة نفسها،
٤٨٥ كما هو الآن، عندئذ كان أحدنا سينال نصراً عظيماً أنا أو هو".
- هكذا قال فتوحدت أفئدتهم فى صدورهم، وصمدوا فى مواقعهم،
ووقفوا متراسين محتمين بدروعهم. وفى مواجهتهم نادى
٤٩٠ آينياس على رفاقه وبحث عن ديفوبوس وباريس وأجينور
الإلهى، وهم من قادة الطرواديين. وتبعهم الحشد كما تتبع
قطعان الأغنام الكباش إلى الماء من المرعى، فيفرح
الراعى فى قلبه. هكذا امتلأ قلب آينياس بالفرح حين
٤٩٥ رأى احتشاد الجيش الزاحف من خلفه. والتحموا
فى قتال لصيق برماحهم الطويلة بعد أن قفزوا فوق جثة
ألكاثوؤس، وكان البرونز على صدورهم وهم يصوبون
كل إلى الآخر فى الهجوم. وفى طليعة الحشود كان هناك
رجلان مقدامان هما آينياس وإيدومينيوس اللذان كانا يضارعان
٥٠٠ آريس. كان كل منهما يتلطف على تمزيق لحم الآخر بالبرونز
الذى لا يرحم. كان آينياس البادىء بإطلاق رمحه على
إيدومينيوس، ولكنه كان يحدق فيه بثبات واستطاع أن يتجنب
الرمح البرونزى، فانغرس رمح آينياس فى باطن الأرض،
٥٠٥ فقد انطلق سدى من يده القوية. ورمى إيدومينيوس وأصاب

- أوينوماوس فوق البطن وحطم الحلقة المعدنية على درعه،
وأخرج البرونز أمعاه، فسقط في التراب قابضاً على الأرض
براحة يده. وسحب إيدومينيوس الرمح طويل الظل من
الجثمان، ولكنه لم يستطع أن ينزع بقية الدرع الجميل عن
الكتفين؛ فقد كان غائراً بالقذائف. ذلك أن مفاصل قدميه
فقدت رسوخها، الذي كان لها من قبل ومكنته من الإسراع
في كرهه أو فره، هجوماً على عدوه أو تفادياً لضرباتِه. ومن ثم
اكتفى في الالتحام المباشر بالدفاع عن نفسه اتقاء يوم
المصير الذي لا يرحم، ولم تعد قدماه قادرتين على أن تحملاه
للهرب بسلام من المعركة. وبينما كان يتراجع إلى الوراء
خطوة بخطوة، رماه ديفوبوس برمحه اللامع، ذلك أنه
كان لا يزال يحمل داخل نفسه حقداً دفيناً. ومع ذلك فقد أخطأه
هذه المرة أيضاً، وأصاب رمحه أسكالاوقوس بن إنياليوس وغاص
الرمح البتار في كتفه، فسقط في التراب قابضاً على الأرض
براحة يديه. ولم يحزن آريس الرهيب ذو الصيحة المدوية لموت
ابنه صريع القتال الفتاك؛ بل جلس فوق أعلى قمم الأوليمبوس
تحت السحب الذهبية، تشكمه إرادة زيوس، حيث كان الآلهة
الخالدون الآخرون قد حجبوا عن ميدان الحرب.
ثم اشتبكوا حول أسكالاوقوس في التحام مباشر، وسلب ديفوبوس
خوذة أسكالاوقوس اللامعة، لكن ميريونيس قرين آريس
السريع انقض على ديفوبوس وأصاب ذراعه برمحه، فطارت
الخوذة من يده على الأرض، وكان ارتطامها مدوياً. ووثب
ميريونيس مرة أخرى كأنه نسر، وسحب الرمح الجبار من أعلى
ذراع ديفوبوس، واندس مرة أخرى وسط رفاقه. لكن بوليبيس
شقيق ديفوبوس أحاط خصره بذراعيه وسحبه بعيداً عن
ساحة المعركة الرهيبة إلى أن بلغ الجوادين السريعين،

الذين كانا يقفان في انتظاره خلف ساحة المعركة بعربتهما
فاخرة الزخرف وسائقيهما. وحمله إلى المدينة وهو يئن
ويتألم بشدة، وينزف دماً غزيراً من ذراعه المصاب حديثاً.

٥٤٠

وواصل الآخرون الالتحام، وانطلقت صيحة مدوية.

ثم انقضّ آينياس على أفاريوس بن كاليثور، الذي كان قد
استدار نحوه. ضرب عنقه برمحه المسنون، فمالت رأسه جانباً
وسقط الدرع عنه ومعه الخوذة، وغمره الموت الذي يفتك

٥٤٥

بالأرواح. ثم وثب أنتيلوخوس على ثوون وهو يولى الأدبار
وطعنه في الوريد الذي يجرى من أول الظهر إلى العنق
فمزقه شراً ممزقاً، فسقط ثوون على ظهره في التراب ماذا
يديه لرفاقه الأعزاء. بيد أن أنتيلوخوس انقضّ عليه ونزع

٥٥٠

درعه عن كتفيه، وهو يتلفت من حوله في فزع.

فقد حاصره الطرواديون من كل جانب، وشرعوا يضربون درعه
اللامع العريض في كل ناحية منه؛ ولكنهم لم يتمكنوا من خرقه
والنفاذ إلى لحم أنتيلوخوس الطرى بالبرونز

٥٥٥

القاطع. فقد كان بوسيدون مزلزل الأرض يحرس

أين نيسطور، حتى في وسط الرماح العديدة. ولم يكن

أنتيلوخوس بعيداً عن الأعداء، بل كان يصول ويجول

بينهم دون أن يركن رمحه للراحة، بل كان مشهراً متحركاً

٥٦٠

على الدوام. وكان قلبه تواقاً للهجوم على العدو أو

الاشتباك في الالتحام مباشرة.

وبينما كان يصوب سهمه وسط المحاربين، لمحّه

أداماس بن أسبوس، الذي بعد أن التصق به ضربه فوق الدرع

بطعنات البرونز المسنون. بيد أن بوسيدون، الإله ذا الشعر

الأزرق الداكن، أحبط سن الرمح وجعل طعناته هباءً، وسبب

بحياة أنتيلوخوس وبقي جزء من الرمح مغروساً كالعصا في

- ٥٦٥ درع أنتيلوخوس، ونصفه الآخر ملقى على الأرض. واندس
أداماس مرة أخرى وسط رفاقه متجنبًا مصيره المحتوم. بيد
أن ميريونيس لاحقته، وأطلق عليه رمحه فأصابه فيما بين أعلى
الفخذين والصرّة، حيث يقسو آريس (الحرب) على الفاتنين
- ٥٧٠ الطائشين. وغرس ميريونيس رمحه، وارتكز الآخر على الرمح
الذى غاص في لحمه، وأخذ يتلوى كالثور الذى قيده الرعاة وسط
الجبال وحاولوا جره بالقوة. هكذا كان أداماس حين أصيب،
تلوى قليلاً إلى أن اقترب المغوار ميريونيس وسحب الرمح من
لحمه، وطوت الظلمة نور عينيه. وفي التحام مباشر، أصاب هيلينوس
- ٥٧٥ دايبيروس فى صدغه بسيف طراقى ضخم فحطم خوذته، حيث سقطت
على الأرض فالتقطها أحد الأخيين وهى تتدحرج وسط أقدام المقاتلين.
وعلى نور عيني دايبيروس حط ظلام الليل وطواه.
- ٥٨٠ عندئذ خيم الحزن على قلب ابن أتريوس مينيلأوس البارح فى
صيحة الحرب، وشرع يتهدد الأمير المحارب هيلينوس ملوحًا
برمحه المسنون، بينما جذب الآخر الجزء الأوسط من قوسه تأهبًا.
وبلغ الاثنان لحظة الإطلاق معًا فى آن واحد، أحدهما برمحه
- ٥٨٥ المسنون، والآخر بسهم من القوس. فأصاب ابن برياموس
بسهمه اللوحة المعدنية فوق درع مينيلأوس على صدره،
فارتد السهم المرير، وطار جانبًا كما تطير حبات الغلال
على أرض الحصاد الشاسعة بفعل هبة الريح وقوة المذراة.
- ٥٩٠ هكذا ارتد من فوق درع مينيلأوس المجيد السهم المرير وطار
بعيدًا. بيد أن مينيلأوس للمحارب المقدم، ابن أتريوس البارح فى
صيحة الحرب، أطلق رمحه وأصاب هيلينوس فى يده القابضة على
- ٥٩٥ قوسه الصقيل، فمزق الرمح البرونزى الكوع. واندس مرة أخرى
وسط رفاقه متجنبًا قدره المحتوم، تاركًا يده مرتخية إلى جانبه،
والرمح الرمادى يتدلى خلفه. ثم سحب أجينور المغوار الرمح

من يده، وربط اليد الجريحة بقطعة من صوف الغنم قدمها له
تابعه بوصفه راعي شعبه.

- ٦٠٠ هجم بيساندروس على مينيلأوس المجيد، بيد أن قدره اللعين
كان يقوده إلى نهايته، إلى أن تقتله يا مينيلأوس في الالتحام
المرعب. وبعد أن تقدم كل منهما إلى الآخر، لم يصبه ابن
٦٠٥ أتريوس وانحرف رمحه جانباً، في حين أصاب بيساندروس
درع مينيلأوس المجيد، ولكن لم يخترق البرونز لحمه إذ أوقفه
الدرع كثيف السمك، فتحطم سن الرمح في التثنية، ولكنه فرح في
قلبه وتمنى النصر. وهنا شهر ابن أتريوس سيفه المرصع بالفضة
٦١٠ وهاجم بيساندروس، ثم سحب من تحت درعه بلطة من البرونز
المتين، لها مقبض خشبي من شجر الزيتون طويل ومصقول، وفي
اللحظة نفسها صوب كل على الآخر. فأصاب بيساندروس مينيلأوس
في قرن خوذته ذات الذؤابة من شعر الحصان.
٦١٥ أما مينيلأوس فأصابه بينما كان يتقدم نحوه، طعنه في جبهته فوق
قاعدة الأنف. فتهشمت العظام وسقطت مقلتاه في بركة من الدماء
تحت قدميه في التراب، فترنح ثم سقط. ووضع مينيلأوس قدمه
فوق صدره، وجرده من أسلحته، ووقف مباهياً بانتصاره فقال:
"على هذا النحو فقد يتأكد أنكم ستتركون سفن الدانائيين ذوى
٦٢٠ الخيول السريعة، أيها الطرواديون المتعجرفون يا من لا تشيع
شهيتكم من هول القتال. فلم تتورعوا عن الإهانة المخزية،
لقد أهنتموني أيها الكلاب المسعورة، ولم تخش قلوبكم يوماً
٦٢٥ غضب زيوس المدمر، الإله الذى يكرم الضيف ويرسل
الرعد، هو الذى سيسوى بالأرض مدينتكم العالية. فقد خطفتكم
زوجتى الشرعية ومعها كنوز كثيرة عبرتم بها البحر،
خطفتموها بخسة، وهى تقوم بواجب الضيافة لكم!
والآن مرة أخرى تطمعون فى إضرار النار المدمرة فى السفن

- ٦٣٠ جوابة البحار، وفي قتل الأبطال الأخيين. لكن سنمنعكم
عن القتال مهما كان اندفاعكم. أي زيوس الأب! يقولون إنك
تفوق الجميع حكمة، بشرًا كانوا أم آلهة، ولكن كل هذه المصائب
جاءت من لديك أنت، فلقد آزرت مرتكبي العنف الطروديين
٦٣٥ المفعمة قلوبهم بالفجور، ولا يشبعون من شرور الحرب اللعينة.
فللمرء أن يأخذ كفايته من النوم والحب والأغاثى العذبة
والرقص الجميل، حقًا من الخير للمرء أن يشبع من هذه الأشياء
لا من الحرب، بيد أن نهم الطروديين للحرب لا يشبع أبدًا.
- ٦٤٠ ثم جرد مينيلأوس الذى لا نظير له الميت من أسلحته المملوطة
بالدماء وأعطاه لرفاقه وعاد هو لينخرط بين مقاتلى الصفوف الأولى.
وهنا وثب أمامه هارياليون ابن الملك بيلامينيس، الذى جاء مع
أبيه العزيز إلى طروادة حيث القتال، ولكنه لم يعد قط إلى
٦٤٥ وطنه الحبيب. لقد اقترب بشدة من ابن أتريوس وأصابه
فى قلب الدرع، ولكنه لم يتمكن من غرز البرونز فى لحمه،
فعاد واندس وسط رفاقه تجنبًا لمصيره المحتوم، متلفتا فى
كل اتجاه خشية أن يصيب أحد لحمه بالبرونز. فهاجمه
٦٥٠ ميريونيس أثناء انسحابه بسهم ذى سن برونزى فأصابه
فى أعلى فخذة الأيمن، وغاص السهم فى جسده حتى المئانة
تحت عظمة الحوض. فجثم فى مكانه ولفظ أنفاسه الأخيرة
بين أذرع رفاقه الأحباء، وتمدد كاللدودة على الأرض.
وانهمر منه الدم الأسود ليبلل الأرض، وتولى البافلاجونيون
٦٥٥ البواسل أمره، فحملوه فى عربة إلى إليوس المقدسة
وقد غلبهم الحزن. ويصحبهم أبوه^(*) يذرف الدموع، وهو

(*) هو بيلامينيس الذى على النقيض من ذلك ورد فى الكتاب الخامس (البيت ٥٧٦) أن مينيلأوس قتله. وقد حاول نقاد كثيرون إيجاد الحلول لهذا التناقض ولكن هوراثيوس تقدم بحل أفضل حيث قال: "بين الحين والحين ينام هومروس الطيب". *quandoque bonus dormitat Homerus.* (الخرن)

الذى لم يتلق أية دية في مقابل موت ابنه.

- ٦٦٠ تملك الغضب الشديد باريس لمقتله، فمن بين البافلجونيين
الكثيرين كان هاربايون مضيفه ذات مرة. أطلق سهمًا ذا سن برونزى
لكى ينتقم له. وكان هناك من يدعى يوخينور بن بوليبيدوس العراف،
وهو رجل ثرى وخير، وكان يقيم فى كورنثة. جاء بسفينته
وقد عرف مسبقًا بسوء مصيره المحتوم، فكثيرًا ما أنبأه به
أبوه الشيخ الطيب بوليبيدوس، وفعواه أنه سيموت إما
بمرض عضال فى عقر داره أو يقتل وسط سفن الآخيين
على يد الطرواديين. لذا فقد تخلص من دفع الغرامة
الباهظة للآخيين^(*)، ومن المرض البغيض حتى لا يصيب الغم
قلبه. إذ على الفور ضربه باريس تحت فكه وأسفل أذنه،
فرحلت الروح عن أوصاله وحطت عليه الظلمة الكريهة.
- اندلع القتال بين الطرفين كأنه نار موقدة، بيد أن هيكتور
حبيب زيوس لم يكن يعرف أن جنوده دحروا تمامًا
عند يسار السفن على يد الأرجيين، ومن ثم سيكون النصر
حليف الآخيين، لأن طاوى الأرض ومزلزلها
هو الذى استثار الأرجيين وأمدهم بقوته. فاندفع هيكتور
حيث كان قد قفز فى المقدمة إلى داخل البوابة والحائط،
ولجتاح الصفوف الدانائية المتراصة من لابسى الدروع،
حيث كانت سفن أياس (التيلامونى) وبروتيسيلائوس على
شاطئ البحر الرمادى ومن خلفها شيد الحائط منخفضًا،
وهناك اشتعل الرجال والجياد قتالا.
- ٦٨٥ ولم يستطع البويوتيون والأيونيون ذور
السترات الطويلة واللوكريون والفتيون والإيبيون ذور

(*) كانت تدفع هذه الغرامة - كما يفهم من النص - عوضًا عن الخدمة العسكرية لى الحرب. (المحرر)

- الأسلحة اللامعة، لم يستطيعوا صد هجمة هيكتور الإلهي
المتدفق كاللهب صوب السفن، ولم يوقفوه. حتى صفوة
الأثينيين؛ وكان قائدهم مينيسثيوس بن بتيوس، وتبعه
فيداس وستيخيوس وبياس المقدم، بينما كان الإيبيون
٦٩٠ بقيادة ميحيس بن فيليوس وأمفيون ودراكيوس، وكان في
طليعة الفثيين ميدون وبوداركيس البارعان في القتال.
وكان الأول (ميدون) ابنا غير شرعى لأويليوس شبيه الآلهة
أخا لأياس، ولكنه كان يقيم في فيلاكي بعيدا
٦٩٥ عن مسقط رأسه، لأنه كان قد قتل رجلا من أقرباء
إريوبيس زوجة أبيه أويليوس. وكان الآخر بوداركيس ابنا
لايفيكلوس بن فيلاكوس. وكانا قد ارتديا دروع الحرب في
٧٠٠ طليعة الفثيين البواسل دفاعا عن السفن مع البويوتيين.
- وما كان لأياس بن أويليوس السريع ليبعد عن أياس بن
تيلامون ولو للحظة واحدة. لقد كانا مثل ثورين بلون النبيذ ربطا
في محراث واحد يحرث أرضا مراحة. يتصعب العرق غزيرا
عند قروتهما، ولا يفصل بينهما سوى النير الصقيل.
وهما يجران معا المحراث حتى يصل سهمه إلى حافة الحقل.
٧٠٥ هكذا يقف المحاربان جنبًا إلى جنب في ثبات، وجاء مع ابن
تيلامون العديد من الجنود البواسل رفاقًا وأتباعًا،
كانوا يأخذون منه الدرع حين ينهك العرق والتعب أوصاله.
٧١٠ أما اللوكريون فلم يتبعوا ابن أويليوس الباسل، لأنهم
لم يقدرُوا على الصمود في الالتحام القتالي المباشر، إذ لم تكن
لديهم خوذات برونزية ذات ذؤابة سميكة من شعر الحصان،
ولم تكن لديهم دروع مستديرة ولا رماح رمادية، بل تبعوه إلى إليون
٧١٥ معتمدين على الأقواس ذوات الأوتار من صوف الغنم.
وكان بعضهم يرمون فذائفهم بقوة وسرعة، وحاولوا اختراق

- صفوف الطرواديين. فخاض محاربو المقدمة
 ٧٢٠ لابسو الدروع دقيقة الصنع القتال ضد الطرواديين وهيكتور ذى الدرع
 البرونزى. أما الآخرون من ورائهم فكانوا يطلقون قذائفهم
 دون أن يراهم أحد. وظن الطرواديون أنهم تركوا
 المعركة فأريكتهم قذائف الأقواس.
- كاد الطرواديون يتراجعون تاركين السفن والخيام إلى إيون
 ٧٢٥ عاصفة الريح، لولا أن اقترب بوليداماس من هيكتور المقدم وقال :
 "أى هيكتور، كم هو عسير التعامل معك، فأنت لا تقبل
 كلمات الإقناع، وقد أنعم الإله عليك بما لم ينعم به على أحد آخر فى
 فنون القتال، وفى الرأى تتمتع بحصافة تفوق الجميع.
 ٧٣٠ بيد أنه من المحال أن تهيمن على كل شىء بمفردك.
 فالإله ينعم على هذا بالتفوق فى فنون الحرب، ويهب
 ذلك الرقص، ويمنح آخر الشعر والأغاني، وفى صدر
 آخر يودع زيوس - بعيد الإدراك - عقلاً راجحاً ليكون
 هادياً للناس، ويحرم آخر من هذه النعمة. فاسمع لما أرى
 ٧٣٥ أنه الحق: انظر حولك تجد دائرة القتال مستعرة وهامم الطرواديون
 البواسل وقد عبروا فوق الحائط ووقف بعضهم بأسلحتهم على
 مبعدة، وبعضهم الآخر لازال يقاتل، قلة تواجه كثرة، مبعثرين
 بين السفن. فلتعد للوراء ولتتادى كل البواسل، وبعد ذلك
 ٧٤٠ نتدبر كل رأى. فإما أن نهجم السفن ذات المقاعد العديدة
 إن شاء الإله أن يهبنا النصر هكذا، أو أن نتخلى عن السفن.
 وبالنسبة لى فالحقيقة أنى أخشى أن يكون الدور على الآخيين
 ٧٤٥ اليوم لتسديد دين الأمس. فهناك فى السفن أرى رجلاً^(*)
 لا يشبع نهمه للحرب، ولا أظن أنه سيظل هكذا عزوفاً عن القتال".

(*) (يعنى أخيليس. (أخرو)

- هكذا قال بوليداماس، وكان لرأيه حسن القبول لدى هيكتور،
فقفز بدرعه من عربته إلى الأرض، وخاطبه بكلمات مجنحة:
- ٧٥٠ "أى بوليداماس، احتفظ أنت هنا بكل الرجال، أما أنا فسألتحم
فى القتال، وسأعود سريعاً بعد أن أكون قد أرهقتهم تماماً".
- هكذا كان رده، واندفع كأنه جبل ثلجى^(*)، وأسرع مطلقاً
٧٥٥ صيحات مدوية لاستنفار الطرواديين وحلفائهم. فهرعوا
دفعاً واحدة إلى بوليداماس ذى القلب الطيب أين بانثوؤس
بمجرد أن سمعوا صيحة هيكتور. ولكنه صال وجال
وسط مقاتلى الصفوف الأولى بحثاً عن
ديفوبوس والأمير القوى هيلينوس وأداماس
٧٦٠ بن أسبيوس وأسيوس بن هيرتاكوس، إن
صادفهم. فلم يعثر لهم على أثر بين الأحياء، بل
كان بعضهم مطروحاً على الأرض فى مؤخرة
سفن الآخيين وبعد أن قضى عليهم الأرجيون،
بينما كان بعضهم الآخر خلف الحائط وقد أصابتهم
٧٦٥ طعنات السهام والرماح. وأخيراً عثر على أحدهم على
يسار ساحة المعركة، وهو ألكسندروس الإلهى زوج
هيلينى ذات الخصلات الجميلة، وكان لا يزال يحرض
رفاقه على القتال، فاقترب منه ووجه إليه كلمات مخزية:
- "أى ياريس التعس! أيها الجميل شكلاً فقط! مجنون النساء،
٧٧٠ أيها العابت! أرجوك أين ديفوبوس والأمير القوى هيلينوس
وأين أداماس بن أسبيوس وأسيوس بن هيرتاكوس؟ وأين
أوثريونيوس؟ أنبئنى . فلقد أتى الدمار تماماً على أكثرهم،

(*) أربك هذا التشبيه الكثير من النقاد وإن كان فرجيليوس قد قلده "الإلياذة" (الكتاب الثانى عشر ٦٩٩ وما
يابه). فما وجه التشابه بين محارب يشعل لفة على القتال وجبل ثلجى؟ وارجع للمقدمة. (المحور)

ومن المؤكد أنه لا يأتي منك سوى الهلاك المطيق".

فرد عليه ألكسندروس شبيه الآلهة:

- ٧٧٥ "أى هيكتور أراك تكيل اللوم على من لا يستحق أى لوم
فهل انسحبت من الحرب ولو مرة واحدة؟ فأى لم تلدنى جباناً
متخاذلاً. ومنذ أن اندلعت المعركة بجوار السفن ونحن مع رفاقك
صامدون هنا، نقاتل الدانائيين بلا هوادة. لكن رفاقنا الذين
٧٨٠ تسأل عنهم لقوا حتفهم. ولم يترك المعركة سوى ديفوبوس
والأمير القوى هيلينوس، كل منهما مصاب فى يده برمح
طويل، لكن ابن كرونوس صد عنهما خطر الموت.
فانطلق أنت حيثما يملى عليك قلبك، فسنبتك بكل همة، فنحن
٧٨٥ لا نتقصنا البسالة والإقدام مادامت لنا بقية قوة.
ولكن ليس بوسع أحد فقد القوة أن يقاتل مهما كان حماسه".
هكذا قال المحارب فأقنع أخاه، واندفعا إلى حيث توجهت
نيران القتال حول كيبيرونيس وبوليداماس الذى لا نظير له،
٧٩٠ وفالكيس وأورثايوس وبوليفيتيس شبيه الآلهة، وبالميس
وأسكانيوس وموريس بن هيبوثيون، وقد جاعوا من
أسكانيا عميقة التربة صباح الأمس فقط ليحلوا محل
رفاقهم، لقد زج بهم زيوس الآن إلى المعركة. فكانوا
٧٩٥ مثل الرياح العاتية هبت عاصفة بالأرض من تحتهم، بينما رعد
زيوس الأب من فوقهم تدوى وقد خالطت أمواج البحر التى
تعقبها أمواج أخرى ترعى بزبدها الأبيض. هكذا كان
الطرواديون بصوفهم المتراصة بهرولون كأموج تعقبها
٨٠٠ أمواج، مندفعين وراء قادتهم، وبريق البرونز يلمع من حولهم جميعاً.
كان يقودهم هيكتور بن برياموس قرين آريس، مهلك الفانيين.
يضع أمامه درعه المتين المتوازن من كل جانب والمبطن
بجلد الثور وقد التصق به كثير من البرونز، وعلى وجنتيه

- ٨٠٥ تتماوج حلقات خوذته اللامعة، وراح يصول ويجول هنا وهناك مستعرضاً الفرق، وهم يفسحون له الطريق أثناء تقدمه خطوة خطوة محتمياً بدرعه. وما كان له بذلك كله أن يخمد حماس الأخيين. إذ جرى أياس بخطوات سريعة نحوه، وكان أول من تحداه قائلاً :
- ٨١٠ "اقترب أيها السيد الهمام، لماذا تطمع هكذا في أن تخيف الأرجيين؟ اعلم أننا لا نجعل فن القتال، ولكننا نحن الأخيين رضخنا لحكم زيوس الرهيب. يتمنى قلبك أن تسلب السفن، ولكن تيقن أن لنا أيدٍ قادرة على الدفاع عنها، ومقدر على مدينتكم الآهلة أن تدمرها أيدينا، وتستولى عليها. وبالنسبة لك أنت فسيأتى قريباً اليوم الذى تتوسل لزيوس الأب وغيره من الخالدين أن تكون خيولك ذات اللبدة الجميلة أكثر سرعة من الصقور فى المعركة، حتى تلوذ بك إلى المدينة مثيراً الغبار فوق السهل".
- ٨٢٠ وبينما كان يتحدث حلق طائر على يمينه، نسر يطير فى أجواز الفضاء، فصاح جيش الأخيين صيحة مدوية مهللين بهذا الفأل الطيب للأخيين، بيد أن هيكتور المجيد رد عليه بقوله:
- ٨٢٥ "أى أياس! يا من تنقصك الفصاحة ! ماهذا التبعج فيما زعمت؟ أنا أفخر دوماً بأنى ابن زيوس حامل الدرع أيجيس، وأمى هيرا هى مليكة السماء، فلى من الشرف ما لأثينة وأبوللون. سيأتى حقاً ذلك اليوم بالوبال على الأرجيين كافة؛ وستقتل أنت نفسك معهم؛ إذا استبسلت وصمدت لرمحى الطويل الذى سيمزق جلدك الناعم. وسيكون شحمك ولحمك طعاماً سائغاً لكلاب الطرواديين وطيورهم، عندما تسقط
- ٨٣٠

وسط سفن الأخيين°.

هكذا قال واندفع في طريقه، وتبعه الأتباع

في ضجة وجلبة، وبدأ الجنود من ورائهم يطلقون الصيحات

٨٣٥

المدوية. ورد عليهم الأرجيون بصيحات

مماثلة ولم يتخلوا عن شيء من بسالتهم، بل صمدوا أمام

جحافل الطرواديين. وملاً صخب الحبيشين الآفاق

٨٣٧

فبلغ أنير زيوس العلوى وأشعته البارغة.

الكتاب الرابع عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

لم تفت صيحات المعركة أبداً نيسطور،
 إذ خاطب ابن أسكليبيوس بكلمات مجنحة قائلاً:
 "أى ماخاؤون، يا شبيهه الآلهة، فكر كيف تكون نهاية هذا الموقف،
 صرخات المحاربين البواسل تدوى عاليًا عند السفن.
 ٥ لتبق أنت هنا، وأرتشف أنت من كئوس الخمر المتألفة ولتعد لك
 هيكاميدي مجدولة الضفائر حمامًا دافئًا، واغسل عنك بقع الدم.
 بينما سأمضى أنا، نوا، إلى مكان المراقبة؛ لأستطلع الأمر
 ١٠ قال ذلك وأخذ درع ابنه الصقيل
 ثراسيميديس مروض الجياد، ذلك (الدرع) الملقى بالخيام
 يتلألأ عليه البرونز. وكان الابن قد أخذ درع أبيه،
 فأمسك (نيسطور) الرمح البرونزي الحاد المصقول
 ووقف خارج الخيام، فرأى أمامه مشهدًا مشينًا. فهؤلاء (الآخيون)
 يطردون ويتفرقون قلولًا، وأولئك الطرواديون متحجرو
 ١٥ القلوب يطاردونهم، حتى تهدم حصن الآخيين.
 ومثلما يتمخض البحر الهائل متورمًا بموجة هائلة،
 منذرًا مجاريه السريعة (بقدم) رياح عاصفة
 متصاعدًا لا يزال، فلا هو يهرول إلى الأمام، ولا إلى الخلف،
 حتى تهب عاصفة مرسله من زيوس فنقرر الاتجاه.
 ٢٠ هكذا، تحير الشيخ، وكان مشتت الفكر
 قنمة أمران: أن يهرع إلى حشد الدانائيين سريعى الخيول،
 أو أن يقصد أجامنون بن أتريوس راعي الشعب.
 وبينما كان يتفكر، بدا له أنه من الأفضل في هذا (الموقف)
 أن يذهب إلى ابن أتريوس، بينما الآخرون يقاتلون بعضهم البعض،
 ٢٥ ويفز البرونز الذى لا يكل حول أجسامهم
 بينما كان يعصف كل بالآخر بالسيوف والحرايب مزدوجة الرءوس.

- و هناك، التقى نيسٲور بالملوك، من سلالة زيوس،
وكانوا قد أصيبوا بالأسلحة البرونزية، أثناء عودتهم من السفن،
ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أتريوس،
٣٠ فكانوا قد سحبوا كل السفن
إلى الشاطيء، وبنوا سورًا على البر ليحميها
ومع أن الشاطيء كان واسعًا إلا أنه لم يسع كل السفن،
وتكدس المحاربون في مكان ضيق. سحبوا السفن
٣٥ صفاً وراء صف حتى ملأوا فم الشاطيء العريض بأكمله،
والذى تحوطه نتوءات اليابسة.
واندفع (الملوك) جميعهم كجسد واحد متكئين على
رماحهم متلهفين على الحرب والنزال، وقلوبهم تن في صدورهم.
وقابلهم نيسٲور الشيخ قادمين على هذا النحو،
٤٠ فأشاع في قلوب الأخيين رعبًا.
رفع الملك أجاممنون صوته قائلاً:
"أى نيسٲور، يا ابن نيلوس، يا مجد الأخيين العظيم،
لماذا جئت هاهنا تاركًا المعركة الفتاكة؟
أخشى أن يفى هيكتور الهمام بتهديداته
٤٥ التى توعدنا بها سلفًا، إذ كان قد خطب في الطرواديين ذات مرة
مهددًا بأنه لن يرحل إلى إليون من السفن،
قبل أن يحرق السفن بالنار ويقتل من بها^(*).
هذا ما تفوه به، وهذا كله ما سيحقق.
ويحى! إن سائر الأخيين المزودين بالدروع جيدًا
٥٠ يحملون المقت لى، مثلما يحمل أخيلوس،
وليسوا راغبين أن يخوضوا المعركة عند مؤخرات السفن"

(*) راجع الكتاب الثامن بيت ١٨١. (الحرر)

فأجابه نيسطور الفارس الجيرينى:

"حقاً فكل هذه التهديدات قد تحققت ويائت واقعاً،

ولا يستطيع مساعدتنا حتى زيوس نفسه، الذى برعد فى عليائه

٥٥ وا أسفاه! الحائط تحطم، ذلك ما كنا نثق به
ونعده حصناً منيعاً لنا وللسفن.

الحق أن هؤلاء (الأعداء) يشنون عند السفن حرباً

لا هوادة فيها، فلا تستطيع أن تعرف، ولو شاهدت

عن قرب، من أى ناحية يتقهقر الآخيون فى فوضى،

٦٠ يتهاوون قتلى، وصيحات الحرب تبلغ عنان السماء.

أما عنّا، فدعنا نتفكر فيما تعنيه هذه الأمور

لو كان التعقل يجدى نفعاً، فنصيحتى ألا ندخل الحرب.

إذ ينبغى، على الجريح ألا يحارب بأية حال"

وأجابه بدوره أجاممنون ملك للرجال:

٦٥ "أى نيسطور، طالما أن (الطرواديين) يقاتلون وراء السفن

ولا يحمينا الخندق أو الحائط،

فإن العباء على الدانائيين ثقيل، فقد كان الأمل يراودهم

أن يحميهم الحائط المنيع ويحمى سفنهم، ومن ثم،

فظنى أنها مشيئة زيوس الباطش،

٧٠ أن يهلك الآخيون هنا بعيداً عن أرجوس.

أدركت ذلك عندما كان يساعد الدانائيين بكل جبروته

وعرفت ذلك، الآن، وهو يمنح أعدائنا للمجد دوننا،

وكأنهم من الآلهة المباركة، بينما يغل قوتنا وأيدينا.

إذن تعالوا، وكما أمركم، فليطع الجميع أمرى

٧٥ لنمخر بالسفن التى سُحبت فى المقدمة بالقرب من البحر،

وندفعها جميعاً تجاه البحر الإلهى، نربطها هناك،

فى مرسى عائم، إلى أن تحل ليلة مباركة قد يكف فيها الطرواديين،

- عن القتال، وحينئذ، يمكن دفع السفن كلها (إلى البحر)
 ٨٠ فليس فى تجنب الخراب عار
 فالفرار من الهلاك أفضل من الوقوع فى الأسر"
 رماه أوديسيوس واسع الحيلة بنظرة ثاقبة مستنكراً وقال:
 "يا ابن أتريوس، ما ذلك الكلام الذى انفلت من بين أطراف أسنانك؟
 ثبًا لك من رجلٍ، لبتك كنت تقود جيشاً ما آخر مغموراً،
 ٨٥ ولم تكن ملكاً علينا نحن، فزيوس قدّر لنا، ومنذ نعومة أظافرنا
 إلى كهولتنا، أن نخوض غمار الحرب الضروس طيلة حياتنا،
 وحتى الموت. أهكذا أنت مشتاق إلى أن تترك وراءك مدينة
 الطرواديين واسعة الشعاب، والتي من أجلها عانينا شروراً لا تُعد؟
 ٩٠ الزم الصمت خشية أن يسمع أخى آخر
 هذا الكلام، فلن يجرؤ أحدٌ التفوه بمثله مطلقاً.
 جديرٌ بك أن تحرص، ومن قلبك، على التحدث بالحقائق.
 فأنت ملكٌ ذو سلطان، يأتّم له جيش عريض
 من الأرجيين الذين تحكّم فيهم.
 ٩٥ كم احتقر أفكارك تلك التى نطقت بها!
 فأنت تأمرنا، ونحن فى ذروة القتال وصيحة الحرب،
 أن نسحب السفن متينة المقاعد إلى البحر، حتى
 يحقق الطرواديون أملهم، أكثر من ذى قبل. فهم الآن منتصرون
 وربما يحيق بنا الهلاك، فلن يستمر الأخيون فى القتال،
 ١٠٠ بمجرد أن تنزلق السفن إلى البحر، بل سيتلفون هنا وهناك
 وينسحبون من المعركة، إذن ستهلكنا خطتك، يا قائد الجيوش"
 فأجابه أجاممنون ملك الرجال:
 "الحق أنك، بنأنيبك الموجه، لمست قلبى يا أوديسيوس
 ١٠٥ وأؤكد أننى لن أمر الأخيين ضد رغبتهم
 أن يرسلوا سفنهم متينة المقاعد إلى البحر

- ولو أن فيكم، صغيراً كان أو كبيراً،
من هو بمقدوره أن يسدى النصيحة السديدة فسأقبلها"
وخطب فيهم، كذلك، ديوميديس البارع فى صيحة الحرب قائلاً:
- ١١٠ "إنه رجل بالقرب منا، ولن نبحت عنه لوقت طويل،
إذا وافقتم أن تصغوا لى، ولم يعرض أحدكم عنى
أو يغضب منى، إذ إننى الأصغر سنّاً بينكم.
بيد إننى، أفرح بأننى من نسل والد نبيل
هو تيديوس الذى دفن تحت الثرى فى طيبة،
حيث كان قد أنجب بورثيوس ثلاثة أولاد ليس كمثلهم أحدٌ
كانوا يقطنون بليورون وكاليدون المرتفعة
وهم أجريوس وميلاس وثالثهم الفارس أويونيوس
جدى لأبى، الذى يفوقهم بسالة.
- ١٢٠ فبقى (أويونيوس) هناك، واستقر والذى فى أرجوس
التي ذهب إليها، وكانت تلك إرادة زيوس وباقى الآلهة
وتزوج إحدى بنات أدراستوس^(*) وسكن فى قصر
غنى بثرواته، وحقله غنية بالقمح
حوله بساتين كثيرة من أشجار الفاكهة
وأغنام كثيرة، وكان متفوقاً على كل الآخين برمحه.
- ١٢٥ ولابد أنكم سمعتم بذلك وتعرفون أن ما أقوله الحق
أستحلفكم ألا تتحدثوا عنى وكأنى وضيع المولد أو قليل الشأن،
ولا تسفهوا ما سأسديه من رأى، فإنى أصدقكم القول:
هلموا إلى القتال، حتى وإن كنا مجروحين، كما تملى الضرورة
وبعد حين علينا أن ننأى بأنفسنا بعيداً عن الحرب فيما وراء
مرمى القذائف، خشية أن يضاف جرح إلى جراحتنا
ونسارع بإرسال آخرين إلى الحرب، هؤلاء الذين

(*) يرد هذا الاسم عند هومروس هكذا أدريستوس Adrestos، أما ابنته لهى ديپول Deipule. (المحرر)

- فرحوا بكونهم بعيداً، في معزل عن القتال"
 هكذا تكلم، وكانوا صاغرين ينصتون باهتمام
 واتطلقوا راحلين، يقودهم أجاممنون ملك الرجال
 ولم يكن مزلزل الأرض المجيد (بوسيدون) يراقب الأحداث بلا وعى ١٣٥
 بل كان يتتبع خطاهم عن قرب في صورة رجل كهل.
 وقبض على يد أجاممنون بن أتريوس اليمنى
 رافعاً صوته وخاطبه بكلمات مجنحة:
- "يا ابن أتريوس، أرى، فيما أرى، قلب أخيليوس القاسى
 بداخل صدره فرحاً، لرؤية هلاك الأخيين ومرارهم، ١٤٠
 ولم يعد لديه ولو قدر ضئيل من العقل.
 ليت يهلك! ليت الإله يخسف به إلى أسفل سافلين!
 لكن الآلهة المباركة ليست غاضبة منك البتة،
 وبعد قليل سيملاً قادة الطروانيين ورؤساؤهم
 الوادى الفسيح بالغبار، وتراهم بنفسك ١٤٥
 هاربين من السفن والخيام، ناحية مدينتهم"
- قال ذلك ومرع فوق السهل وصاح بقوة،
 وكان صياحه مدوياً، كصياح تسعة آلاف رجل أو ربما عشرة آلاف
 عندما اشتبكوا في معركة إله الحرب (أريس) الضارية.
 كانت صيحة الإله مزلزل الأرض تخرج من صدره مروعة، ١٥٠
 حتى بث قوة هائلة في قلب كل رجل من الأخيين ليحارب
 ويقا تل بمثابة كانت هيرا ذهبية العرش واقفة فوق قمة
 الأوليمبوس تنتظر إليه، وعرفته عندما كان منطلقاً
 ومنهمكاً، هنا وهناك، في المعركة جالبة المجد للرجال، ١٥٥
 فهو أخواها وصهرها أيضاً^(*). وكانت سعيدة من قلبها

(*) في الأساطير تزوجت هيرا من أخيها زيوس آخر بوسيدون. (اغزر)

- كما رأت زيوس جالساً على أعلى قمة إيدا كثير النبايع
 وكان بغيضاً إلى قلبها، حينئذٍ فكرت هيرا المليكة
 ذات العيون الواسعة كعيون المها. كيف يمكنها خداع عقل زيوس
 ١٦٠ حامل الدرع أيجيس، فبدت هذه الخطة لديها هي الأفضل.
 وهى أن تتزين وتتجمل، وتذهب إلى إيدا، لربما يرغب أن
 يرقد إلى جانبها ويحتضن جسدها شهوة،
 ١٦٥ وربما تستطيع أن تغدق نومًا عميقًا لذيذًا على جفنيه وعقله البارع.
 وتوجهت إلى حجرتها التى بناها لها ابنها العزيز
 هيفايستوس، وثبت أبواباً توصل بمزاليق
 خفية على دعائم حتى لا يفتحها أى إله آخر.
 دخلت إليها وغلقت الأبواب الناصعة،
 ١٧٠ وبدأت بأن غسلت، بعطر إلهى (أمبروسيا)
 كل ما يشوب جمال جسدها البديع، وبغزارة دهنته بزيت
 إلهى ناعم فواح شذاه، فاح فعلاً فى أرجاء قصر زيوس برونزى
 العتبات وانذاحت الرائحة تجوب جنبات الأرض والسماء.
 ١٧٥ ملست بالعطر على جسدها الجميل، ومشطت
 شعرها ووضعت بيديها ضفائرها المتألقة
 الربانية الجميلة التى تنساب من رأسها الخالد.
 وألبست نفسها ثوباً ريانياً غزلته
 لها أئينة بمهارة فائقة، ووضعت عليه زخرفاً متأنقاً
 ١٨٠ وثبتت على صدرها مشابك ذهبية،
 وطوّقت نفسها بحزام تكسوه مائة شراية.
 ثم وضعت الأكراط فى أذنيها المتقويتين،
 لآلىء ثلاث يشع منها جمال فائق،
 وغطت الربة المتألقة نفسها بشبكة على شعرها،
 ١٨٥ وعباءة جميلة تضئ مثل أشعة الشمس،

- وارتدت صندلها الجميل فى قدميها البرأقتين.
وما أن انتهت من زينة جسدها،
حتى خرجت من حجرتها، وتوًا نادت أفروديتي
بعيدًا عن باقى الآلهة وتحدثت إليها قائلة:
- ١٩٠ "أى بنيتى العزيزة، ألا تستجيبين إلى ما أسألك إياه؟
أم أنك سترفضين لغضب كامن فى صدرك
إذ أقدم أنا العون للدانائيين، بينما أنت تقدميه للطرواديين؟"
فأجابتها أفروديتي ابنة زيوس:
- "أى هيرا، أيتها الرببة المليكة، يا ابنة كرونوس العظيم
١٩٥ هات ما لديك، إن قلبى ليأمرنى أن أستجيب له
طالما أستطعت ومادام الأمر مما يمكن تحقيقه"
فقلت المعبودة هيرا ذات المكر:
- "امنحيتى، الآن، الحب والرغبة اللذين بهما تقهرين كل الآلهة
٢٠٠ والبشر للفانين. وإنى ذاهبة لأزور الأرض السخية مترامية الأطراف
وأوكيانوس الذى من نسله جاء كل الآلهة^(*)، وتيتيس
الأم فهما من ربيانى فى قصرهما بحب وإعزاز
عندما أخذانى من رياء، حيث دفع زيوس -
بعيد النظر - كرونوس ليقطن تحت الأرض والبحر الهائج.
٢٠٥ إننى ذاهبة لأزورهما ولأهدىء نزاعهما الدائم.
فقد ابتعد كل عن الآخر منذ وقت بعيد وحتى الآن
عن فراش الزوجية وعن الغرام، فإلى قلبيهما وصل الغضب.
وإذا استطعت أن أفتح قلبيهما بكلماتى،

(*) ورد فى محادثة لأفلاطون (Kratylos 402) ما نقل عن أورفيوس أن أوكيانوس كان أدل من تزوج، حيث
زف إلى أخته تيتيس. وهذه الفكرة عن الأوكيانوس (المحيط) النهر الذى يحيط بالأرض بوصفها أسطورة الخلق
genesis ربما تعود لأصول شرقية أو بصفة خاصة مصرية قديمة. (المحرر)

- وأعيدهما إلى فراش الحب متعانقين سيدعوانتى
 ٢١٠ صديقةً أبديةً جديرةً بكونها معبودة"
 فأجابتها أفروديتى الضحوك:
 "أليق أن أقول لك لا، أويصح ذلك؟!"
 أنت يا مَنْ تتامين بين ذراعى زيوس القدير"
 وحلت حزام السحر^(*) من صدرها، وكان سخي التطريز
 ٢١٥ مزركشاً، بكل ألوان الفتنة صنع
 وعليه الرغبة ولذيذ الكلام والإغواء،
 الذى يسلب حتى لب أحكم الحكماء،
 ووضعته بين يديها وتحدثت إليها قائلة:
 "خذى هذا الحزام المزركش الآن، وضعيه حول
 ٢٢٠ صدرك، فعليه نُقش كلُّ شئ، وأعدك
 أنك لن تعودى بغير بغيتك مهما كانت"
 وابتسمت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها لقول (أفروديتى)
 ووضعت الحزام الجميل حول صدرها.
 ثم ذهبت أفروديتى ابنة زيوس إلى مقرها،
 ٢٢٥ بينما وثبت هيرا فى عجالة تغامر قمة الأوليمبوس
 ومرت فوق أرض بيريا وفوق إماتيا الجميلة،
 وأسرعت فوق جبال الفرسان الطراقيين الجلدية
 من أعلى قممها ولم تطأ قدامها الأرض،
 وسارت من أثوس، بعيداً، فوق البحر المتلاطم
 ٢٣٠ فوصلت إلى ليمنوس، مدينة ثواس الربانى،

(*) هذا الحزام الساحر الذى ترتديه أفروديتى (فينوس) ذاع فى الشعر اللاتينى بقول مارتياليس (VI, 13) مخاطباً يوليا بنت عم الإمبراطور "إذا أحب مارس أو مرسل الرعد يوبيتر من جديد، سألتك زوجاتكم الإلهات حزام الجلادية". (المحرر)

فقابلت (إله) النوم (هينوس) هناك، شقيق (إله) الموت (ثاناتوس)
فأمسكته من يده، وخاطبته قائلة:

"أى (إله) النوم (هينوس)، يا ملك الآلهة والبشر جميعًا،
لطالما أصغيت فيما مضى إلى كلامى، فأطعنى الآن أيضًا
وسأدين لك بالعرفان طوال أيامى كلها.

٢٣٥

من أجلي هدهد عيني زيوس البراقطين تحت جفنيه حتى ينام،
بمجرد أن أضطجع إلى جانبه عشقًا.

وسأغرق عليك الهدايا - عرشًا جميلًا لا يفنى

مصنوعًا من الذهب، سيصنعه لك بمهارة هيفايستوس ابنى

٢٤٠

الذى يعرج بساقيه، وسيضع لك مسندًا للتقدمين

من تحته حيث تريح قدميك اللامعتين عليه عند الطعام"

وسرعان ما رد (إله) النوم (هينوس) اللذيذ على الربة:

"أى هيرا، أيتها الربة المليكة، يا ابنة كرونوس العظيم!

إننى أستطيع ببساطة أن أهدهد

٢٤٥

للنوم أى إله آخر من الخالدين، ولو كانت

جداول نهر أوكيانوس ذاتها، تلك التى انحدرت منها الأشياء كلها.

إلا أننى لا أستطيع، بأى حال أن أدنو من زيوس بن كرونوس،

ولا أن أهدهد عينيه إلى النعاس، إلا إذا أمرنى هو نفسه بذلك.

فقد تلقنت منك، فيما مضى، درسًا

٢٥٠

فى ذلك اليوم، حين أبحر الباسل المجيد

ابن زيوس (هرقل)، من إليون، بعدما دمر مدينة الطرواديين

حينئذٍ، هدهدت لك عقل زيوس حامل الدرع أيجيس للنوم

ونثرت حوله غلالة العذوبة، بينما أوغرت أنتِ شرًا فى قلبك

تجاه ابنه وهيجت عواصف من الرياح القاسية على سطح البحر

٢٥٥

وألقيت (بهرقل) بعيدًا عن كوروس (كوس) الآهله بالسكان

بعيدًا عن أحبائه جميعًا، وما أن استيقظ زيوس حتى غضب

- وأخذ يدفع الآلهة، حول قصره، هنا وهناك مستهدفاً إياي
 فى المقام الأول، وكاد يلقي بى من السماء لأتوارى فى المياه
 لولا (إلهة) الليل (نوكس) التى تهدهد الآلهة والرجال
 ٢٦٠ فلجأت إليها هارباً وأنقذتني، وكفّ زيوس عن ملاحقتي رغم غضبه
 الشديد فكان يحترم إلهة الليل (نوكس) السريعة، ولم يكن
 ليمسها بسوء. وها أنت الآن تعيدين الكرة وتأمريني بفعل المحال"
 فقالت المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها:
 "يا إله النوم (هيبنوس)، لم تشغل روحك بمثل هذه الأفكار؟
 ٢٦٥ هل ترى أن زيوس بعيد النظر، سيساعد
 الطرواديين بسبب غضبه من أجل هيراكليس (هرقل) ابنه؟
 تعال، سأزوجك إحدى عرائس الحُسن (خاريتيس)
 وستدعى زوجتك إلى الأبد
 باسيثيا التى تتوق إليها أنت نفسك دوماً"^(٩).
- ٢٧٠ تهلل إله النوم (هيبنوس)، إذ سمع ذلك، وأجابها قائلاً:
 "أحقاً ستفعلين هذا؟!، تعال إذن واقسمى بمياه ستيكس الطاهرة
 وضعى إحدى يديك على الأرض، الأم السخية،
 والمسى البحر النهى بالأخرى، ليشهد كلاهما علينا
 وكذلك الآلهة كلها التى تسكن الكون مع كرونوس.
 ٢٧٥ أيمكن حقاً أن تعطيني إحدى عرائس الحسن (الخاريتيس)
 وأن تكون هي باسيثيا التى، على مر الزمان، أتحرق لها شوقاً"
 قال ذلك، فلم تتوان هيرا الربة ذات الذراع الأبيض،
 فى أن تطيع وتقسم كما طلب منها، وأشهدت الآلهة جميعاً
 ممن يقيمون أسفل تارتاروس ويدعون باسم الجبابرة تيتانيس.
 ٢٨٠ أدت هيرا لإله النوم هيبنوس القسم

(٩) تحذف بعض الطبعات هذا البيت رقم ٢٦٩ وقارن بيت ٢٧٦. (اغرر)

- ثم رحل الاثنان عن ليمنوس وإمبروس
ومضيا متدثرين بالضباب مسرعين فى طريقهما.
وسرعان ما وصلا إلى إيذا كثير الينابيع ومرتع الوحوش
وإلى ليكتوس؛ حيث غادرا البحر أولاً وسارا الاثنان فوق
الأرض الجافة حيث اهتزت قمة الغابة تحت أقدامهما.
هناك، توقف النوم إله هيبنوس لكيلا تلمحه عينا زيوس،
وتسلق فوق شجرة صنوبر شاهقة، وهى أعلى شجرة
نمت، حينئذٍ، على جبل إيذا، وكانت تتجه صوب السماء تتناطح السحاب
هناك، جلس فى الظلام مستتراً بغصون الصنوبر.
واتخذ هيئة طائر عالى الصوت من طيور الجبال،
يعرفه الآلهة بخالكيس (برونزى اللون)، ويعرفه البشر بكيمينديس
(البومة الصغيرة)^(*). وجاءت هيرا مسرعة قرب قمة جارجاروس
حافة (جبل) إيذا الشاهق، فرآها زيوس جامع السحب
ملاً منها ناظره، وما أن وقع بصره عليها
حتى دهم العشق قلبه الحكيم وكأنما هى المرة الأولى التى انسلا فيها
معاً إلى الفراش، وطارحها الغرام الدافئ، على غير علم والديهما^(**)
فتسمر قبالتها وهمس إليها:

- "أى هيرا، ما الذى أتى بك إلى هنا من الأوليمبوس؟
ماذا تبغين؟ إن خيولك ليست معك، ولا حتى عربتك التى تعنيتها"
فأجابته المعبودة هيرا بدهاء الأنثى:
"أتيت لأزور أقصى أطراف الأرض المثمرة
وأوكيانوس منجب الآلهة، وتيثيس أمهم،
فهما اللذان ربيانى فى قصرهما بحب، وإعزاز
أتيت لأزورهما، ولأهدىء نزاعهما الدائم.

(*) الاسم العلمى لهذا الطائر وهو من أكبر وأشرس الطيور الجارحة *bubo maximus*. (المحرر)

(**) يعلق أفلاطون (الجمهورية ٢٩١) على هذه الفقرة. (المحرر)

- ٣٠٥ فقد تباعدا منذ وقت بعيد، وحتى الآن،
عن فراش الزوجية وعن الغرام، فإلى قلوبهما وصل الغضب.
خيولى تقف عند سفح إيذا كثير الينابيع،
لتحملنى فوق اليابسة وفوق مياه البحر.
فما جئت هاهنا من الأوليمبوس إلا من أجلك،
- ٣١٠ خشية أن تغضب منى، فيما بعد، إن ذهبت دون
إذن منك إلى بيت أوكيانوس عميق الانسياب"
فأجابها زيوس جامع السحب قائلاً:
"أى هيرا، تستطيعين أن تذهبي إلى هناك فيما بعد.
أما الآن، فتعال، حتى نسعد ونضطجع معاً عشقاً.
- ٣١٥ فلم يواتنى الشوق إلى ربة أو حتى إلى امرأة
بمثل ما غمر قلبى ويدفعنى لإشباعه الآن.
بل إننى لم أتيتم عشقاً، ولا حتى بعروس إكسيون^(*).
التي أنجبت لى بيريثووس، صنو الآلهة فى المشورة.
ولا شغفتنى حتى داناي، جميلة الكعبين، ابنة أكرسيوس،
- ٣٢٠ التي أنجبت لى بيرسيوس ذائع الصيت بين الرجال أجمعين.
وما همت بابنة فوينيكس (يوروبا) العذراء الشهيرة
التي أنجبت لى مينوس ورادامانثيس الربانى.
ولم أتيتم بسيملى، ولا بالكمينى فى طيبة
تلك التي أنجبت لى هيراكليس الابن الشجاع القلب.
- ٣٢٥ وسيملى التي أنجبت لى ديونيسوس بهجة البشر،
ولا بالملكة ديميتير جميلة الضفائر.
ولم أشغف بليتو المجيدة، بل ولا بك أنت نفسك
بمثل ما أتيتم بك الآن وتتمكنى الرغبة اللذيذة والشهوة الطاغية"

(*) هى ديا Dia وهناك أسطورة على النقيض من ذلك تروى أن إكسيون وقع فى غرام هيرا. (المحرر)

- فقالت المعبودة هيرا بمكر:
- ٣٣٠ "يا أكثر نسل كرونوس هولاً، ماهذا الذى تقوله؟!
إذا كنت حقاً تهفو الآن لمضاجعتى
هنا، فوق قمة إيدا؛ فإن كل شئ هنا مكتشف للعيان.
ماذا لو أن أحداً من الآلهة الخالدة
رأنا نحن الاثنين مضطجعين، وذهب وفضح الأمر للآلهة جميعاً.
- ٣٣٥ حينئذ لن أعود إلى مقرك ثانية،
فبعد النهوض من مضجعى سيمنعنى الحياء.
نكن إذا كانت بك رغبة ويسعد قلبك أن تشبعها،
فثمة غرفة بناها لك ابنك العزيز
هيفايستوس، وقد بنيت أبواباً منيعة على قوائمها.
٣٤٠ فهيا نذهب إلى هناك، ونتحاب، طالما أن العشق يغيثك"
وأجابها زيوس جامع السحب قائلاً:
"أى هيرا، لا تخشى رؤية إله أو إنسان،
فسوف نتدثر بمثل تلك السحابة
الذهبية، التى ربما من خلالها لن يكشف أمرنا أحد
٣٤٥ حتى هيليوس، مع أن أشعته هى الأكثر نفاذاً وإبصاراً"
واحتضن ابن كرونوس زوجته بذراعيه،
وأثبتت الأرض المقدسة من تحتها
براعم عشب تنمو، ورفعها اللوتس الندى والزعفران والزنبق
عن الأرض، وهناك اضطجع الاثنان متدثرين
٣٥٠ بسحابة جميلة ذهبية تتساقط منها قطرات من الندى المتكلىء.
هكذا، نام الأب فى هدوء على قمة جارجاروس،
وغلبه النوم والعشق محتضناً زوجته بين ذراعيه.
وشرع إله النوم هينومس اللذيذ يعدو تجاه سفن الأخيين

- ٣٥٥ حاملاً رسالةً إلى (بوسيدون) طاوى الأرض ومزلزلها.
ووصل إليه وخاطبه بكلمات مجنحة:
- "أى بوسيدون، قدّم العون بقلب مطمئن للدانائيين الآن،
وامنحهم المجد، مع أنه لا يبقى طويلاً، حيث إن زيوس نائم الآن
فقد أسدلت عليه غلالة النوم المعسول
كما أغوته هيرا حتى يضاجعها عشقاً"
- ٣٦٠ قال (النوم) ذلك وارتحل إلى قبائل الرجال المجيدة
بعدهما ألح في تشجيع (بوسيدون) على أن يسدى العون للدانائيين،
وتقافز بين صفوف المقدمة وصاح عاليًا:
- "أيها الأرجيون، هل نتخلى عن النصر هكذا مرة أخرى
لهيكتور بن برياموس، حتى يأخذ السفن ويفوز بالمجد؟
لا، وإن قال ذلك وتبيح بأنه الواقع مادام
أخيليوس يركن إلى السفن المجوفة وقلبه ملىء بالغضب.
فأبداً، لن يكون افتقادنا له وبالاً ماحقاً،
إذا تشجعنا نحن الباقين ومددنا يد العون لبعضنا البعض.
- ٣٧٠ تعالوا أطيعوا الأمر جميعاً
هيا نسلح أنفسنا بأفضل ما فى الجيش من دروع متينة،
ونغطى رعوسنا بخوذات زاهية
ونقبض بأيدينا على أطول الرماح،
ونمضى إلى هدفنا، وسوف أكون قائدكم على هذه الطريق
لا أحسب أن هيكتور بن برياموس سيبقى طويلاً، مهما تكن لهفته.
- ٣٧٥ دع الظامىء للحرب ولديه درع صغير على كتفه
يعطيه للأقل منه إقداماً، وليس له نفسه بدرع أكبر"
هكذا تكلم، فأصاخوا السمع إليه وأطاعوه
ونظّم الملوك أنفسهم، رغم أنهم كانوا مجروحين،

- ٣٨٠ في صفوف: ابن تيديوس وأوديسيوس وأجاممنون بن أتريوس
وتخللوا الجيش كله واستبدلوا أسلحة القتال
وارتدى المحارب القوى أسلحة قوية، وأعطوا الأقل
إقدامًا الأقل متانة. وما أن كسوا أجسامهم بأسلحة براءة،
حتى تقدموا يقودهم بوسيدون مزلزل الأرض
- ٣٨٥ ممسكاً بيده القوية سيفاً طويلاً حاداً
يشبه البرق، لا يسمح لأحد أن
يواجهه في نزال فتاك، بل يولى الرجال الأذبار رعباً منه.
ونظم هيكتور المجيد الطرواديين صفوفاً على خط المواجهة.
والحق، أن بوسيدون ذا الشعر الأزرق الداكن وهيكتور المجيد
- ٣٩٠ كانا يشدان حبل الصراع الفتاك
أحدهما يقود الطرواديين والآخر الأرجبيين.
وفاض البحر نحو خيام الأرجبيين وسفنهم،
واشتبك الطرفان وعلا الصخب المدوي،
حيث لم تهج بمثله أمواج البحر المتلاطمة
- ٣٩٥ على الشاطئ، تدفعها رياح الشمال بورياس الجارفة.
ولم يزار، أيضاً، زفير النار المستعرة عند شعاب الجبل بمثله،
عندما تتدلج (السنة للهب) لتحرق الغابة.
ولم تزق الرياح بين أغصان الصفصاف العالية بمثله،
تلك الرياح التي تزار في غضبها أيما زئير.
- ٤٠٠ هكذا كان صباح الطرواديين والآخيين
بمثل هذا الفرع منقضين، كل فريق على الآخر.
فطعن هيكتور المجيد أياس في البداية برمحه
مجرد أن استدار نحوه، ولم يخطئه
لكنه أصابه عند الحمالتين؛ (حمالة) درعه و(حمالة) سيفه
- ٤٠٥ المزدانين بالفضة، الممتدتين عبر صدره

- فصدت (الحمالتان) الطعنة عن جلده الرقيق، فاستشاط
هيكاتور غضباً لأن رمحه السريع طار من بين يديه هباءً.
عاد ليندس بين رفاقه متجنباً مصيره
وبينما هو عائذ، قذفه أياس التيلاموني الباسل
٤١٠ بحجر، حيث كانت هناك أحجار كثيرة، تتدحرج بين
أقدامهم وهم يتقاتلون وبها يسندون مراسى السفن عند الشاطئ،
فرفع حجراً منهم عالياً ورمى (هيكاتور) فى صدره أعلى طرف ترسه
على مقربة من عنقه، فجعله، من شدة الضربة، يلف ويدور حول نفسه
كدوامة. وكما تسقط شجرة بلوط اقتلعتها صاعقة من الأب زيوس،
٤١٥ فيصعد منها دخانٌ كبير يتي بشمع.
والحق أن الشجاعة حينئذٍ لا تعود بنفع لمن ينظر (للدخان)
ويقف منه عن قرب، فكم هى بشعة صاعقة زيوس الأعظم!
هكذا سقط هيكاتور القوى منبطحاً للأمام على الأرض فى التراب،
وسقط من يده الرمح، أما الترس فتخبط فوقه
٤٢٠ ومعه الخوذة، ومن حوله صلصلت أسلحته البرونزية.
وأسرع إليه أبناء الأخيين بصياح مدهى
أملأ فى أن يسحبوه بعيداً، وأن يمتطروه بالرمح.
لكن هيهات أن يُجرَح أحد راعى الجيش
بطعنة أو برمىة؛ فقبل حدوث ذلك، وقف شجعان (الطرواديين) لحمايته
٤٢٥ بوليداماس وأينياس وأجينور الربانى
وساربيدون قائد اللوكيين وجلاوكوس الذى لا نظير له.
ولم يهمله أحدٌ من الباقين، بل رفعوا دونه
دروعهم المستديرة، وحمله رفاقه على أذرعهم
وأبعدوه عن ساحة الوغى، حتى وصل إلى الخيول سريعة العدو
٤٣٠ التى كانت تقف فى انتظاره خلف (ساحة) المعركة والصراع
بسائقها وعجلاتها الحربية رائعة الزخرف.

- ثم حملوه إلى المدينة وهو بين بمرارة
ولما وصلوا إلى مخاضة النهر جميل الانسياب
كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد
٤٣٥ حملوه هناك من العجلة الحربية إلى الأرض،
وسكبوا فوقه ماءً فعاد إلى وعيه، ونظر بعينه لأعلى
وتقياً دماً قاتماً، مرتكزاً على عقيبه،
ثم ارتمى على الأرض وغشى ليلٌ حالكةٌ
عينيه، فالضربة كانت لا تزال تجتم على روحه.
٤٤٠ وعندما رأى الأرجيون هيكتور محمولاً بعيداً عن المعركة.
ازدادوا هجومًا على الطرواديين واستعادوا متعة القتال.
فى البدء، هجم أياس السريع بن أوليوس
على ساتنيوس وجرحه بطعنة من رمحه الحاد،
حتى إن ابن إيتويس (ساتنيوس) الذى أنجبه إحدى العرائس الفريدة
٤٤٥ لإينوس، بينما كان يرعى قطعانه بجوار ضفتي (نهر) ساتنيويس،
دنا منه ابن أوليوس (أياس) الشهير برمحه
قطعنه فى خاصرته، فسقط للخلف ومن حوله
اشتبك الطرواديون والدانائيون فى صراع دام.
فأتى إليه بوليداماس بن بانثوؤس البارع فى رمى الرمح ؛ ليدافع عنه
٤٥٠ فقذف (الرمح) وأصاب كتف
بروثونينور بن أريليكوس اليمنى وغاص الرمح القوى
فى كتفه، وسقط على التراب كابشاً براحته الأرض.
فتهلل بوليداماس وصاح بتبجح عاليًا:
"يبدو أن الرمح لم ينطلق مرة أخرى هباءً من يد
٤٥٥ ابن بانثوؤس (بوليداماس) القوية، شديدة البأس،
بل تلقاها أحد الأرجيين فى لحمه، وأحسبه
سيتركىء عليه كعصا وهو ذاهب إلى مقر هاديس"

- وما أن تكلم (بوليداماس) حتى حل الحزن بالأرجيين
بسبب تيجحه وأثار على نحو خاص حفيظة البارح أياس
٤٦٠ بن تيلامون، فذلك الذى هوى كان منه قريبًا.
فأسرع وقذف الآخر (بوليداماس) برمحه البراق بينما كان يتراجع
وقد أفلت بوليداماس نفسه من المصير الأسود
بأن قفز جانبًا، إلا أن أرخيلوخوس
بن أنتينور تلقى الرمح، وقد قدر الإله الموت له.
٤٦٥ فأصابه الرمح عند ملتقى الرأس بالعنق،
عند أعلى فقرة من العمود الفقارى، فهناك العصبين كليهما
فوقع فى الحال، وارتطم بالأرض رأسه وفمه
وأنفه، قبلما تصل ساقاه وركبته.
نادى أياس عاليًا على بوليداماس الذى لا مثيل له:
٤٧٠ "أى بوليداماس، فكر، وقل لى صراحةً
ألا يستحق هذا الرجل أن يُقتل انتقامًا
لبروثينور؟ فهو لا يبدو لى حقير الشأن ولا وضيع
المولد، لكنه أخ أو ابن لأنتينور مروض الخيول
فهو أكثر شبهاً به فى البنية"
- ٤٧٥ هكذا قال، وكان يعرف (الحقيقة) كلها تمامًا،
فتملك الأسى قلوب الطرواديين، وما كان من أكاماس، إذ كان
يقف فوق جثة أخيه (أرخيلوخوس) إلا أن ضرب بروماخوس
البويوتى، برمية من رمحه، إذ نوى أن يجر الجثة من القدم، وتهلل
أكاماس بفضاظة وصاح عاليًا ومتباهيًا:
"أيها الأرجيون، يا محبو القوس، يامن لا تشبعون تهديدًا ووعيدًا
٤٨٠ انظروا، لن يكون الأسى والحزن من نصيبنا وحدنا،
بل إنكم أيضًا ستعانون القتل بالمثل.

- انظروا كيف يرفد بروماخوس مقهوراً برمحي،
حتى لا يبقى طويلاً دم أخي المسفوك بلا انتقام
ولهذا، إنما يتمنى الرجل
٤٨٥ أن يخلفه أحد أقاربه في بيته ليصد عنه الأذى"
وما أن تكلم حتى لحق بالأرجيين الحزن لتهلله وزهوه
فأثار على نحو خاص روح بينيليوس الحكيم
فاندفع نحو أكاماس الذي لم يصمد أمام هجوم الأمير بينيليوس.
ولكن الرمح أصاب إليونيوس
٤٩٠ بن فورباس الغنى بالقطعان، والذي أحبه هرميس
من بين الطرواديين أجمعين، ومنحه الثروة
وأنجبت الأم له طفلاً وحيداً (من هرميس) هو إليونيوس.
طعنه بينيليوس أسفل جبينه، عند قاع العين
٤٩٥ فاقتلع مقلته، ونفذ الرمح خلال الحذقة حتى قفاه، انطرح باسطاً
يديه كئيبهما، وسحب بينيليوس سيفه الحاد وضربه
بقوة على عنقه، فأسقط رأسه على الأرض بالخوذة
وبات الرمح النافذ منتصباً في عينيه.
ورقعها (بينيليوس) لأعلى كزهرة خشخاش على ساقها
٥٠٠ وعرضه على الطرواديين وتهلل بزهو قائلاً:
"أيها الطرواديين، أرجو أن تبلغوا العزيز والد إليونيوس
المبجل ووالدته أن ينتحبا في بيتهما،
فلن تسعد زوجة بروماخوس بن أليجينور بمجىء
زوجها العزيز، بينما تعود نحن شباب
٥٠٥ الأخيين بسفننا من أرض طروادة"
قال ذلك، فتملك الارتجاف أطرافهم جميعاً
وأخذ كل رجل يحملق ليرى كيف يمكنه أن يهرب من الهلاك المؤكد

- خبرتني، الآن، ياربات الفنون (الموساي)، يا مَنْ تَقطن
الأوليمبوس مَنْ كان أول الآخيين الذي يسلب غنائم المحاربين المملوطة
بالدم إذ بدّل مزلزل الأرض الشهير، وفجأةً، (مجرى) القتال؟
٥١٠ الحق أن أياس بن تيلامون كان الأول، فقد ضرب هيرتيوس
بن جبرتيوس قائد الميسيين شجاعان القلوب.
وجرد أنتيلوخوس كلاً من فالكيس وميرميروس (من أسلحتهم).
أما ميريونيس فقتل موريس و هيبوتيون.
٥١٥ كذلك تيوكروس فنهب بروثوون وبيريغيتيس.
وضرب ابن أترس بعد ذلك هيبيرينور راعى الشعب برمية
في جنبه، حتى غاص البرونز في أحشائه عندما اخترقها
وتصاعدت روحه لاهثة من خلال الجرح القاتل، وطوى الظلام عينيه
لكن أياس السريع ابن أوليوس قتل أكثر (من سواه)،
٥٢٠ فلم يكن له مثيل في النضال، في سرعة قدمه
وسط حشد الرجال، عندما نشر زيوس الرعب بينهم.
٥٢٢

١٠

الكتاب الخامس عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

- وعندما مرَّ الطرواديون بالتحصينات وبالخندق هاربين،
وسقط العديد تحت أيدي الدانائيين،
حينئذٍ، ترقفوا إلى جانب عجالتهم الحربية وقد شحب لونها
خوفاً ورعباً. نهض زيوس
فوق قمة إيدا من مرقدته إلى جوار هيرا ذهبية العرش،
نهض واقفاً، فرأى الطرواديين والآخيين.
وكان (الطرواديون) فى فوضى يدفعهم الأرجيون
من خلفهم، وبينهم يقف الإله بوسيدون.
كما رأى هيكتور ملقى على السهل، ويجلس أصدقاؤه
حوله، يلهث بأنفاس متألّمة ومشتت الذهن
ينقياً دماً، فلم يكن الذى ضربه هو أضعف الآخيين.
وعندما رآه، أبو الآلهة وأشفق عليه
وتحدث إلى هيرا وهو يرمقها بنظرة عابسة من أسفل حاجبيه:
"أى هيرا، أيتها العنيدة، يا له من خداع بارع شرير،
أقعدت به هيكتور الربانى عن القتال ودحرت جيشه.
ولكن قد تكونين أنت أول من يجنى ثمار
خداعك الآثم، سوف أجلدك بالسوط.
هل تتذكرين يوم أن علقتك من عل،
وفى قدميك ربطت حجرتين، وحول معصميك سبكت
سلسلة من الذهب لا تنكسر؟ تديت فى الهواء بين السحب
واشند سخط الآلهة، فى أرجاء الأوليمبوس الشاهق،
ولكنهم لم يستطيعوا أن يدنوا (منك) ويفكوا وثاقتك، ومَنْ أمسكته منهم
ألقيت به من حدود (مملكتي) ليرتطم
بالأرض بلا حول ولا طول. ولم يكفى ذلك، ولم يخفف آلام القلب
الدائمة، على ما أصاب هرقل الإلهى

- الذى، عندما تحالفت مع رياح الشمال بورياس وأقنعتها بالهيبوب،
دفعت به إلى البحر الهائج بتدبيرك الشرير،
وقذفت به بعيداً إلى كوس الأهله بالمكان.
ومن ذلك المكان أنقذته أنا وجئت به إلى أرجوس
مرعى الجياد، بعدما قاسى أهوالاً كثيرة^(*). إننى أذكرك، ثانية،
بهذه الأشياء لربما تكفى عن المكر، وسترين، توأ، ما إذا كانت
مداعباتك
الغرامية ستفيدك عندما جنت إلى ومارسنا الحب، بعيداً عن الآلهة،
لقد كان كل ذلك خداعاً منك"
قال ذلك، فارتجفت المليكة هيرا واسعة العينين كالمها
وتحدثت إليه بصوت مرتعد:
"الآن، لتشهد الأرض (جايا)، وكذلك السماء (أورانوس) الرحبة
ومياه ستيكس المتدفقة،
فهذا هو القسم الأعظم قداسة لدى الآلهة المباركة،
أقسم برأسك المقدسة، ومضجعنا نحن الاثنين،
الذى لا أستخف بالقسم به ،
أن بوسيدون مزلزل الأرض لم يدحر الطرواديين،
ولم يؤذ هيكتور، ولم يساعد أعداءهم بإيعاز منى.
كلاً، أحسب أنها روحه التى ألحت عليه وأمرته بذلك.
فهو قد رأى الأخيين مهزومين بخزي إلى جوار سفنهم وأخذته بهم
الشفقة. بل إنى أخبرك بأننى نصحته بأن يسير فى هذا الدرب
الذى تشير عليه أنت، يا مليك السحاب"
فتبسم أبو الآلهة والبشر عندما سمع ذلك
وأجاب بكلمات مجنحة قائلاً:

(*) إشارة ضمنية للأعمال الاثني عشر التى قام بها هرقل. (الحرر)

"لو صدقت حقاً نيتك يا هيرا، يا مليكتي واسعة العينين كالمها،

- ٥٠ بما ينفق مع نيتي، عندما تجلسين بين الآلهة الخالدين،
سيغير بوسيدون رأيه سريعاً ليتبع ما في قلبك
وقلبي، مهما تعارضت رغبته معنا.
وإذا كنت حقاً صادقة في قولك
فلتذهبي، الآن، إلى جماعات الآلهة، واطلبي
- ٥٥ إيريس أن تأتي إلي هنا، وكذلك أبوللون الشهير بقوسه
ذلك لكي تجوس إيريس بين جيوش الأخيين
لابسى الأسلحة البرونزية، وتأمر الإله بوسيدون
أن يكف عن القتال، وتأخذه إلى بيته.
أما فويوس أبوللون، فليحث هيكتور على القتال
وليبت فيه القوة من جديد، وينسيه آلام قلبه
- ٦٠ الموجعة، حتى يقهر الأخيين مرة أخرى،
بأن يثير فيهم الرعب والجبن،
حتى يهربوا مدحورين بين سفن أخيليوس بن بيليوس
ذات المقاعد الكثيرة. وبدوره سيرسل صديقه
باتروكلوس الذي سيفتله هيكتور المجيد
- ٦٥ برمح أمام إليون، بعدما يكون هو نفسه قد قتل
محاربين صناديد كثيرين، من بينهم ابني سارييدون الإلهي.
وسوف يقتل أخيليوس الإلهي هيكتور، غضباً لمقتل
صديقه باتروكلوس. ومن الآن فصاعداً، سأجعل الطرواديين
يتقهقرون بعيداً عن السفن، حتى يفتح الأخيون
- ٧٠ إليون الشاهقة عملاً بنصائح أثينة.
وحتى ذلك الحين، لن أكبح جماح بطشي، ولن أسمح بأن يقدم
أى (إله) آخر من الخالدين، العون للدانائيين

- ٧٥ إلى أن تتحقق رغبة ابن بيليوس (أخيلوس)،
كما وعدت في البداية وأومت كذلك برأسى،
يوم أمسكت الإلهة ثيتيس ركبتي متوسلةً
أن أمجد أخيلوس مدمر المدن"
- تابعت هيرا بيضاء الذراعين بانتباه شديد كلمات (زيوس)
وانصاعت لها، وأسرعت من جبال إيدا وحتى الأوليمبوس الشاهق
٨٠ منطلقة كما تنطلق أفكار عقل رجلٍ رجلٍ
إلى أراض بعيدة، يتفكر بقلب حكيم
"ليتني أكون هنا أو هناك"، وكثيرة كانت الأمانى التى راودته.
هكذا، انطلقت المعبودة هيرا فى لهفة
ووصلت إلى الأوليمبوس الشاهق، فألقت الآلهة الخالدين
٨٥ مجتمعين فى بلاط زيوس، وعندما رأوها
قاموا وحيوها بكنوس الترحاب.
ومن جانبها، أهملت الآخرين، وتناولت الكأس
من تيميس جميلة الوجنات، فهى أول من همّت
لاستقبالها، وحادثتها بكلمات مجنحة:
٩٠ "لماذا جئت يا هيرا كالمذهولة؟
لابد أن ابن كرونوس زوجك قد أفزعك"
فأجابتها المعبودة هيرا بيضاء الذراعين:
"لا تسألينى، أيتها الإلهة تيميس، عن هذه الأشياء، فأنت
نفسك تعرفين طبيعة مزاجه، فكم هو متعطر متعجرف!
٩٥ لكن أبدئى المأدبة المقدمة للآلهة فى القصر،
وستسمعين هذه الأشياء وسط الخالدين أجمعين،
ستسمعين أى أعمال سيئة يعلنها زيوس، أحسب

- أنها لا تسر قلب أى فرد من البشر أو الآلهة،
حتى لو كان هناك مَنْ هو سعيد الآن"
- ١٠٠ وما أن قالت المعبودة هيرا ذلك حتى جلست
واستشاط الآلهة غضبًا فى منزل زيوس، لكن (هيرا) تيسمت
بشفيتها، ومن فوق حاجبها الداكنين لم يتراخ جبينها المقطب
وتحدثت بينهم جميعًا فى قنوط:
"يا لنا من حمقى، حتى فى حمقنا نغضب من زيوس،
١٠٥ لكننا دائمًا ما نشتاق إلى أن نتقرب منه، ونعوق إرادته
إما بالقول أو بالجبروت، بينما هو يجلس بعيدًا لا يبالي
ولا يهتم، فهو يعلن أنه بين الآلهة الخالدة
هو الأكثر قوةً وقدرةً بلا منازع.
وبناءً عليه، فأنتم أنفسكم قانعون بالشر الذى يلقى به أيًا منكم
وأحسبه، الآن، يضمر شرًا لأريس."
١١٠ هلك ابنه فى المعركة، وهو أعز الرجال
إسكالافوس الذى زعم أريس بقوة أنه ابنه"
براحتى يديه لطم أريس على فخذه، إذ سمع ذلك،
وتكلم منتحبًا :
١١٥ "لا تلومونى، الآن، يا من تسكنون الأوليمبوس،
إذا ذهبت إلى سفن الأخيين وانتقمت لمقتل ابنى،
حتى وإن كان قدرى أن أضرب بصاعقة من زيوس
وأرقد هناك فى الدم والتراب بين الجثث"
وما أن قال ذلك، أمر (إله) الرعب (ديموس) و(إله) الخوف
١٢٠ (فوبوس) أن يسرجا خيوله، أما هو فقد أيس أسلحته البراقة
حينئذٍ كاد ينشب نزاع أعظم وغضب لم يسبق له مثيل

- ما بين زيوس وياقى الخالدين، إن لم تسرع أثينة
عبر البوابة، يتملكها الخوف على الآلهة
أجمعين، إذ كانت قد غادرت العرش الجالسة عليه
وأخذت الخوذة من فوق رأس آريس وكذلك الدرع من
١٢٥ كنفه، كما أخذت الحربة البرونزية من يديه القويتين
ووضعتها جانباً، ثم وبخت آريس الغاضب بالكلمات:
"أبها المجنون مختل العقل، أودى بك الغضب
حقاً فلك أذنان لا تسمعان شيئاً، ولا إدراك لديك ولا حياء
ألم تسمع ما قالته الربة هيرا بيضاء الذراعين
١٣٠ بعد أن عادت من حضرة زيوس الأولمبى متذ هنيهة؟
هل تزمع أن تكمل الويلات الكثيرة
وأن تعود بالخزى مكرهاً إلى الأولمبوس، وأن تجلب
علينا جميعاً الشر الأعظم؟
١٣٥ إنه سترك لتوه الطرواديين شديدي الهمة، والآخين
ويسرع إلى الأولمبوس لكى يقهرنا نحن هنا أجمعين،
سيبطن بنا جميعاً، المذنب وغير المذنب، على حد سواء
لذا، أنصحك بالتخلص من غضبتك من أجل ابنك الآن.
فكثيرون ممن يفوقونه بأساً وقوة قد قُتلوا
١٤٠ من قبل، أو سيفقتلون يوماً ما، ومن العسير
أن تصون البشر ونسلهم جميعاً"
قالت ذلك وأجلست آريس الجامح على العرش
حينئذٍ دعت هيرا، أبوللون إلى خارج القصر،
وكذلك إيريس رسول الآلهة الخالدة
١٤٥ وتحدثت إليها بكلمات مجنحة قائلة:
"يامر زيوس كليكما أن تذهبا إلى إيذا بأقصى سرعة

- وما أن تصلا إلى هناك، وتريا وجه زيوس
امتثلا، حينئذ، إلى ما يحكم به و يأمر"
وعندما قالت المليكة هيرا ذلك، عادت ثانية
وتربعت على عرشها، وانطلق كلاهما مسرعين
١٥٠ حتى بلغا إيذا كثيرة الينابيع وأم الوحوش.
فألفيا ابن كرونوس بعيد النظر جالسا على قمة جارجاروس،
تحوم حوله سحابة فواحة من شذى البخور .
دنا الاثنان من حضرة زيوس جامع السحاب
وإذ رأهما، لم يتقد قلبه غضبا
١٥٥ لأنهما اتبعا على الفور أوامر زوجته العزيزة.
في البداية خاطب إيريس بكلمات مجنحة:
"أى إيريس السريعة، انهضى واذهبى إلى المليك بوسيدون،
خبّريه بكل هذه الأشياء، واحذرى أن تكون رسالتك كاذبة.
١٦٠ مريه أن يكف عن القتال ويتوقف عن الحرب،
وأن يذهب ليلحق بجماعة الأرباب أو ينزل إلى البحر الإلهي.
وإن أغفل أوامرى ولم يمتثل لها،
حينئذ، قدعيه يفكر بعقله و قلبه،
فهو لا يملك من الشجاعة، مهما يكن قويا، ما يواجه به
١٦٥ هجمتى، وأعلن أننى أفرقه قوة،
وأنى أكبر منه سنا، إلا أن الكبرياء تركب قلبه العزيز
فيعد نفسه مساويا لى، و(أنا) الذى يهابه الآلهة الآخرون"
وما أن قال ذلك، حتى انصاعت للأوامر وانطلقت إيريس السريعة
ممتطية الريح، أن تنصاع فهبطت من تلال إيذا إلى إليون المقدسة.
١٧٠ وكما تنطير ننف الثلج، أو وابل الصقيع من السحاب
مدفوعة بزوبعة من الرياح الشمالية (بورياس) التى تهب عبر أنثير

- شفيق، هكذا انطلقت يمثل هذه الهمة إيريس السريعة، متلهفة
ودنت مخاطبة مزلزل الأرض الشهير:
- "أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، لقد جئت
إليك هاهنا برسالة حاملة إياها من زيوس حامل الدرع أيجيس. ١٧٥
إنه يأمرك أن تكف عن الحرب والقتال،
وأن تذهب لتلحق بجماعة الأرباب أو تنزل إلى البحر الإلهي.
أما إذا عصيت أوامره، ولم تطعها
فإنه يهدد بأنه سيأتى إلى هنا بنفسه ويضع قوته
ضدك فى المعركة، ويأمرك بأن تتأى بنفسك بعيداً عن ١٨٠
يديه، فهو يعلن أنه يفوقك قوة بكثير،
وهو الأسبق مولداً، ومع ذلك فإن قلبك العزيز لا يتورع
عن الإعلان بأنك تضارعه، وهو من تهابه الآلهة الآخرون"
استشاط مزلزل الأرض الشهير غضباً وتحدث إليها قائلاً:
- "تبا، فرغم أنه قوى حقاً، فهو يتحدث بصلف، ١٨٥
وكانه يستطيع أن يقهر بالقوة من يعادله جلالته.
فنحن إخوة ثلاثة، أنجبنا كروتوس وريا:
زيوس، ثم أنا، وثالثنا هاديس، وهو ملك الأموات من تحتنا.
قسمت بيننا نحن الثلاثة كافة الأشياء، وتعين لكل منا نصيبه.
وعندما ضربت القرعة، كان البحر الرمادى نصيبى ١٩٠
ليصير مسكنى إلى الأبد. وفاز هاديس بالظلام الدامس،
بينما كانت السماء الشاسعة وسط الأثير والسحاب لزيوس.
وبقت الأرض والأوليمبوس الشاهق مشاعاً لنا جميعاً.
وبالطبع لن أذعن لزيوس مهما يكن قوياً
دعيه يقيم فى سكينته فى نصيبه الخاص به، ١٩٥
ولا يحاول أن يرهبنى ببطش يده، كما لو كنت جباناً.

- فالأفضل له أن يوجه تهديداته إلى أبنائه و بناته،
فهم الذين أنجبهم هو نفسه
وينصاعون إلى كل ما يأمر به مكرهين"
- ٢٠٠ فأجابته إيريس السريعة، ممتطية الريح:
"أى طاوى الأرض، أيها الإله داكن الشعر، أيجب حقاً
أن أحمل إلى زيوس هذه الرسالة الخشنة والعنيدة؟
ألم تتغير بعد؟ فقلوب الأخيار تلين
وإنك لتعلم كم تنساق الإيرينيات لصالح الأكبر"
- ٢٠٥ فأجابها مزلزل الأرض بوسيدون:
"أيتها الإلهة إيريس، لقد قلت شيئاً طيباً وبحكمة.
هذا شيء رائع حقاً، أن يكون للرسول قلب واع،
إذ يزعم زيوس أن يوبخنى بكلمات قاسية،
بيد أن أماً ثقيلاً حط على قلبي وعقلي
- ٢١٠ أنا الذى نلت نصيباً معادلاً لنصيبه فى التكريم وفى القسمة.
وسأخضع هذه المرة، رغم حنقى عليه،
وسأخبرك بشيء آخر، إذ سأعلن الوعيد الذى بقلبي
فإذا كان سيدافع عن إليون الشاهقة ويحول دون تدميرها -
رغمًا عنى، وعن أثينة حاصدة الغنائم،
وعن هيرا، وعن هرميس، وعن الملك هيفايستوس،
وإذا كان لن يمنح الأرجيين قوة عظيمة
قليلعلم أنه سينشب بيننا غضب لن يهدأ"
- وما أن قال مزلزل الأرض ذلك تاركاً حشد الأخيين
حتى أسرع نحو البحر، وقفز فيه فافتقده الأبطال الآخيون.
- ٢٢٠ ثم خاطب زيوس جامع السحب أبوللون هكذا:

- "أيها العزيز قويوس، اذهب، الآن، إلى هيكتور ذى الخوذة
البرونزية فقد ذهب، الآن، طأوى الأرض ومزلزلها
إلى البحر الإلهى متحاشياً غضبنا الشديد
وإلا لسمع الآخرون ضوضاء نزعنا
٢٢٥ حتى ألهة العالم السفلى مع كرونوس.
ولكن كان ذلك هو الأفضل لكلينا، لى وله،
حيث رضخ لقوة يدى، رغم غضبه
وإلا لما انتهى الأمر دون تعب.
لكن، أمسك الدرع المصقول (أجيس) فى يدك،
٢٣٠ ارفعه عاليًا وهزه بعنف لترهب به الأبطال الأخيين.
أما أنت يا بعيد القذائف، ليكن هيكتور المجيد
تحت رعايتك، وفى أثناء ذلك ابعث فيه قوته الهائلة
حتى يفر الآخيون إلى سفنهم وإلى الهيليسبونطوس.
وبعد ذلك سأتدبر الأمر وماذا أفعل وماذا أقول
٢٣٥ لأرفع عن الأخيين العناء."
وما أن قال ذلك، لم يتوان أبوللون فى طاعة والده
بل هبط فوراً من فوق تلال إيذا كالصقر السريع
قاتل الليمام، وأسرع للكائنات المجنحة.
فوجد هيكتور الإلهى بن برياموس حكيم القلب
٢٤٠ جالساً، فلم يعد راقداً بعد، وقد استرد وعيه،
وتعرف على رفاقه من حوله، وقد توقف لهائه وعرقه،
إذ أحبته إرادة زيوس حامل الدرع أجيس.
فدنا منه أبوللون، بعيد القذائف، وخاطبه:
"أى هيكتور، يا ابن برياموس، لماذا أنت قابع هنا
٢٤٥ بعيداً عن الباقيين وقد خارت قواك؟ قل لى هل أصابك مكروه؟"

فأجابه هيكتور ذو الخوذة اللامعة بإعياء:

"مَنْ مِنَ الآلهة أنت، أيها النبيل يامن تسألنى وجهًا لوجه؟
ألا تعرف أنه بينما كنت أفتك بالمحاربين،

عند مؤخرات سفن الآخيين ضربنى أياس

البارع فى صيحة الحرب، فى صدرى بحجر فقضى على قوتى؟
نعم، عندما كدت ألفظ روحى العزيزة

اعتقدت أننى فى ذلك اليوم سأرى الموتى ومقر هاديس"

فتحدث إليه الملك أبوللون، بعيد القذائف، مرة أخرى:

"تشجع الآن، إنه لقوى ذلك المعين الذى أرسله ابن كرونوس

من إيدا، ليقف إلى جانبك ويحميك،

إنه فويوس أبوللون ذهبى السيف، الذى

طالما حماك من قبل، وحمى القلعة الشاهقة أيضًا.

فلتأت، الآن، ولتأمر سائقى العجلات الحربية الكثيرين

أن يفودوا خيولهم السريعة نحو السفن المجوفة

وسأقدمهم أنا نفسى، وسأشهد الممرات للخيول

كلها وسأجبر الأبطال الآخيين على الفرار"

ولم يكذبته حتى نفث قوة هائلة فى راعى الشعب

ومثل جواد مربوط فى معلفه^(٣)، تغذى جيدًا

وفك قيده، يجرى منطلقًا فى السهل مثلها على الاغتسال

فى النهر رائع الانسياب، صاهلاً ورافعاً رأسه عاليًا،

تميل خصلات لبدته على كتفيه وتحمله مفاصله برشاقة

مزهواً بطلعته البهية، يجرى نحو مأوى الخيول ومراعيها

هكذا كان هيكتور بمثل هذه الرشاقة، يحرك قدميه وركبتيه،

(٣) هذا التشبيه مكرر، إذ سبق أن ورد فى الكتاب السادس أبيات ٥٠٦ وما يليه. (الحرر)

- ٢٧٠ مشجعاً سائقى عجلاته الحربية، عندما سمع صوت الإله.
وكما يحدث عندما يلاحق الريفيون و الكلاب
أيلاً ذا قرون، أو عنزة برية، فتتقذه
منهم صخرة منحدره، أو أيكة ظليلة
فلم يقدر لهم أن يصلوا إلى صيدهم، حينئذ يظهر
- ٢٧٥ على صياحهم فى الطريق أسدٌ أشعث فيجبرهم، جميعاً،
على الفرار عاندين، رغم لهفتهم على صيدهم.
هكذا كان الدانائيون يهاجمون محتشدين
ويضربون بسيوفهم ورماحهم ذات الحدين،
لكن ما أن رأوا هيكتور يهاجم صفوف رجالهم الأمامية
حتى أصابهم الذعر وخرت قلوب كل الرجال فى أقدامهم.
- ٢٨٠ عندئذٍ خطب فيهم ثواس بن أندرايمون خير الفرسان الأيتوليين،
الماهر جداً فى إطلاق الرمح وكان أيضاً باسلاً فى الاشتباك،
وفى الحديث أمام الجمع فى ساحة الاجتماعات وربما لا يفوقه
إلا أقل القليل من الآخيين، عندما يجتهد الشباب فى المناظرة.
٢٨٥ وبنية طيبة تكلم إلى جموعهم قائلاً:
"انظروا الآن، الحق أن ما تراه عيناى هو العجب العجاب!
فكيف قام هيكتور الآن من جديد وتجنب القدر،
بعد أن تمنى قلب كل منا موته على يد أياس بن تيلامون.
- ٢٩٠ لكن أحد الآلهة نجى هيكتور وأنقذه مرة أخرى،
ذلك الذى حل ركب الكثيرين من الدانائيين.
وأحسب أنه سيعيد الكرة مرة أخرى على الفور، فدونما
مشيئة زيوس ذى الرعد المدوى، ما كان (لهيكتور) أن يقف هكذا بطلاً
فى الصف الأول. تعالوا إذن وليطع الجميع ما أمر به
٢٩٥ لنجعل الحشود، الآن، تعود إلى السفن مرة أخرى

- أما نحن، من نزعم أننا الأقوى والأشجع
لنقف ولنكن أول من يصده ويرده
برماحنا المشهورة، فإنه سيهاب من أعماق
قلبه، رغم لهفته، أن يدخل وسط حشد الدانائيين"
٣٠٠ هكذا، تكلم، وأصغوا هم إليه تمامًا وأطاعوه،
فهؤلاء الذين كانوا فى صحبة الثنائى أياس والأمير إيدومينوس
وتيوكروس وميريونيس وميجيس صنو إيريس
نادوا على القادة وصفوا صفوف المعركة
فى مواجهة كل من هيكتور والطرواديين، لكن الحشود
من ورائهم تراجعت إلى سفن الأخيين.
٣٠٥ حينئذ، هاجم الطرواديون فى حشود متلاصقة يقودهم هيكتور
متقدمًا بخطى واسعة، وذهب أمامه فوبوس أبوللون
تطوق كتفيه سحابة، يحمل الدرع الرهيب (أيجيس)
وضاء البريق، المطوق بأهداب شعناء، وهو الدرع الذى أعطاه إله
٣١٠ الحدادة هيفايستوس إلى زيوس ليستخدم فى بث الرعب
بين الرجال، فحملة (أبوللون) فى يديه، بينما كان يقود الجيوش.
وكان الأرجيون فى حشود متلاحمة منتظرين قدومهم،
وقد علت صيحات القتال مدوية من كلا الجانبين، ومن أوتار
الأقواس انطلق وابل الرماح وقد أطلقتها أيد قوية،
٣١٥ فغاص بعضها فى لحم المقاتلين البواسل، والكثير منها لم يصل
إلى اللحم الأبيض، بل طاش ووقع فى منتصف الطريق وانغرس
منتصبًا فى الأرض وسط الطريق، وكلها عطشى للارتواء من النماء.
ومادم فوبوس أبوللون قد أمسك الدرع أيجيس بيديه دونما حركة،
باتت قذائف الجانبين تصل إلى أهدافها، وتساقطت الحشود.
٣٢٠ وما أن حدق (أبوللون) فى وجه الدانائيين سريعى الخيول،

- وهزّ الدرع، وصاح هو نفسه بقوة، حينئذٍ
وهنت القلوب فى صدورهم، وتلاشت قوتهم الشديدة.
ومتلما يحدث لقطع هائل من قطعان الثيران أو الأغنام
إذ يهاجمه وحشان ويطردانه فى فوضى، فى ظلمة
حالكّة، وقد باعته، فى غفلة من الراعى،
هكذا كان الآخيون، إذ أصابهم ذعرٌ لا مُعين عليه.
حيث أحلّ أبوللون بهم الرعب، ومنح المجد للطرواديين ولهيكتور.
عندئذٍ اندلع القتال، وتبارز الرجال
فقتل هيكتور ستيخيوس و أركيسيلائوس.
فكان أولهما قائداً للبيوثيين، أما الآخر
كان رفيقاً وفيّاً لمينيستئوس شديد البأس.
وقتل آينياس ميدون وياسوس،
وكان ميدون ابناً غير شرعى لأويليوس الإلهى
فهو أخو آياس، لكنه أقام فى فيلاكى
بعيداً عن وطنه، ذلك لأنه قتل أحد أقارب
إريوبيس زوجة أبيه، والتي تزوجها أويليوس.
أما ياسوس، فكان قائداً للأثينيين
إلا أنه كان يدعى ابن سفيلوس بن بوكولوس.
وقتل بوليداماس ميكستئوس، أما بوليتيس فقتل إخيوس
فى الجبهة الأمامية للقتال. أما أجينور الإلهى فقتل كلونيوس.
لكن باريس ضرب ديوخوس من الخلف، وهو يهرب فى مقمّة صفوف
المحاربين، ضربه عند أسفل كتفه، وغرس الرمح (فى لحمه). كان
(الطرواديون) على وشك أن يسلبوا الأسلحة عن هؤلاء، فى الوقت الذى
كان فيه الآخيون يندفعون إلى الخندق المحفور المحاط بالتحصينات
فارين مشتتين هنا وهناك، وأرغموا على الاختباء وراء التحصينات.

صاح هيكتور عاليًا ونادى على الطرواديين:

"هلموا إلى السفن، واتركوا الغنائم الملتخة بالدماء،

ومن سأراه مُحجماً عن السفن

سأدبر موته فوراً وفي ذات مكانه، ولن يقدم له

أقاربه أو قريباته حقه الواجب من النار للدفن بعد موته ٣٥٠

بل ستهشه الكلاب أمام مدينتنا"

قال ذلك، وهوى بالسوط على خيوله بضربة قوية ونادى على

الطرواديين عاليًا عبر الصفوف، فاستجابوا له جميعًا بصيحات مدوية.

ومعه ساقوا الخيول التى تجر عرباتهم الحربية

بصخب لا يمكن وصفه، وأمامهم فويبوس أبوللون ٣٥٥

يحطم بقدميه فى يسر حافتى الخندق العميق

ويلقى بهما فى وسطه، فأقام هكذا جسراً

طويلاً وعريضاً بطول مرمى رمح، يقذف به محارب مجرباً قواه.

فتدفقوا عبره فرقاً فرقاً يتقدمهم أبوللون ٣٦٠

حاملاً الدرع أيجيس النفيس، وقد حطم حائط الأخيين

بسهولة، مثلما يبعثر صبي الرمال بجوار البحر لاعباً

مثل طفل، يكوم الرمال أكواماً

ثم يبعثرها ثانيةً بيديه وقدميه وهو يلهو.

بهذه البساطة بعثرت يا فويبوس، يا رامى السهام، أعمال ٣٦٥

الأرجيين وجهدهم، وألقيت الرعب فى نفوسهم.

وعندما مكث (الأرجيون) بجانب سفنهم

وباتوا ينادون الواحد على الآخر رافعين أيديهم،

يبتهل كل منهم بحماس إلى الآلهة أجمعين،

وبخاصة نيستور الجيرينى حارس الأخيين ٣٧٠

- الذى تضرع رافعاً يديه إلى السماء المزدانة بالنجوم قائلاً:
 "أبتاه زيوس، إذا كان أى رجل منا، حتى ونحن لا نزال فى
 أرجوس الغنية بالقمح، قد قدم لك السمين من فخذ ثور أو كبش قرباناً،
 ضارحاً أن يعود، ووعدت أنت حينئذٍ وأومات برأسك
 ٣٧٥ فلتتذكر الآن هذه الأشياء، وقنا، ياسيد الأوليمبوس، من يوم
 لايرحم، ولا تدع الأخيين ينهزمون هكذا أمام الطرواديين"
 هذا ما قاله ضارحاً، فأرعد زيوس ذو النصح السديد بشدة
 عندما سمع تضرع الشيخ المسمن ابن نيلبوس.
 ولما سمع الطرواديون رعد زيوس لابس الدرع أبحيس
 ٣٨٠ اشتد هجومهم على الأرجيين واسترجعوا روح البسالة فى القتال.
 ومثلما تعصف موجة شديدة من بحر مديد،
 بجانبى سفينة، دفعتها قوة الرياح فتزداد الأمواج ارتفاعاً،
 هكذا اندفع الطرواديون فوق الحائط بزئير مدوي
 ٣٨٥ يسوقون خيولهم داخله، ويحاربون عند مؤخرات السفن
 من فوق الخيول برماح ذات حدين فى قتال مضطرم.
 وحارب (الأخيون) من فوق متون سفنهم السوداء التى تسلقوها،
 حاربوا برماح طويلة من تلك التى كانت ملقاة بجوار السفن لأجل
 المعركة البحرية، وكانت (رماح) مقواة مصقولة أطرافها بالبرونز^(١).
 ٣٩٠ وبينما كان الأخيون والطرواديون.
 يتقاتلون، كان باتروكلوس - حول الحائط بعيداً عن السفن -
 جالساً فى خيمة يوريبيلوس المحارب طيب القلب
 يؤنسه بحديثه ويضمّد جرحه المؤلم بدواء، ليلطّف من آلامه الرهيبة.
 ٣٩٥ وما أن رأى الطرواديين متدفعين تجاه الحائط،

(١) كانت هذه الرماح تستخدم لمنع الأعداء من ركوب السفن وكذا للدفاع عن السفن الراسية كما هو الحال

الآن. (المحرر)

ورأى الدانائيين يتراجعون فلولا تولول بصرخات مدوية
تأوه وضرب فخذه براحتى
يديه وصرخ فى فزع قائلاً:

"أى يوريبيلوس، إننى لا أطيق أن أبقى هنا معك،

٤٠٠ رغم شدة حاجتك، فالحق أن قتالاً شديداً لحتدم. دع الخادم يعتنى بك،
أما أنا سأسارع إلى أخيلوس لأحثه على أن يستأنف القتال.
فمن يعلم، إذ إننى، بمعونة الإله، قد أستطيع أن أحث روحه
بكلمات مقنعة؟ فشىء طيب إقناع الصديق"

٤٠٥ قال ذلك، ثم حملته قدماء إلى حيث شاء. وواجه الآخيون
بنبات هجوم الطرواديين، إلا أنهم لم يتمكنوا من
صدهم عن السفن رغم قوتهم
ولم يقو الطرواديون، أيضاً، على أن يخترقوا صفوف الدانائيين
ويشقوا طريقهم وسط الخيام والسفن.

٤١٠ ومثلما ينجح النجار الماهر فى جعل ألواح السفينة مستقيمة،
وذلك فى يد صانع حاذق له معرفة ناضجة بكل أسرار حرفته
وبفضل رعاية أثينة، هكذا تواصل القتال بينهما متساوياً.
قاتل بعضهم بعضاً عند هذه السفن أو تلك.

٤١٥ واتجه هيكتور نحو أياس المجيد
وباتا كلاهما يقاتلان فى كدح حول سفينة (واحدة)،
ولم يفلح أولهما أن يطرد الآخر ويحرق بالنار السفينة،
كما أن الآخر لم يدفعه، إذ كانت تلك مشيئة الإله التى جعلته يقترب.

فأطلق أياس المجيد رمحه، وضرب صدر كاليبور
٤٢٠ بن كليتيوس وهو يحمل النيران إلى السفينة،
فسقط فى صخب وأفلت المشعل من يده.

وما أن رأى هيكتور ابن عمه يهوى

- فى التراب على الأرض أمام السفينة السوداء،
نادى على الطرواديين واللوكيين بصيحة عالية قائلاً :
- ٤٢٥ "أيها الطرواديون واللوكيون والداردانيون المهرة فى الاشتباك
فى المعركة، إياكم أن تتقهقروا فى هذا المأزق،
بل انقذوا ابن كليتيوس، حتى لا يجرده الآخيون
من أسلحته، فقد سقط بين حشد السفن"
وإذ قال ذلك قذف أياس برمحه البراق
- ٤٣٠ فأخطأه. لكن ليكوفرون بن ماستور - حامل دروع
أياس وهو من كثيرأ، و يقطن معه
لأنه كان قد قتل رجلاً فى كثيرأ المقدسة - ضربه (هيكتور)
على رأسه، فأصاب أعلى أذنه بالبروتز الحاد
حين كان واقفاً بالقرب من أياس، فانطرح أرضاً فى التراب،
٤٣٥ وقد هوى من مؤخرة السفينة، وقد تراخت أوصاله واستسلمت للموت.
فارتجف أياس ونادى أخاه قائلاً:
- "أى تيوكروس الطيب، ألا ترى أن خير رفيق لنا قد قُتل،
إنه ابن ماستور، ظل إلى جوارنا وأقام معنا
عندما جاء من كثيرأ، كرمناه فى سكاننا كما نكرم أبائنا،
٤٤٠ قتله هيكتور شديد البأس، فأين سهامك الآن
سريعة الفتك، والقوس الذى أعطاك إياه فويوس أبوللون؟"
وإذ قال ذلك، سمعه (تيوكروس) فأسرع ووقف قريباً من
(أياس) وقبض بيده على قوسه المقوس للخلف، ومعه جعبة
ملينة بالسهم، وأطلق سريعاً رماحه على الطرواديين.
٤٤٥ فأصاب كليتيوس، اللبن المجيد لبيسينور رفيق بوليداماس البن الياسل
لبانثووس، بينما كان ممسكاً بيديه الأعنة، ومنشغلاً بخيوله.

- إذ ساقها إلى هناك، حيث تستخدم المعركة وتلتقى فرق المحاربين في اضطراب لكي يرضى هيكتور والطرواديين. وفي التوجاهه
- ٤٥٠ شرًا مستطير لا يمكن لأى إنسان مهما أوتى من قوة ومهما كانت أمانيه أن يصدّه، فالسهام القاسى انغرس خلف عنقه فسقط عن عجلته الحربية، وانحرفت خيوله جانبًا، وقععت عجلاته الفارغة، وسرعان ما رمقها الأمير بوليداماس، فكان أول من أسرع تجاه الخيول
- ٤٥٥ فسلمها لأستينوؤس بن بروتياؤن وأصدر إليه أمرًا صارمًا بأن يراقب نتيجة المعركة ويجعل الخيول على مقربة منه، بينما عاد هو نفسه واختلط بصفوف المقدمة. ثم صوّب تيوكروس سهمًا آخر على هيكتور ذى الخوذة البرونزية وكاد يقعه عن الحرب عند سفن الآخيين،
- ٤٦٠ ويسلب حياته لو أصابه وهو يستعرض بسالته. لكنه لم يغب عن عقل زيوس المحيط بكل شيء الذى حمى هيكتور، وسلب المجد من تيوكروس بن تيلامون. إذ شد تيوكروس الوتر المجدول بحذق على القوس المتين، وبالفعل صوبه ضد (هيكتور)، وانحنى سهمه المصقول بالبرونز، وانطلق القوس من يده.
- ٤٦٥ إلا أن تيوكروس ارتجف، وخاطب أخاه:
- "ويحى، لقد حسم الإله، هكذا، خطط معركتنا، فأحبطها إذ أوقع القوس من يدي وقطع الوتر المجدول بإحكام متقن هذا الصباح
- ٤٧٠ ليقدر على حمل السهام التى ستنتلق كثيفة منه وسريعة"
- فأجابه أياس العظيم ابن تيلامون:
- "أى صديقى، اترك قوسك، وسهامك الكثيرة كما هى، طالما عطلها إله من الآلهة، حقدًا على الدانائيين.

- وخذ رمحاً طويلاً في يدك، وترساً فوق كتفك
 ٤٧٥ وحارب الطرواديين، ولتلهب باقى الجيش حماسةً.
 فرغم تفوقهم حقاً علينا، فلن يستولوا على سفننا
 متينة المقاعد، دونما قتال، دعنا نسترجع متعة البسالة فى الحرب!"
 وإذ قال ذلك، ترك تيوكروس القوس فى الخيام،
 ووضع فوق كتفيه ترساً رباعياً،
 ٤٨٠ وفوق رأسه القوية خوذة متينة المعدن،
 ذات عرف من شعر حصان، يشيع اهتزاز الريشة من فوقها رعباً
 وأخذ رمحاً قوياً ذا نصل برونزى حاد
 وسار مسرعاً ووقف إلى جانب أياش.
 وما أن رأى هيكتور سهام تيوكروس وقد خابت،
 ٤٨٥ نادى على الطرواديين واللوكيين بصوت جهورى:
 "أيها الطرواديين واللوكيون والداردانيون المهرة فى الاشتباك،
 كونوا رجالاً يا أصدقائى، وتفكروا فى بسالتكم وإقدامكم
 وسط السفن المجوفة، لقد رأيت بعينى حقاً وصدقاً
 كيف خابت، سهام قائد شجاع بتدبير زيوس.
 ٤٩٠ فمن السهل إدراك قدر العون الذى يقدمه زيوس للرجال،
 يدرك ذلك من يهبهم مجد النصر،
 أو من يسليهم إياه، إذ لا يرغب فى مساعدتهم،
 كما هو الآن يضعف قوة الأرجيين، ويمنح العون لنا.
 فحاربوا، أنتم، متحددين فى حشود، عند السفن، ومن
 ٤٩٥ تدركه قذيفة أو طعنة سيف، ويلقى المصير المحتوم
 ليرقد فى سلام، إذ لا يعيبه ذلك الموت من أجل الوطن.
 ولتأمن زوجة (من يموت)، وأطفاله من بعده
 والأمان لمسكنه ولنصيبه من الأرض، فلن يلحقه أذى

- إذا عاد الآخيون بسفنهم إلى وطنهم الحبيب"
- ٥٠٠ ألهب، بقوله حماسة الرجال وأرواحهم بالقوة
ثم عاد أياض وصاح في رفاقه:
- "أيها الأرجيون، يا له من عار، من المؤكد أننا إما
هالكون جميعاً، أو سنجد الخلاص بأن ندفع الخطر عن السفن
فما بالكم لو استولى هيكتور ذو الخوذة اللامعة على السفن،
٥٠٥ فهل يعود كل منكم إلى الوطن على قدميه؟
ألم تسمعوا هيكتور، يحدث جيشه بكامل حشوده،
وهو يتأهف لحرق السفن،
فالحق أنه لم يأمرهم بأن يأتوا إلى هنا للرقص، بل للقتال.
بالنسبة لنا فليس ثمة خطة أو نصيحة، سوى أن نتحد أيدينا
٥١٠ ضدهم في معركة ضروس وفاصلة. فخيرٌ لنا جميعاً،
إما أن نموت ونختفى للأبد، أو أن نكسب الحياة الكريمة،
فهذا خير من أن نحاصر طويلاً بجوار السفن في صراع رهيب بلا
طائل على أيدي رجالٍ أقل منا شأنًا"
وما أن قال ذلك حتى ألهب قوة كل رجل وروحه،
٥١٥ وقتل هيكتور، بعدها، سخيدوس بن بيريميديس
قائد الفوكيين، وقتل أياض لاوداماس
قائد المحاربين على أقدامهم، البن المجيد لأنتينور.
أما بوليداماس قصرع أوتوس من كيلليني
رفيق ابن فيليوس، قائد الإيبين قوى العزم.
٥٢٠ وشاهده ميحيس، فانتقض عليه، لكن بوليداماس
تملص من تحته، فأخطأه ميحيس - لأن أبولون لم يسمح
بأن يقهر ابن بانثووس وسط محاربي المقدمة -

- لكنه أصاب كرويسموس برمية من رمحه
وقعت على صدره فسقط مرتطمًا، وبادر الآخر ينزع أسلحته من
كتفيه، فانقض عليه دولوبس الرماح الماهر
٥٢٥ ابن لامبوس فهو الذي أنجبه لامبوس بن لأوميدون، إنه
أشجع أبنائه والأكثر مهارة في القتال الضاري،
فهو الذي قذف برمحه، آنذاك، درع ابن فيليبوس
مقترباً منه، لكن درع صدره المحبوك بمهارة والذي
كان يرتديه حماه، فهو مقوى بألواح معدنية.
٥٣٠ وكان فيليبوس قد أحضر هذا (الدرع) من خارج إفيرى، من نهر
سيلثيس، حيث أهداه إليه صديقه الضيف يوفيتيس ملك الرجال
ليرتديه في المعركة ويقيه شر العدو،
والآن، حال الدرع دون إصابة جسد ابنه بالموت.
٥٣٥ ثم قذف ميغيس برمحه الحاد أعلى تجويف الخوذة البرونزية
ذات العرف من شعر الحصان، التي كان يرتديها دولوبس
فجزأ (الرمح) منها العرف، وسقط العرف كله، على التراب،
وكان يتألق في صبغته الأرجوانية الجديدة.
بينما ظل (ميغيس) يحارب (دولوبس) وكله أمل في النصر.
٥٤٠ ولاسيما عندما جاء مينيلأوس محب الحرب ليساعده.
إذ جاء إلى جانبه حاملاً رمحه دون أن يراه (دولوبس)،
وقذفه، فأصابه خلف كتفه، وغاص الرمح لضرواته
ووصل إلى صدره، فاندفع إلى الأمام، وانكفاً على وجهه.
فأسرع نحوه الاثنان ينزعان الأسلحة البرونزية عن كتفيه.
٥٤٥ لكن هيكتور نادى أقاربه جميعهم،
وكان ميلانيبوس القوي بن هيكتاؤن (*) أول من وبخه،

(*) هيكتاؤن هو أخو برياموس. (المحرر)

- إذ كان، حتى ذلك الوقت، يطعم قطعانه بطينة الحركة
 فى بركوتى، عندما كان الأعداء لا يزالون بعيدًا.
 وما أن جاءت سفن الدانائيين المقوسة
 عاد إلى إليون، وكان مرموقًا بين الطرواديين
 فأقام عند برياموس الذى رعاه باحترام كأحد أبنائه.
 عنقه هيكتور وخاطبه قائلاً:
 "أى ميلانيبوس، كيف لنا أن نتهاون هكذا؟
 ألم ينتبه قلبك العزيز لموت قريبك؟
 ألم تر كيف يعبتون بأسلحة دولوبس؟
 لكن، تعال، فلم يعد يجدى أن تحارب الأرجيين
 من بعيد، فإما أن تنفض عليهم أو يستولون هم على إليون،
 من قمتها وحتى قاعها، ويقتلون شعبها"
 قال ذلك ومضى يتبعه الرجل شبيه الآلهة (ميلانيبوس).
 وحث أياس العظيم بن تيلامون الأرجيين قائلاً:
 "أى أصدقائى، كونوا رجالاً، وأشعروا بالحياء فى قلوبكم
 وليخجل كل من الآخر فى خضم هذا الصراع العنيف.
 فإذا شاع بينكم الحياء أنقذ منكم أكثر مما قتل.
 أما الفارون، فلن يلحقهم مجدٌ أو نفع"
 وما أن قال ذلك، حتى تحمس جميعهم للدفاع
 واخترنوا فى قلوبهم كلمته، وطوقوا السفن
 بسياج من البرونز، بينما كان زيوس يحرض الطرواديين ضدهم.
 وحث، مينيلأوس، البارع فى صيحة الحرب، أنتيلوخوس:
 "أى أنتيلوخوس، ليس من بين الأخيين من هو أكثر شياً
 وعنفواناً منك، ولا من هو أسرع من قدميك، ولا من هو أبسل منك

- في الحرب. فماذا لو تهجم على واحد من الطرواديين وتقتله؟"
وعاود الإسراع، بعد أن قال ذلك، بعدما أشعل حماسة
(أنتيلوخوس) الذي وثب بين محاربي المقدمة، وتلفت حوله،
بنظرات خاطفة حذرة فصوب برمحه البراق، فنراجع
الطرواديون مسرعين بعيداً عن الرجل، فهو لم يطلق
قذائفه هباءً، بل أصاب ميلانيبوس بن هيكتيون، قوى الهممة
وهو قادم إلى المعركة، أصابه في حمة ثديه
فسقط مغشياً عليه، وغامت عيناه في الظلمة.
فهجم عليه أنتيلوخوس، كما بهجم الكلب
على ظبي صغير أصابه القناص بجرح
وهو يثب من جحره، وأرخی أطرافه.
هكذا، يا ميلانيبوس، هجم عليك أنتيلوخوس العتيد
لينزع عنك أسلحتك، بيد أنه لن يخفى عن هيكتور
الإلهي، الذي هرع من وسط صفوف القتال للقائه.
ولم يبق أنتيلوخوس في مكانه، رغم أنه محاربٌ ماهرٌ
بل فر كوحش ارتكب سوءاً، بأن قتل كلباً أو راعياً بجوار قطعانه
ثم هرب قبل أن تدركه جموع الرجال المطاردين له
هكذا هرب لين نيسطور، بينما الطرواديون وهيكتور
يمطرونه بقذائف قاسية يصاحبها صياح عجيب.
غير أنه عاد إلى جموع رفاقه
ووقف، ثم هجم الطرواديون على السفن، وكانهم
أسود ضارية، ينفذون ما قدره زيوس
الذي طالما بثّ فيهم عزيمةً تائرة، وأخمد الحماس في قلوب
الأرجبيين، وسلبهم المجد، وشجّع الآخرين.
فقد عزم قلبه على أن يمنح المجد لهيكتور

٥٧٥

٥٨٠

٥٨٥

٥٩٠

٥٩٥

- بن برياموس، حتى يستطيع أن يلقي على السفن المقوسة
ناراً متوهجة، لا تخبو، ويحقق لثيتيس بذلك وحتى النهاية
دعاءها المسرف، ويات زيوس ذو النصح السديد ينتظر ذلك
٦١٠ علّ عينيه ترمقان وهج سفينة مشتعلة
ومن الآن فصاعداً، شرع يرتب انسحاب
الطرواديين من السفن، ويمنح الدانائيين المجد.
وذلك ما فكر فيه عندما حرّض هيكتور
بن برياموس ضد السفن المجوفة، والذي كان هو نفسه أشد لهفةً
٦١٥ وثورة، مثل أريس الرّماح، أو كنار ضارية
تستعر وسط الجبال فى أعماق غابة كثيفة
غطى الزبد شفّتيه، وعيناه شاخصتان تبرقان
أسفل حاجبين رهيبين. واهترت خوذة هيكتور
حول وجنتيه بصخب، بينما كان يحارب
٦١٠ ويحميه زيوس بنفسه من السماء، ويمنحه
الشرف والمجد، دون غيره من بين المحاربين.
حيث كان مقدراً أن يكون أجله قصيراً.
وكانت باللاس أثينة، من الآن تعجل
بيوم هلاكه على يد ابن بيليوس وقوته الفتاكة.
٦١٥ كان (هيكتور) تواقاً لاقتحام صفوف الرجال
فحاول ذلك أينما رأى تكتلاً كبيراً وأسلحة عظيمة.
بيد أنه، رغم لهفته، لم يقر على الاقتحام
وظلوا صامدين، كما لو أنهم قلعة، تشبه صخرة ناتئة
شديدة الانحدار، هائلة وصلبة، بجوار بحر رمادى،
٦٢٠ تتجلى فى مهب ریح عاصفة عاتية،
حيث الأمواج العالية أمامها.

- يمثل تلك الصلابة قاوم الدانائيون الطرواديين، ولم يترجعوا،
 إلا أن (هيكتر) وثب وسط الجموع، متوهجاً كاللهب.
 نزل في وسطهم، كما تسقط تحت السحب موجةً مجنونة
 ٦٢٥ دفعتها الريح على سفينة مسرعة، فغمرتها
 عن آخرها بالزبد، وجارت في حبال الصاري عاصفة
 الرياح الهوجاء، فارتجفت قلوب البحارة
 رعباً، وقد رأوا أنهم على وشك الهلاك.
 هكذا كانت قلوب الأخيين في صدورهم ممزقة،
 ٦٣٠ إذ انقض عليهم (هيكتر) بشهوة جموح للاقتراس، كأسد
 نزل على قطيع لا يحصى، يرعى في أرض منخفضة
 في مستنقع رحب، فيه راع غير متمرس في
 قتال مثل هذا الوحش الذي صرع عجلًا ملتوي القرنين،
 وإلى جانب القطيع يمشي الراعي تارة في المقدمة
 ٦٣٥ وأخرى في المؤخرة، فينقض الأسد على الوسط
 ليلتهم عجلًا، ويفر باقي القطيع مذعورًا.
 هكذا، فرغ الأخيون جميعًا بشدة من هيكتر وزيوس الأب.
 قتل هيكتر رجلًا واحدًا: بيريفيتيس من موكتاي
 البين العزيز لكبيريس (القبرصية)، الذي حمل رسائل
 ٦٤٠ الملك يوريسثيوس إلى هرقل الجبار.
 ورغم أن الأب كان أقل شأنًا (من ابته) بكثير، إلا أنه
 أنجب ولدًا يبيزه في الفضائل جميعًا، سرعة القدمين
 والقتال، والفتنة. كان أول الموكينيين
 الذي قدم مجد النصر لهيكتر
 ٦٤٥ حيث تعثر، وقد استدار للخلف في حافة للترس
 الذي كان يرتديه وقد وصل إلى قدميه، ليحميه

- من الرماح، تعرَّضَ به، فوقَ وعندما سقطت صلصلت الخوذة
بصخب حول وجنتيه. وسرعان ما لمح هيكْتور، فجرى نحوه
٦٥٠ وغرس رمحه في صدره، وقتله أمام رفاقه
الأعزاء الذين لم يتمكنوا من نجاته، رغم تألمهم
لصديقهم، ففزعهم الرهيب من هيكتور الإلهي كان يغلبهم.
كادوا يصلون إلى وسط السفن، تحيطهم السفن من الأطراف
تلك التي سحبوها إلى الصف الأول، لكن باعْتهم (الطرواديون)
٦٥٥ وتقهقروا الأرجيون من السفن الأمامية
مرغمين، ومكثوا إلى جوار خيامهم
متكتلين، ولم ينتشروا عبر المعسكر، حيث تملكهم خزي
وخوف، وطفق كل منهم يستحث الآخر دون توقف
لاسيما نيسْتور الجبريني، حارس الأخيين
٦٦٠ (الذي) توسل إلى كل رجل وهو يقسم بأبائه:
"أيها الأصدقاء، كونوا رجالاً، وأشعروا بالحياء في قلوبكم
كغيركم من الرجال الآخرين، وليتذكر كل منكم
صغاره وزوجته وممتلكاته ووالديه
٦٦٥ أحياء كانوا أو أمواتاً. إنني أتوسل إليكم، من أجل
الغائبين عنا، أن تقاوموا بصلابة ولا تتقهقروا مذعورين"
قال ذلك فألهب قوة كل رجل وروحه وأزاحت أثينة سحابة
ضباب عن أعينهم، وبزغ النور ساطعاً عليهم من كلا الجانبين
٦٧٠ من ناحية السفن، ومن ناحية الحرب المتكافئة.
فتبينوا هيكتور القوي في صيحة الحرب ورفاقه
أولئك الذين وقفوا جميعاً في المؤخرة ولم يحاربوا،
وكذلك جميع من شنوا الحرب الشعواء عند السفن السريعة.
ولم يعد يشقى غليل روح أياس شديد العزم

- ٦٧٥ أن يقف، حيث يقف الآخرون من أبناء الآخيين، في منأى عن القتال.
بل أخذ يسير بخطو واسع فوق ظهر السفن
ممسكاً برمح طويل في يديه
موصول بأبازيم ويبلغ من الطول اثنتين وعشرين ذراعاً.
ومتلماً يسرج فارس فائق البراعة
- ٦٨٠ أربعة خيول اختارها من بين أسراب (الحياد)،
فيسوقها في طريق سريع من سهل إلى مدينة عظيمة
عبر طريق عام، فيعجب به الكثيرون
رجالاً ونساءً، وبخطوة وثقة
يثب من (حصان) إلى آخر، وهي مسرعة كأنها تطير.
- ٦٨٥ هكذا كان أياس يقفز بخطو واسع فوق
ظهر السفن السريعة، حتى بلغ صوته عنان السماء
وهو ينادى على الدانائيين، بصيحات رهيبة
ليدافعوا عن سفنهم وخيامهم. غير أن هيكتور لم
يمكث ساكناً وسط جموع الطرواديين المسلحين،
لكنه كصقرٍ أسمر مائل للاصفرار انقض على سرب
- ٦٩٠ من طيور مجنحة تأكل على ضفة نهر
- سرب من الأوز البرى أو الغرائيق أو البجع طويل الأعناق -
هكذا، انقض هيكتور على سفينة مقدمتها قائمة.
مندفعاً تجاهها مباشرة، وقد دفعه زيوس بيدٍ بالغة القوة
من الخلف، فألهب حماس الحشد معه في آن واحد.
- ٦٩٥ وبإلها من معركة وحشية، تلك التي عاودت الاندلاع عند السفن،
فلك أن تقول إنهم واجهوا بعضهم البعض
دونما كلل أو هوادة في المعركة، كانوا يقاتلون في ضراوة.
ولكن كان كل فريق يحمل في قلبه أفكاراً مختلفة: فقد كان الآخيون

- ٧٠٠ يقولون إنهم لن يفلتوا من السوء، وسيهلكون لا محالة.
أما الطرواديين، فتمنى قلب كل واحد منهم فى صدره
أن يحرق السفن، ويقتل أبطال الآخيين
تلك كانت أمانيتهم؛ عندما صمد كل جيش فى مواجهة الآخر.
غير أن هيكتور أمسك مؤخرة سفينة ماخرة عياب البحار
متألقة تسرع فوق المياه، هى التى حملت بروتيسيلأوس
٧٠٥ إلى طروادة، إلا أنها لم تعد به ثانية إلى أرض الوطن.
وحول سفينته كان الآخيون والطرواديون يفتك
كل منهم بالآخر فى التحام مباشر،
دون انتظار لإطلاق السهام والرماح،
بل وقف كل فريق لصيقاً بالآخر
٧١٠ وبعقل واحد وقلب واحد حاربوا بباطات حربية حادة وبليطات
وسيوف هائلة، ورماح ذات حدين.
وتساقطت على الأرض سيوف كثيرة رائعة محاطة مقابضها بسبور
بعضها (سقط) من أيادى الرجال وهم يحاربون
وبعضها من فوق أكتافهم، وقد فاضت الأرض السوداء بالدماء.
٧١٥ وما أن أمسك هيكتور بمؤخرة السفينة، حتى أحكم قبضته
ولم يدع ذيل السفينة يفلت من يده، وحث الطرواديين صائحاً:
"أحضروا النيران، وألهبوا بها صيحات القتال، كلكم
بصوت واحد، فقد منحنا زيوس، يوماً جليلاً من بين كل (الأيام)
حتى نستولى على السفن التى جاءت إلى هنا دون إرادة الآلهة،
٧٢٠ وأتت علينا بويلات عديدة بسبب تقاعس الشيوخ
الذين باتوا يمنعوننى، وأنا متلهف لأن أحارب
عند مؤخرات السفن، وعاقوا الجيش
وإذا كان زيوس، بعيد النظر، قد عطل خططنا من قبل

- ٧٢٥ فإنه الآن هو نفسه يحرّضنا ويأمرنا"
 وإذا قال ذلك، ازداد هجومهم على الأرجيين
 ولم يصمد أياس طويلاً، فكان محاصراً بالرمح
 وتراجع قليلاً، ظناً منه أنه هالك تاركاً متن السفينة متينة الاتزان،
 إلى ممر خشبي مؤقت طوله سبعة أقدام.
- ٧٣٠ ووقف مراقباً وظل يصدُّ برمحه
 كل من يفكر من الطرواديين أن يحضر ناراً مستعرة إلى السفن،
 وراح يستحث الدانائيين بصيحات مرعبة:
 "أي أصدقائي، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع آريس
 كونوا رجالاً، أيها الأصحاب، واستنفروا قوتكم الباطشة
 ماذا إذن! أنظن أن ثمة مساعدين خلفنا،
 أو أن هناك حصناً منيعاً يصد الهلاك عن الرجال؟
 إنه لا توجد على مقربة منا مدينةً حصينة بأبراج
 نلجأ إليها، أو بها من الجيوش ما يمكنها من تحويل دفة القتال،
 لكننا متمركزون في سهل الطرواديين المسلحين،
 دونما شيء يحمي ظهرنا سوى البحر، بعيداً عن أرض الوطن.
 ولذا فإن نور الخلاص يكمن في قوة أيدينا وليس في التقاعس
 عن الحرب".
- قال ذلك، وراح يطير برمحه الحاد ثائراً
 ومن يقترب من الطرواديين من السفن المجوفة
 بنيران مشتعلة، مندفعاً بفضل صيحات هيكتور
 ينتظره أياس، وبرمية من رمحه الطويل، يصيبه بالجروح،
 فأصاب اثني عشر رجلاً، في اشتباك أمام السفن.
- ٧٤٦

الكتاب السادس عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

- حول السفن ذات المقاعد المتينة، كانوا يحاربون،
واقترب باتروكلوس من أخيلئوس راعى الشعب،
يذرف دمعاً ساخناً كنافورة ماء قائم
تدفع بتيارها العكر إلى هوة منحدر صخرى.
٥ فلما رآه أخيلئوس الإلهى سريع القدم
خاطبه بكلمات مجنحة قائلاً:
- "لماذا، إذن، تذرف دمعاً، يا باتروكلوس، كطفلة صغيرة
تلاحق أمها لتتوسل أن تحملها،
تتعلق بردائها وتعرقل خطوها السريع،
١٠ وترنو إليها مستعطفة بالدموع لعلها تقبل حملها؟
هكذا أنت تبدو، يا باتروكلوس، ينهمر منك الدمع رقيقاً.
ألا لك شيء تقوله للميرميدونيين، أو (تقوله) لى؟
أم أن ثمة رسالة من فثيا، أنت وحدك، من سمعها؟
يقولون إن مينوبيتئوس، ابن أكتور، لم يزل حياً،
١٥ وإن بيلئوس ابن أياكوس حى أيضاً، بين الميرميدونيين.
فموت هذين الاثنين بالذات هو الذى يمكن أن يستدر بحق دموعنا.
أم أنك تنتحب على الأرجيين الذين، هكذا، يهلكون
فى سفنهم المجوفة، بسبب تخطيهم الحدود؟
لا تكتم ما بقلبك، قلها علانية، ولنعلمها معاً"
- ٢٠ أجبتّه، أيها الفارس باتروكلوس، وأنت تئن بمرارة:
"أى أخيلئوس، يابن بيلئوس، يا أعظم الأخيين قوّة
لا تغذى غضبك، فالحزن المرير يعصف بالأخيين.
كانوا الأفضل والأقوى، فى ذات يوم مضى
والآن، يرقنون جرحى، تحصدهم القذائف عند السفن.

- ٢٥ هذا حال ديوميديس بن تيديوس القوى
وكذا أوديسيوس الشهير برمحه وقد جرح، وأجاممنون
ويوربييلوس وقد قذف بسهم فى فخذه.
إن الأطباء، ذوى الخبرة فى المداواة، يرعونهم،
يداوون الجروح، وأنت، يا أخيلئوس، لم تزل بلا حيلة.
- ٣٠ ليئتنى أنا الذى أختزن ما تحتفظ به من غضبك،
يا لها من قوة ملعونة ! لكن أى جيل تال سيفيد منك ومن قوتك
إن لم تدفع عن الأرجيين هذا الدمار المخزى؟
يا لسوتك، لا يمكن حقاً أن يكون والدك هو الفارس بيليوس!
وأن تكون أمك هى ثيتيس، أنت أنجبك البحر الرمادى
- ٣٥ والصخور قاسية الانحدار، لذا فرأسك صلبة.
لكن إذا كان عقلك يهرب من تحذير إلهى ما،
ربما أسره إليك زيوس عن طريق أمك الإلهة،
فلا أقل من أن ترسلنى أنا على الفور على أن يتبعنى باقى جيش
الميرميديونيين، فربما أجلب نوراً للدانائيين.
- ٤٠ فاعطنى أسلحتك واسمح لى أن أحملها على كتفى،
فربما يخطيء الطرواديون لو رأوها عن بعد ويظنوننى أنت،
فيكفوا عن القتال، وعندئذ يستطيع المحاربون المتعبون أبناء الأخيين
أن يلتقطوا أنفاسهم، فكم يتضاءل زمن التنفس فى المعارك!
وقتها، ربما أمكنا نحن - غير المتعبين - أن نطرد إلى المدينة
- ٤٥ هؤلاء المحاربين المتعبين، بعيداً عن السفن والتكنات"
تكلم فى ضراعة، وما أحمقه،
فالموت ومصيره القاسى ينتظرانه، وهذا هو حقاً حصاد ما تضرع به.
فرد عليه أخيلئوس سريع القدم قائلاً فى انزعاج:
"ما هذا الذى تفوهت إلى به، يا باتروكلوس، يا سليل زيوس؟"

- ٥٠ فأنا بالنبوءات، أيًا تكون، لا أبالي
ومن زيوس، لم يأتني شيءٌ عبر المليكة أمي،
لكنَّ الحزنَ يسمُّ قلبي وروحي.
فعندما يستبدُّ الرجل الحاكم في حرمان قرينه المساوي له من نصيبه،
يعميه سلطانه فيسلب قرينه مكافأته.
- ٥٥ كم عانت روجي من مرارة تجلب ألمًا حزينًا!
فحتى السبية مكافأتى التى منحها لى أبناء الأخيين
جزاء ما حصده رمحى من المدينة الحصينة^(٥).
سلبها من بين يدى الملك أجامنون
بن أتريوس، كما لو كنت غريبًا أو عابر سبيل ليست له كرامة.
ومع ذل فلندع الماضى يمر، فلا يلىق
- ٦٠ بإنسان أن يحبس نفسه فى الغضب للأبد، بيد أنه فيما
أظن من غير الممكن أن أتخلى عن غضبى، حتى يحين الوقت
وتأتى صيحة المعركة، ويشتعل القتال عند سفنى.
ومع ذلك ضع أسلحتى المجيدة على كتفك
وقد الميرميدونيين محبى الحروب إلى القتال.
- ٦٥ فغمم الطرواديين المعتم متكئ يحاصر
السفن فى قوة، بينما دفع حشد الأرجيين قريبًا من شاطئ البحر،
ولم يتبق لهم سوى قطعة منحسرة من اليابسة.
خرجت مدينة الطرواديين كلها ضدهم
- ٧٠ وقد امتلأوا ثقة، لأنهم لم يلمحوا ذؤابة خوذتى
تتلاً عن قرب، وإلا فكانوا، فيما أظن، سيهرعون فرارًا
وكانت ستمتلىء مجارى المياه بجثثهم لو أن الملك أجامنون، فقط،
عاملنى بلطف. إلا أنهم، الآن، يحاصرون جموعنا من كل اتجاه،

(٥) هي ليرنيسوس Lyrnessos التي ورد ذكرها في الكتاب الثاني بيت ٦٩٠. (المحرر)

- ولم يعد الرمح يثور فى جموح بيد ديوميديس بن تيديوس
 ٧٥ لكى يدفع الموت والهلاك عن الدانائيين.
 حتى الآن، لم أسمع صياح ابن أتريوس
 يعلو من فمه الكريه، (لكنى أسمع) صوت هيكتور قاتل الرجال
 يجلجل حولى، أمراً الطرواديين، الذين يملأون السهل
 بصيحات النصر، إنهم الآن يهزمون الأخيين فى المعركة.
 ٨٠ رغم هذا، يا باتروكلوس، لتدفع الدمار عن السفن
 اهاجم عليهم بقوة خشية أن يدمروها بنيرانهم
 ويحرموننا من عودتنا المنشودة للوطن.
 الآن، فلتتصت، لأسكب النصائح فى تيار عقلك.
 لعلك تجلب لى - على يد كل الدانائيين - تكريماً
 ٨٥ ومجداً أبديين، فيردون إلى الفتاة الحسنة
 كما يصدقون لى الهدايا الرائعة.
 اطرده الأعداء من السفن وعد ثانية، لكن إذا منحك،
 زوج هيرا، ذر الرعد المدوى، مجدداً تطرب له نفسك
 فلا تطمع فى أن تخوض المعركة دونى
 ٩٠ ضد الطرواديين محبى النزال، فأنت حينئذ تنقص من قدر مكافأتى.
 لا تدع نشوة الفخر، لضراوة النزال
 وقتل الطرواديين تصيبك، ولا تقد (الحشد) إلى إليون
 خشية أن يهبط إله خالد من الأوليمبوس
 ضدك فأبوللون - بعيد القذائف يحبهم ويؤازرهم
 ٩٥ وبمجرد أن تجلب نور الخلاص للدانائيين عند السفن
 ارجع وأترك للباقيين المعركة فى السهل.
 أيها الأب زيوس، ويا أثينة، ويا أبوللون،
 ليت لا ينجو من الموت أحد من الطرواديين، أيًا كان عددهم

- ولا من الأرجيين أيضًا. ابعدوا عنا - نحن الاثنين فقط - الهلاك
 حتى نمزق - نحن الاثنين فقط -، تاج طروادة المقدس"
 ١٠٠
 وبينما كان الحديث يدور بينهما
 لم يعد أياس يصمد حيث حاصرته القذائف.
 أخضعته مشيئة زيوس وكبرياء الطرواديين وبراعتهم،
 وظلت خوذته المصقولة حول خديه تجلجل
 بقوة، كلما أصابتها القذائف المذهالة
 ١٠٥
 على المعدن المتين الواقى لخديه. أما كتفه
 اليسرى فقد أنهكها التعب، تحت وطأة درعه البراق. ومع ذلك لم
 يستطيع الأعداء رغم قذائفهم العاتية، أن يميطوا الدرع من فوقه.
 كانت أنفاسه تتحسرج بصعوبة، وتصيب العرق من أطرافه
 ليغمر جسده، ولم يتوقف لحظة
 ١١٠
 ليلتقط أنفاسه، كانت المصائب حوله تتراكم على المصائب.
 أخبرننى، الآن، ياربات الفنون (الموساى)، يا من تقطن
 الأوليمبوس كيف، ومنذ البداية، أتت النيران على سفن الأخيين؟
 تقدم هيكتور وضرب بسيفه العظيم رمح
 أياس الرمادى، عند طرفه، فى أسفل سنه الحاد
 ١١٥
 فشقّه تمامًا. أما أياس التيلامونى العظيم
 فكان يلوح عيبًا، وفى يده رمح مكسور لا رأس له،
 حيث سقط نصل الرمح النحاسى على الأرض يدوى بعيدًا عنه.
 حينئذ، ارتجف أياس، وبقلبه الجسور أدرك
 ١٢٠
 أفعال الآلهة، التى أفسدت كل خططه فى المعركة.
 فزيوس ذو الرعد المدوى يرغب فى النصر المؤثر للطرواديين.
 واشعلوا نيرانًا لا يخدم أوارها فى السفينة السريعة.

- وعلى الفور ودون توقف انتشر اللهب في كل مكان.
اندلعت النيران بمؤخرة السفينة، إلا أن أخيليوس
١٢٥ وهو يضرب فخذه وخطب باتروكلوس قائلاً:
"انهض يا باتروكلوس يا سليل زيوس، أيها الفارس البارح
انظر، لهب النيران يلتهم السفن، أخشى أن
يستولوا على السفن، فلا يبقى لنا طريق للهرب.
أسرع وتسلح بسلاحى، بينما سأمضى لإستئارة همّة الجيش"
١٣٠ هكذا تكلم (أخيليوس)، وشرع باتروكلوس يلبس
أسلحته المصقولة، شد أولاً دروع الساق برشاقة حول ساقه،
وثبتها بأبازيم قضية عند كاحليه، أحاط كامل صدره بدرع
سليل أياكوس سريع القدم، وكان زاهياً مرصعاً بنجوم زاهرة.
١٣٥ وضع على كتفيه، سيفاً مرصعاً بالفضة،
كان السيف برونزياً مصقولاً بمهارة،
وضع خوذته الصلبة على رأسه القوية
مزينة بعرف من شعر الجياد، الذى يتدلى فيثير الرهبة.
وأمسك، أخيراً، برمحين عظيمين بلائمان قبضتيه
١٤٠ لكنه لم يأخذ رمح سليل أياكوس الذى لا نظير له
ذلك الرمح الثقيل الحاد، حيث لا يمكن لأحد غيره من الأخيين
السيطرة عليه، فأخيليوس، دون غيره، هو من يستطيع ترويضه.
صنع للرمح من شجرة دردار فوق جبل بيليون، منحه خيرون لوالده
الحبيب، فهو رمح انحدر إذن من قمة جبل بيليون؛ هلاكاً للأبطال.
١٤٥ على الفور أمر أوتوميدون أن يضع النير على أعناق الخيول
(أوتوميدون) الذى كان (باتروكلوس) يجعله
كثيراً جداً على نحو يلى أخيليوس مشتت صفوف المحاربين

- وكان فى نظره الأكثر إخلاصاً من غيره فى الصمود فى خضم
صخب القتال. وبأمره قاد أوتوميدون الجياد تحت النير بسرعة:
كسانثوس وبالبيوس السريعين اللذين يطيران مثل الرياح.
١٥٠ وهما اللذان أنجبتهما بودارجى إحدى الهاربيات لريح الغرب
زيفيروس. إذ كانت ترعى فى مرج بجانب مجرى الأوكيانوس.
وكذلك بيداسوس، شده (أوتوميدون) إلى العنان
ذلك (الجواد) الذى لا يبارى أتى به أخيلئوس عندما نهب مدينة إيثييون
ورغم كونه فانياً، فقد كان يشارك الخيول الخالدة.
١٥٥ فى نفس الوقت كان أخيلئوس يتجول هنا وهناك
بين الخيام أمراً رجاله الميرميدونيين جميعاً بالتسلح وارتداء الدروع.
وكانوا كالذئاب المفترسة تعتمل فى صدورهم قوة لا توصف.
قتلت (تلك الذئاب) أيللاً برياً ترعرع قرنه فى الجبال،
تهشته حتى تخضبت أفواهها بالدماء،
١٦٠ ثم ذهبت معاً إلى ينبوع ذى مياه قائمة ،
ارتشقت بألسنتها النحيلة ماءً عكراً،
وتتساقط نقاط الدم من فكها، وكانت قلوبها
مفعمة بالتحفز، وبطنها منتفخة.
احتشد القادة وأصحاب الراى الميرميدونيون
١٦٥ التفوا، جميعاً، حول الرفيق الوفى لسليل أياكوس، سريع القدم
يقف أخيلئوس الشجاع، بالطبع، بينهم
معرضاً الجياد والرجال لابسى الدروع، (على القتال)
كانت خمسون سفينة سريعة تحت قيادة أخيلئوس
جيب زبوس، وقد أبحر إلى طروادة
١٧٠ فى كل منها جلس خمسون رجلاً من أتباعه عند مساند المجاديف
عين لهم قادة خمسة محل ثقته، يعطون

- إشارات يرسلها إليهم، فهو ملك قوى له القيادة العليا.
 كان مينيسثيوس ذو درع الصدر اللامع قائد المجموعة الأولى
 (مينيسثيوس) بن سيرخيوس، ذلك النهر المتدفق من زيوس (السماء)
 ١٧٥ و (أمه) بوليدورى الجميلة ابنة بيليوس.
 أنجبته لسيرخيوس الذى لا يكل، امرأة سلمت نفسها لإله.
 ومع ذلك عرف على أنه ابن بوروس بن بيريريس
 الذى زف إليها علناً وقد قدم هدايا ثمينة.
 وقاد المجموعة الثانية يودوروس الشجاع
 ١٨٠ ابن بوليميلى الجميلة البارعة فى الرقص، تلك العذراء
 ابنة فيلاس التى شغفت صياد أرجوس القوى حياً،
 عندما تملئ منها بعينيه وهى تغنى وسط العذارى
 فى رقصة تحتفى بأرتميس ذات السهام الذهبية.
 انسل، بعد ذلك مباشرة، إلى حجرتها وشاركها الفراش سرّاً
 ١٨٥ الإله هرميس جالب الخير، فوضعت له ولداً
 هو يودوروس المجيد، سريع القدمين قوى العراك.
 بعد آلام المخاض أتت به إيليثويا إلهة المهد
 إلى النور، حيث طالع نبع الشمس، وقاد إخيكليس
 بن أكتور شديد البأس (بوليميلى) إلى منزله
 ١٩٠ وأغدق عليها من هدايا الزواج ما لا يحصى
 ويات أبوها المسن فيلاس يربى (يودوروس) ويحسن
 رعايته شاملاً إياه بالحب تماماً كما لو كان ابنه.
 وكان بيساندروس قائد المجموعة الثالثة، إنه
 القائد الشجاع ابن مايمالوس الذى يفوق الميرميدونيين جميعهم
 ١٩٥ فى القتال بالرمح بعد (باتروكلوس) رفيق ابن بيليوس.
 وكان فوينيكس، الفارس الأسن (قائداً) للمجموعة الرابعة

- وكان الكيميديون؛ الذي لا نظير له ابن لائيركيس، (قائد المجموعة الخامسة وما أن صفهم أخيليوس جميعاً مع قادتهم ألقى فيهم كلمة صارمة قائلاً:
- ٢٠٠ "أيها الميرميدونيون، لا تدعوا أحداً منكم ينسى التهديدات التي هددتم بها الطرواديين بجوار السفن السريعة. إبان فترة غضبي، ولقد أنبئى كل فرد منكم قائلاً: أى ابن بيليوس العنيد، لقد أرضعتك أمك الضغينة يا عديم الرحمة، يا من تحتجز رفاقك مكرهين عند السفن،
- ٢٠٥ ليتنا على الأقل نعود، إلى ديارنا بسفننا عابرة البحار فقد غمر قلبك الغضب المهلك.
- بمثل هذه الكلمات فى مجموعات هاجتمونى، وما هى الآن حرب عظيمة تنتظركم ولطالما تمنيتموها فيما سبق. فليحارب كل منكم الطرواديين بقلب شجاع"
- ٢١٠ خرجت منه الكلمات تستدر القوة وتستفز شجاعة كل رجل اصطفت الصفوف متلاصقة عندما سمعوا مليكهم.
- ومثلما يرص رجل حجارة ليشيد حائطاً لبيت شاهق يتقى به عنف الرياح.
- وهكذا كانت الخوذات والدروع ذات الحلى المعدنية درعاً تلو درع، وخوذة تلو خوذة، ورجلاً تلو رجل.
- ٢١٥ تعلق قمم الخوذات، ذؤابات من شعر الخيل تضوى إذ يومنون، وتتلامس فى الزحام المتراص^(*).
- وفى مقدمتهم جميعاً يتأهب المحاربان للقتال إذ كان باتروكلوس وأوتوميدون قد عزموا معاً

(*) هذه الأبيات شبه مكررة من الكتاب الثالث عشر، آيات ١٢١ وما يليه. (المحرر)

- ٢٢٠ على الحرب فى مقدمة صفوف الميرميدونيين، وسرعان ما
هرع أخيلئوس إلى خيمته وفتح غطاء الصندوق
الجميل ذا الزخارف القارحة، الذى أعطته إياه ثيتيس
فضية القدمين، ليأخذه فى سفينته، وقد ملأته بملابس
وعبايات تقى من الرياح، وأغطية صوفية ناعمة
٢٢٥ وكأس مصنوع ببراعة، لا أحد
من البشر شرب من هذا النبيذ المتألىء سوى أخيلئوس.
لم يسكب منه قطرة قربانا لإله إلا لزيوس الأب
أخذ الكأس من الصندوق ونظفه بالكبريت
ثم غسله بعناية من ماء جار،
٢٣٠ وغسل يديه كذلك، ثم صب النبيذ المتألىء فى الكأس
وقف وسكب منه قطرات وسط الساحة
وهو يرنو إلى السماء ليراه زيوس ذو الرعد، وقال:
"أى زيوس، يا ملك الدودونيين، أيها البلاسجى^(*)، يا من تسكن
بعيدا وتحكم بستان دودونى المطير وحولك السيللوى (= الهيللوى)^(**)."
٢٣٥ حيث يقطن مفسرو نبؤاتك لا يغسلون أقدامهم ،
الذين يرقدون فى العراء، سمعت ندائى، ذات مرة، عندما تضرعت
إليك، وكرمتى بينما أخزيت جيش الآخيين.
ها أنا ذا أتوسل، مرة أخرى، كى تحقق أمنية قلبى.
إذ سألنى، أنا نفسى هنا عند حشد السفن
٢٤٠ بينما بعثت رقيقى، بحشودى الميرميدونية، إلى المعركة ،
لتمنحه المجد، أى زيوس، ياذا الرعد المدوى،

(*) البلاسجى أى اليسالى. (الحرر)

(**) سيللوى Selloi أو هيللوى Helloi اسم قبيلة قديمة كانت تسكن دودون موطن نبوة زيوس. وربما كان الهدف من ترك أقدام هؤلاء الكهنة دون غسل هو تسهيل اتصالهم بالعالم السفلى إذ كانت النبوة فى الأصل تأتي من الموتى عبر إحدى الأشجار. (الحرر)

- ولتهب قلب المقاتل قوة، علَّ هيكتور يدرك
 ما إذا كان رفيقى يحسن إدارة المعركة
 أم يحارب وحيداً، أم أن يديه القويتين لا تتوران،
 ٢٤٥ إلا عندما أذهب أنا إلى ساحة القتال.
 لقد أخذه القتال بعيداً عن السفن
 إننى لأصلى كي يعود سالمًا إلى السفن السريعة،
 ولتعد معه كل القوات من رفاقى المحاربين، ومعه أسلحتى"
 هكذا تكلم فى ضراعة، وسمعه زيوس صاحب التدبير
 ٢٥٠ فرضى الأب على جزء من صلاته، ورفض الجزء الآخر.
 وافق على أن يستدرج باتروكلوس القتال بعيداً عن السفن،
 إلا أنه أبى عودته سالمًا من المعركة.
 وعليه أقيمت القرابين مع الصلوات للأب زيوس.
 عاد (أخيليوس)، إلى خيمته وأعاد الكأس إلى الصندوق،
 ٢٥٥ وخرج مرة أخرى ووقف أمام الخيمة، لأن روحه
 تأقت أن ترى صدام الأخيين والطرواديين الرهيب.
 وتقدمت صفوف المحاربين، ومعهم قائدهم باتروكلوس جسور
 القلب، واثقين فى قوتهم، حتى هجموا مندفعين على الطرواديين.
 هبوا دفعة واحدة مثل الزنابير تندفع من جنب الطريق،
 ٢٦٠ حيث أوكارها، إذا استثارها صبية صغار يلهون كعادتهم
 فجلبوا ضررًا عامًا للكثيرين. فحتى عابر السبيل
 دون أن يعي يقع عرضة لهجوم الزنابير الشرس
 التى تطير فى كل مكان دفاعًا عن سلاتتها
 ٢٦٥ ومن أجل البقاء. بمثل هذه القلوب والأرواح
 انطلقت القوات الميرميدونية فى هجومها.
 انطلقوا من السفن بصيحاتهم المدوية.

- وبصيحة هائلة نادى باتروكلوس رفاقه:
- "أيها الميرميدونيون، يا رفاق أخيلوس بن بيليوس
- ٢٧٠ كونوا رجالاً، أصدقائي، ولتوقظوا روح النضال فيكم
من أجل تكريم ابن بيليوس، إنه أفضل قادة أرجوس قاطبةً
ذلك الذي يقاتل، مع رفاقه، في صفوف متقاربة بجوار السفن.
أجل، لعل أجامنون بن أتريوس نفسه واسع الملك، يدرك ذلك
لكن العمى دفعه لآزدرء أمجد الأخيين"
- ٢٧٥ وما أن تفوه بذلك، حتى ألهب كل فرد قوةً وشجاعةً.
وبضربة رجل واحد انتقضوا جميعاً على الطرواديين، وبينما كان
يصيح الأخيون، كانت السفن من حولهم ترعد بشكل مفرع
وما أن أدرك الطرواديون أن ابن مينويتيوس الباسل
بنفسه وتابعه المتألقين في وسط بريق الأسلحة،
٢٨٠ حتى ارتجفت قلوبهم، وارتعدت صفوف الفرق المحاربة.
حسبوا أن ابن بيليوس سريع القدم عند السفن، بعد أن قرر
أن يكظم الغيظ ويتركه إلى جوار السفن مفضلاً التصالح.
فصار كل رجل يتلفت بحثاً عن طريق الهروب من الهلاك المطبق.
كان باتروكلوس هو أول من قذف رمحه البراق مباشرةً
٢٨٥ وسط الحشد، حيث الاحتشاد الكثيف.
هناك، عند مؤخرة سفينة بروتيسيلأوس ذي الروح الجليلة
جرح بيرايخميس، الذي كان يقود فرسان البايونيين
بعيداً عن أميدون، آتياً من نهر أكسيوس وافر الفيض.
ضربه بشدة في كتفه الأيمن، فانقلب للخلف
٢٩٠ على التراب، يتألم، حتى إن رفاقه البايونيين من حوله
فروا في دعر أشاعه بيتهم جميعاً باتروكلوس

- حين صاح قائدهم وأفضلهم قتالاً فى المعركة،
وطردهم بعيداً عن السفن، وأخمد النيران المضرمة.
وهناك، ظلت السفينة نصف مشتعلة، وارتعد الطرواديون،
٢٩٥ وفروا هاربين، محدثين ضجيجاً هائلاً، وقد انقض عليهم الداناتيون
وسط السفن المجوفة، والصخب يضطرم دونما انقطاع.
وعصف زيوس المهيب مرسل البرق،
فقتع الغمام القاتم، من قمة جبل شاهق
ولمعت فجأة كل الصخور والنتوات
والوديان الصغيرة، أو من السماء انفرج الأثير العلوى بالضياء.
٣٠٠ فى تلك الأثناء، وبعد أن أبعدوا عدوهم عن سفنهم ،
وجد الداناتيون متسعاً لالتقاط الأنفاس، لكنهم لم يستريحوا طويلاً
من القتال. فالطرواديون، لم يكونوا قد طردوا، بعد على يد الآخيين
أحباء آريس، فى جماعات مهولين من السفن السوداء ،
٣٠٥ بل ظلوا صامدين فى عناد، لكنهم تفهقروا بعيداً عن السفن مرغمين.
ثم سقطوا رجلاً تلو الآخر،
ثم اندلع القتال بين القادة، ضربَ ابن مينويتوس المغوار أولاً
بحربته الحادة أريليكوس (أو أريلوخوس) فى فخذه.
ما إن استدار (ليهرب) حتى غرس (باتروكلوس) سيفه البرونزى فى
ساقه فكسر السيف العظمة، وسقط (الطروادى) على الأرض
٣١٠ منطرحاً. أما مينيلوس الشجاع فجرح ثواس^(*).
فى صدره بطرف الرمح عند الجزء الذى لا يغطيه الدرع، فارتخت
أطرافه كلها، بينما كان ابن فيليوس^(**) يراقب أمفيكلوس

(*) ثواس Thoas قائد طروادى وهو غير ثواس ملك ليموس المذكور فى الكتاب الرابع عشر، بيت ٢٣٠.
(المحرر)

(**) هو ميجس Mege. (المحرر)

- الذى كان مندفعًا تجاهه، وأثبت أنه أسرع من غريمه إذ استبقه
 ٣١٥ وضربه عند أعلى ساقه، حيث العضلة الأكثر سمكًا، فمزقت الحربة
 ذات الرأس الحاد تلك الأعصاب، وغطى سواد عميق جفنيه.
 طعن أنتيلوخوس بن نيسطور بحربته الحادة
 أتيمنوس - فوخذه بسيفه البرونزى فى جنبه
 فهوى مباشرة للأمام على وجهه. لكن ماريس، والسهم فى يده
 ٣٢٠ قفز، فى الحال، على أنتيلوخوس، يملؤه الغضب لموت أخيه.
 وقف دون جثمانه، لكن تراسيميديس (أخو أنتيلوخوس) - شبيه الآلهة
 قذفه مستبقًا ضربته فأصاب بقوة هدفه.
 فمزق سن الحربة كتفه أعلى ذراعه
 والعضلات كلها، كما تهشمت العظمة تمامًا
 ارتطم بالأرض والظلام يطمس جفنيه.
 ٣٢٥ ذهب الشقيقان التوأم إلى عالم الأشباح على يد شقيقتين توأم،
 ذهب كلاهما إلى إرييوس رفيقى سارييدون البطلين،
 من رماة الحراب، ولدى أميسوداروس، الذى كانت من قبل
 قد ربته خيمايرا، تلك المتوحشة الكاسرة، هلاكًا للكثير من الرجال.
 ٣٣٠ هجم أيلس بن أوليوس على كليبولوس
 قبض عليه حينًا، إذ ارتبك وسط الزحام، فسلبه
 على الفور قوته، ضاربًا عنقه بسيفه الفتاك
 ومن أثر الدماء، بات السيف دافئًا، وحل الظلام
 الدامس والقدر القاسى على عينيه.
 ٣٣٥ ثم التحم بينيليوس وليكون، واشتبكا مندفعين
 برماحهما، ودونما جدوى إذ أخطأ كلاهما الآخر،
 فلم يصب رمح أحدهما الآخر. فانها لا ضربًا بالسيف.
 وعلى الفور، ضرب ليكون شارة الخوذة عند تجويفها

- فتحطم السيف تمامًا من مقبضه. ثم ضربه بينيليوس
 ٣٤٠ تحت أذنه، فغاص السيف كله، وما بقى سوى المقبض
 فقط، وتدلّت الرأس جانبًا، وارتخت الأطراف.
 وأدرك ميريونيس، بخطواته الواسعة أكاماس،
 وهو يمتطى عربته، وضربه بقوة فى كتفه فهوى من عربته،
 وخيمت غمامة على عينيه. ثم ضرب إيدومينيوس
 ٣٤٥ بقوة إريماس على فمه بسلاح لا يرحم
 فانغرس برونز الحربة، إثر الطعنة البارعة،
 من أعلى المخ وحتى أسفله، وانتشر العظم الأبيض
 ونفرت أسنانه خارج فمه، وقد امتلأت عيناه
 بالدماء، التازقة من فمه ومنخاره
 ٣٥٠ حيث فغر الفاه وطوته سحابة الموت السوداء.
- هكذا كان كل واحد من قادة الدانائيين يصرع غريمه من الأعداء
 مثلما تنقض الذئاب المفترسة على الحملان الصغيرة
 يتخيرونها من بين القطيع، عندما تنتشر مبعثرة فوق الجبال، فى غفلة
 من الراعى، فما أن تلمحها الذئاب، حتى تتريص بها
 ٣٥٥ وسرعان ما تمزقها إربًا إربًا، فهى ضحايا ضعيفة القلب جبانة.
 هكذا انقض الدانائيون على الطرواديين، الذين لم يفكروا
 إلا فى الفرار والصراخ، وقد باتت بسالتهم مجرد ذكرى.
- لكن أياس العظيم، طالما استهدف هيكتور المسلح بالبرونز
 مثلهاً أن يرميه برمحه، إلا أن هيكتور الماهر فى شئون الحرب
 ٣٦٠ غطى عرض كتفيه بدرع من جلد الثور،
 وبات يراقب طنين السهام وعويل الرماح.
 ومع أنه أدرك حقيقة تبدل كفتى ميزان القتال،
 إلا أنه صمد وتغافى فى إنقاذ رفاقه المخلصين.

- ومثلما يحدث عندما تغيم سحابة من الأوليمبوس، عبر الأثير العلوى
 (سحابة) من العباب المقدس، عندما يرسل زيوس عاصفة عاتية. ٣٦٥
 هكذا انطلق الداناتيون من السفن فى صخب
 عبروا (الخنق) فى غير نظام. لكن الخيول الراكضة كانت
 تحمل هيكتور، ومعه أسلحته تطير به بعيداً حيث ترك جحافل
 الطرواديين الذين كانوا جميعاً مكبوحين كرهاً، بخنق عميق،
 وهلك كثيرٌ من الخيول السريعة التى تجر العربات، عند الخنق ٣٧٠
 العميق وتحطمت عرائشها وتخلت عن عربات أصحابها.
 واصل باتروكلوس الهجوم، صائحاً بالداناتيين
 عاقداً العزم على دحر الطرواديين، الذين تخبطوا فى كل الطرق
 يفررون ويصرخون مهزومين مشتتين، وهبت فوقهم زوبعة
 بلغ غبارها السحاب، و كانت الخيول ذات الحافر الواحد ٣٧٥
 تركض من السفن والخيام صوب المدينة. توجه باتروكلوس
 إلى حيث لمح الحشود الكثيفة المنحدرة وأطلق صيحة الحرب،
 بينما يتساقط الرجال تحت عجلاته،
 كما تهاوت العربات محدثةً ضجيجاً.
 وطارت الخيول الخالدة فوق الخنق ٣٨٠
 تلك الخيول التى منحتها الآلهة لبيليوس هبة إلهية مجيدة
 كان باتروكلوس يهفو إلى ملاقاته هيكتور، فقلبه
 يتوق إلى الفتك به، لكن خيوله كانت تطير به بعيداً.
 وكما تعتم الأرض السوداء تحت زوبعة هوجاء
 فى خريف ما، إذ يرسل زيوس الأمطار العاصفة ٣٨٥
 ساخطاً على هؤلاء البشر، الذين يثيرون حفيظته
 بما ينطقون به، فى ساحة الاجتماع من أحكامٍ مُخْلِةٍ دون مراعاة
 للحق والعدل ويقظة السماء وانتقامها.

- عندئذ تقيض الأنهار على ضفافها
 ٣٩٠ وتتدفق إلى منحدرات التلال فى سيول جارفة.
 تتدفق من الجبال فى صخب نحو البحر الأرجوانى التائر.
 تنهمر السيول مدوية، ومدمرة حقول البشر، ومزروعاتها
 هكذا كانت تعدو خيول الطرواديين، وهكذا كان أنينها.
 شئت باتروكلوس صفوف الطرواديين الأمامية
 ٣٩٥ وقذف بهم إلى الوراء، ناحية السفن، ولم يُمكنهم
 رغم لهفتهم، من أن تطأ أقدامهم المدينة.
 إذ ما بين السفن والنهر والسور مرتفع البناء
 حاصرهم وانتقم منهم للكثيرين.
 كان برونوؤس أول من ضربه بحربته المتلألئة
 ٤٠٠ فى صدره المكشوف، فأرعى أطرافه
 وارتطم بالأرض. وكان ثيستور بن اينوبس الثانى
 حيث كان يجلس فوق عجلته الحربية المصقولة
 مشتمًا فكره من الذعر، فأفلتت
 الأعتة من بين أصابعه، عندئذ اقترب (باتروكلوس)
 ٤٠٥ ووقف إلى جواره، وغرس حربته بين أسنانه فهشم فكه الأيمن.
 ثم التقط (باتروكلوس) حربته وسحبه إلى حافة عجلته كمن يسحب
 من البحر، وهو جالس على نتوء صخرى، سمكة مقدسة^(٦)،
 بخيط سنارة برونزى متلألئ. هكذا كان (باتروكلوس)
 يسحب (ثيستور) بحربته المتلألئة من عجلته الحربية،
 ٤١٠ ألقى به على وجهه فهوى على الأرض وفارقتة الحياة.

(٦) أو سمكة ضخمة" وورد عند هومروس ثلاثة تشبيهات بالأسماء. فبالإضافة إلى هذه الفقرة راجع الكتاب ٢٤
 بيت ٨١، و"الأوديسية" الكتاب ١٢ بيت ٢٥١-٢٥٦ حيث التشبيه ل هذه الفقرة الأخيرة يقترب من هذه
 الفقرة التى بين أيدينا. (المحرر)

- أسرع إريلاؤس ليعتنى به، إلا أن (باتروكلوس) ضربه بقوة
بجلمود صخر على رأسه، فتهشمت كلها
بداخل الخوذة الثقيلة، وسقط على الأرض منبطحاً
يرف حوله الموت سالب الأرواح.
- ٤١٥ هجم، بعد ذلك، على إريماس، ثم على أمفوتيروس
وايبالنتيس وتليبوليموس، بن داماستور، وكذلك إخيوس
وبيريس، وإفيوس أيضاً، ويوايبوس، وبوليميلوس بن أرجياس.
لقد طرحهم جميعاً على الأرض الحاضنة، واحداً تلو الآخر.
وما إن رأى ساربيدون رفاقه بأردية منزوعة الأحزمة
- ٤٢٠ وقد ضربوا على أيدي باتروكلوس بن مينويثيوس
حتى صرخ موبخاً الليكيين أشباه الآلهة:
"يا للعار، أيها الليكيون، إلى أين تفرون؟ هلموا، أسرعوا!
حيث إننى سأجابه هذا الرجل حتى أعرف
من ذا الذى يسيطر، هكذا، علينا؟ ذلك الذى أنزل بالطرواديين
شروراً دامية، ويشيع الرعب بقلوب رجال يواسل"
- ٤٢٥ تكلم، ثم قفز من فوق عجلته الحربية إلى الأرض فى كامل عدته
متأهباً. أبصره باتروكلوس فقفر، هو أيضاً، من فوق عجلته الحربية
فى مواجهته كأنه مثل نسرين بمخالب ملتوية يمتاير خطافية
يطلقان الصرخات، على قمة منحدر شاهق، تاهباً للقتال
- ٤٣٠ هكذا أطلقا الصرخات، واندفع كل منهما إلى الآخر.
رأهما، حينئذ، ابن كرونوس ذو المكر الملتوى
فأثفق عليهما، فتحدث إلى زوجته وشقيقته هيرا:
"أه، يا ويلاه، مقدرٌ على ساربيدون، أعز البشر لدى
أن يموت بأيدي باتروكلوس بن مينويثيوس.

- ٤٣٥ حقيقة، انشطر قلبي بصدري شطرين
أفكر فى أمرين: إما أن أنتشله حيًا بعيدًا عن المعركة المبكية،
وأعيده إلى منزله بأرض ليكيا الخصبة،
أو أن أدعه يهزم على أيدي ابن مينويتوس"
وأجابته بدورها المعبودة هيرا واسعة العينين كالمها:
- ٤٤٠ "يا أكثر أبناء كرونوس بشاعة، ما هذا الذى قلتَه؟
أتريد أن تخلص من برائن الموت إنسانًا فانيًا مقدر له أن يموت؟
افعلها، لكننا، معشر الآلهة، لن نبارك ذلك. أقول لك، ولتصت جيدًا.
٤٤٥ لو أنك أرسلت ساربيدون النبيل، الآن، إلى بيته حيًا،
تأكد أن أى إله آخر قد يرغب
فى إقصاء ابن عزيز لديه عن ساحة القتال،
فأبناء الخالدين الذين يحاربون مدينة برياموس العظيمة كثيرون،
ومتزرع بين الآلهة بذور الغضب والغيرة.
٤٥٠ إذا كان (ساربيدون) عزيز لديك، ينفطر له قلبك حزناً،
دعه يلج غمار الحرب، دعه يُهزَم على أيدي باتروكلوس
بن مينويتوس. فإذا غادرت الروح جسده،
فابعت (إله) النوم الهادئ و(إله) الموت ليحملانه سريعًا
٤٥٥ إلى مثواه بأرض ليكيا الشاسعة.
هناك، يواريه أقاربه وأصدقائه التراب فى مراسم دفن مشرفة،
ويشيدون له ضريحًا يليق بميت مثله"
أنصت إليها أبو البشر والآلهة عندما كانت تتكلم،
وصبأ، على الأرض وابلاً من أمطار غزيرة فى لون الدم،
٤٦٠ تكريمًا لابنه العزيز، الذى قُنِرَ أن يقتله، فى الحال، باتروكلوس
على أرض طروادة الخصبة، بعيدًا عن وطنه.
وبينما هما يذنوان مندفعين كل نحو الآخر،

- على الفور، ضرب باتروكلوس برمحه ثراسيميلوس الشهير،
 حامل الدروع الوفى لعاهل (ليكيا) سارييدون،
 ٤٦٥ وأصابه أسفل أحشائه، حتى خلع أطرافه.
 هجم عليه سارييدون برمحه البراق
 فأخطأه وأصاب جواده الفانى بيداسوس،
 طعنه برمحه فى كتفه الأيمن، فصهل الجواد مسلماً الروح،
 وانطرح يئن وفارقته الحياة بينما جناح الجوادان الآخران
 ٤٧٠ الخالدان حتى تصدع فوقهما نير العجلة الحربية.
 سقط الجوادان متشابكين وتجرجرت الأعنة متشابكة فوق التراب.
 عرف أوتوميدون الشهير كيف يتصرف برمحه
 وجاءه الحل، فاستل سيفه الهائل من غمده بجانب فخذة اليدين
 ولم يتردد، فقفز ليقطع رباط الجواد (الفانى).
 ٤٧٥ انفرجت (سيقان) الجوادين الخالدين وشداً إلى الأعنة.
 ومرة أخرى التقى المحاربان فى صراع مميت.
 أخطأ رمح سارييدون البراق الاتجاه، مرة أخرى
 مرقت رأس الرمح تهتز فوق كتف باتروكلوس اليسرى
 ولم تصبه. فصوب بدوره باتروكلوس
 ٤٨٠ بدقة فذيفته البرونزية، ولم تكن لتنتلق عبثاً هذه القذيفة من بين يديه
 فأصاب (غريمه) حيث يحيط الحجاب الحاجز القلب النابض.
 ومنثماً تسقط شجرة البلوط أو الصفصاف، أو كشجرة صنوبر
 بأسفة قطعها صناع السفن فوق الجبال بفئوس حادة من أجل
 أخشاب السفن. هكذا سقط سارييدون بصرخة مكتومة،
 ٤٨٥ سقط مفترشاً الأرض، أمام خيوله وعريته الحربية.
 كان يئن بمرارة قابضاً براحتيه التراب المخضب بالدماء.
 كان الأمر كما لو انقض أسد على قطع مارق، حيث أفترس

- ثورًا ضخماً أسمر يميل للأصفرار، من تلك الثيران ثقيلة الخطا
فيسقط متأولها تحت مخالب الأسد وفكيه.
- ٤٩٠ هكذا كان سقوط قائد الدروع الليكي (ساربيدون) أمام باتروكلوس،
ومع أنه كان مجروحاً على حافة الموت، نادى رفيقه العزيز
"أى جلاوكوس، أيها الرفيق العزيز، أيها المحارب بين الأبطال
ينبغي أن تثبت أنك رماح ومحارب شجاع.
ولتكن، لعنة الحرب بغية قلبك، إن كنت بأسلاً
سر هنا وهناك، وفي كل مكان، واستنهض قوة الأبطال
٤٩٥ قادة الليكيين إلى القتال من أجل ساربيدون،
قاتل بأسلحتك البرونزية دفاعاً عني،
فأنا، بعد كل شيء، عارك وخزيك
طيلة أيامك وللأبد، لو سلب الآخيون أسلحتي.
٥٠٠ ها أنا ذا أرقد بين حشود السفن
لتنهض، بكل قوتك، ولتشعل حماسة الجيش كله"
ما أن انتهى كلام البطل، حتى داهمته سكرة الموت
حطت كسحابة على منخاريه وعينيه. أما باتروكلوس فيقدمه
داس صدره، ونزع الرمح من جسده، فانبثق الحجاب الحاجز
٥٠٥ وكأنما قد انتزع، مع رأس الحربة، روح (ساربيدون).
حينئذ، أمسك الميرميدونيون خيول (ساربيدون) اللاهثة
تلهفاً للفرار، بعدما تخلت عن عجلات أصحابها الحربية.
تتأهى صوت ساربيدون إلى جلاوكوس فامتلاً حزناً موجعاً،
لأن قوته لم تجد شيئاً، فطوى الحزن قلبه.
٥١٠ أمسك ذراعه وضغطها بشدة، فالجرح يؤلم
ذلك الجرح الذي أحدثه تيوكروس برمحه، عندما كان يدفع
الهلاك المحيق برفاقه، ويقفز فوق السور العالى.

تحدث مبتهلاً إلى أبوللون بعيد السهام:

لتسمعنى أيها الملك، يا من تطأ الآن مكاناً ما بأرض ليكيا

٥١٥ الخصبة، أو قد تكون هنا بأرض طروادة، فأنت حينما تكون،
قادر على أن تسمع نداء البشر، المنكوبين مثلى، من ألم
جرح غائر أصابنى، وساعدى مهترىء فى كل موضع
بوخزات ألم حادة، ولم يتوقف قط نزيف الدم

٥٢٠ وألم الجرح رهيب، يعوق كفى فلا أستطيع أن أمسك رمحى جيداً،
ولا أن أوصل قتال الأعداء، وقد سقط رجلٌ من أشجع الرجال.
إنه ساربيدون بن زيوس الإله، الذى لم يساعد ولده.

أيها المليك، امنحنى الشفاء من هذا الجرح الأليم
لتسكن وخزات الألم الحادة، وامنحنى قوةً لأشد من أزر رفاقى
٥٢٥ أبناء عشيرتى الليكية، وأحثهم على القتال.

أجل، امنحنى القدرة على أن أقاتل دفاعاً عن جثة بطل هوى"
ابتهل، وسمعه فوييوس أبوللون،

وعلى الفور سكن الإله آلامه، كما أوقف نزيف الدم الأسود
المتدفق من جرحه الأليم، ومنح روحه قوةً.

٥٣٠ شعر جلاوكوس بما يحل فى روحه، وكان فرحاً
إذ أدرك أن الإله القدير استجاب لدعائه فى الحال،
فى البدء، سارع نحو الأبطال، قادة الليكيين
وحثهم جميعاً على القتال من أجل ساربيدون.

ثم ذهب بخطى واسعة وسط الطروانيين
إلى بوليداماس بن بانثوس، و أجينور العظيم.

٥٣٥ كما ذهب إلى آينياس وهكتور ذى الخوذة البرونزية،
دنا (منهم) ثم توقف، وتحدث بكلمات مجنحة:

- "أى هيكتور، يبدو أنك نسيت تمامًا حلفائك،
 وهم الذين من أجلك - بعيدًا عن وطنهم وأصدقائهم -
 ٥٤٠ قدموا حياتهم طوعًا، وأنت لا تكثرث بأن تدافع عنهم.
 ها هنا يرقد ساربيدون، قائد الليكيين المسلحين بالدروع، قتيلاً
 ذلك الذى أقام حكمه فى ليكيا على العدل والقوة.
 قد قتله أريس البرونزى بالرمح على يد باتروكلوس.
 فتعالوا أيها الأصدقاء، وقفوا إلى جانبه، واملأوا صدوركم بالهمة
 ٥٤٥ خشية أن يجرده هؤلاء الميرميدونيون من أسلحته،
 ويمثلوا بجثته انتقامًا للقتلى الكثيرين من الدانائيين
 وقد قتلناهم برماحنا عند السفن السريعة"
 عبأت كلمات (جلاوكوس) الطرواديين بشعور طاغ
 من الخزي والحزن، فساربيدون كان غريبًا عن سلاتهم،
 ٥٥٠ ودائمًا ما كان حصنًا لهم ولمدينتهم، تبعث (جلاوكوس)
 حشود الجيش الغفيرة، وكان أبسلهم فى القتال.
 تقدموا بلهفة نحو الدانائيين يفودهم هيكتور غاضبًا من أجل ساربيدون.
 لكن باتروكلوس بن مينوبتيوس قاسى القلب حرض الأخيين.
 ٥٥٥ فتحدث أولاً إلى الثنائى آياس، حيث كانا متلففين (على القتال)
 "أيها الثنائى آياس، ليكن لكما أن تتمتعاً بهزيمة الأعداء
 ومثلما كنتما عليه من شجاعة بين الرجال من قبل، لتكونا أكثر شجاعةً
 الآن حيث يرقد صريعًا، ذلك الذى كان أول القافزين فوق الحائط"^(٥)
 الآخى، إنه ساربيدون، فهلما تمثل بجثته
 ٥٦٠ ونزع عن كتفه أسلحته. أما عن رفاقه الكثيرين

(٥) ورد فى الكتاب الثانى عشر بيت ٣٩٧ وما يليه أن هيكتور هو الذى قفز أولاً ومع ذلك ليس فى هذا الاختلاف ما يدعى للشك فى صحة هذه الفقرة أو تلك. (المحرر)

- فألقطع دابرههم بالبرونز الفتاك جزاء ما فعلوا للدفاع عنه"
 ذلك ما تقوه به، وكان كلاهما يتلهفان على هزيمة الأعداء.
 احتشد المحاربون على كلا الجانبين، هنا الطرواديون والليكيون،
 ٥٦٥ وهناك الآخيون والميرميدونيون. خاضا معركةً من أجل جثمان
 ساربيدون، كان الصياح مخيفاً وصليل أسلحة المحاربين مرعداً،
 أنزل زيوس على الليل، ظلاماً دامساً، فغطى ساحة المعركة،
 لكي يرفع ويلات الحرب من حول ابنه العزيز.
 كان الطرواديون أول من طردوا الآخيين ذوى العيون البراقة،
 ٥٧٠ قتل من بين الميرميدونيين رجل لم يكن أقل الميرميدونيين شأناً
 على الإطلاق. إنه أبيجيوس العظيم بن أجاكليس قوى الهمة،
 كان ملك بوديون، المدينة العتيقة المنيعه
 فيما مضى، يبدو أنه قتل أحد أقاربه النبلاء
 ثم جاء ضارعاً إلى بيليوس وإلى ثيتيس فضية القدمين،
 ٥٧٥ فأرسله ليلحق بأخيلئوس قاتل الأبطال،
 فجاء إلى إليون أرض الجياد الرائعة، ليحارب الطرواديين.
 وبينما كان متشبثاً بجثمان ساربيدون، ضربه هيكتور المجيد
 بحجر على رأسه، حتى تهشمت
 داخل خوذته الثقيلة، وهوى على جثمان (ساربيدون) منكفئاً على وجهه
 ٥٨٠ وخيم الموت، سالب الأرواح، حوله من كل ناحية.
 وشمل حزن مجنون باتروكلوس، لمقتل رفيقه المقتول
 فانقض (باتروكلوس) كالصقر على صفوف المحاربين الأولى.
 ومثل الصقر بأجنحته السريعة يشمت الغربان والزرارير
 هكذا انقضضت يا باتروكلوس يا قائد الفرسان على الليكيين
 ٥٨٥ وعلى الطرواديين، وقلبك ملئء بالغضب من أجل رفيقك.
 فضرب سثينلاؤس الحبيب بن إيتايمينيس

- بحجر هتك أعصاب عنقه. تقهر محاربو المقدمة، وكذا هيكتور المجيد
بعيداً عن المدى الذى يمكن أن تصل إليه الحربة الخفيفة التى
يلقيها رجلٌ يجرب قوته فى القتال. ٥٩٠
- من أجل مكافأة، أو فى معركة ضد عدو كريمة،
إلى هذا المدى تقهر الطرواديين ودفعهم الآخيون بعيداً،
كان جلاوكوس قائد الليكيين أول المسلحين بالدروع
من استدار وقتل باثوكليس شديد البأس
الابن الحبيب لخالكون، الذى يقطن قصرًا منيفاً بهيلاس. ٥٩٥
- كان يفوق رفاقه الميرميدونيين مالا وجاهًا،
ضربه جلاوكوس فى صدره برمحه.
استدار (جلاوكوس) إليه فجأة، وقد أوشك (باتوكليس)
أن يهزمه، فسقط (باتوكليس) محدثاً ضجة، فتملك حزن شديد الآخيين
لأن رجلاً شجاعاً قد سقط، بينما غمرت الطرواديين سعادة تفوق الحد
فالتفروا من حوله فى حشد دائرى. لكن الآخيين
لم ينسوا بسالتهم أبداً، فانقضوا عليهم بكل قوة.
قتل ميريونيس أحد الرجال الطرواديين المسلحين بالخوذات
العزیز لأوجونوس بن أونيتور، الذى كان قد عين
كاهناً لزيوس المعبود على جبل إيدا، وكان الناس يبجلونه كإله. ٦٠٥
- ضربه (ميريونيس) أسفل فكه وأذنه، فزهق على الفور روحه
من بين أطرافه، ونزلت عليه عتمة كريمة.
دفع آينياس نحو ميريونيس رمحه البرونزى
على أمل أن يقتله، حين رآه يتقدم حامياً نفسه بالترس.
ولكنه راوغ الرمح البرونزى،
انحنى للأمام، فمرق الرمح الطويل وسقط خلفه
وانغرس رأسه فى الأرض، وظل طرفه منتصباً يهتز. ٦١٠

- بيد أن آريس القوى هدأ ضراوته في الحال.
اهتز طرف رمح آينياس هادئاً في الأرض ،
٦١٥ لقد انطلق من يده القوية عبثاً
تملك الغضب قلب آينياس وصاح عاليًا:
"يا لك من راقص حقاً يا ميريونيس،
لو أصبتك، لكاد رمحي يوقفك للأبد (عن الرقص)"
فأجابه ميريونيس الشهير برمحه:
- ٦٢٠ "مهما كنت شجاعاً، صعب عليك الأمر، آينياس
تود أن تحطم قوة كل الرجال، الذين يواجهونك في القتال
أنت بشر، فيما أظن ، ولو قذفتك بالبرونز الفتاك وأصبت خصرك
ساعتها، ورغم شجاعتك وثقتك في يديك، عليك أن تمنحني
٦٢٥ المجد ، فلتسلم روحك إلى هاديس الشهير بالجياد"
وما أن قال ذلك حتى عنفه ابن مينوبيتيوس القوى:
"أيصدر عنك كلام كهذا، ميريونيس، رغم شجاعتك؟!
أي صديقي الطيب، ليس بمجرد التأنيب
سينسحب الطرواديون عن الجثة قبل أن تلتهم الأرض الكثيرين.
٦٣٠ فمسألة الحرب بين أيدينا، أما الحوار فسيأتي دوره لاحقاً في ساحة
الاجتماع فلا مجال الآن لأن نكثر من الكلام وهيا إلى القتال"
ذلك ما قاله شبيه الآلهة، ثم مضى إلى القتال يتبعه الآخرون
وكما يعلو ضجيج فنوس الحطابين عاليًا
عند وديان جبل، فتسمع عن بعد أصداؤها.
- ٦٣٥ هكذا كان تصاعد ضجيج المحاربين، على الأرض واسعة الشعاب
يتناهى رنين البرونز والتروس، التي تشكلت ببراعة من جلد الثور،
ومن فوقهم ضربات السيوف والرماح مزدوجة الرعوس.

- لم يتمكن أحد من رؤية ساربيدون الإلهي، حتى ولو كان يعرفه جيداً
كان مغطى تماماً بالقدائف والتراب وأشلاء المعركة،
٦٤٠ مغطى من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ،
واحتشدوا حول جثمانه، كأسراب الذباب تنز في مزرعة،
على سطح جرار حليب ممتلئة وطافحة ،
حيث يملأ الحليب الصافي الجرار في فصل الربيع.
هكذا احتشد (المحاربون) حول الجثمان، لكن زيوس
٦٤٥ لم يحول عينيه البراقنتين عن الصراع المميت،
حملك فيهم بثبات، وبات يتدبر الأمر في عقله.
ولمدة طويلة فكر في قتل باتروكلوس الشجاع.
أوجب على هيكتور المجيد، أن يسارع في هذا العراك المهلك
بقتل (باتروكلوس)، هناك، عند جثة ساربيدون
٦٥٠ شبيه الآهية؟ يصرعه بالبرونز، ويجرد كتفيه من الأسلحة أو أن
يعفيه من الموت ويتيح له فرصة المزيد من القتل وويلات الحرب؟
بدا له، بينما يتفكر، أن أفضل ما يكون
هو أن يدفع حامل الدروع الوفي لأخيليوس
ليطيح بكل من الطرواديين وهيكتور صاحب الخوذة البرونزية.
٦٥٥ وهكذا يعودون، إلى مدينتهم، بعد إزهاق أرواح الكثيرين
وبدا بأن ألحق اللهن بقلب هيكتور، الذي وثب فوق عجلته الحربية
وأدار خيوله للفرار ونادى الباقين من الطرواديين لينجوا بأنفسهم،
إذ كان قد رأى أن كفتى ميزان زيوس المقدس يتبدلان.
لم يصمد الليكيون البواسل، بعدها، إذ حل الفرع فيهم جميعاً،
٦٦٠ عندما رأوا مليكهم (ساربيدون) مصاباً في قلبه
مسجى مثقل جسده تتراكم فوقه جثث القتلى،
عندما أشعل ابن كرونوس نار القتال.

- وانتزع (الميرميدون) أسلحة الحرب البرونزية عن كتف ساربيدون وأرسلها ابن مينيوتيس الشجاع إلى رفاقه،
 ٦٦٥ كى يحملوها إلى سفنهم المجوفة
 حينئذ قال زيوس جامع السحاب متحدثاً إلى أبوللون:
 "تعال الآن، أيها الحبيب فويوس، اذهب وخذ من بين ساحة
 الرماح ساربيدون الميت، وطهره من الدماء القاتمة، ثم احمله
 بعيداً عن المعركة، واغسله عند جداول النهر، عطره بعطر إلهى -
 ٦٧٠ أميروسيا - وألبسه أرديةً ربانية وسلمه إلى الحمّالين السريعين
 إلى التوأم: (إله) النوم هيينوس و(إله) الموت ثاناتوس، اللذين
 يرسلانه على عجل إلى أرض ليكيا الخصبة الواسعة.
 هناك، يقيم له أقاربه وأصدقائه جنازة تكريمية
 ٦٧٥ سيقيمون له شاهداً وضريحاً، بما يليق بميت مثله"
 ذلك ما تكلم به، وكان أبوللون مصغياً لكلمات والده
 فنزل من جبال إيدا تجاه ساحة الحرب
 وسرعان ما انتشل ساربيدون الربانى من وسط وابل النيران.
 حمّله بعيداً عن ساحة القتال، وغسله فى جداول النهر
 ٦٨٠ ومسحه بعطر إلهى - أميروسيا - وألبسه أرديةً ربانية
 ثم أرسله مع حمّالين ذوى سرعة شديدة ليحملاه إلى التوأم -
 إله النوم هيينوس وإله الموت ثاناتوس - اللذان على الفور حملاه
 إلى وطنه ليكيا ليستقر فى رحابها الخصيبة.
 ولكن باتروكلوس صاح عاليًا فى خيوله، وفى أوتوميدون
 ٦٨٥ ومازال يهاجم الطرواديين والليكيين وقد غمره العمى تمامًا.
 ياله من أحمق! لم ينتبه لكلمة ابن بيليوس، ولو فعل
 لنجا بالفعل من الموت الأسود، ذلك القدر المشئوم.
 إلا أن تدبير زيوس غالبًا ما يفوق إدراك البشر،

- فحتى الشجاع يخور أمامه ويُسلب
 ٦٩٠ النصر ببساطة، ثم يحرّضه ثانية على القتال.
 هو الذى أثار الطيش فى صدر باتروكلوس
 فمن؛ إذن، كان أول من قتلت، ومن كان الأخير
 يا باتروكلوس، عندما كانت الآلهة تتأديك إلى الموت؟
 فأولهم كان أدراستوس، ثم أوتونووس وإخيكلوس
 ٦٩٥ وبيريموس بن ميجاس وإبيستور وميلانيوس ،
 وبعدهم إلاموس وموليوس بيلارتيس.
 قتلت هؤلاء، أما الباقون فلأذوا بالفرار.
 أوشك، حينها، أن يسيطر أبناء الأخيين على طروادة عالية الأبواب
 بأيدي باتروكلوس، فرمحه هاج وماج فى كل الاتجاهات.
 ٧٠٠ بيد أن فويوس أبوللون وقف فوق أعلى برج حصين
 يمد يده للطرواديين و يدبر لهلاكه (باتروكلوس).
 وكاد باتروكلوس أن يثب من فوق ركن من الحصن المنيع ثلاثاً ،
 بيد أن الإله القوى أبوللون دفعه للوراء ثلاثاً
 ضارباً درعه اللامع بيديه الخالدين.
 ٧٠٥ وفى المرة الرابعة، هجم عليه وهو على هيئة الإله
 زعق بصوت مخيف وبكلمات مجنحة قال :
 "استسلم يا باتروكلوس، يا سليل زيوس، لقد قُدرَ
 ألا تسقط مدينة الأكابر الطرواديين برمحك
 أو برمح أخيليوس، الذى يفوقك مهارة"
 ٧١٠ تراجع باتروكلوس بعيداً عن الحصن بمجرد سماع هذه الكلمات،
 حتى يتجنب غضب أبوللون بعيد الرمى بالسهم.
 كان هيكتور، وقتها، يقيد خيوله ذات الحافر الواحد
 عند بوابات سكاياى متردداً فى أن يتقدم، إلى المعترك من جديد

- أو أن يحشد الجيوش عند الحصن. وبينما هو كذلك،
 ٧١٥ تجلى له فويبوس أبوللون فى صورة بطل مغوار
 هو أسبوس خال هيكتور مروّض الخيول،
 شقيق هيكابى أمه، وابن ديماس والدها
 الذى كان يسكن فريجيا بالقرب من نهر سانجارىوس.
 ٧٢٠ اتخذ أبوللون بن زيوس صورته، ثم خاطبه:
 "أى هيكتور، لأى سبب توقفت عن المعركة؟
 لا يلىق ذلك بك، ليتنى، الآن، أقوى منك بقدر ما أنا بالفعل الآن
 أضعف منك. ما أشد الأسف لتتحريك، هكذا، عن القتال
 فلتأت، الآن، ولتوجه خيولك قوية الحوافر نحو باتروكلوس
 ٧٢٥ فلو تقتله بمنحك أبوللون المجد"
 وما أن قال الإله ذلك حتى انخرط، فى حشد الرجال.
 وأمر هيكتور المجيد كيبيريونيس حكيم القلب أن ينخس
 خيوله ويعود للقتال. عندئذ ذهب أبوللون
 وشق طريقه بين جموع المحاربين، وأشاع فى صفوف الأرجيين
 ٧٣٠ ارتباكاً مفرعاً، ليهيىء المجد لهيكتور والطرواديين.
 أما بقية الداناتيين، فتركهم هيكتور ولم يحاول قتلهم
 لكنه وجه خيوله صلبة الحوافر مباشرة إلى باتروكلوس.
 وثب باتروكلوس من عربته، إلى الأرض، بجوار (هيكتور)
 مستهدفاً إياه ممسكاً رمحه بيساره، وييمينه حجر
 ٧٣٥ براق خشن، غطته تماماً قبضته للعريضة.
 ثبت قدميه بقوة، وقذفه دونما رهبة من العدو،
 ولم يخفق الحجر، بل أصاب سائق هيكتور
 كيبيريونيس، الابن غير الشرعى لبرياموس المجيد.
 كان يمسك بأعنة الجياد، فأصابه الحجر المدبب

- ٧٤٠ في جبهته، وسحق كلا حاجبيه، فلم تتماسك
العظمة، وسقطت عيناه في التراب
عند قدميه، وسقط، على الفور كيبيريونيس كغواص
من فوق عربته المزركشة جيداً، ومات
وسخرت منه، أيها الفارس باتروكلوس قائلاً:
- ٧٤٥ "يا إلهي، يا له من رجل رشيق، عرف كيف ينقلب بخفة رائعة،
قلو كان (يصطاد) في بحر عميق عامر بالأسماك
لأشبع الرجل، فيما أظن، الكثيرين بالمحار،
لاسيما أنه، برغم الجو العاصف، قفز من سفينته
وغطس بخفة من فوق عربته الحربية على السهل !
حقاً يبدو أنه يوجد غواصون بين الطرواديين"
- ٧٥٠ تكلم باتروكلوس، ثم تقدم نحو البطل كيبيريونيس
وثب كأسد يشنت قطعان الحظيرة،
فجرحه إثر ضربة رمح في صدره، فخارت قواه، وهلك.
هجمت على كيبيريونيس يا باتروكلوس بضراوة،
وإلى جانبك وثب هيكتور من فوق عربته إلى الأرض.
- ٧٥٥ وتصارع الاثنان، من أجل كيبيريونيس، كأسدين
يقتتلان، أو قد استبد بهما الجوع على قمم الجبال
يتجاذبان بضراوة أيلة مقتولة.
هكذا، من أجل كيبيريونيس، كانت فرصة القتال بين البطلين
باتروكلوس بن منوييتيوس وهيكتور المجيد.
- ٧٦٠ يتحفز كلاهما لنهش لحم الآخر بأسلحة من البرونز الفتاك.
قبض هيكتور على رأس الميت ولم يتركها
ثم أمسك باتروكلوس، بدوره، القدم. وأما باقي
الطرواديين والدانائيين فالتحما في صراع دام

- ٧٦٥ ومثلما تتنافس رياح الشرق يوروس ورياح الجنوب نوتوس
عند أودية الجبل، على العصف بأشجار الغابة
من الزان والدردار، وأشجار القرانيا ناعمة اللحاء،
فتتلاطم فى جلبية تلك الأشجار، واحدة مع الأخرى، بفروعها العجيبة
وتتصادم أطرافها الممتدة، فتتصدع وتنكسر.
- ٧٧٠ هكذا، هجم الأخيون والطروديون، كلّ يحاول قتل الآخر،
ولم يفكر كلا الطرفين فى الفرار المخزى.
عوت رياح عاتية حول الميت ،
وتراشقت من بين أوتار الأقواس سهام مجنحة،
قصف وابل الأحجار الضخمة تروس الأبطال،
- ٧٧٥ كان (الرجال) يتحاربون حول (جثة كيريونيس) وهو مسجى فى خضم
العاصفة الترايبية، حيث سقط جباراً عاتياً، وقد نسيت أعماله الفروسية.
وظالما دامت الشمس ساطعة فى كبد السماء
باتت القذائف تتساقط بقوة من كلا الجانبين، وتصيب أهدافها.
وحين مالت الشمس قرب موعد رفع النير عن الثيران
تفوق الأخيون بما يتعدى أى توقع.
- ٧٨٠ سحيرا، حينئذ، جسد البطل كيريونيس من بين القذائف
بعيدا عن صياح الطرواديين، ونزعوا عن كتفيه الأسلحة.
هجم باتروكلوس على الطرواديين بعزم شديد،
انقض عليهم ثلاثا، كآريس السريع
- ٧٨٥ صائحا صيحته المفزعة، وقتل فى كل مرة تسعة أبطال.
وفى الرابعة، انقض عليهم مثل إله.
تبدت لك يا باتروكلوس نهاية الحياة
حين واجهت فويبوس فى نزال دام.
كم هو إله مروع! دخل المعركة

- ٧٩٠ وكان يغلفه ضبابٌ كثيفٌ، ولم يميزه باتروكلوس.
ثبت خلف (باتروكلوس) وضرب بيده على ظهره
وكتفيه العريضين بقوة، ودارت عينا الإله في غضبه.
أسقط فويبوس أبوللون خوذته عن رأسه
تدحرجت مقعقة تحت حوافر الخيول
- ٧٩٥ كانت ذات تجويف عمودي، فتلطح ريشها المصنوع من شعر الجياد،
تمرغت في الدماء والتراب، ولم يكن مقدراً لها قبل الآن
أن تتلطح، هكذا، في التراب، ولاسيما أنها مكسوة بذيل حصان
كانت تحمي رأس البطل الإلهي أخيليوس وطلعته البهية.
منحها، أخيراً، زيوس إلى هيكتور
- ٨٠٠ ليضعها بزهو على رأسه، مع أن نهايته قد اقتربت.
وتحطم في يد باتروكلوس الرمح مديد الظل،
النقييل الهائل القوي ذو النصل البرونزي الحاد،
وسقط الدرع على الأرض يصلصل منفصلاً
عن كتفيه لقد فك الملك أبوللون بن زيوس درعه،
- ٨٠٥ وحل العمى على قلب (باتروكلوس) وارتخت أطرافه المجيدة.
وقف، هناك في هذيان ووثب على مسافة منه رجل دارداني
وضربه على ظهره ما بين كتفيه برمح بتار
إنه يوفوربوس بن بانثووس، الذي يفوق كل رفاقه
في إطلاق الرماح وركوب الخيل والعدو.
- ٨١٠ أجل، لقد ألقى عشرين رجل من فوق عجلاتهم الحربية،
عندما دخل بعربته من أجل التدريب للمرة الأولى على القتال.
فهو أول من وصل إليك برمحه، أيها الفارس باتروكلوس.
مع ذلك لم يقهرك، وعاد ليندس وسط الحشد
بعدما سحب حربته الرمادية من جسدك.

- ٨١٥ لم يصمد أمامك رغم كونك منزوع السلاح
هزمت يا باتروكلوس بضربة الإله وبالرمح
ونجوت من الموت إذ تراجعت إلى صفوف رفاقك.
رأى هيكتور أن باتروكلوس شديد البأس
أصابه رمح برونزى باثر وتراجع عن مقدمة المعركة.
- ٨٢٠ اخترق الصفوف واقترب منه وضربه برمحه، أسفل بطنه مباشرة
فاخترق السلاح جسده. سقط مجلجلاً، فألم الحزن العميق بالأخيين.
ومتلماً يفترس أسدً خنزيراً لا يكلُ في معركة،
إذ يتناحران بحماس شديد عند قمة جبل
- ٨٢٥ لكيلا يفتسما الشرب من نبع صغير.
ينفتخ الخنزير لكن الأسد يقهره بقوته.
هكذا كان الابن الباسل لمينويثيوس، بعد أن قتل
الكثيرين، سلبه هيكتور بن برياموس حياته برمية رمح صائبة
وخاطبه في زهو، بكلمات مجنحة:
- ٨٣٠ "باتروكلوس، حقاً، كنت تفكر في نهب مدينتنا
وتسلب النسوة الطرواديات حريتهن، وتسوقهن معك أسيرات
إلى السفن نحو وطنك الحبيب.
يا لك من أحمق، لأن خيول هيكتور السريعة أمامهن
متلهفة كلها للحرب، أما أنا، فواحد من الطرواديين
- ٨٣٥ محبى الحرب، هذا رمحي، الذى يصدُ
عنهم يوم الهلاك. أما أنت، فلسوف تنهشك النسور هنا.
يا لك من تعيس، فحتى أخيلئوس بكل شجاعته لن يجديك نفعاً
فيما أظن، ورغم بقاءه هناك، أمرك وأنت قادم إلى هنا بقوله:
إني أمرك ألا تعود ثانية يا باتروكلوس يا سيد الفرسان
- ٨٤٠ إلى السفن المجوفة، قبل أن تكون قد شققت

- عباءة هيكتور، قاتل الأبطال، الأرجوانية من على صدره.
هذا ما أظن أنه تكلم به إليك وتلقاه عقلك الأحمق.
وأجبت، أيها الفارس باتروكلوس بأنفاسك الواهنة قائلاً:
"لتتفاخر، كيفما شئت، بقوتك يا هيكتور،
٨٤٥ فزيوس بن كرونوس وأبوللون قد منحك النصر وأخضعاني
ببساطة، وهما اللذان جرذا كتفى من أسلحته.
ولو أن عشرين رجلاً من البشر أمثالك واجهوني
لتقهرتهم برمحي ولهلكوا جميعاً.
القدر العنيد، وابن ليتو (أبوللون)، فقط، هما اللذان قتلتني
٨٥٠ أما من البشر، فهو يوفوريوس، ولم تكن أنت إلا ثالث من طعنوني
سأقول لك شيئاً، ضعه في قرارة نفسك:
أنت نفسك لن تحظى بحياة مديدة، فالموت ويد القدر ثقيلان،
يحومان بالقرب منك. ستموت (يا هيكتور) على أيدي أخيليوس
سليل أياكوس، الذي لا نظير له"
٨٥٥ تلك كانت كلماته قبل أن يغمره خلاص الموت
رحلت روحه إلى مقر هاديس متطائرة من بين أطرافه
وهي تندب مصيرها، تاركة ريعان الشباب وعنفواته.
و رغم موته، إلا أن هيكتور المجيد تحدث إليه:
"لِمَ يا باتروكلوس تتبأ لي بدمار وشيك؟
٨٦٠ فمن يدري؟ لربما أقهر أخيليوس بن ثيتيس جميلة الشعر
برمحي، وأكون أنا من يباغته ويسلبه حياته"
قال ذلك وسحب الحربة البرونزية الحادة من الجرح،
وثبت باطن قدمه على الجسد ليدفعه بعيداً عن الحربة.
وعلى الفور، انقض شاهرًا رمحه على أوتوميدون

- ٨٦٥ شبيه الآلهة، وحامل درع سليل أياكوس سريع القدم كان متلهفًا لأن
يضربه، لكن حملته الخيول السريعة إلى الأمام، فكانت (هذه الخيول)
٨٦٧ الهدية الخالدة المجيدة، التي وهبتها الآلهة، من قبل، إلى بيليوس.

الكتاب السابع عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوي

- لم يغيب عن فطنة مينيلائوس بن أتريوس، حبيب آريس
إدراك أن باتروكلوس قد قُتِلَ في المعركة بيد الطرواديين.
ذهب إلى المقدمة بأسلحته البرونزية المصقولة، وحام حول
جسده، كما تحوم بقرة صغيرة لم تعان من قبل آلام الأمومة تطلق
صرخات الفرع فوق وليدها البكر.
- هكذا حام مينيلائوس ذهبى الشعر حول جسد باتروكلوس
شاهراً رمحه ودرعه المصقولين تماماً،
يتلهف لقتل من يغامر، محاولاً سلب الجثمان.
ولم يكن ابن بانثوؤس^(*) ذو الرمح الدردارى غافلاً
عن مقتل باتروكلوس الذى لا نظير له، دنا منه
مخاطباً مينيلائوس، حبيب آريس،
"أى مينيلائوس، يا ابن أتريوس، يا سليل زيوس،
يا قائد الجيوش، لتستسلم وتترك الجثة، ودع لى الغنائم الملطخة بالدم
القانى. فلن يوجد - من بين الحلفاء المشهورين ولا بين الطرواديين -
واحدٌ قد سبقنى فى النيل من باتروكلوس بالرمح فى المعركة المحتدمة.
فاسمح لى، من بين الطرواديين، أن أغتتم ذلك المجد المنشود.
وإلا ضربتك قاضياً على عذوبة روحك"
فأجابه مينيلائوس ذهبى الشعر فى غضب شديد:
"أى زيوس الأب، إن التباهى المفرط ليس حسناً، فليست روح
النمر أو الأسد أو الخنزير البرى المتوحش - تلك التى هى أعنف
وأشجع - كل المخلوقات، عندما ينفخ الواحد منها صدره عابساً -
ليست أكثر جسارة من روح أبناء بانثوؤس فى زهوهم، برماحهم
الدردارية. حتى هيبيرينور، ذلك القوى مروّض الخيول
لم يسعد قط بشبابه، عندما تجاسر وواجهنى بالإهانة، دونما تقدير

(*) يوفوربوس. (المحرر)

- ٢٥ معتقداً، بأننى أضعف محاربى الداناتيين
وأقلهم (جلداً)، بيد أن قدميه فيما أظن، لم تحمله إلى
وطنه، ليسعد زوجته الحبيبة وأبويه العزيزين.
هكذا، أيضاً، يبدو أننى سأسلبك قوتك إن جرؤت
على مواجهتى، فالأحرى بك أن تعود إلى جموع المحاربين.
٣٠ إننى أمرك بذلك، وألا تغامر بمواجهتى، حتى لا تقاسى
من الشر الأهوال، فسفيه من يعى الكلام بعد فوات الأوان"
هكذا كانت كلماته، لكن الآخر لم يفتتخ، فأجابه بقوله:
"حسنٌ يا سليل زيوس، يا مينيلائوس، الحق أنك ستدفع الآن
٣٥ (ثمن) أخى الذى قتلته^(*)، وتفاخرت (بقتله)
وجعلت من زوجته أرملة منعزلة فى حجرة عرسها الجديدة،
وألحقت بأبويننا كرباً وحزناً لا يوصفان.
سأكون لهما سلواناً فى حزنهما، وبلسمًا
لدموعهما إن عدت حاملاً رأسك وأسلحتك،
٤٠ ووضعتها بين أيادى بانثوؤس وفروننتيس المبجلة.
على كلِّ، لن يتأخر القتال طويلاً دون
الخوض فيه، سواء انتهى إلى الهزيمة أو إلى النصر"
هكذا نطق لسانه، ثم ضرب فوق درع (مينيلائوس) جيد الصقل،
لكن لم ينغرس البرونز فيه، إذ انثنى سن الرمح
٤٥ بسبب صلابة الدرع القوى، فما لبث مينيلائوس بن أتريوس
أن طعنه برمحه ذى السن البرونزى، مبتهلاً إلى زيوس أبى الجميع.
طعنه فى قاع حلقه من أسفله، فهوى على ظهره،
ولاحقه بيده العتية، وبثقل جسده،
دفع سن الرمح ليغوص فى رقبتة الواهنة

(*) يعنى هيرينور Hyperenor سالف الذكر والمشار إليه أيضاً فى الكتاب الخامس عشر ييت ٣٥٠. (اخرى)

- ٥٠ فارتطم بالأرض، وتكومت فوقه أسلحته فى صخب
وتبللت بالدماء خصلاته، الشبيهة بخصلات إلهات الحسن خاريتيس
المجدولة ضفائرها والمزينة بشرائط من الفضة والذهب.
كان كمن غرس شجيرة أبية، مثل زيتونة،
فى مكان منعزل تتدفق فيه المياه، فبزغت
٥٥ كبرعم جميل يافع، تداعبه النسائم كلها من
حوله، فيتمايل، ويزهر زهوراً بيضاء،
وفجأة باغته هبات الزوابع، الريح العاصفة
فاجتثته من جذوره، وطرحته أرضاً فتمدد هزياً.
هكذا كان (مينيلاؤس) بن أترىوس، عندما قتل يوفوريوس بن بانثوؤس
٦٠ ذا الرمح الدرديرى العتى، وجرده من أسلحته.
كان كأسد جبلي خطف، بكل شجاعة
أسمن البقرات بقطيع يرعى،
قبض بأسنانه القوية على رقبتها وكسرها
ثم مزقها وارتشف (بنهم) دماءها، وكذلك كل أحشائها،
٦٥ وتظل الكلاب (تنبح) من حوله، والرعاة (تصيح)
بصخب، عن بعد، بينما لا يجرؤ أحدهم بالمخاطرة
بمعركة خاسرة، حيث يوهنهم الرعب.
هكذا، لم تجش شجاعة واحد من الطرواديين فى صدره،
حتى يغامر بخوض معركة ضد مينيلاؤس ذائع الصيت.
٧٠ وكاد ابن أترىوس بسهولة أن يحمل أسلحة ابن بانثوؤس
المجيدة بعيداً، لو لم يحسده فوييوس أبوللون عليها.
فأشار حفيظة هيكتور السريع شبيه أريس
متخذاً هيئة منتيس، ذلك الرجل قائد الكيكونيين،
إذ رفع صوته بكلمات مجنحة، وخاطبه:
٧٥ "أى هيكتور، أنت تجرى الآن وراء أشياء ربما لا

- تحققها ؛ وراء خيول سليل أياكوس الحكيم، إنها لأبية تلك
الخيول على أن تسوسها، ولصعب على الرجال جميعًا
أن يسوسوها، إلا أخيليوس وهو ابن احدى الخالدات.
وكما ترى، فى إثر ذلك، مينيلأوس الشجاع ابن أتريوس
الذى يقف فوق جثة باتروكلوس، وقتل خير الطرواديين
يوفوربوس بن بانثوؤس، وقضى على شجاعته الطائشة"
هكذا، تكلم الإله، واختلط مرة ثانية فى جلبه الرجال،
وغمر روح هيكتور حزن أليم، واغتمَّ.
وبينما كان يجول بين الصفوف هنا وهناك مستكشفاً، لمح
بسرعة ذلك الرجل الذى سلب الأسلحة المجيدة، وذلك الآخر
الذى افترش الأرض، والدم ينز ما يزال من جرحه الغائر.
فتقدم خلال الصفوف، وكان برونز أسلحته وضاءً،
صاح صيحته المفزعة التى تشبه وهج هيفايستوس
الذى لا يقمع، إلا أن ابن أتريوس لم يكن غير مبال بهذه الصيحة.
فاضطرب قوى القلب (مينيلأوس) وتحدث إلى روحه المعطاءة:
"ويلى إذا تخليت عن الأسلحة المجيدة، وكذلك باتروكلوس
الذى يرقد هنا قتيلًا، وقد قتلته (يونوربوس) دفاعًا عن كرامتى.
أخشى أن يلومنى بعض من يرانى من الدانائيين.
لكننى لو حاربت وحيدًا ضد الطرواديين وهيكتور
دفعًا للإهانة، أخشى وأنا وحيدٌ، أن يحاصرونى وهم كثر.
فهيكور نو الخوذة اللامعة يقود الطرواديين جميعًا إلى هنا.
ولكن لم تجادلينى على هذا النحو، أى روحى العزيزة؟
فمن يحارب ضد رغبات الآلهة رجلاً آخر
ممن تمجده الآلهة، سيلطمه الكرب كالموج.
لذا لن يلومنى واحدٌ، ممن سيروننى من الدانائيين
على هزيمتى أمام هيكتور، إذ يحارب باسم الآلهة.

- ليتنى أجد أياس البارع فى صيحة الحرب، هنا أو هناك.
فكلانا سيسعى مشحوناً بنشوة الحرب،
وسوف نسحب الرجل الميت، حتى ولو نازعتنا السماء،
لكى نسلمه إلى أخيليوس بن بيليوس، وتلك تكون أخف الشرور"
١٠٥ وبينما كان ابن أتريوس يقلب الأمر، فى قلبه وروحه،
حلت صفوف الطرواديين يقودهم هيكتور.
فتراجع مينيلائوس تاركاً جسد الميت. كان يتلفت حوله، كأسد أشعث
١١٠ تطارده الرجال والكلاب والصراخ والرماح،
بارح إحدى الحظائر، ورغم قوته تجمد قلبه بداخله
من الفرع، وغادر الحظيرة مرغماً.
هكذا رحل مينيلائوس ذهبى الشعر عن باتروكلوس الصريع،
ثم عاد أدراجه إلى الورا، وتوقف عند لحاقه بالرفاق
١١٥ باحثاً فى لهفة هنا وهناك عن أياس العظيم ابن تيلامون.
وسرعان ما لمح فى مسيرة المعركة يحث رفاقه على القتال.
هؤلاء الرفاق الذين أصابهم فويبوس أبوللون برعب من السماء.
هرع إليهم، ثم توقف عن قرب منهم، وقال:
١٢٠ "أى أياس، أيها الصديق الحبيب، هلم بنا ندافع عن
باتروكلوس الصريع، علنا نستطيع حمله إلى أخيليوس حتى ولو
كان مجرداً من أسلحته، التى سلبه إياها هيكتور ذو الخوذة اللامعة"
وما أن قال ذلك حتى أثار روح أياس حكيم القلب،
فسرعان ما تخلل (صفوف) المقدمة، معه مينيلائوس ذهبى الشعر
١٢٥ فى اللحظة التى ينزع فيها هيكتور الأسلحة المجيدة عن باتروكلوس.
كان يسحب الجسد بعيداً بنية أن يقطع العنق بالبرونز الفتاك
ويرميه إلى كلاب الطرواديين. فدنا أياس حاملاً درعه الشبيه بالبرج
فتراجع هيكتور برشاقة على الفور متجهاً إلى رفاقه،

- ١٣٠ إذ قفز إلى عجلته الحربية وعهد بالأسلحة المجيدة
إلى الطرواديين، يحملونها إلى المدينة لتكون مجده الأعظم.
وبينما كان أياس واقفاً يحمى ابن مينويتوس بدرعه العريض
ثابتاً كلبوءة تدافع عن أشبالها
عندما تقودهم إلى غابة كثيفة وتواجه
- ١٣٥ القناصين فتستجمع كل قواها في صدرها
وتكشر عابسة، وتقطب الحاجبين إلى أن تختفى عيناها.
هكذا، كان يرى أياس واقفاً دفاعاً عن البطل باتروكلوس،
ووقف مينيلائوس بن أتريوس بجواره صلباً، يطحن قلبه حزن عميق.
- ١٤٠ لكن جلاوكوس بن هيبولوخوس قائد رجال الليكيين
رمق هيكتور عابساً، ورماه بكلمات قاسية:
"أى هيكتور، تبدو أفضل الشجعان، لكن يعوزك في شئون
الحرب الكثير، فالمجد العظيم يغمرك هباءً، بينما أنت جبان رعديد.
عليك، الآن، أن تفكر في طريقة تحمى بها مدينتك ووطنك
بنفسك، مع الشعب الذى يتخذ من إيون وطناً.
- ١٤٥ فلا أحد من الليكيين سيحارب الدانائيين من أجل المدينة، وقد رأوا
أنهم لا يلقون الشكر على أداء واجبهم
بخوض غمار القتال فى قلب حشود الأعداء.
فكيف لك أن تنفذ من هم أقل جدارة بين ذويك فى الحرب،
وقد تركت، يا قاسى القلب، ساربيدون ضيفك ورفيقك
ليكون فريسةً للأرجيين وغنيمة،
وهو الذى كثيراً ما كان عوناً لك، أنت نفسك، ولمدينتك
طيلة حياته، وأنت الآن لا تجرؤ أن تحميه من الكلاب.
لو يسمعنى الآن أحد الليكيين
لذهبنا إلى بيوتنا، وأحاق بطروادة دماراً وشيك.
فإذا غمرت الطرواديين روحاً جريئةً وشجاعةً،
- ١٥٥

- مثل تلك التى تملأ قلوب الرجال وهم
 يخوضون غمار القتال العنيف ضد الأعداء من أجل بلادهم،
 لاستطعنا أن نسحب جسد باتروكلوس سريعاً إلى إليون.
 ١٦٠ أجل، وإذا جاء هذا الميت إلى مدينة برياموس العظيمة
 وإذا تمكناً أن نبعده عن المعركة لتتنازل الأرجيون سريعاً عن أسلحة
 ساربيدون العظيمة، واستطعنا أن نعيد (الجسد) إلى إليون^(*).
 فالقتيل باتروكلوس هو حامل الدروع، وهو أفضل
 ١٦٥ الأرجيين المحاربين بجوار السفن، هو وأتباعه المحاربون الآخرون.
 أنت لا تملك شجاعة تؤهلك لمقاومة أياس قوى القلب، ولا تستطيع
 الصمود أمامه أو أن تجابهه وجهاً لوجه وسط صيحات المحاربين،
 أنت لا تستطيع تحدى مَنْ هو أفضل منك"
 فقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة عابساً:
 ١٧٠ "أى جلاوكوس، لماذا - وأنت من أنت - تتكلم بطريقة
 غير لائقة؟ تباً، ظننت أنك تفوق غيرك حكمةً،
 أكثر من هؤلاء الكثيرين الذين يقطنون ليكيا ذات التربة الخصبة.
 ولكن الآن، ما أحمقك!
 تقول إننى لا أجرؤ على ملاقات عملاق مثل أياس،
 ١٧٥ إننى لا أهاب الحرب ولا جلبة الجياد،
 لكن تدبير وتقدير زيوس، لابس الدرع أيجيس، هما الأقوى دائماً،
 فهو الذى يفزع الشجاع ويسلبه النصر
 ببساطة، ثم يعود ليحرّضه على الحرب مرة أخرى.
 لكن تعال هنا، أيها الرفيق، قف إلى جوارى وانظر
 ١٨٠ ما أفعله، لتعرف ما إذا كنت اليوم ألعب دور الجبان، كما تدعى
 أم أن أيًا من الدانائيين، وأيًا تكون لهفته للقتال

(*) يبدو هنا أن جلاوكوس لا يعرف شيئاً عن حقيقة أن جسد ساربيدون قد نقله إله النوم وإله الموت من ساحة القتال إلى ليكيا. راجع الكتاب السادس عشر، بيت ٦٨٩. (المحرر)

سأكبح شجاعته وأحرمه من أن يقاتل دفاعاً عن باتروكلوس الصريع"

قال ذلك، وصاح بالطرواديين عالياً:

"أيها الطرواديون و الليكيون الداردانيون المقبلون على القتال

كونوا رجالاً، أيها الأصدقاء، واستثيروا شجاعتكم الجامعة،

بينما أتقلد أنا الأسلحة الباترة لأخيليوس العظيم،

تلك الأسلحة المجيدة، التى نزعته عن باتروكلوس عندما قتلته"

قال ذلك هيكتور ذو الخوذة اللامعة، ثم

ابتعد عن ساحة الوغى، ليلحق بأتباعه،

وسرعان ما لحق بهم مهرولاً لأنهم لم يكونوا على مسافة كبيرة منه.

كانوا يحملون أسلحة ابن بيليوس الشهيرة إلى المدينة.

توقف متجنباً جانب القتال العنيف وبدل أسلحته

فأعطاهم للطرواديين محبى الحرب لكى يحملوها

إلى إليون المقدسة، بينما تقلد هو الأسلحة الخالدة

التى كان أخيليوس بن بيليوس يرتديها، تلك الهدية التى صنعها

ساكنو السماء وقدموها إلى والده الحبيب، والتى عندما تقدم به السن

منحها لابنه، الذى لم يبلغ الشيخوخة بعد وهو يضع على كتفه

هذه الأسلحة. وعندما لمح زيريس، جامع السحاب، عن بعد

وهو متسلح بأسلحة ابن بيليوس شبيه الآلهة

حينئذ، هز الإله رأسه وخاطب نفسه:

"ويحك، يا لك من تعس، إذ لا تفكر فى الموت الذى سيحقيق بك

رغم أنه وشيك، أنت ترتدى الأسلحة الخالدة

لأفضل الرجال، الذى يرتجف أمامه كل من سواه.

أنت الذى قتلت رفيقه الشهم القوى

وأخذت الأسلحة من رأس صديقه وكتفيه

على نحو لا يليق، رغم ذلك، سأمنحك قوة هائلة فى الوقت الراهن

- مقابل ألا تعود أبداً من الحرب إلى أندروماخي،
تتسّم من يدك أسلحة ابن بيليوس المجيدة"
- هكذا تكلم ابن كرونوس وأوما بحواجه الداكنة،
٢١٠ وثبتت الأسلحة على جسم هيكتور، بل وألبسه روح آريس
الرهيب، حينئذ، شحنت أطرافه قوةً وشجاعةً،
انطلق تجاه حلفائه الأماجد
وصاح (بصوت عالٍ) ولاح أمام كل الجموع متلألئاً
في الأسلحة البراقة لابن بيليوس شديد البأس.
٢١٥ وما أن وصل إليهم حتى ألهمهم بكلمات حماسية.
حث على الحرب كلاً من ميستليس وجلاوكوس وميدون
وثيرسيلوخوس وأستيروبايوس وديسينور وهيونوثوؤس
وفوركيس وخروميوس وإينوموس العراف.
حثهم جميعاً على القتال، بكلمات مجنحة:
- ٢٢٠ "اصغوا إليّ يا قبائل الحلفاء الغفيرة، يا من تقطنون
حولنا، ليس لأنني أسعى أو أنشد فيكم الكثرة التي لا تحصى،
فما احتشدتم هنا بعيداً عن بيوتكم
إلا لتدافعوا، بكل ما أوتيتم من قوة، عن زوجات الطرواديين
وأطفالهم الأبرياء ضد الآخيين محبى القتال.
٢٢٥ لهذه الغاية أسعى وأكلف قومي بإمدادكم
بالهدايا والطعام، لتأتهب قوتكم وشجاعتكم،
ليسع كل فرد منكم إلى القتال، يعيش أو يموت، فتلك هي نشوة الحرب.
ومنّ يسحب باتروكلوس الميت إلى الطرواديين
٢٣٠ مروضى الخيول، ويقهر أياس شديد البأس، ويخضعه
فنصف الغنائم له، والنصف الآخر لى، ومجده هو مجدى"
سمعوا ذلك، فانقضوا جميعاً على الدانائيين بكل قوتهم

شاهرين الرماح عاليًا، تخفق قلوبهم أملًا
 ٢٣٥ فى جذب الجثة من تحت أياس بن تيلامون.
 حمقى! كم من أرواح زهقت فوق هذه الجثة!
 تحدث أياس إلى مينيلأوس الشجاع صائحًا:

"أى مينيلأوس، يا صديقى الشجاع، يا سليل زيوس
 لم يعد لدى أمل فى عودة كلينا من المعركة، سالمين إلى الوطن.
 ٢٤٠ إننى لا أخشى على جسد باتروكلوس،
 فكلاب وطيور الطرواديين، فيما أظن، لن تتال منه.

لكنى أرتجف (خوفًا) على نفسى وعليك خشية أن يصبنا
 أذى، فسحابة حرب عاصفة تحوم فوق رعوسنا فى ظلام مخيف.
 إنها هيكتور نفسه، إنها الدمار الوشيك الذى يحدق بنا.
 ٢٤٥ هلم، إذن، نادى على أبطال الدانائيين، وليسمعوك"

أطاعه مينيلأوس الشجاع وصاح صيحة الحرب
 صارخًا فى محاربي الدانائيين بصيحات مدوية:

"أى أصدقائى، يا قادة الأرجيين وناصحيهم،
 يا من تجلسون مع أجاممنون بن أتريوس ومينيلأوس
 ٢٥٠ على الموائد، تشربون على نفقة المال العام، ويمتثل الناس لأمركم،
 وسيلازمكم مجدّ وشرف من زيوس.

إنه لمن العسير علىّ أن أُميّز من بين الجموع الحاشدة،
 أيًا منكم أيها الزعماء، فالنزال مضطرم فى المعركة.
 ليتقدم كل منكم من تلقاء نفسه ناقدًا فى قلبه،

٢٥٥ يابى فى غضب أن يصبح باتروكلوس العوية لكلاب الطرواديين"
 وحين قال ذلك، سمعه أياس السريع ابن أويليوس،

كان أول من أسرع خلال الجموع لمقابلته
 ولحق به تابعه القوى إيدومينيوس،

- وكذلك تابعه ميريونيس نظير إنياليوس، قاتل الأبطال.
لكن، من ذا الذى يستطيع بمفرده (دونه عون ربات الفنون)
٢٦٠ ذكر الآخرين وحصر أسمائهم جميعاً، هؤلاء الذين اندفعوا
وراء قادتهم وأشعلوا جذوة القتال فى صفوف الأخيين؟
هبت جموع الطرواديين فى هجوم يقوده هيكتور،
متلما يحدث عند مصب نهر سماوى المنيع،
حيث تزار موجة هائلة فى المجرى،
٢٦٥ وتضرب أمواج البحر الشاطيء فتغمر الشاطيء بالأصداء محدثة دويًا،
هكذا كان صياحهم، عندما هجم الطرواديون، بينما الأخيون
يلتفون واقفين حول ابن مينويتيوس وقفة رجل واحد.
التفوا جميعاً حوله بدروع من البرونز، ومن فوقهم
وفوق خوذاتهم الناصعة صبّ ابن كرونوس الظلام دامساً.
٢٧٠ فزيوس لم يكن يكره ابن مينويتيوس من قبل،
عندما كان على قيد الحياة يخدم سليل أياكوس.
بل إن (زيوس) تبرم لوقوع (باتروكلوس) فريسة
لأعدائه كلاب الطرواديين، لذا حث رفاقه ليدافعوا عنه.
فى البدء، صدّ الطرواديون الأخيين ذوى الأعين البرّاقة،
٢٧٥ فانسحبوا تاركين الجسد، لكن الطرواديين المغرورين
لم يقتلوا واحداً برماحهم، رغم رغبتهم الجامحة.
فقط، كادوا أن يسحبوا الجسد بعيداً،
وما كاد الأخيون أن يبتعدوا عن الجسد قليلاً، حتى لحقهم
أياس الذى يفوق الدانائيين جميعاً - فيما عدا
٢٨٠ ابن بيليوس - فى الجمال وأعمال القتال.
هبّ من خلال صفوف المحاربين الأولى ببسالة،
كخنزير نزل من الجبال يشنت الكلاب والقناصين
الشباب والشجعان بسهولة، ويتحرش بهم فى الوديان.

- هكذا، شنت آياس المجيد ابن تيلامون أبى الروح
 ٢٨٥ صفوف الطرواديين بسهولة، إذ هجم عليهم
 وهم يتحلقون حول جسد باتروكلوس يزعمون
 أن يسحبوه إلى المدينة، فيحظون بمجد أبدى.
 تقدم هيبوثوؤس المجيد بن ليثوس البلاسجى
 وسط الطعان الرهيب ليسحب الجسد،
 ٢٩٠ بعد أن ربط القدمين من الكعب إلى الساق،
 ليبهج بذلك هيكتور والطرواديين.
 لكن سرعان ما جاءه ويل لا يمكن لأحد، أيًا كان، أن يدفعه.
 ابن تيلامون، الذى اندفع من بين الجموع
 وضربه، عن قرب، على خوذته البرونزية
 ٢٩٥ فاهتزت الخوذة المزينة بخصلات من شعر الجياد تحت رأس الحربة،
 فتحطمت بضربة سيف قوية من (آياس)،
 وتفجر المخ عبر الجرح على طوق رأس الحربة
 حيث لطحها بالدم، وانهارت قواه تمامًا فتركت يده
 قدم باتروكلوس قوى الهمة تفلت من قبضتها، وعلى الأرض
 ٣٠٠ أسقطها، بينما هو نفسه هوى فوق الجسد.
 هناك بعيدًا عن لاريسا عميقة التربة، لم يرد جميل والديه
 العزيزين عن رعايته، فأجله كان قصيرًا،
 حيث سقط برمح آياس عتى القلب.
 وبدوره قذف هيكتور رمحه اللامع صوب آياس
 ٣٠٥ وعندما لمح (آياس) الرمح ذا الرأس الحادة قادمًا
 راوغه بالكاد، إلا أن رمح (هيكتور) أصاب سخيدوس بن إفيتوس
 الذى يفوق الفوكيين جميعًا، القاطن
 بانوبيوس الشهيرة، وكان ملكًا على شعب غفير.
 فضربه هيكتور عند أسفل عظمة عنقه

- ٣١٠ ضربة غائرة، ونفذ الرمح البرونزى مدبب الرأس أسفل كتفيه فسقط بصخب، وطنطنت أسلحته وهى تسقط فوقه. ثم ضرب أياس فوركيس حكيم القلب ابن فاينوبس فى محيط بطنه، عندما كان يقف فوق هيبوثوؤس، فكسر صفيحة درعه ومزق السلاح أحشاءه،
- ٣١٥ وسقط على التراب وتشبثت بالأرض يداه.
- تقهقر، محاربو المقدمة، وكذلك هيكتور الأمجد، بينما صاح الأرجيون بقوة وسحبوا جثتى فوركيس وهيبوثوؤس ونزعوا الأسلحة عن أكتافهم. حينئذ تقهقر الطرواديون، يطاردهم جنبهم، عادوا إلى إليون أمام الأخيين محبى آريس.
- ٣٢٠ وعلى الرغم من وعود زيوس، كاد الأرجيون يفوزون بالمجد بسبب قوتهم وشجاعتهم، لولا أن أبوللون نفسه حثَّ آينياس، منتحلاً هيئة الرسول بيريفاس بن إبيتوس، الذى شاخ فى خدمة والد (آينياس) وكان طيب القلب.
- ٣٢٥ انتحل أبوللون بن زيوس صورته مخاطباً (آينياس):
- "أى آينياس، كيف تستطيعون، ضد إرادة الإله، أن تحموا إليون عالية الأسوار؟ حقاً إننى رأيت رجالاً آخرين غيركم، لديهم الثقة فى قوتهم وقدرتهم وبسالتهم وفى جيوشهم، قد حافظوا على شعبهم حتى ضد إرادة زيوس.
- ٣٣٠ بل يرغب زيوس فى أن يكون النصر لنا أكثر من أن يكون للدانائيين بيد إنكم ترتعدون خوفاً، ولن تحاربوا"
- شعر آينياس بأبوللون رامى السهام البعيدة عندما طالع وجهه، وصاح عالياً بهيكتور:
- ٣٣٥ "أى هيكتور، ويا أيها الآخرون، يا قادة الحلفاء والطرواديين

- إنه لمن العار، أمام الآخيين أحبباء آريس
أن نعود إلى إليون مهزومين لجبن فينا.
إن وحيًا بالقرب منى يعلن:
أن زيوس ذا الإرادة العليا لمعين لنا فى المعركة.
٣٤٠ فهيا بنا، إذن، نواصل (التقدم) نحو الدانائيين، فرما نحول
بينهم وأن يحملوا باتروكلوس الصريع إلى سفنهم"
قال ذلك، وقفز للأمام فى مقدمة الجيش.
حينئذ، احتشدوا وقاوموا الآخيين مرة أخرى،
وبرمحه طعن آينياس ليوكريتوس
٣٤٥ بن أريسباس، الرفيق النبيل لليكوميديس الشجاع
فجرحه، وأشفق عليه ليكوميديس حبيب آريس، عندما هوى،
فتقدم وأخذ موقعًا قريبًا منه وأطلق
رمحه البراق، فأصاب أبيساون بن هيباسوس راعى الشعب
فى عمق كبده، حتى اهتزت من تحته ركبته.
٣٥٠ وكان (أبيساون) قد أتى، من بايونيا عميقة
التربة، كما كان أفضل الرجال فى الحرب بعد أستيروبايوس.
فأشفق عليه أستيروبايوس الشجاع لما هوى،
وانقض على الدانائيين متلهفًا على قتالهم.
لكنه أخفق، حيث تسيجوا من كل ناحية بالتروس،
٣٥٥ ووقفوا فوق باتروكلوس شاهرين رماحهم.
فأياس العملاق كان يجول ويصول هنا وهناك وكان يحضهم
ويأمرهم بشجاعة ألا يتراجع فردّ منهم عن جسد (باتروكلوس)،
وألا يتقدم أحدهم ويحارب فى طليعة بقية الآخيين
بل ليصمد الجميع يدا بيد، فى موضع الجثمان.
٣٦٠ بهذا أمرهم أياس القوى، فتضمخت الأرض
بالدماء المسفوكة، وتساقط القتلى

بغزارة هادرة، من الطرواديين و حلفائهم الشجعان
ومن الدانائيين أيضاً، الذين يسقط منهم قتلى،
ولكن عدد من سقط منهم أقل بكثير من قتلى أعدائهم ؛ لحرصهم
- أثناء المعركة - أن يصدوا الموت عنهم.

٣٦٥

حاربوا كمنار مستعرة، وما كان لأحد أن يتيقن
وقتها، أن الشمس أو القمر لا يزال في الأفق،
إذ خيم الضباب الكثيف ولاسيما على أشجع المحاربين
الملتفين حول جسد ابن مينوييتيوس. (بينما في مكان آخر)
كان الباقون من الطرواديين والآخيين المسلحين جيداً بالدروع
يحاربون غير مكترئين تحت السماء الصافية، وضوء الشمس المشرق
يسطع فوقهم، ولم تظهر هناك حتى سحابة في السماء
لا فوق سهل أو (فوق) تل. فكانوا يستريحون من القتال
بين الحين والآخر، وقد أفلت البعض من الرماح المحملة بالأنين،
بأن انتحوا جانباً، بينما آخرون ممن، كانوا في الوسط يتحملون
قسوة المعركة والظلام. كما أرهقت وطأة الأسلحة
عديمة الرحمة كل القادة. إلا أن رجلين

٣٧٠

٣٧٥

- رغم أنهما محاربان شهيران: ثراسيميديس وأنتيلوخوس -
لم يعلما بموت باتروكلوس الذى لا نظير له،
وكانا يعتقدان أنه لم يزل على قيد الحياة
يحارب بقوة، وسط طلائع الجيش ضد الطرواديين.
توقع هذان البطلان أن يكون رفاقهما قد ماتوا أو هزموا،
وباتا يحاربان بمعزل عن الباقيين، لأن نيستور أمرهما بذلك،
عندما كانا عند السفن السوداء، وحرصهما على القتال.
واستمر قتالهما العنيف طوال اليوم.

٣٨٠

٣٨٥

وازدادت ضراوته، وغرق كل محارب
في العرق والكدح، وقد توحلت سيقانهم وأقدامهم

- وأذرعهم، وتبللت أعينهم. إذ يتعارك الفريقان
حول جسد التابع المغوار لسليل أياكوس سريع القدم.
وكما يعطى رجلٌ جلد ثور ضخم إلى شعبه
لكى يشدوه بإحكام، بعد نقهه فى الدهن،
فعندما يأخذونه ويقفون متباعدين فى دائرة، ويشدونه
بالتواء، فتخرج الرطوبة، بينما تدخل الدهون
بسبب شد الكثيرين، ويتمدد الجلد كله فى كل اتجاه.
هكذا، من كلا الجانبين، كانوا هنا وهناك، يتجادبون
جسد باتروكلوس فى محيط ضيق بقلوب مفعمة بالأمل.
(فأمل) الطرواديين أن يسحبوا (الجسد) إلى طروادة، أما الآخيون
فأملهم أن يعودوا بها إلى السفن المجوفة. واستعر حول الجسد
نزاع مهول لم تستطع أثينة أن تخففه عندما رأته،
ولا آريس، مستنفر الجيوش، رغم أن غضبهما كان عنيفاً.
- ذلك هو الكدح المرهق للأبطال والحياد الذى فرضه زيوس
اليوم حول جسد باتروكلوس. بيد أن أخيليوس
شبيه الآلهة لم يكن يعرف بعد أن باتروكلوس قد هوى.
لأنهم كانوا يحاربون بعيداً عن السفن السريعة
تحت حصن الطرواديين، لذلك لم يتصور أبداً
أنه قد مات، بل إنه حى ينتظر عودته سالماً
بعد أن اقترب من البوابات. كان يتوقع
دوماً أنه لن يحاصر المدينة ويسلبها بدونه،
فربما أسرت له والدته بذلك فى حديث خاص.
إذ كانت تواتيه بأنباء عن نوايا زيوس الجبار،
لكن حتى ذلك الحين، لم تكن والدته قد أخبرته بشيء
عن ذلك الحزن الثقيل المقدر، فأعز صديق له قد مات.
والباقون ما زالوا يجاهدون عند جثته بسهامهم البائرة،

- وصارع بعضهم بعضًا فى قتال متواصل.
- كان الواحد من أبناء الآخيين المسلحين بالبرونز يقول للآخر:
- ٤١٥ "أيها الأصدقاء، حقًا إنه عار علينا أن ننسحب
إلى السفن المجوفة، الأجدر أن نتشق الأرض السوداء
وتبتلعنا جميعًا. الأفضل أن يحدث ذلك،
ولا نترك للطرواديين مروضى الخيول
يحرزون المجد ويسحبون الجسد بعيدًا إلى مدينتهم".
- ٤٢٠ وبالمثل كان أحد الطرواديين شديدى العزم يقول:
"أيها الأصدقاء، لو قدر لنا جميعًا أن نهلك
فوق هذا الرجل، فليكن ولا يفر أحدكم من المعركة"
كانوا كلهم يلهبون حماسهم وبأسهم،
فاشتد التناحر وامتد حتى الدياجير،
- ٤٢٥ وصليل الحديد يطول عنان السماء المذهبة.
وقفت خيول سليل أياكوس بعيدًا عن المعركة
تبكى، منذ أن عرفت أن قائدها قد سقط
فى التراب، بيد هيكتور قاتل الرجال.
وعبثًا حاول أوتوميدون الشجاع بن ديوريس
أن يحمسها مرة بضربات من سوطه السريع،
وأخرى بنبرات رقيقة معسولة، وأحيانًا أخرى باللعنات القاسية.
- ٤٣٠ ولم ترغب الخيول فى الذهاب إلى السفن بجوار بحر الهيليسبونطوس
الشاسع، ولا أن تلتحق للمشاركة مع الآخيين فى الحرب.
- ٤٣٥ وكما يقف العمود ثابتًا بلا حراك، قائمًا على قبر رجل أو امرأة،
هكذا وقفت الخيول فى سكون مربوطة إلى العجلة الحربية الباهية،
وقد نكست رعوسها حتى تكاد تلامس الأرض
وكانت الدموع تنهمر من أعينها على التراب

- حزناً على موت سائقها، وقد لطح التراب أعرافها المنسابة
 ٤٤٠ مسترسلة إلى أسفل على الجانبين من تحت سنادة النير.
 وعندما رأى ابن كرونوس حزنها أشفق عليها
 فhez رأسه وقال محدثاً نفسه:
 "أيتها الخيول التعسة، لماذا أعطيناكم إلى بيليوس الملك
 الفانى، بينما أنتم جيول إلهية خالدة لا تموت؟
 ٤٤٥ أكون ذلك مشاركة للبشر التعساء فى محنتهم؟
 حيث لا يوجد، فى تصورى، من يستحق الشفقة بين الكائنات
 التى تتنفس على وجه الأرض وتتحرك أكثر من الإنسان (*).
 والحق أن هيكتور بن برياموس لن يمتطى صهوتكم ولن يمتطى عربتكم
 ٤٥٠ الحربية البهية. ألن يكفيه أن يرتدى الأسلحة التى يزهو بها متبخترًا؟
 لكنى سأضع فى أرجلكم وروحكم قوةً
 حتى تحملوا أوتوميدون سالمًا بعيدًا عن المعركة
 إلى السفن المجوفة، حيث سأمنح مزيدًا من النصر (للطرواديين)
 ليواصلوا القتال حتى يصلوا إلى السفن متينة المقاعد،
 ٤٥٥ وتغرب الشمس ويحل بهم ظلام إلهى"
 وما أن قال ذلك حتى نفث فى الخيول قوة هائلة،
 فنفضت الخيول الغبار عن أعناقها إلى الأرض
 وبرشاقة جرت العجلة الحربية السريعة وسط الطرواديين والآخين.
 وكان أوتوميدون من خلفها يحارب الطرواديين وكله حزن على رفيقه
 ٤٦٠ (باتروكلوس)، وانقض بعجلته الحربية كما ينقض النسر على الأوز.
 كاد يفر بخفة من بين حشود الطرواديين
 ولاحق جموعهم الغفيرة ملاحقة حثيثة لكنه لم يقتل أحدًا،
 فلم يكن بإمكانه، فى كل الأحوال، وهو وحيد على عجلته الحربية

(* ذاع هذان البيتان فى الأدب القديم والحديث باعتبارهما دليلاً على تشاؤم هوميروس ورؤيته للإنسان على أنه أباس المخلوقات. قارن الأوديسية، الكتاب الثامن عشر بيت ١٣٠. (الخرر)

٤٦٥ المقدسة أن يهاجم برمحه، و يقود الخيول السريعة فى الوقت نفسه.
وأخيراً، لمحّه أحد الرفاق، الكيميدون بن لائيركيس بن هايمون،
فوقف فوق عربته من الخلف، وتحدث إلى أوتوميدون:

"أى أوتوميدون، مَنْ من الآلهة قد غرس

٤٧٠ فى صدرك نصيحة غير ذات نفع، وسلب الفهم من عقلك؟
تقاتل، هكذا، فى مقدمة الصفوف ضد الطرواديين بمفردك،
قُتل رفيقك، وأسلحته يرتديها هيكتور على كتفيه
إنها أسلحة سليل أياكوس المجيدة"

وأجابه أوتوميدون بن ديوريس:

٤٧٥ "أى الكيميدون، مَنْ غيرك من أبطال الآخيين بوسعه
أن يشكم ويقود خيولاً خالدة
باستثناء باتروكلوس وحده، صنو الآلهة فى المشورة
عندما كان حياً؟، أما الآن وقد أدركه الموت والهلاك
فلتأخذ أنت السوط والأعنة البراقة،
٤٨٠ وسأنزل أنا للأرض حتى أقاتل"

قال ذلك، فوثب الكيميدون فوق العجلة الحربية المسرعة

وبخفة قبض بيديه على السوط والأعنة.

وكان أوتوميدون قد نزل من فوق عجلته الحربية. وعندما شاهدها
هيكتور المجيد، نادى مباشرة على آينياس الذى كان على مقربة منه:

٤٨٥ "أى آينياس، يا قائد الطرواديين المسلحين بالبرونز،
هناك، ألمح جوادى سليل أياكوس سريع القدم
قادمين نحو المعركة ظاهرين للعيان يقودهما رجال ضعاف.
كلّى أمل أن أسرهما، فإذا كنت حقاً ترغب فى ذلك
من قلبك، فلن يصمدا أمام هجومنا نحن الاثنين

٤٩٠ ولن يغامرا بالوقوف والنضال أمامنا فى المعركة"

- هكذا قال، وأطاعه ابن أنخيسيس الشجاع،
وتقدم كلاهما وفوق كتفى كل منهما
درع من جلد ثور مقوي ومجفف وملحوم به برونز سميك.
وكان خروميوس معهما، وكذلك أريتوس شبيه الآلهة
وكانت قلوبهم قد امتلأت فى داخلهم
٤٩٥ بالأمل فى قتل الرجلين، وأن يستوليا على الخيول قوية الأعناق.
ويا لهما من أحمقين! حيث إنه دونما إراقة دماء
لن يستطيعا سلبهما من أوتوميديون الذى تضرع إلى زيوس الأب
ممتلئاً قلبه العتيد بالبسالة والقوة.
وسرعان ما خاطب الكيميدون رفيقه المخلص قائلاً:
٥٠٠ "أى الكيميدون لا تمسك الخيول على مبعدة منى، بل دع
أنفاسها تضرب فى ظهري، فالحق أننى لا أعتقد
أن هيكتور بن برياموس سيرجع عننا،
حتى يقتلنا نحن الاثنين ويمتطى خيول
أخيليوس جميلة العُرف، فينشر الذعر بين صفوف
٥٠٥ الأرجيين، أو يُقتل هو نفسه فى صفوف المقدمة"
وما أن قال ذلك حتى نادى الثنائى أياس كليهما ومينيلأوس:
"أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا مينيلأوس
ويحكم! سلموا جسد الميت لمن هم أجدر
ب حمايته وصد صفوف الرجال (الأعداء) عنه.
٥١٠ تعالوا، الآن، لتصدوا عننا نحن الاثنين الأحياء^(*) يوماً قاسياً.
فهنا فى خضم الحرب الأليمة يهاجم بعنف
هيكتور وأينياس اللذان هما أفضل الطرواديين.

(*) هذا معناه أن الحى أفضل من الميت وأولى بالرعاية، ولقد ورد فى الكتابات المسيحية الأولى
(Ecclesiastes, ix 4) قول فحواه أن كلباً حياً أفضل من أسد ميت. (المحرر)

- حقاً إن كل شيء يقع على ركبتي الآلهة
ولذا سأقذف (هذا الرمح) وأترك الباقي لزيوس"
٥١٥
- قال ذلك، ووازن رمحه بعيد الظل وقذفه
فأصاب مباشرة درع أريتوس المصقول باستدارة جيدة،
ولم يقو الدرع على صد (الرمح)، فنفذ البرونز بقوة خلاله
إلى العمق، متجاوزاً حزام البطن. ومثلما يضرب رجل عتي القبضة،
٥٢٠ بفأس ذي حافة حادة خلف قرون ثور أليف،
فتتهتك أعصابه كلية، ويقفز الثور للأمام ويتهاوى.
هكذا وثب أريتوس للأمام وسقط على ظهره، فالرمح
بالغ الحدة الذي ثبت مهتزاً في أحشائه، قد أرخى أطرافه.
٥٢٥ لكن هيكتور برمحه اللامع، قذف أوتوميدون،
فما كان من (أوتوميدون) الذي كان ينظر إليه بثبات، إلا أن راوغ
الرمح البرونزي بأن مال للأمام بسرعة، فانطلق الرمح الطويل
وانغرس في الأرض خلفه، وانتصب الرمح واقفاً،
وعلى وجه السرعة أحبط آريس ضراوته.
٥٣٠ حينئذ، أوشكا أن يشتبكا بسيوفهما ملتحمين،
لو لم يكن الثنائي أياس قد حالاً بينهما.
فعندما جاء (الثنائي أياس) في حشد، تلبية لنداء رفيقهما
وعلى إثر هجومهما، حل الرعب مرة أخرى
بهيكتور وأينياس وخروميوس شبيه الآلهة
٥٣٥ فتقهقروا وتركوا أريتوس، مطعوناً ومُسجىً. فسلب منه أوتوميدون،
صنو آريس السريع، أسلحته غنيمة، وتفاخر ساخرًا:
"الحق إنني أرحت قلبي قليلاً من حزنه على موت ابن
مينوييتوس، مع أن الرجل الذي قتلته أقل من (ابن مينوييتوس) شأنًا"
٥٤٠ قال ذلك، ثم حمل الغنائم المملوطة بالدماء ووضعها

فوق عجلته الحربية التى امتطأها، وكانت قدماه ويداه
تنضح بالدماء، وكأنه أسدٌ قد التهم عَجلاً.

عادت المعركة الوحشية تستعر من جديد فوق
جسد باتروكلوس أضرمت أثينة نيران القتال المفجع،
هبطت من السماء، مرسلّة من قبل زيوس بعيد النظر
تحت الدنائيين (على القتال). (فزيوس) قد غير نواياه.

٤٤٥

وكما يقذف زيوس قوس قزح يومض للبشر
من أعلى قمم السماء نذيراً بالحرب
أو بعاصفة مطيرة، قارسة البرودة، تجبر

٥٥٠

البشر على التوقف عن أعمالهم فى الأرض، وتوهن الدواب.
هكذا، لفتت (أثينة) نفسها بسحابة من الوميض واندست بين حشود
الآخيين، وأشعلت حماس كل المحاربين واحداً بعد الآخر.
فى البدء، بادرت بالحديث إلى مينيلأوس الشجاع بن أتريوس
لتشعل حماسه، حيث كان قريباً منها.

٥٥٥

بعدها تجسدت فى هيئة فوينيكس وصوته الذى لا يكل فقالت:
"ويحك مينيلأوس، ستطير رأسك ويلحقك العار حقاً،
إذا مزقت الكلاب اللاهثة تحت سور الطرواديين
جسد الصديق الصدوق لصاحب العزة أخيليوس.
لذا، تماسك، ولتشعل حماسة جيشك، ولتكن شجاعاً"

٥٦٠

حينئذ، أجابها مينيلأوس البارع فى صيحة الحرب:
"أى فوينيكس، أيها الشيخ العزيز علينا منذ الأيام الخوالى!
ليت أثينة تمنحنى القوة وتدفع عنى ضربات السهام،
حينئذ، سأقف سعيداً إلى جانب باتروكلوس وأدافع عنه.
فموته مسّ قلبى فى أعماقه بالأسى،

٥٦٥

لكن هيكتور مرعب كمنار مستعرة ولم يكف عن

نشر الدمار بسيفه، حيث وهبه زيوس المجد"

وعندما قال ذلك فرحت الإلهة أثينة زرقاء العينين،

فهي، من بين الآلهة أجمعين، أول من تضرع إليها.

فغرست القوة في كتفيه وركبتيه،

٥٧٠

كما طبعت في نفسه الإصرار، ومثل ذبابة

دائمًا ما تُطرد من فوق جلد البشر،

إلا أنها تصر دومًا على اللدغ، للذة دماء بنى الإنسان. بمثل هذه

الجسارة (التي لا تكل ولا تمل) ملأت (أثينة) قلبه الأسود بداخله.

فوقف (مينيلاؤس) فوق جسد باتروكلوس وانطلق برمحه المتلألئ.

٥٧٥

حينئذٍ، كان بوديس بن إيثيتيون بين صفوف الطرواديين،

ذلك الرجل الثرى ذو القوة. وكان هيكتور يميّزه عن سائر

الشعب، كما كان رفيقه وجليسه المفضل في الاحتفال.

فضربه مينيلاؤس ذهبى الشعر على حزامه برمية من رمحه

بينما كان يستعد للفرار، وغرس فيه السلاح البرونزى

٥٨٠

فسقط وارتطم مجلجلاً، وما كان من مينيلاؤس بن أتريوس

إلا أن سحب جسد الميت (باتروكلوس) بعيدًا، من وسط الطرواديين،

إلى جموع رفاقه.

حينئذٍ، اقترب أبوللون من هيكتور وحثه على الاستمرار

وقد اتخذ أبوللون هيئة فاينوبس بن آسيوس

الأعز لديه من بين الضيوف جميعًا، وكان يتخذ أبيدوس وطناً.

٥٨٥

وخاطبه أبوللون بعيد القذائف متمثلاً في هيئة فاينوبس:

"أى هيكتور، مَنْ من الأخيين سيهايك بعد الآن؟

كيف جنت أمام مينيلاؤس، الذى كان يُعدُّ

فيما مضى محاربًا ضعيفًا؟ رغم ذلك سحب الجسد

بمفرده، من بين الطرواديين، دونما مساعدة من أحد، وقتل

- ٥٩٠ رفيقك الوفى الشجاع، بوديس بن إيثيتيون، فى صفوف المقدمة"
وما أن قال ذلك حتى غمرت سحابة قاتمة من الحزن (هيكتور)،
فوقف بين صفوف المقدمة، وكان برونز أسلحته وضاءً.
وسرعان ما أمسك ابن كرونوس درعه أيجيس المتألئىء بالحلئى
المعدنية وساطع الضياء، وغطى قمة إيدا بساتر من السحاب،
أبرق وأرعد بقوة، ولوَّح بسيفه
٥٩٥ مانحًا النصر للطرواديين. ورمى الآخيين بالفرع.
وأول من بدأ الفرار كان بينيلئوس البويوتئى،
فبينما كان لا يزال يواجه العدو، أصيب برمح فى كتفه
بضربة سطحية، لكن رأس حربة بوليداماس
٦٠٠ قد غارت حتى العظام، حيث قذفها عن قرب.
كان هيكتور قريبًا، فضرب ليئيتوس بن ألكتريون قوى الهمة،
فأصاب رسغه وأقعده عن القتال.
ثم نظر حوله وانسحب، فلم يعد يأمل فى قرارة نفسه
أن يحمل الرمح بيده ليحارب الطرواديين مرة أخرى.
٦٠٥ وبينما كان هيكتور يتعقب ليئيتوس، ضربه إيدومينئوس
على الفور على الحزام الواقى لصدرة بالقرب من حلمة ثديه،
لكن الرمح الطويل انثنى عند حلقة الحزام.
وصاح الطرواديون عاليًا، حين قذف هيكتور إيدومينئوس
بن ديوكاليون، إذ كان واقفًا فوق عجلته الحربية، لكن الرمح
٦١٠ انحرف عنه قليلًا، فأصاب كويرانوس رفيق ميرئونئس وسائقه
والذى تبعه من (مدينة) ليكتوس الحصينة،
حيث جاء (إيدومينئوس) على قدميه فى البداية من السفن المقوَّسة.
وكاد يقدم للطرواديين مجدًا عظيمًا(*)،

(*) أى لو قتلوه. (الحرر)

- لو لم يكن كويرانوس قد سارع، بخيوله سريعة الركض،
 ٦١٥ لكي يخلصه، وجعله يتفادى لحظة الهلاك.
- إلا أنه (كويرانوس) لقي حتفه على يد هيكتور، قاتل الرجال
 الذى ضربه تحت فكه وأذنيه، فهشمت رأس الرمح
 أسنانه من جذورها، كما شطرت لسانه من النصف.
 فألقى الأعنة على الأرض وسقط من فوق عجلته الحربية.
 ٦٢٠ فما كان من ميريونيس إلا أن أمسك بيديه
 الأعنة الملقاة على الأرض وتحدث إلى إيدومينيوس:
- "اضرب، بالسوط، حتى تصل إلى السفن سريعة الإبحار،
 حينئذٍ ستعرف من تلقاء نفسك أن النصر لم يعد فى صف الأخيين"
 وما أن، قال (ميريونيس) ذلك، حتى ضرب إيدومينيوس
 ٦٢٥ بالسوط خيوله جميلة العُرف عائداً إلى السفن المجوفة يغمر الفزع
 روحه. لكن أياس شديد البأس و مينيلائوس لم يكونا بغافلين
 بأن زيوس كان يرجح كفة الطرواديين.
 كان أياس التيلامونى العظيم أول من تكلم منهما:
- "ويحى، إن أى رجل، مهما يكن من الحمق، سيعرف
 ٦٣٠ أن زيوس الأب نفسه يساعد الطرواديين.
 حيث إن قذائفهم كلها تصيب، أيًا كان راميتها
 شجاعاً أم جبناً، فزيوس، فى كل الأحوال، يوجهها إلى الهدف.
 بينما تطيش رماحنا هباءً على الأرض. فلنفكر، إذن، ولنحكم خطتنا،
 ٦٣٥ حتى نتمكن من إنقاذ الجسد والعود إلى الوطن
 وندخل السرور على (نفوس) رفاقنا الأحباء،
 الذين، فيما أظن، ينتابهم الحزن إذ ينظرون إلينا
 ويرون أن هيكتور قاتل الرجال يعربد فى غضبه، ولن نتوقف يده
 التى لا تقاوم، بل يتوقعون أن تقع على السفن السوداء.

- ٦٤٠ ألا يوجد من الرفاق من يحمل رسالة عاجلة جداً
لاين بيليوس، إذ لم يعلم بعدُ بالأبناء الفظيعة
حسبما أرى، أى أن صديقه الحبيب قد مات.
فإننى لم أر، مثل هذا الرجل بين الأخيين
فهم جميعاً وخيولهم فى الظلام يعمهون.
- ٦٤٥ أى زيوس الأب، لترفع الظلمة عن أبناء الأخيين
امنحهم سماءً صافية، وامنحنا (بصراً) لنرى
بأعيننا، ولا تميتنا، إن كان فى ذلك سعادتك، إلا فى النور"
أشفق الأب (زيوس) عليه عندما رآه يبكى،
فسرعان ما بدد الضباب وشتت الظلمة،
وسطعت الشمس من فوقهم، وبانّت تفاصيل المعركة.
٦٥٠ حينئذٍ تحدث أياس إلى مينيلأوس البارع فى صيحة الحرب:
"انظر الآن يا مينيلأوس، يا سليل زيوس، عليك تستطيع أن ترى
أنتيلوخوس بن نيستور قوى القلب، وما إذا كان على قيد الحياة لا يزال،
فتحتّه على أن يذهب ويخبر أخيلئوس حكيم القلب
٦٥٥ بأن رفيقه الأعز قد هلك"
قال ذلك، فلم يستطع مينيلأوس البارع فى صيحة الحرب
أن يرفض، بل أقدم كأسد ينطلق من مزرعة
عندما يتعب من مطاردة الكلاب والرجال والحراس
الذين صدوه عن نهش أسمن
- ٦٦٠ ثور فى القطيع؛ لأنهم كانوا يحرسون (الحظيرة) طوال الليل.
لكن (الأسد) من شدة لهفته على اللحم، قد هجم، لكنه فُشل
حيث أمطرته أيادى باسلة من سكان البلد بقذائف كثيفة
ومتقدة باللهب، فارتدع رغم لهفته.
حتى أتى الفجر، فرحل بقلب كسير.

- ٦٦٥ هكذا، رحل مينيلائوس البارع فى صيحة الحرب، عن باتروكلوس على غير إرادته، حيث خشى أن يتركه الآخيون فريسة للأعداء، وقد أعجزهم خوف شامل. ثم وجه عدة أوامر مباشرة إلى ميريونيس وإلى الثنائى أياس: "أيها الثنائى أياس، يا قادة الأرجيين، وأنت يا ميريونيس حان الوقت، الآن، أن نتذكر طيبة باتروكلوس التعس، كان دومًا رقيقًا مع الجميع فى حياته. لكنه، الآن، بات فريسة الموت والقدر"
- ٦٧٠ عندما قال ذلك، مضى ذهبى الشعر مينيلائوس محملقًا فى كل اتجاه حوله كالنسر الذى يُقال إنه من الطيور التى تطير عاليًا تحت (قبة) السماء حاد البصر، فلا يستطيع الأرنب سريع العدو أن يراوغه رغم أنه يحلق عاليًا، فيما يقبع الأرنب تحت شجيرات كثيفة الورق، فينقض النسر ويمسك فريسته ويسلبها الحياة.
- ٦٧٥ هكذا، يا مينيلائوس، يا سليل زيوس، جئت وصلّلت فى كل الأنحاء، بأعين متقدة، بين صفوف رفاقك الكثيرين علك تستطيع أن ترى ما إذا كان ابن نيستور لا يزال على قيد الحياة. وعلى الفور رآه (مينيلائوس) بعيدًا على ميسرة المعركة يشجع رفاقه ويحثهم على القتال. فدنا منه مينيلائوس ذهبى الشعر وخاطبه:
- ٦٨٠ "تعال هنا يا أنتيلوخوس، يا سليل زيوس لتسمع أخبارًا مفاجئة، ما كنت أتمنى حدوثها. أظن أنك تعرفها الآن، فأنت رأيت بعينيك كيف أن الإله ينزل مصيبة بالدانائيين، وأنه يشاء النصر للطرواديين، وكيف قُتلَ خيرة (رجال) الدانائيين
- ٦٨٥

- ٦٩٠ باتروكلوس، وكيف يقاسى الدانائيون خسارة فادحة.
لكن، فلتنطلق مسرعًا إلى سفن الآخيين وخبر أخيلئوس
علّه يستطيع أن يحمل الجثة العارية إلى بر الأمان، ويأتى
بها إلى سفينته. فهيكثور ذو الخوذة اللامعة جرده من أسلحته"
غمر أنتيلوخوس الفرع لسماعه ذلك النبأ،
- ٦٩٥ فوقف لفترة طويلة دون أن ينبس بكلمة، تفيض عيناه بالدموع،
واختنق صوته. ولكنه رغم ذلك لم يغفل ما أمر به مينيلائوس،
فانطلق يعدو، وكان قد أعطى أسلحته لرفيقه الذى لا نظير له
لاؤدوكوس، الذى كان على مقربة منه يسوق خيوله ذات الحافر الواحد.
- ٧٠٠ وكان يبكى وهو يجر قدميه بعيدًا عن ساحة الوغى،
حاملًا نبأ حزينًا لأخيلئوس بن بيلئوس.
ألا ترغب يا مينيلائوس، يا سليل زيوس،
أن تساعد رفاقك وهم فى محنة شديدة، بعد أن تركهم
أنتيلوخوس، على الرغم من أن أبناء بيلئوس كانوا فى أمس الحاجة إليه.
- ٧٠٥ إلا أن (مينيلائوس) أرسل ثراسيميديس شبيه الآلهة.
ليساعدهم، وبينما هو نفسه قد أسرع، ثانية، ليحمى البطل باتروكلوس.
فجرى واتخذ مكانه بجوار الثنائى أياس وخاطبهما:
"لقد أرسلت (أنتيلوخوس) إلى السفن سريعة الإبحار
وأمرته أن يسرع إلى أخيلئوس سريع القدم، فلا أظن
٧١٠ أنه (أخيلئوس) سيأتى فورًا، رغم غضبه من هيكثور الإلهى
إذ: كيف يتسنى له أن يحارب الطرواديين بدون سلاحه.
دعونا، الآن، نفكر فى خطة بارعة
لا لى ننفذ الجسد فقط، بل لننأى أيضًا
بأنفسنا عن الموت وعن الهلاك وسط صخب المعركة ضد الطرواديين"
٧١٥ أجا به، عندئذٍ، أياس التيلامونى العظيم:

- "إن كل ما قلته حق، يا مينيلأوس المجيد
 إذن، فلنتحن أنت وميريونيس، على وجه السرعة، تحت جسد الميت
 وترفعاه على كتفيكما، بعيداً عن ساحة الوعى، ومن خلفكما
 سنحارب نحن الاثنين الطرواديين وهيكتور الإلهى
 ٧٢٠ إذ لنا قلب واحد واسم واحد، فطالما تقنا
 من قبل، إلى مواجهة آريس جنباً إلى جنب"
 قال ذلك، فرفع الآخران الجسد بقوة بالغة
 من فوق الأرض بسواعدهما، وحينئذٍ، ومن خلفهما
 صاح جيش الطرواديين عاليًا عندما شاهدوا الآخيين يرفعون الجسد.
 ٧٢٥ فهاجموهم كما تهاجم الكلاب خنزيراً جريحاً
 أمام قناصين فتیان يلاحقونه بجرأة،
 وبينما يطاردونه، وكل منهم متلهف لأن يمزقه
 ما أن يستدير نحوهم فى ثقة
 حتى يفرّوا أمامه مهرولين، هنا وهناك، من (شدة) الفرع.
 ٧٣٠ هكذا، ظل الطرواديون يلاحقونهم أسراباً، لوقت طويل.
 ويضربون برماحهم وسيوفهم الحادة
 وما فتىء الثنائى أياس أن استدارا نحوهم، فأوقفوهم
 فامتقع لونهم، ولم يجرؤ أحد منهم أن يتقدم ليحارب من أجل الجسد.
 ٧٣٥ كان الاثنان يحملان الجسد ويسرعان به من ساحة
 القتال إلى السفن المجوفة، فاشتدت عليهما وطأة القتال
 واستعرت نارها، كمثل (النار) عندما تلتفح مدينة أهلة بالسكان
 فتندلع بلهيب مباحث، وتتهار المنازل، ويأتى عليها،
 وهج اللهب الذى تزيده الرياح زئيراً.
 ٧٤٠ هكذا، كان ضجيج الخيول وعجلات الرماحين متواصلاً
 فى تعقبهم لهم، بينما هم يحملون جسد (باتروكلوس) ويسرعون
 كالبعال تبذل أقصى ما لديها من قوة

- وهي تجر كتلة خشبية هائلة أو جزءاً ضخماً من سفينة من
فوق الجبل أو على طريق فرعى وعر،
فتنهك أرواحها داخلها من الكد والإرهاق وينهمر العرق.
٧٤٥ هكذا كافح (مينيلاؤس وميريونيس) فى حمل الجسد وخلفهما
الثنائى أياس يكبحان العدو، وكأنهما مرتفع صخرى كثيف الشجر
وقف عبر السهل بكل قوته فى وجه الفيضان المدمر،
يصد سيول الأنهار القوية،
٧٥٠ ويبعد تيارات هذه المياه كلها حتى تتجرف
إلى السهل، فلا تقوى السيول على تدميره مهما تكن قوتها.
يمثل هذه الطريقة واجه الثنائى أياس معركة الطرواديين،
لكن (الطرواديين) باتوا يلاحقونهما عن قرب، وكان بينهم
آينياس بن أنخيسيس فى صفوف المقدمة مع هيكتور المجيد.
٧٥٥ ومثلما يطير سرب من الزرازير أو الغربان
ويصرخ بصوت فزع عند رؤية الصقر القادم
حاملاً الهلاك إلى الطيور الصغيرة.
هكذا بهذه الطريقة، هرع شباب الآخيين أمام
آينياس وهيكتور يصدرون صيحات الهلاك، متناسين متعة القتال
٧٦٠ وتساقطت الأسلحة الناصعة أكواماً حول الخندق
٧٦١ عند هروب الدانائيين، لكنهم لم يكفوا عن القتال.

الكتاب الثامن عشر



ترجمة السيد عبد السلام البراوى

قائل المحاربون مثل نار متأججة،
وجاء أنتيلوخوس سريع الخطو إلى أخيليوس
فوجده أمام السفن المقوسة مثل القرون،
تتوجس نفسه (أخيليوس) بالشىء الرهيب الذى قد حدث
وتحدث مهموماً إلى روجه الباسلة:

٥

"ويجى كيف يطرد، مرة أخرى، هكذا، أبناء الآخيين
طويلو الشعر مشتتين عبر السهل المؤدى للسفن؟
ليت الآلهة لا تحقق الأحزان الثقيلة فى نفسى
والتي أخبرتني بها، ذات مرة، والدتي عندما قالت لى
إن واحداً من خيرة الميرميدونيين، فى أثناء حياتي
سيتترك نور الشمس على أيدي الطرواديين.
من المؤكد أنه ابن مينوبوتيس الشجاع، لقد مات!
إنه حقاً لمتهور؛ لأننى أمرته أن يخمد نار (الأعداء)
المستعرة، ثم يعود إلى السفن ولا يحارب هيكتور"

١٠

١٥

كان أخيليوس شاردًا يحدثه عقله وقلبه بتلك الأمور،
فدنا منه ابن نيستور المجيد
سافكاً دموغاً ساخنة، وأخبره النبأ الحزين:

٢٠

"ويحى، يا ابن بيليوس حكيم القلب، إنه جد مفعج
ذلك الخبر الذى ستسمعه، وكم كنت أتمنى ألا يحدث.
إن باتروكلوس يرقد ميتاً بينما تتصارع الجحافل حول جثته العارية،
بعد أن سلبه هيكتور ذو الخوذة اللامعة الأسلحة"

سمع أخيليوس ذلك فغمرته غمامة حالكة من
الحزن، وقبض بكلتا يديه على رماد أسود أهاله على
رأسه حتى تشوه وجهه الوسيم.

- ٢٥ وتساقط الرماد الأسود على رداءه العبق
وتمرغ، بكل كيانه الضخم، فى التراب يشد شعره ويمزقه.
و الإماء اللائى سباهن أخيلئوس وباتروكلوس
كن ينوحن بصوت أليم مندفعات إلى العراء حول
- ٣٠ أخيلئوس حكيم القلب، وكن جميعهن يضربن صدورهن
بأيديهن، وقد ارتخت مفاصل كل واحدة منهن.
كان أنتيلوخوس ينتحب سافكاً الدموع
وممسكاً بأيدى أخيلئوس الذى كان يئن بشدة من قلبه المجيد،
خشية أن يقطع رقبتة إرباً بسكين^(*).
- ٣٥ تأوه (أخيلئوس) بشدة، فسمعتة أمه الجليلة
حيث كانت تجلس فى أعماق البحر إلى جوار أبيها المسن
وعندما صرخت، التفت من حولها عرائس البحر^(**).
جميعهن، بنات نيريوس، الساكنات فى أعماق البحر.
كانت هناك، جلاوكى وثاليا وكيمودوكى
- ٤٠ ونيسايا وسبيو وثوى وهاليى، ذات العيون الواسعة كالمها،
وكيموثوى وأكتايا وليمنوريا
وميليتى ويارا (إيارا) وأمفيثوى وأجاوى
ودوتو وبروتو وفيروسا ودينامينى
ودكسامينى وأمفينومى وكاليانيرا
- ٤٥ ودوريس وبانوبى وجالاتيا الشهيرة
ونيمرتيس وأبسيوديس وكالياناسا.
وكانت هناك كليمينى ويانيرا وياناسا
ومايرا وأورينثيا وأماتيا جميلة الضفائر،
وأخريات من بنات نيريوس اللائى كن فى عمق البحر

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة للانتحار فى "الإلياذة"، مما دفع بعض المحققين لحذف هذا البيت. (المحرر)

(**) فى الآيات ٣٩-٤٩ يورد هوميروس قائمة بأسماء عرائس البحر ويميل بعض المحققين لحذف هذه الآيات. وجدير بالذكر أنه ورد عند هيسودوس خمسون اسماً لعرائس البحر. (المحرر)

- ٥٠ فامتلاً الكهف البلورى بهن، وما لبثن جميعهن أن
ضربن صدورهن، وبدأت ثيتيس فى النواح:
"أى بنات نيريوس، اسمعنى يا أخواتى،
لتعرف كل منكن كم هو أليم ذلك الحزن الذى أصاب قلبى.
ويحى، ما أشقانى، لقد أنجبت أفضل ولد فأشقانى!
- ٥٥ إذ بعد أن أنجبت ابناً فريداً قوياً،
متفوقاً على ماعداه من الأبطال، وشبَّ كنبته بازغة،
ربيته كشجرة فوق تل خصيب،
وأرسلته فى السفن المقوَّسة إلى إيون،
ليحارب الطرواديين، لكننى لن أستقبله
عائداً، مرة أخرى إلى وطنه، إلى بيت بيليوس.
حتى فى أثناء حياته وهو لا يزال يرى نور الشمس
أصابه الحزن وما كان بوسعى أن أساعده بالذهاب إليه.
إلا أننى الآن ذاهبة إليه، كى أرى ابنى العزيز
لأسمع أى حزن قد ألم به رغم بقائه بعيداً عن الحرب"
- ٦٥ قالت ذلك، وغادرت الكهف، وذهبت فى معيتها
عرائس البحر باكيات، وكانت أمواج البحر تتلاطم من حولهن.
وما أن وصلن إلى أرض طروادة عميقة التربة
حتى خرجن، جميعاً، واحدة تلو الأخرى، نحو الشاطئ
حيث تقف سفن الميرميدونيين فى صفوف متقاربة حول أخيليوس
السريع الذى كان يئن بشدة. فدنّت أمه الجليلة منه
وعانقت رأس ولدها وانفجرت فى النواح
بصوت عالٍ، وبصرخة يرثى لها، خاطبته بكلمات مجنحة:
"أى بنى، لماذا تبكى؟ أى حزن حل بروحك؟
أفصح عنه، ولا تخفيه، لقد استجاب
زيوس لدعائك، عندما تضرعت رافعاً يديك من قبل
- ٧٥

طالبًا، حينئذ، أن يحتشد أبناء الآخيين كلهم عند مؤخرات السفن،
وهم يعانون مر الهزيمة وبسبب احتياجهم المؤلم لوجودك"

فتأوه أخيليوس سريع القدم بشدة وأجابها:

"أى أماء، لقد حقق لى الأوليمبي دعواتى حقًا،

٨٠

لكن، أية فرحة لى فى ذلك؟ وقد قتل صديقى العزيز

باتروكلوس الذى أبجله من بين رفاقى جميعًا

مثل نفسى تمامًا. لقد فقدته، قتله هيكتور، سلبه أسلحته الرهيبة المهيبة

التي وهبتها الآلهة هدية ماجدة إلى بيليوس،

٨٥

فى اليوم الذى زفوك فيه إلى فراش بشرى.

ليتك بقيت حيثما كنت وسط عرائس البحر الخالدات

وكان بيليوس قد تزوج امرأة بشرية!

والآن، سيلتهم قلبك حزن لا يحتمل،

من أجل موت ابنك الذى لن ترحبى به ثانية،

٩٠

حين يعود إلى أرض الوطن. فقلبى لن يسمح لى

بأن أعيش أو أقيم بين البشر، إلا إذا فقد

هيكتور حياته أولاً بضربة من سيفى،

حتى يدفع ثمن قتل باتروكلوس بن مينوييتيوس"

ثم خاطبته ثيتيس بدورها والدموع تنهمر من عينيها:

٩٥

"إذن يا بنى، قدر عليك الموت الوشيك، طالما

تتكلم هكذا، فموتك آت مباشرة بعد موت هيكتور"

تأثر بشدة سريع القدم أخيليوس وتحدث إلى أمه:

"قلأمت، إذن، فى الحال، إذا لم أتمكن من مساعدة

صديقى (*) عند مصرعه، وقد هلك بعيدًا عن وطنه،

(*) هذه مقولة هومرية مشهورة، إذ لها دلالة واضحة عن مفهوم الصداقة فى العالم البطولى الملحمى وسنجد لها

أصداء كثيرة فى كافة فنون الأدب الإغريقى واللاتينى. (المحرر)

- ١٠٠ وكان فى حاجة إلى لأصدّ عنه الكرب
وطالما أننى لن أعود إلى وطنى الحبيب،
ولن آتى بنور (الخلاص) إلى باتروكلوس، ولا إلى
الرفاق الآخرين والكثيرين الذين هزموا على يد هيكتور الإلهى.
وقد جلست (هاهنا) بجوار السفن، كعبء لا طائل منه على الأرض،
١٠٥ وأنا الذى ليس لى نظير فى الحرب، من بين الآخيين لابسى البرونز.
لكن هناك مَنْ يفوقنى مشورةً،
لذا، ليت الصراع بين الآلهة أو بين البشر ينتهى
كذلك الغضب الذى يشجع حتى لحليم على جنون العنف،
حيث يتزايد (الغضب) داخل روح الرجال كدخان يتصاعد
ويكون مذاقه أحلى من قطرات العسل.
١١٠ فهكذا، دفعنى أجامنون ملك الرجال إلى الغضب.
لكن فلندع الآن هذه الأمور ما دامت قد مضت وانتهت،
وإن كانت مؤلمة، يتحتم أن تكظمها القلوب فى الصدور.
ذاهب أنا الآن لأقتفى أثر ذلك الذى اغتال من
أحبيته، هيكتور فأهلاً بالمصير المحتوم،
١١٥ تلك هى إرادة زيوس وباقى الآلهة الخالدين.
فالموت لن يتفاداه أحدٌ وإن كان هرقل القوى
رغم أنه كان الأحب لدى زيوس بن كرونوس،
لكن هزمه القدر وغضب هيرا القاسى.
١٢٠ إننى مثله، إذا كان القدر هكذا قد رُسم لى
سأرقد عندما أموت، حينئذ ربما أفوز بمجد خالد. إذ ربما واحدة
من النساء الطرواديات أو الداردانيات ذوات الثياب الطويلة
تمسح دموعها المنهمرة على وجنتيها الرقيقتين
بيديها، وهى تتنهد بمرارة الحزن.

- ١٢٥ بذلك ربما يعلمون أننى توقفت عن الحرب وقتاً طويلاً^(*)
 إذن، وحبك، لا تمسكىنى عن الحرب، فأنت لن تقنعينى"
 أجابته الآلهة نيتيس ذات الأقدام الفضية:
 "أى بنى، إن ما قلته هو عين الصواب، فليس شراً
 أن تصد الدمار الوشيك عن الصديق فى وقت الضيق
 لكن أسلحتك المهيبة التى تلمع بالبرونز سلبها الطرواديون.
 فهيكثور، ذو الخوذة اللامعة،
 يحملها الآن على كتفيه، متفاخراً بها. وإنى لأعتقد
 أن تفاخره لن يطول؛ لأن الموت يقترب منه هو أيضاً.
 مع ذلك لا تقحم (نفسك) فى جلبة أريس
 قبل أن ترانى بعينيك عائدة مرة أخرى إلى هنا.
 وإنى سأعود غداً مع شروق الشمس
 حاملة أسلحة مهيبة من هيفايستوس الملك"
 قالت ذلك وتركت ابنها،
 واستدارت لتخاطب أخواتها عرائس البحر:
- ١٣٠ "لتغوصن الآن، يا أخواتى فى أعماق البحر الرحب
 لزيارة مسكن والدنا شيخ البحر المسن
 (نيريوس) تخبرنه بالقصة كلها، أما أنا فسأذهب إلى الأوليمبوس
 الشاهق، إلى بيت هيفايستوس إله الحدادة الأشهر
 لكى يمد ابنى بأسلحة مجيدة براقعة"
- ١٣٥ سمعن كلامها، وغصن مسرعاتٍ طى أمواج البحر،
 بينما سعدت نيتيس الإلهة فضية القدمين إلى الأوليمبوس،
 لكى تحضر أسلحة جديدة مجيدة لابنها العزيز.
 عندئذٍ رفعتها قدماها إلى الأوليمبوس. كان الآخيون -

(*) خمسة عشر يوماً بالحسابات التى يمكن استنباطها من معطيات "الإلياذة". (المحرر)

- ١٥٠ هرباً من هيكتور قاتل الرجال - يهرولون فى صراخ مروع حتى وصلوا إلى السفن والهيليسبونطوس. ولم يستطع الآخيون المسلحون بدروع متينة أن يسحبوا باتروكلوس تابع أخيلئوس بعيداً عن مرمى القذائف، حيث أدركته مرة أخرى حشود وخيول طروادة التى يقودها هيكتور بن برياموس فى بسالة كاللهب.
- ١٥٥ فأمسكه هيكتور المجيد ثلاثاً من خلف قدميه متلهفاً إلى أن يسحبه بعيداً، ونادى على الطرواديين بصوت عالٍ. أما الثنائى أياس كلاهما، فدفعاه إلى الخلف ثلاث مرات بقوة بالغة. لكن أياس كان شديد الثقة بقوته، اندفع وسط الجموع تارة، ووقف وصاح بصوت مدوٍ تارة أخرى، ولم يتراجع قيد أنملة.
- ١٦٠ ومثل الرعاة العاجزين، عن طرد أسد أشعث بعيداً عن جثة فى حقل، لفرط جوعه. هكذا لم يستطع الثنائى أياس المحاربان العتيدان أن يردعا هيكتور بن برياموس (ويقصياها) بعيداً عن الجثة.
- ١٦٥ وكاد هيكتور أن يخطف الجثة وينال المجد الأعظم، لولا أن إيريس سريعة القدمين جاءت مثل ريح مرسله برسالة إلى ابن بيليوس من الأوليمبوس لتحته على الحرب على غير علم من زيوس وباقى الآلهة، حيث أرسلتها هيرا فدنت منه ووقفت وخاطبته بكلمات مجنحة:
- ١٧٠ "لتنهض يا ابن بيليوس، يا أقوى الرجال طراً، ولتساعد باتروكلوس الذى من أجله يحتدم الآن صراع رهيب أمام السفن، ويتناحر (الرجال). هؤلاء يدافعون عن جسده المسجى، بينما يستमित الطرواديون ليسحبوه

١٧٥ من ذلك المكان إلى إيون ذات الريح العاصفة. وبخاصة هيكتور المجيد
ينلهم أن يسحبه، إذ يمني قلبه أن يفصل رأسه عن عنقه
الواهن، ويعلقه فوق أعمدة سور طروادة.

فلتنهض إذن، ولا تمكث هنا، وليدخل قلبك الفرع من أن يببب
باتروكلوس، بأى حال، لعبة لكلاب الطرواديين.

١٨٠ وليحل بك عار لو لحق الدنس بجسده"

أجابها أخيليوس الإلهى سريع القدم:

أيتها الإلهة إيريس، أى من الآلهة بعثك إلى بهذه الرسالة؟"

فأجابته إيريس السريعة منتعلة الرياح:

"لقد أرسلتني هيرا، زوجة زيوس المجيدة،

١٨٥ ولم يعلم بذلك ابن كرونوس فى علاه،

ولا أحد غيره من الخالدين قاطنى الأوليمبوس الثلجى"

فقال أخيليوس سريع القدم:

"كيف يتسنى لى أن أقاتل، وقد سلب أولئك الطرواديين أسلحتى؟

ووالدتى العزيزة منعتنى من التسلح للقتال

١٩٠ حتى يحين الوقت، وتراها عيناى عائدة إلى هنا مرة أخرى.

تعهدت لى بإحضار أسلحة رائعة من هيفايستوس:

كما أننى لا أعرف (إنساناً) آخر جديراً بأن أتقلد أسلحته المجيدة

سوى درع أياس بن تيلامون

هو نفسه، فيما أظن، يشارك فى طليعة الحشد

١٩٥ ناشراً الهلاك بسيفه ليحمى باتروكلوس الميت"

فقالته إيريس منتعلة الرياح:

"إننا نعلم تماماً أن أسلحتك المجيدة قد سلبت،

لكن، اذهب، كما أنت هكذا، إلى الخندق واظهر نفسك للطرواديين.

فإن تملك الطرواديين رعباً منك، وتوقفوا عن القتال

- ٢٠٠ حينئذٍ، تسنح الفرصة لكي يلتقط أبناء الآخيين الشجعان أنفاسهم من بعد التعب، فكم هو قصيرٌ وقت الراحة في الحرب!"
- قالت ذلك إيريس سريعة الخطو، ورحلت.
- لكن أخيليوس، حبيب زيوس، نهض وقد ألقت أثينة على كتفيه القوبين الدرع أيجيس ذا الأهداب.
- ٢٠٥ ثم توجت الإلهة المقدسة رأسه بسحابة ذهبية كثيفة، وقد فجرت منها ناراً متوهجة.
- ومثلما يتصاعد دخان فوق مدينة ويتجاوز عنان السماء، من جزيرة يحاصرها الأعداء،
- بينما يناضل سكانها طوال النهار في معركة بغیضة من فوق أسوار مدينتهم، وعند غروب الشمس تستعر انفجارات اللهب واحدة تلو الأخرى، ينطلق (اللهب) عاليًا حتى يراه سكان الجوار، وربما يأتون على متن سفنهم لكي يخلصوهم من الدمار.
- ٢١٠ هكذا، انفجر اللهب من فوق رأس أخيليوس عاليًا إلى السماء، فقفز من فوق السور نحو الخندق، وهناك اتخذ لنفسه موقعًا، إلا أنه لم يختلط بحشد الآخيين، حيث تذكر نصيحة أمه الحكيمة، فوقف هناك وصاح ورددت الصياح أثينة باللاس من بعيد، فحل ارتباك لا يوصف وسط الطرواديين.
- كانت صيحته مدوية كصوت البوق المنطلق عاليًا وسط حشد أعداء عابثين يحاصرون مدينة.
- ٢٢٠ هكذا كانت صيحة سليل أياكوس.
- وبمجرد أن سمعوا صوت سليل أياكوس البرونزى ملأ الرعب قلوبهم جميعًا، وبدأت الخيول جميلة العرف تتراجع عن العجلات، حيث تملك نذر الشؤم قلوبها.
- ٢٢٥ وتخبط سائقوها رعبًا عندما رمقوا النار

- المستعرة تتأجج بشكل مفرع، متصاعدة من فوق رأس البطل
ابن بيليوس حيث ألهبتها الإلهة أثينة براءة العينين (*).
وصاح أخيلئوس الإلهى القوى فوق الخندق ثلاثاً.
وقد ارتبك فى كل مرة الطرواديون وحلفاؤهم أصحاب الشهرة
حيث قُتل فى التو وفى نفس المكان، اثنا عشر رجلاً من خيرتهم
وسط عجالتهم الحربية و(بين) رماحهم. لكن الأخيين
سحبوا (جثة) باتروكلوس بسرور بعيداً عن مرمى القذائف
حيث وضعوه على نعش، واحتشد رفاقه الأعراء حوله
يبكون، و بينهم أخيلئوس سريع القدم،
الذى عندما رأى رفيقه المخلص مسجى على النعش
مطعوناً يرمح برونزى حاد ذرف دمعاً ساخناً.
إذ كان هو الذى قد أرسله بالخيول والعربة
إلى الحرب، و لن يرحب بعودته مرة أخرى. أرسلت هيرا الإلهة
الجليلة ذات العيون الواسعة كالمها، الشمس التى
لا تكل - مرغمة (**). - إلى جداول أوكيانوس، فغربت الشمس.
وتوقف الآخيون شبيهو الآلهة عن القتال الرهيب والحرب الضروس.
وتقهقر الطرواديون أمامهم فى القتال المحتدم،
وفكوا الخيول السريعة عن العربات الحربية التى كانت تحملهم،
واحتشدوا فى اجتماع ولم ينشغلوا بعشائهم.
وظلوا واقفين ولم يجرؤ أحد على الجلوس أثناء انعقاد الاجتماع،
فلم يكن لأحد رغبة فى الجلوس؛ حيث تملكهم الفزع عندما
رأوا أخيلئوس قادمًا بعدما كان قد نأى بنفسه طويلاً عن القتال الفتاك.
كان بوليداماس بن بانثوؤس الحصيف الفصيح أول من خاطبهم
فهو الوحيد الذى بمقدوره رؤية ما فات وما هو آت

(*) ترجم الصفة *glaukopis* - وهى لقب من ألقاب أثينة - إما بـ "زرقاء العينين" أو "براقة العينين". ونرى
العبارة الأخيرة أليق بالسياق هنا. (الحرر)
(**) أى أرغمت هيرا الشمس على الغروب قبل الآوان. (الحرر)

فى آن واحد، كما كان رفيقاً لهيكتور، فقد ولد كلاهما فى ليلة واحدة.
لكنه يفوقه فى الفصاحة، بينما هيكتور يفوقه فى رمى الرمح،
وبالرأى السيد خاطب جمعهم قائلاً:

- "أصدقائى، وازنوا بين كفتى الأمر، فمن ناحيتى
٢٥٥ الآن، أمركم أن تعودوا إلى المدينة، ولا تنتظروا مطلع الصباح
الإلهى فى السهل عند السفن، إننا بعيدون عن الأسوار.
إذ طالما استمر ذلك الرجل فى غضبته من أجامتون الإلهى
كان من الأسهل علينا أن نقاتل الآخيين
بل، وكنت أنا أيضاً سعيداً، إذ قضيت ليلة
٢٦٠ فوق السفن السريعة المقوسة على أمل أن نستولى عليها.
أما الآن فإننى أخاف ابن بيليوس سريع القدم
فهو رهيب ذو روح مستبدة، ولن يبقى
هنا فى السهل، حيث يفتسم الطرواديون والآخيون
غضب آريس بينهما سواءً بسواء.
٢٦٥ إنما سينقل القتال إلى داخل مدينتنا وضد نساءنا.
هلموا إلى المدينة، فالأمر على هذا النحو سيسير.
الآن سيوقف الليل الخالد ابن بيليوس سريع القدم
وإذا هجم علينا فى الصباح فى عدته الحربية
ونحن لم نزل هنا، حينئذ، سيعرف كل منا جيداً أى محارب هو،
٢٧٠ وسيكون سعيداً من يلوذ بالفرار إلى إليون المقدسة.
ستلتهم الكلاب والنسور الكثيرين من
الطرواديين، وليبتعد هذا الشؤم عن أسماعى!
والحق، إن استمعتم إلى كلماتى، رغم أنها مؤلمة للجميع،
لنحشد كل قوتنا الليلة فى مكان التجمع،
٢٧٥ سنحتمى بالأبراج والبوابات العالية،
حيث الأبواب الشاهقة اللامعة والثابتة هناك محكمة الغلق.

- وفى الصباح الباكر عند الفجر، يقف الواحد منا مزوداً
 بأسلحته على الأبراج، وقتها سيحل (بأخيليوس) شر مستطير،
 إذا جرؤ أن يغادر السفن ليحاربنا للاستيلاء على أسوارنا.
- ٢٨٠ سرعان ما سيعود أدراجه إلى السفن، عندما تكون خيوله
 مشرئبة الأعناق، أنهكها فرط العدو هنا وهناك تحت (أسوار) المدينة
 فلن يجرؤ على شق طريقه إلى داخل (المدينة) وبهذا لن يقتحمها
 قبلما تلتهمه الكلاب اللاهثة"
- وقال هيكتور ذو الخوذة اللامعة وهو ينظر إليه شزراً:
 "أى بوليداماس، إن ما تقوله بغيض،
 فأنت تأمرنا بأن نتقهقر ونحبس أنفسنا فى المدينة،
 ألم يكفكم بعد أنكم حوصرتم طويلاً داخل الأسوار؟
 كم كان الناس جميعاً منذ القدم يتحدثون عن مدينة برياموس
 وكم كانت غنية بكنوز الذهب والبرونز!
 أما الآن فقد ضاعت خيراتها الطيبة من بيوتها،
 وبيع الكثير مما تملك إلى فريجيا ومايونيا الجميلة،
 حيث أظهر زيوس القدير غضبه علينا.
- ولكن الآن، وبعد أن ضمن لى ابن كرونوس ذو التدبير الملتوى
 الفوز بمجد عند السفن، وأن أحبس الآخيين
 بجوار البحر، فليس لك أيها الأحمق، أن تقدم مثل هذه النصيحة
 لدى الشعب، فلن يبالي أى من الطرواديين بك، ولن أسمح بذلك.
 هلموا إذن وأطيعوا جميعاً أوامرى!
 تناولوا عشاءكم الآن بين الحشود فى جماعات،
 واهتموا بالحراسة، وليكن كل فرد متيقظاً،
 ومن هو مشغول من الطرواديين بثرواته،
 فليجمعها ويقدمها للشعب للاستخدام العام،
 فالأفضل أن يفيد منها الشعب خير من (أن يتمتع بها) الآخيون.
- ٢٩٥
- ٢٩٠
- ٣٠٠

- وفى الصباح الباكر عند الفجر، نكون متسلحين بأسلحتنا، نثير آريس
العنيف بالقرب من السفن المجوفة. وإذا كان حقيقياً أن أخيليوس
الإلهى قد نهض بالفعل عند السفن، سيقع به شر مستطير، إن كان
كذلك فلا محالة، لن أهرب منه بعيداً عن صخب المعركة الدامية
بل سأواجهه، وجهاً لوجه، وإذا فاز هو بالنصر أو فزت أنا فإنه الحرب
إنيالْيوس^(*) نزيه لا يحفل بالأشخاص، ومن قتل يقتل فى الغالب".
- ٣٠٥
- ٣١٠ هكذا خاطب هيكتور الحشود وصاح، حينئذ، الطرواديون عالياً
فما كان أحققهم! حيث سلبتهم باللاس أثينة الحكمة
لأنهم استحسنوا نصيحة هيكتور الشريرة،
ولم يمدح أحد بوليداماس، رغم ما قدمه من نصيح طيب.
ثم تناولوا جميعاً العشاء هنا وهناك، فى حين بات
الآخيون يولولون طوال الليل بأنين عالٍ على باتروكلوس.
٣١٥ ومن بينهم ابن بيليوس أول من بدأ النواح الأليم
باسطاً يديه، قاتلتى الرجال، على صدر رفيقه،
متأوهاً بمرارة شديدة، تماماً مثل لبؤة ذات لبدة،
سلب قناص أشبالها بعيداً عن الغابة الكثيفة،
٣٢٠ فحزنت وشرعت تئن أسفة على تأخرها فى الوصول.
فهى تتجول فى كثير من الوديان الصغيرة مقتفية أثر القنَّاص
عساها تجده، فالغضب الحاد يحركها.
هكذا، وبأنين مرير، تكلم (أخيليوس) بين الميرميدونيين:
"ويحى، إن الكلمة التى قلتها من قبل ضاعت هباءً،
٣٢٥ إذ شجعت البطل مينويتْيوس، هناك، فى قاعاتنا،
وقلت إننى، بعدما أكون قد سلبت إليون سأعيده إلى أوبويس^(**)
مع ابنه المجيد بنصيبه من الغنائم الذى يقدر له.

(*) إنيالْيوس Enyalios إما اسم آخر لآريس أو صفة له. (المحرر)

(**) أوبويس Opoeis أو أوبوس Opus مدينة فى لوكرىس ببلاد الإغريق. (المحرر)

- لكن زيوس لا يحقق كل مايشتهى البشر،
فقد قدرَ القدر لكلينا أن نروى الأرض نفسها بدمائنا،
٣٣٠ هنا فى تربة طروادة؛ حيث لن أعود ليستقبلنى الشيخ الفارس بيليوس
فى منزله، لا هو ولا أمى ثيتيس. إنما ستضمنى هذه التربة هنا
ولأننى يا باتروكلوس أرتحل وراءك تحت الثرى
فلن أقيم جنازتك حتى آتى إلى هنا بأسلحة
٣٣٥ هيكتور قاتلك شديد البأس، وبرأسه كذلك.
حينئذٍ، سأمزق اثنتى عشرة رقبة من رقاب خيرة شباب
طروادة المجيدة على المحرقة قرباناً للقتيل. لترقد حيث أنت،
يا باتروكلوس، بجوار السفن المقوسة، حتى يجىء الآوان،
ومن حولك الطرواديات والداردانيات بثيابين ذات الطيات العميقة
٣٤٠ تنتحبن وتذرفن الدمع ليل نهار.
فهن اللاتى جننا بهن نحن الاتنين، بكدنا ورماحنا الطويلة
وقد سلبنا مدن البشر الفانيين الغنية"
قال أخيليوس الإلهى ذلك ثم أمر رفاقه
أن يضعوا وعاءً ثلاثى الأقدام ضخماً فوق النار
لكى يغسلوا الدم المتخثر من جسد باتروكلوس.
٣٤٥ لذا وضعوا الوعاء فوق النار المشتعلة للغسل،
وصبوا الماء فيها، وأضرموا النار فى قطع الحطب التى وضعوها تحته
فتشابكت النيران حول بطن الوعاء، وسخنَّ اللهب الماء
بسرعة، ولما غلى الماء فى الإناء البرونزى المصقول
٣٥٠ غسّلوا الجسد ودهنوه بالزيت (*).
ملأوا الجروح بمرهم (معتق) لسبع سنين،
وعلى نعش مددوا (الجسد) مكفناً بالكتان
من الرأس وحتى القدمين، ووضعوا عليه وشاحاً أبيض.

(*) قارن فرجيليوس "الإلياذة" الكتاب السادس بيت ٢١٨ وما يليه. (المحرر)

- هكذا، وطول الليل، ومن حول أخيليوس سريع القدم
 ٣٥٥ كان يئن الميرميدونيون فى عويل على باتروكلوس.
 تحدث عندئذ زيوس إلى هيرا، زوجته وأخته:
 "حسنٌ يا هيرا، يا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها،
 أخيراً نفذت خطتك، وأثرت أخيليوس سريع القدم،
 لا بد أن أبناء الآخيين طويلى الشعر أتوا من نسلك"
 ٣٦٠ فأجابته هيرا صاحبة الجلالة وذات العيون الواسعة كالمها:
 "يا أكثر سلالة كرونوس بشاعةً، كيف تقول هذا الكلام؟
 يبذل الإنسان ما بوسعه من أجل غيره،
 ورغم كونه بشراً لا يملك من الحكمة ما نملك نحن الآلهة.
 فكيف لى أنا وهم يعرفون أنى مليكة السماء
 ٣٦٥ أولاً بحكم السلالة وثانياً لأننى أدعى زوجتك
 يا من لك حكم الخالدين جميعاً،
 فكيف لا أدبر الويل للطرواديين وبى غضب عليهم؟"
 هكذا كان حديثهما. ووصلت ثيتيس فضية القدمين إلى بيت
 ٣٧٠ هيفايستوس الخالد المزردان بالنجوم، والجليل بين منازل الخالدين.
 ذلك البيت المصنوع من البرونز الذى بناه بنفسه الإله الأعرج.
 فوجدته غارقاً فى عرق الكدح وهو يتجول حول الكير
 بلهفة؛ حيث كان يصنع عشرين
 رجلاً ثلاثى الأقدام لتقف جميعها حول حائط قصره السماوى
 ٣٧٥ متين البناء. فكان قد ثبت تحت قوائم كل منها عجالات ذهبية،
 تتحرك ذاتياً إلى حيث اجتماع الآلهة وتعود
 إلى داره ثانية، أعجوبة للناظرين! لم يكن يبقى للانتهاة
 منها سوى اللمسات الأخيرة، فلم يكن قد ثبت فيها المقابض
 المصنوعة بمهارة؛ حيث كان لا يزال يدقها بالمسامير.

٣٨٠

وبينما كان يعمل هناك بمهارة فائقة
اقتربت آنذاك ثيتيس الإلهة فضية القدمين،
رأتها وتقدمت منها خاريس^(*) ذات الإكليل الزاهي
الجميلة التي تزوجها الإله المعروف بقوة ساعديه،
فأمسكتها بيدها وخاطبتها قائلة:

٣٨٥

"ما الذى جاء بك إذن يا ثيتيس يا ذات الرداء الطويل المتجرجر
لتزورى مسكننا؟ أيتها الضيفة العزيزة، فأنت نادرًا ما تجيئين.
وعلى كل، اتبعينى إلى الداخل، كى أجلسك مجلس الضيوف"
قالت ذلك الإلهة الجميلة (خاريس)، وقادت ضيفتها إلى الداخل
وأجلستها على مقعد رائع مرصع بالفضة،

٣٩٠

دقيق الصنع، أسفله مسند للأقدام.
ونادت خاريس على هيفايستوس الصانع الشهير وخاطبته:

"تعال هنا يا هيفايستوس، ها هي ثيتيس تحتاج إليك"
حينئذ، أجابها (هيفايستوس) الشهير الذى يعرج بقدميه:
"حقًا، أفى بيتى إلهة مهيبة موقرة!

٣٩٥

أنقذتني ذات مرة، عندما ألم بي ألم، حين وقعت
(فى خطر) بسبب فعلة والدتى المخزية، حين أرادت أن تخفينى
بعيدًا، لمجرد أننى أعرج^(**)، وكادت روحى تذوق الويل
لو لم تأخذنى يورينومى و ثيتيس إلى صدريهما.
يورينومى ابنة أوكيانوس المنحسر.

٤٠٠

لتسع سنوات، مكثت معهما، أصنع نقائس
كثيرة رائعة، ودبابيس زينة وأساور لولبية وعقودًا
وكثيرًا من الحلقان، فى كهف سحيق، وكان أوكيانوس، من حولى

(*) تظهر خاريس Charis هنا على أنها تجسيد وتشخيص للجمال الذى يصنعه هيفايستوس نفسه فخطوط شخصيتها وملاعها غير واضحة وتقع فى المنطقة الوسطى بين الفكرة والشخصية. (المحرر)
(**) يقدم هيفايستوس هنا على أنه أعرج بالمولد ولكنه فى الكتاب الأول بيت ٥٩٠ وما يليه يحكى أن زيوس رماه من السماء بسبب غضبه، لأنه أخذ جانب أمه هيرا ضد أبية زيوس. (المحرر)

- يتدفق بزبده، محدثًا زئيرًا متواصلًا، ولم يكن يوجد
أحد آخر، يعرف عنه (شيئًا)، لا من الآلهة، ولا من البشر الفانين
سوى يورينومى وثيتيس اللتين أنقذتاني. ٤١٥
- وهاهى، الآن، (ثيتيس) جميلة الصفائر تأتي إلى بيتنا، فيتحتم
أن أكافئها، وبكل ما أستطيع؛ لانتشالي من الموت
و الآن (يا خاريس)، لتقدمي إليها ضيافة لائقة،
وسأترك الكير وأدواتي كلها"
- ٤١٠ قال ذلك، وقام من متكئه بهيكله
الضخم لاهثًا، وكان الإله يعرج عندما تحركت ساقاه
الهزيلتان من تحته بخفة، وأبعد الكير عن النار، وجمع
الأدوات التي كان يعمل بها جميعًا فى صندوق من الفضة.
ثم مسح وجهه وكتفا يديه بإسفنجة،
و(نظف) عنقه القوى وصدرة الأشعث، ٤١٥
- وارتدى رداءً وأمسك بعصا متينة ومضى يعرج،
وعلى وجه السرعة همت خادمت مصنوعات من الذهب
ينفذن أوامر مليكهن. كأنهن نساء يتمتعن بالحياة حقًا
وفى قلوبهن الوعي، ولهن صوت وقوة، ويمارسن
العمل اليدوى، إنهن هبةً من صنع الآلهة الخالدة. ٤٢٠
- تحركن بهمة لمساندة مليكهن، وهو
يعرج قريبًا من ثيتيس، وأجلسنه فى مقعد
ناصع، فقبض على مسنده وتكلم مخاطبًا إياها:
"أى ثيتيس، يا ذات الرداء الطويل المتجرجر
لم جئت البيت زائرة، أيتها الضيفة العزيزة؟ ٤٢٥
فقلما حضرت فيما مضى، أفصحى عما بذهنك، إن قلبى ليأمرنى
أن أحققه طالما أستطيع ذلك"

أجابته ثيتيس وهى تذرف الدمع:

"حقاً، يا هيفايستوس، أوجد من بين الإلهات

٤٣٠ قاطنات الأوليمبوس كلهن، واحدة أحست الحزن الثقيل بقلبها
بقدر ما أصابنى به زيوس بن كرونوس من ويلات؟ أنا من دونهن
ومن بين عرائس البحر، قد اختارنى، أنا فقط، وأخضعنى لبشرى،
لبيليوس بن أياكوس؛ إذ تحملت فراش بشرى^(*)، فيا له من
ألم لاقيته رغماً عنى. يرقد الآن فى بيته

٤٣٥ وقد أصابه وهن الشيخوخة وتعددت الأحزان .
فعندما رزقنى (زيوس) بابن لأرعاه وأربيه،
لا نظير له بين المحاربين، نمت برعماً
وربيته كشجرة فوق مرتفع صخرى مثمر،

حتى أرسلته فى السفن المقوسة إلى إيون ليحارب
٤٤٠ الطرواديين، ولن أستقبله عائداً مرة أخرى إلى
وطنه، إلى بيت بيليوس. وطالما عاش ويرى نور الشمس
سيدوم حزنه وليس بوسعى إنقاذه

رغم ذهابى إليه، حين أخذ الملك أجامنون من بين يديه فتاته التى
٤٤٥ حددها له أبناء الأخيين مكافأة،
فأكل الحزن قلبه حزناً عليها.

كان الطرواديون يحاصرون الأخيين عند سفنهم،
ولم يسمحوا لهم بالتقدم، وتوسل إليه شيوخ الأرجيين
واعدين إياه بهدايا كثيرة مجيدة، بيد أن ابنى نفسه رفض
٤٥٠ أن يدفع عنهم الهلاك.

واكتفى بأن ألبس باتروكلوس أسلحته وأرسله إلى الحرب،
ومعه فى الوقت نفسه أرسل حشداً كبيراً.

(*) حاولت ثيتيس عدة مرات الإفلات من بيليوس المشغوف بها حباً عند طلبها للزواج، فتحولت إلى عدة أشكال
كما يظهر فى رسوم الآوانى وكما جاء فى محاورة "الجمهورية" لأفلاطون (381 D)، وكما جاء فى النيمة الرابعة
(بيت ٦) لبنداروس. (المحرر)

- حاربوا النهار بطوله أمام بوابات سكاياى
وكادوا أن يدمروا المدينة فى ذلك اليوم، لولا أن أبوللون
٤٥٥ قدر موت الباسل ابن مينويتوس وسط الصفوف
الأولى بعد أن قام بتدمير الكثير، وبذا منح هيكاتور المجد.
وذلك هو السبب الذى له جنوت إلى ركبتيك (متوسلة) علك تستطيع
أن تمنح ابنى - الذى حُكِمَ عليه بالموت المبكر - درعاً
وخوذة ودرع ساقٍ جميلٍ بأبازيم عند الرسغ.
٤٦٠ فقد صديقه المخلص كل ذلك عندما قتل على يد
الطرواديين، ويرقد (ابنى) على الأرض كسير القلب"
أجابها الإله الأشهر وهو يعرج على قدميه:
"تشجعى، ولا تدعى هذه الأمور توجع قلبك،
ليتتى حقيقة أستطيع أن أخفيه بعيداً عن الموت القاسى،
٤٦٥ عندما يأتيه المصير المروع. يقيناً
ستكون له أسلحة منيعة، ومثل هذه الأسلحة
التي أبهرت كل من رآها من جموع الشعب"
قال ذلك وتركها متوجهاً إلى الكير.
أدار الكير نحو النار وأمره أن يعمل،
٤٧٠ فهبَّت منافخ الكير العشرون، فى بوتقات الانصهار
وانبعثت منها تيارات مختلفة قوتها، حتى تسعفه وقت الحاجة،
ووفق ما يحتاجه العمل، وحسبما يشاء هيفايستوس.
٤٧٥ وضع نحاساً صلباً وقصديراً وذهباً ثميناً وفضةً
على النار، ثم وضع سنداناً ضخماً على قالب السندان،
وأمسك مطرقة كبيرة بإحدى يديه، وأمسك بالأخرى ملاقط النار.
وفى البدء شكّل درعاً عملاقاً قوياً،
وزيّنه فى أطرافه، وطوقه بإطار ثلاثى لامع،
٤٨٠ يرتكز على حمالة من الفضة.

- فأصبحت طبقات الدرع خمسًا، وصنع
على شاكلته، بمهارة نادرة، أشكالاً مختلفة وغريبة.
ونقش عليها الأرض والسموات والبحر
والشمس التى لا تكل، والبدر المستدير
٤٨٥ وكل النجوم المترامية التى تتوج السماء^(*) :
بلياديس وهياديس، وكذلك أوريون القوى،
وأركتوس الدبة التى يسمونها أماكسا (العربة)،
التى تدور دومًا فى مكانها وتراقب أوريون،
وهى الوحيدة التى ليس لها مكان فى حمامات أوكيانوس.
٤٩٠ ونقش أيضًا على (الدرع) مدينتين جميلتين لبشر فانيين.
- كان فى إحداهما عرس وولائم زواج:
وكانوا يزفون العرائس على أضواء المشاعل المنيرة -
من حجراتهن عبر المدينة وقد صدحت أغانى الزفاف عاليًا
وكان الشباب يدور راقصًا وترنم صوت
٤٩٥ القيثارة بينهم، وتناغم المزمار مع غنائهم.
ووقفت النساء فى الأروقة والمداخل يحملن فى عجب.
وتجمع الناس فى الساحة العامة لإقامة مسابقة:
يتنازع رجالان على دية قتيل، يدعى أحدهما أنه دفعها كاملةً للآخر
٥٠٠ ويبرهن ذلك للناس، وينكر الآخر أخذها
وكلاهما يرغب فى الفوز بحكم لصالحه.
يصفق الجمهور مساندين هذا الجانب مرة أو ذاك مرة أخرى،
وينشغل المنادون بصد الناس، ويجلس الشيوخ
على مقاعد نظيفة وسط دائرة مقدسة،
٥٠٥ يمسكون بصولجانات أخذوها من المنادين مرتفعى الأصوات

(*) تلقى هذه الفقرة الضوء على ما قيل من إن الفلاسفة الإغريق وجدوا فى هوميروس مصدرًا لفلسفتهم الكونية وعلى ما قيل كذلك من أن الشراح المسيحيين الأوائل وجدوا فى هوميروس ما يعينهم على شرح اللاهوت المسيحى. فهنا نلاحظ تصوير دقة النظام الكونى، وهى الفكرة التى ربما استقاها هوميروس من التراث المصرى القديم. (المحرر)

نهضوا متكئين عليها، كل بدوره ينطق بالحكم.
كان بالمنتصف تالنتان ذهبان^(*)
مكافأة لمن يفصل في القضية بينهما بالحق،

واصطف جيشان من المحاربين في معسكر - حول المدينة

- ٥١٠ الثانية - بأسلحة برآقة وخطتين ثنائيتين مقبولتين:
وهما إما أن ينهبوا المدينة أو أن يقسموا بينهما
الثروة التي تحتوى عليها المدينة الجميلة كلها.
ولم يرضخ المحاصرون، بل تسلحوا من أجل أن
يواجهوا العدو في كمين، ووقفت زوجاتهم العزيزات وأطفالهم الصغار
يحرسون السور، كما وقف معهم رجال أثقلتهم الشيخوخة .
- ٥١٥ وذهب الآخرون بقيادة أريس وباللاس أثينة
متدثرين بالذهب، وكان الذهب يكسو ملابسهما الإلهية
كانا فارعى الطول رائعى الأسلحة، بما يليق بألهة
بيرزان بوضوح بين الباقيين، بينما الشعب تحت أقدامهما مثل الأقرام.
- ٥٢٠ وما أن وصلا إلى المكان المعتقد أنه ملائم لنصب كمين
فى بطن جدول؛ حيث يوجد مسقى لكل أنواع القطيع،
أجلساهم هناك متقلدين أسلحة من البرونز اللامع
وأرسلوا حارسين، بعيداً عن الجيش، ليترقبا حتى
يرىا القطعان والماشية ملتوية القرون.
- ٥٢٥ وعلى الفور جاءت (القطعان) يتبعها اثنان من الرعاة
يعزقان المزامير، ولم يكن يخطر ببالهما الغدر.
وما أن أدرك المتربصون قدومهما حتى انقضوا عليهما
وسرعان ما مزقوا قطعان الماشية والأغنام الجميلة ذات الفرو الأبيض
وذبحوا راعي الأغنام.

(*) لم يظهر سك العملة فى عصر هوميروس، بيد أنه هنا يبدو أن المتخاصمين فى المحاكم البدائية كانا يدفعان أجراً.
(المحرر)

- ٥٣٠ كان المحاصرون يجلسون أمام أماكن التجمع^(*)، فسمعوا
صخبًا عاليًا بين القطيع، فامتطوا خيولهم سريعة الركض
منطلقين نحوهم، وسرعان ما أدركوها.
نظموا صفوفهم، وقاتلوا عند ضفتى النهر،
وبات يطعن كل منهم الآخر بحراب برونزية النصل،
وفى المعركة امتزج الآلهة. واشتبك فى هذه المعركة
- ٥٣٥ إلهة النزاع إريس وإله الدمار كيدويموس، وإلهة المصير القاتل كير
التي أمسكت رجلًا حيًا جرح لتوه، وآخر غير مجروح،
وسحبت رجلًا آخر ميتًا من قدميه فى وسط المعركة.
وصبغت العباءة - التي كانت تضعها على كتفيها - بدم الرجال القانى.
واشتبك (الآلهة) فى النزاع وحاربوا مثل البشر الأحياء
- ٥٤٠ وكل فريق يسحب من الآخر جثةً.
- ونقش (هيفايستوس) أيضًا حقلًا من الأرض الناعمة الغنية.
أرضًا محروثة ثلاث مرات، شاسعة سمراء ضاربة إلى الصفرة.
ودفع حارثون كثيرون الأنيار أمامهم يسوقونها
هنا وهناك، وكلما عادوا بعد أن يبلغوا حدود الأرض المحروثة
يأتى رجل ويضع فى يد كل منهم كأسًا من النبيذ اللذيذ كالعسل.
- ٥٤٥ لذا كان الحارثون يعودون مسرورين
فى لهفة، عندما يصلون إلى حدود الأرض عميقة الحرث.
وكان الحقل من خلفهم قائمًا بعد أن قلبت التربة،
فتبدو كأنها مذهبة، وتلك آية من عجائب الصنع!
- ٥٥٠ ونقش (هيفايستوس) ضيعة ملكية يحصد العمال فيها،
حاملين مناجل حادة فى أياديهم، تتساقط فى صفوف متراسة
بعض سيقان (القمح) على الأرض بطول الجزء المحصود

(*) لم ترد الكلمة eiraon إلا هنا فقط (بيت ٥٣١) وترجمها البعض "أماكن التجمع" وترجمها آخرون "أماكن الخطابة" أى بما يوازي كلمة agora. (المحرر)

- ويربط الحزّامون (القمح) فى حزمات بأربطة من القش المجدول،
حزّامون ثلاثة وراء الحصادين، يجمع خلفهم
الغلمان سيقان القمح ملء أذرعهم ويحملونها ويعطونها
للحزّامين. فى الوسط يقف الملك يمسك صولجانه صامتاً،
منشرح الصدر، عند خط المحراث.
ويعد الأتباع وليمة بعيداً تحت شجرة بلوط
فكانوا يهيئون ثوراً ضخماً ذبحوه قرباناً.
ونثرت النسوة شعيراً أبيض بكثرة على جلده لغذاء العمال
ونقش (هيفايستوس) كرمة ذهبية جميلة، حملها ثقيل
من العناقيد، عناقيد سوداء من أعناب
تصطف من أول الكرمة إلى آخرها أعراش فضية تحمل العناقيد.
ونقش حولها خندقاً طلى بالأزرق القاتم حوله سياج
من القصدير، يؤدى إليه ممر واحد يسلكه
قاطفو الأعناب عندما يتجمعون فى الكرمة.
وقف الفتية والغلمان منشرحين فى مرح،
حاملين فاكهة ناضجة أحلى من العسل، فى سلال من الصفصاف.
وفى وسطهم غلام يحمل قيثارة جلية النغمات
يعزف عليها، ويتغنى مع الألحان
بأغنية (خفيفة) (*) وبصوت رقيق، ويدق الباقون
الأرض فى تناغم، ثم يتقافزون فى رقص وصياح.
ونقش (هيفايستوس) قطيعاً من الماشية مستقيمة قرونها،
محلاة بالذهب والقصدير،
خافضة (رعوسها)، مسرعة من الحظيرة، لترعى

(*) فى بعض الطبقات يبدأ اسم الأغنية بحرف كبير على أنه اسم علم Linos ويقال إنها أغنية حزينة النغمة تلقى احتفاء بفراق الصيف. وقيل إنها من أصل فينيقى (ai le nu) التى فهمت على أنها تعنى "ياويلتنا" التى ربما كانت اللازمة فى هذه الأغنية. اعتبر الإغريق أن لينوس هو شاب صغير مات فى سن مبكرة على أيدى أبوللون. وقالوا كذلك إنه مخترع هذه "المرثية" التى حملت اسمه. (المحرر)

بالقرب من نهر يعلو فيه خرير المياه، وتتمايل على ضفتيه العيدان.
يمشى بجانب الماشية أربعة رعاة من الذهب،
تلهث وراءهم تسعة كلاب. قفز وسط مقدمة الماشية أسدان مهولان،

٥٨٠

وأمسكا بثور شرع يجار بالخوار المدوى،
لأنهما يبتعدان به، ويسرع وراءه الكلاب
والآيل، فيمزق الأسدان جلد الثور وينهشان
أحشاءه ودماءه السوداء، ولم يفعل الرعاة شيئاً
بسبب الخوف، فحرضوا الكلاب التي لم تجرؤ

٥٨٥

على ملاحقة الأسدين، فما كان منها
إلا أن وقفت تتبح، وابتعدت بنفسها جانباً، وتقهقرت.
ونقش (هيفايستوس) الذى يعرج بكلتا ساقيه، مرعىً
شاسعاً فى وادٍ خصيب، به أغنام بيض
وحظائر وأكواخ مسقوفة وزرائب.

٥٩٠

وأكثر من ذلك نقش الإله المعروف بقوة ساعديه
قاعة رقص، (صنعها) بمهارة فائقة، كتلك التي
بناها دايدالوس فى كنوسوس الشاسعة من
أجل أريادنى مجدولة الضفائر. فيها شباب يرقص ويتودد للفتيات
بالهدايا، ويمسك كلٌ منهم بمعصم الآخر.

٥٩٥

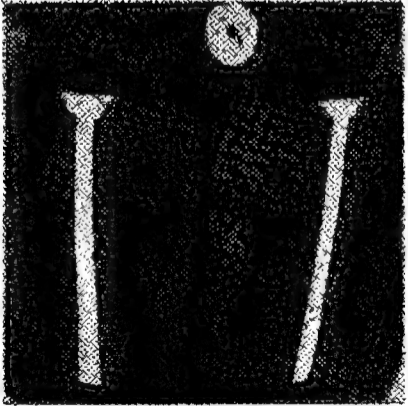
ترتدى الفتيات ثياباً من الكتان الناعم، ويرتدى الشباب
سترات مغزولة بمهارة تتلألأ من أثر الزيت.
ووضعت الفتيات أكاليل جميلة، بينما وضع الشباب
خناجر من الذهب تتدلى من حمالات فضية.
كانوا (جميعاً) يثبون فى دائرة بأقدام مدربة،

٦٠٠

يتقدمون بخفة مثل الخراف الذى يجلس إلى جانب
عجلته ويضبطها بين يديه ليحرب ما إن كانت تدور جيداً.
وأحياناً أخرى يدورون فى صفوف تواجه بعضها بعضاً.

- وتجمع هناك عدد غفير حول الرقص المبهج
فرحين، وعزف بينهم منشد ديتى على قيثارة.
٦٠٥ يدور فى وسطهم بهلوانان
يغنى المغنى، وهما يدوران على موسيقاه.
هناك أبداع (هيفايستوس)، أيضاً، قوة النهر أوكيانوس الرهيبة،
يضرق أطراف الدرع بديع الصنع.
وما أن أتم الإله صنع الدرع العملاق القوى، حتى صنع له
٦١٠ درع صدر أكثر لمعناً من وميض النار.
ثم صنع خوذة ثقيلة تتلاءم مع صدغيه، خوذة جميلة
دقيقة الصنع، ووضع عليها ريشة ذهبية.
كما صنع له دروع ساق من القصدير اللدن.
ولما انتهى الإله الذى يعرج بكتنا ساقيه، من الدرع
٦١٥ تماماً، أخذه ووضعها أمام أم أخيليوس،
فوثبت من قمم الأوليمبوس الثلجية كصقر
٦١٧ حاملة الأسلحة المصقولة من هيفايستوس.

الكتاب التاسع عشر



ترجمة أحمد عثمان

كانت إلهة الفجر إيوس بردائها الزعفرانى تبزغ من أمواج
المحيط الأوكيانوس، حاملة النور للآلهة الخالدين والبشر الفانين.
وجاءت ثيتيس إلى السفن تحمل هبات الإله. ووجدت ابنها الحبيب
متعلقاً بجسد باتروكلوس يجهش بالبكاء، ومن حوله حشد غفير من
رفاقه يننون.

٥ وقفت الإلهة المتألثة بجواره وسط الرفاق، ممسكة يده بيدها
ونادته باسمه قائلة:

"أى بنى، علينا أن ندع هذا الرجل، مع أسفنا الشديد،
يرقد هنا كما هو، لأنه قد قتل بإرادة الآلهة، ولتقبل

أنت من هيفايستوس الدرع الشهير رائع الجمال، الذى لم يحمل
مثله من قبل على كتفيه إنسان قط".

١٠

هكذا كان حديث الإلهة، ووضعت السلاح المجيد أمام أخيليوس،
فأحدث السلاح المتألىء رنيناً مدوياً. فاستولت الرهبة على قلوب
الميرميدونيين جميعاً، ولم يجرؤ أحد منهم أن يحملق فيه، فاستداروا
وابتعدوا. فلما نظر أخيليوس إلى السلاح ازداد غضبه توهجاً، ولمعت
١٥ عيناه ببريق مخيف، كما لو اشتعلت تحت جفنيه نيران مندلعة. غمرته
السعادة وهو يلمس بيديه هدايا الإله المجيدة، ولكن ما أن ارتوت روحه
بالتحديق فى هذا السلاح المتألىء، حتى خاطب أمه بكلمات مجنحة:

٢٠

"أماه، هذا السلاح قد صنعه الإله كما ينبغى أن تكون القدرة
الإلهية، فلا طاقة لبشر فان أن يصنع مثله أبداً. الآن سأرتدى هذا
الدرع، وإن كنت فى الوقت نفسه شديد الخوف أن يجد الذباب
طريقه إلى داخل جثة ابن مينويتوس الصنديد عبر الجروح التى
أحدثتها طعنات البرونز، فتتغذى عليها الديدان مسيئة للميت،
فليس فى جثته حياة، ولذا سوف يتغفن لحمه".

٢٥

- فردت عليه ثيتيس، الإلهة ذات القدمين الفضيّتين، قائلة:
 "بنى، لا تدع هذه الأفكار تتعب قلبك، فسوف أصد عنه
 القبائل المتوحشة، أسراب الذباب التي تتغذى على قتلى
 المعارك، حتى لو ظل جسده في مكانه عامًا كاملاً
 فسيبقى لحمه سليماً على الدوام. وربما أفضل مما هو
 عليه الآن. لتنادى المحاربين الآخيين إلى الاجتماع في
 الساحة، وتخل عن غضبك على أجامنون، راعى الشعب،
 وتسلح بسلاح القتال فوراً، وتدثر برداء البأس".
 وبعد أن قالت ذلك ملأت صدره بالقوة والثقة، ونثرت
 على باتروكلوس الأمبروسيا، وسكبت النيكتار الأحمر في
 ثقب الأنف، حتى يظل لحمه سليماً دائماً^(*).
- ٣٠
- ٣٥
- ٤٠
- ٤٥
- ٥٠
- ٥٥
- سار أخيليوس الإلهي على شاطئ البحر مطلقاً صيحته
 المدوية مستنفرًا المحاربين الآخيين، الذين كانوا من قبل
 حول السفن، والذين كانوا يقومون على قيادة السفن وإدارة
 الدفة، والذين قاموا بالخدمة وتقديم الطعام. فحتى هؤلاء
 جاءوا إلى ساحة الاجتماع، لأن أخيليوس الإلهي حضر بعد
 طول انقطاع عن الحرب المفجعة. وجاء اثنان من سدنة آريس
 يعرجان، وهما ابن تيديوس المحارب العتيد وأوديسيوس شبيه
 الآلهة، كل يستند على رمحه لأن جراحهما كانت لا تزال تؤلمهما،
 وجلسا في مقدمة المجتمعين. وأخيراً جاء ملك الرجال
 أجامنون مثقلاً بجرحه، لأن كوؤن بن أنتينور أصابه برمحه
 ذي السن البرونزي في أثناء القتال الضاري. فلما تجمع
 كل الآخيين وقف أخيليوس سريع القدمين وسطهم يخطب
 فيهم قائلاً:

(*) هنا يتذكر المرء فن التحيط المصري الذي تحدث عنه هيرودوتوس في الكتاب الثاني من تواريخه. وهنا يستخدم
 الأمبروسيا والنيكتار، طعام وشراب الآلهة، وكأفهما عطر وعقار. (اخر)

- يا ابن أتريوس، هل كان هذا أفضل لى ولك، أن انفجرنا
 أنا وأنت فى غضب، وانزلقنا إلى خصومة فتاكة تستنزف
 الروح، وكل ذلك من أجل فتاة؟ ليت أرتميس قتلتها بسهمها
 عند السفن فى اليوم الذى فزت بها سبية ومكافأة، عندما دمرت
 ليرنيسوس! عندئذ كان عدد أقل من الآخيين سيعضون
 تراب الأرض مدحورين على أيدي أعدائهم بسبب غضبى
 الجامح. كان كل ذلك لصالح هيكتور والطرواديين. ولكن
 الآخيين فيما أعتقد سيذكرون لأمد طويل الخصومة بينى وبينك.
 على أى حال ما فات قد فات، فلا بد أن نكبح جماح الكبرياء فى
 صدورنا، لأن الضرورة تلزمنا بذلك. الآن سوف أكظم غيظى،
 وعليك ألا تحتفظ بغضبك للأبد، بل عليك أن تستثير حماس الآخيين
 ذوى الشعر الطويل للقتال، لكى أستأنف أنا قتال الطرواديين
 من جديد، وإن جاءوا إلى السفن. أعتقد أن الكثيرين منهم سوف
 يفضل الراحة بثنى الركبة والقعود هرباً من هول المعركة
 ومن سهامى".

- هكذا كان حديث أخيليوس، فتهازل الآخيون المسلحون بالدروع
 جيداً، لأن ابن بيليوس ذا الحماس الهائل قد تخلى عن غضبه الجامح.
 ثم تكلم أجاممنون ملك الرجال، إذ لم ينهض ليقف وسطهم
 بل تحدث من مكانه قائلاً:

- "أيها الأصدقاء، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع أريس،
 من اللائق أن ينصت الناس إلى من يقف ليخطب فيهم، ولا يليق
 أن يقاطعه أحد. فمن العسير على المرء أن يصرخ بالخطاب
 حتى ولو كان بارعاً، لكن كيف ينصت المرء أو يتحدث جيداً
 فى حشد صاخب من الناس؟ فحتى الخطيب المفوه يعوقه
 هذا الصخب. سوف أفتح قلبى لابن بيليوس، لكن على

- الباقين من الأرجيين أن يسمعوا ويعوا كلماتي. لقد حدثني
 ٨٥ كثير من الآخيين وعاتبوني، ولكنني لم أكن السبب،
 بل كان السبب هو زيوس وإلهة القدر (مويرا) وإيرينيس، التي
 تتحرك في الظلام. لقد أصابوا نفسي بالجنون الأعمى في
 يوم الاجتماع الذي حرمت فيه أخيليوس من مكافأته المستحقة
 ٩٠ له. ماذا كان بوسعى أن أفعل؟ إنها القوة الإلهية التي تفعل
 كل شيء، إنها أتى كبرى بنات زيوس التي تصيب الجميع
 بالعمى، عليها اللعنة! لها قدمان رقيقتان، لا تسير بهما على
 ٩٥ الأرض بل على رعوس البشر، فتقودهم إلى الأذى وتوقع
 هذا أو ذاك في شراكها. حتى زيوس نفسه أصابه العمى ذات مرة،
 نعم زيوس الذي يقولون عنه إنه أعظم الآلهة والبشر أجمعين،
 حتى هو خدعته هيرا ذات الدهاء في اليوم الذي كان مقررًا فيه
 أن تضع ألكميني في طيبة ذات العرش المكين هيراكليس (هرقل)
 ١٠٠ القوى. إذ تباهى زيوس بين الآلهة جميعًا وصرح قائلاً:
 أنصتوا لي جميعًا أيها الآلهة وأيتها الإلهات. إذ سأكشف لكم
 عما يقوله قلبي في داخل صدري: هذا اليوم إيليثويا، إلهة
 الولادة، ستخرج إلى النور طفلاً سيكون سيدًا على كل من
 حوله من الشعوب المجاورة، فهو من سلالة تنتمي إليّ.
 فخاطبته الملكة هيرا بدهاء وقالت:
 ١٠٥ سوف تخلف وعدك ولن توفي بعهدك. تعال الآن أيها الأوليمبي
 وأقسم لي قسمًا مؤكدًا أن هذا الإنسان الذي ينزل اليوم من بين
 رجلى امرأة سيكون سيدًا على كل من حوله، الرجل الذي يولد
 لأناس من نسلك.
 ١١٠ هكذا قالت، ولم يدرك زيوس المكر في
 حديثها وفكرها، بل أقسم قسمًا مغلظًا ووقع في الشرك. لأن

- هيرا هبطت مسرعة من قمة الأوليمبوس إلى أرجوس الآخية .
وكانت تعرف أن هناك زوجة سثينيلوس بن بيرسيوس
الجميلة، وأنها حامل في شهرها السابع، فأخرجت هيرا هذا
١١٥ الطفل إلى النور قبل آوان الولادة، لكنها عطلت ولادة الكميني
ومنعت إيليثويا من أداء عملها. ثم حملت النبا بنفسها إلى
ابن كرونوس قائلة:
- ١٢٠ أى زيوس الأب ياذا البرق اللامع، سأقص عليك النبا الحق.
ولد اليوم إنسان شجاع ليكون ملكاً على الأرجيين.
إنه يوريسثيوس بن سثينيلوس بن بيرسيوس، فهو من نسلك،
وليس من غير اللائق أن يصبح ملكاً على الأرجيين.
- ١٢٥ قالت هذا فأصاب الألم المرير زيوس في أعماق القلب،
وقبض من فوره على خصلات شعر آتى الناعم في سورة
غضبه، وأقسم قسمًا مغلظاً ألا تصعد مرة أخرى أبداً إلى
الأوليمبوس، ولا إلى السماء ذات النجوم، آتى مضلة الجميع.
قال هذا وزجها بيده مطوحاً بها من السماء ذات النجوم،
١٣٠ فهبطت على الفور إلى الحقول التى يزرعها البشر. ومنذ
ذلك الحين يشتد حنقه عليها كلما وقع نظره على ابنه الحبيب
(هيراكليس) وهو يقوم بعمل شاق غير لائق طاعة لأوامر
يوريسثيوس^(*). وهكذا، فى الوقت الذى كان فيه هيكتور
ذو الخوذة اللامعة يعيث قتلاً فى الأرجيين عند مؤخرة سفننا،
لم أكن قادراً على نسيان آتى التى أصابتنى بالعمى منذ البداية.
١٣٥ ولكن لأننى كنت كالأعمى فى ضلال، وحرمنى زيوس القدرة على
التمييز ومعرفة الصواب، فلم تجد أية محاولة للإصلاح أو دفع

(*) إشارة للأعمال الاثني عشر التى قام بها هرقل راجع: "بنات تراخيس" لسوفوكليس، (ترجمة وتقديم أحمد عثمان ومقدمة مع معجم أسطورى)، سلسلة من المسرح العالمى الكويتية، عدد ٢٤٩، يونيو ١٩٩٠.
و"هرقل فوق جبل أويتا" لسينيكاً - (ترجمة وتقديم أحمد عثمان مع معجم أسطورى). سلسلة من المسرح العالمى الكويتية - مارس ١٩٨١.

١٤٠ تعويض لا نهاية له. المهم أن تنهضوا الآن إلى المعركة، وأن تستنفروا بقية الشعب، وأنا على استعداد لتقديم الهدايا التي سبق أن وعد بها أوديسيوس الإلهي في الخيام ذات مساء. فإذا شئتم انتظروا هنا قليلاً، مع أنكم متلهفون على القتال، وسيحمل رجالى الهدايا من سفينتى إليكم، لتروا بأنفسكم أنني سأقدم كل الهدايا التي تروق لكم."

١٤٥ فرد عليه أخيليوس سريع القدمين:

"يا أمجد أبناء أتريوس! أى أجامنتون ملك الرجال، الأمر لك فى أن تعطى الهدايا كما يليق بك، أو أن تمنعها. لكن علينا أن نفكر فى متعة القتال على وجه السرعة، ولا نضيع الوقت فى تبادل الكلمات الجميلة^(*)، فهناك عمل ضخم لم ينجز بعد.

١٥٠ وسيرون أخيليوس من جديد فى مقدمة الصفوف يدمر برمحه البرونزى جموع الطرواديين. ففكروا الآن فى المعركة، وليقاتل كل منكم عدوه."

عندئذ رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة، وقال:

١٥٥ "أى أخيليوس يا شبيه الآلهة! رغم كل قوتك لا تحرض أبناء الآخيين ضد إيون، ليقاتلوا صائمين الطرواديين، فلن تكون المعركة قصيرة، عندما تتلاقى صفوف الرجال وينفث الإله من قوته فى صدور الفريقين. فالأفضل أن تطلب من الآخيين أن يتناولوا الطعام والنبيد فى السفن المجوفة، فهما أساس القوة والإقدام. فالذى يصوم عن الطعام لا يستطيع محاربة عدوه طيلة النهار حتى غروب الشمس، حتى لو كانت روحه متلهفة على القتال.

١٦٠ إذ تتناقل أطرافه دون أن يدري، وسوف يقعه الظمأ والجوع، وتتعثر ركبته أثناء السير. لكن الرجل الذى يأخذ كفايته من

(*) هذه الكلمة باليونانية klotopeuein لم ترد سوى فى هذا المكان، ولم ترد عند مؤلف إغريقى آخر (hapax legomenon) لما يجعلنا غير متأكدين من المعنى. (المحرر)

- الطعام والشراب يحارب طوال النهار ضد الأعداء، ينبض قلبه
بالقوة في داخله، ولا ترهق أطرافه حتى يعود الجميع من ساحة
القتال. فتعال وأصرف الحشد لكي يتناول كل منهم طعامه، ودع
١٧٠ أجاممنون ملك الرجال يحضر هداياه إلى وسط ساحة الاجتماع،
لكي يراها جميع الأخيين بأعينهم، ويطمئن قلبك أنت. ودعه يقسم
لك، وهو يقف وسط الأرجيين، أنه لم يذهب إلى فراش الفتاة
١٧٥ ولم يضاجعها كما هي العادة. يا ملك الرجال والنساء،
هدى من روعك وافتح قلبك في صدرك للتهدة. ثم دعه
يقيم مأدبة فخمة لمصالحتك في خيمته، وبذلك لا ينقص من
حقوق شيئاً. أما أنت يا ابن أتريوس لا بد أن تكون من الآن
١٨٠ فصاعداً أكثر عدلاً مع الآخرين، ولا يعيب الملك أن يسرع
بإصلاح أخطائه إذا كان هو البادىء بالعنف".
- ثم رد عليه أجاممنون ملك الرجال قائلاً:
- ١٨٥ "يا ابن لائيرتيس، أسعدنى ما سمعت من حديثك. حيث قطعت
بكل ما هو حسن وملائم، وأنا بكل سرور سأقسم القسم الذى
طلبت، فقلبى يدفعنى إلى ذلك، ولن أحنث فى قسمى أمام
القوة الإلهية. دع أخيلئوس ينتظر قليلاً مع أنه متلهف على
القتال، وامكثوا أنتم جميعاً حتى تأتى الهدايا من خيمتى، ونوثق
١٩٠ قسمنا وثقتنا بالقرابين. ولكننى أكلفك وأطلب منك أنت
يا أودئسيوس أن تختار زهرة شباب الأبطال الأخيين ليحضرُوا
الهدايا من سفينتى مع كل ما وعدت أخيلئوس مساء الأمس، وأن
١٩٥ يحضروا كذلك النساء. ودع تالئيبئوس يبحث لى بسرعة عن
خنزير برى فى كافة أنحاء جيش الأخيين العريض، ويجهزه
لى كى أقدمه قرباناً لزيوس وهيلئوس".

فرد عليه أخيلئوس سريع القدمين مرة أخرى قائلاً:

- "يا أمجد أبناء أتريوس، أجامنون ملك الرجال ! قد تفعل ذلك
 ٢٠٠ وبإقدام أكبر في وقت آخر حين تتوقف الحرب قليلاً، وعندما يهدأ
 الغضب المتقد في قلبي. لكن الآن يرقد ضحايا هيكتور بن برياموس
 قتلى بعد أن فتك بهم هيكتور، حيث منحه زيوس المجد، والآن
 ٢٠٥ تدعو الرجال إلى الوليمة ! من جانبي كنت أود أن يدخل أبناء الآخيين
 المعركة صائمين دون طعام، وعند غروب الشمس يعدون وليمة
 كبيرة، بعد أن نكون قد انتقمنا لإحساسنا بالعار. فحتى ذلك الحين لن
 ينزل من حلقى إلى جوفى طعام أو شراب، فرفيقي قد قتل ويرقد في
 ٢١٠ خيمتي مطعوناً برمح حاد نافذ وقدمه عند المدخل^(*)، ومن حوله
 يلتف رفاقي باكين. ولهذا فليس في قلبي شيء، وليس في عقلي
 تفكير إلا في القتل والدماء والعيول الحزين على الميت".

ثم رد عليه أوديسيوس واسع الحيلة:

- "أى أخيلئوس، يا ابن بيليوس، يا أنبل الآخيين طراً ! إنك أقوى
 ٢١٥ منى وتفوقنى بمراحل في استخدام الرمح، لكننى أفرقك في الرأى
 بما ليس قليلاً، لأننى ولدت قبلك وأعرف أكثر منك، وعلى هذا فليحتمل
 ٢٢٠ قلبك الإنصات لحدثي، إذ لكم أفرط الناس في الحروب،
 التى فيها لا يضيف السيف البتار سوى قشة في كوم على الأرض،
 فالمحصول هو أقل القليل، عندما يرجح زيوس، موزع نتائج
 الحروب بين البشر، إحدى كفتى الميزان. ليست المسألة إذن أن
 ٢٢٥ يسرع الآخيون بالبكاء على قتلاهم صائمين، حيث يسقط منهم الكثيرون
 يوماً بعد يوم ويموتون واحداً بعد الآخر. فمنذا الذى يمكنه أن يستريح
 من هذا العناء ؟ لكن من اللائق أن ندفن موتانا ونبكي عليهم يوماً، ثم
 ٢٣٠ نقوى قلوبنا بعد ذلك. لكن دعنا نحن الناجين من الحرب الكريهة ندبر
 أمر الطعام والشراب، لكي نواصل القتال ضد الأعداء بعد ذلك دون

(*) ربما يكون المقصود من هذا الوضع للميت كما كانوا يعتقدون هو أن يصير من الصعب على شبح الميت أن يعود. (المحرر)

- توقف، بعد أن نغطى أجسادنا بالدروع البرونزية الصلبة. لذا لا تدع
أحدًا من حشدنا ينتظر استدعاءً آخر، فهذا هو الاستدعاء. وسوف
تسوء عاقبة من يتخلف عند سفن الأرجيين. علينا جميعًا أن
٢٣٥ نهب هبة رجل واحد في مواجهة الطرواديين
مروضى الخيول، ونشتبك معهم في معركة فاصلة*.
- هكذا كان حديث أوديسيوس، واصطحب أبناء نيستور المجيد
وميجيس بن فيليوس وثوأس وميريونيس وليكوميديس بن
كريون وميلانيبوس، وساروا في طريقهم إلى خيمة أجامنون
بن أتريوس. وفي لحظة واحدة قيلت الكلمة وتم الفعل (*).
٢٤٠ حملوا معهم من الخيمة سبعة من الأوعية ثلاثية القوائم،
كان قد وعد بها أجامنون، وعشرين مرجلاً لامعًا، واثنى
عشرة جوادًا. وأخذوا معهم كذلك النساء البارعات في الأعمال
اليديوية، وكن سبعة ثامناتهم جميلة الخدين بريسييس. وبعد
٢٤٥ ذلك وزن أوديسيوس عشرة تالنتات من الذهب، ثم قاد جماعة
شباب الآخيين محملين بهدايا أجامنون حيث وضعوها
وسط مكان الاجتماع. ثم نهض أجامنون راعى الشعب
ووقف إلى جواره تالثيبوس الذى كان صوته كصوت إله،
٢٥٠ وأمسك بيديه خنزيرًا بريًا. واستل ابن أتريوس سكينًا
كان يتدلى دائمًا بجوار غمد سيفه الضخم، فقص نتفة من
شعر الضحية، ورفع يديه ضارعًا لزيوس. ووقف الأرجيون
جميعًا صامتين منصتين في خشوع لما يقول الملك، وكان
٢٥٥ يحمق في السماء الواسعة ويبتهل قائلاً:
"كن يازيوس شاهدًا علىّ، أنت يا أعلى وأعظم الآلهة،
ولتشهد الأرض (جى) والشمس (هيلبوس) والإيرينيات
٢٦٠ يامن تقمن تحت الأرض وتنتقمن من الحانثين بقسمهم.

(* قارن ترنيوس "المعذب نفسه" الفصل الخامس مشهد (١) بيت ٣١ "dictum, factum" بمجرد أن قال فعل". (المحرر)

- اشهدوا جميعاً على قسمى بأننى لم أضع يدي على الفتاة
بريسئيس، لا لكى أضاجعها ولا لأى شىء من هذا القبيل،
بل أقامت فى خيامى عذراء لم يمسسها أحد. أما إذا كنت
كاذباً فى قسمى فلتصب الآلهة على المصائب كلها التى تنزلها.
٢٦٥ الآلهة على من يكذب فى قسمه".
- هكذا كان ابتهال (أجاممنون)، ثم قطع رقبة الخنزير البرى بسكين
لا ترحم. وحمل تالتيبيوس جسده وأداره فى الهواء ثم ألقى به إلى
لجة البحر الهائج فى الخليج، كى يكون طعاماً سائغاً للأسماك.
ولكن أخيليوس وقف وتحدث مخاطباً الأرجيين محبى القتال قائلاً:
٢٧٠ "أى زيوس الأب ! يا من تصيب بنى البشر يفقدان البصيرة
المهلك، لم تكن كلمات ابن أترىوس لنتير غضبى، وما كان هو لينتزع
منى، وقد أصاب قلبه الضلال، فتأتى رغماً عن أنفى، لولا أن زيوس
كان قد راق له أن يهلك الكثيرون من الآخيين. على أية حال اذهبوا
الآن لتناول طعامكم، على أن نسرع بعد ذلك لدخول المعركة".
٢٧٥ هكذا قال (أخيليوس) وبسرعة صرف المجتمعين، وذهب كل إلى
سفينته، لكن الميرميدونيين البواسل حملوا الهدايا إلى سفينة
أخيليوس شبيه الآلهة، ووضعوها فى الخيمة وتركوا النساء هناك
٢٨٠ أيضاً، وقاد الأتباع البواسل الخيول إلى سائر القطيع.
لكن بريسيئيس شبيهة أفروديتى الذهبية، عندما رأت باتروكلوس
صريعاً مطعوناً بالبرونز القاطع، ألقى نفسها على جسده وبكت
بمرارة، وصرخت بعويل مدو، ومزقت صدرها ورقبتها البضة
٢٨٥ ووجهها الجميل بيديها^(*). ثم تفوهت من بين دموعها، تلك

(*) يقول بروبرتيوس محاكاة لهذه الفقرة، حيث بكى بريسيئيس موت أخيليوس وتقول (11,9,9):

'Necnon exanimem amplectens Briseis Achillem

Candida vesana verberat ora manu,...

Foedavitque comas.'

"ألم تحتضن بريسيئيس أخيليوس الميت
ويدها ومجتون لطمت خدودها ناصعة اليأس
ومرغت (فى التراب) خصلات شعرها". (المحرر)

المرأة شبيهة الإلهات وقالت:

- "أى باتروكلوس، يا أعز الناس إلى قلبي التعس، لقد تركتك حيًا
 ٢٩٠ عندما غادرت الخيمة، لكنى الآن، يا قائد الحشود، عدت لأجذك ميتًا.
 وهكذا نصيبى أن تتراكم علىّ المصيبة فوق المصيبة. إن من منحنى له
 أبى وأمى الملكة لأكون زوجة، رأيتَه أمام مدينتنا وقد نفذ فيه سلاح
 برونزى حاد، وأخوتى الثلاثة الأحبة الذين حملتهم بطن أمى
 لقوا حتفهم كذلك. لكنك عندما قتل أخيليوس زوجى ودمر مدينة
 مينيس شبيهة الآلهة، لم تدعنى أبكى، وقلت لى إنك سوف
 ٢٩٥ تزوجنى من أخيليوس شبيه الآلهة، وإنه سيأخذنى فى سفينة إلى
 فثيا ويقيم لى حفل زفاف بين الميرميدونيين. لذا فإننى أبكىك
 فى موتك ولن أتوقف عن البكاء، إذ كنت علىّ دومًا عطوفًا."
 ٣٠٠

هكذا كان حديثها وهى تبكى، فناحت معها النساء الأخريات جميعًا
 على باتروكلوس، الذى كان مدعاة لكل منهن فى الحقيقة لأن تبكى على
 مصائبها هى. وحول أخيليوس تجمع شيوخ الآخيين، وتوسلوا إليه أن
 يأكل، لكنه رفض وقال وهو يئن:

- "أرجوكم، إذا كان أى منكم أيها الرفاق الأعزاء يسمع كلامى،
 ٣٠٥ دعه لا يسألنى أن أشبع جوعى من اللحم، ولا أن أروى
 ظمأى من الشراب، وهو يرى أن حزنًا بالغًا قد أصابنى،
 سابقى هكذا حتى تغرب الشمس، وسوف أتحمل".

- هكذا تحدث، فصرف كل القادة الآخرين، ولكن بقى ابنا أتريوس
 ٣١٠ وأوديسيوس الإلهى ونيستور وإيدومينيوس وفوينيكس الفارس
 المسن، ساعين إلى تخفيف ما يشعر به من أسى وحزن. لكنه لم
 يسمح لحزنه أن يهدأ، قبل أن يدخل بين فكى الحرب الدموية.
 فلما خطر باتروكلوس بباله تنهد بعمق وصرخ:

"يا أعز صديق، يا تعيس الحظ، كم من مرة كنت أنت نفسك تضع

- ٣١٥ بحماس أمامى فى خيمتى مآدبة حافلة بما لذ وطاب، عندما يسارع
الآخيون لشن الحرب مذرقة الدمع الغزير على الطرواديين
مروضى الخيول. لكنك الآن ترقد مضرجاً فى الدماء ومطعوناً
هنا وهناك فى جسدك. وقلبي لا يقبل لحمًا ولا شرابًا، لأنه يتوق إليك
أنت. ليس هناك أسوأ من هذا الشر الذى أعانى، حتى لو
جاءنى خبر وفاة أبى، الذى أحسب أنه يذرف الدمع الغزير هناك
فى فثيا وقد حرم ابنه القوى، أنا الذى أحارب الطرواديين فى
أرض غريبة من أجل هيلينى المشئومة. لن يكون أسوأ أن
أسمع خبر وفاة ابنى حبيبي، الذى يقوم على تربيته إنسان
آخر غيرى فى سكيروس - إذا كان نيوبتوليموس^(*) شبيه الآلهة
لايزال حيًا - لقد راودنى الأمل أننى وحدى حتما سأهلك هنا بعيدًا
عن أرجوس - مربية الخيول -، هنا فى أرض طروادة، وأنت أنت يا
باتروكلوس سوف تعود إلى فثيا، وتحمل ابنى فى سفينتك السوداء
السريعة من سكيروس، وتطلعه على كل شئ، كافة ممتلكاتى
وكل خدمى وقصرى المنيف ذا السقف العالى. ذلك أن بيليوس فيما
أحسب قد قضى نحبه، أو أنه يعانى كبر السن فى أرذل العمر،
فى انتظار الأنباء المفجعة عنى وعن موتى".
- ٣٣٥ هكذا كان حديثه الباكى، وأجهش الكبار بالبكاء معه، وتذكر
كل منهم ما تركه خلفه فى البيت. وعندما رآهم ابن كرونوس يبكون
أشفق عليهم، وفورًا خاطب أثينة بكلمات مجنحة قائلاً:
- ٣٤٠ "يا ابنتى لقد تخليت تمامًا عن الرجل الذى تحبينه. ألا تفكرين البتة
فى أخيلئوس؟ هاهو يجلس أمام السفن ذات المقدمات المنقرية
المقوسة يبكى صديقه الحبيب. بينما ذهب الآخرون لتناول طعامهم،

(*) ولد نيوبتوليموس فى سكيروس وبقى هناك تحت رعاية جده ليكوميديس إلى أن ذهب إلى طروادة. وبعد مولده مباشرة عاد أخيلئوس إلى فثيا. وبعد ذلك بنحو ثمانى سنوات ذهب أخيلئوس مباشرة إلى طروادة دون أن يرى ابنه. وهناك روايات أخرى، المهم أن نيوبتوليموس ظهر فى ملاحم تالية مثل: "القبرصية" و "الإلياذة الصغيرة": كما ظهر فى مسرحية فيلوكتيتيس لسوفوكليس. (الخور)

- ٣٤٥ لا يزال هو صائماً جائعاً. اذهبى واسكبي فى صدره النيكتار
والأمبروسيا الشهية حتى لا ينهك الجوع قواه".
بهذا القول حفز أثينة، حيث كانت هى نفسها على أهبة الاستعداد،
فحلقت فى أجواز الفضاء كالصقر ذى الجناحين العريضين
والصوت الحاد، ثم نزلت من السماء إلى الطبقات العليا من
الأثير. وبينما كان الآخيون يتسلحون فى المعسكر صبت فى
صدر أخيليوس النيكتار والأمبروسيا الشهية حتى لا يهد الجوع
المر قواه، ثم عادت إلى مقر أبيها الجبار ذى البنيان المتين.
ثم اندفع الآخيون من السفن السريعة. وكما تتساقط نتف الثلج
فى زخات كثيفة وسريعة من لدن زيوس، تحت هبات ريح الشمال
بورياس المولودة فى الأثير الناصع. هكذا انطلقت من السفن الدروع
اللامعة والخوذات البراقة القوية، ودروع الصدر ودروع الساق
المصفحة والرماح الرمادية. فلما صعد هذا البريق إلى السماء، ضحكت
الأرض كلها^(*) من حولهم بتألق البرونز ولمعانه. من تحت أقدام
الرجال صعد صوت دقات الكعوب الرنانة، وفى قلب الحشد كان
أخيليوس الإلهى يضع أسلحته على جسده. اصطكت أسنانه بعضها
ببعض، ولمعت عيناه ببريق ساطع، كما لو كانتا لهباً متوهجاً، لأن قلبه
كان مفعماً بألم لا نهاية له، وفى قمة غضبه على الطرواديين شرع
يرتدى هدايا الإله، التى أتقن هيفايستوس صنعها. فلف على ساقيه
دروع الساق وثبتها بمسامير فضية، ثم وضع درع الصدر على
صدره، ثم علق السيف البرونزى المرصع بالفضة على كتفه.
ثم أخذ درعاً ضخماً وقويًا يرسل بريقاً لامعاً كأنه القمر. ومثلما يظهر
بريق نار مشتعلة للبحارة فى عرض البحر، إذ تندلع النار على
قمة جبل شاهق فى مكان مقفر، بينما تجرف الريح هؤلاء البحارة

(*) ضحكت الأرض عند الشعراء الرومانيين لوكريتيوس (الكتاب الثانى ٣٢٥) وفرجيليوس. "الزراعات"
الكتاب الثانى (٢٨١) وقارن قصيدة البحري:

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

- ٣٧٥ مرغمين إلى أعالي البحر، حيث مرتع الأسماك، بعيدًا عن يحبون.
هكذا تصاعد البريق من درع أخيليوس إلى عنان السماء.
ثم رفع الخوذة القوية ووضعها فوق رأسه، فلمعت كما تلمع
النجوم، وكانت تعلوها خصلة شعر حصان وحولها ريشات
٣٨٠ ذهبية كثيرة وضعها هيفايستوس على جانبي العرف. ثم تأكد
أخيليوس الإلهي من أن السلاح يتواءم معه، وأن أوصاله المجيدة
تتحرك بحرية. وأنها أصبحت كما لو كانت أجنحة تحمله
بوصفه راعيًا للشعب. ثم سحب من الغمد رمح أبيه، وكان
٣٨٥ رمحًا ثقيلًا ضخماً وقويًا، لا يستطيع أحد من الآخيين سوى
أخيليوس أن يحسن استخدامه، ذلك الرمح من شجر الدردار
فوق بيليون. أعطاه خيرون لأبيه العزيز، فهكذا سقط من قمة بيليون
٣٩٠ ليكون وبالاً على المحاربين.
وذهب أوتوميدون والكيموس(*) كى يشدان الخيول للعربة، فوضعا
٣٩٥ سيورًا تحمي صدرها، وشكائم حديدية بين الفكين، ومدا الأعنة إلى
العربة المتينة. ثم أخذ أوتوميدون السوط اللامع وقبض عليه بقوة
وقفز وراء الخيول. ثم قفز أخيليوس ليجلس خلفه مستعدًا للقتال،
يلمع سلاحه كالشمس الساطعة هيبيريون، ثم هتف مخاطبًا جوادى أبيه:
٤٠٠ "أى كسانثوس وبالْيوس، يا ولدا بودارجى المشهورين، أعيذا
من يمتطيكما سالمًا إلى حشد الدانائيين، بعد أن تضع الحرب
أوزارها، ولا تتركاه كما تركتما باتروكلوس قتيلاً".
عندئذ من تحت النير رد عليه الحصان كسانثوس لامع الرجلين.
إذ فجأة أحنى رأسه، فتدلت كل خصلات شعر العنق من على
٤٠٥ جانبي النير حتى لامست الأرض، وهبته الإلهة هيرا القدرة
على الكلام(**) فقال:

(*) يسمى أحيانًا الكيميدون Alkimedon. (الحرر)

(**) تحدثت الحيوانات في الأساطير البابلية وتحدث ثور في تواريخ ليفوس، ثم قارن خرافات أيسوبوس وحواديت فابدروس. (الحرر)

"أى أخيليوس الجبار! حقاً سنحميك اليوم، ولكن يوم القدر
المحتوم قريب منك، ولن نكون نحن السبب، بل سيأتى به إله
قوى وقدر (مويرا) غلاب. فلم يسلب الطرواديون سلاح باتروكلوس من
٤١٠ كتفيه بسبب كسلنا أو تقاعسنا، لكن أقوى الآلهة، من ولدته ليتو ذات
الشعر الجميل، هو الذى قتله فى مقدمة الصفوف ومنح هيكتور
٤١٥ المجد. حتى مع الرياح الغربية زيفيروس، أسرع الرياح
كما يقولون، سوف نعدو بقوة، إلا إذا كان مقدوراً عليك الهلاك
فى المعركة على يد إله أو إنسان ما".

وبعد أن نطق بذلك أحرصته الإيرينيات، ورد عليه أخيليوس
سريع القدمين وقد تملك فزع شديد قلبه، قال:

٤٢٠ "أى كسانثوس، لماذا تتنبأ بموتى؟ لا يلزمك هذا! أنا نفسى
أعرف حق المعرفة أنه مقدر لى الموت هنا، بعيداً عن أبى الحبيب
وأمى. ومع ذلك فلن أتوقف حتى أتخم الطرواديين قتالاً".

قال (أخيليوس) هذا وصاح صيحة مدوية فى المقدمة، قابضاً
٤٢٤ على عنان خيوله ذات الحافر الواحد.

الكتاب العشرون



ترجمة أحمد عثمان

هكذا يا ابن بيليوس، كان الأخيون الذي لم يشبعوا قتالاً
يتسلحون بجوار سفنهم المقوسة ملتفين حولك، بينما يقف
الطرواديون في مواجهتهم فوق مرتفع ناتئ في السهل.
لكن زيوس أمر ثيميس أن تدعو الآلهة من فوق قمم
الأوليمبوس متعدد الجنبات للاجتماع. فذهبت إليهم هنا
وهناك ودعتهم للاجتماع في مقر زيوس. حضرت كل
(آلهة) الأنهار ما عدا المحيط أوكيانوس، وكل العرائس
اللائى تتجولن في الغابات الكثيفة وينابيع الأنهار والمروج
الخضراء. حضروا جميعاً إلى منزل زيوس جامع السحب،
فأجلسهم في بهو الاعمدة المصقولة، التى أبدعها هيفايستوس
بمهارة من أجل زيوس الأب.

١٠

هكذا اجتمع كل الآلهة في مقر زيوس، حتى مزلزل الأرض
(بوسيدون) لم يستخف بنداء الإلهة، وجاء من أعماق البحر
ليلحق بهم، وجلس في وسطهم، ثم سأل زيوس عن الهدف
من وراء الاجتماع:

١٥

"لماذا، يا سيد الساعة الصاعقة استدعيت الآلهة للاجتماع مرة
أخرى، أهو أمر تفكر فيه ويتعلق بالطرواديين والأخيين؟ فلقد
اشتعلت الحرب واندلع القتال بينهما".

فرد عليه زيوس جامع السحب قائلاً:

٢٠

"يا مزلزل الأرض، أنت تدرى بما يدور في صدري، ولماذا
استدعيتكم للاجتماع هنا، فأنا أهتم بهم مع أنهم هالكون.
أما فيما يتعلق بى، فسأبقى هنا جالساً على إحدى جنبات
الأوليمبوس مرتاحاً ومكتفياً بالمراقبة، أما أنتم فلکم أن تذهبوا
إلى الطرواديين أو الأخيين، وتمدوا العون لهذا الطرف

٢٥

- أو ذاك وفق ميول كل منكم. فلو أن أخيليوس وحده قاتل
الطرواديين، ما استطاعوا أن يقفوا أمام ابن بيليوس سريع
القدمين. لقد أصابتهم الرجفة بمجرد أن وقعت أنظارهم عليه.
٣٠ أما الآن وقد استشاط قلبه غضبًا من الحزن على صديقه،
أخشى أن يتخطى الحدود المرسومة له. ويحطم الأسوار".
- هكذا قال ابن كرونوس فأشعل حربًا دون هوادة. فإلى هذا
الجانب أو ذاك تدخلت الآلهة في القتال، وقد تفرقت بهم الميول.
فإلى جانب حشد السفن انضمت هيرا وباللاس أثينة وبوسيدون
٣٥ مزلزل الأرض وهرميس جالب الحظ وسريع البديهة كما
اشتهر. ومع هؤلاء ذهب أيضًا هيفايستوس المتباهى بجبروته
سائرًا بخفة على ساقيه المنكمشين. وإلى جانب الطرواديين انضم
أريس ذو الخوذة البراقة، وفوبيوس بخصلات شعره المسترسل،
٤٠ وأرتميس رامية السهام، وليتو وكسانثوس، وأفروديتي الضحوك.
- مادام الآلهة بعيدين عن البشر الفانين، ظل الآخيون يحرزون
النصر والمجد، ولاسيما بعد أن انضم إليهم أخيليوس منهيًا
اعتكافه عن القتال. أما الطرواديون فقد أصابت الرجفة أوصالهم،
بمجرد أن وقعت أبصارهم على ابن بيليوس ذي الأسلحة
٤٥ البراقة، قرين أريس في الفئك بالرجال. ولكن ما أن جاء
الأولمبيون واختلطوا بحشود البشر ثارت نائرة إلهة النزاع
القوية إريس، التي تحرك الأمم، وأطلقت أثينة صيحاتها المدوية
سواء وهي تقف إلى جوار الخندق العميق خارج الحائط، أو
وهي تقف على الشواطئ المرعدة لأصداة صيحاتها. وجاوبها
٥٠ أريس على الطرف الآخر بصيحة رهيبة كأنها عاصفة سوداء،
مستفردًا بصرخات حادة الطرواديين من أعلى قلعة المدينة

- أو عندما ناداهم على ضفاف سيمونيس على منحدر كالليكولوني^(*).
- هكذا استنار الآلهة المباركة الجانبين إلى القتال، وفيما بينهم
 ٥٥ فجروا صراعًا فظيماً. فمن فوقهم أرعى أبو البشر والآلهة على
 نحو رهيب، ومن تحتهم زلزل بوسيدون الأرض غير المحدودة
 وقمم المرتفعات الشاهقة. ثم ارتجت كل سفوح جبل إيذا ذى
 الينابيع العديدة وكل ذواباته، واهتزت مدينة الطرواديين وسفن
 ٦٠ الآخيين. وفي العالم السفلى ارتعد أيديونيوس سيد الأشباح
 ومن شدة فزعه أطلق صرخة مدوية وهو يقفز من فوق
 عرشه، خشية أن يشق بوسيدون مزلزل الأرض باطن
 ٦٥ الأرض فيكشف أعماقها - وهي المخيفة حتى بالنسبة للآلهة -
 للبشر الفانين، فيرون أشباحها وأحوالها. فقد وقف فوييوس
 (الوضاء) أبوللون بسهامه المجنحة فى مواجهة بوسيدون الملك،
 ووقفت أثينة زرقاء العيون ضد إنيايوس، أما أرتيميس
 رامية السهام وأخت رامى السهام بعيداً (أبوللون) إلهة
 الصيد ذات السهام الذهبية والصوت الحاد فقد واجهت هيرا.
 ٧٠ ووقف هرميس القوى جالب الحظ ضد ليتو، وفى مواجهة
 هيفايستوس وقف النهر العظيم ذو الدوامات العميقة والذي
 تدعوه الآلهة كسانثوس ويسميه البشر سكاماندروس.
- ٧٥ هكذا تقدم الآلهة ليواجه بعضهم بعضاً. فى حين كان أخيليوس
 تواقاً لملاقاة هيكتور بن برياموس من بين رجال الحشد
 جميعاً، إذ تدفعه روحه دفعاً للارتواء من دمه دون الآخرين،
 إشباعاً لأريس ذلك المحارب ذى الدرع المتين من جلد الثور. لكن
 أبوللون مثير الأمم شجع آينياس على أن يذهب لمواجهة ابن

(*) يعنى هذا الاسم "تل الجمال"، وربما كان هذا هو المكان الذى كان الناس يعتقدون أن مسابقة الجمال بين أثينة وهيرا وأفروديتي، حيث حكم فيها باريس لصالح أفروديتي، قد جرت هنا. (المحرر)

٨٠ بيليوس، وبث في روحه البسالة وقال له أبوللون بن زيوس
متخذاً صوت ليكاؤن بن برياموس وهيئته:

"أى آينياس يا ناصح الطرواديين، أين تهديداتك التي كنت
تتوعد بها متباهياً أمام أمراء طروادة، وأنت تحتسى الخمر.

٨٥ وكنت تقول إنك ستخوض غمار القتال متحدياً أخيليوس بن بيليوس".

فرد عليه آينياس قائلاً:

"يا ابن برياموس، لماذا تحرضنى على الوقوف أمام ابن بيليوس
العتيد، ضد إرادتى؟ فليست هذه هي المرة الأولى التي ألقى

٩٠ فيها أخيليوس سريع القدمين، إذ سبق أن هاجمنى ذات مرة
برمحه وطررتى من إيذا، حين انقض على قطعاننا ودمر

ليرنيسوس وبيداسوس. ولم ينقذنى من بين يديه سوى

زيوس، الذى أمدنى بقوة فى قدمى، فأفلت مسرعاً فراراً منه،

٩٥ وإلا لكنت قد قتلت على يدى أخيليوس. وأثينة هي التي كانت
تسير أمامه وتنقذه وتأمره أن يفتك بأهل ليرنيسوس

الليليجيين وكذا الطرواديين برمحه البرونزى. من المحال أن

يقف رجل أمام أخيليوس فى القتال، لأنه على الدوام هناك

إله ما يقف إلى جانبه ويمنع عنه الأذى. وفى كل حال تطير

رمىته مباشرة إلى هدفها فتصيبه، فلا تتوقف قبل أن تنفذ

١٠٠ فى لحم إنسان. لكن إذا ماهياً إله ما الفرصة متكافئة فى

القتال، فإنه لن يستطيع التغلب على بسهولة مهما تباهى

بأنه مخلوق برونزى لا يجرح".

ورد عليه الملك أبوللون بن زيوس قائلاً:

"تعم أيها المحارب، فلتذهب وتتضرع أنت أيضاً للآلهة

١٠٥ الخالدة، فأنت أيضاً كما يقول الناس ابن أفروديتى ابنة زيوس،

أما هو فأمه إلهة أقل شأنًا. لأن أمك ابنة زيوس، أما أمه فهي

مجرد ابنة إله البحر الشيخ المسن. هيا احمل رمحك البرونزى العتيد وتقدم لمواجهته، ولا تدعه يصدك للخلف بكلمات الاستعلاء أو التهديدات".

١١٠

قال ذلك ونفت شجاعة جسورة فى روح راعى الشعب، ثم اندفع إلى الصفوف الأولى متسلحًا بالبرونز المتوهج. ولكن لم يغب عن هيرا ذات الذراع الأبيض أن تلمح ابن أنخيسيس وهو يشق طريقه بين المحاربين مستهدفًا مواجهة ابن بيليوس، فجمعت الآلهة حولها وحدثتهم قائلة:

١١٥

"فليتدبر كل منكما أى بوسيدون وأنت يا أثينة ما يجرى، وليقل رأيه. فها هو آينياس يتسلح بالبرونز المتوهج ويتقدم لمواجهة ابن بيليوس، فويبوس أبوللون هو الذى حرصه.

١٢٠

هيا بنا إذن، لنعيده للخلف، أو ليذهب أحدنا ويقف إلى جوار أخيلئوس، ويبث فيه قوة جبارة لكى لا يلين عزمه، وليعلم أن من يحبونه هم أفضل الآلهة الخالدين، وأن الآلهة الآخرين الذين وقفوا من قبل أثناء القتال إلى جانب الطرواديين كانوا لاشيء، وكانهم قبض الريح. أما نحن فقد نزلنا اليوم من

١٢٥

الأوليمبوس لكى نشارك فى هذا القتال، حتى لا يصيب الطرواديون أخيلئوس بأى أذى. وبعد ذلك سوف يلقى ما خطته إلهة القدر آيسا على مغزلها منذ البداية ساعة ولادته حين وضعت أمه. فإذا لم ينبيء أحدنا أخيلئوس بهذا فسوف تغلبه الرهبة حينما يواجهه إله ما فى المعركة، فكم هو رهيب ظهور الآلهة للبشر!".

١٣٠

عندئذ رد عليها بوسيدون مزلزل الأرض، قائلاً:

"هيرا، لا تدعى غضبك يتخطى حدود حكمتك. لا حاجة

١٣٥

لذلك. بالنسبة لى فلن يطيب لى أن أكون سبب النزاع فيما بين

الآلهة. فلنترك هذا الطريق، ودعونا نبتعد إلى مرتفع ما
 نتخذ لنا منه مجلساً، ونراقب ما يدور، ونترك الحرب للبشر.
 أما إذا بدأ آريس أو فوييوس أبوللون القتال، وعطلا أو منعا
 ١٤٠ أخيليوس عن النزال، فلنا عندئذ أن نطلق صيحة الحرب،
 وسيعودون في الحال إلى اجتماع الآلهة فوق الأوليمبوس
 مهزومين على أيدينا".

هكذا قال الإله ذو الشعر الأزرق الداكن، وقاد الطريق إلى
 ١٤٥ هضبة هيراكليس (هرقل) سليل الآلهة، وهو متراس بناء له
 الطرواديون وباللاس أثينة، حتى يلجأ إليه اتقاءً لشر الوحش
 البحرى^(*). فيكون في مأمن منه كلما طارده من الشاطئ
 إلى السهل. هناك جلس بوسيدون ومعه فريق من الآلهة
 الآخرين، تلف أكتافهم سحابة لا يمكن اختراقها. وعلى الجانب
 ١٥٠ الآخر فريق الآلهة الآخرين على مرتفعات كالليكولوني حولك يا
 فوييوس أنت وآريس مدمر المدن. هكذا جلس كل فريق إلهي في
 ناحية يتبادلون الرأي فيما بينهم، وكل فريق منهما يكره
 أن يبدأ الحرب المفجعة، بينما ظل زيوس على عرشه
 الرفيع سامياً فوق الجميع.

حينئذ كان السهل قد اكتظ بالرجال والخيول واكتسى بوهج
 البرونز، وقععت الأرض تحت أقدام الرجال المندفعين نحو
 المعركة. وتقدم رجلان هما أفضل المحاربين طراً، ليواجه أحدهما
 ١٦٠ الآخر فيما بين الحشدين. إنهما آينياس بن أنخيسييس
 وأخيليوس الإلهي. في البداية تقدم آينياس ونظرة التحدى
 تتألق في عينيه، وقد أوماً بخوذته الثقيلة، وأمسك بدرعه

(*) هذا الوحش البحرى أرسله بوسيدون ليطع هيسيون بنت لاؤميدون، لأن الأخير خدع إله البحر ولم يعطه مكافأته المتفق عليها في مقابل بناء طروادة. خلص هرقل هيسيون من هذا الوحش، وبني له هذا المتراس ليلجأ إليه عندما يهاجمه الوحش أثناء الصراع. (المحرر)

- القوى أمام صدره، ولوح برمحه البرونزى. وعلى الجانب الآخر
تقدم ابن بيليوس لملاقاته وكأنه الأسد الهائج، الذى احتشد لقتله
١٦٥ كل رجال القرية. فهو بداية يمضى فى طريقه غير مبال
بمن هم حوله، ولكن ما أن يرميه أحد الشباب برمح حتى يفغر
فاه، ويطفح الزبد من بين أنيابه، ويئن قلبه القوى، وبذيله
يضرب جنبه يساراً ويميناً مستجمعاً كل قواه للمعركة، تتقد
مقلتاه، ويهجم بجنون عسى أن يقتل أحدهم أو يلقي حتفه فى
مقدمة الصفوف. تلك كانت حالة أخيليوس مدفوعاً بقوته
١٧٥ وروحه العالية حين تقدم لملاقاة آينياس المقدام، وحين تقابلا
وجها لوجه، بدأ أخيليوس الإلهى سريع القدمين بمخاطبة
آينياس قائلاً:

- "أى آينياس، لماذا قفزت خارجاً من هذا الحشد لملاقاتي: هل
حدثتك نفسك بأن تواجهنى فى المعركة طمعاً فى الحصول
على الزعامة فى مملكة برياموس، والسيادة على الطرواديين
١٨٠ مروضى الخيول؟ كلا، فحتى لو قتلتنى، فلن يضع برياموس
الملك فى يديك، لأن لبرياموس ذرية تخلفه ولديه الحكمة
والعقل. أم أن الطرواديين قد اقتطعوا لك قطعة ممتازة من
الأرض، غنية بحدائقها وحقولها، لتمتلكها لو قتلتنى؟ مع أننى
١٨٥ أعتقد أنه ليس من اليسير عليك أن تتجز هذه المهمة. فإننى
أفخر أننى ذات مرة أجبرتك على الفرار أمام رمحى. هل نسيت
ذلك اليوم، حين كنت بمفردك، فلما طاردتك وليت أنت الأدبار
مسرعاً عبر منحدرات إيذا الوعرة؟ لم تنتظر يوماً مرة أخرى
١٩٠ خلفك أثناء فرارك. هربت أنت إلى ليرنيسوس، فدمرت أنا
هذه المدينة عن آخرها بعون من أثينة وزيوس الأب، سبيت
نساءها وحرمتهن من حرمتهن. بيد أن زيوس والآلهة الآخرين
أطلقوا سراحك. لكنهم الآن كما أعتقد لن يحموك كما تأمل فى

- ١٩٥ قلبك، فإننى أمرك بالعودة إلى الحشد، وعدم الوقوف فى وجهى
قبل أن يصيبك الأذى. فغبى من لا يفهم قبل فوات الأوان".
فرد عليه آينياس مرة أخرى، قائلاً:
- ٢٠٠ "يا بن بيليوس، لا تظن أنك بالكلمات سترهبنى، وكأننى
طفل، فأنا أيضاً أعرف جيداً كيف أقول كلمات مهينة وأخرى
لائقة. كل منا يعرف سلالة الآخر ووالديه، ولقد سمعنا
الحكايات ذائعة الرواية عن البشر الفانين، ولكنك لم تر
آبائى بعينيك، ولا أنا رأيت آباءك. يقول الناس إنك ابن
٢٠٥ بيليوس الذى لا نظير له، وابن ثيتيس مليكة البحر ذات
الخصلات الجميلة. أما أبى الذى أتباهى به فهو أنخيسيس
نبيل القلب، وأمى هى أفروديتى. اليوم سينعى والدا أحدنا
٢١٠ ابنهما العزيز، فمن المؤكد أن لقاءنا لن ينتهى بكلمات
صبيانية، ولن نترك ساحة القتال سالمين. وعلى أية حال عليك
إذا أردت أن تعرف سلالتنا - والكثيرون يعرفونها - إذ كان
زيوس جامع السحب قد أنجب داردانوس مؤسس سلالتنا
٢١٥ وبانى داردانيا، ولم تكن إليوس المقدسة قد شيدت بعد فى
الوادى على أنها مدينة البشر الفانين، إذ كانوا لايزالون
يسكنون منحدرات إيذا كثير الينابيع. وبعد ذلك أنجب
داردانوس ولداً هو الملك إريخثونيوس الذى أصبح أغنى
٢٢٠ البشر الفانين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرساً ترعى فى المروج
وتتعم بصغارها. وبينما هى ترعى شغف بها بورياس حباً
وفى هيئة حصان ذى لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتى
٢٢٥ عشر مهرة، تلك التى عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد
ذؤابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرهما ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فإنها تقشد ذؤابة
الموج الهائج. ثم أنجب إريخثونيوس طروس كى يكون

- ٢٣٠ ملكاً على الطرواديين، وأنجب طروس ثلاثة أبناء لا مثيل لهم هم إيلوس وأساراكوس وجانيميديس شبيه الآلهة، أجمل أبناء البشر طراً، فقد اختطفه الآلهة لكي يصبح ساقى الخمر
- ٢٣٥ لزيوس، وذلك بسبب جماله، ولكي يقيم مع الخالدين. ثم أنجب إيلوس ولدا هو لاؤميدون الذى لا نظير له، وقد أنجب بدوره تيثونوس وبرياموس ولامبوس وكليتيوس وهيكتاؤن سليل آريس. وأنجب أساراكوس كابيس الذى أنجب بدوره أنخيسيس، وقد أنجبني أنخيسيس. أما برياموس فقد أنجب هيكتور الإلهى.
- ٢٤٠ إننى أتباهى بهذه السلالة وبهذا الدم، ذلك أن زيوس هو الذى يهب التفوق للبشر، أو يحرمهم منه. فهو الأعلى فوق الجميع. هلم بنا إلى قلب النزال، دون أن نعود مرة أخرى للخوض فى هذا الكلام مثل الأطفال، فما أكثر الإهانات التى يمكن أن ينطق بها كل منا، والتى يمكن أن تغرق سفينة بها مائة صف من المقاعد. فالسنة البشر مزالق، وهناك كلمات كثيرة ومتباينة، وحقل الكلمات فسيح بلا حدود، وكل ما يمكن أن نقوله، يمكن أن يرد به عليك فى مسامعك، وبهذا سوف نتعاضد ونتعارك كالنساء اللاتى عندما يركبهن الغضب يخرجن إلى عرض الطريق ويتشاجرن ويتراشقن بالكلمات النابية المبنية على حقائق أو أكاذيب، لأن الغضب هو الذى يقف وراء الكلام.
- ٢٥٠ وعلى أية حال فإنك لن تثبط عزيمتى بالكلمات، وحتى نتلاقى رجلاً لرجل بالبرونز، هلم يجرب كل منا الآخر بالرمح ذات السن البرونزى".
- قال هذا، ثم رمى رمحه الضخم فى اتجاه الدرع الرهيب والعجيب. فأحدث الدرع دويًا تحت وطأة سن الرمح. ولكن ابن بيليوس أمسك درعه بيديه القويتين فى خوف. لأنه خشى أن يخترقه رمح آينياس المغوار. ياله من أحمق! فهو لم
- ٢٦٠

- يدرك أن هدايا السماء المجيدة لا يمكن أن تهزم بسهولة على يد أمجد الفانين، ولا يمكن أن تستسلم لهم. ولهذا لم يخترق
- ٢٦٥ رمح آينياس المغوار - وهو رمح عتيد - الدرع، لأن الذهب، وهو هدية إلهية، حال دون ذلك. لقد تمكن رمح آينياس من اختراق طبقتين اثنتين، وبقي ثلاث. لأن الإله الأعرج كان قد صنع الدرع من خمس طبقات، اثنتين من البرونز، واثنتين من القصدير، وخامسة من الذهب. وهى التى عندها وقف الرمح الدردارى (*).
- ٢٧٥ وبدوره رمى أخيلئوس رمحه طويل الظل فى اتجاه درع آينياس متين الاتزان، أسفل طرف الحاشية حيث يخف البرونز، وحيث تكون بطانة جلد الثور نحيلة. ولذلك نفذ الرمح المصنوع من شجر الدردار فوق بيليون، وتكسر الدرع تحته محدثاً دويًا هائلًا، تراجع آينياس وهو يمسك بالدرع محاولاً إبعاده فى خوف، ومر الرمح فوق ظهره ثم وقع على الأرض، بعد أن مزق طبقتى الدرع الضخم. وبعد أن تجنب آينياس الرمح الطويل نهض، ولكن أسى بلا حدود غطى عينيه وارتعد بشدة، حيث كان الرمح يقف منتصبًا بالقرب منه. وعلى الفور وبصيحة مرعبة اندفع أخيلئوس فى سرعة
- ٢٨٥ خاطفة شاهرًا سيفه، وأمسك آينياس بحجر صخرى ضخم فى يديه، لا يستطيع رجلان من رجال اليوم رفعه، أما هو فقد رفعه بسهولة ودون عون. وكاد آينياس أن يقذف بهذا الحجر أخيلئوس وقد هجم عليه، كاد يقذفه فى الخوذة أو فى الدرع - الذى أنقذه فى الواقع من موت محقق ومرير. وكاد ابن بيليوس أن يقتل آينياس بالسيف، لولا أن بوسيدون مزلزل
- ٢٩٠

(* جدير بالذكر أن الأبيات ٢٦٩-٢٧٢ رفضها عالم الإسكندرية الفقيه أريستارخوس على أساس أنها تخالف ما جاء عن وصف درع أخيلئوس فى الكتاب الثامن عشر وكما رأينا. (المحرر)

الأرض لاحظ ذلك، وبسرعة خاطب الآلهة الخالدين قائلاً:

"واحسرتاه، ويالأسفى على آينياس ذى القلب النبيل، الذى سيرحل سريعاً إلى هاديس، بعد أن يقتله ابن بيليوس.

٢٩٥

وذلك لأنه بحمق يثق فى كلمات أبوللون رامى السهام من بعيد. بيد أن هذا الإله لن يمنع عنه بأية حال موتاً مروعاً. لكن واحسرتاه! لماذا عبثاً يعانى هذا الإنسان بلا ذنب ويلات ما ارتكبه الآخرون وهو الذى يقدم القرابين بسخاء للآلهة -

٣٠٠

التي تسكن السماء الفسيحة؟ دعنا ننقذه على الأقل من الموت، خشية أن يغضب ابن كرونوس إذا قتله أخيليوس.

فمن المقدر أن ينجو من الموت، حتى لا يفنى نسل

داردانوس دون بذرة أو أثر، ذلك أن ابن كرونوس قد أحب

٣٠٥

داردانوس أكثر من كل أبنائه الذين ولدوا له من بنات

البشر. ولأن زيوس كان يكره نسل برياموس، فهكذا كان

مقدراً أن يكون آينياس ملكاً على الطرواديين، وأن يخلفه

أبناؤه وأحفاده الذين سوف يولدون فى المستقبل".

فردت عليه هيرا، تلك الملكة ذات العيون الواسعة مثل المها:

"يا مزلزل الأرض تدبر أنت الأمر بنفسك، واعمل ما

٣١٠

يمليه عليك فؤادك، سواء أنقذت آينياس أو تركته وحيداً ليقتله

أخيليوس بن بيليوس، برغم بسالته وقوته. لقد أقسمنا، باللاس

أثينة وأنا، فى حضرة شهود كثيرين وأمام كل الخالدين، بألا

٣١٥

ندفع عن الطرواديين يوم عثرتهم، ولو احترقت طروادة

كلها فى اللهب المتدلج، وكان الذين يشعلون فيها النيران هم

أبناء الآخيين المحاربين".

وما أن سمع بوسيدون، مزلزل الأرض، هذه الكلمات حتى

شق طريقه وسط صفوف المتحاربين وقذائف الرماح المتبادلة،

- ٣٢٠ فوصل إلى حيث كان آينياس وأخيلIOS ذائع الصيت.
وعلى الفور نشر ضباباً فوق عيني أخيلIOS ابن بيلIOS،
وسحب الرمح الدردارى ذا الرأس البرونزية من درع آينياس
٣٢٥ ذى القلب النبيل، ووضعته أمام قدمي أخيلIOS. ثم رفع آينياس
عاليًا وقذفه بعيدًا. فلما انفلت آينياس من يد الإله طار فوق
عدة صفوف من المحاربين وعدة خطوط من العربات
الحربية، حتى وصل إلى الطرف الأقصى من المعركة
المحتدمة، حيث كان السكاوكونيون يسلمون أنفسهم للقتال.
٣٣٠ ثم جاء بوسيدون، مزلزل الأرض، إلى جواره وسماه باسمه
وحدثه بكلمات مجنحة:

"يا آينياس، أى إله هذا الذى أمرك - وقد فقدت صوابك - أن
تدخل فى قتال مع ابن بيلIOS، وهو رجل أفضل وأعز منك لدى
٣٣٥ الخالدين؟ تراجع للخلف كلما صادفته، خشية أن ترحل إلى
مقر هاديس، وهو ما يتعدى قدرك. ولكن ما أن يلقى أخيلIOS
حقتفه وقدره، عندئذ يجب عليك أن تكون مقدامًا فتحارب فى
الصفوف الأولى، لأنه فى هذا الحالة لن يقتلك أحد آخر من بين
الأخيين".

- ٣٤٠ قال هذا ثم تركه هناك بعد أن كان قد شرح له كل شيء،
وبسرعة قشع الضباب السحرى عن عيني أخيلIOS، ففتح عينيه
محملقًا بشدة ومتأثرًا بالغ التأثير ومحدثًا نفسه الأبية:

- ٣٤٥ "كم هو غريب! حقًا إن ما أرى أعجوبة! فرمحي يرقد هنا
على الأرض، كما أنى لا أرى الرجل الذى رميته به ساعيًا
لقتله. وهذا يعنى أن آينياس حقا عزيز لدى الآلهة الخالدة، مع
أننى قد اعتقدت أن تفاخره بذلك كان فارغًا، دعه يمضى!
٣٥٠ فهذا الذى أفلت من الموت بأعجوبة لن يعود ليتحدثنى مرة أخرى.

ولكن هلم الآن! دعنى أستفر الدانائيين البواسل،
ولأتحدى الطرواديين الآخرين".

قال هذا ثم قفز إلى الصفوف، فصاح محرضاً كل الرجال:
"لا تقفوا أيها الآخيون الإلهيون على مبعدة من الطرواديين،

٣٥٥

بل ليواجه كل رجل نظيره من الأعداء وقلبه مفعم بالرغبة
فى القتال. فمن العسير علىّ - رغم قوتى - أن أواجه
هذا الحشد الضخم وأن أحارب الجميع، فلا أريس نفسه على
الرغم من أنه إله خالد، ولا أثينة نفسها، يستطيع أن يخوض
غمار مثل هذا القتال وينتصر. ومع ذلك فسأبذل كل ما بوسعى،

٣٦٠

بيدى وقدمى وكل قوتى العجيبة، ولن أتوانى ولو قليلاً. بل
سأشقى طريقى عبر منتصف خطوطهم، ولا أعتقد أن أيًا من
الطرواديين سوف يكون سعيداً إذا ما اقترب منه رمحى".

قال هذا مشجعاً لهم، ومن ناحية أخرى صاح هيكتور المجيد
فى الطرواديين بصوت عال معلناً أنه سيتقدم للقاء أخيليوس:

٣٦٥

"أيها الطرواديون شجعان القلوب! لا ترهبوا ابن بيليوس.
فمن السهل علىّ أنا أيضاً أن أحارب بالكلمات حتى الخالدين،
ولكن من العسير أن يكون هذا بالرمح، لأنهم الأقوى كثيراً.

وأخيليوس نفسه لن يستطيع أن يحقق كل كلماته، ولكن قد ينجز البعض،
وسوف يترك البعض الآخر لمن سيخلفه فى منتصف الطريق.

٣٧٠

إنى ذاهب للقائه، حتى لو كانت يده كالنار - نعم كالنار -
وغضبه مثل الحديد المتوهج".

هكذا تحدث مشجعاً إياهم، فشهّر الطرواديون رماحهم

وتقدموا للقتال، واختلطت قوة المحاربين من الطرفين،

٣٧٥

وتعالّت صيحات الحرب مدوية. ثم وقف فويبوس أبوللون
إلى جانب هيكتور وخاطبه قائلاً:

"أى هيكتور لا تواجه أخيلئوس مرة أخرى، ولكن انتظره
فى الحشد وفى قلب المعركة، خشية أن يرمىك برمحه، أو
أن يلتحم معك فيطعنك بسيفه."

هكذا قال، فتراجع هيكتور إلى الحشد المتدفق، وقد انتابه

٣٨٠

الخوف حين سمع صوت إله، ولكن أخيلئوس قفز بين
الطرواديين وقد تذر قلبه بالقوة، وارتفع صوته بالصيحة
الرهيبية. وبدأ بقتل إفيتيون بن أوترينئوس الشجاع، وهو القائد
لعدة شعوب، والمولود من عرائس البحيرات والأنهار

٣٨٥

لأوترينئوس مدمر المدن تحت سفح تمولوس الثلجى فى مملكة
هيدى ثرية الحقول. فى أثناء تقدمه ضربه أخيلئوس الإلهى
برمحه فى منتصف الجبهة، فشطر الرأس تمامًا، وسقط وأحدث
ارتطامه بالأرض ضجيجًا. ومن فوق جثته وقف أخيلئوس
مختلاً وقال:

"الآن هنا ترقد يا ابن أوترينئوس، ياناشر الرعب بين الرجال،

٣٩٠

هنا موتك، فقد كان مولدك فى بحيرة جيجايا حيث توجد التركة
التي ورثتها عن الآباء، على ضفاف ييلوس الغنية بالأسماك
وهيرموس ذى الدوامات".

هكذا تحدث متباهيًا، وغطت الظلمة عينى إفيتيون، ومزقت

٣٩٥

جسده إربًا إربًا إطارات عربات الآخيين الحربية فى مقدمة
الصفوف. وأضاف إليه أخيلئوس ديموليون بن أنتينور
المحارب الباسل، طعنه فى صدغه، حيث نفذ الرمح فى الجزء
البرونزى الذى يغطى الصدغ من الخوذة. لم تحمه هذه الخوذة
البرونزية من طعنة الرمح الطائر، الذى كسر العظم فانفجر المخ

٤٠٠

مبعثرًا هنا وهناك. لقد تغلب عليه برغم شجاعته وإقدامه. ثم
أصاب أخيلئوس هيبوداماس فى ظهره برمحه، بعد أن نزل

من العربة وبدأ الفرار من أمامه. ولفظ أنفاسه الأخيرة بخوار
عال كخوار الثور، الذي يجره الشبان إلى مذبح إله هيليكي
(بوسيدون) مزلزل الأرض، الذي يسره مثل هذا القربان.
٤٠٥ وهكذا كان خوار هيوداماس، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،
ورحلت عنه روحه المتعالية.

بعد ذلك تحرك أخيليوس إلى بوليدوروس الإلهي ابن برياموس،
ذلك الذي منعه أبوه دومًا من الحرب، لأنه كان أصغر أبنائه
٤١٠ وأحبهم، لا أحد يباريه في سرعة القدم. في طيش صبياني
استعرض سرعة قدميه في مقدمة الصفوف الأولى، ففقد حياته.
ولقد ضربه الإلهي أخيليوس السريع برمح في منتصف ظهره
أثناء انطلاقه السريع من أمامه. جاءت الطعنة في المنطقة
٤١٥ التي تلتقى فيها أربطة الحزام الذهبية، وتتداخل أطراف الدرع
بعضها فوق بعض، ونفذ سن الرمح إلى جنب السرة.
وبصرخة مدوية انكفأ على ركبتيه، وغطته تمامًا سحابة سوداء،
وهوى قابضًا على أحشائه.

٤٢٠ فلما رأى هيكتور أخاه بوليدوروس قابضًا على أحشائه بيديه
وقد هوى على الأرض، وغطى الظلام عينيه، لم يعد يطيق
أن يظل بعيدًا، فتقدم لملاقاة أخيليوس مثل قطعة من اللهب
ملوحًا برمحه الحاد. وحين رآه أخيليوس قفز للأمام متأهبًا
لللقاء وصاح متباهيًا:

"ها هو بالقرب مني الرجل الذي قبل أي شخص آخر أصابني
٤٢٥ في صميم قلبي، فقد قتل الصديق الذي أكرمه. وأظن أن
تحصينات الحرب لن تحجب أحدنا عن الآخر بعد الآن."

قال هذا ثم رمى هيكتور الإلهي بنظرة الغضب وخاطبه قائلاً:
"اقترب مني لكي تصل إلى نهايتك بأقصى سرعة."

- ٤٣٠ فرد عليه هيكتور ذو الخوذة اللامعة برباطة جأش:
 "يا ابن بيليوس، لا تظن أنك ترهبنى بكلماتك، وكأننى طفل،
 فأنا أيضاً أعرف جيداً كيف أقول كلمات مهينة وأخرى لائقة.
 وأعرف أنك ذو بأس، وأننى أضعف منك. ولكن الأمر بيد
 الآلهة جميعاً، ومع أننى الأضعف قد أقتلك برمية رمحى.
 فسلاحى هذا قد أثبت أنه بائر حتى الآن."
- ٤٣٥ قال هذا ورمى الرمح، ولكن أثينة بنفخة أبعدته وأرجعته
 للوراء بعيداً عن أخيليوس المجيد الذى تنفس بهدوء. وأعادته
 نحو هيكتور الإلهى فسقط أمام قدميه. عندئذ انقض أخيليوس
 بجنون عاقداً العزم على قتله، مطلقاً صيحته الرهيبة. ولكن
 أبوللون رفع هيكتور على نحو رفيق يلىق بإله وخبأه فى
 ضباب كثيف. وثلاث مرات انقض الإلهى أخيليوس سريع
 القدمين برمحه البرونزى، وثلاثاً رعى الرمح البرونزى، ولكنه
 لم يصب إلا عمق الرياح. ولكنه فى المرة الرابعة هجم عليه
 وكأنه إله، مطلقاً صيحته الرهيبة وخاطبه بكلمات مجنحة:
- ٤٤٥ "أيها الكلب، لقد أفلت مرة ثانية من قبضة الموت مع، أنه كان
 حقاً قريباً منك، أنقذك هذه المرة فوييوس أبوللون، الذى من
 المؤكد عليك أن تصلى له حين تدخل حومة ارتطام الرماح.
 ولتعلم أننى سألقاك عاجلاً أو آجلاً وسأقضى عليك، إذا أعاننى
 أنا أيضاً إله ما. أما الآن فسأشدد هجومى على الطرواديين
 الآخرين أينما وجدتهم."
- ٤٥٥ هكذا قال وطعن دريوبس فى العنق، فهوى عند قدميه.
 فتركه حيث تمدد، وقذف رمحه نحو ديموخوس بن فيليطور
 فأصابه فى ركبته وأقدهه. وهو رجل شجاع قوى البنية، وبعد
 ذلك ضربه بسيفه الضخم فانتزع منه الروح. ثم انقض على

- ٤٦٠ لاؤجونوس وداردانوس ولدى بياس، وجرهما من عربتهما نحو الأرض. قذف أحدهما بالرمح، والآخر طعنه بالسيف الضخم في التحام مباشر. بعد ذلك تحول إلى طروس بن الاستور، الذي جاء بنفسه، متعلقاً بركبتيه متضرعاً إليه أن يبقى عليه حياً، وأن يأخذه أسيراً، وأن يبقى على حياته ولا يقتله إشفاقاً على شبابه الغض.
- ٤٦٥ وياله من أحق! فلم يعرف أن توسله سيذهب سدى! فلم يكن رجلاً ذا قلب رحيم من السهل التوسل إليه، بل كان قاسياً بلا رحمة البتة. تعلق الشاب بركبتي أخيليوس، وكله أمل أن يجدى التوسل، فما كان من المحارب إلا أن غرس سيفه في كبده. فسقط الكبد من جسده، وغطت الدماء السوداء طيات ملبسه، وغطت الظلمة عينيه وفارقتة الحياة. وبعد ذلك اقترب أخيليوس من موليوس وقذفه بالرمح في إحدى أذنيه، ومن الأخرى خرج سن الرمح البرونزي. وبالسيف ذى المقبض ضرب رأس إخيكلوس بن أجينور، فزاد حد السيف دفناً
- ٤٧٥ بغزارة الدم، ثم غطت ظلمة الموت والمصير الطاغى عيني عدوه. ثم طعن ديوكاليون في مفصل الكوع بسن الرمح البرونزي. فتوقف فاقداً أحد ذراعيه ورأى الموت بعينيه، فطعنه أخيليوس في الرقبة بسيفه مطيحاً برأسه وخودته بعيداً. وعندئذ انبثق النخاع من العمود الفقري، وتمددت الجثة على الأرض.
- ٤٨٠ وبعد ذلك لاحق ريجموس بن بيروؤس، الذي لا نظير له، والذي جاء من طراقيا ذات التربة الخصيبة. رشق رمحه بقوة في منتصف البطن مستهدفاً معدته، فهوى بعنف من عربته. أما أريثوؤس تابعه فقد قذفه (أخيليوس) بالرمح الحاد في ظهره، عندما كان يستدير بالخيل إلى الخلف، فألقى به من العربة، واضطربت الخيول وهي تجرى هنا وهناك.
- ٤٨٥

- تمامًا كما تتدلع أسنة اللهب العجيب في الوديان الصغيرة
 العميقة على جنبات الجبل الصخري، فتشتعل الغابات وتتوهج
 النيران بفعل هبوب الرياح العاصفة، هكذا اكتسح أخيليوس
 كل مكان برمحه، كما لو كان إلهًا لا رحمة عنده بأى من ضحاياه.
 وهكذا فاضت الأرض السوداء بأنهار الدماء. ومثلما يربط
 المرء الثيران عريضة الجباه إلى النير، لدرس الشعير الأبيض
 فى أرض الحصاد المنسقة جيدًا، وبسرعة يدرس الشعير تحت
 أقدام الثيران وهى تطلق خوارًا مدويًا. وهكذا سُحِقَت أكوام
 من الجثث والدروع المختلطة تحت أقدام خيول أخيليوس
 الهمام ذات الحافر الواحد، وتناثر الدم على محور عربته
 وإطارات العجلات، نثرتها عليها حوافر الخيول. بيد أن
 ابن بيليوس لازال يواصل هجومه الكاسح ليحرز المجد،
 ويداه اللتان لا تقهران مخضبتيان بدماء متخثرة.

٤٩٠

٤٩٥

٥٠٠

٥٠٣

الكتاب العادي والعشرون



ترجمة أحمد عثمان

- وعندما أتوا إلى مقدمة النهر، ذى الانسياب الرائع كسانثوس
 ذى الدوامات ابن زيوس الخالد، شطر أخيليوس حشودهم إلى
 شطرين. الشطر الأول واصل السير إلى السهل في اتجاه المدينة،
 وهو الطريق نفسه الذى سار عليه بالأمس الآخيون
 ٥ فارين مشتتين حيث طاردهم هيكتور المجيد، حين غضب ولم
 يقف فى طريقه أحد. هناك تدفقوا مدحورين
 مرعوبين، ووضعت هيرا فى طريقهم ضبابًا كثيفًا لكى
 تعوقهم. أما شطرهم الثانى فقد طردوا متكسبين إلى
 النهر العميق المجرى بدواماته الفضية. لقد سقطوا وهم
 يولولون فى صراخ مدو، ورددت المياه المتدفقة الأصداء
 ١٠ بزئيرها وتجاوبت الشيطان مع هذه الأصداء.
 وفى فوضى صرخوا وسعوا للسباحة هنا وهناك وسط
 دوامات تلف بهم فى كل اتجاه. ومثلما يحدث عندما
 تأتى النيران المندلعة على أسراب الجراد، فتهرع
 طائرة إلى النهر، هكذا اندلعت النيران فجأة وأحرقت
 ١٥ كل شىء فألقوا بأنفسهم من الخوف فى النهر. وأمام أخيليوس
 كان مجرى النهر كسانثوس يئن بالدوامات ويكتظ بالخيول
 والرجال المرتبكين.

- وترك سليل زيوس سهمه على ضفة النهر مستندًا على شجيرة
 الطرفاء، وقفز هو نفسه فى النهر وكأنه إله فى قوته، ممتشقًا سيفه،
 يضمز عزمًا مؤكدًا على أمر ما. فكان يضرب يمينًا ويسارًا، وفى كل
 ٢٠ مرة تصعد عاليًا صرخات القتلى بسيفه.

وتخضبت المياه بلون الدم الأحمر. وفرت الأسماك الأخرى
 أما الدولفين الوحشى، فملأت الخلجان الصغيرة فى ميناء آمن
 حيث لجأت إليها فى ذعر، إذ التهم بنهم أية سمكة تقع

- في قبضته. هكذا في طول النهر الرهيب تكس
 الطرواديون مذعورين أسفل الضفاف الصخرية شديدة الانحدار. ٢٥
- فلما تعبت يداه من كثرة القتل، اختار اثني عشر شابًا
 نبيلًا، والتقطهم من النهر ليكونوا فدية لباتروكلوس بن مينيوتيسوس.
 قادهم إلى البر مذعورين كأنهم ظباء صغيرة، فربط أيديهم
 من خلفهم بسيور جلدية جميلة كانوا يشدون بها ستراتهم ذات الطيات. ٣٠
 وسلمهم لأتباعه ليقودوهم إلى السفن المجوفة، بينما واصل
 هو القتال وكله ظمًا للقتل.
- عندئذ صادف ابن برياموس الدارداني وهو يهرب من النهر. ٣٥
 إنه ليكاؤن الذي كان هو نفسه ذات مرة قد أسره وأحضره
 رغم أنفه من حديقة أبيه في هجوم ليلي. إذ كان
 يقطع ببلطة حادة الأغصان الصغيرة من جذع شجرة
 تين، ليستخدمها في إطار العربة الحربية. ولكن الحظ العاثر
 غير المتوقع قد حط عليه في هيئة أخيليوس الإلهي. ٤٠
 حينئذ أخذه في السفن إلى ليمنوس^(*) الآهله بالسكان
 وعرضه للبيع فاشتراه ابن ياسون ودفع ثمنه^(**). ولكن
 ضيفًا صديقًا لأبيه، إيثينيون من إمبروس افتداه بمبلغ
 كبير وأرسله إلى أريسبي^(***) الإلهية، ومن هناك هرب
 سرًا وجاء إلى بيت أبيه. هكذا جاء من ليمنوس ومنذ
 أحد عشر يومًا يمرح مع أصدقائه. وفي اليوم الثاني عشر
 أوقعه الإله مرة أخرى في أيدي أخيليوس. فقد كان
 مقدرًا أن يبعث به دون إرادته إلى مقر هاديس. بمجرد

(*) توصف ليمنوس في الكتاب الرابع والعشرين بيت ٧٥٣ على أنها جزيرة غير مضيافة. وتظهر هذه الجزيرة في

مسرحية سوفوكليس "فيلوكتيس" على أنها جزيرة مهجورة تمامًا ويعيش فيها البطل وحيدًا. (المحرر)

(**) ابن ياسون هو إيونيوس Euneos أما الثمن فهو كأس فضي كما نعلم من الكتاب الثالث والعشرين بيت ٧٤٦. (المحرر)

(***) مدينة على بحر مرمرة (هيليسبوتوس) ووردت في الكتاب الثاني ٨٣٦، ٨٣٨. (المحرر)

٥٠ أن رآه أخيليوس الإلهى سريع القدمين دون سلاح ولا حتى خوذة أو درع.

ولم يكن حتى السهم فى يده، لأنه ألقى كل أسلحته على الأرض (لأنه عندما أسرع من النهر كان العرق يرهقه وكان يسعى للهروب من النهر وأنهك التعب ركبتيه من تحته) عندئذ تحرك أخيليوس فى قوة وتحدث إلى روحه المتسامية!

"أحق ما تراه عيناى، هذه الأعجوبة الكبيرة! هل حقاً سينهض من جديد الطرواديون الشجعان من الظلمات المدلهمة

٥٥ بعد أن قتلتهم، مثلما أرى هنا هذا الرجل الذى عاد هرباً من يوم الدمار وقد بيع فى ليمنوس المقدسة. لم تمنعه أعماق البحر الهائج التى تمنع الكثيرين رغماً عن إرادتهم. لقد جاء، فدعه يذوق سن رمحى لأرى بقلبي وأتأكد ما إذا كان سيعود هو أيضاً من عالم الموتى، أو ما إذا كانت الأرض واهبة الحياة ستحتفظ به، فهى تحتفظ بالقوى".

٦٠ هكذا كان يفكر وتوقف، ولكن ليكاؤن اقترب منه فى تردد، إذ كانت به رغبة للتعلق بركبتيه فهو يتوق من كل قلبه أن يهرب من الموت والمصير الأسود. وشهر أخيليوس الإلهى رمحه

٦٥ متلهفاً على ضربه، ولكن الأخير جرى وانحنى بسرعة وتعلق بركبتيه ورأى الرمح وهو يمر من فوق ظهره لينغرس فى الأرض منتصباً، مع أن الرمح نفسه كان يطمع فى اختراق لحم البشر. وبيد أمسك ليكاؤن بركبتيه متوسلاً، وباليد الثانية أمسك الرمح المسنون ولم يكن ليتركه، وعندئذ رفع صوته

٧٠ مخاطباً أخيليوس بكلمات مجنحة:

"أتوسل إليك يا أخيليوس أن تنظر إلى بعين الشفقة.

فأنا، يا ربيب زيوس، متضرع مقدس، لأننى على مائدتك

٧٥ أكلت من حبوب ديميتير يوم أخذتني فى المرة الأولى أسيراً

- في الحديقة المنسقة تنسيقاً جميلاً. وقدنتى
بعيداً عن أبى وأصدقائى، وبعنتى فى جزيرة ليمنوس المقدسة،
٨٠ وقدمت لك فديتى مائة ثور. والآن أفندى نفسى للمرة الثالثة.
وحيث إن هذا هو اليوم الثانى عشر لمجيئى إلى إيون بعد كل
هذه المعاناة، فإن قدراً قاسياً قد أوقعنى اليوم فى يدك من
جديد. من المؤكد أننى إنسان كرىه لدى الأب زيوس الذى
٨٥ سلمنى لك مرة أخرى. لعمر قصير ولدنتى أمى لأوثوى بنت
ألتيس المسن، الذى يحكم الليليجيين محبى الحرب فى بيداسوس عالية
البنيان بجوار نهر سانتنيويس. تزوج برياموس ابنته، بين أخريات،
وأنجب منها ولدين ستقتل ثانيهما كما قتلت الأول أنت بيديك.
٩٠ فلقد قتلت أخى فى مقدمة صفوف المحاربين، بوليدوروس الإلهى،
عندما أصبته برمحك الحاد، والآن سينزل هذا الشر بى هنا. إذ
يبدو لى أننى لن أفلت من يدك لقد أرسلنى إله ما بالقرب منك.
لكننى سأقول لك شيئاً آخر لتعيه جيداً بقلبك، لا تقتلنى وأنت
ترى أننى لست أخاً شقيقاً لهيكتور، الذى قتل صديقك
٩٥ اللطيف والشجاع".

- هكذا تحدث ابن برياموس المجيد متوسلاً لأخيلئوس بعمق،
ولكن الكلمة التى وقعت على أذنيه كانت قاسية:
"يا لك من أحمق! لا تقدم لى فدية ولا كلمة توسل.
إلى أن لقى باتروكلوس يوم مصيره، حتى ذلك الحين
١٠٠ كان يسرنى أن أبقى على حياة الطرواديين
لأخذ كثرتهم أحياءً وأبيعهم فيما وراء البحر، أما الآن فلن
يفلت أحد منهم من الموت، فكل من تضعه الآلهة فى يدي
١٠٥ أمام إيون لن يفلت من الموت، كل الطرواديين بلا استثناء،
وأبناء برياموس بصفة خاصة. نعم يا صديقى! لئمت كما مات
آخر. ولم تبكى هكذا عبثاً؟ لقد مات أيضاً باتروكلوس وهو

- أفضل منك بكثير. ألا ترى من أى نوع من البشر أنا،
 ١١٠ ألا ترى أنتى طيب وقوى؟ ألم أكن من نسل والد نبيل؟ وأمى ألم
 تكن إلهة؟ ومن المؤكد أن الموت والقدر الطاغى ينتظرانى
 ويد لا أعرفها سوف تنهى حياتى، عندما تنشب المعركة، بسهم أو
 برمح ينطلق من قوس، صباحًا أو مساءً، أو فى منتصف النهار"
- ١١٥ هكذا قال، فسقطنا على الفور ركبنا ليكاؤون وذاب قلبه العزيز.
 سقط الرمح من يده وجثم رافعًا يديه فى استسلام تام. عندئذٍ
 استل أخيلئوس سيفه البتار وطعنه فى الرقبة بجوار الترقوة،
 وغاص السيف بنصليه الحادين إلى الأعماق.
- ١٢٠ فتمدد على الأرض وتفجر الدم الأسود فيضًا يبلى الأرض.
 وأمسك أخيلئوس به من القدم وألقى به إلى النهر
 ليجرفه التيار ووقف مباهيًا، ويصيح بكلمات مجنحة:
 "ارقد هنا الآن مع رفاقك الأسماك، التى ستلعق الدم
 من جرحك دونما اكتراث بمصيرك. فلن تضعك أمك
 على سريرك لتبكيك، ولكنه سكامندروس بدواماته الجارفة
 سيقذف بك إلى أحضان البحر الواسع.
- ١٢٥ أسماك كثيرة، وهى تسبح بين الأمواج، ستقفز تحت التيار
 الأسود لتتغذى على دهن ليكاؤون الأبيض. لتهلك أنت ونوعك بأكمله
 حتى نصل إلى مدينة إليون المقدسة، أنتم تفرون أمامى وأنا
 خلفكم أعمل القتل فيكم! لن ينفعكم النهر ذو الانسياب الجميل
 بدواماته الفضية مع أنكم قدمتم له قرابين التكريم،
 ١٣٠ ثيران كثيرة منذ زمن طويل، وألقيتم فى
 دواماته خيولاً حية من ذوات الحافر الواحد. مع كل
 ذلك ستهلكون وستلقون أسوأ مصير حتى تكفروا جميعًا عن
 مقتل باتروكلوس، والدمار الذى لحق بالآخيين الذين

- ١٣٥ قتلتموهم عند السفن المجوفة، عندما ابتعدت أنا عن القتال"
 هكذا قال فاشتعل غضب إله النهر ضده، وأخذ يتدبر في
 قلبه كيف يوقف أخيليوس الإلهي عن عمله الدموي، وكيف
 يصد الخراب عن الطرواديين. وفي الوقت نفسه انقض ابن بيليوس -
 ١٤٠ ممسكاً رمحه طويل الظل - على أستيروبايوس بن بيلاجون
 برغبة جامحة في قتله. إنه ابن أكسيوس النهر واسع الفيضان
 من بيريبويا أكبر بنات أكيسامينوس التي تزوجها وخالطها
 النهر عميق الدوامات. اندفع أخيليوس على عدوه (أستيروبايوس)
 ١٤٥ الذي خرج من النهر لمواجهة وصمد أمامه
 ممسكاً بزوج من الرماح، ووضع كسانثوس الشجاعة في قلبه.
 إذ كان الغيظ قد استبد به، لأن أخيليوس قتل من قتل من
 المحاربين في مجراه ودون رحمة. وعندما اقترب كل منهما
 ١٥٠ من الآخر كان أخيليوس الإلهي سريع القدمين البادئ بالحديث:
 "من أنت بين البشر؟ ومن أي مكان يامن تجرؤ على مواجهتي؟
 يالهم من تعساء الآباء، الذين يواجه أبناؤهم قوتي"
 فأجابه عندئذ ابن بيلاجون المجيد:
 "يا عظيم الروح أي ابن بيليوس! لماذا تسأل عن سلالتي؟
 ١٥٥ فأنا من بايونيا الخصبة، أتيت هذه الأرض البعيدة قائداً البايونيين
 ذوى الرماح الطويلة. وهذا هو اليوم الحادى عشر منذ مجيئى
 إلى إليون. يمتد نسبى إلى أكسيوس واسع الفيضان، أكسيوس
 الذى تنساب منه أعذب المياه على وجه الأرض. فهو والد
 بيلاجون المشهور برمحه وهو - كما يقول الناس - الذى
 ١٦٠ أنجبني، ولذا فدعنا الآن نتقاتل يا أخيليوس المجيد"

هكذا قال مهدداً، وشهر أخيليوس الإلهي رمحه المصنوع من
 الدردار فوق بيليون. ولكن البطل أستيروبايوس قذف رمحيه الاثنتين

- دفعة واحدة، لأنه كان ذا ذراعين. برمح ضرب الدرع،
 ١٦٥ ولكنه لم ينفذ لأن الذهب - هدية الإله - أوقفه.
 وبالرمح الثانى لامس وخدش الجزء الأمامى من ذراع أخيليوس
 اليمنى، فانبثق الدم الأسود. ولكن الرمح مرق من فوق
 جسده وانتصب منغرساً فى الأرض، رغم تلهفه على
 اللحم البشرى. بعد ذلك رمى أخيليوس رمحه الدردارى الطائر
 ١٧٠ على أستيروبايوس متلهفاً لقتله.
 فأخطأ الرمح الرجل، وأصاب ضفة النهر العالية، واستقر هناك
 رمحاً دردارياً يغطى نصف مساحة الضفة. عندئذ استل ابن
 بيليوس السيف البتار من جنب فخذة وانقض على غريمه
 فى غضب جنونى. ولم يتمكن الآخر بيده الضخمة
 ١٧٥ من سحب رمح أخيليوس الدردارى من باطن الضفة.
 ثلاث مرات جعل الرمح يهتز ملهوقاً على سحبه، وثلاث
 مرات تخلى عن المحاولات الفاشلة. وفى المرة الرابعة
 عقد العزم على ثنى رمح سليل أياكوس الدردارى حتى
 ينكسر. ولكن أخيليوس حال بينه وبين مسعاه بأن قضى
 ١٨٠ على حياته بالسيف.
 لقد طعنه فى البطن بجوار السرة، فخرجت أحشاؤه، وغطت
 الظلمة عينيه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. عندئذ قفز أخيليوس
 على صدره ونزع عنه سلاحه وصاح عالياً مباهياً:
 "ارقد هنا! حقاً إنه لمن العسير عليك رغم أنك من
 ١٨٥ نسل إله النهر، أن تصارع سلالة ابن كرونوس القدير.
 لطالما تباهيت أنك ابن نهر غامر الفيضان، ولكننى أزعم
 أن نسبى يعود إلى زيوس القدير. أبى الذى أنجبنى ملك على
 الميرميدونيين كثيرى العدد، إنه بيليوس بن أياكوس الذى
 ١٩٠ أنجبه زيوس. ولذا فحيث إن زيوس أقوى من كل الأنهار

التي تنساب إلى البحر، فإن نسل زيوس أقوى من أى
ابن لأى نهر. أنظر! إنك تملك بيدك نهرًا عظيمًا، فهل
أفادك بشيء؟ فمن المحال محاربة ابن كرونوس زيوس،
إذ لا يضارعه حتى الملك أخيليوس، ولا أوكيانوس نفسه
هائل القوة عميق الانسياب

١٩٥

الذى منه تتبع كل الأنهار وكل البحار والينابيع والآبار
العميقة. ومع ذلك فهو يخشى صاعقة زيوس الجبار
والرعد المرعب عندما ينزل مدويًا من السماء".

٢٠٠

قال ذلك ثم سحب الرمح البرونزى من الضفة، ولكنه
ترك الرجل الميت بلا حياة يرقد على الرمال وقد بلته
المياه السوداء، وحوله التفت الإنكليس والأسماك الأخرى
تلتقط وتقتطع الدهن حول كليتيه. ومضى أخيليوس فى
طريقه نحو البايونيين

٢٠٥

سادة العربات الحربية، الذين كانوا قد تشتتوا فارين
بحذاء النهر الجارف عندما شاهدوا مصرع بطلهم فى القتال
الضارى وسقوطه بيد ابن بيليوس وسيفه. وهناك
قتل ثيرسيلوخوس وميدون وأستيبيلوس ومنيوسوس
وفراسيوس وآينيوس وأوفيليستيس.

٢١٠

وكان أخيليوس السريع سيقتل المزيد من البايونيين، لو لم
يستشظ إله النهر عميق الدوامات غضبًا ويتخذ هيئة البشر
ويصرخ صرخة مدوية خرجت من أعماق دواماته:

"لأنك يا أخيليوس، أقوى الرجال طرًا فإنك ترتكب أخطاء

٢١٥

أكثر من أى شخص آخر. إذ يساعدك الآلهة دومًا بأنفسهم.
فإذا كان ابن كرونوس قد سمح لك أن تقتل كل الطرواديين
فلا أقل من أن تطردهم خارج مجراى، وترتكب فعلتك

الشنيعَة في الوادى. انظر لقد اكتظ مجراى الجميل بجثث
الرجال، ولم يعد بمقدورى البتة أن أصب مياهى فى البحر الناصع.
٢٢٠ لقد اختنقت بالموتى وأنت لا تكف عن القتل دون هواده. امض الآن!
وليحدث ما يحدث. فالرعب يتملكنى يا قائد الحشود".

عندئذ أجابه أخيليوس سريع القدمين فقال:
"لك ما تطلب سكاماندروس، يا من يغذيك زيوس،
٢٢٥ إلا أئننى لن أتوقف عن قتل الطرواديين المتكبرين،
حتى أحبسهم داخل المدينة، وألقى هيكتور وجهًا لوجه
لنحسم الموقف سواء هزمنى أو هزمته".

قال هذا وانقض على الطرواديين كأنه إله. وتحدث إله النهر
عميق الدوامات إلى أبوللون قائلاً:
٢٣٠

"عجبًا! يا ابن زيوس ياسيد القوس الفضى! فأنت لم تنفذ
أمر ابن كرونوس الذى أمرك بصرامة أن تقف إلى جانب الطرواديين
وتساعدهم، حتى يأفل النجم متأخرًا ويعم الظلام الأرض السوداء"
هكذا قال وقفز أخيليوس الشهير برمحه من الضفة

إلى قلب النهر. ولكن النهر اندفع نحوه بمد فيضانى واستنفر
٢٣٥ كل مجراه للهيجان، فجرف كل جثث الموتى التى سدت مجراه،
وهم قتلَى أخيليوس، فقذف بها إلى البر وهو يخور مثلما
يخور الثور. واحتفظ بالأحياء فى طيات مجراه الذى صار
الانسياب فيه آمنًا، وخبأهم تحت دواماته العميقة والعريضة. وفى
المقابل أهاج الموجة الثائرة فتعالت حول أخيليوس

وشرع التيار الجارف يضربه
٢٤٠

على درعه ويدفعه إلى الخلف، فلم يعد قادرًا على الوقوف
على قدميه فى وجه هذا التيار. وأمسك بيديه شجرة
دردار ضخمة البنيان وعالية الارتفاع، اجتثها من

- ٢٤٥ جذورها فسقت كل الضفة وسدت مجرى النهر الجميل
 بفروعها المغصنة، وسدت النهر نفسه حيث إنها
 وقعت تمامًا في مياهه. وقفز أخيليوس من عمق
 الدوامة وأسرع على قدميه إلى الوادى مذعورًا، ولكن
 النهر القوى لم يتوقف بل ثار ضده بموجته ذات
 الذؤابة السوداء حتى يوقف أخيليوس الإلهي عن
 أفعاله، ولكي يصد الخراب عن الطرواديين.
- ٢٥٠ وركض ابن بيليوس مثل رمية رمح تنقض انقضا
 النسر الأسود، ذلك الطير الجارح الأقوى والأسرع
 بين جوارح الطير. هكذا مثله انقض في فراره ورنَّ
 البرونز على صدره رنينًا مرعبًا. فر أمام النهر
 خائفًا، والنهر من ورائه يفيض ويطارده ويزار زئيرًا مدويًا.
- ٢٥٥ كما يحدث عندما يقود رجل انسياب الماء من ينبوع معتم،
 فينسب الماء جاريًا بين مزروعاته وحدائقه، المعول
 في يديه وبه يزيل الحواجز من المجرى، ويجرف التيار
 في سريانه كل الأحجار الصغيرة التي تعترضه،
- ٢٦٠ وينزلق الماء سريعًا محدثًا دمدمة عبر منحدر فيسبق الرجل
 الذى يمهد له الطريق. هكذا كان فيضان النهر يسابق أخيليوس رغم
 سرعة قدميه، لأن الآلهة أقوى من البشر. وكلما حاول أخيليوس
 الإلهي سريع القدمين أن يقف على قدميه فى وجه الفيضان
 ليرى ما إذا كان كل الخالدين ساكنى السماء الواسعة قد
 تجمعوا ليسوقوه فى اندحاره، على أكتافه ضربه فيضان النهر
 الذى تغذيه السماء، وهو يتمنى لو استطاع
 أن يقفز إلى أعلى بقدميه بعد أن أنهكت روحه. وواصل
 النهر إرهاب ركبتيه بمزيد من التيار
- ٢٧٠ الجارف، فمن تحت قدميه كان يسحب الأرض. عندئذ

أطلق ابن بيليوس صرخة مريرة وهو ينظر إلى السماء العريضة:

"أى زيوس الأب! كيف لا يتعهدنى فى هذا

المأزق المؤسف أحد من الآلهة وينقذنى من النهر؟

٢٧٥

وليحدث لى ما يحدث فيما بعد.

إننى لا ألوم أحدًا من الآلهة كثيرًا، بل أمى العزيزة فقط، فهى

التي خدعتنى بكلمات كاذبة، وقالت إننى تحت سور الطرواديين

المدججين بالسلاح سأهلك بقذائف أبوللون السريعة.

ليت هيكتور أفضل الرجال هنا قد قتلنى، عندئذ

٢٨٠

لكان القاتل رجلاً شجاعاً وكان المقتول أيضاً رجلاً شجاعاً.

أما الآن فقد قدر لى أن أموت ميتة بائسة، فيغمرنى

نهر قوى، مثل ابن مربى الخنازير الذى جرفه التيار

عندما حاول أن يعبر النهر ذات شتاء".

هكذا قال وعلى الفور اقترب بوسيدون وأثينة ووقفا

٢٨٥

بجواره، وقد اتخذا هيئة البشر. أمسكا يده بأيديهما

وطمأناه بالكلمات. وكان بوسيدون مزلز الأرض البادىء بالحديث:

"يا ابن بيليوس! لا ترتعد هكذا أكثر من اللازم، ولا تخف

بعد الآن، فنحن الاثنتين من بين الآلهة جننا لنجدتك

٢٩٠

وبموافقة من زيوس، أنا (بوسيدون) وباللاس أثينة!

ليس مقدرًا عليك أن يغمرك نهر، فسرعان ما سيتهادن،

وستعرف ذلك بنفسك. ولكننا ننصحك نصيحة حكيمة، إذا كان لك

أن تسمح نصحنًا، لا تغل يديك عن المعركة الفاصلة حتى تحبس

٢٩٥

الحشد الطروادى وكل من يهرب منهم داخل أسوار

إليوس الشهيرة. أما بالنسبة لك أنت نفسك، فبمجرد

أن تقتل هيكتور عد إلى السفن. انظر لقد منحناك أن تكسب المجد"

وعندما أنهى هكذا الإلهان حديثهما غادرا المكان

- إلى بقية الآلهة الخالدين. أما هو فقد اتجه إلى الوادى
لأن حديث الآلهة له قد ملأه تمامًا بقوة العزم.
٣٠٠ وكان الوادى عن آخره قد ملئ بفيضان المياه،
وكانت تسبح فيه الكثير من قطع السلاح والجنث،
جثث الشبان الذين قتلوا فى المعركة، ولكنه قفز
عاليًا مندفعًا إلى الأمام ليصد الفيضان ولم يستطع
النهر غزير المد أن يوقفه، لأن أثينة وضعت فيه قوة
عظيمة. وكان على سكاماندرس أن يهدىء من جنونه
٣٠٥ ولكنه إزداد غضبًا على ابن بيليوس، وإزداد مد فيضانه
ارتفاعًا إلى الذروة وبصيحة مدوية نادى سيموئيس:
"أخى العزيز، دعنا معًا نوقف قوة هذا الرجل، الأمر
يحتاج إلى قوتنا نحن الاثنين، فهو على وشك أن
يدمر مدينة الملك برياموس العظيمة، فالطرواديون لن
يصمدوا أمامه فى المعركة.
٣١٠ نعم فلتحمل لى أنت المدد سريعًا، املا مجاريك بالمياه
من ينباعك واستنفر كل تياراتك، حرك موجة عالية،
ولتستثر حشدًا قويًا من جذوع الأشجار والحجارة،
عسى أن تتمكن من كبح جماح هذا الرجل الوحشى،
الذى يسود الآن ويزمغ تحدى حتى الآلهة،
٣١٥ وأحسب أن قوته لن تفيده بشيء، لا ولا وسامته، ولا
حتى سلاحه العتيد الذى فيما أحسب سيقع فى عمق الوحل.
وهو نفسه سأقذفه برمالى وأكدهس
فوقه أكاداسًا من الحصى لا حدود لها، ولن يعرف
٣٢٠ الآخيون أين يجدون عظامه، حيث سأدفنه فى عمق الأعماق.
هناك سيكون قبره المقرر له. ولن تكون هناك حاجة
لبناء كومة عندما يرغب الآخيون فى دفنه".

- هكذا قال واندفع ثائراً على أخيلئوس عاصفاً بأموأجه
 ٣٢٥ إلى أعلى وهو يرغى بالزبد والدم
 وجثث الموتى. وارتفع مد الفيضان الأسود للنهر الذى
 تغذيه السماء، حتى كاد يغمر ابن بئليوس. فصرخت
 هيرا عاليًا وقد تملكها الخوف على أخيلئوس، خشية
 أن يكتسحه النهر العظيم بدواماته العميقة. وخاطبت على
 وجه السرعة ابنها العزيز هيفايستوس قائلة:
 ٣٣٠ "انهض يا أعرج القدم! انهض يابنى!
 لقد حسبنا أن كسانثوس الفياض هو نذك فى المعركة.
 مد لنا يد العون على وجه السرعة، وأشعل لهيبًا لا
 ينطفى، وسأسرع أنا وأثير من البحر عاصفة وحشية للرياح
 الغربية (زيفيروس) ورياح الجنوب (نوتوس) اللامع لتأتى
 على موتى الطرواديين وسلاحهم، فهى عاصفة تجلب معها نارًا
 ٣٣٥ مدمرة. واعمل أنت على ضفتى كسانثوس، فأحرق أشجاره، وأشعل
 النار فى النهر نفسه، ولا تدعه يجعلك تتراجع سواء بحلو
 الكلام أو بالتهديدات. ولا تتوقف عن جنونك إلا عندما
 ٣٤٠ أناديك أنا بصوت عال عندئذ لتوقف نيرانك التى لا تكل"
 هكذا قالت وأعد هيفايستوس نارًا عجيبة الاندلاع.
 فى البداية أشعلت النيران فى الوادى فأحرقت الموتى
 كثيرى العدد، الذين اكتظ بهم الوادى بعد أن
 ٣٤٥ قتلهم أخيلئوس. فجف الوادى كله تمامًا وغيض الماء الناصع.
 وكما يحدث فى موسم الحصاد عندما تجفف الرياح الشمالية (بورياس)
 مرة أخرى حديقة مروية بمياه عذبة فيتملك السرور زارعها.
 هكذا جف الوادى كله وتم حرق جثث
 الموتى تمامًا. وعندئذ تحول (هيفايستوس) بلهبه المشتعل

٣٥٠ ضد النهر، فأحرقت أشجار الدردار والصفصاف والطرفاء،
واحترقت شجيرات اللوتس والسمار والسعد التي تنمو بوفرة
على ضفاف النهر ذى المجرى الجميل. أما أسماك
الإنكليس والأسماك الأخرى فقد اشتد عذابها فى الدوامات،
وراحت تغوص هنا وهناك فى المجرى الجميل
وقد ألمها هبوب عاصفة هيفايستوس كثير الدهاء.
٣٥٥ واحترق النهر القوى نفسه وتحدث مخاطبًا الإله:

"أى هيفايستوس! لا يستطيع أحد من الآلهة أن يتحداك،
وبدورى لن أحاربك، وقد اشتعلت لهبًا كما هو
حالك الآن. فلتتوقف أنت عن الصراع، ودع أخيليوس
الإلهى يطرد على الفور الطرواديين من مدينتهم،
٣٦٠ ما شأنى أنا بالصراع والإسهام فيه بالعون؟"

هكذا تحدث وهو يحترق باللهب، ويفور مجراه الجميل
بالغليان. ومثلما يحدث فى مرجل يغلى من الداخل،
حين تسلط عليه شعلة وحشية، بينما يذيب شحم خنزير سمين
فيغلى فى كل جزء منه، وتوضع تحته حزم الحطب الجاف،
٣٦٥ هكذا كان النهر يحترق بمجراه الجميل فى النار،
وكانت مياهه تغلى، وعزم على ألا تنساب مياهه مرة أخرى،
بل اضطر للتوقف. لأن هبوب عاصفة هيفايستوس حكيم القلب
أنهكته. عندئذ خاطب هيرا بكلمات مجنحة وفى تضرع ملهوف:

"أى هيرا لماذا يهاجم ابنك مجراى ليرهقه دون غيره؟
فأنا أقل من أخطأ بين أولئك الذين ساعدوا الطرواديين،
٣٧٠ وسأتوقف إذا كان هذا ما تأمرين به،

لكن دعيه هو أيضًا يتوقف. وأكثر من ذلك سألزم نفسى
بهذا القسم: لن أدافع عن الطرواديين يوم الدمار، حتى

عندما تحترق طرودة عن آخرها بالنار المهلكة التي يشعلها
أبناء الأخيين محبى القتال".

٣٧٥

وعندما سمعت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض هذا على
الفور تحدثت إلى ابنها العزيز هيفايستوس:

"هيفايستوس ابنى المجيد! توقف، ليس من اللائق أن تضرب
هكذا إلهاً خالداً من أجل البشر الفانين"

٣٨٠

وعندما تم كبح جماح شعلات هيفايستوس المندلعة، وعاد من
جديد فيضان المياه لمجرى النهر الجميل حيث تم إخماد جنون
كسانثوس، توقف الاثنان عن التصارع، لأن هيرا أوقفتها رغم غضبها.
ولكن الصراع الحاد والمرير نشب بين بقية الآلهة، واحتدمت

٣٨٥

الانفعالات فيما بينهم فى اتجاهات شتى.

اصطدموا مع بعضهم البعض فى جلبة مدوية، ارتجت
لها الأرض الفسيحة ورددت أصداها، وتجاوبت السماء
العريضة بطنين مدوى كأنها بوق. فسمع زيوس
الجلبة حيث كان يجلس فوق الأوليمبوس، فانشرح
صدره داخله وأطلق ضحكة السرور الرنانة، لأنه

٣٩٠

يرى الآلهة مشتبكة فى صراع.

عندئذٍ لم يستمروا طويلاً متباعدين، وبدأ آريس محطم
الدروع الاشتباك، فبادر بالانقضاض على أثينة وقد امتشق رمحاً
برونزياً فى يده ووجه لها لوماً عنيفاً:

"لماذا ياذبابة الكلاب تجعلين الآلهة مرة أخرى تصطدم
مع بعضها البعض فى صراع وحشى مثل جرأتك،

٣٩٥

وكما تدفعك روحك المتعالية؟

ألا تذكرين عندما دفعت ديوميديس بن تيديوس ليجرحنى،
وأنت بنفسك على مرأى من الجميع أمسكت له الرمح

وجعلته يصوبه نحوى، فمزق لحمى الطيب؟ ولذا فإنك
الآن فيما أحسب ستدفعين الثمن كاملاً على كل ما ارتكبت". ٤٠٠

قال هذا وضرب على درعها ذى الحلى المعدنية، الدرع أيجيس،
الذى لا تستطيع حتى صاعقة زيوس أن تخترقه، ضربه آريس الدموى
برمحه الطويل. ارتدت الإلهة للخلف ثم أمسكت بيدها
القوية حجراً أسود كان على أرض الوادى، خشناً
وضخماً، من تلك الأحجار التى كان القدامى يضعونها

حدوداً للحقول. بهذا الحجر ضربت آريس الوحشى على رقبته
٤٠٥ فحلّت أوصاله. فتمدد على الأرض مغطياً سبعة أذرع
وتمرغت خصلات شعره فى التراب، وقعقت أسلحته
من حوله. وأطلقت باللاس أثينة ضحكة عالية ووقفت
فوقه متباهية بكلمات مجنحة:

٤١٠ "أيها الأحمق! ليس لك بعد أن تظن نفسك أقوى منى،
حتى تجرؤ على مقارنة قوتك بقوتى على هذا النحو.
ستنفذ بالكامل لعنات أمك، التى فى غضبها سعت إلى أن تجلب
الشر عليك، لأنك هجرت الآخيين وساعدت الطرواديين المتغطرسين". ٤١٥

وعندما قالت ذلك حولت عينيها البراقتين عنه. عندئذٍ
أخذته من يده ابنة زيوس أفروديتى، وحاولت أن تبتعد به،
بينما كان يتأوه بمرارة وبالكاد استطاع أن يستعيد
وعيه. وعندما رأتها هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض
على الفور خاطبت أثينة بكلمات مجنحة:

٤٢٠ "عجباً يا ابنة زيوس لابس الدرع أيجيس، أى أتريتونى!
لا تكلين أبداً ولكن ها هى ذبابة الكلاب تقود آريس مهالك
البشر بعيداً عن غمار القتال المحموم! اذهبى وراءها"

قالت هذا فانطلقت أثينة تطاردهما والسرور يغمر قلبها

- واندفعت نحو أفروديتي وضربتها على صدرها بيدها
 ٤٢٥ القوية، فارتخت ركبناها وذاب قلبها
 حيث كانت واقفة. وسقط الاثنان على الأرض الكريمة
 وتباهت أثينة عليهما بكلمات مجنحة:
- "في مثل هذا المأزق ليقع كل من يساعدون الطرواديين
 ٤٣٠ ويحاربون ضد الأرجيين المدججين بالسلاح.
 وكل من تجرأ وتجاسر مثل أفروديتي، التي جاءت لتساعد
 آريس متحدية قوتي. ولقد مر وقت طويل منذ توقفنا
 عن القتال، وقد حاصرنا قلعة إليوس متينة البنيان".
- هكذا تحدثت فابتسمت هيرا الإلهة ذات الذراع الأبيض،
 ٤٣٥ ولكن الملك بوسيدون مزلزل الأرض تحدث مخاطبًا أبوللون:
 "أى فوييوس لماذا نظل بعيدين نحن الاثنان؟ فليس من
 اللائق أن نظل هكذا وقد بدأ الآخرون. نعم وسيكون
 أكثر خزيًا، إذا عدنا دون قتال إلى الأوليمبوس ومقر
 زيوس ذى العتبات البرونزية. ابدأ فأنت الأصغر، فليس
 ٤٤٠ هذا مما يتناسب معي، وقد ولدت قبلك وأعرف أكثر منك
 أيها الأحمق! يالك من قلب بلا حس! ألا تذكر كل المتاعب
 التي تحملناها نحن الاثنان دون الآلهة فى إليوس، عندما جننا
 بأمر من زيوس لنكون فى خدمة الملك لاؤميدون طيلة
 ٤٤٥ عام نظير أجر محدد. كان رئيسنا فى العمل، وأصدر إلينا أوامره.
 حقًا لقد بنيت للطرواديين حول مدينتهم سورًا عريضًا
 وجميلًا للغاية، حتى لا يمكن أن تقتحم هذه المدينة عنوة.
 وأنت يا فوييوس رعيت قطيعهم الأملس وبطيء الحركة
 ٤٥٠ عبر أحراش جبل إيدا كثيف الغابات، كثير المنحنيات.
 ولكن فى النهاية عندما أتت المواسم السارة بختام فترة

- عملنا المأجور، عندئذ خدعنا لأؤميدون الظالم
نحن الاثنيين، ولم يعطنا أجرنا، وطردنا بكثير من التهديدات^(*)
لقد هدد بأن يضعنا في الأغلال وبأن يصفد أيدينا وأقدامنا،
ويحملنا إلى جزيرة بعيدة ويبيعنا عبيدًا.
٤٥٥
- كان وكأنه على وشك أن يقطع أذننا نحن الاثنيين
بالبرونز. ولقد عدنا من عنده بقلوب مفعمة بالأسى
والهوان، لأنه وعدنا بالأجر ولم يوف بوعد.
وأنت الآن تسدى لشعبه الجميل، ولا ترجو مثلنا
٤٦٠ أن يهلك الطرواديون تمامًا مع صغارهم ونسائهم المحصنات"
حينئذ رد عليه الملك أبوللون بعيد القذائف:
"يامزلزل الأرض، قد تعدتني بلا عقل راجح إذا حاربتك
من أجل البشر الفانين، تلك المخلوقات الجديرة بالشفقة
لأنهم كأوراق الشجر. فهم الآن مفعمون بجذوة الحياة
ويأكلون من ثمار الأرض، وبعد حين يتلاشون ويهلكون.
٤٦٥ نعم دعنا بسرعة نتوقف عن الصراع، ودعهم يتقاتلون هم بأنفسهم."
قال هذا واستدار للخلف، لأنه كان يخجل
من أن يتعامل بالضربات مع أخٍ لأبيه. ولكن
أخته أرتيميس إلهة الصيد ملكة الوحوش والغابات
البرية هاجمته بكلمات مريرة:
٤٧٠ "هكذا هربت يا بعيد القذائف، واستسلمت لبوسيدون تمامًا،
وسلمته النصر والمجد بلا مقابل! يالك من أحمق!
لماذا إذن تحمل قوسًا لا قيمة له مثل قبض الريح؟
لا تدعني بعد الآن أسمعك تتباهى كما كنت تفعل دائمًا
٤٧٥ في قاعات والدنا وبين الآلهة الخالدين وتقول

(*) يشير هوراتيوس إلى هذه الأسطورة (Odes III 322) وكذا فرجيليوس (Iliad VII 452). (المحور)

إنك تتوق إلى معركة مفتوحة مع يوسيدون".

هكذا قالت، ولكن أبوللون بعيد القذائف لم يرد عليها،
بيد أن زوجة زيوس الجلييلة استشاطت غضباً ووبخت
ملكة القوس بكلمات التأنيب العنيف:

٤٨٠

"كيف أيتها الكلبة تفكرين بلا حياء الآن في الوقوف
أمامي؟ حقاً إنه من العسير عليك أن تصارعيني في
القوة، مع أنك تملكين قوساً حيث جعلك زيوس أسداً
بين النساء، ومنحك القدرة على أن تقتلى من تشائين منهن.
فالأكثر أمناً لك أن تقتلى الوحوش

٤٨٥

والغزلان البرية بين التلال، لا أن تحاربي من هم أقوى
منك. وإذا تعلمت شيئاً عن الحرب فستعرفين حق
المعرفة كيف أنى أقوى منك بكثير، بحيث لا يحق لك
أن تقيسى قوتك بقوتي".

٤٩٠

ومن ثم أمسكت بيدها اليسرى كلتا يدي الأخرى من الرسغ،
وباليمنى نزعت القوس والسهم من فوق كتفها. وبهذه
الأسلحة نفسها ضربتها حول أذنيها، وضحكت وهي
تقلب رأسها هذه الجهة وتلك، وظلت السهم
السريعة تتساقط من الجعبة. وهربت الإلهة باكية من
أمامها، وكأنها حمامة تفر طائراً أمام صقر إلى صخرة
مجوفة أو صدع فيه، فلم يكن مقدرًا لها أن تقع فريسة.
لقد هربت الإلهة باكية وخلفت وراءها القوس والسهم
حيث هي في مكانها.

٤٩٥

ولكن تحدث الرسول أرجيفوننتيس^(*) إلى لبيتو قائلاً:

(*) هذا لقب من ألقاب هرميس وهو مركب من كلمتين ويدل على معنى الظهور السريع ويمكن ترجمته "سريع الحضور". (المحرر)

"أى ليتو لست أنا بأى حال الذى يحاربك، فهو أمر عسير
أن يتبادل أحد الضربات مع رفيقة جامع السحب زيوس.
أى نعم، ولك بقلب مفتوح أن تتباهى بين الآلهة الخالدين
أنك بقوتك قد تغلبت على".

٥٠٠

هكذا تحدث، وجمعت ليتو القوس المعقوف والسهام، حيث
كانت مبعثرة هنا وهناك فى خضم الغبار العاصف.

وعادت بعد أن أخذت قوس ابنتها وسهامها. ولكن العذراء جاءت
إلى الأوليمبوس حيث مقر زيوس ذو العتبات البرونزية

٥٠٥

وجلست تبكى على ركبتى والدها، ورداؤها الإلهى (الأمبروسى)
يهتز من حولها. فجذبها أبوها ابن كرونوس إليه وبابتسامة حلوة سألها:

"بنيتى الحبيبة من من سكان السماء أساء إليك،

٥١٠

كما لو كنت قد ارتكبت عملاً شريراً أمام الجميع؟"

عندئذ ردت عليه الإلهة ذات الإكليل الجميل،

والتي تصيح بصوتها عاليًا عند الصيد، فقالت:

"أبى، إنها زوجتك هيرا ذات الذراع الأبيض، التي

أساءت معاملتى، وبسببها نشب الصراع والعراك بين الخالدين".

وفى هذا الشأن تحدث كل منهما للآخر، ولكن فويبوس أبوللون

٥١٥

دخل إليوس المقدسة. حيث انتابه القلق حول سور المدينة

ذات البنيان المتين، خشية أن يتخطى الدانائيون ماهو مقدر، فيحطمون

السور فى ذلك اليوم. أما بقية الآلهة الذين يذهبون

دومًا إلى الأوليمبوس، فإن بعضهم جاء فى حالة

غضب، والبعض الآخر فى نشوة كبيرة، وجلسوا جميعًا

٥٢٠

إلى جوار الأب سيد السحب السوداء.

ولكن أخيليوس كان لايزال يواصل قتل الطرواديين

أنفسهم، وخيولهم ذات الحافر الواحد. كما يرتفع
الدخان إلى عنان السماء العريضة من مدينة
تحترق، يسوقه غضب الآلهة فتسبب الألم للجميع،
وتطلق المتاعب على الكثيرين. هكذا كان
أخيلIOS يسبب الألم والأحزان للطرواديين.
وقف برياموس الأشيب فوق السور الذى بناه الآلهة،
فرأى أخيلIOS العملاق يسوق أمامه الطرواديين فى
اندحار وفرار، حيث لا مدد. وبصرخة مريرة أسرع
من فوق السور ليأمر الحراس الأقوياء على الأبواب
أن يصمدوا أمام السور قائلاً:

٥٢٥

٥٣٠

"افتحوا الأبواب على مصاريعها بأيديكم، حتى يأتى
قومنا المنسحبين إلى المدينة، ها هو أخيلIOS قريب
يطاردهم. تَوْأ سيقع أمر جلل فيما أحسب. لكن ما أن
يتجمعوا داخل السور ويتنفسوا الصعداء،

٥٣٥

غلقوا الأبواب تماماً، فأخشى ما أخشاه أن يقفز هذا الرجل
المدمر إلى داخل السور"

هكذا قال، ففتحوا الأبواب وسحبوا المزاليق إلى الخلف. وأتاحت
الأبواب المفتوحة على مصاريعها الخلاص للفارين. ولكن أبوللون قفز
إلى الأمام ليواجه أخيلIOS، ولكى يصد الدمار عن
الطرواديين. وفى تلك الأثناء

٥٤٠

كانوا يفرون إلى داخل المدينة وسورها الشاهق وقد
احترقوا عطشاً وغمرهم الغبار المثار من الوادى.
وكان أخيلIOS لا يزال يضغط عليهم بسيفه، وقلبه
مفعم بغضب جنونى وبرغبة جامحة لكسب المجد.

عندئذ كان أبناء الآخيين سيستولون على طروادة ذات

البوابات العالية، لو لم يستتر فويبوس أبوللون أجينور
 ٥٤٥ الإلهى بن أنتينور المحارب الجبار الذى لا نظير له.
 وضع الإله فى قلبه الشجاعة ووقف إلى جانبه، لكى
 يحميه من براثن^(*) الموت الثقيلة. استند إلى شجرة بلوط
 ولفه ضباب كثيف. وعندما رمق أجينور أخيليوس
 محطم المدن أخذ قلبه يقلب بعض الأفكار القاتمة،
 ٥٥٠ وتحير كثيرا، وخاطب نفسه القوية قائلاً:

"الويل لى! فإذا فررت أمام أخيليوس القوى إلى حيث
 سيق الآخرون فى اندحارهم، فإنه سيدركنى ويذبحنى فى
 ٥٥٥ جبنى. لكن ماذا لو تركت هؤلاء يسوقهم أخيليوس
 بن بيليوس، وبأقدامى هربت خارج السور إلى وادى
 إليوس، حتى أصل إلى كهوف ومنحنيات إيذا واختبأت
 فى الأحراش؟ عندئذ ربما بعد أن أستحم فى النهر
 ٥٦٠ وأزيل عن جسدى العرق أعود إلى إليوس.
 ولكن لماذا يخاطب قلبى نفسه هكذا؟

لا تدعه يرمقنى، وأنا أهرب من المدينة إلى الوادى،
 فينطلق ورائى ويدركنى بأقدامه السريعة.
 عندئذ سيكون من غير الممكن تفادى الموت والأقدار،
 ٥٦٥ لأنه الأقوى كثيراً فوق كل البشر.
 وماذا لو خرجت لملاقاته وجهاً لوجه أمام المدينة؟ فإن
 لحمه هو أيضاً، فيما أحسب، يمكن اختراقه بحد السيف
 البرونزى، وله هو أيضاً حياة واحدة، والناس يقولون إنه من
 ٥٧٠ البشر الفانين، بيد أن زيوس بن كرونوس يمنحه المجد".

(*) ترد هذه الكلمة (cheiras) فى بيت ٥٤٨ بهذا المعنى فى طبعات كثيرة ومعناها "الأيدي". أما طبعة
 أوكسفورد فتفضل (keras) بمعنى "آلام" أو "أقدار" وسبب ذلك - فيما نرى - أن تشخيص الموت على أن
 له يدين يقبض بهما على الأرواح أمر نادر فى أشعار هوميروس.

قال هذا واستجمع قواه في انتظار قدوم أخيليوس وقلبه تواق
للنزال والقتال، كالنمرة تخرج من الأحرش الكثيفة لتواجه
الصيد. لا يخاف قلبها ولا تهرب، حتى عندما تسمع نباح
الكلاب. فعلى الرغم من أن الرجل أمامها ويضربها
بطعنة أو برمية، بل وحتى عندما يخترقها الرمح،
لا تتوقف عن جنونها حتى تتغلب عليه أو تموت.

٥٧٥

هكذا رفض الإلهي أجينور بن أنتينور النبيل
أن يهرب قبل أن يجرب حظه مع أخيليوس.

وأمسك درعه متين الاتزان من كل جانب في مواجهته،
وصوب رمحه نحو أخيليوس صائحًا صيحة مدوية:

٥٨٥

"حقًا فإنك فيما أحسب يا أخيليوس المجيد تأمل اليوم

من كل قلبك أن تدمر مدينة الطرواديين الأكابر.

يالك من أحمق! فالكثير من الفطائع سترتكب بسببها.

فنحن بالداخل محاربون كثيرون وأقوياء، وعلينا من

أجل آبائنا الأعمام وزوجاتنا وأطفالنا أن نحمل

إليوس، وسوف تلاقى مصيرك المحتوم هنا رغم

٥٩٠

أنك محارب رهيب وباسل".

هكذا قال وأطلق بيده الثقيلة الرمح الحاد، فلم يخطئه وأصابه

في قصبة الساق تحت الركبة. فأحدث درع الساق

المصنوع حديثًا من قصدير مسبوك رنينًا مدويًا فوق

ساقه. ولكن البرونز ارتد إلى الخلف ولم يخترق إلى

٥٩٥

الداخل، لأن هدية الإله أوقفته.

وبدوره هجم ابن بيليوس على أجينور الإلهي. بيد أن

أبوللون لم يسمح له أن يكسب المجد، بل اختطف

أجينور بعيدًا وخبأه في ضباب كثيف. أبعدته عن

- الحرب، وأرسله إلى حيث يشق طريقه في سلام.
 ٦٠٠ وبالحيلة احتفظ أبوللون بابن بيليوس بعيدًا عن الحشد.
 إذ اتخذ الإله بعيد القذائف هيئة أجينور في كل شيء، ووقف
 موقفه أمام أقدامه. فاندفع أخيليوس وراءه مطاردًا له بسرعة.
 وبينما كان يلاحقه عبر الوادي المزروع قمحًا، استدار به
 ناحية النهر سكاماندروس عميق الدوامات ذلك أن
 أبوللون لم يسبقه إلا بأقل القليل، إذ كان يخادعه ويظهر
 ٦٠٥ له أنه على وشك أن يدركه.
 وفي تلك الأثناء كان الطرواديون الآخرون الذين
 كانوا يجرون فرارًا واندحارًا يتزاحمون بحماس
 صوب المدينة. وامتألت المدينة بحشودهم،
 ولم يجرؤ أحدهم أن ينتظر الآخر خارج المدينة
 وسورها، ليعرف من نجا من الموت، ومن
 ٦١٠ قتل في المعركة. ولكنهم بسرعة ولهفة
 ٦١١ تدفقوا إلى داخل المدينة، بقدر ما أسعفت كل منهم قدماء وركبته.

الكتاب الثاني والعشرون



ترجمة عادل النحاس

وهكذا فإن هؤلاء الفارين إلى داخل مدينتهم كالظباء
الصغيرة كانوا يجفون عرقهم، فشربوا وأطفأوا نار الظمأ متكئين
على أسلحتهم المزخرفة، بينما كان الآخيون، من جهة أخرى،
يتدافعون سراعاً صوب الأسوار، حاملين دروعهم الضخمة على
أكتافهم. أما هيكتور فقد كبله قدره المميت وأبقاه في مكانه
أمام مدينة إليوس، بالقرب من بوابة سكاياي.

عندئذ يوجه الإله أبوللون فوبيوس الوضاء حديثه لابن
بيليوس، قائلاً:

- "يا ابن بيليوس، لماذا تلاحقني بقدميك السريعتين،
أذلك الفانى يطارد إلهاً خالداً لا يموت؟
ألم تدرك بعد أنني إله! ولكنك لا تتوقف عن الغضب.
إنك لا تعباً قط بمعاناة الطرواديين الذين طاردتهم وهم يفرون
أمامك، وقد حُشروا داخل المدينة؛ أما أنت فقد ملت جانباً إلى
هنا، ولن تقتلني بالتأكيد، فلست ممن يخضعون لقدر الموت"
فأجابه أخيليوس سريع القدمين وقد اشتد غضبه، قائلاً:
"لقد خدعتني يا رامى السهام عن بعد، وأكثر الآلهة طراً
قدرة على التدمير. لقد استدرجتني إلى هنا بعيداً عن الأسوار،
وإلا كان الكثيرون لا يزالون ينهشون الأرض بأسنانهم، أو يحاولون
الوصول إلى مدينة إليوس. اليوم سلبتني مجداً عظيماً وأنقذتهم
بسهولة تامة، فأنت لا تخشى أى انتقام مستقبلاً،
بينما كنت أنا الذى سينتقم منهم بكل تأكيد، إذا ما تملكيت القوة"
قال ذلك، وقد تملكه إحساس بزهو القوة، فتوجه صوب
المدينة، مندفعاً كالجواد الذى يجر عربة وفاز بجائزة السباق،
ويركض مسرعاً عبر الوادى فى يسر وسهولة.

- بمثل تلك السرعة حرك أخيليوس قدميه وركبتيه.
- ٢٥ وكان الشيخ الأشيب برياموس هو أول من رآه بعينه
منطلقا عبر الوادي، مارقا كالنجم
البازغ في موسم الحصاد^(١)، تلمع أشعته البراقة،
بين العديد من النجوم في ظلام الليل الحالك،
يطلقون عليه "كلب أوريون".
- ٣٠ وهو الأكثر بريقا في السماء، ولكنه نذير شؤم،
فهو يحمل الكثير من الآلام لأولئك البؤساء الفانين.
هكذا لمع بريق البيرونز على صدر أخيليوس وهو يجرى،
وعندئذ انتاب الشيخ الأشيب نوبة بكاء شديد، وأخذ يرفع يديه عاليا
ويهوى بها على رأسه، منتحبا بشدة، ثم صاح
٣٥ متوسلا إلى ابنه الحبيب، الذي كان رابضا أمام الأسوار،
راغبًا بلهفة في منازلة أخيليوس، فتحدث الشيخ الأشيب
على نحو يثير الإشفاق ملوحا بيديه لابنه، قائلا:
"أيها الابن الحبيب، هيكتور، لا تواجه ذلك الرجل بمفردك،
من دون الآخرين، كيلا تلقى مصيرك المحتوم
٤٠ مقتولا على يد ابن بيليوس، فهو الأكثر قوة،
والأشد بأسا. ليته لم يكن محبوبا على هذا النحو لدى الآلهة،
مثلما الحال بالنسبة لي! فعندئذ سيكون جسده الممدد على الأرض
دون دفن طعاما للكلاب وجوارح الطير.
وبذلك تزول عن قلبي تلك الآلام المبرحة،
ذلك الرجل الذي حرمني العديد من أبنائي البواسل،
٤٥ فقد قتل البعض، وباع البعض الآخر في الجزر النائية.
فالآن لا أستطيع أن أرى ولدي، ليكاون وبوليدوروس،

(١) تمتد فترة الحصاد منذ بزوغ النجم سايروس، أي في نهاية شهر يوليو، حتى أفول اليليايس.

- بين الطرواديين المندفعين إلى داخل المدينة،
وهما من أنجبتهما لى لأوثوى، أميرة النساء.
فإذا كانا على قيد الحياة في معسكر جيش العدو، فسوف
أفتديهما فيما بعد بالبرونز والذهب، ولدينا منه بالداخل الكثير،
حيث كان الشيخ المسن ألتيس، ذائع الصيت، قد قدمه هدية
زواج ابنته. أما إذا كانا قد ماتا، وهما الآن في منازل هاديس،
فالألم لقلبي وقلب أمهما، نحن من أنجبناهما.
وسيكون حزن بقية الحشد أقصر،
إذا نجوت أنت من الموت على يدي أخيليوس،
نعم يا بنى، هيا وأسرع إلى داخل الأسوار لتتفد الطرواديين
والطرواديات، ولكي لا تمنح ذلك المجد العظيم لابن بيليوس،
وحتى لا تفقد أنت نفسك حياتك الغالية، أكثر من ذلك لتشفق على،
أنا التعس، أبوك سييء الحظ، الذي لا يزال على قيد الحياة.
فهذا الأب، ابن كرونوس، سيبتليني في شيخوختي بمصير مؤلم،
وبمشاهدة العديد من الكوارث: أبنائي الذين يلقون مصرعهم،
وبناتي اللأئي يُسحبن سبايا للعبودية، حجات نومنا الخاوية،
وأطفالنا الصغار الذين يسحقون على الأرض في خضم
الصراع القاتل، زوجات أبنائي اللأئي يُسحبن بأيدي الآخين
سبايا. ثم أراني أنا نفسي في النهاية تجرني تلك الكلاب المتوحشة
أمام البوابة الأمامية، عندما تنزع روحى عن جسدى بطعنة سيف
برونزى حاد أو رمية سهم، على يد أحد أولئك الكلاب الذين قُمتُ
بتربيتهم في القصر وإطعامهم من أطايب مائدتى، الذين كانوا
يحرصون بواباتي وسيشربون من دمي دون توقف، ثم يتمددون
أمام عتبات بوابات القصر، ويشتعل غضبهم. فالشباب الصغير
يليق به أى مصير: أن يقتل في القرية، وأن يخترقه البرونز الحاد
وأن يرقد عارياً بلا دفن، نعم كل الأشياء تتناسب معه وتكرم مثواه.

أما عندما تلوث الكلاب الشعر الأشيب وتعبث في اللحية البيضاء،
وتحط من شأن الشيخ العجوز الذي لقي حتفه في القتال^(*)،
فإن ذلك يجعل رثاءنا أشد إيلاماً على النفس لموت أولئك التعساء"

قال الشيخ الأشيب ذلك، ثم جذب شعيرات رأسه
الأبيض بيديه فاقتلعها. ولكنه لم يستطع إقناع هيكتور
ومن ناحية أخرى، فقد أخذت أمه في النحيب، زارفة الدمع الغزير،
وفكت طيات رداءها، ثم كشفت ثديها بيدها،
وخاطبته باكية بكلمات مجنحة، وقالت:

"ولدى هيكتور، أظهر الاحترام لثديي هذا، ولترحم شبيتي.
فأنا لم أمنع عنك ثديي هذا لترضع ولو لمرة واحدة ليهدىء روعك.
تذكر ذلك، أيها الابن الحبيب، وقم بقتال ذلك الرجل العدوانى
من داخل الأسوار، ولا تقف في مواجهته هناك، إنه قاسى القلب،
لأنه إذا ما قضى عليك فلن أبكيك وأنت على فراشك،
أى صغيرى الحبيب، يامن ولدت، كما لن تبكى زوجتك التى منحتك
الكثير من هدايا الزواج، ولكن بعيدا عنا نحن الاثنتين، وبالقرب من
سفن الأرجيين حيث ستلتهمك الكلاب حادة الأنياب".

وهكذا وجه الوالدان الاثنان معا حديثهما، وهما يبكيان، إلى
ولدهما الحبيب، مشفوعا بكثير من التوسلات. ولكنهما لم يستطيعا

(*) يقول تيرتايوس في الشذرة رقم ٥ ما يلى:

"كم هو رائع موت رجل شجاع يقف في الصفوف الأمامية للدفاع عن وطنه! هيا نحارب بكل شجاعة من أجل هذه الأرض. هيا نموت من أجل أطفالنا لا نبخل بالحياة، إليها أيها الشباب! إلى الحرب في صفوف متراصة! لا تدع أى رجل فيكم يسلم اللواء ويهرب بسبب الخوف، لا تتركوا كباركم! من العار أن تروا بأعينكم محاربا مسنا يسقط في المقدمة.

برأسه الصلعاء ولحيته البيضاء، يغطى بيده عورته التى تزف منها الدماء بعد أن شوه الأعداء جسده. ياله من منظر كريبه ومنفر!

بيد أن هذا لو وقع لشاب.. فهو أمر آخر. فطالما أنه في ريعان الشباب الزاهى سيفوز بإعجاب الرجال، وتعشقه النساء إن نجا من المعركة، أما إذا سقط جريحاً في الصفوف الأمامية بقت ملامحه حية لا تموت، قفوا إذن ثابتين.. صامدين".

وقد أثار هذا التشابه جدلاً بين النقاد ولاسيما حول السؤال: من أخذ من الآخر راجع: أحمد عثمان، الأدب الإغريقي، ص ١٤٦ ومايلها. (الخرور)

- إقناع قلب هيكتور بكل هذا. وظل ساكنا في مكانه حتى اقترب منه
أخيليوس بجسده الضخم. ومثلما يفعل الثعبان الجبلى عندما يتربص
في جحره بأحد الأشخاص، وقد تغذى على عشب سام وداخل جسده
غضب شديد، وينظر نظرة مخيفة، ثم يأخذ في الدوران حول
٩٥ الجحر. هكذا كانت لهيكتور حماسة متقدة، فلم يتراجع أبدا،
بل أسند درعه اللامع على السور البارز،
وعندما تحركت مشاعره خاطب نفسه بشجاعة قائلا:
"ويحك يا نفسى، إذا ما تراجعتي إلى داخل الأبواب، خلف
١٠٠ تلك الأسوار، فسيكون بوليداماس أول من يصب على إهانات
التوبيخ، إنه من كلفنى بقيادة الطرواديين داخل أسوار المدينة.
فى تلك الليلة المرعبة، عندما انقض أخيليوس الإلهى عليها،
ولكننى لم أطع أو امره، بالرغم من أنها كانت أفضل.
والآن فلأنى قد تسببت فى دمار شعبى بحماقتى،
١٠٥ ينتابنى الخزى من كل الطرواديين والطرواديات بملابسهن الطويلة،
وقد ينطق شخص آخر، أكثر منى سوءا، قائلا:
لقد تسبب هيكتور فى دمار شعبنا، لأنه وثق كثيرا فى قوته.
إنهم فى مثل هذا الحديث سيخوضون، ولذلك فمن الأفضل لى أن
أكون فى المواجهة، فإما أن أعود مظفرا بقتل أخيليوس،
١١٠ وإما أن أموت بشرف على يديه أمام أبواب المدينة.
حتى وإن تخليت عن ذلك الدرع المزخرف بالحلى المعدنية،
أو تلك الخوذة الثقيلة، أو وضعت رمحى بجانب الأسوار، فسوف
أتقدم الصفوف بنفسى لأكون دائما فى مواجهة أخيليوس الذى
لا نظير له. وأعدده أن هيلينى وكل المقتنيات النفيسة التى بحوزتها،
١١٥ وكل تلك المقتنيات التى حملها ألكسندروس معه فى السفن المجوفة
إلى طروادة - وهو ما كان سببا فى نشوب الحرب -
سيعاد كل ذلك لأبناء أتريوس ليحملوها معهم. وأكثر من ذلك

- وبعيدًا عنه أعده بأن يتقاسم مع الأخيين قسمة متساوية كل
ممتلكات المدينة وسأكرم الطرواديين، وأجعل شيوخهم يقسمون
١٢٠ أنهم لن يخفوا أى شيء، بل وأن يقتسموا معهم كل شيء.
حتى تلك الكنوز، التي تحتفظ بها المدينة الجميلة داخلها.
ولكن لماذا حدثتني نفسى الآن بكل تلك الأشياء؟
فقد أذهب أنا لدعوته بينما هو لا يرحمنى،
ولا يحترمنى، وربما يقتلنى، طالما ذهبت إليه مجردا من السلاح،
١٢٥ هكذا كإحدى النساء، بعدما تخليت عن سلاحى. ولذلك فلا وقت
الآن لحديث ودى معه بلا طائل، فهو سيكون حديثاً
من شجرة البلوط أو من الصخر، كحديث بين شاب وفتاة،
فالشاب والفتاة غالباً ما يتجادبان أطراف الحديث الحلو فيما بينهما.
ولذلك فمن الأفضل أن نلتحم فى أسرع وقت ممكن،
١٣٠ ولنر لمن منا سيمتحن سيد الأوليمبوس المجد".
- ذلك ما كان يجول بخاطره أثناء ترقبه، ولكن سرعان
ما تقدم أخيليوس قرين إنيلْيوس، وأصبح على مقربة من ذلك
المحارب ذى الخوذة اللامعة، رافعا حربته المرعبة،
المصنوعة من شجر الدردار فوق بيلْيون، على كتفه الأيمن،
ومن حوله يلمع البرونز، مثل وهج النار المندلعة
١٣٥ أو مثل أشعة الشمس الساطعة. انتابت هيكتور قشعريرة،
وعندما أحس به أمامه، لم يحتمل البقاء فى مكانه،
بل أعطى للبوابة دبره وولى مذعورا. ولكن ابن بيليوس
اندفع نحوه مسرعا، معتمدا على قدميه السريعتين.
مثل الصقر الجبلى الأسرع من كل طائر،
١٤٠ ينقض فى سهولة ويسر على حمامة مذعورة. فرت أمامه،
فاندفع الآخر خلفها، مطلقا صرخة مدوية، حتى أصبح على
مقربة منها، مدفوعا برغبة شديدة فى الإمساك بها.

- هكذا انطلق أخيليوس باندفاع جنونى. وهكذا فر هيكتور مذعورا
تحت أسوار الطرواديين وقد أطلق العنان لركبتيه السريعتين.
١٤٥ اندفعا مروراً ببرج المراقبة وشجرة التين التي تعصف
بها الرياح، وابتعدا عن السور على طريق العربات
حتى بلغوا الينابيع، بديعة الانسياب حيث ينبعان
الذان يغذيان سكماندروس، ذا الدوامات:
أما الأول فينسب بمياهه الدافئة، وعلى جانبه
١٥٠ يتصاعد دخان كما لو كان من نار موقدة؛
وأما الثانى فينسب بمياهه الباردة، كالبرد فى قيظ الحر،
أو كالثلج المتجمد، أو كقطع الثلج المتبلور فى الماء.
وهناك، أمام هذه الينابيع، توجد أحواض حجرية واسعة للغسيل،
حيث اعتادت فيما قبل زوجات الطرواديين،
وكذلك بناتهم الجميلات غسل الثياب زاهية الألوان.
١٥٥ وكان ذلك يحدث فى وقت السلم، قيل أن يصل أبناء الآخيين.
فى هذا المكان نفسه، مر كلاهما مسرعين، أحدهما يفر والآخر يكر
ملاحقاً له. فى المقدمة، يفر رجل عظيم الشأن، يلاحقه مسرعا
رجل آخر أقوى منه بكثير. ولم يكن سباقهما من أجل أضحية
أو جلد ثور، تلك الجوائز التى تقدم لأسرع الرجال فى سباقات
١٦٠ الجرى. ولكنهما كانا يتسابقان من أجل حياة هيكتور، مروض
الخيول. ومثلما تفعل الخيول المنتصرة، ذات الحافر الواحد غير
المنشطر، إذ تركز مسرعة وتدور حول العلامات، حيث تُقدّم
الجائزة الكبرى: وهى إما مرجل ثلاثى الأرجل، أو امرأة؛ تكريماً
لموت أحد المحاربين^(١). هكذا، فقد دار كلاهما حول مدينة
١٦٥ برياموس ثلاث مرات، بأقدامهما السريعة. وكانت الآلهة جميعاً

(١) وهو ما يحدث عادة فى المسابقات الرياضية الجنازية، مثل تلك التى أقيمت تكريماً لباتروكلوس فى الكتاب الثالث والعشرين من الإلياذة.

تتابع ما يحدث. وعندئذ كان أبو البشر والآلهة (زيوس)، البادىء
بالحديث بينهم قائلًا:

"ويحى، إني أرى بعينى رجلا حبيبا

يُطارِدُ حول الأسوار. إن قلبى يأسف من أجل

١٧٠ هيكْتور، الذى كان يقوم بحرق أفخاذ الثيران قربانا لى،
أحيانا فوق قمة جبل إيدا، ذى الحنايا الكثيرة، وأحيانا أخرى
فى أعالى قمة المدينة. والآن يلاحقه أخيلْيوس الإلهى،
يقدميه السريعتين، حول مدينة برياموس.

ولكن هيا إذن، أيتها الآلهة، أعملوا فكركم وتدبروا، وقولوا لى

١٧٥ ما إذا كنا سننقذه من الموت، أم أننا سنتركه يموت
على يدى أخيلْيوس بن بيليوس على الرغم من أنه إنسان عظيم"

فأجابته الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:

"يا أبت، يا إله الصواعق، يارب السحب السوداء الثقال،

أنقول ذلك على رجل فان، مقدر عليه الموت منذ أمد طويل؟

١٨٠ أتريد أن تخلصه من مصير الموت المفجع؟

فلتفعل إذن، ولكن لن يوافقك على ذلك أى منا نحن الآلهة الآخرين"

فأجابها زيوس، جامع السحب، قائلًا:

"أيتها الابنة الحبيبة تريتوجينيا! فلم أكن

جادا فى حديثى، بل أرغب فى أن أكون لطيفاً بك،

١٨٥ افعلى ما يحلو لك ولا تترددى"

قال ذلك، مشجعاً أثينة، التى كانت بالفعل متحمسة من قبل،

وهبطت مسرعة من فوق قمة الأوليمبوس.

وفى تلك الأثناء كان أخيلْيوس السريع مستمرا فى ملاحقة هيكْتور،

مطاردا إياه بحماس. مثلما يطارد كلب ظبيًا صغيرًا فوق الجبال،

١٩٠ بينما يفر من وكره عبر شعاب الغابة ووديانها؛

- وإذا ما أفلت منه، مختبئاً تحت أيكة،
يجرى الكلب خلفه بإصرار ويقتفى أثره حتى يعثر عليه.
هكذا لم يستطع هيكتور الإفلات من ابن بيليوس سريع القدمين.
فكم من مرة اندفع (هيكتور) يعدو نحو البوابات الداردانية
١٩٥ بحثاً عن الملجأ في حماية الأسوار متينة البناء، فقد يساعده رفاقه
من فوق الأسوار برمي السهام، ولكن غالباً ما كان أخيليوس
يستبقه ويُعيدُه إلى الوادي ويسرع هو إلى جوار أسوار المدينة
وكما يحدث في الحلم؛ لم يستطع الحالم اللحاق بعدوه الذي يهرب
٢٠٠ منه. لم يستطع أحدهما أن يهرب، ولم يستطع الآخر اللحاق به
وهكذا فلم يستطع (أخيليوس) أن يلحق به عدواً، ولم يفلت الآخر
(هيكتور) منه فأنى لهيكتور أن يهرب من مصيره المحتوم،
إذا لم يقف أبوللون بجانبه في المعركة للمرة الأخيرة.
ليمنحه القوة، وليمنح ركبتيه السرعة؟
- ٢٠٥ وهنا أوماً أخيليوس الإلهي برأسه لجيشه، ليحجموا عن
رمي السهام والرماح الحادة على هيكتور، فربما يصيبه أحدهم
بسهامه فينال المجد، ويأتى هو فى المرتبة الثانية.
ولكن، عندما وصلا للمرة الرابعة، إلى الينابيع،
رفع أبو الآلهة شديد البأس ميزانه الذهبى إلى أعلى،
٢١٠ ووضع فوقه اثنين من مصائر الموت المفجع، الأولى لأخيليوس،
والأخرى لهيكتور، مروض الخيول. أمسك الميزان من الوسط
ورفعه، فهبط مصير هيكتور إلى أسفل، ورحل إلى هاديس؛
عندئذ تخلى عنه الإله أبوللون فويبوس (الوضاء). مرة أخرى،
وصلت الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، إلى ابن بيليوس،
٢١٥ ووقفت على مقربة منه، ثم خاطبته بكلمات مجنحة، وقالت:
"الآن، أى أخيليوس المجيد، الحبيب إلى قلب زيوس،
سنجلب كلانا المجد العظيم للأخيين، بالقرب من السفن،

- بالقضاء على هيكتور، الذى لا يشبع من القتال،
ولن يستطيع بعد الآن الإفلات منا، حتى ولو توسل أبوللون،
٢٢٠ رامى السهام عن بُعد، إلى والده زيوس،
لابس الدرع أيجيس، متذللًا. توقف أنت الآن وخذ نفسا عميقا،
أما أنا فسأذهب إليه وأقنعه بلقائك وجهاً لوجه فى المعركة"
هكذا تحدثت أثينة، واستقبل (أخيلئوس) حديثها منشرح
الصدر، وتوقف متكئا على حربته
٢٢٥ المصنوعة من خشب الدردار، بعدها البرونزى.
وعندئذ تركته مسرعة لتلتقى بهيكتور الإلهى،
وقد تمثلت له فى هيئة أخيه ديفوبوس، وفى صوته غير المنهك،
ثم وقفت على مقربة منه، وخاطبته بكلمات مجنحة:
"أخى من المؤكد أن أخيلئوس السريع قد أساء إليك بشدة،
٢٣٠ وقد طاردك بقدميه السريعتين حول مدينة الملك برياموس.
ولكن فلنتوقف هنا، ولنتصدى لهجمته"
وعندئذ أجابها هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، قائلاً:
"أى ديفوبوس، لقد كنت قبل ذلك بالنسبة لى الأحب إلى نفسى
من بين كل إخوتى الآخرين، الذين أنجبتهم هيكاىى من برياموس،
٢٣٥ أما الآن فقد أدركت أنك ستحتل فى قلبى تكريماً أكبر،
لأنك جرؤت بعدما شاهدتتى بكلتى عينيك، أن تخرج
من خلف الأسوار من أجلى، بينما بقى الآخرون بالداخل"
فردت عليه الإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين، قائلة:
"أيها الأخ الحبيب، حقا لقد رجانى أبى كثيرا وكذلك أُمى
٢٤٠ الملكة، وأيضا كل الرفاق من حولى، كلهم توسلوا بإلحاح واحداً
بعد الآخر، للبقاء معهم، وكانوا جميعا يرتعدون من شدة الخوف،
ولكن نفسى كانت تعتصر ألما من شدة الحزن.

- أما الآن فلنقاتله بكل حدة. دعنا إذن لا نضن عليه بالحراب،
ولنرَ ما إذا كان أخيليوس هذا، بعد أن يقتلنا نحن الاثنين،
سيحمل الأسلاب المملوطة بالدماء منا إلى السفن المجوفة،
٢٤٥ أم أنه سيلقى حتفه بطعنة نجلاء من حربتك"
بهذه الكلمات وبهذه الحيلة قادتة أثينة.
وعندما تقدم كل منهما في مواجهة الآخر، وأصبحا متقاربين،
كان هيكتور العظيم، ذو الخوذة اللامعة، البادئ بالحديث، فقال:
٢٥٠ "يا ابن بيليوس، لن أفر بعد ذلك منك، مثلما فعلت من قبل
وجريت ثلاث مرات حول المدينة الإلهية لبرياموس العظيم،
ولم أجرؤ على البقاء لمواجهتك. أما الآن فتدفعنى نفسى دفعا
للوقوف فى مواجهتك، قتلتك أم قتلت على يدك.
هيا إذن، ولنشهد علينا الآلهة، فإنهم أعظم
الشهود، وأفضل الحافظين على ما سنتعهده عليه .
٢٥٥ فأنا لن أمثل بجسدك بوحشية، إذا ما منحنى زيوس
القوة على أن أنتزع روحك من جسدك.
ولكنى فقط، أى أخيليوس، سأسلب أسلحتك الشهيرة،
أما جثمانك فسوف أعيده إلى الآخيين، ولنفعل أنت الشيء نفسه".
٢٦٠ عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بغضب ثم قال:
"أى هيكتور، أيها البائس الملعون، إياك أن تحدثنى عن العهود؛
فكما لا يوجد صدق فى الوعود بين البشر والأسود،
وكما لا تكون للخراف والذئاب نفس الميول،
فدائما ما يضمر كل منهم للآخر الشرور،
٢٦٥ هكذا نحن أنا وأنت، فلن يستطيع أحدهما أن يحب الآخر، ولن تكون
بيننا عهود قبل أن يرتوى الإله آريس، ذلك المحارب.
العتيد، بدم من يسقط منا أولاً. فلنستجمع كل قواك القتالية،

- فهذا ما تحتاجه الآن. تصرف بوصفك حامل رمح ماهر،
ومحاربًا جريئًا. حقًا ليس لك مفر بعد الآن،
٢٧٠ فسوف تقضى عليك الإلهة باللاس أثينة
فى التو برمحي هذا، كما أنك ستدفع أيضا جزاء
أحزاني على رفاقي الذين أريدتهم قتلى بحربتك العاصفة"
قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل،
ولكن هيكتور المجيد تفاداه بعدما رآه فى اللحظة الأخيرة.
٢٧٥ فقد لمح وجثا على الأرض فطار فوقه الرمح البرونزى.
وارتشق فى الأرض. فانتزعت أثينة باللاس، ثم أعادته مرة
أخرى لأخيلIOS، دون أن يدرك ذلك هيكتور، راعى الشعب.
وعندئذ خاطب هيكتور ابن بيلIOS الذى لا نظير له، قائلا:
"لقد أخطأت الهدف، يا شبيه الآلهة، أخيلIOS!
٢٨٠ فلم يكشف لك بعد زيوس شيئاً عن مصيرى رغم زعمك
أنك تعرف. ولكنك ذرب اللسان ماكر الكلام،
بهدف أن أرتعد فى مواجهتك وأنسى قوتى وبسالتى.
فاعلم أننى لن أفر من أمامك كى تغرس فى ظهري حربتك،
بل سألتقاها فى صدرى، بينما أندفع فى مواجهتك؛
٢٨٥ هذا إذا أذن لك إله ما بذلك. أما الآن بدورك فلتدرا عن نفسك
حربتى البرونزية، لعلها تخترق بأكملها لحمك،
مما يجعل القتال أكثر سهولة للطرواديين،
إذا ما قتلتك؛ فأنت بالنسبة لهم كارثة كبرى"
٢٩٠ قال ذلك، ثم قذفه برمحه ذى الظل الطويل،
فأصاب منتصف الدرع الكبير لابن بيلIOS، ولم يخطئه،
ولكن الرمح قفز مرتدًا للخلف بعيدا عن الدرع، فاستشاط
هيكتور غضبا، لأن الرمح السريع انطلق من يده سدى،

فوقف مرتبكاً، لأنه لم يكن يحمل رمحاً ثانياً من الدردار
ولكنه بصوت جهورى نادى على أخيه ديفوبوس ذى الدرع
الأبيض، وطلب منه رمحاً طويلاً، فلم يجده إلى جواره؛
وعندئذ فطن هيكتور للأمر، وصاح قائلاً:

"ويحى، لقد دعنتى الآلهة هاهنا لموتى حقاً،
وكننت أعتقد أن البطل ديفوبوس يقف إلى جوارى،
بينما هو قابع داخل الأسوار. لقد خدعتنى أثينة،
وأصبح الموت البغيض قريباً منى الآن، وليس ببعيد؛

لا مفر منه إذن، وهو الأمر الذى كان يحظى منذ وقت طويل
بقبول زيوس، وكذا ابن زيوس، رامى السهام من بعيد، اللذان كانا
يحميانى من قبل برغبة صادقة. أما الآن فقد أدركنى قدرى..
ولكن دعنى، على الأقل، لا أموت دون قتال أو كرامة،
فلا أقدم على عمل عظيم، كى يتعلم منه من سيأتى من بعدى"

هكذا قال، واستل سيفه البتار،
الذى كان يتدلى من خاصرته، كبيراً وقويًا.
واستجمع قواه، ثم انطلق كالصقر الذى يحلق عالياً،
ثم يهبط إلى الوادى عبر السحب القائمة،
لينقض على حمل وديع، أو أرنب برى مرتاع.
هكذا اندفع هيكتور، شاهراً سيفه البتار.

كما اندفع أخيليوس أيضاً نحوه، وقد امتلأ قلبه بغضب وحشى
وقد حمى صدره من الأمام بدرعه الكبير،
تلك الآية الفنية الرائعة، واهتزت فوق رأسه ذؤابة

خوذته اللامعة، ذات القرون الأربعة، ترفرف حولها خصلات
من شعر ذهبى بديع، كان قد وضعها هيفايستوس على جانبيها
بكثافة، كالعُرف. إنه كنجم يمرق بين النجوم فى ظلمة الليل،

- إنه نجم المساء، أجمل نجم يلمع فى السماء.
وكذا لمع البريق من حد الرمح المسنون، الذى يشهره أخيلئوس
بئمناء، راغباً فى إلحاق الأذى بهيكتور العظيم. ثم أخذ يتفحص
٣٢٠ جسده القوى، بحثاً عن الموضع الذى قد يصاب فيه بسهولة،
ذلك الجسد الضخم، الذى يغطى بالعديد من الأسلحة البرونزية
رائعة الصنع، التى سلبها من باتروكلوس الباسل، بعد أن قتله.
فوجد ثغرة مكشوفة عند التقاء الرقبة بالكتفين أى الحنجرة،
٣٢٥ حيث يقع أسرع طريق لموت الإنسان. هنا طعنه أخيلئوس الإلهى
برمحه عندما هاجمه (هيكتور). وقد اخترق حد الرمح
الحنجرة الرقيقة حتى النهاية. بيد أن الرمح الدرارى المتقل
بالبرونز لم يكسر القصبة الهوائية تماماً، مما يسمح
له بالإجابة والتحدث إلى عدوه.
٣٣٠ ولكنه سقط على التراب؛ فوقف أخيلئوس فوقه مختالاً وقال:
"أى هيكتور، عندما كنت تجرد باتروكلوس من أسلحته
حسبت أنك ستظل آمناً ولم تكن تخشانى، لكننى كنت بعيداً،
أيها الأحمق! ولكن بدونه، وهو يرقد الآن عند السفن المجوفة،
تركته هناك أنا الأقدر على الانتقام، وها أنا قد هزمتك. أما أنت
٣٣٥ فستمزق الكلاب الضالة والطيور الجارحة جسدك أسوأ تمزيق،
وأما هو فسوف يقوم الآخيون بمواراة جسده التراب وتكريمه."
وهنا رد عليه هيكتور، ذو الخوذة اللامعة،
وقد اتهارت قواه تماماً قائلاً:
"أستحلفك بحياتك، بركبتك، بوالديك
ألا تتركنى بالقرب من سفنكم لتتهشنى كلاب الآخيين،
ولتقبل تلك الهدايا الكثيرة من البرونز والذهب
٣٤٠ التى سيقدمها إليك والدى ووالدى الملكة،

فقط أرجو منك أن تعيد جثمانى إلى أهل منزلى، حتى يتمكن
الطرواديون، وزوجات الطرواديين من منحى شرف حرق جثمانى"

عندئذ نظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، شزراً، ثم قال:

٣٤٥

"لا تستحلفنى، أيها الكلب، بركبتى أو بوالدى فليت غضبى

وجنونى يأمرانى بتمزيق جسدك، والتهام لحمك نيئاً، بسبب كل

ما ارتكبت ضدى فليس هناك من يدفع الكلاب عن رأسك،

حتى ولو أحضروا لى قدية لا تحصى ولا تعد، عشرة أضعاف

٣٥٠

أو عشرين ضعفاً، بل ولو تعهدوا لى بأكثر من ذلك؛

حتى ولو طلب منى برياموس بن داردانوس أن يفتديك

بمثل وزنك، أنت نفسك، ذهباً. لن تضعك أمك الملكة

على نعش الموت لتبكى عليك، أمك التى أنجبتك، فإن الكلاب

والطيور الجارحة فقط هى التى سنتهش لحمك عن آخره."

٣٥٥

فرد هيكتور، ذو الخوذة اللامعة، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،

قائلاً: "حقاً، إنك دائماً كما عهدتك من قبل، وكما توقعت،

فليست لدى القدرة على إقناعك، لأن قلبك الذى بداخلك حديد. ولكن

ينبغى عليك الآن أن تعمل فكرك، حتى لا أكون سبباً فى غضب

الآلهة عليك فى ذلك اليوم الذى سيصرعك فيه باريس وأبوللون

٣٦٠

فويبوس (الوضاء) على بوابة سكاياى، برغم قوتك"

وما أن انتهى من حديثه حتى طواه الموت

وأفلتت روحه من أعضاء جسده هابطة إلى هاديس

باكية مصيرها، ومودعة للأبد الرجولة والشباب.

وبيئما كان يحتضر، خاطبه أخيليوس الإلهى قائلاً:

٣٦٥

"قلتمت أنت أولاً، وسأقبل الموت بنفس راضية حينئذ،

عندما يشاء زيوس، والآلهة الآخرون الخالدون"

- قال ذلك، ثم سحب رمحه البرونزي من الجثمان،
وألقاه جانبا، ثم انتزع بعد ذلك الأسلحة المطلخة بالدماء،
من فوق كتفيه. وعندئذ أقبل أبناء الآخيين مسرعين من كل
صوب، محذقين في بنية هيكتور المتينة، وفي هيئته البديعة؛
ولم يقترب منه أحد إلا وطعنه بحربته^(*).
وقد يتحدث أحدهم لجاره، بينما ينظر للجثمان، قائلاً:
"يا إلهي، حقا لقد أصبح ملمس هيكتور الآن أكثر ليئا
عما كان عليه عندما أحرق لنا سفننا بالنيران المتوهجة"
هكذا قد يقول قائل، ثم يقترب منه ويطعنه أيضا بحربته.
أما أخيليوس الإلهي، سريع القدمين، فبعد ما جرده من أسلحته
شب واقفا بين الآخيين، ثم خاطبهم بتلك الكلمات المجنحة، قائلاً:
"أيها الأعداء، يا قادة الأرجيين وسادتهم،
لقد شرفنتي الآلهة بقتل هذا الرجل، الذي اقترف
العديد من الشرور، يفوق كل ما فعله الآخرون مجتمعين.
دعونا نجرب أسلحتنا حول المدينة، لنعرف خطط الطرواديين
وما ينوونه فهل سيرجلون عن تلك المدينة العالية
بعد أن سقط ذلك الرجل، أم أنهم يرغبون في البقاء،
على الرغم من عدم وجود هيكتور بعد؟ ولكن لماذا تجادلني
نفسى الغالية في مثل تلك الأمور؟ إن باتروكلوس
ما زال ممدداً في السفينة جثة هامدة، بلا نحيب، وبلا مراسم
دفن، ذلك الرجل الذي لن أنساه أبداً، لن أنساه ما بقيت
بين الأحياء، وتتحرك قدماى الغاليتان؛
وإذا كان الناس ينسون أمواتهم بعد رحيلهم إلى هاديس،

(*) كان الاعتقاد السائد لدى الشعوب البدائية أن تمزيق جسد القتيل يضعف شجته، ويدفع عن الناس أذاه وانتقامه. وظل هذا الاعتقاد سائداً ومتبعاً في بعض المناطق النائية حتى وقت قريب. (المحرر)

- ٣٩٠ فإننى لن أنسى صديقى الحبيب وهو هناك.
هلموا الآن يا شباب الآخيين، لنعد إلى سفننا المجوفة،
وننشد أناشيد النصر؛ ولنحمل معنا هذا الرجل؛ فقد أحرزنا
مجدا عظيما، وقتلنا هيكتور الإلهى، الذى كان الطرواديون
يتضرعون إليه فى كل أنحاء المدينة كما لو كان إلهًا"
- ٣٩٥ قال ذلك، وأخذ يفكر فى معاملة مشينة لهيكتور الإلهى،
فقام بثقب كلتا قدمى (هيكتور) من خلف العصبين، ومن الكعبين
حتى مفصل الركبتين، ثم مرر منها سيورا من جلود الأبقار،
ثم قام بربطها فى العربة الحربية، تاركا الرأس تتدلى على الأرض.
وعندئذ صعد إلى العربة؛ وبعد أن ارتدى أسلحته الشهيرة، ضرب
الجياذ بالسوط حتى تتحرك، فطارت مسرعة. ولما كان (هيكتور)
٤٠٠ يتدلى على الأرض، فقد ثارت عاصفة من الغبار، وتناثرت
خصلات شعره الأسمر، بل وتمرغت الرأس بأكملها فى التراب،
تلك التى كانت غاية فى الجمال من قبل. بيد أن الإله زيوس قد
سلمها لأعدائه، حتى تساء معاملتها هكذا على أرض الوطن.
- ٤٠٥ وهكذا غطى التراب الرأس بأكملها. وعندئذ أخذت أمه
تمزق شعرها، وألقت بالوشاح المزركش بعيدا،
وأطلقت صرخة عويل مدوية عندما رأت ابنها.
أما والده الحبيب فأخذ يتأوه بطريقة يرثى لها؛ ومن حولهما
مألت حشود الشعب المدينة كلها بالبكاء والعويل.
- ٤١٠ كما لو كانت النيران قد شبت فى كل أرجاء
مدينة إليوس، من أعلى التل إلى أسفله، وبالكاد أمسك الكثيرون من
الشعب بالشيخ الأشيب، الذى أصابه جنون الحزن
ويسعى للانطلاق بوحشية من البوابات الداردانية.

- وتمرغ في الروث^(*). وأخذ يرجو الجميع
 ٤١٥ أن يتركوه داعيا كل شخص منهم باسمه، ويقول:
 "توقفوا، أيها الأعداء، يامن تهتمون بأمرى، ودعوني
 أخرج بمفردى من هذه المدينة حتى أصل إلى سفن الأخيين،
 وأتوسل إلى ذلك الرجل، المرعب مرتكب الأفعال الشنيعة،
 فربما يستحي ويحترم شيبتي ويرثى لشيخوختي؛ فوالده بيليوس
 ٤٢٠ مُعمر مثلى، ذلك الذى أنجبه ورباه حتى صار وبالاً على كل
 الطرواديين. ولكنه اختصنى من بين الجميع بالآلام:
 فقد قضى على العديد من أبنائى، وهم فى ريعان الشباب؛
 ولكن من بين كل هؤلاء لم أبك بشدة مثلما بكيت على واحد منهم
 ٤٢٥ فقط، ذلك الذى سيؤدى بى حزنى عليه بشدة إلى ظلمات هاديس،
 إنه هيكتور، ليته مات بين يديّ، وعندئذ كنا سنشبع بكاءً وعويلاً،
 أمه تلك التى أنجبته لتعاستها، وأنا نفسى"
 قال ذلك باكيا، كما كان يشاركه العديد من أبناء الشعب فى
 ٤٣٠ البكاء. أما هيكاى، فقد قادت وسط الطرواديات عويلاً عنيفاً قائلة:
 "ولدى، أنا البائسة، كيف أعيش مع كل تلك المعاناه،
 وقد فارقت الحياة. يامن كنت فخرا لى فى كل المدينة،
 صباح مساء، وملاذاً آمناً لكل الطرواديين والطرواديات
 فى المدينة، أولئك الذين كانوا يبجلونك كإله.
 ٤٣٥ فقد كُنتَ بالنسبة لهم فى حياتك مجداً بالغ العظمة،
 أما الآن فقد غلبك الموت والقدر"
 قالت ذلك وهى تبكى. أما زوجة هيكتور فلم تك تعلم شيئاً،
 ولم يذهب إليها أى رسول صادق ليخبرها بالحقيقة:
 بأن زوجها كان لا يزال خارج أبواب المدينة.

(*) يقول بعض المعلقين إنها عادة شرقية للتعبير عن بالغ الحزن والأسى واليأس. (المحرر)

- ٤٤٠ فقد كانت تنسج على نولها داخل قصرها العالى
عباءة أرجوانية مزدوجة، تتناثر عليها الأزهار بألوانها المتعددة،
وقد استدعت وصيفاتها، بصفائهن الجميلة، إلى داخل المسكن
كى يشعلن النار أسفل المرجل الكبير ثلاثى الأرجل، حتى يتوافر
لهيكتور بعد عودته من القتال حمامات دافئة. يالها من حمقاء! فهى
٤٤٥ لم تعرف بعد أنه أصبح بعيدا جدا عن تلك الحمامات،
وأن أثينة، ذات العينين البراقتين قد صرعه بيدي أخيليوس.
والآن فقط تنامى إلى أسماعها نحيب وصراخ قادم من البرج،
فارتعدت أوصالها، وسقط من يدها مكوك النسيج على الأرض،
فعدت تخاطب وصيفاتها ذوات الصفائ الجميلة قائلة:
- ٤٥٠ "هيا، فلتأت اثنتان منكن معى لنر ماذا حدث؛
فصوت أم زوجى الوقور يأتى من بعيد.
إن قلبى يقفز فى صدرى حتى يكاد يبلغ الحلقوم؛ كما تصلبت
ركبتاى أسفل منى؛ فهناك كرب ما قد ألم بأبناء برياموس.
ليت هذه الكلمة تكون بعيدة عن أسماعى. ولكننى أخشى بشدة أن
٤٥٥ يكون أخيليوس الإلهى قد قطع طريق العودة على هيكتور الشجاع،
وطارده وحيدا خارج أبواب المدينة إلى الوادى؛
وحطم الكبرياء المدمرة التى تتملكه.
فهو لا يرضى بالبقاء بين جمهرة الرجال،
ولكنه دائما ما كان يندفع بمفرده للأمام، ولا يستسلم لأحد بقوته"
- ٤٦٠ قالت ذلك، ثم اندفعت مسرعة كالمجنونة خارج مسكنها،
يكاد قلبها يقفز من مكانه؛ وقد تبعتها وصيفاتها.
وعندما وصلت إلى البرج، حيث يتجمع الرجال، وقفت،
ثم أخذت تنظر من فوق الأسوار بنظرة فاحصة، فلمحت
مسحوبا أمام أسوار المدينة، تجره بلا رحمة الخيول المسرعة

- ٤٦٥ صوب سفن الآخيين المجوفة، فغشى عينيها ليل حالك السواد،
وتراجعت للخلف قليلاً، ثم خارت قواها تماماً.
وألقت من فوق رأسها زينتها اللامعة:
- الإكليل والوشاح والعصابة المجدولة والشال، الذي كانت أفروديتي
٤٧٠ الذهبية قد أهدته إياها في ذلك اليوم الذي قادها هيكتور، ذو
الخوذة اللامعة، عروساً من منزل أبيها إيثيتيون،
وقد وهبها هدايا الزواج التي لا حصر لها.
عندئذ التف حولها، في حشد كبير، أخوات زوجها وزوجات إخوته،
الذين أمسكوا بها، وقد بلغ بها الذهول حد الموت.
٤٧٥ فلما استردت وعيها وعادت روحها إلى صدرها أجهشت بالبكاء،
وتحدثت بين الطرواديات قائلة:
- "أى هيكتور واحسرتاه، لقد ولدنا كلانا أنا وأنت بالمصير
نفسه؛ أنت في طروادة، في منزل برياموس،
وأنا في ثيبى، على سفح جبل بلاكوس، بأشجاره الكثيفة.
٤٨٠ في منزل إيثيتيون سييء الحظ، الذي قام بتربيته أنا
الأكثر تعاسة منذ طفولتي، فليته لم ينجبني.
أما الآن فسوف تذهب وحدك إلى مقر هاديس في أعماق
الأرض، وسوف تتركنى هنا في حزن مميت،
أرملة في قاعاتنا؛ وما زال ولدنا طفلاً.
٤٨٥ ذلك الذى أنجبناه أنا وأنت، سيئا الحظ؛ فلن تكون له
بعد الآن ذا نفع، أى هيكتور، طالما لقيت حتفك.
كما أنه إن أفلت من حرب الآخيين المفجعة، لن يكون لك مفيداً.
إلا أنه سيعانى بعد ذلك من العذاب والألم،
حيث سيستولى الآخرون على حقوله.
٤٩٠ ففي اليوم الذى سيصبح فيه يتيماً سيُحرّم من كل رفاقه فى اللعب،
وسيمشى مطأئى الرأس، تغمر وجنتيه الدموع،

- وبعد أن يصبح طفلاً فقيراً سيتوجه إلى رفاق والده،
يجذب هذا من عباءته والآخر من رداءه. فإذا رق قلب
أحدهما له فسيحصل منه على أقل القليل مما فى الكأس،
٤٩٥ ما قد يبلى به فقط شفتيه، ولا يصل إلى حلقومه. أما ذلك الفتى
الذى مازال يعيش فى كنف والديه، فسوف يدفعه بعيداً عن المأدبة،
بعد أن يضربه بيديه، ويويخه بكلماته اللاذعة، قائلاً:
أغرب بعيداً عن هذا المكان، فإن والدك لا يشاركنا الطعام.
فيرتد الطفل على عقبه إلى أمه الأرملة باكياً،
٥٠٠ إنه أستياناكس^(٢) ذلك الذى كان يُطعم من قبل
الزبد وما طاب من الطعام جالساً على ركبتي أبيه.
وكان عندما يتوقف عن لعبه، ويغط فى نومه،
يرقد فى مخدعه، بين ذراعى مربيته،
على فراشه الوثير؛ بعد أن يهدأ قلبه ويطمئن.
٥٠٥ أما الآن، وبعد أن فقد والده الحبيب، فسوف يعانى
أستياناكس، وهو الاسم الذى كان الطرواديون يدعونه به،
فقد كنت تدافع وحدك عن البوابات والأسوار العالية.
أما وقد أصبحت الآن على مقربة من السفن المعقوفة بعيداً
عن والدك فسوف يلتهمك دود الأرض المتلوى،
٥١٠ بعد أن تشبع منك الكلاب وقد رقدت جثة عارية. وفى منزلك
لا تزال ملابسك رائعة النسيج، الجميلة التى زرقتها لك
أيدى النساء. ولكن من المؤكد الآن أننى سألقى بها جميعاً فى
النار الموقدة، فلن تنفك بعد الآن، ولن تنام بها مرة أخرى؛
ولكنها ستصبح شرفاً لك بين الطرواديين والطروديات".
٥١٥ قالت ذلك وهى تبكى، وقد شاركتها فى البكاء كل النساء.

(٢) أستياناكس، لقب أنعم به الطرواديون على سكاماندروس بن هيكتور، تكريماً لوالده، ويعنى "سيد مدينتنا".

الكتاب الثالث والعشرون



ترجمة عادل النحاس

- هكذا كانوا يبكون في أرجاء المدينة. أما الآخيون،
 فعندما وصلوا إلى سفنهم وبحر الهيليسبونطوس
 تفرقوا، وذهب كل منهم إلى سفينته.
 أما الميرميدونيون، فلم يتركهم أخيليوس ليتفرقوا،
 ولكنه خاطب رفاقه محبى الحرب بقوله:
 "أيها الميرميدونيون، ذوو الخيول السريعة،
 يا رفاقي الأوفياء، دعونا لا نطلق سراح الخيول، ذات الحافر الواحد
 غير المنشطر، من العربات الحربية، ودعونا نقرب قليلا بهذه الخيول
 وتلك العربات الحربية، ولنبك على باتروكلوس، فهذا هو التكريم
 الواجب للموتى، وبعد أن نأخذ كفايتنا من ذلك النحيب المرير
 سنطلق سراح الخيول، ثم نتناول معًا طعامنا في هذا المكان جميعًا".
 هكذا تحدث، وأجهشوا جميعا ببكاء متناغم، ويقودهم أخيليوس،
 ثم قاموا بالدوران باكين حول الجثمان بخيولهم ذات العرف
 الجميل ثلاث مرات. وكانت ثيتيس في وسطهم تستثير رغبتهم في
 البكاء. فامتزجت بدموعهم الرمال، كما ابتلت أسلحة الرجال.
 لطالما أثار الذعر بين الأعداء ذلك الذى سيكونه!
 ومن بينهم كان ابن بيليوس القائد في هذا النحيب العنيف؛
 وبعد أن وضع يديه قاتلتى الرجال على صدر رفيقه؛ قال:
 "أى باتروكلوس، تحية لك منى وأنت في مقر هاديس،
 فقد انتهيت من إنجاز كل ما وعدتك به آنفًا:
 بأن أقوم بسحب جسد هيكتور في هذا المكان، وأقدمه للكلاب
 ليلتهموا لحمه نيئًا، وأن أذبح أمام محرقتك اثني عشر رجلا
 من أنبل أبناء الطرواديين^(*) وقد استشطت غضبا لموتك".

(*) كانت عادة تقديم القرابين البشرية معروفة في الأساطير الإغريقية، كما هو الحال بالنسبة للشعوب القديمة جميعًا على وجه التقريب. وامتدت هذه العادة حتى العصور التاريخية وأشير إليها في الكثير من الأعمال الأدبية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر "إفيجينيا بين التاورين" ليوربيديس. (المحرر)

- وعندئذ جالت بخاطره تلك الأفعال المروعة لهيكتور الإلهي،
 ٢٥ وقد بسط جثمانه وجعل وجهه على التراب بجوار نعش
 ابن مينويتيوس. ألقى كل منهم بسلاحه البرونزي اللامع،
 وأطلقوا سراح خيولهم، ذات الصهيل المدوي، ثم استلقى حشد
 لا حصر له بالقرب من سفينة سريع القدمين (أخيليوس)،
 سليل أياكوس. أما هو فقد أمر بإعداد وليمة جنازية سخية تسرية لهم.
 ٣٠ فأخذت العديد من الثيران، ذات الجلد اللامع، تخور أثناء
 نحرها بالسكين، كما بدأت العديد من الأغنام والماعز فى الشغاء؛
 وأعداد كبيرة من الخنازير، التى تلمع من سمنتها، بأسنانها البيضاء،
 تلك التى كانت تنتشر فى هذا المكان، قد وضعت جميعاً فوق
 نيران هيفايستوس للشواء. لقد سال الدم بغزارة حول الجثمان
 حيث سكبت الكئوس فوقه^(*).
- ٣٥ فى ذلك الوقت، قاد أمراء الآخيين ابن بيليوس،
 السيد، سريع القدمين، صوب أجاممنون الإلهي. فبجهد جهيد
 استطاعوا إقناعه بذلك، على الرغم من شدة غضبه لموت صديقه.
 وعندما وصلوا إلى خيمة أجاممنون،
 أصدروا أوامرهم فى التو، إلى الخدم جهورى الصوت
 ٤٠ أن يضعوا مرجلاً ضخماً ثلاثى الأرجل فوق النيران،
 عساهم أن يتمكنوا من إقناع ابن بيليوس بالاغتسال من الدماء المتخثرة،
 ولكنه أعرض عن ذلك وأقسم قائلاً:

"كلا، وحق زيوس الأعلى والأقوى من كل الآلهة،

فليس مباحاً للماء أن يقرب رأسى

(*) ساد الاعتقاد عند الإغريق أن دم الأضحيات يقدم للموتى لتقويتهم ومساعدتهم فى رحلتهم إلى العالم السفلى. وهذا ما كان سائداً حتى عند العرب القدامى قبل الإسلام، حيث كانوا يعتقدون أن الميت فى قبره كان يطالب بهذه الدماء، ولاسيما إذا كان قتيلاً. وكانت الطقوس المصرية القديمة فيما يتصل بالموتى تؤدى المعنى نفسه، وهو تسهيل مهمة الرحيل إلى العالم السفلى، فيزودون الميت بكل المتطلبات. واستمرت الوجبة الإغريقية الجنازية perideipnon فى العصر الرومانى بل إن مسيحي القرن الرابع الميلادى أقاموا هذه الولائم تكريماً للشهداء (القديس أوغسطين، الاعترافات (VI ii). (المحرر)

- ٤٥ قبل أن نضع باتروكلوس فوق محرقتة، ونهيل عليه التراب،
ثم نحلق شعر الرأس عليه. فلن يصيب قلبي حزن آخر ،
مابقيت بين الأحياء مثلما أصابه.
ولكن دعونا الآن نمتلئ لذلك الطعام غير المستحب.
في البداية، يا ملك الرجال أجاممنون، أصدر أوامرك
٥٠ بإحضار الأخشاب، وتقديم كل المتطلبات الملائمة،
التي يحملها الميت معه قبل أن يرحل إلى الظلمات السحيقة؛
لكي تأتي عليه النيران التي لا تكل
بسرعة وتختفى من أمام أعيننا، ثم يعود أفراد الجيش، كل إلى عمله"
قال ذلك، بينما كان الآخرون يستمعون إليه، وأطاعوه،
٥٥ فاستعد كل منهم بسرعة لطعامه،
ولم يك بهم ميل إلى وليمة عامة.
وعندما أشبعوا حاجتهم من الطعام والشراب،
توجه كل منهم إلى خيمته ليسترىح على فراشه.
- أما ابن بيليوس فقد استلقى بعيدا على شاطئ البحر بأصواته
٦٠ الهادرة، وشرع في نحيب شديد، ويحوطه حشد من الميرميدونيين.
في هذا المكان الفسيح، حيث تتلاطم الأمواج على الشاطئ،
وفي اللحظة التي غلبه فيها النعاس، مذبذباً هموم القلب،
استغرقه النوم اللذيذ إذ كانت أوصاله المجيدة قد أنهكت في مطاردته
لهيكتور حول مدينة إليوس شديدة الرياح .
٦٥ حينئذ أقبلت عليه روح باتروكلوس التعس
بكامل هيئته: قوامه، عيناه الجميلتان،
صوته الرنان، مرتدياً رداءً يشبه رداءه؛
واستقام واقفاً عند رأس (أخيليوس) ثم خاطبه بتلك الكلمات:
"أى أخيليوس، الآن تغط في نومك بعد أن نسيتنى،

- ٧٠ بينما لم تكن تغفل عني وأنا على قيد الحياة، أما بعد موتى فقد نسيتنى.
إدفنى بأقصى سرعة ممكنة، حتى أعبّر بوابات هاديس.
فالأرواح تدفعني بعيداً، وكذلك الأشباح؛
لا تسمح لي بالانخراط في زمرتها فيما وراء النهر،
ومازلت أهيم عبثاً حول البوابات الواسعة لمقر هاديس.
- ٧٥ أمدد لي يدك الآن، أتوسل إليك، لأنى لن أعود مرة
أخرى من هاديس، بعد أن تمنحني ما يحق لي من النار؛
لن نجلس بعد الآن معاً بعيداً عن الرفاق الأعزاء،
كما كنا نفعل في حياتي، لنتبادل الرأي .
فالمصير البغيض قد فغر فاه لي، إنه المصير الذي حدد لي عند
مولدى. وحتى أنت، أى أخيليوس، يا شبيه الآلهة، فمصيرك هو
- ٨٠ أن تلقى حتفك تحت أسوار الطرواديين الأثرياء. والآن سوف أطلب
منك شيئاً آخر، وأستحلفك أن تحققه لي إذا اقتنعت به،
وهو ألا تضع عظامي بعيداً عن عظامك، أى أخيليوس،
ولكن لتكن معاً في نفس المكان، مثلما ترعرعنا معاً في البيت نفسه،
عندما أحضرني مينويتيوس صغيراً من أوبويس،
- ٨٥ واقتادنى إلى بيت أبائك؛ بعد أن ارتكبت جريمة قتل شنيعة.
إذ يومها، كنت قد قتلت ابن أمفيداماس، وكنت صغيراً لا أدرك
ولم أكن أرغب، ولكنه استثار غضبى بسبب اللعب بالزهر.
وهناك، تقبلنى الفارس بيليوس فى قصره.
- ٩٠ فأولانى رعايته، وجعلنى تابعا لك.
لكل هذا ينبغى أن يجمع وعاء رماد واحد بقايانا،
تلك الجرة الذهبية ذات المقبضين التى منحتها لك والدتك المبجلة"
عندئذ رد عليه أخيليوس، سريع القدمين، قائلاً:
"لماذا يا عزيزى، أتيت إلى هذا المكان،
وتسألنى أن أحقق لك كل تلك المطالب؟"
- ٩٥

- فسوف أنجز لك كل شيء، وأنفذ كل ما تأمر به.
ولكن قف هنا واقترب مني أكثر للحظات قليلة، حتى يعانق
كل منا الآخر، ونأخذ كفايتنا من النحيب المرير".
- وبعد أن قال ذلك، مد إليه يديه ليعانقه،
- ١٠٠ ولكنه لم يمسك به، فقد هبطت روحه كالدخان إلى
العالم السفلي، بهممة غير مفهومة؛ فقفز أخيليوس مذهولاً،
وضرب كفاً بكف، ثم قال كلمات مثيرة للشفقة:
- "عجباً عجباً!، ففي مقر هاديس توجد أرواح وأشباح؛
١٠٥ لكنها عديمة الإدراك. فقد لازمتني روح باتروكلوس المسكين،
الليل بطوله، منتحبة، ذارفة الدمع، وهي تلح أن أنفذ
رغباتها الواحدة تلو الأخرى. لقد كانت شديدة الشبه بصاحبها".
- قال ذلك، فاستثار رغبتهم جميعاً في البكاء.
- وقد لاحت في الأفق أنوار إيوس بأصابعها الوردية مع بكائهم
على الميت المثير للشفقة، وعندئذ أرسل أجامنون السيد
- ١١٠ الرجال والبغال من الخيام في كل الأنحاء لكي يأتوا بالأخشاب
وعلى رأسهم رجل قوى، ميريونيس تابع إيدومينيوس، دمت الخلق.
وانطلقوا جميعاً، حاملين الفئوس في أيديهم لتقطيع الأخشاب،
- ١١٥ وكذا الحبال المجدولة، وتسير البغال من أمامهم.
وصعدوا وهبطوا وعرجوا وسلكوا طرقاً ملتوية،
ولكن عندما وصلوا إلى سفوح جبل إيدا كثير الينابيع،
أسرعوا في الحال إلى تقطيع أشجار البلوط الشاهقة بفئوسهم
ذات النصل البرونزي الطويل، فسقطت محدثة دويًا هائلاً.
- ١٢٠ عندئذ قام الآخيون بشطرها،
وربطوها خلف البغال التي ضربت الأرض بأقدامها،
سعيًا للوصول، عبر الغابات الكثيفة، إلى الوادي.

- وهكذا حمل كل قاطعي الأخشاب معهم كتلا من الأخشاب
 مثلما أمرهم ميريونيس، تابع إيدومينيوس، دمت الخلق.
 ١٢٥ ثم ألقوا بها على الشاطئء واحداً بعد الآخر، حيث خطط أخيليوس
 لإقامة كومة دفن عالية لباتروكلوس، ولنفسه أيضاً.
 وبعد أن ألقوا بأعداد لا حصر لها من الأخشاب في هذا المكان،
 جلسوا في أماكنهم وانتظروا جميعاً، حتى أعطى أخيليوس
 أوامره للميرميدونيين محبي القتال بأن يربطوا حول أجسادهم أسلحتهم
 البرونزية في الحال، وأن يشد كل منهم خيله إلى نير عربته الحربية.
 ١٣٠ فنهضوا جميعاً وحملوا أسلحتهم،
 ثم صعد مقاتلو العربات الحربية، وكذلك سائقوها، كل إلى عربته.
 الفرسان في المقدمة، يتبعهم أعداد لا حصر لها من جند المشاة.
 وفي الوسط، كان الرفاق يحملون باتروكلوس، وقد غطوا الجثمان
 ١٣٥ كاملاً بخصلات من شعر رأسهم حيث كانوا قد قصوها
 وألقوها عليه، ومن الخلف أمسك أخيليوس الإلهي برأسه،
 وهو في شدة الأسى، فقد كان يشيع صديقه الذي لا نظير
 له إلى هاديس. وعندما بلغوا ذلك المكان، الذي حدده أخيليوس،
 وضعوه على الأرض، ثم أقاموا بسرعة كومة من الأخشاب الكثيفة.
 ١٤٠ عندئذ طرأت أمور أخرى في ذهن أخيليوس الإلهي، سريع القدمين:
 فابتعد عن المحرقة، وقص خصلات شعره الأشقر،
 الذي كان قد تركه ينمو كاملاً، كي يقدمه قرباناً لنهر سيرخيوس^(*)،
 ثم قال بأسى وهو ينظر إلى البحر، القاتم مثل لون النبيذ:
 "أى سيرخيوس، لقد نذر إليك والدي بيليوس من قبل سدى،
 ١٤٥ أنه عندما أعود، إلى أرض الوطن الحبيبة، فسوف أقص شعر رأسي
 من أجلك أنت، وأن أقدم لك القربان الكبير (مائة رأس) وأن يقدم

(*) نهر في ثيساليا موطن أخيليوس.

- لك في نفس المكان خمسين كبشاً قرباناً ذكوراً لا تشوبها شائبة
في ينابيعك، حيث معبدك ومذبحك برائحتهما الفواحة.
هكذا كان قد نذر الشيخ الأشيب، ولكنك لم تنجز رغبته.
١٥٠ أما الآن، فلأني لن أعود ثانية إلى أرض الوطن الحبيبة،
فسأهب خصلات شعري إلى باتروكلوس البطل لترحل معه".
قال ذلك، ثم وضع خصلات شعره في يدي صديقه الحبيب،
مما استثار رغبة الآخرين في البكاء الشديد،
وكان ضوء الشمس سيهبط ببكائهم، لو لم يسرع
١٥٥ أخيليوس بالاقتراب من أجامنون، قائلاً:
"يا ابن أتريوس، لأن جيش الآخيين لا يطيع أحداً مثلما
ينصاع لكلماتك، فلهم أن ينالوا كفايتهم من البكاء،
أما الآن فأبعدهم عن المحرقة، ودعهم يعدون طعامهم.
أما في كل ما يتعلق بالميت فسنعتني نحن به جيداً،
١٦٠ فنحن الأقرب والأعز، وليبق معنا القادة"
وعندما استمع أجامنون، ملك الرجال، إلى هذا الحديث،
صرف الجنود في الحال إلى السفن سلسلة الانقياد، فيما عدا القائمين
على المراسم الجنائزية، فلم يبرحوا المكان وشرعوا في تكويم
الأخشاب حتى شيدوا محرقة ضخمة، قوامها مائة قدم من الاتجاهين،
١٦٥ ثم وضعوا الجثمان، وقلوبهم تدمى، على قمة المحرقة (*).
ثم قاموا بسلخ العديد من الخراف السمينة، والأبقار
معقوفة القرون، بطيئة الحركة، أمام المحرقة وأعدوها.
ومن هنا جميعاً جمع أخيليوس على الهمة الدهن ثم غطى به الجثمان

(*) يكتسب هذا الوصف الهومري لمحرقة باتروكلوس أهمية خاصة باعتباره أول وصف أدبي يصلنا لحرق الميت المكرم. وسنجد أصداء واسعة له عند الكثيرين من الأدباء الإغريق والرومان قارن على سبيل المثال هيرودوتوس (62 IV). ونهاية "بنات تراخيس" لسوفوكليس و"هرقل فوق جبل أريتا" لسينيك، كما أن عملية تأليه الأباطرة الرومان بعد حرقهم تواصل نفس التقاليد الموروثة راجع:

- من الرأس حتى القدمين، ثم أحاطه بالحيوانات التي تم سلخها؛
 ١٧٠ ثم وضع قدرين مملوئين بالعسل والزيت وقد أسندهما على النعش،
 ثم ألقى بسرعة في المحرقة بأربعة من الخيول، ذات الأعناق المشرببة.
 بينما كان يجهد بالبكاء المرير. وكان للأمير
 (أخيلوس وباتروكلوس) تسعة كلاب تربض بالقرب من المائدة،
 فألقى في المحرقة باثنين منها بعد أن دق عنقهما. كما ألقى باثنى
 ١٧٥ عشر من أنبل أبناء الطرواديين البواسل، بعد أن ذبحهم بسيفه
 البرونزي. فقد كانت فكرة الانتقام الشنيع هي ما تشغل فؤاده.
 ثم أشعل في الكومة قوة النار التي لا تكل لتلتهم كل شيء.
 ثم صرخ باكياً، ومنادياً صديقه الحبيب بالاسم، قائلاً:
 "أي باتروكلوس، تحية لك منى وأنت في منازل هاديس،
 ١٨٠ لقد نفذت كل ما سبق أن وعدتك به:
 فهؤلاء اثنا عشر من أنبل أبناء الطرواديين الشجعان
 تلتهم النار أجسادهم جميعاً مع جسدك. أما هيكتور
 بن برياموس فلن أسلمه طعاماً للنار، بل للكلاب".
 قال ذلك متوعداً، غير أن الكلاب لم تقرب جسد (هيكتور)،
 ١٨٥ فقد أبعدت أفروديتي ابنة زيوس الكلاب عنه، ليل نهار،
 بل ودهنته بالزيت المعطر برائحة الورد الأمبروسي (الخالد)،
 حتى لا يتسلخ جلده، أثناء سحبه هنا وهناك.
 ومن فوقه أتى أبوللون (فويبوس) الوضاء بسحابة سوداء،
 تمتد من السماء إلى الوادي لتغطي كل المكان،
 ١٩٠ حيث الجثمان، كي لا تجفف لسعة الشمس الساطعة
 الجلد بكامله، فيما بين الأوتار وسائر الأعضاء.
 ولكن النار لم تشب في محرقة باتروكلوس الميت بسرعة.
 وعندئذ طرأت على ذهن أخيلوس، سريع القدمين، أفكار أخرى؛

- فابتعد قليلاً عن المحرقة، وأخذ يبتهل للرياح: بورياس (رياح الشمال)
 ١٩٥ وزيفيروس (الرياح الغربية)، ووعدهما بقرابين طيبة؛
 وبحماس بالغ سكب السكائب من كأسه الذهبي، وتوسل
 إليهما أن يحضرا، حتى يتم بسرعة حرق جثث الموتى بالنار،
 بعد أن تبدأ الأخشاب في الاشتعال. وفي التو سمعت
 إيريس هذا الرجاء، فانطلقت تحمل الرسالة للرياح،
 ٢٠٠ فوجدتها مجتمعة على مأدبة زيفيروس، شديد العصف، داخل منزله،
 فتوقفت إيريس عن الاندفاع عندما اقتربت من المدخل الحجري؛
 وعندما شاهداها (بورياس وزيفيروس) بعينيهما،
 هبا مسرعين، ودعاها كل منهما إلى جواره،
 غير أنها رفضت الجلوس، وخاطبتهما قائلة:
 ٢٠٥ "لا جلوس لى، إذ على أن أعود إلى جداول أوكيانوس،
 فى أرض الأثيوبيين، حيث يقدمون أضحيات ضخمة للخالدين،
 وحتى أستطيع أنا أيضا الحصول على نصيبى من هذه القرابين.
 ولكن أخيليوس يبتهل لحضور بورياس وكذلك زيفيروس
 العاصف، ووعد بقرابين طيبة، حتى تشعلوا نيران المحرقة،
 ٢١٠ حيث يرقد باتروكلوس، الذى يبكيه كل الآخيين".
- هكذا تحدثت، وولت مدبرة؛ فهبا معا
 محدثين دويا شديدا، فدفعا أمامهما السحاب،
 ووصلا بسرعة إلى البحر فنفخا فيه، فهاجت الأمواج
 ٢١٥ تحت صرير الرياح، حتى بلغا طروادة الخصبية.
 وما إن هبطا على المحرقة، حتى اندلعت النيران وتساعد زئيرها.
 وظلت الرياح طوال الليل تضرب لهيب المحرقة بهبات عنيفة
 محدثة صفيرا شديدا. وظل أخيليوس السريع طوال الليل،
 ممسكا بكأس ذات مقبضين، يملؤها بالنبيذ من

- ٢٢٠ الطاس الذهبى، ثم يسكبها على الأرض فتمتصها فى الحال؛
مستدعيًا روح باتروكلوس البائس.
- ومثلما يحزن الوالد عندما يحرق عظام ولده حديث الزواج،
الذى أدت وفاته إلى إصابة والديه البائسين بالكرب العظيم،
هكذا كان حزن أخيليوس عندما حرق عظام صديقه، فقد كان
يخطو خطوات ثقيلة حول المحرقة، ويبكى بلا انقطاع. وفى الوقت
الذى كانت نجمة الصباح تتابع دورتها كى تبعث الضوء فوق
الأرض؛ ثم تبعها الفجر بردائه الزعفرانى المنتشر فوق البحر،
فى ذلك الوقت بدأت نيران المحرقة تخبو شيئًا فشيئًا حتى
خمدت جذوتها. عندئذ عادت الرياح أدراجها مرة أخرى حتى
بلغت مستقرها، فى البحر الطراقي، الذى زأر موجه وازداد هياجه.
وعندئذ انسحب ابن بيليوس بعيدا عن المحرقة،
وقد أرهقه التعب، ثم غلبه نوم هادىء. ولكن ابن أتريوس
وأتباعه كانوا يحتشدون، فأيقظ أخيليوس تصايحهم وجلبة قدمهم،
فنهض من مرقدته واستوى جالسًا، ثم تحدث إليهم قائلاً:
- ٢٣٠ "يا ابن أتريوس، يا قادة كل الأخيين الآخرين،
أطفئوا أولا نيران تلك المحرقة بنبيذكم الأحمر،
حتى يخمد أوارها المتوهج؛ وبعد ذلك
لنجمع عظام باتروكلوس بن مينيوتيس،
بعد أن نميزه جيدا، ومن السهل التعرف عليه
فهو ممدد فى وسط المحرقة، أما الآخرون
فقد احترقت أجسادهم عند الأطراف، الرجال والخيول مختلطين،
أما عظامه هو فلنلفها بطبقتين من الدهن، ثم نضعها فى جرة ذهبية،
حتى يحين أجلي وأغيب أنا نفسى فى هاديس.
- ٢٤٠ أما كومة الدفن (لباتروكلوس) فأسألكم ألا تكون هائلة، ولكن،
بما يتناسب مع حجمه، على أن تشيدوها، أيها الآخيون، فيما بعد
- ٢٤٥

فسيحة ومرتفعة، أنتم يا من ستبقون من بعدى
فى السفن كثيرة المجاديف"

قال ذلك، فأذعنوا جميعاً لما أمر به ابن بيليوس، سريع القدمين،

٢٥٠ فأطفأوا فى البداية نيران تلك المحرقة بالنبيذ الأحمر
فى كل موضع بلغته النيران، حتى استقر الرماد فى العمق،
ثم بدأوا يجمعون، وهم يبكون، تلك العظام البيضاء للصدىق
المحبوب فى جرة ذهبية بعد أن لفوها بطبقتين من الدهن.

٢٥٥ ثم وضعوها فى الخيمة بعد تغطيتها بقطعة من الكتان الناعم.
وبعد ذلك رسموا دائرة القبر وأحاطوا القاعدة
بالأحجار، وأهالوا عليها التراب. فلما ارتفعت كومة الدفن،
عادوا إلى مقرهم . أما أخيليوس

فقد استبقى أفراد الجيش هناك، وأمرهم بالجلوس على مدى فسيح؛
ثم أحضر من سفنه العديد من الجوائز: مراجل،

٢٦٠ وأوانى ثلاثية الأرجل؛ خيول، وبغال، وثيران قوية؛
ونساء جميلة القد، وقطع من الحديد الرمادى.

فى البداية حدد (أخيليوس) جوائز رائعة لسائقى العربات الحربية

السريعة؛ فيأخذ الفائز الأول امرأة لا نظير لها فى براعة الأشغال
اليدوية، وإناءً ثلاثى الأرجل بمقبضين، يتسع لاثنتين وعشرين معياراً.

٢٦٥ كما حدد للفائز الثانى فرسة، عمرها ست سنوات،
ولم تروض بعد وتحمل فى أحشائها مهراً صغيراً.

ثم حدد للفائز الثالث مرآل استحمام جميلاً جديداً لم تمسه النار،
فهو أبيض ناصع لونه، يتسع لأربعة معايير.

وللفائز الرابع حدد مثقال تالنتين ذهبيين.

٢٧٠ أما الخامس فقد حدد له وعاءاً ذا مقبضين، لم تمسه النار من قبل.
بعد ذلك هب واقفاً، وألقى كلمة فى الأرجيين قائلاً:

- يا ابن أتريوس، يا كل الأخيين الآخرين المتسلحين
 بدروعهم الجيدة، ها هي جوائز سائقي العربات الحربية. تُعرض
 أمامكم في أرض السباق، ولو كان الأخيون يتسابقون الآن تكريمًا
 ٢٧٥ لشخص آخر (غير باتروكلوس)، لكنت قد حصلت على الجائزة
 الأولى وحملتها إلى خيمتي، فأنتم تعلمون إلى أي مدى تتفوق
 خيولي في السرعة، فهي خيول خالدة، كان الإله بوسيدون قد أهداها
 إلى والدي بيليوس، الذي أهداها بدوره لى.
 ولكنى سأبقى أنا وخيولي الأصيلة ذات الحافر الواحد
 ٢٨٠ لأنها فقدت سائقها القوى والمجيد واللطيف
 الذي طالما دهن خصلات عرفها
 بزيت الزيتون، بعد أن يكون قد غسله بالماء الرائق.
 إنها تقف الآن بلا حراك، حزناً عليه وتلامس خصلات
 عرفها الأرض، إنها تقف ويعتصر الأسى قلوبها.
 ٢٨٥ أما أنتم يارجال كل الحشد تاهبوا، وكذا أي فرد من الأخيين يثق في
 خيوله وعربته المربوطة خلفها".

- هكذا تحدث ابن بيليوس، فتجمع سائقو العربات المشهورون
 بسرعتهم. نهض يوميلوس الأول بمراحل كثيرة، ملك الرجال
 الابن العزيز لأدميتوس، الذي يفوق الجميع في الفروسية، يثق في
 ٢٩٠ حصانه وفي متانة عربته. ثم تبعه ابن تيديوس، ديوميديس شديد البأس،
 وقد سرج في عربته خيول طروس، التي كان قد استولى عليها
 عنوة من آينياس الذي أنقذه أبوللون حينذاك من الأسر^(*).
 ثم نهض ابن أتريوس، مينيلائوس الأشقر،
 سليل زيوس، وقد سرج في عربته حصانين سريعين :
 ٢٩٥ أيثى الشقراء مهرة أجاممنون، وبودارجوس حصانه هو.

(*) راجع الكتاب الخامس بيت ٣٢٣ و٣٣٤. (اخر)

- وكان إخيولوس بن أنخيسيس قد أهدى آيثى لأجامنون،
حتى لا يتبعه إلى مدينة إليوس، كثيرة الرياح العاصفة،
بل ولكي يبقى حيا مستمتعا بحياته في منزله؛ فقد منحه زيوس
ثراءً فاحشاً حيث يقيم في مدينة سيكيون الفسيحة^(*). وقد وضع
مينيلاؤس آيثى تحت النير، إذ كانت متلهفة على خوض السباق.
٣٠٠
- أما الرابع فكان أنتيلوخوس الذي أعد خيوله ذات العرف الجميل،
وهو الابن المرموق لنيستور، الملك ذى الروح السامية
ابن نيلئوس. أما خيوله سريعة الأقدام التى تجر العربى فقد ولدت
فى بيلئوس. وقف والده (نيستور) إلى جواره وأسدى له نصائحه النافعة،
رجل حكيم ينصح من يدرك جيداً ما يسمع. قال:
٣٠٥
- "أى أنتيلوخوس، إنك حقاً فى ريعان الشباب، وقد أحبك
زيوس وبوسيدون، وعلماك كل فنون الفروسية،
ولذلك فلست فى حاجة لأن أعلمك الكثير.
فأنت تعرف جيداً كيف تستدير حول علامة النهاية؛ ولكن خيولك
هى الأبطأ فى السباق، ولذلك أعتقد أن الحزن سيصيبك.
٣١٠
لأن خيول الآخرين هى الأسرع؛ ولكن فرسانها أنفسهم
لا يفوقونك فى المهارة، ولا يعرفون أكثر مما تعرف أنت.
هيا إذن يا عزيزى، وفكر فى كل أساليب حسن التصرف.
حتى لا تقلت كل هذه الجوائز من بين يديك.
٣١٥
فبالفن والمهارة، لا بالقوة الجبارة، يتفوق قاطع الأخشاب.
بالفن والمهارة يسيطر الربان على السفينة المسرعة،
فى بحر قائم اللون كالنبيذ، بينما تتقاذفها الرياح.
بالفن والمهارة يتخطى سائق العربى الحربية سائقا آخر؛
أما ذلك الذى يثق فى خيوله وفى عربته،

(*) تقع سيكيون فى سهل فيما بين خليج كورنثة ومرتفعات البلوبونيسوس. راجع Pausanisa iii 41-6. (المحرر)

- ٣٢٠ ويقوم بالاستدارة دون حذر، تارة هنا وتارة هناك، فإن خيوله
ستحيد عن الطريق، ولن يستطيع أن يكبح جماحها. وأما من هو
على دراية كافية بكل تلك الأمور، حتى وإن كان يسوق خيولاً أقل
فإنه يثبت ناظريه على الهدف، ويستدير بالقرب منه،
ومن البداية يشدد قبضته على اللجام المصنوع من جلد البقر،
ويظل على ذلك وعينه تراقب من يسبقه. سأريك الآن علامة النهاية
الواضحة، والتي لا ينبغي أن تغيب عن ناظريك،
فهناك قطعة من الخشب الجاف، منتصبة بارتفاع طولها فوق الأرض،
وهي من شجر البلوط أو الصنوبر، لم تتحلل بعد بفعل الأمطار،
تستند من الجانبين بقطعتين من الأحجار البيضاء،
عند ملتقى طريقين، وحولها ينبسط مضمار السباق سلساً.
وهي إما شاهد قبر لشخص قد مات منذ زمن بعيد،
وإما نقطة النهاية والاستدارة لسباقات الأقدمين،
وقد حددها الآن أخيليوس الإلهي، سريع القدمين علامة .
وعليك أن تقود العربة وخيولك بالقرب منها، النهاية والاستدارة.
٣٣٠ وعليك أن تميل داخل عربتك المزركشة
إلى اليسار قليلاً، ثم تنحس الحصان الأيمن،
منادياً عليه بصيحتك، ثم تطلق له العنان قليلاً من يديك.
أما الحصان الأيسر فلتجعله يمر على مقربة من نقطة النهاية،
حتى يبدو لك أن الجزء البارز من العجلة جيدة الصنع كاد
يلامس سطح الأحجار، على أن تتحاشى ملامستها فعلاً،
٣٤٠ فقد يؤدي ذلك إلى إصابة الخيول، وتحطيم العربة؛
وهو ما يسعد الآخرون، ويخزيك أنت نفسك.
ولذلك فينبغي عليك، يا عزيزي، أن تكون حكيمًا وحذرًا،
لأنك إذا ما تجاوزت نقطة النهاية والاستدارة وسبقت الآخرين على
مضمار السباق، فلن يلحق بك أحد ممن يسرعون فجأة ولن يتخطاك،
٣٤٥

- حتى ولو كان ممتطيا أريون^(*) الإلهي،
 حصان أدراستوس السريع، التي تتحدر سلالته من الآلهة،
 أو خيول لاؤميدون الرائعة، التي ترعرعت في هذا المكان^(**).
- وما أن أنهى نيبستور بن نيلوس حديثه حتى أسرع
 بالجلوس في مكانه، بعد أن أفضى لابنه بخلاصة كل شيء. ٣٥٠
 أما الخامس فكان ميريونيس الذي أعد خيوله ذات العرف الجميل.
 وعندئذ صعدوا إلى عرباتهم، وضربوا القرعة وهز أخيلوس
 الخوذة (التي بها شقافات القرعة)، فقفزت من بينها شقافة ابن نيبستور،
 أنتيلوخوس؛ ومن بعده وقعت القرعة على يوميلوس السيد؛
 ومن خلفه ابن أتريوس، مينيلأوس ذائع الصيت برمحه. ٣٥٥
 ومن بعده وقعت القرعة على ميريونيس بدوره في السباق،
 وفي النهاية جاء دور ابن تيديوس، وهو الأقوى بكثير، للمشاركة في
 السباق بعربته. وعندئذ وقفوا جميعاً جنباً إلى جنب في صف واحد، وقد
 بين لهم أخيلوس نقطة النهاية والاستدارة. على مبعدة في الساحة
 الممهدة؛ وبجوارها وضع من يراقب السباق وهو فوينيكس،
 شبيه الآلهة، وتابع والده، حتى يقرر الحقيقة. ٣٦٠
- لوح الجميع بسياطهم عالياً للخيول،
 ثم ضربوها باللجام، منادين عليها بصيحة عالية لتحميسها،
 فانطلقت مسرعة، عبر الوادي،
 بعيداً عن السفن، فتصاعدت الأتربة ووقفت تحت صدورها. ٣٦٥
 فيما يشبه السحابة أو العاصفة،
 كما تماوجت بشدة خصلات عرفها، بفعل الرياح.
 أحياناً كانت العربات تتحرك على الأرض الخصبة،

(*) كان للحصان آريون في الأساطير الإغريقية صوت إنسان، وهو الذي حمل أدراستوس آمناً من ساحة الوغي،
 راجع Pausanias IV 291. (المحرر)

(**) قارن وصف سباق العربات في مسرحية "إليكترا" لسوفوكليس آيات ٧٠٩ وما يليه. (المحرر)

- وأحياناً أخرى كانت تندفع حتى كادت تسبح في الهواء. أما سائقوها
 ٣٧٠ فقد ظلوا واقفين في عرباتهم، يخفق قلب كل واحد منهم بشدة؛
 رغبة في الفوز؛ ولذلك كان كل واحد منهم يصيح عاليًا محفزًا خيوله
 فتقفز عاليًا في المضمار مثيرة عاصفة من التراب.
 وعندما في النهاية دارت الخيول السريعة دورتها الأخيرة،
 وارتدت عائدة صوب البحر الهائج، عندئذ ظهرت مهارة كل منهم،
 ٣٧٥ وبدأت الخيول في الركض بأقصى سرعتها، وفي التو
 تقدمت خيول (يوميلوس) سليل فيريس السريعة،
 ثم تبعتها خيول ديوميديس التي رباها طروس، كاملة الذكورة،
 ولم تكن بعيدة عنها بمسافة كبيرة، ولكنها كانت على مقربة منها،
 كما لو كانت على وشك أن تتخطى العربة التي تسبقها،
 ٣٨٠ حتى إن حرارة صهيلها كانت تلهب مؤخرة يوميلوس وكتفيه
 العريضين من الخلف؛ فقد كانت تقفز ورءوسها ملاصقة له،
 وكادت تتخطاه، أو تجعل فوزه غير مؤكد. لولا أن الإله
 أبوللون (فوييوس) الوضاء كان غاضباً من (ديوميديس) بن تيديوس،
 فأسقط السوط اللامع من بين يديه.
 ٣٨٥ عندئذ تساقطت الدموع من عيني (ديوميديس) من شدة تأثره،
 فقد رأى الخيول الأخرى تتقدم للأمام بسرعة مبتعدة عنه،
 بينما تتخلف خيوله؛ حيث كانت تتباطأ بلا مهماز.
 بيد أنه لم يفت أثينة خداع أبوللون
 لابن تيديوس، فأسرعت تعدو خلف راعي الشعب،
 ٣٩٠ وأعدت إليه السوط، بل وبنث الحماس في خيوله،
 ثم صبت جام غضبها على (يوميلوس) بن أدميتوس،
 فحطمت الإلهة نير الخيول؛ وعندئذ فرت الخيول بعيداً عن المضمار
 هنا وهناك، حتى تحطم محور العربة وسقط على الأرض.
 أما هو نفسه (يوميلوس) فقد سقط بعيداً عن العربة، بالقرب من

- ٣٩٥ عجلاتها. وقد تمزق جلد مرفقه وفمه وأنفه كاملا،
كما شجت جبهته من فوق حاجبيه؛ فأغرورقت عيناه
بالدموع، كما احتبس صوته الرنان. انحرف عندئذ ابن تيديوس
بعربته قليلا حتى أحكم سيطرته على خيوله ذات الحافر الواحد،
وتقدم للأمام متخطيا الآخرين. فقد ألهبت أثينة
الحماس في خيوله؛ أما هو فمُنحته المجد.
- ٤٠٠ ومن خلفه كان ابن أتريوس، مينيلائوس الأشقر.
وعندئذ صرخ أنتيلوخوس في خيول والده قائلاً:
"تقدما أنتما أيضا إلى الأمام بأقصى سرعة،
فأنا لا أطلب منكما التنافس مع
خيول ابن تيديوس البارِع، فقد منحتها أثينة
السرعة كما منحته المجد، فلتلحقا إذن بخيول
ابن أتريوس بسرعة، ولا تتركاها تفلت منكما
حتى لا تصب عليكم أيثى كل اللوم
وهي ليست إلا مُهرة. لماذا سبقكما الآخرون وأنتما الأفضل؟
وسوف أصارحكما القول بما سيحدث لكما بعدئذ،
فلن يوليكما نيستور راعي الشعوب عنايته،
وسوف يقتلكما في الحال بسيفه البرونزي البتار،
إذا حصلنا على جائزة أدنى مرتبة، بسبب تقصيركما،
فإلى الأمام إذن ولتندفعا بأقصى سرعة لتلحقا بهم،
وسوف أتدبر بنفسى ذلك الأمر، وسأمعن النظر
في اجتياز ذلك الممر الضيق لنسبق الآخرين، ولن أغفل عن ذلك أبداً"
هكذا تحدث، فارتعدت فرائصها خوفا من توبيخ مليكها
وزادت من سرعتها لبعض الوقت، وعندئذ
شاهد أنتيلوخوس الباسل في القتال موضعاً ضيقاً في الممر المحفور

٤٢٠ وهو شرخ فى الأرض كانت مياه الأمطار الشتوية تتجمع فيه، مما أدى إلى تحطم جزء من الطريق، حيث هبطت هذه البقعة بأكملها. أسرع مينيلأوس فى ذلك المكان محاولاً تفادى تصادم العربات. أما أنتيلوخوس فقد انحرف قليلاً مبتعداً عن الطريق محكماً سيطرته على خيوله ذات الحافر الواحد، ثم عاد مرة أخرى إلى الطريق بعربته وأخذ يلاحق (مينيلأوس) حتى سارا جنباً إلى جنب.

٤٢٥ وعندئذ ارتعدت فرائص ابن أتريوس، وصاح فى أنتيلوخوس قائلاً:

"أى أنتيلوخوس، إنك تقود الخيول بتهور، وينبغى أن تشكم خيولك فى الحال لأن الممر ضيق؛ ويمكنك التخطى بعد ذلك حيث سيكون الطريق أكثر اتساعاً، فربما نتعرض كلانا للإصابة نتيجة التصادم بعربتى".

٤٣٠ هكذا تحدث إليه، أما أنتيلوخوس فقد استمر فى القيادة بأقصى سرعة، دافعاً الخيول بالمهماز، وكأنه لا يسمع شيئاً. ومثلما يطير القرص، الذى يُقذفه من أعلى الكتف شاب يختبر قوته، هكذا كانت قوة اندفاع خيوله، مما أدى إلى تخلف خيول ابن أتريوس، فقد توقف هو نفسه وبقصد عن دفعها

٤٣٥ خوفاً من أن تتصادم بالخيول ذات الحافر الواحد فى الممر، مما قد يؤدي إلى انقلاب العربتين المزركشتين، ويقع صاحباها على التراب بسبب جموح الرغبة فى الفوز. وعندئذ وبخه مينيلأوس الأشقر، قائلاً:

٤٤٠ "أنتيلوخوس، لا يوجد بين البشر من هو أسوأ منك. أغرب عن وجهى إذن! لقد كنا نحن الأخيين حمقى حين زعمنا أنك حكيم، ولكنك لن تنال الجائزة دون قسم(*)".

(*) فى أبيات ٥٨١ - ٥٨٥ يطلب مينيلأوس من أنتيلوخوس القسم بأنه لم يكن بيت مكيدة ما أو شرراً أثناء السباق. (المحرر)

قال له ذلك، ثم صاح فى خيوله قائلاً:

"لا تبطنوا فى سرعتكم، إياكم أن تتوقفوا برغم حزنكم، فسوف
تلحق بالحصانين الآخرين عندما تصاب أرجلها ومفاصلهما بالإجهاد
والتعب أكثر مما يصيبكم، فقد أصابتهما الشبخوخة".

٤٤٥

قال ذلك، فارتعدت فرائصها خوفاً من صياح مليكها،
وزادت من سرعتها، وبعد فترة وجيزة لحقت بالأخرى.

فى تلك الأثناء، كان الأرجيون الجالسون فى مكان السباق
يحملقون فى الخيول وهى تركض فى غمار عاصفة من التراب.

٤٥٠

وكان إيدومينيوس، قائد الكريتيين، أول من يتعرف على تلك
الخيول؛ فقد كان يجلس بعيداً فى مكان مرتفع يطل على المنطقة
بأسرها، وعندما سمع صوت الصائح. وعلى الرغم من بعد المسافة،
إلا أنه تعرف عليه، وأدرك بوضوح ذلك الحصان الذى تجاوز الجميع.

٤٥٥

كستنائى اللون، فى جبهته علامة بيضاء مستديرة كالبدر.
وعندئذ نهض واقفاً وتوجه بحديثه للأرجيين قائلاً:

"أيها الأعداء، ياسادة الأرجيين وقادتهم،

هل أرى وحدى تلك الخيول، أم أنكم ترونها أيضاً؟

خيول أخرى تبدو لى فى المقدمة، وسائق آخر أيضاً

٤٦٠

هو الذى يظهر الآن، وتلك الخيول التى كانت فى المقدمة
قد أصيبت وتخلفت فى المضمار، بعد أن كانت هى الأفضل.
لقد شاهدتها فى المركز الأول وهى تستدير حول نقطة النهاية.

أما الآن فلا أستطيع أن أراها هناك. تدور عيناي

فى كل مكان من الوادى لتراها؛

٤٦٥

فربما سقط اللجام من يدي سائقها، ولم يستطع أن يتشبث به
جيدا عند استدارته حول نقطة النهاية فلم يفلح فى الدوران.
وأظنه قد سقط فى هذا المكان، بل وتحطمت عربته أيضاً.

أما الخيول فقد انحرقت عن المضمار من شدة ذعرها.
ولكن قفوا جميعا ولتنتظروا أنتم، فأنا لم أعد
أميز جيدا ما أراه، يبدو أنه أيتولى السلالة، وهو ملك الأرجيين الآن،
٤٧٠ إنه ديوميديس القوى، ابن تيديوس مروض الخيول".

عندئذ عنفه أياس السريع ابن أويليوس بشدة قائلاً:
"أى إيدومينيوس، لماذا تتحدث كثيرا، وبتعجل؟ فتلك الخيول
السريعة مازالت هناك بعيداً، تركض في الوادى الفسيح،
٤٧٥ فلا أنت أصغر الأرجيين سناً، ولا أحدهم بصراً،
إنك تثرثر دائما بصوت عال، غير أنه لا يليق بك أن تكون ثرثارا،
عالي الصوت، فهناك من هم أفضل منك. أما بالنسبة

للخيول فمازالت في المقدمة، تلك التى كانت في المقدمة من قبل،
٤٨٠ وهى خيول يوميلوس، الذى يقف فى عربته ممسكا بلجامها".

فرد عليه قائد الكريتيين، وقد استبد به الغضب، قائلاً:

"أى أياس، الأبرع فى الإهانات، الأحمق فى الرأى،
والأسوأ فى كل شىء بين الأرجيين، ولك عقل عنيد.

٤٨٥ هيا إذن نراهن على موقد ثلاثى الأرجل أو مرجل،
ولنحتكم لدى ابن أتريوس، أجامنون، على
أى الخيول سيكون فى المقدمة، وستعلم بعد أن تدفع الرهان".

قال ذلك، وعندئذ نهض فى الحال أياس السريع، ابن أويليوس،
غاضبا ليرد عليه بكلمات حادة لازعة ؛

٤٩٠ وكاد الشجار بينهما أن يستمر
لولا تدخل أخيليوس بنفسه بينهما إذ قال:

"لم يعد هناك مجال بعد ذلك لتبادل الكلمات اللاذعة
والبذيئة، أى أياس وإيدومينيوس، كما أنه لا يليق بكما ذلك،
بل وكان الأجدر بكما أن تغضبا من أى شخص يفعل ذلك.

- ٤٩٥ فلتشاهدا معا تلك الخيول التي في المضمار، وأنتما جالسان؛
بينما ستسرع هي بالحضور ساعية للفوز،
وعندئذ سيتعرف كل منكما على خيول
الأرجيين، وأى منها في المرتبة الثانية، وأى منها في المقدمة"
هكذا تحدث. أما ابن تيديوس فقد استمر في تقدمه،
٥٠٠ وفي اقترابه منهم؛ حيث كان يقود عربته ضاربا خيوله
بالسوط بلا انقطاع، فكانت تقفز عاليا ناهية الطريق بأقصى سرعتها.
بينما تنهال ذرات التراب الكثيفة دائما على سائق العربة. أما عربته،
المكسوة بالذهب والقصدير، فكانت تتدفع خلف الخيول سريعة الأقدام،
٥٠٥ حتى إن إطارات العجلات لم تكن تترك علامات في التراب.
وفي النهاية توقف في منتصف الدائرة، وقد تساقط العرق
الغزير على الأرض من رقاب الخيول وصدورها،
ثم قفز من العربة اللامعة على الأرض،
٥١٠ وأسند سوطه فوق النير. وعندئذ لم يتوان
سثينيلوس القوي، ولكنه أسرع للحصول على الجائزة،
وسلم لرفاقه النبلاء المرأة ليأخذوها معهم، وكذا الإناء
ثلاثي الأرجل، ذي المقبضين. ثم قام بفك الخيول من نير العربة.
ومن بعده وصل أنتيلوخوس سليل نيلبوس وهو يقود خيوله،
٥١٥ بعدما تخطى مينيلاؤس بالخدعة وليس بالسرعة.
بيد أن مينيلاؤس قاد خيوله المسرعة خلفه مباشرة.
على مسافة كتلك التي بين الجواد والعربة التي يجرها،
الجواد الذي يجر العربة بصاحبها عبر الوادي فيركض ركضاً
حيث تكاد أطراف شعر ذيل الجواد أن تلامس العجلة؛
٥٢٠ لأن العجلة كانت تجرى خلفها مباشرة
ولم يترك سوى مسافة ضئيلة. وهكذا كان مينيلاؤس
خلف أنتيلوخوس الذي لا نظير له.

- ففي البداية كان يبتعد عنه بمسافة تعادل رمية قرص،
غير أنه استطاع اللحاق به بعد ذلك بسرعة، بعدما ألهب حماس
٥٢٥ آيثي، فرسة أجامنتون، ذات العرف الجميل.
ولو طال السباق بينهما قليلاً لكان من المؤكد
أن يسبقه مينيلأوس ولما ترك النتيجة غير حاسمة.
ولكن ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
جاء بعد مينيلأوس، ذائع الصيت، بمسافة تعادل رمية رمح.
٥٣٠ فقد كانت خيوله، ذات العرف الجميل، هي الأبطأ؛
وكان ميريونيس نفسه الأقل مهارة في قيادة العربة في السباق.
وفي النهاية وصل ابن أدميتوس، متخلفاً عن الآخرين،
وكان يجر عربته الجميلة، ويقود خيوله أمامه.
وعندما رآه أخيليوس الإلهي، سريع القدمين، أشفق عليه،
٥٣٥ فقام يخطب في الأرجيين، بكلمات مجنحة قائلاً:
"لقد قاد أفضل الرجال خيوله ذات الحافر الواحد، وكان ترتيبه
الأخير؛ فهيا إذن، ولنقدم له جائزة تتناسب مع مهارته،
وهي جائزة المرتبة الثانية. أما الأولى فليحصل عليها ابن تيديوس".
قال ذلك، فأبدى الجميع موافقتهم على ما عرضه عليهم،
٥٤٠ وكادوا أن يقدموا له الحصان، حيث وافق الآخيون على ذلك
فيما عدا أنتيلوخوس بن نيستور، سامي الروح،
الذي نهض ورد على أخيليوس بن بيليوس مطالباً بحقه قائلاً:
"أى أخيليوس، سأغضب منك بشدة إذا ما نفذت
كلمتك هذه، لأنك ستنتزع بذلك الجائزة مني،
٥٤٥ زاعماً أن الأذى قد أصاب عربته وحصانيه السريعين،
بينما هو نفسه شخص متميز؛ ولكن كان ينبغي عليه أن يضرع
للآلهة الخالدين، عندئذ ما كان آخر من وصل في السباق.

- أما إذا أشفقت عليه، وكان عزيزاً على قلبك،
فبداخل خيمتك الكثير من الذهب والكثير من البرونز،
والأغنام؛ لديك أيضاً السبايا والخيول ذات الحافر الممتين،
وما عليك إلا أن تأخذ من بين كل ذلك جائزة كبرى وتمنحه إياها
الآن وفي التو، وسوف يوافقك الآخيون على ذلك.
أما جائزتي هذه فلن أعطيها لك؛ ودعه يلمسها من يرغب
في منازلتي بالقتال"
- ٥٥٠
- قال ذلك، فابتسم أخيليوس الإلهي، سريع القدمين،
مسروراً بأنتيلوخوس، رفيقه العزيز، ثم رد بكلمات مجنحة قائلاً:
"أى أنتيلوخوس، أما وقد طلبت منى أن أمنح من
منزلي هدية أخرى ليوميلوس، فسوف أفعل،
وسأقدم له درع الصدر الذي انتزعتَه من أستيروبايوس،
وهو مصنوع من البرونز، ومقوى من حافته
بقصدير لامع. وسيكون بالنسبة له ذا قيمة كبيرة"
- ٥٦٠
- قال ذلك، ثم طلب من رفيقه العزيز أوتوميدون
أن يأتي بالدرع من خيمته، فأسرع وأحضره،
ثم وضعه بين يدي يوميلوس، فتقبله بفرح شديد.
- ٥٦٥
- وعندئذ نهض مينيلاؤس من بينهم حزينا،
وهو في شدة الغضب من أنتيلوخوس؛ وقد وضع
الخادم الصولجان في يده، ثم طلب من الأرجيين الصمت.
حينئذ خاطبهم ذلك الرجل، شبيه الآلهة، قائلاً:
- ٥٧٠
- "أى أنتيلوخوس، يامن كنت معروفاً من قبل بفطنتك، ما هذا
الذي فعلت! لقد أسأت إلى سمعتي ومهارتي، كما أسأت إلى خيولي
عندما دفعت أمامها بخيولك التي كانت الأسوأ منها بكثير.
ولكن هيا إذن، بإقادة الأرجيين وسادتهم،

- ولتحكموا بيننا بالعدل، دون أدنى تحيز لأى منا نحن الاثنين،
 ٥٧٥ حتى لا يقول أحد من الأخيين، لابسى البرونز فيما بعد:
 لقد فاز مينيلأوس بأكاذيبه على أنتيلوخوس،
 وغادر بعد أن حصل منه على الحصان، لأن خيول (مينيلأوس) كانت
 الأسوأ بكثير، أما هو نفسه فهو الأفضل دائما فى المهارة وفى القوة.
 ولكن دعونى، أنا بنفسى أعلن الحكم الصحيح، وأنا على يقين
 ٥٨٠ أنه لن يعارضنى أحد من الدانائيين، لأن حكمى سيكون حكما عادلا،
 تعال هنا إذن، أى أنتيلوخوس، ياربيب زيوس - كما جرت العادة،
 ولتقف أمام خيولك وعربتك، ثم أمسك فى يدك بهذا السوط
 اللدن، الذى كنت تستخدمه من قبل فى قيادة عربتك،
 ثم وأنت تلامس خيولك بيديك، أقسم بمن يمسك بالأرض
 ٥٨٥ ويزلزلها، بأنك لم تعتمد إلى تعطيل عربتى بالخداع".
 وعندئذ أجابه المعروف بفطنته قائلاً:
 'فلتوقف الآن. فأنا أصغر منك سناً،
 أيها الملك مينيلأوس، أما أنت فأكبر سناً وأكثر تفوقاً؛
 ولكنك على دراية تامة بطبيعة التجاوزات التى يقدم عليها أى شاب،
 ٥٩٠ فهو متعجل فى تفكيره، ضيق الأفق فى إدراكه .
 ولذا فليكن قلبك صبوراً؛ أما تلك المهرة التى فزت بها
 سأقدمها لك بنفسى، بل وإن رغبت
 فى شىء أكبر من ذلك من مقتنياتى، فسوف أقدمها لك فى الحال.
 وإلا، ياربيب زيوس، فلتخرجنى من قلبك
 ٥٩٥ على الدوام، فأصبح عاصياً للآلهة".

قال ذلك، ثم توجه ابن نيسطور، سامى الروح، بالمهرة
 ووضعها بين يدي مينيلأوس، فانفض قلبه -
 مثلما يحدث عندما تتساقط قطرات الندى على بذور القمح،

- وهي تنمو، فشقت الأرض ببطء وربت وامتلت الحقول بالحفيف.
- ٦٠٠ هكذا كان حالك يا مينيلائوس، فقد انتفض قلبك سروراً في صدرك.
وعندئذ خاطبه (مينيلائوس) بكلمات مجنحة، وقال:
- "أى أنتيلوخوس، الآن فقط سوف أكبر جراح
غضبي، لأنك لم تكن من قبل طائشاً أو متهوراً،
أما الآن فقد تغلبت رعونة الشباب على راحة عقلك،
٦٠٥ عليك أن تتحاشى خداع أولئك الأفضل منك ثانية،
ولم يكن ليثيني أى شخص آخر من الأخيين عن رأى بهذه السرعة.
ولكنك قد عانيت أنت أيضاً كثيراً، كما أجهدت نفسك كثيراً
من أجلى^(*)، أنت ووالدك الطيب، وأخوك^(**).
ولذلك فسوف أقبل رجاءك، وأقدم لك
٦١٠ تلك المهرة، على الرغم من أنها قد أصبحت لى،
حتى يدرك هؤلاء القوم أنى لست متعجرفاً، أو متبلد الحس".
- قال ذلك، ثم قدم لنوئيمون رفيق أنتيلوخوس
المهرة ليقتادها، ثم احتفظ لنفسه بالمرجل اللامع.
أما ميريونيس فقد فاز بتالنتين ذهبيين، حيث وصل فى
المرتبة الرابعة. أما الجائزة الخامسة فلم يحصل عليها
٦١٥ أحد، وهى كأس ذو مقبضين وهنا حمله أخيلئوس
وسط جموع الأرجيين، ثم اقترب من نيستور، وأهداه إليه قائلاً:
"الآن هو لك، أيها الشيخ الكبير، فلتحتفظ به
تذكراً من دفن ياتروكلوس، لأنك لن
٦٢٠ تراه بعد الآن بين الأرجيين، ولذلك فأنا أمنحك هذه الجائزة،
وأيضاً لأنك لن تشارك فى الملاكمة، ولا المصارعة،
كما أنك لن تشارك فى منافسات الرمي بالرمح، أو الجرى بالأقدام

(*) يعنى بمجئهم إلى طروادة لاسترداد هيلنى. (الحرر)

(**) يعنى ثراسيميديس. (الحرر)

فقد أثقلت كاهلك الشيخوخة"

قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، أما هو فقد قبله فرحاً،

٦٢٥

ثم خاطب (أخيليوس) بكلمات مجنحة، قائلاً:

"حقاً، يا بنى. إنك على صواب فى كل ما قلت،

فلم تعد لى، يا عزيزى، أطراف قوية، أى القدمان، ولم يعد

الذراعان يتحركان بخفة من الكتفين فى هذا الاتجاه أو ذاك.

ليتنى كنت شاباً، أو أملك تلك القوة الجبارة،

٦٣٠

التي كانت لى عندما وارى الإيبيون ملكهم أمارينكيوس التراب

فى بوبراسيون. وقد رصد أبناء الملك العديد من الجوائز.

فى ذلك الحين لم يكن هناك من يماثلنى من الرجال، لا من الإيبين،

أو من أهل بيلوس أنفسهم، أو من الأيتوليين الطيبين.

ففى الملاكمة تغلبت على كلينوميديس بن إنوبس؛ وفى المصارعة على

٦٣٥

أنكايوس من بليورون (فى أيتوليا) الذى واجهنى.

أما فى الجرى فقد تخطيت إفيكلوس الذى كان سريعاً،

وفى رمى الرمح تفوقت على فيليوس، وأيضاً على بولييدوروس.

ولكن فقط فى سباق العربات تخطانى ابنا أكتور، حيث بفضل كثرة

عددهم^(*)، دفعوا خيولهم إلى الأمام وقد ركبهم الطمع فى الفوز.

٦٤٠

حيث خصصت الجوائز الكبرى لهذا السباق.

كانا توأمًا يقود أحدهما الخيول بثبات،

أما الآخر فكان يأمرها بالإسراع مستخدماً السوط.

هكذا كنت ذات يوم. أما الآن فليواجه الأصغر سنًا مثل هذه الأعمال.

وبالنسبة لى فيجب على الإذعان لشيخوختى الثقيلة.

(*) واجه الشراح مشكلات جمة فى تفسير هذه الفقرة. ويقول فقيه الإسكندرية أريستارخوس إن ابنى أكتور

استغلا طبيعة شكلهما الحلقية المركبة، إذ كان لهما جسد برأسين وأربعة أذرع وأربعة أرجل. وتم تجاهل

اعتراض نيستور فى السباق على ذلك، وبعض الشراح الآخرين يقدمون تفسيرات أخرى منها:

١- أن ابنى أكتور أدخلوا إلى المضمار أكثر من عربة فعضلا طريق المتسابقين الآخرين.

٢- أن غالبية المحكمين انحازوا لهما منذ البداية. (المحرر)

- ٦٤٥ مع أننى كنت فى الأيام الخوالى مرموقاً بين الأبطال.
أما أنت، فاذهب الآن و كرمْ مثنوى صديقك بإقامة المسابقات الرياضية.
وأقبل هذا الكأس بكل ترحاب، فمما يسعد قلبى
أنك دائماً ما تتذكرنى بمودة. ولم تنس
أن تقدم لى التكريم الذى يتناسب مع مكانتى بين الأخيين،
ولتكافئك الآلهة فى مقابل ذلك بما يرضى قلبك"
- ٦٥٠ وعندما انتهى من حديثه غادر ابن بيليوس المكان عبر جموع
الأخيين، بعدما استمع إلى ذلك المديح من (نيستور) بن نيلیوس.
وعندئذ عرض جوائز مسابقة الملائمة المؤلمة:
فأحضر بغلاً قوياً، ثم قبده فى مكان الحشد، له من العمر ست سنوات،
لم يتم ترويضه بعد؛ حيث كان من العناد بما يصعب
ترويضه. ثم حدد للمهزوم كأساً ذا مقبضين.
وعندئذ وقف (أخيلیوس) وخاطب الأرجيين قائلاً:
"يا ابن أتریوس، وكل الأخيين الآخرين المسلحين جيداً بالدروع
فانطلب من رجلين من أفضل رجالنا
أن يرفعا أيديهما ويتلاكما. ولمن سيمنحه أبوللون
قوة تحمل كبيرة، وهو ما يشهد به كل الأخيين،
فليقتاد هذا البغل القوى ويعود به إلى خيمته.
أما المهزوم فسوف يحمل معه ذلك الكأس ذا المقبضين".
- ٦٦٠ وعندما انتهى من حديثه، نهض رجل قوى، ضخم البنيان،
على دراية تامة بالملائمة، وهو إبيوس بن بانوبيوس،
ووضع يده على البغل القوى، ثم قال:
"فليقترب إذن ذلك الذى سيفوز بجائزة الكأس ذا المقبضين.
وأما البغل فلن يحصل عليه شخص غيرى من الأخيين،
بعد الفوز فى مسابقة الملائمة. فأنا أباهى بأنى الأفضل فيها.

- ٦٧٠ ألا يكفي أنى أقل كفاءة فى القتال؟ وبالطبع لا يمكن
لامرئ أن يتفوق فى كل ما يقوم به من أعمال.
سأشرح لكم بوضوح كيف ستسير الأمور:
سأمزق لحم غريمى وأسحق عظامه،
ولينتظره هنا كل رفاقه المقربون مجتمعين،
ليحملوه مقهورا بهاتين القبضتين".
- ٦٧٥ هكذا تحدث، بينما لاز الجميع بالصمت،
وعندئذ نهض لمواجهته يوريالوس، شبيه الآلهة،
ابن الملك ميكيستيوس بن تالاؤس،
الذى ذهب ذات مرة إلى مدينة طيبة عند مواراة أويديبوس (أوديب)
فى قبره. وتغلب فى ذلك الحين على كل أبناء كادموس. وقد أبدى
٦٨٠ (ديوميديس) ابن تيديوس، ذائع الصيت فى استخدام الرمح، تأييده له،
وبث فى نفسه كلمات حماسية، مع أطيب تمنياته له بالفوز.
فى البداية ألبسه حزاما، ثم قدم له بعد ذلك سيورا جميلة
القطع من جلد ذلك البقر الذى يعيش فى المزرعة. وبعد أن ارتدى
كل منهما حزامه، تقدما معا إلى منتصف ساحة المباراة.
٦٨٥ وفى وقت واحد، رفع كل منهما يديه القويتين فى مواجهة الآخر،
ثم اندفع كل منهما نحو منافسه، وتشابكت أيديهما القوية، ثم تلاحقت
الضربات القوية على فكيهما، ودوى اصطكاك الأسنان، وتساقط العرق
الغزير من جسديهما فى كل مكان. وعندئذ تحمس إيبوس الإلهى
٦٩٠ ثم لكمه فى فكه بقوة، زاغت عيناه، ولم يستطع الوقوف على قدميه
لمدة طويلة، فقد تفككت مفاصل قدميه المجيدة وخر
على الأرض، كالسمة التى تقفز عاليا مع الرياح الشمالية (بورياس)
صوب الشاطئ الممتلىء بالطحالب البحرية، فتغطيها موجة قاتمة.
هكذا قفز (يوريالوس) عاليا عندما لكمه، غير أن إيبوس، ذو
٦٩٥ القلب الكبير، أمسكه بيديه، ثم أوقفه على قدميه، وعندئذ التف حوله

- رفاقه الأعزاء، ثم حملوه بعيداً عن الساحة التي يحتشدون حولها،
 بقدميه المتناقلتين على الأرض،
 وقد نرف دماً غزيراً، أما رأسه فكانت تميل في هذا الاتجاه وذاك.
 وبعد أن حملوه، ثم أجلسوه وسطهم، فاقدوا وعيه،
 أسرعوا بإحضار الكأس ذا المقبضين التي فاز بها.
- ٧٠٠ وبعد ذلك عرض ابن بيليوس بسرعة جوائز أخرى للمسابقة
 الثالثة، وهي خاصة بالمصارعة المنهكة، وأظهرها للدانائيين:
 يحصل الفائز على وعاء ثلاثي الأرجل يوضع فوق النيران،
 يُقدر الآخيون قيمته فيما بينهم باثني عشر ثوراً.
 أما المهزوم فقد وضع له امرأة في وسط المكان، وهي على دراية
 تامة بالعديد من الأعمال اليدوية الدقيقة، وتقدر قيمتها بأربعة ثيران.
- ٧٠٥ وبعد ذلك وقف (أخيلئوس) ليخاطب الأرجيين قائلاً:
 "فلينهض كل من يرغب منكم في المشاركة في هذه المباراة".
 قال ذلك، فنهض أياس العظيم بن تيلامون،
 ثم تبعه أوديسيوس، كثير الدهاء، والخبير بكل ألوان الحيل.
 وبعد أن ارتديا حزاميهما، تقدما إلى منتصف ساحة المباراة،
 ثم أمسك كل منهما بالآخر، وتشابكت أيديهما القوية،
 كالعوارض الخشبية المائلة التي يقوم بربطها أحد الفنيين ذائع الصيت،
 في سقف المنزل الشاهق، كي يستطيع مقاومة الرياح العاتية.
 فارتفع صرير ظهورهم من قوة يديهما، حيث
 ضغط كل منهما على الآخر بشدة، ففاض العرق أنهاراً،
 وبدأت آثار الضربات تظهر على الأجانب وفوق الأكتاف
 بلون الدم الأحمر. بيد أنهما استمرتا في النزال
 رغبة منهما في الفوز بالوعاء ثلاثي الأرجل جيد الصنع.
 ورغم ذلك فلم يستطع أوديسيوس أن يلقي به أو أن يطرحه أرضاً،

٧٢٠ كما لم يستطع أياس أيضا، فأوديسيوس القوى يمتلك قوة هائلة. ولكن عندما تسرب نفاذ الصبر إلى الأخيين، المسلحين بدروع جيدة، حينئذ خاطبه أياس العظيم، بن تيلامون، قائلاً:

"ياربيب زيوس، يا ابن لائيرتيس، أوديسيوس واسع الحيلة، إما أن ترفعني لأعلى، وإما أن أرفعك أنا، وكل الأمور ستعود لإرادة زيوس"

٧٢٥ قال ذلك، ثم حاول أن يحمله لأعلى، غير أن أوديسيوس لم ينس حيله، وضربه في التجويف خلف ركبته، فنجح في ذلك واختل توازن (أياس) فسقط على ظهره؛ وجثم أوديسيوس على صدره. وكان أفراد الجيش في ذلك الحين ينظرون إليه بإعجاب وتقدير شديدين، ثم حاول أوديسيوس الإلهي، قوى التحمل، أن يرفعه إلى أعلى بدوره،

٧٣٠ ورفع قليلاً عن الأرض ولكنه لم يستطع رفعه تماماً، والتفت ركبته بركبة أياس، وعندئذ سقطا معا على الأرض، كل منهما بجوار الآخر، يغمرهما التراب، ثم حاولا النهوض مرة ثالثة لمواصلة النزال، لو لم يمنعهما أخيليوس بنفسه قائلاً:

٧٣٥ "لا تتصارعا أكثر من ذلك، ولا تهلكا نفسيكما، فالنصر حليفكما معاً، وسوف تحصلان على جائزتين متساويتين، انصرفا إذن، وليتنافس رجال آخرون من الأخيين".

هكذا قال، فاستمعا لقوله وأطاعا أمره،

فأزال كل منهما التراب عن جسده، ثم ارتديا عباؤتيهما.

٧٤٠ بعد ذلك عرض ابن بيليوس جوائز أخرى لمسابقة سرعة الجري، وهي وعاء من الفضة لمزج النبيذ بالماء، فخم في زخرفته، ويتسع لستة معايير، وعاء ليس له مثل في كل أرجاء الأرض من حيث الجمال،

- فقد صنعه أهل صيدا^(*) المهرة بدقة فائقة،
ثم حمله الفينيقيون معهم عبر البحر المظلم بالسحب الكثيفة،
وبمجرد أن وصلوا إلى الميناء، قاموا بإهدائه إلى ثواس،
٧٤٥ ثم منحه بعد ذلك إيونيوس بن ياسون (حفيد ثواس)
للبطل باتروكلوس فدية ليكاون بن برياموس.
والآن رصده أخيليوس جائزة لتكريم صديقه،
للأكثر خفة والأكثر سرعة في الجرى بقدميه.
٧٥٠ وللفائز الثاني عرض ثورا ضخما ممتلئا بالشحم.
أما الفائز الأخير فقد وضع له نصف تالنت من الذهب.
وعندئذ شب (أخيليوس) واقفا، ليخاطب الأرجيين قائلاً:
"فلتتهضوا، يامن ترغبون في المشاركة في هذا السياق".
قال ذلك، فنهض في الحال ابن أويليوس، أياس السريع،
ثم تبعه أوديسيوس، واسع الحيلة؛ ثم ابن نيستور،
٧٥٥ أنتيلوخوس؛ فقد تفوق من قبل على كل الشباب في الجرى بقدميه.
وقف الجميع على خط واحد، وقد بيّن لهم أخيليوس نقطة
النهاية والاستدارة. وحدد لهم طريق العودة منها، فلما انطلقوا
بعد برهة أصبح ابن أويليوس في المقدمة بسرعة، وقد تبعه أوديسيوس
الإلهي، وأصبح على مقربة منه، كاقتراب عصا الغزل من
٧٦٠ صدر امرأة ذات حزام جميل، عندما تمسكها جيدا بيدها وهي تشد
خيط الغزل عبر السداة ببراعة،
تمسك العصا على مقربة من صدرها. هكذا كان أوديسيوس يعدو في
إثره؛ حتى إنه قد وطأ بقدميه آثار قدميه، قبل أن يغطيها الغبار المثار،
بل ودائما ما كان أوديسيوس الإلهي ينفث أنفاسه فوق رأسه،
٧٦٥

(*) من الواضح أن الفينيقيين قد انتشروا في البحر المتوسط كله بما في ذلك بحر إيجه، وعرف عبر تلك المناطق أن أهل صيدا هم أمهر الصناع وأبرعهم.. واشتهرت أعمالهم. ومن الملاحظ أن هوميروس في هذا السياق يميز مهارة أهل صيدا الصناعية عن شهرة التجارة الفينيقية بصفة عامة، وراجع المقدمة. (المحرر)

وهو يسرع الخطى رغبة منه في الفوز. ولذلك صاح كل الآخيين بقوة لتشجيعه وحثه على الإسراع باذلاً أقصى جهده. ولكن عندما وصل المتسابقون إلى الجزء الأخير في السباق، توجه أوديسيوس في الحال بالدعاء من كل قلبه للإلهة أثينة، ذات العينين الزرقاوين وقال:

٧٧٠

"أيتها الإلهة، استجيبى لدعائى، وكونى خير معين لقدمى"

قال ذلك متضرعاً، فاستجابت له الإلهة أثينة باللاس، وبثت في أعضائه الخفة والرشاقة، من قدميه حتى أعلى ذراعيه. وبينما كانوا على وشك الانطلاق للحصول على الجائزة زلت قدما أياس وهو يجرى، وانكب على وجهه - فقد أعاقته الإلهة أثينة

٧٧٥

في ذلك المكان حيث تتأثر روث الثيران التي

ذبحها أخيلئوس سريع القدمين وهى تخور بشدة، من أجل بانثروكلوس. وبروث الثيران هذا امتلاً فم وأنف (أياس).

وهكذا حصل أوديسيوس الإلهى، كثير التحمل، على الوعاء

ورفعه عالياً؛ فقد وصل قبلهم جميعاً، أما أياس المجيد فقد حصل

٧٨٠

على الثور، وقد نهض ممسكاً بيديه قرن الثور ربيب الحقول،

باصفاً الروث من فمه وخاطب الأرجيين قائلاً:

"واحسرتاه، لقد عرقلت الإلهة قدمى، تلك التى كانت من قبل

وعلى الدوام بمثابة الأم لأوديسيوس، تسانده وتعينه".

قال ذلك، فضحك الجميع فى سرور.

٧٨٥

وحصل أنتيلوخوس مرة أخرى على جائزة المركز الأخير،

فابتسم، ثم تحدث إلى الأرجيين قائلاً:

"أيها الأعزاء، دعونى أخبركم بشيء أنتم جميعاً على دراية به،

فحتى الآن تبجل الآلهة الخالدة كبار السن من البشر؛ فأياس أكبر

منى سناً بقليل، أما هذا (أوديسيوس) فهو من الجيل السابق

٧٩٠ من البشر الأقدمين. إنه الكهل اليافع كما يقولون، ومن الصعب على
أى من الآخيين أن يجاربه في العدو بالقدمين، فيما عدا أخيليوس".

قال ذلك، ممجداً ابن بيليوس، سريع القدمين.

وعندئذ أجابه أخيليوس مخاطباً إياه بهذه الكلمات:

٧٩٥ "أى أنتيلوخوس، إن هذا المديح المستطاب لن يذهب سدى،
وسوف أزيدك نصف تالنت آخر من الذهب".

قال ذلك، ثم وضعه بين يديه، فتقبله فرحاً.

بعد ذلك أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل

ووضعه في مضمار السباق، كما أحضر درعاً وخوذة؛

٨٠٠ وهى أسلحة ساربيدون^(*) التى كان باتروكلوس قد غنمها منه،
ثم هب واقفاً وخاطب الأرجيين قائلاً:

"فلنستدعى محاربين من بينكم، على أن يكونا الأفضل،

لتسلحهما بأسلحتهما وبالبرونز الحاد قاطع اللحم،

وليتبارزا فيما بينهما أمام هذا الحشد الكبير،

٨٠٥ ومن يسبق منهما الآخر فى إصابة لحم الآخر الرقيق،

أو يلامس الأجزاء الداخلية، مخترقاً الدروع، ومسيلاً دماً داكناً،

فله سأقدم هذا السيف الطراقى الجميل،

المزخرف بالفضة، والذي انتزعته من أستيروبايوس.

أما تلك الأسلحة التى أمامكم فليتقاسمها الاثنان معاً،

٨١٠ كما سنجهد لهما وليمة طيبة فى خيامنا".

قال ذلك، فهض أياس العظيم، بن تيلامون،

كما نهض أيضاً ابن تيديوس، ديوميديس العتيد،

وبعد أن تسلح كل منهما على جانبى الحشد،

والتقيا فى منتصف الساحة، وهما يتلهفان للمبارزة،

(*) راجع الكتاب السادس عشر آيات ٦٦٣-٦٦٥. (المحرر)

- ٨١٥ يرمق كل منهما الآخر بنظرات حادة ؛ وغلبت الدهشة كافة الأخيين.
وعندما اقتربا وتقدم كل منهما إلى الآخر،
هاجم كل منهما الآخر ثلاث مرات، واصطدما ثلاث مرات،
عندئذ أصاب أياس درع (ديوميديس) شديد التوازن من كل جانب،
ولكنه لم يصل إلى جسده، فقد حماه واقى الصدر.
- ٨٢٠ أما ابن تيديوس فقد حاول مرارا أن يصل بحد حربته البراقة،
إلى عنقه فوق الدرع الكبير
فانتاب الأخيين شعور مريع بالخوف على أياس،
وطالبوهما بالتوقف عن النزال على أن ينالا جوائز متساوية.
ولكن البطل (أخيليوس) منح ابن تيديوس السيف الكبير
بغمده، كما منحه الحزام الجلدى الخاص به، والمصنوع بمهارة.
- ٨٢٥ بعد ذلك أحضر ابن بيليوس كتلة من الحديد الخام،
كان إئييتيون اعتاد أن يقذفها فيما مضى.
ولكن بعد أن قتله أخيليوس الإلهى، سريع القدمين،
حملها معه إلى سفينته، مع ممتلكاته الأخرى.
- ٨٣٠ وعندئذ هب (أخيليوس) واقفا، ثم خاطب الأرجيين قائلاً:
"فلتنهضوا يامن ترغبون فى المشاركة فى هذه المسابقة،
فمن كانت له حقول خصبة هناك بعيدا عن المدينة،
فستكون له كفايته من الحديد على مدار خمسة أعوام،
ولن تكون به حاجة إلى أن يذهب راعى أغنامه أو القائم على محراثه
إلى المدينة. فهذا الحديد يسد حاجته"
- ٨٣٥ فلما قال ذلك نهض بوليبيوتيس شديد البأس فى القتال، ثم
ليونتيوس القوى، شبيه الآلهة، ثم أياس بن تيلامون، ثم إبيوس الإلهى.
وقفوا جميعا فى صف واحد، وحينئذ أمسك إبيوس الإلهى بكتلة الحديد.
وبعدما أدارها فى يده، قذفها بعيدا ؛ فضحك الأخيون جميعا.
- ٨٤٠

- ثم تبعه ليونتيوس، تابع آريس، وألقى بها.
 أما الثالث فكان أياس العظيم، بن تيلامون، الذى قذف بها أيضا
 بيده القوية، فتخطى كل العلامات.
 وعندئذ أمسك بوليبيوتيس شديد البأس فى القتال بكتلة الحديد،
 ٨٤٥ وبمقدار ما يقذف راعى البقر بعصاه فتطير فوق قطع الأبقار،
 تخطت رميته كل المضمار، فصاح الجميع مهللين.
 ونهض أتباع بوليبيوتيس القوى،
 وحملوا جائزة ملكهم إلى السفن المجوفة.
- ٨٥٠ ومرة أخرى وضع (أخيلوس) جائزة من الحديد لرماة السهام:
 عشر بلطات ذوات الحدين، وعشر أخرى ذوات الحد الواحد.
 ثم ثبت بعيداً فى الرمال صارياً لسفينة سوداء المقدمة، وبخيوط رفيع
 ربط فيه حمامة رعاشة، ثم طلب منهم التصويب عليها قائلاً:
 ٨٥٥ "من ينجح فى إصابة تلك الحمامة الرعاشة فسوف يحصل
 على كل البلطات هذه ذات الحدين، ويحملها معه إلى منزله.
 أما من ينجح فى إصابة الخيط ويخطئ الطائر، سيكون الأقل
 نجاحاً فى التصويب، وسيحمل معه البلطات ذات الحد الواحد."
 قال ذلك، فنهض الملك تيوكروس القوى،
 ٨٦٠ ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس.
 وعندئذ وضع كل منهما شقافة القرعة فى خوذة برونزية، ثم قاموا
 بهزها، فوقعت القرعة على تيوكروس ليبدأ فى التصويب.
 وفى الحال أطلق سهماً بقوة، وفاته أن يندر بتقديم أضحية
 كبيرة من الأغنام صغيرة السن للإله (أبوللون).
 ٨٦٥ ولشدة غضب الإله أبوللون منه، فقد جعله يخطئ الطائر؛
 ولكنه نجح فى إصابة الخيط، على مقربة من قدم الطائر المربوط.
 وهكذا فقد مزق السهم الحاد الخيط،

- وعندئذ انطلق الطائر إلى عنان السماء، بينما سقط
الخيط على الأرض، فأطلق الآخيون صيحاتهم المدوية.
- ٨٧٠ ولكن ميريونيس اختطف على الفور القوس من يد تيوكروس،
وكان قد أعد السهم سلفاً، بينما كان تيوكروس يقوم بالتصويب.
وبسرعة نذر للإله أبوللون، رامى السهام عن بُعد،
أن يقدم له أضحية كبيرة من الأغنام صغيرة السن.
وفي الفضاء شاهد الحمامة الرعاشة أسفل السحب؛
- ٨٧٥ وبينما كانت تطير في دائرة، نجح في إصابتها
في المنتصف تحت جناحها، فاخترقها السهم حتى الجانب الآخر،
فهبطت إلى الأرض فوراً أمام قدمي ميريونيس.
اننفخت الحمامة فوق الصاري المأخوذ من سفينة سوداء المقدمة.
فتدلى عنقها، ثم هوت وجناحها ينتفضان بشدة، فرفرفت روحها
- ٨٨٠ بسرعة مبتعدة عن جسدها، وحطت بعيداً عن الصاري.
وكان أفراد الجيش يحملقون فيما يحدث وهم في دهشة.
وحمل ميريونيس كل البلطات العشر ذات الحدين،
بينما حمل تيوكروس معه إلى السفن المجوفة العشر ذات الحد الواحد.
- ومرة أخرى أحضر ابن بيليوس رمحا ذا ظل طويل ،
٨٨٥ كما أحضر أيضاً مرجلاً كبيراً لم تمسه النار بعد مُزَيَّناً بالزهور،
وتقدر قيمته بثمن ثور، ووضعها في أرض السباق. وعندئذ نهض رماة
الرماح: فنهض ابن أتريوس، أجاممنون ذو الممتلكات الشاسعة.
ثم تبعه ميريونيس، التابع الشجاع لإيدومينيوس،
وعندئذ وجه أخيليوس الإلهي سريع القدمين، حديثه لهما قائلاً:
- ٨٩٠ "يا ابن أتريوس، لأننا نعلم أنك تفوق الجميع،
وأنتك الأفضل في القوة، وفي دقة تصويب الرماح،
فلتعد إذن إلى سفنك المجوفة حاملاً معك هذه الجائزة.

أما الرمح فلنقدمه هدية إلى البطل ميريونيس، وليتها تكون تلك
أيضاً هي رغبتك ومن أعماق قلبك، واستمحك في ذلك"

٨٩٥

قال ذلك، فلم يعترض أجاممنون، ملك الرجال،

وعندئذ قدم الرمح البرونزي إلى ميريونيس. أما البطل

٨٩٧

(أجاممنون) فقد أعطى الجائزة الجميلة إلى تابعه تالثيريوس.

الكتاب الرابع والعشرون



ترجمة عادل النحاس

- انفض الجمع، وتفرق الحشد، وذهب كل منهم
إلى سفينته السريعة. وانصب اهتمامهم جميعا
على الاستمتاع بالطعام، وبالنوم الهانىء. أما أخيلئوس
فقد تذكر صديقه الحميم، ثم شرع فى البكاء، وقد جافاه النوم
الذى يغلب بسلطانه الجميع؛ كان يتقلب على جانبيه هنا وهناك،
وهو فى شدة الشوق لبطولة باتروكلوس وبسالته.
فكم من مهمة شاقة أنجزاها معا، وكم من كرب كابداه معا،
بخوض الحروب الضارية، وتخطى الأمواج العاتية.
هذا ما كان يجول بخاطره وجعله يذرف الدمع الغزير،
بينما كان يتقلب فى مضجعه على جانبه تارة، وعلى ظهره تارة،
ثم وهو منكب على وجهه تارة أخرى. وعندئذ نهض واقفا
وأخذ يهيم على وجهه بالقرب من شاطئ البحر، وما كان ليفوته
أن يلاحظ تسلل ضوء الفجر فوق البحر وعلى الشاطئء.
فسرج خيوله السريعة فى العربة الحربية،
ثم قام بربط جثمان هيكتور خلف العربة، وبدأ فى سحبه على الأرض.
وبعد أن سحبه مرات ثلاث حول مدفن ابن مينوئيتئوس.
توقف وعاد مرة أخرى إلى خيمته. وقد ترك جثمان هيكتور
ممدداً على وجهه فى التراب. فى تلك الأثناء كان أبوللون
يحفظ الجثمان من أية تشوهات قد تلحق به، فقد كان يرثى لحاله
فى مماته، فكان يغطى كل جسده بدرعه الذهبى،
حتى لا يتمزق جلده أثناء سحبه على الأرض.
وهكذا كان (أخيلئوس) من شدة غضبه، يسىء معاملة هيكتور
الإلهى. أما (هيكتور) فكانت الآلهة المباركة ترثى لحاله عندما
تراه فى هذه الحالة؛ ولذلك فقد طلبوا من (هرميس) أرجيفونئيس
حاد البصر، أن يسرق جثة هيكتور،
الأمر الذى نال استحسان كل الآلهة الآخرين، فيما عدا الإلهة هيرا،

والإله بوسيدون، وأيضا العذراء ذات العينين الزرقاوين (أثينة)؛ فلم تتغير كراهيتهم، منذ البداية، لمدينة إlios المقدسة، وأيضا لبرياموس وشعبه؛ بسبب كراهيتهم لابنه ألكسندروس، الذى حقرَّ الإلهات عندما وصلن إلى حظيرته،

٣٠ ورجح كفة تلك التى غدت الرغبة المحمومة لديه^(*). ولكن، منذ ذلك الحين (منذ قتل هيكتور)، وفى فجر اليوم الثانى عشر، خاطب الإله أبوللون فوييوس الوضاء الآلهة الخالدين قائلاً:
"أيها الآلهة، إنكم بلا رحمة، مدمرون،

ألم يحرق لكم هيكتور أفخاذ ثيرانٍ وما عز لا عيب فيها قربانا،
٣٥ والآن، وبعد أن أصبح جثة هامة، فلا تفعلون شيئاً لتعود سالمة لزوجته لتراه، ولوالدته ولابنه، وأيضا لوالده برياموس، بل ولشعبه، الذين سيسرعون بإحراقه فى النار، ثم دفنه بكل تقدير. ولكنكم، أيها الآلهة، تفضلون مساعدة أخيلئوس المدمر،

٤٠ الذى لا يملك عقلاً راجحاً أو نفساً متسامحة داخل صدره. لقد أصبح فى شرسته كالأسد الذى يعتمد على قوته الجبارة ونفسه المختالة، فينقض على قطعان البشر لبيتغذى.

هكذا فقد أخيلئوس إحساسه بالشفقة، وأيضا بالحياء،
٤٥ وهما إما يؤذيان البشر بشدة أو ينفعانهم بنفس الدرجة. فمن الممكن أن يفقد المرء من هو أعز لديه، كأن يفقد شقيقاً له من نفس الأم، أو ابناً له؛ ولكن ما أن يبكيه وينتحب عليه حتى ينتهى الأمر، فقد غرست

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة التى ترد فى "الإلياذة". لأسطورة تنصيب باريس (ألكسندروس) حكماً فى مسابقة الجمال بين هيرا وأثينة وأفروديتى إلهة الجمال والحب والتناسل والتى حكم فيها لصالح الأخيرة، فنال أجمل امرأة فى العالم وهى هيلينى، التى بسبب اختطافها قامت حرب طروادة. هناك ذكر للمكان الذى يعتقد أنه شهد هذه الواقعة وهو تل كاليبكولونى (ك ٢٠، ٥٣، ٥١). ولا تأتى هذه الإشارة الصريحة إلا فى الكتاب الأخير مما يلقى الضوء على فن هوميروس بالغ التعقيد والحبكة. راجع المقدمة (الحرر)

- ربات القدر مويراى الصبر وقوة التحمل داخل نفوس البشر.
- ٥٠ أما هذا الرجل، وبعد أن سلب حياة هيكتور الإلهى،
ربطه فى عربته، وأخذ يسحبه حول مدفن صديقه الحميم،
ولن يجنى من ذلك خيراً ولا شرفاً،
وليدرك أننا قد نغضب نحن أيضاً منه على الرغم من كونه نبيلاً،
فهو يسىء إلى طين لا حياة فيه".
- ٥٥ وعندئذ اشتد غضب الإلهة هيرا، ذات الذراع الأبيض، وقالت:
"إن كلماتك، يا ذا القوس الفضى، قد تكون صحيحة
إذا ما منحتم أخيليوس وهيكتور المنزلة نفسها:
فهيكثور الفانى قد رضع من ثدى امرأة فانية،
أما أخيليوس فمن نسل إحدى الإلهات، التى أطعمتها
٦٠ وربيتها بنفسى، بل ووهبتها زوجة لبشرى فان،
وهو بيليوس، الذى كان محبوباً فى قلوب كل الآلهة الخالدين.
وقد شاركتكم جميعاً، أيها الآلهة، فى عرسه؛ وكنت
أنت نفسك من بينهم، فقد حضرت الوليمة وفى يدك قيثارتك"
وعندئذ رد عليها زيوس، جامع السحب، قائلاً:
٦٥ "لا تغضبى من الآلهة تماماً، أيتها الإلهة هيرا،
فلن تكون منزلة الاثنين واحدة، بيد أن هيكتور كان،
من دون البشر الذين يقطنون إليوس، الأقرب إلى قلوب الآلهة،
وهو كذلك بالنسبة لى. فهو لم يقصر فى تقديم الهدايا النفيسة لنا،
فلم يخلو مذبحى من الوليمة الملائمة وقرابين الشراب
٧٠ ودخان الأضاحى الدسمة، وطقوس العبادة التى هى حقنا.
ولكن فلندع جانبا سلب جثة هيكتور الجسور، وسيدرك أخيليوس ذلك،
فدائماً ما تسانده أمه، وتقف بجانبه ليل نهار.
والآن فليستدع أحد الآلهة الإلهة ثيتيس لتمثل أمامى.

٧٥

لكى أسدى لها النصيحة: عسى أن يحصل أخيليوس
على هدايا نفيسة من برياموس ليعتق هيكتور".

قال ذلك، فأسرعت الإلهة إيريس، ذات القدم - العاصفة،
لتبلغ الرسالة، فقفزت بين جزيرتى ساموس وإمبروس الوعرة،
فى البحر المظلم، فارتفع صخب أمواج البحر فوقها،

٨٠

فقد اندفعت إلى الأعماق، كقطعة الرصاص المعلقة فى الشخصية،
المصنوعة من قرن ثور الحقول،
وقد نزلت لتجلب الموت للأسماك النهمة.

فوجدت ثيتيس فى كهفها العميق، تجلس من حولها
عراس البحر الأخريات، وهى من بينهن

٨٥

تبكى مصير ولدها الذى لا نظير له، إذ قدر له
الفناء على أرض طروادة الخصبة، بعيدا عن وطنه.
فوقفت بجوارها إيريس، ذات القدمين السريعتين، وقالت:

"انهضى، أى ثيتيس، زيوس سيد النصائح الأبدية يدعوك إليه"

فأجابتها الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضيتين قائلة:

٩٠

"ترى لماذا يستدعيني هذا الإله العظيم، فأنا أستحي

من الاختلاط فى زمرة الخالدين، كما أن بقلبي مالا يحصى من الآلام.
ولكنى ذاهبة إليه، فكلمته، أيًا كانت، ستفنعنى".

قالت ذلك، وارتدت عروس البحر الإلهية وشاحًا أسود،

ليس هناك ما يفوقه سوادًا. وعندئذ تحركت للذهاب إليه،

٩٥

تسبقها إيريس، ذات القدمين السريعتين سرعة الرياح.

تتلاطم حولهما أمواج البحر من كل جانب.

وبمجرد خروجهما إلى الشاطئ، اندفعتا محلقتين صوب السماء،

فوجدتا ابن كرونوس، بعيد النظر، يجلس

من حوله كل الخالدين، المباركين الآخرين.

١٠٠ وجلست إيريس بجوار والدها زيوس، بعد أن تخلت أثينة عن مكانها.
أما هيرا فقد وضعت بين يدي (ثيتيس) كأساً ذهبياً جميلاً،
محيية إياها بكلمات رقيقة، ارتشفت ثيتيس منه ثم أعادته إليها.
وهنا تحدث أبو البشر والآلهة أجمعين قائلاً:

"أيتها الإلهة ثيتيس، لقد حضرت إلى الأوليمبوس برغم كربك

١٠٥ الشديد، ففي قلبك حزن لا راحة منه، وأنا نفسي أعرف ذلك.

ولكني سأخبرك بسبب دعوتي لك إلى هنا،

فقد شب نزاع بين الآلهة الخالدين منذ تسعة أيام

حول جثمان هيكتور، وأيضاً حول أخيليوس مدمر المدن؛

وطلبوا من أرجيفوننتيس الرسول السريع، حاد البصر، أن يسرق الجثة،

١١٠ ولكني قد منحت ذلك الشرف لأخيليوس،

حفاظاً على حبك واحترامك حتى النهاية.

اذهبي إذن بسرعة إلى الحشد وبلغي ولدك أوامري،

أخبريه بأن الآلهة قد استشاطت غضباً منه، ولكن غضبي

هو الأشد من كل هؤلاء الآلهة الخالدين، لأنه بفكره المجنون

١١٥ قد احتفظ بهيكتور بالقرب من السفن المقوسة كالمنقار ولم يعتقه،

ولكنه قد يخشاني ويعتق هيكتور.

ومن ناحيتي فسوف أبعث إيريس إلى برياموس سامي الروح،

كي يذهب إلى الأخيين، ليفتدي ولده الحبيب،

ويقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره".

١٢٠ قال ذلك، فما كان من الإلهة ثيتيس، ذات القدمين الفضييتين

إلا أن أطاعت أوامره، وأسرعت بالهبوط من قمم الأوليمبوس،

حتى وصلت إلى خيمة ولدها. وهناك، وجدته يبكي

بمرارة ومن حوله رفاقه الأعزاء

يعتنون به، ويهمون بإعداد طعام الإفطار،

١٢٥ بعد أن قاموا بنحر كبش كثيف الصوف، داخل خيمته.
فجلست أمه الفاضلة على مقربة منه،
وأخذت تداعبه بيدها، ثم دعتة قائلة:

"أى بُنى، إلى متى ستظل تنهك قلبك بالبكاء والحزن،

١٣٠ عازفا عن الطعام، مجافيا المنام؟ فمن الأفضل أن تنغمس في
معاشرة إحدى النساء، فإنك لن تعمر في الأرض كثيرا،
بل اقترب منك بشدة الموت والقدر القاسي.

أما الآن، فلتصغ لي جيدا؛ إذ جئتكم محملة برسالة من زيوس إليكم:
وهو ينبئكم بأن الآلهة قد استشاطت غضبا منكم، وأن غضبه

١٣٥ هو نفسه الأشد من كل الخالدين، لأنك بجنونك
قد احتفظت بهيكتور في سفينتك المقوسة مثل المنقار، ولم تعنقه.
فهيا سلم جثته، بعد أن تقبل الفدية".

وعندئذ أجابها أخيليوس، سريع القدمين قائلاً:

"فليكن ذلك، وليحمل الجثمان من يحضر الفدية،

١٤٠ طالما كانت تلك هي رغبة الأولمبي ومقصده الحقيقي".

وهكذا تبادلت الأم وولدها، وسط حشد هذا الجمع من السفن،

العديد من الكلمات المجنحة. وفي الحال أسرع

ابن كرونوس بإرسال إيريس إلى إليوس المقدسة قائلاً:

"انطلقى أنت يا إيريس السريعة، واتركي مقرك فوق الأولمبوس،

١٤٥ وأخبري برياموس سامي الروح داخل إليوس
أن يذهب إلى سفن الأخيين كي يفتدى ولده الحبيب،
وأن يقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره،

على أن يكون بمفرده، دون أن يذهب معه أى شخص

آخر من الطرواديين، ولكن فليصحبه تابع كهل، كي يقود له

١٥٠ البغال، وعربته ذات العجلات الجيدة، ويساعده في العودة

- إلى المدينة، بجثمان من صرعه أخيليوس الإلهي.
دعيه لا ينشغل بالتفكير في الموت أو بالخوف منه،
فسوف نبعث معه (بهرميس) أرجيفونتييس، ليقود خطاه،
حتى يصل به على مقربة من أخيليوس.
- ١٥٥ وعندما يتقدم به إلى داخل خيمة أخيليوس،
فلن يهم (أخيليوس) نفسه بقتله، بل وسوف يكبح جماح كل الآخرين،
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثي لحال ذلك الرجل المتوسل من كل قلبه".
- قال ذلك، فانطلقت إيريس، ذات القدمين السريعتين كالريح،
١٦٠ لتبلغ الرسالة، وعندما وصلت إلى منزل برياموس، وجدت نحيبا
وعويلاً شديداً: فقد جلس الأبناء يحيطون بأبيهم في فناء القصر،
مبللة ملابسهم بالدموع، بينما يجلس الشيخ الأشيب. وسطهم مُدثرٌ
بعباءته الصوفية، وقد غطت رأس الشيخ الهرم ورقبته الكثير من
الأوحال التي أهاها على نفسه بيديه، بينما كان يتمرغ على الأرض.
- ١٦٥ كما شاهدت الإلهة بناته وزوجات أبنائه يولولن داخل القصر،
عندما يتذكرن ذلك العدد الكبير من الطرواديين البواسل،
الذين سقطوا وفقدوا أرواحهم على أيدي الأرجيين.
اقتربت إيريس، رسول زيوس، من برياموس الذي ارتعدت فرائصه،
١٧٠ ثم خاطبته بصوت هاديء، قائلة:
- "تشجع، أي برياموس، يا سليل داردانوس،
ولا تخف شيئاً، فأنا لم أحضر إليك لأنبئك بشر،
ولكن بنية الخير، فأنا حاملة رسالة زيوس إليك،
فهو يهتم بأمرك ويرثي لحالك، على الرغم من أنه يقطن بعيداً.
١٧٥ إذ يأمرك الأوليمبي أن تفندي هيكتور الإلهي،
وأن تقدم لأخيليوس الهدايا التي تشرح له صدره،

- على أن تكون بمفردك، دون أن يذهب معك أى من الطرواديين،
ولكن فليصحبك تابع كهل، كى يقود لك
البيغال وعربتك سريعة العجلات، ويساعدك فى
والعودة بجثمان من صرعه أخيليوس الإلهى إلى المدينة.
١٨٠ لا تتشغل بالتفكير فى الموت، ولا تخشاه،
فسوف يبعث معك (بهرميس) أرجيفوننتيس ليقود خطاك
حتى يصل بك على مقربة من أخيليوس،
وعندما يتقدم بك إلى داخل خيمة أخيليوس
١٨٥ فلن يهم (أخيليوس) بقتلك، بل وسيكبح جماح كل الآخرين،
فهو ليس بالأحمق، أو المتهور، أو الشرير،
ولكنه سيرثى لحالك، بوصفك رجلاً متوسلاً من كل قلبك".
وبعدما انتهت إيريس، سريعة القدمين، من إبلاغ رسالتها غادرت
المكان؛ فأصدر برياموس أوامره لأبنائه بإعداد العربة، ذات العجلات
السريعة، التى تجرها البيغال، وأن يربطوا فوقها السلة المجدولة.
١٩٠ أما هو فقد أسرع بالهبوط إلى حجرة كالقبو، مشيدة
من خشب الأرز، سقفها مرتفع، وتحتوى على العديد من الجواهر.
ثم دعى زوجته هيكابى، وصاح فيها قائلاً:
"أيتها الزوجة الفاضلة، لقد أتانى رسول أوليمبى، من زيوس،
١٩٥ يدعونى للذهاب إلى سفن الآخيين، كى أفتدى ولدنا الحبيب،
وأن أقدم لأخيليوس الهدايا التى تشرح له صدره،
فهيا إذن الآن وأخبرينى كيف يبدو لك الأمر؟
إن حماسى وقلبى يدفعانى بشدة
للذهاب إلى هناك، إلى تلك السفن داخل حشد الآخيين".
٢٠٠ قال ذلك فأجابته زوجته، وهى تجهش بالبكاء، قائلة:
"يا ويلتى! هل ذهب حكمتك التى اشتهرت بها بين الناس

- سواء الأجنب أو من تحكمهم؟! كيف ترغب في الذهاب إلى سفن الأخيين وحدك، وتقف أمام عيني ذلك الرجل الذى سلبك عددًا كبيرًا من أبنائك البواسل؟ حقا إن قلبك قَدَّ من حديد. لأنه إذا ما تملكك ووقعت عيناه عليك، وهو رجل متوحش وغير موثوق به، فلن يرحمك، ولن يشعر تجاهك بشيء من الحياء. دعنا الآن نبكى ولدنا هنا، بعيدًا عنه، قابعين فى منزلنا؛ فلهيكتور كانت إلهة القدر مويرا قد نسجت بخيوطها مصيره؛ فى نفس اللحظة التى وضعتُ فيها. أنه سيثبع الكلاب سريعة الأقدام بعيدا عن والديه، وعلى مقربة من رجل عنيف، ذلك الذى طالما تمنيت أن أنتزع له كبده من أحشائه وأنهشه، وبذا يتم الانتقام الشديد لابنى الذى قتله، ولم يجبن بل كان يدافع عن الطرواديين والطرواديات ذوات الثياب عميقة الطيات، ولم يحاول الاختباء أو الفرار".
- وعندئذ أجابها الشيخ الهرم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
 "إياك أن تمنعيني وقد عقدت العزم على الذهاب، أو أن تصبى أنت نفسك طائر شؤم فى منزلى. فلن تقنعيني. لأنه إذا ما طلب منى ذلك شخص آخر من الفانيين على وجه الأرض، سواء كان عرافاً أو كاهناً يتنبأ، عندئذ كنت سأعتبرها أكلوبة وأهملها. أما الآن، وقد استمعت بنفسى إلى الإله، بل وشاهدته بعيني، فإنى ذاهب لا محالة، ولن يذهب الكلام سدى، حتى وإن كان مقدرًا لى أن أموت بالقرب من سفن الأخيين لابسى البرونز. فأنا أسعى إلى ذلك، وليتنى ألقى حتفى على يد أخيليوس، بينما أحتضن ولدى بذراعى، عندئذ سأوقف عن البكاء".

- قال ذلك، ثم بدأ فى رفع أغطية الصناديق الجميلة.
ثم أخرج منها اثنى عشر ثوبا نسائيا فائقة الجمال؛ ثم اثنتى عشر
٢٣٠ عباءة ترتدى بمفردها، ثم عددًا كبيرًا من الأغطية؛ وعددًا كبيرًا من
العباءات البيضاء كبيرة الحجم؛ ثم عددًا كبيرًا من ملابس
الرجال الجميلة. ثم أحضر وحمل معه عشرة تالنتات، ذهبية خالصة،
ووعاءين براقين ثلاثى الأرجل؛ ثم أربعة مراجل؛
وكأسًا بالغ الجمال، كان الطراقيون قد أهدوها إليه
٢٣٥ أثناء زيارته لهم: ثروة كبيرة،
فحتى هذا لم يدخره الشيخ الهرم فى المنزل، فقد كان يتوق
إلى افتداء ولده الحبيب. ثم قام بعد ذلك بطرد كل الطرواديين
من القاعة، موبخا إياهم بأبشع الكلمات، قائلاً:
"اغربوا عن وجهى ياسيب عارى وشنارى
٢٤٠ أليس فى منازلكم ما يكفيكم من الأحزان، وتأتون هنا لمضايقتى؟
أم أنكم تعبرون عن استيائكم من أن ابن كرونوس، زيوس، قد أصابنى
بوجع الحزن، بعد أن قتل أفضل أبنائى؟ ولكن ستدركون جيداً:
فالآن، وبعد مصرع ولدى، ستصبحون فريسة سهلة
فى متناول يد الأخيين؛ أما أنا،
٢٤٥ فقبل أن أرى هذه المدينة، بعينى رأسى، مقهورة
ومحطمة، فيجدر بى أن أهبط إلى مقر هاديس".
- قال ذلك، ثم بدأ فى إبعاد الناس بعصاه، فانصرفوا جميعاً.
وفى تلك الأثناء كان الشيخ الأشيب يسرع الخطى، ويصيح فى أبنائه
هيلينوس، باريس، أجاثون، بامون الإلهى،
٢٥٠ أنتيفونوس، بوليتيس البارع فى صيحة الحرب،
ديفوبوس، هيبوثوؤس، ديوس النبيل.
هؤلاء التسعة دعاهم الشيخ الهرم بصوت جهورى، وأمرهم قائلاً:

- "أسرعوا إلى أيها الأبناء السيئين،، يا مجلبة عارى،
ليتكم كنتم قد قُتِلْتُمْ جميعاً بالقرب من السفن السريعة بدلا من هيكتور!
٢٥٥ يا حسرتى أنا التعس! فقد أنجبت أفضل الأبناء
فى طروادة الفسيحة، ولكنى أقول إنه لم يبق منهم أحد:
ميسطور شبيه الآلهة، طرويلوس البارع فى قيادة العربة الحربية،
هيكتور، الذى كان إلهاً بين الرجال، فلم يكن مظهره يدل على
أنه ابن لرجل فان، ولكن لإله. لقد قتلهم أريس جميعاً،
٢٦٠ ولم يترك لى سوى من يجلبون لى العار، الكذابين سريعى الفرار،
أفضل الراقصين، ولصوص الأغنام والماعز.
ألن تجهزوا لى العربة على وجه السرعة،
ألن تضعوا فوقها كل هذه الأشياء، حتى تتطلق فى الرحلة؟"
٢٦٥ قال ذلك، فهبوا مذعورين من توبيخ والدهم
فأخرجوا العربة سريعة العجلات، تجرها البغال،
جميلة ومزركشة حديثاً. ثم ربطوا فوقها السلة المجدولة،
ثم أنزلوا نير البغال من الوتد الخشبى،
وهو ذو رأس مستديرة، ومزود بالحلقات كى يمر منها اللجام.
٢٧٠ وكذلك أحضروا سيرا من الجلد بطول تسعة أذرع،
وبه ثبتوا النير جيدا فوق العريش المصقول،
من خلال الحلقات الأمامية، وذلك بوضع الحلقات فى وتد خشبى،
ثم ربطها ثلاث مرات من الجانبين فوق سرة النير،
وبعد تثبيتها جيدا قاموا بعمل عقدة فى نهاية السير الجلدى.
٢٧٥ وأخرجوا من الخزانة فدية رأس هيكتور
التي لا تحصى، وكوموها فوق العربة المزركشة،
وربطوا البغال ذات الحوافر القوية فى النير، تلك
التي كان الميسيون قد أهدوها إلى برياموس من قبل، هدية فخمة.

- كما أعدوا الخيول لبرياموس، تلك التي كانت مخصصة للشيخ
 ٢٨٠ المسن، والتي كان يقوم برعايتها في الحظيرة الفاخرة بنفسه.
- وهكذا بينما كان الاثنان يشرفان على تجهيز العربة في
 القصر العالى، برياموس وتابعه، وتجول بخاطرهما أفكار حكيمة؛
 عندئذ دنت هيكابى منهما، بقلب حزين،
 ممسكة فى يدها اليمنى بنبيذ معسول،
 ٢٨٥ فى كأس ذهبى، لكى يقدماه قربان شراب قبل الرحيل،
 ثم وقفت فى مواجهة الخيول، وخاطبت زوجها قائلة:
- "هاك، اسكبها قربان شراب، لزيوس الأب، وتضرع
 إليه أن تعود إلى بيتك من بين الأعداء القساة، مادامت نفسك
 تدفعك إلى سفنهم، على غير رغبة منى.
- ٢٩٠ ابتهل أولاً لابن كرونوس، ذى السحب السوداء
 سيد إيدا، المطل على كل طروادة،
 توصل أن يبعث إليك رسولا سريعاً
 الطائر الأقرب إلى قلبه والأقوى،
 وأن يظهره على يمينك، كى تراه بكلى عينيك.
- ٢٩٥ فتمتلىء ثقة وتشق طريقك صوب سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة.
 أما إذا لم يمنحك زيوس، واسع النظر رسوله هذا
 فمن المؤكد أننى لن أحتك على
 الذهاب إلى سفن الأرجيين، بالرغم من لهفتك".
- فأجابها برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
 ٣٠٠ "وأنا يا زوجتى لن أخالف مشورتك،
 فإنه لشيء طيب أن نرفع أكف الضراعة لزيوس، فقد يرثى لحالنا".
- قال ذلك، ثم أمر الشيخ الأشيب الخادمة
 أن تصب ماءً نقياً على يديه، فأسرعت الخادمة

بالاقتراب منه وفي يديها إبريق ووعاء وإناء.
 ٣٠٥ وبعد أن أتم الاغتسال، أخذ الكأس من زوجته،
 ثم وقف وسط الفناء، وبدأ يبتهل، وهو يسكب النبيذ
 ناظرًا إلى السماء، ثم رفع صوته بالدعاء:

"أيها الأب زيوس، يا من تحكم من فوق إيدا، أيها الأجد
 الأعظم، امنحني أن أكون موضع ترحاب وإشفاق لدى أخيلئوس؛
 ٣١٠ ولتبعث إليّ رسولاً سريعاً، الطائر الأقرب إلى قلبك والأقوى ليظهر
 على يميني كي أراه بعيني وأمتلىء ثقةً وأشق طريقى إلى
 سفن الدانائيين ذوى الخيول السريعة"

قال ذلك مبتهلاً، فاستمع إليه زيوس ذو التدبير الحكيم،
 ٣١٥ فأرسل إليه فى التو نسرا، وهو الأكثر تأكيداً للفأل بين الطيور؛
 نسرا داكن اللون، قنصا، يدعو الناس بالأسود.
 ويقدر ارتفاع ضلقتى باب حجرة شاهقة الارتفاع،
 محكمة المزاليق فى قصر رجل ثرى،
 هكذا امتد جناحاه على الجانبين؛ وقد لاح لهم
 ٣٢٠ من جهة اليمين، محلقا عبر المدينة، فسعدوا
 لمشاهدته، وانشرح صدرهم.

وعندئذ أسرع الشيخ الهرم بالصعود إلى العربة،
 ثم عبر الممر المؤدى إلى البوابة، ثم الرواق الذى يردد صدى الصوت.
 وفى المقدمة، كانت البغال تجر العربة ذات العجلات الأربع،
 ٣٢٥ وكان يقودها إيداؤوس الحكيم. وفى خلفها سارت
 الخيول التى كان الشيخ المسن يوجهها بالسوط، ويحثها
 على الإسراع عبر المدينة، وشيعه كل الأصدقاء،
 باكين بشدة، كما لو كان يرحل إلى الموت.
 وعندما نزلوا من المدينة، وبلغوا الوادى،

٣٣٠ عاد الجميع أدراجهم إلى إليوس، أبناؤه وأزواج بناته.
أما هما فبمجرد ظهورهما فى الوادى لم يغبيا عن أعين زيوس،
واسع الرؤية، وعندما رآهما أشفق بشدة على الشيخ الهرم،
وفى الحال تحدث إلى هرميس، ولده العزيز، قائلاً:

"أى هرميس، حيث إن مرافقة إنسان فان هى من أحب
٣٣٥ المتع إليك، وتعطى أذناً صاغية لمن تهتم بهم،
أسرع إذن وقد برياموس إلى سفن الأخيين المجوفة،
على ألا يراه أحد، أو يفطن إليه أى من
الدانائيين الآخرين، قبل أن يصل إلى ابن بيليوس".
قال ذلك، فلم يعصه رسول الآلهة، أرجيفوننتيس.

٣٤٠ وفى التو انتعل ذلك الصندوق الذهبى
الجميل، الأمبروسى الخالد، والذى يطير به فوق البحار
وعبر الأراضى غير المحدودة مثل هبات الريح.
ثم أمسك بعصاه التى بها يستدرج عيون البشر للنوم إذا شاء،
أو يوقظ النيام من غفوتهم.

٣٤٥ بهذه العصا فى يده طار أرجيفوننتيس القوى،
فبلغ طروادة وهيليسبونطوس فوراً،
ثم شرع فى السير فى هيئة شاب من النبلاء،
تتبت لحيته لأول مرة وهو فى ريعان شبابه الوسيم.

وما أن عبر (برياموس وتابعه) مقبرة إيلوس الكبرى،
٣٥٠ أوقفا البغال وأيضاً الخيول، حتى ترتوى
من النهر، حيث هبط الظلام على الأرض،
وهنا انتبه التابع إذ رأى الإله
هرميس على مقربة منه، فصاح فى برياموس قائلاً:

"انتبه، يا سليل داردانوس، فهذا أمر بحاجة إلى رجاحة العقل،

٣٥٥ فأنا أرى رجلاً، ويبدو أننا سنصبح أشلاء بعد قليل.
ولكن هيا إذن، ولنهرب فوق العربة، أو لنتوسل إليه
متشبثين بركبتيه، فربما يرثى لحالنا".

قال ذلك، فاضطرب عقل الشيخ الأشيب، وتملكه خوف شديد،
وانتصب الشعر على مفاصله المرنة،

٣٦٠ ووقف مذهولاً. وعندئذ اقترب الإله المستعان (هرميس)،
وأمسك بيدي الشيخ المسن، ثم سأله:

"إلى أين، أيها الأب، تقود خيولك وبغالك في ذلك الليل

البهيم الخالد (الأمبروسي)، حيث ينام كل البشر الفانين الآخرين؟

غير هياب بالآخيين النافثين جنوناً،

٣٦٥ المعادين بلا هوادة والقريبين من هنا؟

وإذا ما رأك أحدهم في تلك الليلة المسرعة حالكة السواد،

محملاً بكل النفائس، فكيف ستتصرف؟

إنك لست شاباً، حتى تستطيع الدفاع عن نفسك ضد أي شخص

قد ينقض عليك؛ وكذلك فإن تابعك هو أيضاً رجل طاعن في السن.

٣٧٠ أما أنا فلن أمسك بسوء، بل وسأرد عنك غائلة

الآخرين، فإنك تشبه والدي الحبيب".

وعندئذ رد عليه الشيخ المسن برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:

"حقاً هو كذلك مثلما تقول، أيها الابن العزيز.

ولكن ربما يمد لي أحد الآلهة يده الآن،

٣٧٥ فقد أرسل لي عابر سبيل مثلك، جالباً للخير،

فأنت في الهيئة والوسامة رائع؛

ونو عقل حكيم، ومن أبوين مباركين ولدت كما يبدو".

فرد عليه رسول الآلهة، أرجيفوننتيس، قائلاً:

"حقاً، أيها الشيخ الهرم، فما قلت إلا صواباً.

- ٣٨٠ ولكن هيا إذن. تحدث، وأخبرنى ما إذا كنت تحمل كل تلك النفائس
لأناس غرباء، لكى يتركوك فى أمان،
أم أنكم تهجرون جميعاً مدينة إليوس المقدسة،
من شدة الخوف، بعد أن قُتِلَ أفضل الرجال،
ابنك، الذى لم يكن ليتوقف أبداً عن قتال الآخيين".
- ٣٨٥ وعندئذ خاطبه الشيخ الهرم برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:
"من أنت، أيها الشاب النبيل، ولأى والدين ولدت؟
إنك تتحدث بكل خير عن مصير ولدى التعس".
فأجابه رسول الآلهة، أرجيفوننتيس، قائلاً:
"إنك تختبرنى، أيها الشيخ الهرم، وتسالنى عن هيكتور الإلهى.
لقد شاهدته بعينى مرات عديدة فى المعركة،
التي تعطى المجد للرجال، عندما كان يطارد الأرجيين إلى سفنهم؛
ويقتلهم، ويمزقهم بسيفه البرونزى البتار.
أما نحن فقد دُهشنا بما يفعله، بينما كنا نقف على مبعدة، حيث لم يسمح
لنا أخيليوس بالقتال، بسبب غضبه من ابن أتريوس.
فأنا تابعه فى القتال، وحملتنا إلى هنا السفينة نفسها متينة الصنع.
إننى واحد من الميرميدونيين، وأبى هو بوليكتور؛
وهو من الأثرياء، ولكنه شيخ مسن مثلك أنت،
له ستة من الأبناء، وأنا السابع.
ضربنا القرعة فيما بيننا واختيرت للحضور إلى هنا،
أنا الآن قادم من السفينة إلى الوادى. وفى الفجر
سيشعل الآخيون، ذوو العيون البراقة، القتال حول المدينة،
لتململ الجالسين بلا عمل، ولن يستطيع
ملوك الآخيين أن يكبحوا جماح أولئك المتعطشين للقتال".
- ٤٠٥ وعندئذ خاطبه الشيخ المسن برياموس، شبيه الآلهة، قائلاً:

- "إن كنت حقا تابع أخيليوس بن بيليوس فى القتال،
فهيا إذن وأخبرنى بكل الحقيقة.
هل مازال ولدى ممددا بجوار السفن، أم أن أخيليوس
قد مزقه إربا إربا، ثم ألقى به للكلاب؟".
- ٤١٠ فأجابه رسول الآلهة، أرجيفونتييس، قائلاً:
"لم تلتهمه الكلاب ولا الطيور الجارحة بعد، أيها الشيخ المسن،
ولكنه مازال ممددا بجوار سفينة أخيليوس،
وسط الخيام، إنه ممدد هناك منذ اثنى عشر فجرا،
ولم يتعفن جسده بعد، أو يأكله الدود
- ٤١٥ الذى يلتهم جثث قتلى المعارك. إن (أخيليوس)
يجر جثته، بلا شفقة، حول كومة الدفن
لصديقه الحبيب كلما ظهر ضوء الفجر الإلهى،
وعلى الرغم من ذلك فلم يشوه جسده، وتستطيع الذهاب بنفسك وتندهش
من إنه ممدد، ومازال جسده نضرا. وقد غسلت الدماء من فوق جسده،
ولم يحدث أى تقيح، فقد التأمّت كل الجروح
- ٤٢٠ التى أصيب بها، حيث طعنه الكثيرون بسيوفهم البرونزية.
إن الآلهة المباركين يهتمون كثيرا بأمر ولدك الجسور،
حتى وهو جثة هامة، لأنه عزيز على قلوبهم".
- فانشرح صدر الشيخ الهرم بما سمعه، وخاطبه قائلاً:
"أى بنى، حقا إنه لشيء طيب أن يقدم الفانون مثل تلك الهدايا
للآلهة الخالدين. فلم يكن ولدى ينسى قط فى قصره، وقت
أن كان لى ولد، الآلهة المهيمين على الأوليمبوس.
ولذلك فقد تذكروه حتى وهو فى قبضة الموت.
ولكن هيا الآن وتقبل منى ذلك الكأس الجميل،
وقم بحمايتى ومرافقتى بعون من الآلهة،
- ٤٣٠

حتى أصل إلى خيمة ابن بيليوس".

فأجابه رسول الآلهة، أرجيفوننتيس، قائلاً:

"إنك تختبرني، أيها الشيخ الهرم، فأنا الأصغر سناً؛ ولكنك

لن تقنعني بقبول هديتك، دون علم أخيلIOS.

٤٣٥

فأنا أخشاه وأكن له في قلبي التبجيل وأستحي أن

أستولى على شيء يخصه، فقد يلحق بي السوء بعد ذلك.

ولكني سأكون لك مرشداً، حتى وإن بلغت مدينة أرجوس^(*) المجيدة،

سواء كان ذلك في سفينة سريعة أو سيرا على الأقدام،

ولن يتعرض لك أحد، محتقراً مرشدك".

٤٤٠

قال ذلك، ثم قفز الإله المستعان بسرعة فوق العربة

خلف الخيول، وأمسك في يديه بالسوط والعنان،

ثم أعطى للخيول والبغال دفعة قوية.

وعندما وصلوا إلى الأبراج المطلة على السفن، وإلى الخندق،

كان الحراس قد بدأوا في الانشغال بوجبة العشاء،

٤٤٥

فدثرهم رسول الآلهة، أرجيفوننتيس بغلالة النوم،

ثم فتح البوابة بسحب المزلاج.

وعندئذ قاد برياموس وهداياها الثمينة المحملة فوق العربة للداخل،

فلما بلغوا خيمة ابن بيليوس العالية،

التي كان الميرميدونيون قد شيدوها لمليكنهم

٤٥٠

بجدوع أشجار الصنوبر، وغطوا سقفها

بأعداد كبيرة من الغاب، التي تم جمعها من المروج،

ومن حولها أقاموا فناءً كبيراً لمليكنهم

بأوتاد سميكة. كان للباب مزلاج واحد

من الصنوبر، وكان ثلاثة من الآخيين يجرونه لإغلاقه،

(*) أرجوس المقصودة هنا هي أرجوس البلاسية في نيساليا. (المحرر)

- ٤٥٥ وثلاثة آخرون يفتحون المزلاج الضخم،
أما أخيليوس فكان يحركه بمفرده.
وهنا قام الإله المستعان، هرميس، بفتحه للشيخ الأشيب،
وقام بحمل الهدايا النفيسة إلى ابن بيليوس، سريع القدمين،
ثم هبط بعد ذلك من فوق العربة على الأرض وقال:
- ٤٦٠ "أيها الشيخ المسن، لقد أتيتك، أنا الإله الخالد
هرميس، بعد أن طلب منى أبي أن أكون لك مرشدًا في الطريق.
أما الآن فسوف أعود أدراجي، ولن أظهر أمام
عيني أخيليوس؛ فربما يكون أمرا سيئا
أن يستقبل بشر فانون إلها خالداً وجهاً لوجه.
- ٤٦٥ أما أنت، فتعلق بركبتي ابن بيليوس بمجرد دخولك،
ثم توسل إليه بحق والده ووالدته ذات الخصلات الجميلة،
وأيضا بحق ولده، حتى تحرك مشاعره".
وبعدما انتهى هرميس من حديثه، عاد إلى الأوليمبوس
الشاهق وعندئذ قفز برياموس من فوق العربة إلى الأرض،
وقد ترك إيديوس هناك. فظل رابضا فيها ممسكا
بالخيول والبغال، أما الشيخ المسن فقد دخل مباشرة إلى المنزل،
حيث اعتاد أخيليوس، حبيب زيوس، أن يجلس،
فوجده. أما رفاقه فكانوا يجلسون بعيدا عنه، فيما عدا اثنين فقط:
وهما المحارب أوتوميدون، وألكيموس سليل آريس،
حيث كانا منهمكين في خدمته، وكان قد انتهى لتوه من
الطعام والشراب، وما زالت المائدة ممدودة أمامه.
أما برياموس العظيم فقد دخل دون أن يراه أحد، ووقف على مقربة من
أخيليوس، ثم احتضن ركبتيه بيديه الاثنتين، ثم قبّل تلك اليدين
المرعبتين قاتلة الرجال، التي أودت بحياة العديد من أبنائه.

- ٤٨٠ ومثلما تحل اللعنة القاضية برجل ما، فيقتل رجلا آخر
 فى وطنه، ثم يهرب إلى بلد أجنبى
 ويلجأ إلى منزل رجل ثرى، فنتملك الدهشة كل من يراه.
 هكذا أصيب أخيلئوس بالدهشة عندما رأى برياموس، شبيه الآلهة؛
 وهكذا أصيب الآخرون بالدهشة، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر،
 وعندئذ خاطبه برياموس، متوسلا، وقال:
- ٤٨٥ "ياشبيه الآلهة، أخيلئوس، تذكر والدك،
 فهو معمر مثلى، وعلى عتبات شيخوخته المضنية.
 من يدرى فرما كان القاطنون حوله، والمحيطون به
 يزعجونه، ولم يجد أحدا ليدرأ عنه السوء والفناء.
- ٤٩٠ ولكنه على الأقل، عندما يسمع أنك مازلت حيا
 ينشرح صدره، ويأمل فى كل يوم
 أن يرى ولده الحبيب عائدا من طروادة.
 أما أنا فتعس، سيئ الحظ، فقد أنجبت أفضل الأبناء
 فى طروادة الفسيحة، وأقول لك إن أحدا لم يبق لى منهم.
- ٤٩٥ لقد كان لى خمسون من البنين عندما حضر أبناء الآخيين.
 تسعة عشر منهم من رحم واحد،
 أما الآخرون فقد أنجبتهم لى نساء أخريات داخل القصر.
 كثيرون الذين حلّ آريس المجنون ركبهم.
 وترك لى فقط، الذى كان يحمى المدينة، ورجالها،
 فقد أرديته قتيلا أنت حديثا، وهو يدافع عن وطنه.
- ٥٠٠ إنه هيكتور. فمن أجله أتيت الآن إلى سفن الآخيين،
 كى أفنديه منك؛ وقد أحضرت معى فدية كبيرة لا تعد ولا تحصى.
 خاف الآلهة، أى أخيلئوس، وأشفق علىّ
 عندما تتذكر والدك، فأنا أهل للشفقة أكثر منه، إذ تحملت مالا
 يتحملة شخص آخر من البشر الفانين على وجه الأرض،
- ٥٠٥

بأن أقبل يد من قتل أبنائي".

هكذا تحدث، فاستثار أحزان (أخيليوس) ليبيكى والده.
وأمسك بيد الشيخ الهرم، ونحاه برقة جانباً. ثم أخذاً يستعيدان
الذكريات الحزينة: أحدهما يتذكر هيكتور، قاتل الرجال،

٥١٠

وأجهش بالبكاء وهو ينحني على قدمي أخيليوس.
أما أخيليوس فكان يبكي تارة والده، وتارة أخرى
باتروكلوس. فعلا النحيب بشدة عبر حجرات الخيمة.
ولكن عندما أخذ أخيليوس الإلهي كفايته من البكاء،
وذهب الحنين عن نفسه وعن كل أعضاء جسده،

٥١٥

نهض في التو من مقعده ورفع الشيخ المسن من يده.
فقد أشفق على شبيبة رأسه وعلى لحيته البيضاء،
ثم خاطبه بكلمات مجنحة، قائلاً:

"آه، أيها التعس، لقد كابدت الكثير من الآلام!

٥٢٠

كيف تحملت الحضور إلى سفن الأخيين بمفردك،
في مواجهة الرجل الذي فتك بالكثيرين من أبنائك
البواسل؟ لك قلب من حديد.

ولكن هيا إذن واجلس على المقعد، ولندع أحزاننا
تهداً داخل قلوبنا، على الرغم من الألم المرير.
فلا طائل من ذلك البكاء المدمر.

٥٢٥

هذا هو ما قدرته الآلهة للبشر التعساء،
بأن يعيشوا في ألم مرير، بينما هم أنفسهم بلا آلام.
فعلى عتبات معبد زيوس توجد جرتان كبيرتان مليئتان بالهدايا،
إحداهما مليئة بالخير، والأخرى بالشر.

٥٣٠

فأى امرئ يمنحه زيوس، المتمتع بالصاعقة، هداياه المختلطة
فتارة يصطدم بالشر، وتارة أخرى ينعم بالخير

- أما من يمنحه مصير الأحزان، يجعله محط احتقار،
يطارده الجوع المفترس فوق الأرض المقدسة،
يهيم على وجهه دون اكتراث من الآلهة أو البشر.
فهكذا منحت الآلهة بيليوس الهدايا المجيدة
منذ ولادته، فقد فاق كل البشر
في الازدهار والثراء. وصار ملك الميرميدونيين.
ثم اختاروا إلهة زوجة له، مع أنه إنسان فان.
ومع ذلك فقد أصابه الإله بسوء، فلم
ينجب في قصره ذرية من الأبناء ليخلفوه على العرش،
ولكنه أنجب طفلاً واحداً حدد له أجل مبكر، لم يعد بوسعي
أن أراعاه وهو يتجه للشيخوخة، لأنى بعيد عن أرض الوطن،
في طروادة. حيث تسببتُ في إيذائك وفي إيذاء أبنائك.
وأنت أيها الشيخ، لقد سمعنا من قبل أنك كنت من المحظوظين،
إذ كانت لك ليسبوس، موطن ماكار^(*) الممتدة تجاه البحر
غير المحدود. وأيضاً فريجيا الممتدة فوق البر؛ وكذلك
هيليسبونطوس. يقولون إنك، أيها الشيخ الهرم، تفوقت على الجميع
في الثراء، وفي الأبناء. ولكن منذ أن أصابك أهل السماء بالخراب
فصارت المعارك تحيط بالمدينة من كل جانب، وكذلك قتل الرجال،
فلتتحمل إذن، ولا تتقل قلبك بأحزان لا نهاية لها.
فلن تجنى شيئاً من حزنك الشديد على ولدك،
ولن تعيده مرة أخرى إلى الحياة، ولكنك ستعاني شروراً أخرى".
عندئذ أجابه الشيخ المسن، شبيه الآلهة، برياموس، قائلاً:
"لا لا تدعنى أجلس على مقعد، ياربيب زيوس،
طالما كان هيكتور ممدداً بين الخيام دون عناية، بل اعتقه بسرعة،

(*) هو في الغالب ملقرت الفيقي، راجع المقدمة. (المحرر)

٥٥٥ حتى أراه بعيني هاتين، ولتقبل فديته الكبيرة
التي أحضرناها إليك، ولتسعد بها، ثم تعود
إلى أرض وطنك، بعد أن تكون قد أبقيت على
حياتي وتركتني أرى ضوء الشمس".

فنظر إليه أخيليوس، سريع القدمين، بحدة وقال له:

٥٦٠ "لا تستر غضبي أكثر من ذلك، أيها الشيخ الأشيب، وأنا نفسي
أنوى أن أعتق هيكتور؛ إذ وصلني رسول من زيوس،
أمى نفسها، التي أنجبتني، ابنة شيخ البحر المسن.
لقد تعرفت عليك، أي برياموس، ولم يغب عن ذهني
أن أحد الآلهة قد أتى بك إلى سفن الأخيين السريعة،

٥٦٥ فلم يستطع بشرى من قبل أن يصل إلى حشد جيشنا، حتى وإن
كان أكثر شبابا وقوة منك. ولم يكن ليفلت من الحراس،
وما كان له أن يسحب بسهولة مزلاج بوابتنا.
ولذلك فلا تثر في نفسي الأحران،

وإلا فلن أبقىك حياً، أنت نفسك بين خيامنا أيها الشيخ الأشيب،
حتى وإن كنت متضرعاً، ولو كان في ذلك ما يخالف أوامر زيوس".

٥٧٠ قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأشيب وأطاع أمره.
وعندئذ قفز ابن بيليوس كالأسد متجها صوب الباب إلى خارج الخيمة،
لم يكن بمفرده، ولكن تبعه اثنان من مرافقيه:

وهما المحارب أوتوميدون وألكيموس، اللذان
يكرمهما أخيليوس أكثر من رفاقه الآخرين، بعد وفاة باتروكلوس.
٥٧٥ ففكوا الخيول والبغال من النير،
ثم اقتادوا التابع منادى الشيخ المسن للداخل.

وأجلسوه على أحد المقاعد. ومن العربة ذات الإطارات الجميلة
حملوا فدية رأس هيكتور التي لا تعد ولا تحصى.

- ٥٨٠ وتركوا بها عباةتين وثوبًا جميلًا مغزولاً بمهارة،
حتى يتم تكفين الجثمان بها قبل إعادته إلى منزله. ثم استدعى
(أخيليوس) بعض الإماء وأمرهن بغسله ودهنه من كل جانب،
بعد حمله إلى مكان بعيد، حتى لا يرى برياموس ولده،
فقد لا يستطيع السيطرة على غضبه، من شدة حزنه،
٥٨٥ عندما يرى ولده، مما قد يثير حنق أخيليوس عليه
فيقتله، مخالفًا أوامر زيوس.
وبعدما انتهت الإماء من غسله ودهنه بالزيت،
غطين جسده كاملاً بالعباءة الجميلة وبالثوب،
ورفعه أخيليوس نفسه، ووضعوه فوق النعش الخشبي.
٥٩٠ وعندئذ قام رفيقاه برفع النعش ووضعوه فوق العربة المزركشة جيدًا.
ثم شرع بعد ذلك في البكاء، ونادى رفيقه الحبيب بالاسم قائلاً:
"أى باتروكلوس، لا تغضب منى إذا علمت
وأنت فى هاديس أننى قد أعدت هيكتور الإلهى
إلى والده العزيز، وأن الفدية لم تكن كما ينبغى،
٥٩٥ فلسوف أتقاسمها معك، وأمنحك منها كل ما أنت جدير به".
ثم عاد أخيليوس الإلهى مرة أخرى إلى داخل خيمته،
وجلس على مقعده الوثير رائع الصنع، ثم نهض مرة أخرى
وجلس بجوار الحائط المقابل، وتحدث إلى برياموس قائلاً:
"أيها الشيخ الأشيب، لقد أخليت سبيل ولدك كما طلبت،
٦٠٠ وهو الآن ممدد فوق النعش الجنائزى. ومع ظهور أول ضوء للفجر
ستراه بنفسك وتحمله معك. أما الآن فدعنا لا ننسى العشاء.
فحتى نيوبى^(*)، ذات الخصلات الجميلة، لم تتس الطعام،

(*) هذه هي الإشارة الوحيدة عند هوميروس لأسطورة نيوبى التي وردت كثيرًا في أشعار الإغريق والرومان وترددت أصداؤها في الآداب الأوربية الحديثة. (الحرر)

- تلك التي قُتِلَ لها اثنا عشر من أبنائها داخل قصرها،
ست من البنات، وستة من البنين في ريعان الشباب،
٦٠٥ قتل أبوللون الأبناء بقوسه الفضى
بسبب غضبه من نيوبى، أما البنات فقتلتهن أرتميس رامية السهام.
لأن نيوبى تباغت بنفسها أمام ليتو، ذات الوجنتين الجميلتين.
وعيرتها بأنها قد أنجبت طفلين توأمًا فقط، بينما أنجبت هي الكثير.
ولذا فعلى الرغم من أنهما اثنان فقط إلا أنهما قتلا كل أبنائها.
٦١٠ وظلوا لمدة تسعة أيام ممددين على الأرض، غرقى فى دمائهم،
فلم يكن هناك من يقوم بدفنهم، حيث حول ابن كرونوس الناس جميعا
إلى حجارة^(*). وفى اليوم العاشر قامت آلهة السماء، بدفنهم،
وأما هى فلم تنس الطعام، حيث أنهكتها غزارة دموعها.
وهى الآن بين الصخور، فى جبل معزول،
٦١٥ فى سيبيوس، حيث يقولون إنه مخدع الإلهات العرائس اللائى
حول أخيلويوس. لقد تحولت إلى حجر بفضل الآلهة، وهى هناك
تتأمل أحزانها المرسلة من قبل الآلهة. ولكن هيا إذن، أيها الشيخ
القدير، دعنا لا ننسى نحن أيضا الطعام، وبعد ذلك يمكنك البكاء مرة
أخرى على ولدك الحبيب، بينما تحمله معك إلى إليوس،
٦٢٠ فسوف تنهمر منك دموع غزيرة".
- قال ذلك، ثم نهض أخيلويوس السريع ونحر شاة بيضاء،
وتولى رفاقه بعد ذلك سلخها وإعدادها كما ينبغى، وذلك بتقطيعها
بمهارة شديدة إلى شرائح صغيرة، ثم تمريرها فى الأسيخ،
ثم قاموا بشيها بعناية فائقة، وحملوها بعيدا عن النار.
٦٢٥ ثم أخذ أوتوميديون الخبز ووزعه على المائدة
فى سلال جميلة. أما أخيلويوس فوزع قطع اللحم.

(*) يربط بعض الدارسين بين كلمة "الشعب" laos فى اللغة الإغريقية وكلمة "الحجر" laas. (المحرر)

- وعندئذ بدأ كل منهم يمد يده للطعام والشراب المصفوف أمامهم.
وعندما امتلأت بطونهم، ولم تعد لديهم رغبة في المزيد من طعام
أو شراب، أبدى برياموس، سليل داردانوس، إعجابه بأخيليوس،
٦٣٠ وكم كان طويلاً ووسيمًا، كما لو كان من الآلهة.
أما أخيليوس فقد أبدى هو الآخر إعجابه ببرياموس، سليل داردانوس،
برؤية مظهره النبيل، والاستماع إلى كلماته.
وبعدما أشبع كل منهما عينيه برؤية الآخر،
تحدث الشيخ الهرم، شبيه الآلهة، برياموس أولاً، وقال:
٦٣٥ "دعنى أسترح الآن، وفى التو، ياربيب زيوس،
كى ننام، ونسعد بنوم هانىء،
فحتى الآن لم تغفل عيناى داخل جفونى
منذ أن لقي ولدى مصرعه على يدك.
فأنا أبكيه باستمرار، ولكنى أكتم أحزانى العديدة والمريرة،
٦٤٠ متمرغا فى الأوحال، فى حظيرة المنزل.
أما الآن فقد تناولت الطعام، ودفعت بالنبيذ المتقد
داخل جوفى، ومنذ وقت طويل لم أكن قد ذقت شيئاً من الطعام".
وهكذا، وعندما انتهى من حديثه، أمر أخيليوس رفاقه
وبعض الإماء أن ينصبوا أسرة خشبية فى القاعة، وأن يغطوها
٦٤٥ بأغطية أرجوانية جميلة، وأن يفرشوا فوقها مفروشات صوفية.
فخرجت الإماء إلى القاعة، ممسكات فى أيديهن بالمشاعل،
وفى التو أعددن، فى خفة وبسرعة، سريرين.
وعندئذ، ابتسم أخيليوس، سريع القدمين، وخاطبه قائلاً:
٦٥٠ "فلتسترح بالخارج، أيها الشيخ العزيز، فربما يأتى
أحد المستشارين من الآخيين، الذين يبقون دائماً
على مقربة منى، ويسألونى المشورة، كما هى العادة،

فإذا ما رآك أحدهم في تلك الليلة المنصرمة بسرعة، حالكة السواد،
فسوف يخبر في الحال أجاممنون، راعي الشعوب،
ومن ثم فقد يرجىء تسليم الجثمان.

٦٥٥

ولكن هيا إذن وقل بصدق وأخبرنى
كم من الأيام تنوى أن تقيم فيها مراسم دفن هيكتور الإلهى،
حتى أنتظر أنا نفسى، وأمسك بالجيش عنك".

فأجابه الشيخ الهرم، شبيه الآلهة، برياموس قائلاً:

٦٦٠

"لو أنك ترغب حقاً أن أقيم مراسم دفن لهيكتور الإلهى،
فسيتفق هذا مع رغبتى، أى أخيليوس، أنت تعرف
بأننا محاصرون فى المدينة، وأن الأخشاب على مسافة بعيدة
كى نحملها من الجبل، كما أن الطرواديين خائفون بشدة.
تسعة أيام إذن كى نبكيه فى القصر،

٦٦٥

وفى اليوم العاشر نقوم بدفنه، ثم تقام وليمة جنازية،
وفى الحادى عشر نهيل عليه قبراً من التراب،
أما فى اليوم الثانى عشر فسوف نعود للقتال، إذا دعت الضرورة".

وعندئذ خاطبه أخيليوس الإلهى، سريع القدمين، قائلاً:

٦٧٠

"لك ذلك إذن، أيها الشيخ الأشيب برياموس، وكما طلبت؛
فسوف أوقف القتال طوال المدة التى تحتاجها".

وبعدما انتهى من حديثه، أمسك بمعصم يمنى

الشيخ المسن، خشية أن يكون فى قلبه بعض الخوف،
وهكذا نام كلاهما، التابع وبرياموس، فى القاعة الأمامية للخيمة،
تدور بخلدهما أفكار حكيمة.

٦٧٥

أما أخيليوس فنام فى حجرته فى عمق الخيمة المنيفة،
وبجواره ترقد بريسيثيس، ذات الوجنتين الجميلتين.

كان الآلهة الآخرون، وكذلك الرجال، مقاتلو العربات الحربية

ينامون طوال الليل، فقد استسلموا للذة النوم،
 فيما عدا هرميس، الإله المستعان، الذي لم يغلبه النعاس،
 ٦٨٠ فقد كان يفكر بامعان كيف يرشد الملك برياموس
 بعيداً عن السفن، دون أن يرمقه حراس البوابات العتاة.
 وعندئذ وقف فوق رأس (برياموس) وقال له:

"أيها الشيخ المسن، لا يشغل بالك أى سوء قد يصيبك وأنت
 ترقد هنا وسط الأعداء، فقد أنقذك أخيليوس.

٦٨٥ أما وقد افتديت الآن ولدك الحبيب بتقديم الكثير من الهدايا،
 فمن أجلك أنت سيقدم أبناؤك، الذين تركتهم خلفك،
 ثلاثة أضعاف ما قدمت فدية، إذا ما تعرف عليك أجاممنون
 بن أتريوس، أو تعرف عليك كل الآخيين".

قال ذلك، فارتعدت فرائص الشيخ الأسيب، وأيقظ تابعه
 ٦٩٠ وأعد لهما هرميس الخيول والبغال،
 وقادها بنفسه مسرعا عبر المعسكر، دون أن يفتن إليهم أحد.
 ولكن ما أن بلغوا مخاضة النهر جميل الانسياب،
 نهر كسانثوس ذى الدوامات، الذى أنجبه زيوس الخالد،
 رحل هرميس إلى قمة الأوليمبوس الشاهق؛

٦٩٥ فى حين انتشرت إيوس ذات الرداء الزعفرانى على وجه الأرض كافة.
 أما هما فساقا الخيول صوب المدينة فى نحيب وبكاء؛
 وكانت البغال تحمل الجثمان. فى البداية لم يفتن إليهم
 أى من الرجال أو النساء ذوات النطاق الجميل،
 فيما عدا كاساندرا، شبيهة أفروديتى الذهبية.

٧٠٠ فقد سعدت إلى برجاموس، ورأت والدها الحبيب
 واقفا فى العربة، وكذلك تابعه منادى المدينة؛ كما رأت أخاها ممددا
 فوق النعش الجنائزى على العربة التى تجرها البغال، وعندئذ أطلقت

- صرخة عويل حادة فبلغت صيحتها كل أرجاء المدينة، قائلة:
- "هلموا، أيها الطرواديون، وأيتها الطرواديات، وشاهدوا هيكتور،
 ٧٠٥ واسعدوا كما لو كان عائداً من المعركة حيا،
 فقد كان الفرحة الكبرى للمدينة وللناس أجمعين".
- قالت ذلك، فلم يبق رجل واحد أو امرأة داخل
 المدينة؛ فقد غشيهم جميعاً حزن لا يحتمل،
 وتقابلوا بالقرب من البوابة مع حامل الجثمان.
- ٧١٠ وكانت زوجته الحبيبة وأمه الرؤوم سباقتين، وألقت كل منهما
 بنفسها فوق العربة ذات العجلات الجميلة، وهي تمزق شعرها وتولول،
 ويلمسان رأسه؛ والناس من حولهما يتدفقون ويبكون.
- وكادوا يستمرون هكذا طوال اليوم وحتى غروب الشمس
 وهم يذرفون الدمع أمام البوابة من أجل هيكتور.
- ٧١٥ لولا أن وجه الشيخ الهرم حديثه للناس من فوق العربة قائلاً:
- "أفسحوا الطريق لى وللغال حتى نستطيع المرور للداخل ،
 ثم بعد ذلك فلتشبعوا رغبتكم فى البكاء، بعدما أحمله إلى داخل المنزل".
- قال ذلك، ففتحوا قليلاً على الجانبين مفسحين الطريق للعربة.
 وحمله الآخرون إلى داخل القصر المجيد، ثم وضعوه
 ٧٢٠ فوق سرير مربوط بحبال، ووضعوا بجواره المنشدين
 قائدى المرثيات، ليقودوا النشيد الجنائزى وشرعوا يتغنون
 بالتراتيل الجنائزية، وبدأ النساء يولولن. ومن بينهن
 كانت أندروماخى، ذات الذراع الأبيض، إذ قادت الأغنية الحزينة،
 ممسكة بيديها رأس هيكتور قاتل الرجال قائلة :
- ٧٢٥ "زوجى، رحلت عن هذه الحياة شاباً، وتركتنى
 أرملة فى هذا القصر؛ وابنك مازال فى المهد صغيراً،
 ذلك الذى أنجبناه، أنا وأنت، نحن التعساء، ولا أظن

- أنه سيصل إلى مرحلة الشباب. فتلك المدينة ستكون قد هلكت
 عن آخرها قبل ذلك الحين، إذ هلكت أنت، يا من
 ٧٣٠ كنت تدافع عنها، وتحمي نساءها النبيلات وأطفالها الصغار
 اللائي سرعان ما سيحملن في السفن المجوفة،
 وأنا معهن. أما أنت، يا بُنى، فإما أنك
 ستتبعني إلى هناك، حيث تقوم بأداء الأعمال الوضيعة
 تحت إمرة سيد لا يرحم؛ أو أن أحد الآخيين
 ٧٣٥ سيقتد بك، قابضًا على يدك، من فوق البرج إلى حتفك المفجع،
 وقد تملكه الغضب لأن هيكتور كان قد قتل له من قبل أخًا،
 أو أبًا أو ابنًا. فالعديد من الآخيين قد عضوا بأسنانهم تراب
 هذه الأرض الفسيحة، بعد أن قضت عليهم يدا هيكتور.
 فلم يكن أبوك لين الجانب في القتال الفتاك.
 ٧٤٠ ولذلك فإن الناس سيكونه في كل أرجاء المدينة.
 أي هيكتور؛ لقد جعلت والديك يبكون بكاءً مريرا، وينتحبون بشدة،
 ولم يبق لي سوى الآلام المبرحة،
 لأنك لم تمد لي يديك وأنت ممدد فوق النعش،
 كما لم تقل لي أية كلمة حكيمة، أمعن التفكير فيها
 ٧٤٥ ليل نهار، وأنا أنرف فيها الدمع عليك".
- قالت ذلك وهي تبكي، بينما كانت النساء الأخريات يولولن بشدة.
 ومن بينهن أخذت هيكاى دورها وقادت أغنية الحزن المفجع، قائلة:
 "أي هيكتور، يا أعز على قلبي من كل أولادى،
 ٧٥٠ كنت في حياتك حبيب الآلهة، وهم الآن يحيطونك بعنايتهم في موتك.
 فأخيليوس سريع القدمين من قبل باع أولادًا لي آخرين،
 أسرهم في البحر الهائج وباعهم عبيدًا،
 في جزيرة ساموس، وفي إمبروس، وأيضا في ليمنوس، كثيفة الضباب.
 أما أنت فقد سلبك حياتك بسيفه البرونزي ذى الحد الطويل البتار،

- ٧٥٥ ثم جر جسدك لمرات عديدة حول كومة الدفن المقامة لصديقه
باتروكلوس، الذي قتلته من قبل. ولكن ذلك لم يعده للحياة ،
والآن ترقد ممددا داخل القصر بجسدك النضر، غير المشوه،
كمن قد أرداه قتيلاً أبوللون، حامل القوس القضى، بسهامه الرقيقة".
- ٧٦٠ قالت ذلك وهى تبكى، وصرخت صرخة حزن لا ينتهى.
ثم واصلت هيليني قيادة الأغنية الحزينة حيث قالت:
"أى هيكتور، يا أعز على قلبى من كل إخوة زوجى،
حقاً، إن زوجى هو ألكسندروس، شبيه الآلهة،
الذى أحضرنى إلى طروادة؛ وليتنى كنت قد فنيت قبل ذلك،
فقد أمضيت الآن عشرين عاماً^(*) منذ ذلك الحين
الذى رحلتُ فيه من هناك وغادرتُ وطنى.
ولم أسمع منك كلمة مشينة أو مهينة قط.
وإذا ما لامنى شخص آخر داخل القصر، سواء كان من
إخوة زوجى أو أخواته، أو من زوجات إخوته بملابهن الجميلة،
أو أمك - أما أبوك فهو مثل والدى رقيق الحال معى دائماً -
فإنك بحديثك معه، وكذلك بأسلوبك الرقيق،
وكلماتك العذبة تجعله يتراجع ويهدأ.
ولهذا فأنا أبكيك، كما أبكى على نفسى، سيئة الحظ، بقلب حزين.
فلم يعد لى بعد ذلك فى طروادة الفسيحة شخص آخر
لطيف أو عزيز، لأنهم جميعاً يفرعون منى".
- ٧٧٥

(*) هذه هى الإشارة الوحيدة فى أشعار هوميرس للرواية الأسطورية المدهشة وفحواها أن الإغريق بعد خطف هيليني قاموا بحملة فاشلة حيث رست سفنهم فى ميسيا بدلاً من طروادة عن طريق الخطأ فعادوا إلى بلادهم. وبعد عشر سنوات حشدوا أساطيلهم وقاموا بالحملة التى تحدث عنها "الإلياذة". وهذه الرواية الأسطورية الغريبة غير المعروفة ولكنها تتفق وما جاء فى "الإلياذة" الكتاب التاسع عشر يت ٣٢٧ من أن أخيليوس كان له ابن شاب يدعى نيوبتوليموس. وهذه التقاسيم الزمنية المتقابلة فى الأسطورة تفتح مجال الشك فى علاقتها بالحقائق. فالاستعداد للحرب أخذ تسع سنوات ووقع الهجوم فى العاشرة. وحصار طروادة استمر تسع سنوات وأحرقت فى العاشرة. وبعدها تاه أوديسيوس فى طريق العودة إلى وطنه إيثاكي تسع سنوات ووصل فى السنة العاشرة. (المحرر)

قالت ذلك وهي تبكى، بينما كانت جموع الناس بلا عدد تتأوه.
بعد ذلك تحدث الشيخ المسن برياموس في الناس قائلاً:

"والآن، أيها الطرواديون، أحضروا الأخشاب إلى المدينة، ولا
تخشوا على أنفسكم من أى كمين يعده لكم الأرجيون، فأخيلْيوس
قد تعهد لى، عندما تركنى أعود من السفن السوداء،
بأنه لن يقدم على أى عمل سييء قبل حلول فجر اليوم الثانى عشر".

٧٨٠

قال ذلك، فقاموا يربط الثيران والبغال معا

فى نير العربة، ثم تجمعوا بعد ذلك مسرعين أمام أبواب المدينة،
وظلوا طوال تسعة أيام يجمعون كميات ضخمة من الأخشاب،
وعندما لاح فجر اليوم العاشر، ناشرا ضيائه على كل البشر،
عندئذ حملوا جثمان هيكتور الباسل، وهم يذرفون الدمع الغزير،
ووضعوه فوق قمة المحرقة، ثم أشعلوا فيها النيران.

٧٨٥

وعندما ظهرت إلهة الفجر إيوس ذات الأصابع الوردية،

استيقظ الناس جميعا، والتفوا حول محرقة هيكتور المجيد،
وبعدما تجمعوا والتأم شملهم جميعا، أطفأوا نيران المحرقة
بالنبيذ المتقد، حتى تمت السيطرة على جذوة اللهب،
ثم بدأ أشقاؤه ورفاقه يجمعون العظام البيضاء،

٧٩٠

وهم يكون حتى سال الدمع الغزير على وجناتهم (كالأنهار).
أخذوا تلك العظام ثم وضعوها فى وعاء ذهبى.

٧٩٥

وغطوه بالرداء الأرجوانى الناعم ودفنوه فى قبر مجوف، ومن فوقه
وضعوا أحجاراً كبيرة بأعداد كثيرة، ثم أقاموا كومة الدفن؛
ومن حوله انتشر الحراس يراقبون المكان من كل اتجاه،
حتى لا يغير عليهم الآخيون، لابسو الدروع المتينة قبل الآوان.

٨٠٠

وبعدما انتهوا من إقامة كومة الدفن، عادوا أدراجهم، ثم
تجمعوا فى صفوف متراسة، والتفوا جميعا حول وليمة جنازية كبيرة
فى قصر الملك برياموس، ربيب الآلهة.

٨٠٤

وكانت تلك هى مراسم دفن هيكتور، مروض الخيول.



Η ΤΟΥ ΟΜΗΡΟΥ ΙΛΙΑΣ

عندما ظهرت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤ تلقفتها الحياة الثقافية المصرية والعربية بحفاوة منقطعة النظير. فلا يستطيع أحد أن يحصر حصراً دقيقاً أو جامعاً مانعاً ما كتب عن هذه الطبعة في الصحافة اليومية والمجلات الثقافية، ناهيك عن الإذاعة المسموعة والمرئية، وذلك على امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج. ولعل أهم ما تدل عليه هذه الأصداء واسعة النطاق في الحياة الثقافية المصرية والعربية هو أن حياتنا الثقافية تتعطش بالفعل للكلاسيكيات ولكل المترجمات المتخصصة والدقيقة ذات الصياغة الأدبية المستساغة. يضاف إلى ذلك أن ترجمة "الإلياذة" كانت تمثل تحدياً ثقافياً مزمناً في التراث العربي.

واذ يعيد المركز القومي للترجمة نشر هذا السفر الأدبي النفيس، فإنه يأمل أن يلبي تطلعات المهتمين والباحثين والقراء العرب إلى مزيد من التواصل مع تراث الإبداع الإنساني الخلاق.

